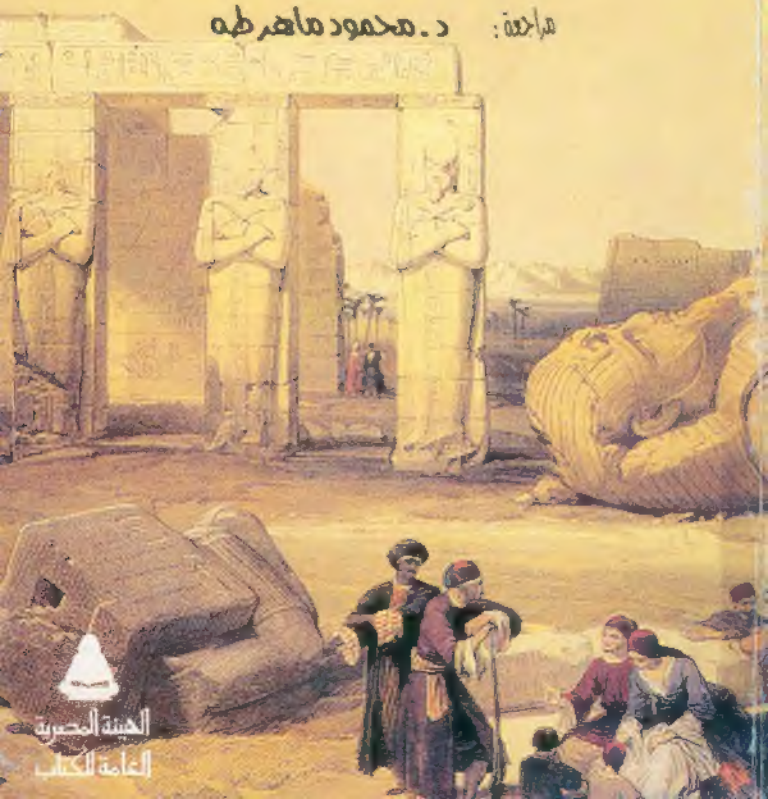


إميليا إدواردز

رحلة الألف ميل

ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة: د. محمود ماهر طه



إهداء ٢٠٠٦
الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

رحلة الألف ميل

الألف كتاب الثاني

تلخيص حل الثقافة العالمية

المؤلف: الدكتور / هادي هادي
طبع مطبع الإنابة

طبع النشر
أحمد دبلية

مكتبة التمدد
عنوان: محمد التمدد

الإصدار: العدد ١٠٠٠٠
مكتبة: مكتبة

رَحْلَةُ الْآلِفِ مِيلٍ

تأليف
إميليا إدواردز

ترجمة
إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة
د. محمود ماهر طه



مركز الدراسات والبحوث

١٩٩٧

هذا على الترجمة العربية الكاملة الكتاب :

A THOUSAND MILES UP THE NILE

By : Amelia B. Edwards

Pub : Oxford, Clarendon Press, London.

First ed : 1877. Second ed : 1888.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير	٧
مقدمة الطبعة الثانية	٩
مقدمة الطبعة الأولى	١٠
المقدمة	١٩
الفصل الأول	
القاهرة والهرم الأكبر	٢٢
الفصل الثاني	
القاهرة والحج إلى مكة	٤١
الفصل الثالث	
من القاهرة إلى البدرشين	٥٩
الفصل الرابع	
سفارة ومنف	٧١
الفصل الخامس	
من البدرشين إلى المنيا	٩٤
الفصل السادس	
من المنيا إلى أسعوط	١١٤
الفصل السابع	
من أسعوط إلى عنيزة	١٢٢
الفصل الثامن	
طبعة والكنة	١٥٩
الفصل التاسع	
من طبة إلى أسوان	١٨١

الموضوع	الصفحة
الفصل العاشر	
أصول والفنون	٢٠٠
الفصل الحادي عشر	
للخلال والمصحاء	٢٧١
الفصل الثاني عشر	
فيلة	٢٣٢
الفصل الثالث عشر	
من فيلة الى كوروسكو	٢٥٩
الفصل الرابع عشر	
من كوروسكو الى أبي سنبل	٢٧٠
الفصل الخامس عشر	
وميسر الاكيد	٢٨٨
الفصل السادس عشر	
أبو سنبل	٢٩١
الفصل السابع عشر	
الخلال الثاني	٣٤٠
الفصل الثامن عشر	
الاكتشافات في (أبو سنبل)	٣٥٤
الفصل التاسع عشر	
الحربة من خلال ارضي النوبة	٣٨٤
الفصل العشرون	
المسئلة وافو	٤٧٣
الفصل الحادي والعشرون	
طيبة	٤٤٧
الفصل الثاني والعشرون	
أبيدوس والقاهرة	٥٠٠
الملاحق	٥٢٨

تصنيف

كم لاهوتني هذه السيدة الانجليزية المتوسطة العمر اميليا ب • إدواردز • تلك التي جئت الى مصر بهدف السياحة • ولكن ما شاهدته اغراها منذ البداية بتحويل الرحلة من مجرد السياحة العابرة الى الدراسة المتعمقة •

ان هذه السيدة نموذج حق عليه حائلة وعثرون علما • ولكننا نرى فيه حذقة ماثلة تجعلنا نقفم للزاة المصرية التي تعيش السنوات الأخيرة من القرن العشرين وتبحث لنفسها عن دور أكبر تقوم به في خدمة بلدها مصر • لقد خاطرت هذه السيدة بالقيام بالرحلة عبر النيل ذهابا وعودة في مركب • ووضعت نفسها للكثير من مخاطر الملاحة النهرية والتعامل مع المتهدي من النماذج الانسانية التربية عنها أصلا ولغة • ولكنها لم جميع الأحوال اجتازت الرحلة بسلام • وقد حرصت على الاستفادة من كل لحظة زمن بتفويين كل صغيرة وكبيرة من النيل والأرض والإنسان المصري الذي عاش في أيام الخديو اسماعيل ذلك الحاكم الطموح الذي حاول أن يجعل مصر قطرة من أوروبا •

ان صورة مصر عند هذه السيدة عينة عظيمة لدراسة عينة قديمة المؤلفة بالانجليزية للأوربيين • وما نحن تنقلها بالمرية لأصحاب البلد من المصريين ولكل غاري بالمرية ليعرفه أكثر الى تاريخ هذه الجزء من الوطن العربي الذي يتود لأمة العربية •

ان الحضارة التي أكفها اجنادونا منذ خمسة آلاف عام تشهد بتقديم المصيب في علوم الطب والهندسة والمساواة وكيمياء الألوان • ورسائل طلع الصخر وتقلها دون تولر وسائل النقل القادرة على تحمل ثقل عبثات الإنسان • ثم استخدام هذه الصخر في اقامة المآبد والصروح الضخمة دون توفر الروافع أو الأوناش • ثم نقش عمارهم بتقوى بارزة أو عائرة زامية للألوان تعيش لأمة حتى اليوم فوق الحوائط والسقوف

الصدقية التي قاومت عوادي الأيام ... ليست هذه هي بؤبؤ التاريخ
المصري وبعدياته الزاهية التي نفاخر بها الآن ومستظل نفائسها على مدى
الأيام ؟ ان التكنولوجيا الحديثة تقف عاجزة أمام التقسيم العلمي المذهل
الذي حققه أجدادنا العظام ، فلا هي تقادرة على مجاراته ، ولا نستطيع
حتى فهم أسرارهم ، رغم المحاولات المستمرة لاكتشاف الفطريات الخفية
أو الامكانات السرية التي سق بها أجدادنا هذه المسجرات .

وليس هنا هو كل ما يتضمنه الكتاب لأنه يقدم للقارىء صورة
صادقة وأمانة بحسب التي شاهدها المؤلفة على الطبيعة وعاشت أهلها
وتعاملت معهم ببساطة وسحب وأعجاب ، متفئة التفاصيل الدقيقة عن
الحياة اليومية خاصة في قلب القاهرة القديمة (الموسكى) وما حوله من
أشياء ... وجمعتنا نذكر احتفالات سفر المجلد الى مكة ... وما كانت
تجرى به الاحتفالات في الأعياد والمناسبات والأفراح .

وفي النهاية لا يسعنا الا احترام هذه السيدة النبيلة وأعتناح جهودها
المشكور ، ولا يطوننا أن ننوه هنا بالجهد الكبير الذي بذله الأستاذ الدكتور
محمود ماهر في مراجعة هذه الترجمة وضبط عباراتها وإضافة العديد من
الملاحظات التي جعلتها تظهر بهذه الصورة المشرفة .

إبراهيم سلامة إبراهيم
القاهرة في ١٥ يناير ١٩٩٦

مقدمة المطبعة الانجليزية الثانية

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى سنة ١٨٧٧ وصلت طبعته منذ صدقات عديدة . ولذلك راجعته وأعلنت طبعه من جديد بفن الرخصي ، وإثناء مراجعته قمت بتصحيح بعض التعليقات التاريخية في ضوء الاكتشافات الأخيرة . ولكنني تركت الأسلوب الروائي دون المساس به - ولم أدون أية ملحوظة عن التلميحات السياسية التي جرت على أرض عصر (٥) منذ كتابة هذا الكتاب . ونظرا لأنني لا أقدم نفسي كمرشد للأحرار فأنني لا أورد شيئا عن الأحوال المتغيرة التي يسمح لها غالبية الرحالة الذين يقومون بهذه الرحلة الآن عبر نهر النيل - وستكون هذه الأتيا، أكثر امتثالا وأكثر عملية عند دراستها من خلال الصفحات التي دونها بيدكر وموراي .

لعميقا ب ، ادواردل
وستيري - لوند - نريم
أكتوبر ١٨٨٨

(٥) قلعة يثك الاحتل قبله لندس - (انترجم)

مقدمة الطبعة الانجليزية الاولى

يتم جزء من الرحلة في مصر على ظهر حمار ، ثم يقوم المسافر بزيارة بحرية في مركب بين خرائب الآثار .

(امير)

عندما أوجز امير الحديث عن مصر في عبارة صائفة ، وكوب حمار ورحلة في قارب خلال الخرائب ، فإنه في الحقيقة قد أوجز في سفر واحد التجربة الكاملة للرحلة عبر نهر النيل . أما بخصوص هذه الاثنياء الثلاثة - الحبر ، والقارب ، والخرائب - فيمكن القول بأن الحصول على سرج انجيري جيد الصنع ، وباحرة مبلية مريحة (ذهبية) يضمان الكثير الى بهجة الرحلة ، وأنه كلما عرف المرء الكثير عن التاريخ الماضي لهذا البلد فإنه يستمتع أكثر بهذه الخرائب .

ولا انمرس الحديث عن الميوات السببية للمراكب الخشبية والمرءكب الحديدية ، والسفن البخارية . ولكننا على أية حال شاعدا ذهبية مصنوعة من الحديد راسيه على خلفة رجليه ، حيث علمنا فيما بعد أنها بقيت هناك لمدة ثلاثة أسابيع . وراينا أيضا حطام ثلاث سفن بخارية ما بين القاهرة والشلل الاول . ومن المؤكد أنه ما لنا أن الذهبية الخشبية خفيفة الطور ، عرضة القنص ، تسحب القليل من الماء ، وهي خفيفة الوزن بحيث يسهل جذبها عند جنوحها ، وهي أفضل ما صنع من المراكب للسلامة في النيل . وبالطبع ثلر هناك اعتبارات أخرى تدخل في هذه المسألة مثل الرمي والتكلفة . ويصير الاختيار بين الذهبية والفضية البخارية ، تنبينا بالاختيار بين السفر على خيول البريد ، والسفر بالسكة الحديد ، لأن احدهما مرنع التكلفة ، ويخفى على مهل . ويثير البهجة ، بينما الآخر رخيص وسريع وغير مريح نسبيا . ونكون شك فان هؤلاء الذين يرخضون للماء نثرة ساطعة على النيل سيحصلون السفينة البخارية . ويظهر من أن أضيف أن التكلفة الكلية للرحلة من ميله الى فندق كراكنت

بما فيها الطعام والجرة الترحيل وإيجار المركب متصلة كل شيء، قبا عند
الغمر - تبعد حوالي عشرة جنيها استرلينية في اليوم .

أما بخصوص حرارة الجو فقد وجدناه باردا - وشديد البرودة
أحيانا - خلال شهرى يناير وديسمبر ، ومعتدلا في فبراير ، وهذا يعني
في شهرى مارس وأبريل - أما مناخ التربة فهو بسيطة لا تشويه تناسبة ،
حيث لا تبطر السماء أبدا ، وعصيا تمير حدود الحداد ، لا يحمل الهواء
قشعريرة الصباح أو المساء ، إلا أنه حتى في بلاد التربة وحاصبة
طوال الأربيع ميل التي تفصل (أبو سمل) عن وادى حلفا ، فإن الجو
يكون باردا عندما تهب الريح من الشمال جهبة (١) .

وإذا عدنا إلى عنوان هذا الكتاب فقد يتعرض البعض عليه لأن المسافة
من ميناء الامكسبرية إلى الشمال الفانى تقل قليلا من ألف ميل ، وهي
تقدر في الحقيقة بحوالى ٦٦٤٥ ميل . ولكن المسافر عند صخرة (أبو صير)
التي تبعد عن وادى حلفا بمسافة خمسة أميال ، يرى أن الأرض التي
تمتد مسافات ومسافات تتجاوز الثلاثين أو الخمسة والثلاثين ميلا ضرورية
لاستكمال رحلة الألف ميل . وقد رأينا من هذه النقطة بوضوح قسم
الجبال التي تقع على بعد حوالى ١٤٥ ميلا جنوب وادى حلفا والتي تعرف
على الشمال الثالث .

وبما يجب على أن نقول شيئا رعا على التناقضات المتكررة من هؤلاء
الذين انتظروا طبع هذا الكتاب منذ عام مضى . استطاع أن أجيب فقط
بأن عملية الطبع قد استغرقت عامين وليس عاما واحدا ، فمن المستحيل
أن نكتب في مصر بسرعة ، فالموضوع يتسع مع الكتابة ، ومع المعرفة التي
يتمحصل عليها المسافر خلاله الطريق .

والأهم من ذلك هو أن الموضوع سيلاط بموافق لا بد وأن تحرق أسرع
للإقلام ، وإن ادعى أن في حورتي أسرع للإقلام . وغلافة على ذلك فإن
الكتاب الذى يطبع لآل يكون دقيقا عليه لأن يحوّل كثيرا لبعض من
الخطاقي ، إذا لم يتحب أسلا إلى المصادر الأصلية (التي قد تكون من

(١) للملحة من يريد مطومات كثر مرة ، اتعهد أن هناك قلة بموسم درجات
الحرارة سجلت يوما بوم ، وأسيروها بسمجوع . وهي موجودة في نهاية كتاب
مستر ٤- ويليام ستوارت Max H. Williams وعنوان الكتاب طرات في
شيق Wide Greenings .

المنصوص ذاتها) . وفي معظم الأحوال يلجأ إلى الترجمة والتعليقات
المشروعة في الصفحات التالية للنص ، أو لفترقة بين صفحات الدوريات
الطبية ومختصر جلسات الجمعية المتخصصة . وهذا يمكن كشف أن كل
تأليف أو اسم أو مرجع غابر ، قد يحتاج إلى مساعدات من البحث . وأن
مراجعة هذا للمد الغنم من الرسوم الخطية والنوصحية التي يجب
نقلها عن مخطوطات الصفحات التي تتناثر هنا وهناك في كراسات الرسم
التي في حصر الجيب وهي الرفيق الدائم للرمام ، تستغرق زمنا ليس
بقليل . وقد خطر في بالي أن أورد ذلك على ميسيل الاحتذار .

ويسعدني أكثر أن أذكر حفة العمل دون اعتبار للوقت الذي
القطي . ويجب أن أشكر الأستاذ الذي لم يلقوا جهدا في بلل المود
لإصدار هذا الكتاب . ونفس بالذكر المحترم سي . بيرسي (دكتور في
الدينون) والذي يعني بحق . الأب في هذا القطر للموسة كبيرة في فله
اللغة المصرية . والذي قام أيضا بترجمة المنصوص الهيراطيقية
والهيراطيقية المتخصصة في الفصل الثامن عشر . والذي أطلع يعطى غير
محدود على ذلك الفصل برمته في المطبعة . وإلى المحترم ريجالد ستويات
بول والبروليسر . ر . أوبي وس . ب . وغيرهم . وإلى السيرج . و . كوكس .
إلى هؤلاء . سيما أود أن أقدم امتناني القلي مع الاقرار بأفضالهم . ومن
المؤكد أن يحصب من بين أمجاد العلم إلى هؤلاء الذين يعملونه ويسلمونه
في ذلك بالجهاد . هم أكثر الناس استملاء للمشاركة في مخزون المعرفة
التي لديهم .

وكم اشتاق كذلك للتصير في امتناني القلي للمستترج . يرعون
الذي تم حفر كافة الرسومات تحت إشرافه ، فالقول بأن صبره ولطفه كانا
غير محدودين ، وأنه لم يبال بالوقت أو التكلفة في توضيب كليشيهات
الطباعة ، ليس إلا مجرد ذكر للحقائق . ولا ينفل أية فكرة عن أهمية العمل
الذي تم إنجازه . وخلاصة أن أعمال الطفر التي خلفت على الخشب مباشرة
تنتمي إلى هذا النوع . كما لفت أيضا عن الرسومات المرسومة بالألوان
لداية التي كان مطلوبها ليس فقط تصميم حجة بل أيضا تنفيذها كما
هي بالأسود والأبيض مما زاد من صعوبة تنفيذ العمل . ولواجهة هذه
الصعوبات وتأكيدا للذة فإن مستر يرعون لم يطلب فقط مساواة
الرسامين المنظرين ولكنه قام في أحيان كثيرة بتصوير الطوطسوعات على
الخشب مباشرة . أما فيما يخص عمل الرنكغراف الذي يتحدث عن
نفسه - فسأقول فقط أنني لا أعرف طريقة أخرى للفتوق عليه . ويبدو

لي أن يعنى هذه الكليشيهات تعتبر نموذجاً لا وصل إليه في الطفر من
التخشب من حقة في التنقيح .

أما الرموز الرئيسية فقد وصفت جميعاً على التخشب بمعرفة مسنور
يوسفال سكيلتون ولا يستطيع أحد سواي أن يستوعق مدى براعة هذه
الرموز لرفعة قلعة الرصاص والأحاميبي الفنية التي نفذ بها الرموزات
الأصلية .

أما عن مسرح الرحلة المصرية ، وروعة الليل ، وجبال الصحراء غير
التوابع والمائق ، والخرائب التي تعتبر من عجائب الدنيا ، فقد أوقعت
ذلك حقه في مكان آخر . ولايت أن أكتب أنني حملت مني إلى وطني
احساساً بأن الأشياء والمسا في مصر ، لم تتغير كثيراً عما تعودنا أن
نفتخره في وقتنا الحالي . واعتقد أن بنية وحياة الفلاح المصري تنطبق
كثيراً مع بنية وحياة ذلك العامل المصري القديم الذي عرفه جميعاً من
خلال الرموز الجدارية في المقابر ، أكتافه مربعة ، ولطافه دقيقة ولكنها
قوية ، ومسلح الشفتين ، ومشرته نية اللون ، وراء عرقته المس المتزرد
على الصدر ، ويحلب نفس الضالوف ، ويسرح بنفس المحركات ، ويعد
نفس الطعام بنفس الطريقة . ويتناول طعامه بأسنانه من نفس السلطانية .
عليها كما كان يفعل أجداده منذ ستة آلاف عام مضت .

أما الحياة العائلية والأساليب الاجتماعية حتى تلك الخاصة بالنيل
في عواصم الأقاليم لم تتغير كثيراً . ويصب الماء على يدي الفرد من إبريق
كبل لتناول الطعام لم يزل إلى حوض مثلما نراه مرسوماً في منظر
الاحتفالات في طيبة . وبالرغم من أن زهرة اللوتس قد احتلت إلا أن بقلة
الزهور ما زالت تقسم إلى كل ضيف عندما يأتى مكانه على المائدة .
وما زالت رأس الخروف المذبوح تطهى للطرفاء كوليبة - أما هؤلاء الذين
يذهبون إلى تناول اللحم في الشرب فانهم يسمون الرأس والصدر عرفاناً
بالجصيل كما كان الأمر قديماً . وما زال الموسيقيون يحطون عند الطرف
المتغلب من القاعة ، كما أن المخرج ما زالوا يصقون بأيديهم تحالفاً
مع أصواتهم . وما زالت الفتيات الرافعات ترففس ، كما أن المهرج ما زال
يقدم هزلياته الساخرة وهو يرتدي قبته المرتفعة الحواف تمسلية الضيوف .
ويتم إحضار الماء إلى المائدة في دواقر من نفس الطراز الذي يصنع في
المدسة كما كان في أيام حوفا وحفرع ، وكذلك فإن فوهات القوارير تمد
تماماً بأوراق النباتات الطازجة والأزهار بنفس الطريقة . وكانت الكومة
المشوة باللحم المرقوم من الطين المفضل في عصر القدماء ، وأستطيع أن

اشهد بوجودها سنة ١٨٧٤ ، وما زال الأولاد الصغار في النوبة يلبسون الطائفة المقلدة الجانب الأيمن كالثوب تربع رأسهم في شياخة ، ويمكن مشاهدة العتيقات الصغيرة في ثياب تشبه ثيابا الحرام التي كانت ترمده الأميرات الصغيرة في عصر تحسنى الأول ، وما زال الشيخ يمشى حائلا عكرا طويلا ، كما أن المرأة النوبية ما زالت تبجل خصلات شعرها في شكل جذائل تشبه كالديول الصغيرة ، أما مركب الترفيه الخاصة بالحكم حاليا ، أي المدر ، فما زالت مثل المصيبة التي يستلجها السائح الأوربي ، تمثلان مما كلتاها في جميع الملامح الضرورية صورة طبق الأصل من المركب ثقت الساذج والثروة بالطلاء المرسومة في مقابر الملوك .

في هذا وهي مئات من اللقطات الأخرى التي وقعت كلها تحت ملاحظاتي الشخصية ، واتخذت لها مكانا في المصنفات التالية ، هذا في أن أي غرضي يتأرجح حول مشكلة الحياة والفكر في مصر القديمة يسبق تقريبا من داخلنا ، أن عادتنا في الحياة والفكر شديدة التعقيد لدرجة أنها تجعلنا نأى من بساطة ذلك العالم القديم . وكان ذلك يرتبط بمشكلة الكتابة الهيروغليفية . كان واضحا أن لهذا لا يستطيع حلها ، وطالما أسر العالم على الاعتقاد بأن كل حرف هيروغليفي يمثل رمزا معينا ، وأن كل نقش يمثل لغزا فلسفيا عميق المعنى . فقد ظل سر الأدب المصري غريبي الحل . وأخيرا جاء شامبلون الشهير إلى دافسيه فوضعا أن العلامات الهيروغليفية كانت تمثل حروفا أبجدية ومناطق لفظية وأن اللغة التي استخدمت حروفها كانت هي القبطية فقط .

ولو لم يوجد الآلاف من الذين ما زالوا يظنون أن الشمس والسر مخلوقان يدوران ليس لغرض آخر سوى تبديد ظلام كوكبنا الصغير ، ولولا أن أحد النبلاء المحترمين له عب فيها مضي لكتابة مقالة حادة متكاملة لبيان أن الأرض مسطحة ، لما صدق أحد أن هناك أناسا ما زالوا يشكون الآن في إمكانية قراءة وترجمة ما حفظه علماء المصريين بنفس طائفة اليونانية القديمة . لقد فاجئت في مصر رجلا اسطوريا أقام في القاهرة لفترة طويلة وكان على معرفة تامة بعلوم الدراسات المصرية القديمة الذين كانوا في خدمة الهندو - أكد في عدم اعتقاده الراسخ فيما اكتشفه شامبلون ، وقال : « في رأي أنه لا أحد من هؤلاء السادة يستطيع أن يقرأ سطرا واحدا من الهيروغليفية » .

ولما كنت حينذاك لا أعرف شيئا عن اللغة المصرية ، فأنني لم أجادل لهم هذا الحديث . وعلى كل حال فأنني منذ ذلك الحين وأثناء كتابتي لهذا

الكتاب تقدمت خطوة خطوة في دراسة الكتابة الهيروغليفية وأنا الآن أعرف إمكانية قراءة اللغة المصرية لسبب بسيط هو أنني استطعت قراءة جملة بها • وقد لا تكون شهادتي ذات قيمة كبيرة ولكنني أعتقد بمسب القليل الذي تسليوه •

إن دراسة الأدب المصري له تقدمت بخطى سريعة خلال السنوات الأخيرة • وبالأخص من أن المتصور على أوراق البردي أصبح الآن أكثر دقة مما كان عليه منذ ثلاثين أو أربعين عاما فقد حققت الآن أن ترجمة الموجود منها في المتاحف الأوربية تسير الآن باجتهاد أكثر مما كان يحدث في الماضي • لقد جرى لقاء الأضواء على الكتب المدينية ، والشكل الطقوس ، والمواضع الأخلاقية ، والأقوال للأثورة ، والرمائل الشخصية ، والتراليم ، والملاحم القسرية ، والمفونات القارينية ، والحكايات ، وحكوك البيع ، والبيوت الطبية والسحرية والفلكية • والمخطوطات الجغرافية ، وأخبار الأسفار والمغامرات والروايات • كما تم تصويرها ونسخها باستخادم قوالب السقر الملونة • وطبعها حسب النمط الهيروغليفي وترجمتها بأساليب مناسبة كلاً من الفارسي والكاري المادي •

ولم يكن كل هذا الإنتاج بالضرورة مدفوعاً على البرديات • لأن القسم الأكبر منه كان مسطوراً في الحجر • والبعض منه مرسوم على الخشب أو مكتوب على قماش الكتان أو الجلد أو اللشحات الخرفية وغير ذلك من المواد • وبذلك نجد أن السر القديم الخاص بصهر ونسخ به الإنتاج للكتوب قد اكتشف • وأصبح مفتاح الهيروغليفية هو المفتاح الرئيسي الذي يتيح جميع الأبواب • ولدى الآن حلاً لبعض المشاكل التي تعاكنا في كل عام يسرع علينا • وكل يوم يكثر التفسير على بعض المسائل التي طال دُمى دونها •

ومنذ حوالي ثلاثة عشر عاماً (١) رسم فنان أمريكي مشهور صورة جميلة أسماها « سر أبي الهول » وأنا افترض أن سر أبي الهول يعني في شهرته التواضع كل ما في سر الذي كان يستعصى تأويله واستكشافه • أما في مفهومه الحقيقي فإنه كان يعني منذ وقت قليل • الحسى النفس للأسف الذي يصلى داسي إنسان والذي يمثل أحد الموضوعات المتوحشة للنفس المصري • وعنهما أرحح بالنظر ال فترة الثلاثة عشر عاماً نطعمنا نثرة

(١) يمكن لأكثر هذه التواريخ بالعودة إلى عام ١٨٧٧ عندما ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب •

قصيره ، ولكن اتوجت بجلالها أعمال عليه في مصر وفي علم المصريين .
لقد انكشفت ادعوا بترونها غير المادية من الكوش ، كما استقيمت كافة
محتويات متجف بولاق من بين غيلصب القيود . وتم كذلك كتمه حر أبي
الهل . وحتى خلال الثمانية عشر شهرا الأخيرة أعلن حسرت شاياس أنه
انكشفت تاريخ هرم منكلو رخ ، وهكذا تم لأول مرة سره التسلسل الرمني
لتاريخ مصر القديمة على أساس ثابت . وعلى تلك فالصل مستمر .
الدوميسون في مكتباتهم . والمقالين بالحوار تحت سماوات مصر ،
يكسبون خلال مسائل مختلفة في الخط جيف واحد . وتنتهي هذه الصورة
الكثير اليوم بالنسبة لما كانت عليه منذ ثلاثة عشر عاما مضت . بل انها
تعلى أكثر مما كان يفهمه الفنان . ولا يوسد الآن غموض في أبي الهول
بلا تكتامل فقط .

ونرى في الصورة فلاحا بين اللون ، صعب عار ، يبدو عليه الانهاك ،
والجسم اذنه ملاصقة للشفاه الحجرية لأبي الهول الضخم ، والمذنون في
الرمال حتى صله - وتقول له غريزة النسا المصرية القديمة في الانسان
ضبه الاله وهو منقبه للأسرار الطيفية التي تكمن في الماضي . وربما كانت
لديه فكرة عامة غامضة تلى أن الرأس الضخم للتمثال مررها كلها مهما
كانت ملحميتها . انه لم يسمع عن الخفية الصباح لدى صمتون ، ولكنه
على أية حال يتخيل أن تلك الشفاه المظلمة لابد أن تتكلم انه سئلت .
أن الفلاح ربا الهول يفلان بفردهما في الصحراء . الوقت ليس .
والبحر تسمع . لعل اختار البجطة للنسبة شمالا ؟ ما الذي يريد أن يصره ؟
وما الذي يعادل أن يسمه ؟

لقد سمح لي فمبر فيدر بأن أرى هذا الكتاب بهذه الصورة
الرتكوجرافية من عنده . انها تعكس قصتها . او انها تحكي الكثير من
قصتها حسبما اختار الفنان .

جوليا ب . ادوريل
ومستيري - أون - تريم
جلو شستر شاي
ديسمبر ١٩٧٧

محمّد أبو سفيان السفيّان مخرجونا في السفر





على كل شخص أن يفسر لنفسه

سر أبي الهول *

المقدمة

بعد أن غامر هيرودوت بالإبحار جنوباً في النيل في لواء وسط القرن الخامس قبل الميلاد ، تلقى هذا النهر ، الذي هو أكثر أنهار الدنيا جارية ، بسحره على الأديبين . -

ولم يتم حل سر منبعه حتى عباد ستالي سنة ١٨٧٧ م وحلته جنوباً إلى لوابا والكونفو ، وفي القرن التاسع عشر تأثرت الحركة الرومانتيكية كثيراً بأفكار مصر التي انصب اهتمامها على اللب - وقد عرف فابليرون مصر بومضها حلقه اتصال حيوية للتجارة مع الشرق ، ولذلك قام بفروها سنة ١٧٨٩ . أما أميليا ب - أدوارد فانها بالرغم من أنها باقت من اشد الكتلث لاديبا بالنيل ، إلا أنها كانت قد جاءت إلى مصر ووصلت إلى القاهرة في نوفمبر سنة ١٨٧٣ بالصدفة فقد جلت عرباً من الحظ في أدوية مع صديقة لها ، وبقيت بمصر لتصبح عالمة وثقاة في علم المصريات .

وكانت أميليا واحدة من سيدات العصر الفيكتوري الجريئات والتي على الرغم من أن الكلدري قد يستد بالفراة عنها إلا أنه قد يجد صموداً في معرفتها مباشرة . ذلك على الأقل هو الانطباع الأول الذي يخلفه هذا الكتاب ، ولكنه حيناً يقرأ لها ويميد الفراة ، تصبح في الوقت المناسب صديقا حقيقيا بلا صائفة . أما لاهتمامها العظيم بالدينس ، وثقومتها للثقافات القريبة ، وعدم تحيزها لبني وطنها ، كل ذلك يجعلها بكتدرج أكثر وأكثر تماظفا .

وكان وانضما منذ صغرها أن لديها موصية نادرة . كان أبوها شايطا فالحيش ، حاكبه مع ولنجتون في حرب شبه الجزيرة . وكانت أمها تنحدر من أسرة والبول . ويبدو أن هذا التزاوج أعطاهما شجاعة واستعدادا فطريا للأداء الفني . وفي سن السابعة نظمت أميليا قصيدة تفرقت في جريدة أسبوعية . وبعدما بلغت سن السادسة عشرة كان من الممكن

اختيارها لتكون حقبة لوبرا أو فنانة أو كاتبة • وإسيرا استقر اختيارها على الصحافة والكتابة •

وفيما بين عامي ١٨٥٥ و ١٨٨٠ كتبت لساني روايات • رأى كانت لا تميز بين جديد • وساهمت في مجموعة واسعة من الجرائد والمجلات • والفت أيضا كتب ذات شعبية في التاريخ والفن •

ولكنها حتى بلوغها سن الثانية والأربعين لم تكن قد قامت بعد بالمغامرة التي جعلت لها رسالة في الحياة وأصلتنا نحن كذاكارا عزيزا لها في شكل رحلة الألف ميل في صعيد مصر • أما بالنسبة لما كان ما يشتملنا هو قدرة السيدتين على القيام سنة ١٨٧٣ بالرحلة عبر نهر النيل في مركب خشبية عريضة الفم • لقد ماتت للسجناء في شهر مايو من ذلك العام • كما أن جوردون كان متيقنا له ثلاثة أشهر لاستكمال رحلته الأولى إلى الخرطوم • أما قناة السويس فكانت قد افتتحت منذ أربعة أعوام • وكذلك لم تكن مسألة كليوباترا قد أثبتت بعد بحرفة البرطانيون •

ويصبح القول بأن نولسي كوك كان قد بدأ لتوّه بتسيير رحلاته بالمركب البخارية عبر النيل (ذكرت أميليا أنه مركبها قد اضربا في بعض الضفاف الرملية) وما زالت هذه الرحلة تمثل مغامرة كبرى • أما وصف أميليا لصعود هذه الرحلة فهو رائع لأنها ترحله في عبارات واضحة تبلا القاريء بالمعاناة ومحنة الألق التي تكبد الانجليز • وبالرغبة في الاستفادة من التفاصيل مما يجعلها وثيقة تاريخية لا تقهر بشئ •

ولا يستطيع سوى الكاتب الفرنسي أن يصوغ عبارة مثل • الاغريق الذين يرتدون ثيابا مضيئة مشدودة كما لو كانوا مباحين تمشي على الأرض (٣) • ولا يستطيع أحد سوى أميليا أن يحتم أو يحصى إلى معرفة خاصية التبخير الرخيص الذي كان ملاحو مركبها يتقبلونه شاكرين عندما تقدم لهم بمضا منه في شكل أكرامية • • هذا الخليط اللطيف الذي يباع الرطل منه في السوق بمئة بيسة • ان ألعاب التي جمع منه قد امتلئت من بلوة ذات رمية أدنى • في تربة غير صالحة كيميائيا لأنها خالية بشئ من البوتاسيوم • • ولم يفتني كاتب آخر من قبل له • أرجل والتخلل حليقة

(٣) كانت النساء (الجسكا) في السابق تمشح من حول البيوت أو للشعب وذلك على النهج الذي كانا فعلان في مصر • وثلاثية مما تشبه تنظيم الصليبيين الاوائل الأولى بوبقتها الموضوعة للتسلية بذلك الغرض • (الترجمة) •

الشعر ٠٠٠ ملون بحلوط ورقه ويصده في شكل متعرج ، ومزين بأشرطة ذات لون أصفر قاتع ،

ومن الطبيعي أن يخصص الجزء الأكبر من الكتاب للحديث عن خرافات وآثار مصر القديمة ، وقد قامت أميليا بقبول رسوم ووصف كل التفاصيل التي يمكن تصورها ، أنها تم جرسين تماثيل يهيبان شعر المسن وورزان مما يصح للمعادن ، بينما تركب أميليا حمارا لثلاث ساعات في درجة حرارة تتجاوز ١٠٠ مئويته لكى تزود معيدا للبرق الثانية .

وتنتج أميليا بالمشاعر الانسانية بما يكفي للطلق حشية أن تكون الحياة قد مضت كثيرا ما يصلها تتوغل أن تكون قد ماتت أبقائها . والنقى أنها خصصت صفحات من مذكرتها لشرح كيف أن مصر لم تفتقر كثيرا منذ عصر القرامسة ، وكذلك فأما نجحت في تدوين ملاحظات قليلة عن النتائج الحديث الذي يركب مركب توماس كوك البهارية ، وهي نفس المركب التي استولى عليها ككتشنر بعد ذلك بحوال خمسة وعشرين عاما للإبحار إلى الخرطوم انتقاما لقتل غوردون ، أما بالنسبة لنا اليوم فلا بد من وجود نفس هذا القلق ، كيف يصعد الانسان أميليا لأنها كجوى حول حرائب الكرنك بنفسها بينما نفوس لدى بين السياح الذين يكتسبون في المركبات المزركمة ؟

كم يكون غريبا ومضحكا أن يكتشف أحد أفراد جماعة أميليا في أبي سمبل مقبرة غير معروفة ، ونقول بطريقة أخرى أنه كان غريبا أنها جمعت تلكم مركبا في أبي سمبل ينظفون أحد تماثيل رمسيس الثاني الفسحة ، وكانت التماثيل قد « تشوهت بسبب الجص الذي ترك عليها عندما أزال مبشر حالى الطبقة الخارجية منذ أكثر من نصف قرن مضى » ، لقد أزالوا الجص بفرح عظيم وصيفوا البقع الماهجة المتبقية بلون القهوه

وحلّاه ذلك كله رأينا كثيرا ما لم توه أميليا ، مركب الشمس الرائعة المحفورة من كتلة حشوية مجوفة فرييا من الهرم الأكبر - دمنير أيجل قارب في المسالم - ولم يكن قد اكتشف بعد معبد كوم أمبو الذي آثار اهتمام أميليا حتى سنة ١٨٩٣ لتتطرق آمالها إلى حد كبر - وكان معه أسنا مكشوقا بالرغم من أنه لم يكن ذا عيزة كبيرة .

وسا يزد الغرابة من منطلق ذوق أميليا التي كانت شديدة الاهتمام بالدراسة ، أنها تستعد بوجه الاكتشافات بينما تبدو الخراب الواسعة

أكثر إثارة لدى غير المتخصصين (*) ، إما من جهتي أرا قائمتي فيما أسعى
بالاستناد بحر أميليا في أجل مطلوباتها الأثرية المبررة ، ناسي أكثر
إسنادا بسبب تلك الوضائف الخطيعة للطبيعة الاسانية التي صلا
صمحات كتابها بالحياة ، فقد أحبيت سطرتها في الفناء ، واتصبت من
التمثال المجري الذي يحته هي ورفيقتها ، مستطعتي القبرتي (البريتي)
المستوعبت من سمع الخيل ، والبرقيم الخضراوي والتسعين
للمستوعبت من القماش الأبيض .

والتي أعجب لاهتمامها بدمية بطونتها المطرين الذي عرفت
إسماعيل خلال أيام ، والذي كان إسماعيل شغلها الشاغل دائما ، أنني
أحب لمهما للحدوات المصرية ، وحكاويها التي دونتها عن الولائم التي سلات
الأفواه ، والقداس القبطي الذي لاحظته بكافة تفاصيله ، وأستمتع كتبها
بحكايتها من المرة الأولى التي ركب فيها الجبل والتي لم يتوق عليها أحد
آخر في وصفها ، ورباطة جاشها عندما أطلق أحد مرافقها الرصاص على
طبل ، ولكنك متفقا على الحكاية .

واستمرت أميليا في العمل والتنقيب بعد رحلتها حتى تسببت بعلم
المصريين ، وأبحاث صندوق استكشاف مصر *Egypt Exploration Fund* ،
وقدحت بحملات للحفاظ على الآثار ، وتوليت سنة ١٨٩٢ ، وتركت مكتبها
لكلية الجامعة في لندن ، مع مبلغ من المال لتأسيس كرسى لعلم المصريات
في إنجلترا ، وتركت لنا كتابا بعد من أعظم المؤلفات في الدراسات
القدسية الخاصة بنهر النيل .

توتيتن كروبي

١٩٨٢

(*) أكثر أعجب لكاتب هذه المقدمة الذي أشار إلى تمتعه بما لم تصاحبه أميليا
من اكتشافات ، وهي أن يشير إلى الآثار نوتتحت أمين رغم أنه كتب ملاحظته على سنة
١٩٨٢ ب (التبريم) .

السبل الأول

القاهرة والهرم الأكبر

إن قدر السائح هو أن يتناول وجباته في أماكن كثيرة أثناء جولاته العادية ، ولكنه نادرا ما يتأخر في تجنب متعهد الأفراد كتل هذا الذي يصلأ لاعة الطعام الضخمة يفتقد شبرد في القاهرة خلال بداية ولة اشمال الموسم السياحى للسرى للمتاد . وهنا يجتمع يوميا حوالى مائتى أو ثلاثائة شخص في كافة المقاهى والبيسيات والمهن . تصلهم في البريطانيي الذين ولدوا أو عاشوا في الهند وهم في طريق عودتهم لوطى أو قادمين منه ، والأوروبيي القسيس في الراتريي الذين يخصصون الصمتة بالقاهرة . أما النصف الآخر فقد يكون مدعوا للعباب في رحلة عبر النيل . وبالرغم من أن هذا التجمع في المسافرين في السبل متنوع ومتشار ، فهو ينحصر صغار المس والكهول ، والذين يرتدون الملابس الراقية وغير الراقية ، والمتعلمين وغير المتعلمين ، ذلك لأن الدافع الأول للقادم الجديد هو الاستفسار عن السبب الذي يجعل أشخاصا عديدين ذوي أخواق وحيرات متباينة ، يتجهون للابحار في رحلة استكشافية أقل ما يقال عنها انها مثيرة للفضول وعالية التكلفة وتولد اهتماما حارفا للعبادة .

وسرعان ما يتم اشاع لفصوله . قبل حفى يوميه يعرف اسم كل شخص وعمله ، ويميز من اول نظرة ما بين السائح التابع لنوماس كوك والسائح المستقل . ويكتشف أن نسبة اعشار هؤلاء الذين يتوجهون للنيل هم من البريطانيي أو الأمريككيي . أما الباقون فانهم لهم المذهب من الآلاف مع قلة من البلجيكيين والفرنسيين . وبالرغم من وجودهم مجتمعي الا أن التقابل ما زالت غير متجانسة الى حد بعيد . هنا مرضى يبحثون عن الصحة ، وماتون يبحثون عن موضوعات ، ورياضيون مشتاقون للآفاق التامسيح ، وسياسيون يقضون الاجازات ، ومراسلون صحفيون متاهرون للخدمة ، وحلمو تحب يبحثون عن البرديات والمومياءات ، وعلماء لهم

أهداف عليّة من وجهة نظري . والفائز المتباد من التّكسّل الذي
يسافرون ليجرد حب السفر ، أو أوشك لهب الاستطلاع الذي يشق
بلا هدف .

والأى فانه في مكان مثل قاعة فندق شيرد حيث يتال كل قادم حميد
شرف المشاركة في التّسوية العامة ولو لعدة دقائق ، فإن الظهور الاول
للكتابة وصديقتها ، وهما متمتان ويظهما التراب ، وقد ظهرت عليهما
أثار لفحة الشمس ، قد يثير بعض التملّكات داخل حلقات منه المواقف
للمزدحمة . كل الناس يسألون بعضهم بعضا : من أين أنت ههنا
السيدتان الإنجليزيتان الجوّالتان . وإذا لم يرتديا الملابس المناسبة لتناول
الغداء ، وما الذي أتى بهما إل حضر ، وهل ستبحران أيضا عبر النيل ؟
وهي أسئلة لتسهل الإجابة عليها .

لقد جئنا من الاسكندرية ، وكنا قد واجهنا رحلة صعبة من برنيزرى
تبعها لمان وأريمون ساعة في الجير الصحي - ولم ترتد الملابس المناسبة
للفداء ، لأننا وصلنا ثلونا من المحطة قبل وصول التّرجبان والمطر ،
واستطعنا أن نلحق ببقاعدا للفداء مع غربا في الوقت المناسب - وبالطبع
فاننا نوى الإبحار عبر النيل . وعندما يجازف لك شخص بالاستفسار
في كلبت عديت عما جاء منا إلى مصر فالتنا لجيبه « ضغوط الطقس » .

والحقيقة اننا قد جئنا إلى هنا بالصدفة ، ليس بسبب الصحة
أو المبل أو أي شيء جاك ، وانظروا من مصر ملجأ مثلما ينتمي الاسمان
جانبا في مصر بيركنجتون أو كاد المسقوف بالبوكرى أو صر ياساج دي
بالوراما ، للهرب من المطر .

ولسبب مغفول . رحلنا عن موطننا مبكرا في سبتمبر لفناء اساميع
قليلة لمهمة الرسم الكروكي في وسط فرنسا حيث تبعا أكثر مواسم
الشتاء اودحاما بالمطر .

اما وقد اغتسلنا من آثار المطر في الريف الفني بالتلال ، فإن
الامر لم يكن الفصل حالا في المصهور ، ففي نيزر ظلت الدنيا تنظر
بلا توقف لمدة شهر ، وفي النهاية تأقشنا الضحية حمل شمباتنا المملة
عائتين حالا إلى اسجلترا ، أو لمحي قفعا بحثا عن سطوح الشمس - ودار
الجديت عن العزائر ومالطة والكاهنة فوق الاغتيال على القاهرة .

وم يحدث أبدأ أن جاءت حملة استكشافية دون التفكير مليا قبله
الاقبلم على السفر . ولم تكن تستقر على هذا الأمر حتى سارعت
بالرحيل . واحتفلنا بحر نيسى وجودة ويونويا وانكونا قيسا يشبه
البحر . وعندما استيقظ بدر الذي حسس عبد بوياث تمسك لم يكن أكثر
اتصافا من كاتبة هذه الصفحات عندما وجدت نفسها على ظهر السفينة
متمللا حائرة من هذا البركاني .

وهنا ونفوس مضطرب مسبقا أو أية تجربة في زيارة النور ، وصلنا
إلى القاهرة في التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٧٣ لنبعث عن طقس
أفضل هكذا حسب الألفاظ المستخدمة ويعود نزويقي .

ولكن لماذا تستطيع الذاكرة أن تحمل حيال الأمطار على الأرض .
أو المواسف في البحر ، أو الساعات المتعجلة في البحر الصحي أو أي
شيء جوي أو غير مقبول ، عندما يستقطب الإنسان عنه شروق الشمس
ليرى تلك الخلجات ذات اللون الأخضر اللؤلؤ للرمادي خارج النافذة وهي
تحنى هاماتها الكثيرة في رزانة بعضها نحو البعض الآخر ، ثم تواجه
البحر الملون بلون الورود ؟

كانت الليلة الماضية مظلمة ولم تكن لدى أية فكرة عن أن حجرى
نظن على حديقة شفاء ، جميلة وممزلة . يسكن تحتها عمالة دور أبنية
وجلال . وقد طفت في تيمناهم المزودة بالشراب سطلات غنية نابض
لكى اللونين الفرمزي اللؤلؤ للمسحرة والعسرى . وكان صباجا عادتا
ودافئا ، وطاوت الشريان ذلك اللونين الرمادي والأسمر من شجرة إلى
أخرى مشددة ، أو حتمت في تأمل عميق . فوق الأتارع العليا تحق على
مهل .

وهناك بين المحامات التي سيطر بالأعمدة ، ارتفعت مظلة مسجد
يسد ، وهنا حيث أحيطت الحديقة بمخاط مرضع ومنزل بلا لواند . رأيت
سيفعة محببة تنحني على سطح الغرفة وسط سحابة من الحمام ولا يوجد
شيء أبسط من هذا المنظر وملحقه . وفي نفس الوقت ، أكثر تعبنا عن
الروح الشرقية والفراية والخيال .

ولكن الإنسان وهو توفد للاستمتاع بأول انطباع صاخب لا يحس
عن الحياة الشرقية الخلو لا بد أن يبدأ بالقاهرة في يوم يزود فيه
الأسواق المحلية ، ليس للشراء أو الرسم الكروكي . ولا للبحث عن

المعلومات ، ولكن فقط للاستمتاع بالمناظر واحدا بلو الآخر مع ما فيها من مجموعات متشعبة من تفاصيل الضوء والظل واللون والملابس والعمارة .
 ان كل واجهة محل وكل زاوية شارع وكل غرض عن الناس الذين يرتدون
 المعصمة ، يمثل صورة حية ان الركني المحور الذي يفهم كشك اعطائر
 الحاص به في تحويف محل محوت ، والولد الذي يفقد حماره ذا السرج
 الرزكس في انتظار الرياض ، والسجاد الثائم على سلالم المسجد ، والمرأة
 المتحفة التي تملأ حرنها من السيل العمومي - انهم يبدون جميعا كما
 لو كانوا قد استمعوا لكي يقوم رسام يرسم صور لهم .

ولم يكن حلقه الضوء نقل ودية عن الأشخاص . أما المنازل فانه
 عالية وصعبة ، وتبرر الادوار العليا الى الخارج ، كما تترد منها مرة أخرى
 النوافذ اسائه مع اشغال المشرييات الرقيقة المصنوعة من الخشب العتيق
 السر اللون ، مثل اقفاص الطيور الصخرة . أما الشوارع فانه مسقوف
 في أعلاه بمواضع خشبية طويلة ، وقطع من الحصير ، يطل من بينها
 شعاع الشمس متلكنها هنا وهناك ، مع مساحات صغيرة من الضوء سفعف
 على الجمع السائر .



الحصير المستقيم في القاهرة

أما الشوارع العام غير المجهـ وهو حارة ضيقة مليئة بالأحاديـ .
والذى يرمى ببلله المزير مرتين أو ثلاث مرات يوميا - فإنه يمسح
صفوها من واجهات المحلات المتشعبة الصفحة التى تشبه الكيانى للفتوحة
المردحة بالأرصفة حيث يلبس التجار والضيـ سائقا على سائق بين بضائعهم
وهم يظرون خارج المحلات نحو المارة ويدعون فى صمت - وفى نفس الوقت
فإن الرحام لا يهوف من حركة الكـ والجزر فى شكل موج صاحبـ ومتغير
وحظرب وعتماد الألوان - تصفه من الأوروبيـ والتصف الآخر من
الترقيـ حشاة على الأقدام كـ متطين ظهور الخيل أو فى الحياطين
وتجد هنا التراجمة السوريج فى سراويلهم المضطاعة ، وصديرياتهم
المريـ بالقصب ، والملاحين القصرين حذاء الأقدام مرتدين جلابيب ونة
ورقـ وطوائى فى الكلاب ، واليونانيـ الذين يرتدون ثيابا بيضا - حذوهم
كما لو كانوا مسيحيـ سقى على الأرض ، والايروبيـ فى طواقهم العالية
حثل تاج الأسقف والمموجة من القماش الداكن ، والبسـ ذوى البشرة
المسـراء فى عباداتهم المضطاعة وثمالهم ذلك الترافط البنية اللون
والتيلاذ التى من نفس القماش تلتف حول الجبهة مع شريط من وير
الجلس المجلول ، والانجليز فى قبعات من الخوص وبسطلوناتهم القصيرة
التى تصل الى الركبتين ، وهم يملأون سيقانهم الطويلة فوق الجسم الذى
تكاد تختفى عن الأنظار ، وسـ وطليات من أظفر الطيفات يرتدين البراقع
المسودة ، التى لا تظهر سوى الميـ ، والماءات الطويلة ذات اللون
الأزرق الداكن ، التى تستقل أذيالها وتجرح حلقهن مع الترافط القطبيـ
المسود ، والبراويس فى ملابسهم ذات الرفع ، وشمرهم الماشمت الذى
يسدل من تحت أعلى الرأس المريـ الشكل ، والأحاشى ذوى اللون
الأسود الداكن بسيقانهم الرقيقة الملوثة مثل الدواهيـ المصنوع من حشم
الابوص الرفيع - والقسلوسة الأرض الذى يشبهون الإطيه فى عباداتهم
المسودة الطويلة وقبعانهم المربعة المرتفعة ، والشخصيات المهيبة للعرب
الجزائريـ وهم يرتدون ملابسهم البيضاء ، وعساكر الإنكشارية الذين
يركبون الحيوـ ، بسجوفهم ذات السليل ، وبقلاتهم المزركشة باللحم ،
والجبار ، وأشمساذين ، والجنود ، والبشارة ، والسال الزراعيـ ،
والضفاليـ فى حشح تشكلات الأزياء ، ومن كل الألوان من الفاتح إلى
الداكن ، ومن اللون الأصفر المائل للفسرة إلى النحاسى ، ومن البرونزى
الغامق إلى الأسود الداكن .

وير الآ السقا . متعتا تمت حلى قرنته للصنوعة من جلد الماعز ،
والتي حلاما معددا . وقد ربطت أقدامها . لها المسن فقد ركبت فيه حنعية

تجارية - وقد ترك شجر الناعم دون إزالة - مما يجعل شكلها الغريب متحررا فبدلت كما لو كانت عنرا حية - والآن يأتي يائع الحلو وهو يحمل صينية من الخليط اللزج الذي يعرفه الأطفال الانجليز باسم (مكميات البهجة - Lumps of delight) - وتر الآن سيدة مصرية تركب بغلا زملدى اللون يلوده خادم يحمل على جانبها سيفها مقومها لاما - وترتدى السيدة ثوبا حريريا بلون الورد - ويرتقا ابيض اللون - بالاضافة الى عمامة حازبه من الحرير الاسود - بحيث تبدو العمامة والكفسموة والبرقع جميعا متحدة واحدا على شكل يالون قد اصلا بالهواء بينما يركب على البغل - ابها تجلس متفرجة الساقين وترويح قدميها الماريتين اللتين يزيهما شبيشب من التظمية البلمسجية اللون على الركاب مربوط في السرج - وتحرس على وصع ذراعها السبه المتلفة والمحلة بالاساور الذهبية الكبيرة ظاهرة للعرض - وتظهر الى الطريق من خلال عينين سوداوس صافيتين دون ان تشعر بالاسف للكشف عن وجهها - ولم يكن البغل اقل من سيدته ربه فلان لوجهه الحليقة النضر والفتاحه الملونة باللونى الازرق والابيض فى خطوط متعرجة - تميزها شرائط ذات لون اصفر فاتح - اما سرجه الذى ترتفع حاذقه الامامية فانه يردان بالطليفة ولشغال الابرة - اما فطاه داسه فمصنوع من الللايات المعدنية والفراووب والاحداثب الحديدية -

ولا بد ان بغلا بهذا الشكل يساوى ما بين ستين الى مائة جنيه استرلينى - ويسر بعد ذلك حطور من نوع الفطاه وقد امتلا بنسسه انجليزيات شاحكات - او مسر شيخ رضى وقور فى خلايس سوداء واكبا حصانا عربيا وسيدا - ويسر وجبه مصرية متفرنج يرتدى الملاس الاوربية والطربوش التركى فى مركبة يجرها حصانان ويطوقها سائس انجليزى - ويجرى امامه سائس مصرية جالا حصا فى يده وحالى الكفصين وحيثما متلفتان - مرتديا برنيطة يونانية وصديريا بدنيا مطورا بحبوط النصب وتصبأ ابيض يتطاير فى الهواء - ولا يوجد شخص من ذوى المراكز يركب مركته فى القاهرة دون ان يمسكه واحد او اثنان من هؤلاء الخدم - اما حلة السائس (القوى) والخفيف - والوسيم - مثل الرنلق الذى يصنعه حوون البرنولى (فيقال انه يموت صغير السن - لان سرعة الجرى قتاله -

ويسر بعد ذلك يائع الليمونادة حاملا جرته الحديدية فاضقى يديه - ودورقه واكوامه النحاسية باليد الاخرى - ويسر يائع الشباشب المنجول حاملا حزمة من النعال للفرية الحسراء والصفراء وهى تتنارجح على طرف

عمود طويل ، وتعر عربة مصنوعة في لندن يجرها حصان لحمل سيدته
مرتديان برقعين تركيين شفافين ، ويسبق العربة فارس يجر في زى
صف عسكري ، أو يصطاد من الأيل جنبه الطياع ، وشبهه
الاستحقاق وهي تده أعناقها المطوية فوق الزحام ، بينما تحمل بالآلات
الآلية التي تقسم عليها المتولين باللغة العربية .

ويمثل التجار المصريون والعرب والأمراء - سواء أكانوا مختلطين في
التجار العام ، أم جالسين على مصفات البيع - أهم أبرز الشخصيات روعة
في هذا المنظر المزدحم . انهم يرتدون عمامة ضخمة ، بيضاء في معظمها ،
وقفاطين طويلة تصل إلى القدمين ، مصنوعة من الحرير البصري المنطوق ،
واردية خارجية من القماش الرقيق بالقصبة أو الكتان . والقطان يحاط
عند الوصل بوشاح ناعم . أما الرداء الخارجي أو البجة فاللوانه متنوعة
بوجه عام ما بين اللون الفدرة ، والريقون الأسود ، والخوخ ، والسلون
الوردي ، والبني . وما شابه ذلك . وما يتناقص مع التناقص الدائم
للأشياء أن هؤلاء الرجال ذوي الأبهة يشعرون ويهتجون بشكل مبتذل ،
يدلّس أصابع كل حياتهم جالسين على أرائك فخمة حيث تنتشرهم النساء
البركسيات الجذيلات . وهنا تشاهد لأول وهلة وفرا كبيرا يرتدى
قطانا بدنيا من الساتان الأبيض والمبصر ، ينداول لكي يشتري ويبيع
بالجملة درايات للفلبون مختلفة الأشكال والأسعار مصنوعة من العنصل
الأحمر اللامع . وهو لا يبيع شيئا آخر ، وليست عنده قطرة كومة من
حله الثوابت بل أيضا حل-صندوق في ظهر الدكان . وهي مصنوعة في
بمبوط بيصر ألمانيا . ويمكن شراءها من المحلات الجرائدية في لندن
بمئة وخمسة يانيل محرما في القاهرة .



سوق تونس بالظاهرة

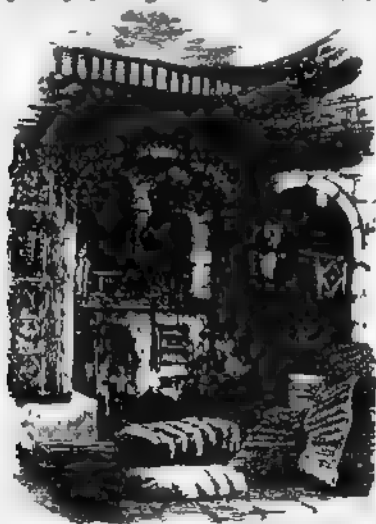
وهناك بلشما مهيب آخر يتصل في الأوامر التحصينية الصغرى والحجرات ، وأكواب التبريد ، والأحواض والأباريق والمساوي والمياض والموائد ، وما شابه ذلك من الأشياء التي حفر على البعض منها أبنات من نظم التعمير العرب فهي شكل زخرف من أوزان الشجر المتشابهة وهناك ثالث سيج الأقمشة الحريرية المنسوجة بخيوط الذهب والفضة الواردة من دمشق ، وآخرون يبيعون مرة أخرى الوعيات الفضية من الأسلحة والخزف والتمثال الأبرمة ومساجد الصلاة المستحقة والكراسي الفخية التي يكون مستند للظهر ، والدواليب المصنوعة من خشب الأبنوس والمطعمة بقرق اللؤلؤ - وهذا أيضا يجلس بالتح التمثال خلف كومة ضخمة من النحاس المنور من اللادقية تامل حسنة في الحجم - ويصنع قاصر الاستنج غايومة الطويل في عريش من الاسفلنج -

ويظهر أكثر هؤلاء امتاعا في دكاكي الحاديث حيث يعمل كل صانع من البضائع وكنه المتفصل ، ونمر بعد ذلك من خلال بوابة صغيرة قديمة - أو تهبط خلال منسطف ضيق ، فتجد نفسك داخل مستمرة من السروجية يخبطون ويقلبون ويلبسون ويرشون - وتسير في حارة وتطأ في أخرى محاطا بواحات الدكاكي المعلق حولها (الطرابيش) والسروج كلوسة تظهر من كافة الأنواع والألوان - هنا سروج مسائية ، وسروج عسكرية ، وسروج للصبر ، وسروج لكبار رجال الدولة ، وسروج منطاة بالجلد الأحمر ، وبالطيفة ذات الألوان القرمزية والبنفسجية ، وفي القباصي المائل للسمة ، والرمادي والأرجواني ، والسروج المطرزة بخيوط الذهب والفضة المرصعة بالمسامير ذات الرؤوس النحاسية أو الفولاذية بالفضة ٦

وبعد دورة أو اثني تجد نفسك في سوق النحال تمر عبر حارات مستنقعة بالنحال القرمزية الحمراء والصفراء ، فوالها مصنوع محليا ، وآخرها من تونس - هنا نعال ذات الحراف مديبة ، والحراف مرتفعة إلى أعلى - وأطرافه مستديرة ومسطحة مثل حنوة الفرس - وبما للسير بالها جوف ، ونعال صفراء ماعية تستخدم مثل الجوارب الداخلية وليس لها ياطح جهاليا - أما تلك السلال الصغيرة ذات اللون القرمزي والتي في أطرافها تراربع فهي للأولاد الصغار - أما الأحذية القرمزية ذات اللون الأبيض فهي مخصصة لسائتي النحول - لها نعال الطيفة المشقولة بخيوط الذهب والخزف وحبات اللؤلؤ فهي لأترياء الحرم - ويصنع الزوج للواحد منها بالمثل تتراوح ما بين خمسة شللات إلى خمسة جنيهات -

أما سوق السجاد فهي كبيرة المساحة وتكون من سكة من الحارات
كفرعية تفتح على سبع شوارع الموسكى الذى يماثل فى القاهرة شارع
ريجنت فى لندن (١) -

ونجد المنازل فى معظم هذه الحارات غنية بالوافد القديمة ذات
المشربيات والأبواب الإسلامية . هنا نجد ميدانا صغيرا محاطا بالسجاد
القارسى والسورى وحقائب السروج المشقية وسجاجيد الصلاة التركية .
ويجس التجار فى وسط بضائعهم وهم يدخنون ، بينما يقوم قهوجى عجور
فى أحد الأركان بممارسة تجارته المتواضعة حيث أقام موقده الصغير ،
والرب السلى بجانب مدخل الخان المتداعى ، الذى تواجه حوائطه ألواح



سوق السجاد بالقاهرة

(١) ربما كان شارع ريجنت المتقاطع مع شارع اكسفورد فى قلب مدينة لندن
يشابه ذلك ١٦٠ عاما مع شارع الموسكى قلب القاهرة حينذاك من حيث لأهمية
التجارية . أما شارع ريجنت الآن فهو شارع ضخم لا يقل عرضه عن « متر يفاخر به
الانجليز غيرهم من الأمم - (للترجم) »

جنسية من الإثرياسك مشحولة في حجر تقديم منحوت . وهو منظر من أشد المناظر إبداعا في القاهرة .

لما المسجيد المخططة الواردة من تونس ذات اللون الرمادي الفاتح والأبرون الغلق . أو الجرافية ذات اللون الرمادي أو الأحمر . والمسجيد الكتيفة الورى الواردة من لادوكيا ولحمير . والمسجيد الزرقاء والخضراء العجوة . والخضراء الناعمة الوفرة من تركيا . والتوبيات العارسية المسجدة - رغم اختلافها المصيب - تقتاتر بأنها تباع في دكاكين محلية داخل العادات المجاورة

ولا يجر الإنسان بالتصيب أثناء بجواله في هذه العادات نصف المضادة ، والتي تتوهج كلها باللون الخلاب ، ويردح بالناس السائرين في كلا الاتجاهي مثل المشتبين في إحدى مسرحيات صد الميلاد للمجد التي تغلظ بظواهر الأبهة والطبقة الشرقية .

أما في حل الخليل وهو سوق تصنيع الذهب والفضة ، فانك على المكسي ، مادرا ما تجد أية بضائع معروفة للبيع . والحذرات في هذا الجانب صيغة جفا بحيث يلقى الاتقان من الناس صعوبة في المسير حتجساورى . أما الفللات ، فهي شيلة جفا لأنها مجرد موائد لها واجهات لا يجاوز عرس الواحد منها ثلاثة أقدام . وقد ثبت في ظهر كل نافذة منها درجة سلم في الحجر المصقول تسمى المصطبة تستخدم للجلوس وتلقم مقام المتصدة التي تستخدم للبيع . حيث يجلس المشتري على طرف المصطبة ، بينما يجلس البائع الفرقة متفاح الساق في الداخل . يوم هذا الواقع يستطيع صاحب الأدرج واحدا بعد الآخر دون الحاجة للوقوف .

وعلى ذلك فإن الفراغ الموجود بين الاثنين يردح باكرام الحلبي الذهبية والفضة ، وهي تختلف عند كل تأجر من حيث المعدن والتساجح المتماثلة . وتباع بالوزن مع إضافة هامش مناسب للربح . وأثناء التعامل مع الغربة الذي لا يعرفون نظم الموازين المصرية ترون المصوغات الفضية على العادة مقابل قطع الروبيات أو خمسة الفرككات - فما المصوغات الذهبية فنور مقابل فرككات فانيون أو البنية الذهب الاجييزي . أما لدى المصنوعة في القاهرة فاما تكون أساسا من السبلاسل والحقان والفلاتيل والأساور والبقود للمنى فيها قطع الفللات أو الفللات التي على شكل ناب الفيل . وعلب الأحذية المزركشة بالثقوب أو النحاس المقنوط ، والأساور الذهبية النعقد ولكنها من طرازات قديمة - أما بخصوص النحاس فلان إدهم وسبرهم ليس إهما محود . فقد يلقب المشتري كل محمولهم ،

ويحرب جميع أساورهم . ويذهب مرة أخرى دون أن يشتري ، ولكنه يبقى الفرجح والما ويشيح بالابتسامات ولقد أمضت الكاثية وزيفتها عدة ساعات تتحدثان المربية في حان الخطلي دون أن تكون هناك أية درجة من الفائدة المثالية للتسلو .

وهناك أسواق خاصة أخرى كثيرة في القاهرة مثل سوق المعاولات ، وسوق الأنوات المصدية ، وسوق الفسار ، وفلاند السيوف ، وأسواق النحاس ، وصوى المصنوعات الأندلسية حيث ساع الطرايين والبراس ومصنوعات البربر . وهناك بعض الأسواق المزودة لبيع الحاصلات الإيطالية والفرنسي والمصنوعات المصنوعة في الكلي في ماسبيتر ، ولكن هذه البضائع الأخيرة ذات أهمية ثانوية في مظهرها . ودأباً بين المصنوعات الإنجليزية التي صنعت بالمثل للسوق الشرقية موعاً في الموصليين القليلين القليلين الشكل يمثل جنات صفية سوداء متقارن فوق أرضية صفراء . وعلمنا أنه يوجد البقالا لصنع فساتين الأطفال .

وبالرغم مما تمثل الأسواق من مظهر جميلة إلا أنها ليست المعالم المرحية الجديدة بالمساهمة في القاهرة . بل توجد المساجد الكثيرة والبوابات الشرقية القديمة اللينة ، والكنايس القبطية القديمة ، ومعجبات الآثار المصرية . وعلى مسيرة قليلة يوجد مقابر الخلفاء ، وحلوبوليس ، والأهرام ، وأبو الهول . ويصعب على السياح الآن أن يجدوا الترتيب الذي يقامون به هذه الأماكن لأنهم كانوا يعيشون في حلم ، وكانوا في البداية يرتكبون كثيراً لدى محاولة ترتيب مشاعرهم بشكل منظم فكانوا يفسدون إلى أن يبروا على بعض الأماكن بتفطرة خاطئة ، بينما كان عليهم تأجيل زيارة أماكن أخرى حتى عودتهم للقاهرة .

وفي نفس الوقت كان شغلنا الأول هو النظر إلى الماتشات (المصريات) - وقد أجبرنا ذلك على تحويل خطواتنا واتكنا في اتجاه بولاق بصفة مستمرة . وهي موقع غير معروف على صفة النيل ترسو فيه سواحل مائتين أو ثلاثمائة قارب نيلي ممتدة للايمان . والآل فطلم غالية الناس ترف شينا عن مشقات ناجير منزل . ولكن أصحاب النجار بقلط هم الذين يعرفون كم هي حارة مشقات ناجير ذهبية . انها أكثر لرباكا وأكثر أجنادا . كما أنها محظوة بمتاعها الخاصة وغير المألوفة . أما القوارب في المقام الأول فانها متشابهة البناء بخلاف المارل . كما أن منها الأكبر أو الأصغر ، والأظف أو الأقصر ، ومع ذلك تشابه مثل المحاربات التوام . وتلس الكلام يقال عن قباطتها مع نفس الاختلافات ، لأن الشخص الذي وصل إلى مصر منذ أيام قليلة لا يفرق بين رجل أسود أو نحاس اللون ، وبين رجل آخر أسود أو نحاس اللون - وعلى ذلك

فار كل ويسر أو كابش يحمل الشهادات التي أعطيت له من السياج السابق ، وهذه الشهادات موضوعة ومتداولة بشكل عام بحيث تنتقل بطريقة مبرية على أسطح المراكب المختلفة وبين أيدي الأعداء المختلفين .
والأكثر من ذلك لدى الخصيمات تغير مواعيدها وهو أمر لا يصعب بالنسبة للسنازل ، وعلى ذلك فإن المراكب التي كان راسها بالألمس بجوار الضفة الشرقية قد يكون رأسها اليوم بجوار الضفة الغربية ، أو مستنداً من دفة من المراكب الأخرى على وجه صيف حول جنوب البحر . وكل ذلك يعود لموضوع بصره . ولكنه لا يماوى شيئاً إذا قورن بحالة الاتهابك التي يدخل فيها الإنسان عندها يطول تقييم مميزات ومساوي المراكب ذات القدرات المست بالنسبة للمراكب ذات القماص ، أو المراكب التي بها بوبه والمراكب التي لم تروى به ، أو المراكب التي تستطيع عبور التلال والأخرى التي لا تستطيع . أو المراكب التي تتضاعف أجزائها مرتين والمراكب التي تمانى من هذا الصب خمسة أو ستة أصناف . وأسمائها هي :
الفرزاة ، والنروة ، واللسطاط ، ودافلة ، وهي أسماء تختلف من أسماء قدامتها لأنهم جميعاً يحملون لاسمده محمد أو حسن . أما أجودها فليسب كذلك لأنها تختلف من يوم لأخر حسب حالة السوق كما هو واضح من بحرفة المسافرين بالفتاح الرئيسية .

انضم إلى كل ذلك حقيقة أنك لا تجد قبطاناً تحدث أية لغة مصرية العربية وإن أية كلمة للاستفسار أو التنبؤ في تفرس للتعريف من صفاتها لأنها تصل عن طريق الترجمان . وربما يستطيع هؤلاء الذين لم يجهزوا بعد هذه التنشيلة من مسرات المطاردة أن يكتفوا بفكرة عامة عن الصلبة المرحقة والباقصة والمربكة التي تكتف استنصار ذهبية في القصفوة .

وتضاف أنه خلال عشرة الأيام الأولى تقريباً كان لابد من تخصيص ثلاث أو أربع ساعات كل صباح لأمورية المراكب . وهي نهاية لم تكن تصل إلى نتيجة تختلف عما مدناه . أما المراكب الصغيرة فكانت صغرى بحيث لا توفر مهنرى الراحة أو السلامة خاصة خلال ما يطبق عليه المسافرين في الليل اسم . الريح الكبيرة . أما المراكب المتوسطة الحجم (التي ترسو تحت حجة مستنداتها في الميناء لفرش دخل الضائع) فإنها منك في نظافتها . أما المراكب الأكبر التي لا تبار عليها والتي كانت تنظم ما بين تمانى إلى عشر قمرات بالأساطفة إلى صالونين ، فقد كانت كبيرة جداً بالنسبة للكتابة ورفيقاتها وأحدى الخدمات . وكانت هذه

للمراكب جميعها بأسطة الأجرة ، إما وقد حوكمنا بهذه المصائب المتنوعة . مع الصمت ، حينما ألى رأى هذا الشخص وحيدا آخر الى وادى غدير . ومع النور والساومة والملازمة والتراجع ، كنا نتردد يوميا بين بولاق والقاهرة مما جعلنا نحس في نعلنا . وفي نفس الوقت تقابلنا مع بعض الممارق القدامى كما عرفنا بأصدقاء جيد . وعند علم الشعور بالنصب الشديد أو الاحتياج ، كنا نشاهد ما نستطيع مشاهدته من مناظر القاهرة ، وقد ساعد ذلك في التخفيف من معاناتنا كثيرا . وبالطبع كانت شمس جولاندا الأولى مشاهدة الأهرام التي تقع على مدى ساعة ونصف من باب المنفذ باستخدام المنطوق . وقد بدأنا مسكرين بعد تناول لنداء مسكر . واعتبرنا المسافة كلها في طريق ممتاز ، وعدنا لتناول العشاء في وقت المناسب وهو الساعة السادسة والنصف . ولكن معلوما أننا لم لنصب غريزة الأهرام ولكن مجرد النظر اليها فقط . وفيما بعد (بعد أن قمنا برحلتنا عبر النيل وعدنا منها ودع لثبات عدة شهور في التدوير) عدنا مرة أخرى وسننا - ليس فقط - فراخ كبير بل وأيضا بعض الفهم السهل للمراحل المتبعة التي مرت بها الفنون والمماراة المصرية منذ الأيام البعيدة التي يمثلها عصر حرق وخفرح . وعلى ذلك يمكن القول بأننا رأينا الأهرام . وعندما وصلنا الى هذه المرحلة من رحلتنا المكثفة يصبح من الأفضل تأجيل كل شيء مثل تفاصيل قصة الأهرام أو البيئة المحيطة بها . أما عن هذه الرحلة المختصرة فيمكننا هذا التقرير الموجز .

يلقى معظم السياح أثناء قدومهم من الاسكندرية اول نظرة هل الأهرام من شباط مرة قطار السكة الحديد . وهي نظرة ذات تأثير لأنها لا تعطي مائتافس المشاهد ، ولكنها لأول رحلة تشبه رؤية جبال الالكب لأول مرة من المستوى المرتفع لنقط نيفوشاتيل ، أو المعالم الخارجية لقمة الاكروبوليس في اثينا حينما يتصرف اليها الشخص لأول مرة من ناحية البحر . أن الأشكال المختلفة المعروفة جيدا ، تبدو صغيرة ومختلفة في الظلال . بينما من المعتاد رؤيتها وهي تلمع بصرف النظر عن طريقة الرؤية . والى أن ذلك صحيح بصرف النظر عن المسافة ، فهي بعيدة من أية جهة مما يصعب وسيلة قياس حجمها بالنسبة لفرسها من الأشياء . ولا يستطيع الانسان أن يبدأ في الاحساس بفرابتها الا عندما يقترب منها ويلاحظ كيفية إزايدها معها مع كل قدم يخطه في الطريق .

ولخيرا عندما نصل الى حالة الصحراء ونصعد المنحدر الرمل وتلف حول الساحة الصحرية ، ويرتفع الهرم الأكبر بكل ضخامته وعظمتها غير

التوقفة فوق رأس للمشاهد ، يكون التأثير مفاجئا مثلما هو رائج -
يحول دون رؤية الأتقي ، كما يحول دون رؤية كافة الأهرام الأخرى -
إن يحول دون كل شيء فيما عدا الأحساس بالروعة والغرابة .

والآن يكشف الإنسان أيضا أنه من خلال شكل الأهرام فقط
يعرف إلى كافة هذه السنوات التي مضت . أما عن مظهرها ولونها وموقعها
النسبي ومعدنها (ولا نتحدث عن حجمها) فلا يستطيع الإنسان أن
يستمتع بأي نوع من الأفكار المصنعة . أما أكثر المراسم دقة لمسايطر
والهياكل ، وأكثر الصور وضوحا ، وأكثر الأوصاف إسهاما ، فإنها لم
تقدم إلا القليل ، أي لم تكن تقدم شيئا بالمرء ، لتسكن المرء من أن يعرف
المكان مطلقا . إن هذه الهضبة من الرمال المتسوية ، والصخور التي تسلي
بالصور المختلطة مثل التقريب ، وترتكها رواهب البنايات الحجرية التي
ليس لها شكل محدد ، لا تشبه الصحارى التي تقامعها في إحاطتها .
إن حرمي حوفي ومطرق أكبر مما كنا نتوقع . أما حرم مكلورع فهو أصغر
حيثما - وهذا أيضا توجد تسعة أهرام بدلا من ثلاثة ، وجميعها موجودة
على الخرافات ومذكورة في كتب الدليل المسيحي . ولكن الإنسان لم
يستعد لاكتشاف أنها ثلاثة ، ولا يستطيع أن يستمر في النظر إليها
كأهرام حديثة . إن هذه الأهرام الستة الزائفة صغيرة ومتعدنية . والحقيقة
أن أحدها صغير بما لا يتجاوز حجم دجاجة كبيرة من البجبرة .

وحتى الهرم الأكبر فإنه يرتكنا بما يضيفه من احساس غير متوقع
بالتناقض . أننا جميعا نعرف وقد عرفنا منذ الصغر أنه قد نزعته منه
طبقة الأحجار الخارجية منذ حوالى خمسةة عام لبناء المساجد والقصور
الحريرية (٣) . ولكن على الرغم من ذلك فإن الجسم الصلب الذي يتميز
بالمظهر المصنوع لهذا الهرم المعلق يصيبنا بالدهشة . ولا يبدو عليه
ما حدث من تخريب جزئي . أنه يبدو كما لو كان قد ترك دون استكمال .
وإن العمال سيعدون في صباح اليوم التالي .

ومرة أخرى نجد اللون مبهما ، هناك القليل من الناس الذين
يعرفون مسبقا اللون الأصفر المائل للبصرة الذي يحول إليه الحجر
الجيري المصري بعد ترويض من التعرض لأشعة مساء عصر الغتية . وإذا

(٣) لم يبق هذا الهرم طميا والفتحة في سفوف الكسوة كل من جوانب الهرم
غير المتروك - (المرجع) .

نظرت الى الاحرام في ضوء أشعة معينة فانها مستوية كسروج ذهبية
ضخمة .

ولما لم تقضى سوى ساعة واربعة دقيقة في هذه الزيارة - فقد رافقتنا
في هذه المرة الأولى بحرم أن نرى أو نسمع شيئاً أو ننقل الى أي مكان -
فيما عدنا عدنا دقائق قضيناها عند حافة التجويف الرملي الذي يرقه فيه
ذو الهول حائماً مرفوح الرأس - لقد وجدنا أن نكرس كل انتباهنا وكل
وقتها للتصديق الهرم الأكبر فقط ، دون أن نحظى بحصص الاطلاعات عن
منظر هذا البناء الضخم الماربعي وحجمه ، ودون أن نركز عقولنا في شيء
مثل فهم عصره ، لأن ذلك كان كافياً وأكثر من كاف في مثل هذه الزيارة
الكبيرة .

وذلك انه ليس من السهل أن نستوعب حتى ولو يتشكل صلبين
شجرة ستة أو سبعة آلاف عام ، فالهرم الأكبر الذي كان عمره أربعة آلاف
ومائتي عام وبعض الأعمام عند ميلاد السيد المسيح (*) ، وهو يمثل الآن
الآلاف السابغة ، ولذلك فإن الوقوف هناك بجوار قاعدته وعلامتها وقياس
اوتلاعها بالنسبة لبعض أجزائها الضخمة والتأمل في كافة أطوار التحدور
الضخم لهذا البناء غير المستوي الذي يحد إلى أعلى مثل دعامة شاحقة
تبدو كما لو كانت تلامس السماء ، يجعل الكتابة تدرك نتيجة أن هذه
التواريخ البعيدة لم ترد على ذكرها حتى هذه اللحظة إلا في شكل أرقام
مجردة - والآن وللمرة الأولى ظهرت نفسها في شكل شيء مادي محسوس
ومحدد وحقيقي . انها لم تعد مجرد أرقام ، بل سنوات يفصلها اختلاف
وتمييز بين هذا العالم أو المنطق ، ومواعيد بلدها وحضارتها -
أما الإحساس بهذه اللحظة فنن يشعرك . انها تبدو كما لو أن أحدا قد
اختطف لحظة الى ارتفاع كبير اطل منه على سهول الزمن ورأى القرون
ترسم خريطة تحت أقدامه .

إن الإعجاب بضخامة الهرم الأكبر أقل صعوبة من إدراك عمره .
ولا يستطيع أحد سار بطول أحد جوانب الهرم ، وتساق لفته ، ودرس
أبعاده في العالم موزي ، أن يغفل في تكوين فكرة واضحة وسهلة عن
خضامته وحجمه - إن القاييس التي أعطتها لنا سير جاردنر وبنكسون
هي كما يلي : طول كل جانب ٧٣٢ قدماً ، الارتفاع الرأس ٤٨٠ قدماً

(*) بنو الهرم الأكبر من الفترة ٢٥٨٠ - ٢٥١٠ قبل الميلاد . (المرجع) .

و ٩ بوصات ، ومساحته ٥٢٥٨٤٢ قدمًا مربعًا (١) . وعلى ذلك نقول إن الارتفاع يزيد ١١٥ قدمًا و ٩ بوصات عن ارتفاع الصليب للوجود في قمة كنيسة القديس بطرس (في روما) وحول ٢٠ قدمًا أقل من كل يوكس على سؤراى - وإذا انتقلنا إلى لندن فإنه سيكون أكبر قليلا من أن يغطي المساحة الكلية لمقوله عنق لكولى . وهذه البيانات الحقيقية كافية وسهلة الفهم ولكنها مثل سائر الحسابات التى من هذا النوع تتميز عن بيان حقيقة عظمة الهرم الأكبر .

لما ما يتجاوز تأثيره وصفه الأرقام تلك الأهمية أو المقارنات المخفضة ، فهو الظل الذى يلقيه الهرم الأكبر عند غروب الشمس ، حيث يمتد هذا الظل المميج والحاد والواضح ، عبر مضيق المصحف البحرية مغطيا ثلاثة أرباع الليل من السهل الأخضر الذى تحته . انه يقسم ضوء الشمس حيث يقع ، متعلما تلمس بدايته المظلمة ضوء الشمس من الهرم

(١) منذ نشر الطبعة الأولى لهذا الكتاب فإن طبع جعل المبراهن الذين قام به سيرر " م. لاندور بنرى - يطوونه لفرم ومطبخ الجيرة
The Pyramids and Tombs of Giza
رسمت للمرة الأولى - تحت تصرف الدارسين -
وصفا شاملا دقيقا وطليا للهرم الأكبر حيث حسب من التجاويف المغطاة في السور في الأركان الأربعة ومن استوى المبنى المسطح المبروك . ما جعله يكتمل أن يربح الخاتمة الأصلية لهذا المصنف بالهرمات وعلى هذه الأبعاد

الارتفاع	الطول	الامتداد من المتوسط	زاوية الصحت	الامتداد من المتوسط
٩٦٩	٥	٦٠	٣	٢٤
٩٦٧	١٤	٥٧	٣	١٤
٩٦٩	٥	١١	٣	٢
٩٦٨	٥	٥٤	٢	١١
٩٦٨	١٥	٢٤	٣	١١

١٠ من الارتفاع فإنه بعد دراسة كل البيانات مثل هذه الأحجار الثلاثة التي جعلت ذلك والمسك المتفرس للأحجار التي واجهت من قبل الأنوار العليا من المبدأ على حسب ملاحظات الزاوية المتوسطة للهرم . كما أملى الارتفاع من لافادة على القمة حيث بلغ ٧ - أو + ٥٧٧٦ بوصة - ظهر كتف بشرى التفكير - لفصل الشمس -
حرجى ٣٧ - ٤٢ .

الموتى فتتطير القلوب التى تشققه بتلازم يعينه مصوب الشمس . ومن
أكثر الأشياء . انارة للشمع الرافعة أن يتذكر الانسان كيف يحصل
نفس هذا القل عند تسجيله . ليس فقط ارتفاع أضخم ساعة شمسية
أقامتها إبنى البشر . بل أيضا المسار البطيء يوما بعد يوم على حدى أكثر
من سبعة قرنا من تاريخ الدنيا . وكان القل ما يزال عمدا فوق المنظر
الطبيعى كلما مررنا المتحضر الرمل الطويل حتى وصولنا الى الحنطور .
ولد امرئ حوال ستة أو ثمانية أعراق فى عيالتهم المررفة لكى يودعونا
الوداع الأخير . وكان وكوبنا من القاهرة - لكى يجلس فى صفه وننظر
الى الهرم الأكبر - قد ملأهم بالمسحة العالصة .

ومع مثل هذه الطاقة والانباز الذى يستعملهما السائح الحديث
لا بد أن تكون قد وصلنا الى القبة . ورائنا معبد إبنى الهول . وشاهدنا
فى نفس الوقت مثيرتين أو ثلاثة من الهابر الرئيسية .

وقال لنا الأعراق : « عودوا مرة ثانية » - إن الأعراق الطبيعى
سيجئونكم كرون كل شئ . » انكم لم تروا شيئا فى هذه المرة .

ومضى بنا الحنطور مع وعودنا بالمودة مما قريب وعلى الرغم من
ذلك كنا نشعر بالرصاص من الطريقة التى قضينا بها الوقت .

أن يبدو الهرم قد تكوا الكثير من الأساطير من السياح وكتب الأدلة
السياحية . ولكنا لم نجد شيئا يدعو للشكوى منهم الآن أو فيما بعد .
انهم لم يزعجوا حولنا أو يسيروا خلفنا . ولم يلاحظوا بالطلب على أية
حال . انهم يتدلقون حبوية وثرثارون بطيهم . ولكن أصدقنا الظرفاء
كألوا يصولون الى حالة الصمت مثل المصابين بالفرس . عندما يجولوا
تريد الصمت . وكانوا يروضون بالبشيش المتوسط عند الاصرار .

وتعلمت النتيجة المأساة لهذه الحولة القصيرة التى قضيناها فى
أننا فكرنا فى اليوم التالى أن نقاهد مسجد السلطان حسن أحد معالم
المصور الوسطى . فقد قبل انه بنى بأسوار المنطقة التاريخية للهرم
الأكبر (م) .

(*) أسماء كتابي هنا - (المجلد) .

الفصل الثاني

القاهرة والعج الى مكة

الطريقة أو مسجد السلطان حسن يعتبر أجمل مساجد القاهرة . وربما أيضا أجمل مسجد في العالم الاسلامي . لقد بنى أثناء تلك النهضة المسيحية التي بدأ فيها الفن الاسلامي في مصر يتوقف عن الانتعاش أو التعطيل ، ويستلطف لنفسه طارزا مصرية أصيلا من بين العناصر غير المتجانسة للصروح الرومانية والقبطية المبكرة . لقد كانت مساجد القرون القليلة السابقة (التي شهدت على سبيل المثال جامع ابن طولون الذي يمثل أول انطلاق من السودج البيزنطي القديم) (٢) تتكون مما يريد قليلا عن دماء به أبواب تقود الى قاعة تدعها غايه من الأعمدة ، وبعد أقل من قرن كان الطراز الوطني قد عبر بدايات ذلك الانقراض الطويل من استخدام الطراز البيزنطي الى نهضة جديدة طوبى هذا الطراز حثلة في مسجد محمد علي . ولكن مسجد السلطان حسن الذي بقي ليل سقوط القسطنطينية بمع ومعينة ، يعتبر عملا لأعلى نقطة مهل وصل اليها الفن المصري في مصر بعد استخدامه للمواد اليونانية والرومانية التي كانت في صفه ، وقد تم تعديله ليل يطبق أساليبه النورية بأذخار تاليرات قلعة من وراء البسلور . ولا يرجع سبب تفرقه الى ضخامة أبعاده ولا الى ضخامة المواد المستخدمة في البناء . انه لا يماثل المسجد الكبير في دمشق من حيث الضخامة . ولا جامع آيا صوفيا في القسطنطينية من حيث غناء بالرحام الضخم ، ولكنه يتفوق في التصميم ، والتناسب ، وفي حاذييته الضامعة التي لا يمكن وصفها . انه يتفوق على حذين المسجدين وعلى غيرهما من المساجد سواء منها الأصيلة أو المقلدة التي تمزجت عليها الكتابة ، لأن البناء كله وطني حالي . كل خط أو حنية منه ، وكل بوصة من

(٢) خلا على ، والمصوب أنه على طراز المساجد التي أنشئت في عهد الممصر .

بأنه القليلة القليلة والتي أنشئت في عهد الدولة المملوكية - (٢) لفرمان ٢

التفاصيل تمثل أفضل طراد لاقتصر فترة في تاريخ المدرسة العربية . وهو قبل كل شيء خير مظهر من القرض الذي صمم من أجله . وعلى العكس فإن المسجدين الشهيرين في دمشق وفي القسطنطينية كانا في الأصل كنيستين مسيحيين ، وهو ما تكشف عنه البراهين الباقية على التعديل . فهي جامع أيا صوفيا يمكن تتبع الفراغ الذي كان يملكه من قبل تمثال القنادي . في أعمال الموراييك التي في محراب للمسجد والتي غطيت بإتقان النصباء في تاريخ لاحق . وكذلك خلف الجوانب العظيمة بالمسجد الكبير في دمشق قد رقت نفس رهور مسيحية أحسرى يروحز المقتناء الرياني . لها مسجد السلطان حس الذي بناه الناصر حس في الأيام العظيمة المزدهرة من حكم المماليك ، فلم تمكن سقوطه أية نقوشات . لقد صمم ليكون مسجداً ، وظل هكذا مسجداً . وسرعان ما تحول إلى آثر جميل .

وقد هم عدد من الفوائج الصنية في هذا المعى مؤسراً بحيث أصبح طريق الوصول وأما عبر قضاء واسع عيجور بمنزل في أرجائه بعض الأقسام ولكنه سيصبح ميداناً عاماً . ولتحقيق هذا الهدف المقبول نظريا شاعدا حوالى ستة هبال يعملون متكاسلين في تحميل عدد من الأبل بالانقاض . وهذه هي الطريقة العربية لنقل النفايات . وإذا امتد هؤلاء العمال من عملهم ، واستمر وزير الأشغال العامة في دفع لجورهم في مواجعتها المضبوطة ، فربما يتم احلاء الأرض خلال فترة نهائى ثو عشر سنوات ؟

وعندما أوصلنا العنطور مصعوبة إلى أسفل درجات السلم العظيمة والتي كانت مروحية بالدموريين الذين يصبون وينامون . رأينا شفا طويلا ظاهر الاتساع يصل تقريبا من قمة إلى أسفل الحائط الرئيسي للبسة ، بحوار المتدعة . وبدأ كما لو كان شفا ناتجا عن وقوع زلزال . ونظسوا لأنه يزال جديدة في الشرق ، فقد تمجينا لأن المتكونة لم تبدأ العمل في اصلاحه . وكأله قد كتب على القاهرة ألا يتم أبدا اصلاح شيء فيها ١١ . أننا نجد هنا كما في القسطنطينية عساي جديدة ترتفع بسرعة ، ولكن الماني القديمة بصرف النظر عن مدى جلالها ، قد جرى التفاضل عن تأكلها بومة بعد بومة حتى لا يتبقى منها سوى كومة من الانقاض .

وبعد صعود السلالم ، ومن خلال بهو شائق الارتداح ثم صعود بعض الدرجات الانشائية ، ثم المروحة من مظم ، وصلنا إلى القاعة

الكبرى والحي كان علينا أن نبلغ لحديثنا قبل حلولها ، وإرتداد شياطين
 حاضرة لهذا الغرض ، ومثل رؤية هذه القاعة لأول مرة قبة الأتاتورك
 إليها لا تتبني شيئا سوى لنا رؤيته من قبل . وحسبنا جمالها مع
 كبرياتها - تفيل شكلا هندسيا ذا أهمية تضلح . يظلم الرخام النقي .
 مفتوحا نحو السماء ومبنا بمواضع مرتفعة . وهي كل جانب من جوانبها
 حنية واسعة يحيط بها عقد مرتفع . أما مساحة التشكل الرباعي فهي
 تزيد على مائة قدم مربع ، كما يزيد ارتفاع الحوائط على مائة قدم أيضا .
 وتشكل كل حنية قاعة فسيحة للمراحة والصلاة . وجميع الحنيات مفروشة
 بالحصى . ولكنها في طرفها بالترقى أرحب وأعمق بخلاف الأكراف
 الثلاثة الأخرى - أما العقد النجم الذي يحيط بها فهو يحدب الجزء الأمامي
 من حنية مسرح كبير . وتبلغ المسافة بين ضلعيه ٦٩ قدما و ٥ بوصة
 حسب ما ذكره فرجسون . وإن كانت تبدو أكبر من ذلك كثيرا . وهذه
 القاعة الرئيسية التي ترتفع أرضيتها بحدود درجة سلم واحدة عند نهايتها
 المربعة يبلغ عرضها ٩ قدما . وارتفاعها ٩ قدما . والمساحة مخططة
 بسجايد الصلاة الصفية ، وهي تضيئ الممرات وميزر المظلي . وقد
 لاحظنا أن هؤلاء الذين حضروا هنا قد جاءوا للصلاة فقط . وبعد الانتهاء
 من الصلاة أما أن يمشوا إلى الخارج ، أو ينحوا جانبا لدخل إحدى
 الحنيات للمراحة . وتوجد في الساحة لينة رائعة لها سقف تمطره قبة
 طين من قاعة كبيرة من حيث الضخامة والقابلية للكسر . ويترسا فيها
 كل عام عند دخوله المسجد . وبعد الوضوء يترك تشبيه على الصخر .
 ويهدوس في سجاد المنصبة بقميها المارحون .

وكانت هذه هي المرة الأولى التي نلاحظ فيها المسلمين أثناء الصلاة
 وإنما تأت كثيرا لاستغراقهم العميق وغير المتكلف . كان بعضهم ساجدا بحيث
 ليس جبهة الأرض . والبعض الآخر وآكفا . والبعض الآخر ملجئا في
 الأرض للمجد للصلاة . وكأبوا هم جميعهم شديدي الاستغراق حتى نأ أن
 وجودنا الغريب قد ضايقهم . ولم تكن تصرف حينذاك أن المسلم
 الصالح يتصف بالتقوى خارج المسجد مثلما هو داخله . أو أن تلك هي
 عادته من أداء الصلاة في أوقاتها المحددة بصرف النظر عن مكان أو كيفية
 انشغاله . وسرعان ما تعودنا على هذه العاصية الراضعة في الحياة
 الإسلامية ليست صادرة أمرا لا جدال فيه . حتى أن ركب الجبل يتحتم
 عليه أن ينزل عنه ويسجد وأمامها جبهته على الأرض بجانب الطريق .
 كما أن النابر يشر مسجدة الصلاة الخاصة به على الأرض متجها بوجهه
 نحو الشرق عند غروب الشمس خلف تلال الصخرة القريبه .

وبينما كنا مبعجين بارتفاع السقف وحساروف الخيزر المتنوعة من زخارف أوراق الفجر (أشغال الأرابيسك) المصقفة ، جاء الحارس ومعه مفتاح كبير ودعانا لزيارة قبر مؤسس المسجد ، فتبعناه إلى قاعة ضخمة تعلوها قبة مساحتها ١٠٠ قدم مربع ، أقيم في وسطها قبر ملبس بطبقة سميكة من سور وقد وضع في أسفله صندوق مربوط بالعديد ، وعرفنا فيما بعد أن ذلك الصندوق مضي عليه خمسمائة عام منذ وفاته ودفن المصطفى حسن . وهذا الصندوق كانت به لوحة فاخرة من الخشب قيل أن السلطان حسن قد كتبها بخط يده ، ولكن الحيدور الذي يجمع المخطوطات العربية المختارة والأثرية أرسل في اليوم السابق فلفظ أمرا برفعها .

ولم أر شيئا أشبه أو أنفخ من تماثيل أمجاد قاعة الصريح هذه ، التي غطيت حوائطها بالرخمة الدقيقة ، المخطورة على الخشب مع ملء الخيول يقطع الخيزر وأشغال الصيغساء ذات اللون الفيروزي - أما الارتقاع فالفرش من حبل عقود القصب ، وتتخفى استناده الأركان بواسطة عنائيد مبرومة من أشغال الأرابيسك الرائعة مثل الدلايات ، ولكن أشغال الصيغساء تسلط بسرعة ، ولذلك فإن معظم حيواتها فارقة . وقد علفت أشغال الخشب الجميلة على شكل شظايا مهلهلة ومحاطة بنسيج المنكبوت مثل الرباط القديمة التي تميزها قول لمسة من الفرساة .

ومع عودتنا من الضريح إلى الفناء لاحظنا آثار الانهيار في كل مكان . ذلك أن اللبنيّة التي كانت يوما ما مسجدة من محجرات الرخمة العربية ، توشك على الانهيار ، وقد تشقق الرخام الموجود في قاعدتها وهنت لوانه . أما قبعتها المخروقة بالجص فقد تساقطت قشرتها في أجزاء متفرقة ، كما تساقطت طبقة المينا ، وتمزقت زخرفتها الخشبية التي نقشها الأربطة في كل بوصة .

وبرى الآن طائرا صغيرا يطير بيني وذعبي يحتم في قبة على حافة الجرحى . وبعد أن نثر الماء وشرب منه ووقف ريثما تتل العايد الصالح أثناء الوضوء ، طار إلى قبة القبة وغنى مرحبا . بينما حيم الصمت على ما عهد . وقد شقت الشكل الهندسي ذا الأخلاق الأريمية مساحات كبيرة من الأنوار والظلال . وظهرت المساء فوقنا مثل فتحة مربعة من الرقيقة القديمة ، بينما الناس هنا وهناك ما بين حنس ، ومصبل . أو مستغرق في الهدوء . وقد تآثر عدد من لاسي السائم في شكل بديع فوق أرض القاعات المكشوفة المغطاة بالحصى . وحسالك جلس قرني متطاع السائق يصنع حذرية . ويلترب منه استلقى صانع سلال مع

سلسلته نصف المجعولة للفتنة بطولها على وجهه، وبجانبه حزمة من السماء،
وهنا وقد بالقرب منه أعشى وعنه كلبه ، فكان السيد قائما وكلبه
يحرسه . ولما كفى ذلك كفا سبق لي قلت هو أول مسجد تقوم بزيارته .
فأنتذكر جيدا الحاجاة التي أدهشتنا لدى رؤيتها ذلك الثرى وهو
يخيط أزواجه بينما يرقه الباقون حوله في الظل - ولم يعرف حينذاك
أن مسجد للمسلمين مكان للراحة والحماية منها هو لفصالة ، أو أن العربي
التي لا مأوى له قد يجد المأوى هناك سواء في الليل أو أثناء النهار بنفس
الحرية التي يسي بها الطبيب اعتاشها في المرير - البلوى ، أو مثلها
يشاؤك كلب الرجل الأعشى سيده الدائم في الظل البارد .

وبعد عدة دقائق من الصعود بالصنطور من عند هذا المسجد الذي
ينتمي لحكم المماليك ، نصل إلى مسجد محمد علي الذي بناه على الراسه
خلفت مذبحة قتل فيها آخر سسلالة هذا الجنس السلطاني منذ ٦٤ عاما
حضت (*) وقد بقي هذا المسجد داخل حرم القلعة على ساحة بارزة من خلال
الاسطى ، تطل على مدينة القاهرة . وهي من أكثر مناطق القاهرة روعة .
وتظهر مآذنه الرقيقة وقبابه المتجمعة من كل جهة وحل مبنى هذه المباني .
وتنظر ظاهرة للنظر عدة طويلة البناء وحيله أو عودته للقاهرة أكثر من
كافة المعالم الأخرى . وهو مبنى عام فسيح ومبني وحيد ، ولا يحيط به
شيء جويل فيما عدا الغناء الرخامي العظيم والفلسية . أما داخل المسجد
الذي بنى بكامله من الرمر القرمي ، فقد كان مفروشا بالسجاد التركي
الغني ، وعائلت في سقفه زريات محسنة مصنوعة من الزجاج البلوري
المصقول .

وتظهر لفتاة المنظر من الهضبة الباقية - وقد رأينا خلال يوم
معه بالضياب، ولذلك لم نستطع التعرف على مبنى الدنيا الذي كان من
المفروض أن يظهر في اتجاه الشمال . ولكننا استطعنا أن نرى المنظر
جنوبا حتى نرى مقبرة إلى سهول مصر . وظهرت أهرام الحيزة على
منحصة الصخرة الصحراوية على بعد حوالي اثني عشر ميلا . صغيرة وغير
ذات تأثير ، كما تظهر دائما على البعد . ولكن الوادي الضيق العظيم
كان يجبر بالقرى الطينية التي تظهر كالقبع وقد تغطيت فيه القنوت
ومسارات لحاية النخيل . وقد نزلنا النهر العظيم بانسعة القوارب
النييلة . أما مدينة القاهرة المصنوعة فقد ازدادت كلها بالأسقف المصنوعة

(*) حتى حطبا حولها حكمة وجديون عاما بالانتماء إلى أن للعبة القلي لهذا.

كتاب له على طبع ١٩٠ عاما - (لترجم) =

للمنازل ، والقباب الصغيرة والملاذئ ، التي تنتشر مثل نودج مقعد التفاح في كل بقعة من المشاهد ، مثل الرواية الرائعة والتي سيطرت على كل انتباهنا . وعندما فنظر إليها من هذا الارتفاع يسهل علينا تصديق أن القاهرة تتضمن أريافاً صعيدية ، وهي تقف على حافة التل على مثال مدينة روما الحديثة التي تنحدر ثلاثمائة وخمسة وستين كنيسة (*) .

وعند ثرونا شفهنا المكان الذي قتل فيه كبار المالكي وعمدهم ٤٧٠ ميلو (٦) . وقد حدثت هذه المدينة في شهر مارس سنة ١٨١٦ للميلاد . ورائنا البوابة العلوية التي أغلقت أمام المالكي لمنع خروجهم ، ويلاحظ أن حوائط الممر الضيق الذي لركبت فيه المدينة تظهر فيه القويح التي أحدها للرصاص ولكننا لم نجدها عنها .

وقد ذكرت منذ قليل أنني لم أذكر بالضببط الترتيب الذي تمت به جولتنا في القاهرة لسبب أننا رأينا بعض الأماكن قبل رحلتنا في النهار ، وبطريقها الآخر بعد عودتنا ، والبعض الآخر (مثل متحف بولاق) مررنا قبل وبعد الرحلة ، على قدر استطاعتنا ، ولكنني على الأقل متأكدة أننا شاهدنا مرها للروايات وهم يصاصون ، ورحيل قافلة الحج إلى مكة قبل بداية السفر .

ومن بين الأشياء التي يؤذيها الناس وهم يشعرون بالمسادة ، حاشية حوكب الثقافة . فهي بالتأكيد تعتبر من أكثر المتاحف ارمافا . فهم يسيرون جماعة طويلة لمشاهدتها ، كما ينتظرونها فترة طويلة مرهة . لأنها تصل دائما متأخرة . وبجرد وصولها تنتهي بعد عدة دقائق ، لك تدوليا الاضطرار ميكرا ويبدأ الخروج سريعا بعد الساعة السابعة والنصف وأحدنا هو أقصا خروج باب النصر في الطريق إلى الصحراء في تمام الساعة الثامنة والنصف . وهنا جلسنا حوالي ثلاث ساعات مريضين

(*) يوجد بالقلعة الآن بقى مسجد من المساجد الكبيرة والتي أرميت . هذا المسجد الابن الرومي والمساجد الصغيرة التي لا يكاد يخطر بظنها شارع واحد . (الترجمة)

(٦) قيل أن ميلو (أحد) فلو هو الذي عرّبها واسمها (ع) في اللغة فلو يصاحبه من قلعة من الحامية ويصل سبلا إلى القلعة ثم هرب إلى الصحراء . واستمر مرسى لثلاثة أشهر يرحل على الزوار لمدة سنوات ولكن لا توجد الآن أية حفلات في القلعة . وتعتبر القلعة من الآثار الوحيد في القاهرة التي تجذب فيه الاستثمارات .

لصحب التراب ولهيب الشمس دون أن يحصل شيئا سوى مرآية الزلم والانتظار في صبر - وكان هناك كل بؤساء شبرد وكل غريب في القاهرة ، وقد ركبا جميعا في حناظر رشيقة مفتوحة يجروها رجال بؤساء يسوقهم عرب حفاة الأقدام - وبالمسبة غان هؤلاء العرب يحملون سياطا جيدة والرحال يجرون بمراعة ، وقد يجر عربيا ومرزيا في البداية أو يركب حلف حوى لا يملك من الملايس الا حرفة يلفها كصاعة ييشه قدرة - وقميص ضواصع هبل بالكاد ال ركبتيه وحذاء طويل الرقعة منحتة اياه الطبيعة (قصص المساكين الماريتين) .

لما هنا خارج الحواظ فقد أخذ الرحام يتزايد في كل لحظة ، وظهر المكان مثل معرض به اكتشاك لبيع الأطعمة ، ومراجع ، ورواة للنصص ، وحواة يداعبون الثعابين ، وبالقو الطائر ، وباتو الحنوط والمهربات ، والماء ، والفيونكة ، والكسرات المسكرة ، والباج الطارح والبيض المسلون ، والبرقال ، وشرائع البطيخ - وهناك النساء المصعبات يحملن أطفالا لولهم يرونزى ، يعجبون تاتيل كيوبييه ، وهم منفرجوا العيقل على اكتافهن اليمنى ، وهن بين الحاضرين مصريون ذوو بشرة سمر ، وأحياتى بلون اللحم الأسود ، وهرب ' ولوبيون من كافة درجات اللون من النسي النعسي ال لبون الشكولاته ، وفلاحون ، ودراريق ، وأولاد ياقوتون الصبر ، وعتسولون ، وشعانون بهم حتى أنواع الصاعات التي يمكن تصورها ، رافحون وعادون وهم يحشرون أنفسهم بين الحناظر لهاب وايايا ، أو يفترشون جانبي طريق البوابة التي يسلوها يوج عظيم في كلا الاتجاهين - وآخرون ينظرون قصة كل حائط ، ويملاؤن الجبر بالضحكات ، وتشكيلة من التلهجات المحلية ، مع تلك الطيور العربية التي لاتنفصل عن الجبوع الشرقية - انه حفيد غير مؤد ، ولكنه ليس له طعم ، ورعب المصدر ، وغير عدواني - وتكني نظرة واحدة اليه حتى تهرب كافة التصورات المسافة عن تزمت السلوك الشرقي . الحقيقة هي أن هذا الترحم ليس حاصبة شرقية - انظر الى المسلم أثناء صلاته ، مستجده بموجب لتجرد الفيني ، ثم مفرجه كل شراء سجادة مستحبه مثل القلبي لا يمكن كتم أصراة - ولكن انظر اليه في ساعات الاسترخاء ، أو في مناسبة يوم عطلة فستجده مثل طفل كبير في مرحلة وضحه - وهو مثل الطفل أيضا يحب الضحيج والحركة لجراد الالة الضحيج والحركة ، وهو ينظر الى المراجيح والألعاب الالة عرضها لمة المسادة الانسانية . والآن سيد أن المراجع والألعاب التارية تنقل وسائل ورق عربية وتنقل محل السيرك ، وتشتت رغبة الشخص العلمى لمشاهدتها ، حيث لا يمتنع فيها نظره في مناسبات الاستطلاات العامة ، ولكنه يلجأ اليها أيضا لأحياء

ألقى الأعياد الدينية - وقد حدث فيما بعد أن صادفنا أعياداً إسلامية عديدة سواء في مصر أو سوريا فوجدنا المراجع يصل طوال النهار والأنساب البارية كل مساء - واليوم فإن المراجع لم تكن وحدها خارج باب النصر ، فقد كان معها مراحىج ووسية يصدر أصواتاً وهي معلقة في مركبات ملونة لترتوب الأطفال ومراحىج مربوطة ببغال يصل ارتفاع بعضها إلى مثل ارتفاع مشائخ حمامة (*) ويركبها الرجال ، أما عن نفسي فأنسى لا أعرف منظرها أكثر إثارة من منظر الاستمتاع الهادي الذي يشعر به الرجل المصري المتوسط العمر ، المنحني ، والمسم ، وهو يجلس الغرفساء على كعبه فوق المقعد الخشبي الصغير في واحدة من هذه المراحىج الهائلة ويصليك بالخيال البغائية للمحافظة على حياته - ويصل ارتفاعه في الهواء إلى ٤ - ٥ قدماً في كل مرة .

وقبل منتصف النهار يلهول عندما تصل الحرارة وسطوح الشمس إلى درجة لا تحتمل ، تتوقف المراجع عن الحركة ، وينطفئ الرصاص في أنجاء البراية ، وتعلن دقائق الطبول من بعيد عن اقتراب المؤكمس ، أن البداية وصلت سلسلة من الجمال تحمل الأثاث الخشبي بالخيام ، ثم حوائج حائتي حاج سافرين على الأكدم وهم يرتلون بعض الآيات القرآنية . ثم تصل كتيبة من المشاة المصريين ينسج رجالها زياً عسكرياً مصنوعاً من القنبيل الأبيض الخشن مكمراً من معطف ، وشرول فضفاض ، وطرفق فوق الحذاء ، مع أحزمة متقاطعة بها صناديق الخرطوش المصنوعة من الجلد الأسود السادة ، وعلى رأس كل منهم طربوش أحمر . ويتبع هؤلاء بعد آخر من الحجاج وراحم مجموعة من الدراويش يحملون ييارق خضراء مطرزة عليها عبارات عربية باللونين الأبيض والأسفر ، وتل ذلك فرقة من العرس الوطني برأسها نوا - وأربعة خياط يرتبة البكباشي لهم حللهم النخسة المطرزة بالذهب ، تسبقهم فرقة للموسقات العسكرية ، ثم فرقة أخرى ، تليها كتيبة أخرى من المشاة - ويل ذلك بعد أخسر من الضباط في رتبة البكباشي تتبهم كتيبة من القرسان حامل الرماح يتطون حياذا رداية ويصمون الرماح التي في قتها رايات صغيرة حمراء وخضراء . وبعد مرور هؤلاء حدثت وقفة طويلة ، وبعد بعد من الرققات والمقاطعات وصل جمع غير منظم من الحجاج ، غالبيتهم من طبقة الفلاحين وهم يدقون

(*) الخشية التي ارتفعها خصيون ذراعاً أعداً فعلن ويذكر ذلك الفارس المصري (المتحضر) التي يصب عليها برداني - ولكن الصليب عليها صار من نمطه هو بدلاً من مرقمته - (الكتاب المقدس - حار - حار - الخصائص من ٥ - ٧) (المرجع) .

الطوبى الصغيرة ، ويقدر معهم بحوالى ألفين - والآن يصل اليها صوبه
 ناشدين قبل وصولهم بوقت طويل حيث يرى الدراويش وهم حسابه
 مشاكسة يلبسون الملابس القديمة ذات الظهر البلى ، وكانوا يديرون
 وقوسهم من جانب الى جانب ويصندون جليسة متواصلة وهم يصيحون
 تاكلين ، الله ، الله ، الله ، الله ، ويصعدون عذم الى مالتين ، وجهه يدهم
 مشايخ الطرق التي يتبعونها وهم يرددون عبارات زاحية الألوان مطرزة
 بنحويط الذهب ويركبون خيولا عربية - اما اكثر المناظر طرافة فهو منظر
 شيخ الحسيني يركب حصانه وعلى رأسه حجاب خضراء ، ويلبس عباءة
 خرمية اللون وهو على أقدام النبي ، أما أهم شخصيات الحوكب فهو الشيخ
 البكرى الذي يشبه عند المصري رئيس أساقفة كاتدرى (٣) وهو
 يرأس جميع الدراويش ، وقد جعل اثريا راكبا حصانا عربيا أبيض اللون
 تكسوهُ كسوة مخمولة بنحويط الذهب ، وكان يجلسنا ذا طلعة ودية .
 وقد ارتدى عباءة منسوجة اللون ، وصاحبة خشنحة باللونين الأحمر
 والأخضر ، وقد بيع هذا الشخص الكريم رئيس رابطة صناع الكسوة ،
 وهو رجل وسيم يجلس مسترخيا على جبل ، وحملت وثقة أسرى في
 الحوكب ، وثقة مشوقة ، ووصل مع يشتم ، ثم ظهر شخص نصف عار
 محمل الجسم ، وشعره في شكل حصلات سوداء طويلة ، وله ذلى ثلاثية .
 ولا يلبس شيئا سوى سروال أبيض قصير ، وشيشية أحمر ، راكبا على
 جبل نحيف يجرى بسرعة جعلت جنس الراكب السهم يشربو جان ،
 ورأسه يدور مع كل خطوة . كما لو كان في حالة سكر . وقد سرت دهشة
 من السرور بين الجماهير لدى رؤيتها لهذا الرجل المبروك المشهور باسم
 (شيخ الحبل) صوبد الجماهير ، وقد علمنا فيما بعد أن تلك كانت حجة
 الشربين ، وكان المفروض أن يسرع ، صحركا رأسه ولا يرتدى شيئا سوى
 هذا السروال الواسع طوال الطريق ذهابا الى مكة وإيابا عنها .

وبعد ذلك سقطت ثمة الاثارة ، حتى أن الفرقة التي استقبلت بها
 انجماهير شيخ الحبل لا تمشي حينئذ فورمت بمشيتها بحسبها ظهر
 المحبل مصولا على جبل ضخم ، داخلها من البوابة تسبله مجموعة أخرى
 من الحماط القرمبان ووقفت النساء أطفالهن ، ورفح الرجال مملات
 المراجع وحلفها الحماط ، وصلحوا ، ولوحوا بالثناويل والصائم ، وكانوا
 حيا في حالة من السعادة بجوار بعضهم البعض ، وفي نفس الوقت
 وجدنا أن الحبل الذي أحسن برفعة مكانته ، وعظمة الكسوة التي

(٣) كاتدرى من مدن انطاكية التي يقصدها جميع المسيحيين لزيارة هراجل
 القديس ثوماس ويقيم بها - [للقرن] -

يلحق بها . يتقدم بيده وتناقل وأمنه شامخ من الهواء . وقد مر قريبا من
 رؤوس خيولنا . ولم يكن قد شلعدنا عقبه! أجبل من مشهد المحفل
 وهو نوع من الصناديق المرسية بزخارف مطلية باللصيح . وفي أيام
 المائيك كان المحفل يمثل الصفحة التي يركبها السلطان ويبقى نازعا مثل
 السيادة الملكية التي تسير في جنازة عامة (٦) .

وقبل لسانه الآن يحدل الكسوة للثريفة التي ترسل مسويا
 بمعرفة صنّاع السجاد بالقاهرة إلى قبر الرسول . وكانت هذه هي شامة
 الموكب . وبعد مرور الجمل لفرق الزحام وانتهى كل شيء . وأبغضت
 كل الحناطير نحو البوابة الواحة المذكورة الكاسح من الجماهير المتدفقة .
 عما ترتب عليه حدوث دكة لا يمكن تخيلها . وقد اضرت بعض الحناطير
 في الحال عند منتصف الطريق . وكان من بينها الحظور الذي تعقبه .
 ودخلت جميعها في مأزق لا فكاه منه في فاصل الجزء الضيق بمحفل
 البوابة . وهنا سب السائقون بعضهم بعضا وفرغ صبر الجماهير .
 وجري بعض الأوروبيين صرعين .

وأثناء عودتنا قاهنا كتيبتي أو ثلاثة ، وكان الجنود من المشاة
 والضباط يمشون كأشخاص عاديين ومنظمين إلى حد كبير . أما ركوبهم
 الحيل فكان أفضل من سيرهم على الأقدام . وهذا هو المتوقع . أما الرعي
 فهو موحد بالنسبة للفرسان والمثمة النساء الخنعة ، ويستل الاطلاق
 الوحيد في أن الفرسان يرتدون أحذية سوداء قصيرة مخصصة للركوب ،
 وأن المثمة يرتدون فوق الحذاء طرقي من القيل الأبيض مثل أبناء قبيلة

(٦) وبه أن ملك مصر السلطان الظاهر بيبرس كان هو الأول من ليسد المحفل مع
 قاطبة الحاج إلى مكة في سنة ٦٧ أو ٦٧٥ هجرية (١٢٧٧ للميلاد) ولكن كما قيل
 فإن هذه العادة لها أصلا قديم يعود إلى حنة بنتا قبل جلوسه على العرش . فحينما
 أصبحت شجرة الدر ملكة وهي جارية تركية جميلة كانت قد أصبحت الزوجة المفضلة
 للسلطان أنسالج بجم الدين . وعند وفاة أبيه (الذي انتهت إليه الإمرة الأيوبية)
 تلت بالحقها ملكة حلي مصر . هذه السيدة امت الحج في (هودج) أو سيق ملكي
 محمول على حيل . وقال مؤرخها الفارغ لمدة سنوات ثلثة يعمل مع القنقلة رعا السلطنة
 النبيلة . ومثلها سارت حانة عند إجراء مصر المماليك أن يرسوا مع قنطرة الحج في
 كل عام لوما عن الهودج (الذي أصبح يسمى المحفل) كرمز للولاء . أنظر في ذلك
 كتاب لبراهم ولهم لين من المصريين المحققين The Modern Egyptians, by W. Lane
 المنشور في لندن سنة ١٨٦٠ الفصل الرابع والعشرون .
 (إضافة من المؤلف)

هذا الكتاب مخرج إلى العلوية منذ سنوات طويلة تحت عنوان = عادات وقائده
 مصريين المحدثين = .

زواوة المغربية الذين كانوا يشكلون عرفة طاعة فرنسية ، لقد وصل
المصريون في النقص الى بعض رتب الصباط ، ولكن كبار الضباط وعيلة
الكليادة (وبينهم عدد كبير من رتب الكباشي والثواء الذين يشكلون
كتيبة عطية) هم من الأوروبيين والأمريكيين .

وقد ظهر لي انفسه الموكب لهذا السبب الجديدة للمصباح صفة
اذا ما قورنت بالمشركي في الرتب العسكرية . ولكن هذا الرتب الذي
يسمى " رتب القافلة " هو في الحقيقة الموكب الوحيد للكسوة
الشريفة من القاهرة الى المسكر خارج الاسوار ، وان الكنائس العسكرية
قد حضرت فقط كجزء من الموكب التاريخي . اما الرتب العالي فانه
يتم بعد ذلك بوقت . حينذاك ينضم المصباح في اعداد كبيرة ، ويتم
تنخفض اعداد العسكريين حتى تصل الى صفر حامية صغيرة . وقد قيل
ان عند الذي وطوا للمح هذا المسام قد بلغ سببه آلاف من القاهرة
والمن لجاورة .

وقد جرى عرض الموكب في يوم الخميس الموافق للحادي والعشرين
من شهر شوال الهجري الموافق الحادي عشر من ديسمبر ، وفي اليوم
التالي في الجمعة وهو يوم العطلة لدى المسلمين حينما الى مقر البراويش
الذي يقع خلف الاسوار في ركن حادي يقع ما بين خفة النهر والجبل
المسمى بصخر القبيصة .

وقد وصلنا بعد الساعة الثانية بقليل ، وتوجهنا الى ميدان كبير ،
وعبرنا خلال فناء تطله جميلة ضخمة . ودخلنا قاعة عظيمة بالجبل فوقها
قبة . ولها ارضية مفرقة بالحصى النظيف . اما ترتيب المكان فانه
يخضع عن كافة المساجد التي شاعدها حتى تلك المبراة ، فالحقيقة
انه لم يكن هناك حتى للترتيب ، فلا يوجد طير ، ولا مصرايح ،
ولا مصابيح ، ولا حجابيد للصلوات ، ولا شيء سوى صف من الكراسي
ذات القاع المنوع من الكيزران مصورة في احد الانراف . وكان يجلس
على بعضها عدد من زملائنا من زلاء فندق شبرد ، واذا بفريق من
البراويش يتراوح عددهم ما بين اربعين الى خمسين يجلسون القدام
على شكل دائرة في الجانب للقبائل في القاعة وقد تكومت قضائهم
والعطية رؤوسهم ذات الشكل الهرمي غير الخالوف في كومة قرية عنهم .

وبعد ان جلسنا على الكراسي بين المصاحبين الآخرين انتظرنا
ما سيحدث . وصارت تتدفق اعداد اخرى من البراويش ومن المصاحدين

الانجليز من وقت لآخر . وكان الدراويش القاعدون يخلعون أعطينة رؤوسهم ويجلسون بين اليافقي يضحكون ويضحون محبا بدون حرج . أما المشاهمون الانجليز فقد جلسوا في صف واحد جنوبي وغير مرتاحين وصاعين . يتجيبون ما اذا كان مطلوباً منهم أن يسلكوا كما لو كانوا في كنيسة أم لا . وقد أمسوا بالفضول حتى الموت من انقسامهم ، حيث أجبروا جميعاً على طع احديتنا قبل اللعول . أما هؤلاء الذين نسوا أن يظهروا معهم شياشيب فقد اضطروا الى ربط أقدامهم بالماديل التي يحملونها . في جوارهم

وبعد بضو وقت طويل أصبح عند الدراويش حوالى الخمسين . كما أحس الجميع بالتعب لطول الانتظار . ثم حصر ثمانية موسيقيين ، الناس منهم يحملان طبلتين كبيرتين ، واثنتان يحملان عودين ، وعارف كمنجة ، وناظر الرق ، ثم اثنتان يحملان طبلتين صغيرتين . ثم ولع الدراويش أنفسهم وكان من بينهم من هو عجور تشيب الشعر ، ومنهم الأولاد . في شكل دائرة كبيرة وكثف كل منهم الى كتف جاره . وأطلقت الفرقة الموسيقية أصوات بعض الطغيات المريبة غير للتوافقة . ثم دخل رجل وقود متوسط الصر وتوسط الحلقة ، وأدار رأسه مع كل تكرار . وانطلق يردد اسم الله .

في البداية كان صوته رقيقا ، وبالتدريج أخذ الدراويش يرددون الكلمة : الله ! الله ! الله ! ، ثم أخذت رؤوسهم وأصواتهم ترتفع وتهبط على توافق تام . لما ألقية فكانت تردد الصدى . وكان هناك أحساس بضي غريب ورسني في هذا الاحتفال .

وسرعان ما أخذت الطبلتان الكبيرتان تدقان بصوت ممل ، كما شعرت أصوات الدراويش الى مدير ، وزادت انجلاء الرؤوس . وصار اسم الله يرد أسرع وأسرع ولشد حياسا . أما القائد نفسه فقد بدأ في طهو ، يزيد من سرعة المشهدين ، وأصبح واضحا أن الفنانين قد انغمسوا في شديده . وسرعان ما أخذت الحلقة كلها تتأرجح الى الأمام وإلى الخلف في اندفاع رهيب . وتحولت الأصوات الى صرخات خفسة . وأصبحه الطبلتان الكبيرتان فقط صا اللتين يرتفع صوتهما على صوت الضجيج . وبين كل حين وآخر ينفذ أحد الدراويش في عصبية شائعة ثلاثة أو أربعة أقدام أعلى من رؤوس الآخرين . ولكنهم في التألق والفرح متشبهين بواقهم في بقية واحدة ، وهم يحدون رؤوسهم حتى تكاد تقترب من أقدامهم . ثم يترجون أنفسهم الى الخلف بصف لدرجة أننا نحن الذين

بغف حلقهم ، كنا نرى وجوههم شبه مقلوبة - ومع هذه السرعة الرحبة لم يكن هناك وقت تستغرقه شعورهم في الارتعاج أو الهبوط فطلعت مصفحة في وسط الهواء ، واستمر الاعتياج وصدل السرعة في التزايد ، صرخ بعضهم ، وتناهى البعض الآخر ، ولم يستطع البعض الآخر أن يستند نفسه أكثر من ذلك ، فاصسك بهم المتفرجون حتى يطلوا في أماكنهم ، وكانوا جميعا قد أصبحوا حينذاك شبه مجاثين ، وأحيرا أصبحنا بأن رؤوسنا تدور ونظرت أكثر من سبعة نحو الباب تطوعس الرغبة في الخروج ، لقد كان المنظر مرعبا ، ولم يكن يحتاج إلا إلى الظلام وضوء المصباح حتى يصبح مسرحية كاملة ، ولما وصلت النضمة إلى كرومها وبدأ أن المبي يتسابل للآلام والحلب فوق رؤوسنا ، نزع أحد اليانسين حارحا من الحلقة وسقط وهو يتلوى وصرخ بالقرب من الداستا ، وفي نفس اللحظة صرخت القائد يندبه لتهاوى الفتاوى متفدين وضبح الجلوس لاهتي ومنهوكي القوى ، وأصيح فجأة أول ذكر كما يطفون عليه - ولم يستطع القليل منهم التوقف فورا ، فاستمروا يتطوحن ويصعدون مع بعضهم بصوت خفيض ، بينما توقف الرجل الذي انتابه النبوة النصيبة في المراح ، وظل مميدا بطوله في الخارج وهو متصلب ، ويبدو أنه دخل في حالة غيبوبة .

وفي نفس الوقت حدثت بين المصاحدين مهمة تميز عن الرضا ، وقد أعلن أن ذكرا أحمر مسوف يبدأ حالا منعسا بعدد أربع جدد ، ولكن الأوربيين بألوا كتابتهم من المصاحبة بينما بقي القليل منهم للمصاحبة الصلبي القلبي .

ومعه خروجنا توقفنا عند المسكن المظلي على الأرض ، وسألنا عما إذا كان من الممكن عمل شيء له ، فقال أحد المؤقتين لصرايح الملى كان واقفا - ، لقد حسه الرمبول .

وفي هذه اللحظة خرج القائد وركب يجالسه جلس رأسه وصدوره في رفة وحسن بشي في أذنه ، ومن ثم تصلب جسم الرجل وصار أيضا اللون كانت - وانتظرنا حتى رأينا بعد دقائق قليلة يصارع ليمود في حالة من السحر وعدم الانتباه ، وحينئذ ساعده أحدناؤه على الوقوف واشتدروم حارحبا .

ومعه خروجنا كان علينا مرصعا بالدرويش الجانسين في القل يشربون القهوة على ذلك من الخيزران ، وقد خلقت الأوراق المتفراة فوق

الرؤوس ، وبينها لحالت عميقة من ورقة السماء ومساحات لاسية من ضوء الشمس . تتساقط على مجموعات من الأشخاص ذوي الظل الممتد ، في عبايات حلزونية بلورية . إن هذا المنظر يمثل موضوعا جديدا للرسم يمر بجانب الرسام وهو يشهد ولكنه يعيش في ذاكرته إلى الأبد .

ومن تلك اللحظة وقد أصبحنا على بعد دقائق قليلة من مصر القديمة حينما إلى جامع عمرو ، وهو مجموعة من الترابل عديدة الأهمية تقف وحيث بين القلل الخارجة من أول عاصمة إسلامية لمصر . وهو مقام على مربع منمرل مساحته ٢٢٥ قدما مربعا ويحيطه رواق منظم مكون من صلب واحد من الأعمدة في الناحية الغربية (التي تشمل جانب المصل) . وثلاثة أعمدة في الشمال وثلاثة أعمدة في الجنوب ، وستة أعمدة في الشرق التي فيه مكان الصلاة . والمسجد يتوسط ثلاثة محاور من مقبسة والمبشر أما الأعمدة وعددها ٢٤٥ عمودا فقد التزمت من المباني الرومانية والبيزنطية القديمة . وجيها من نوعيات مختلفة من الرخام ، ولها تيجان متنوعة الأشكال . وسطها قصبة جدا ، ولذلك وضعت على قواعده مرتفعة وغير متساوية . أما الارتفاع المطلوب فقد تم التوصل إليه بإضافة عمود ثان فوق قمة العمود الأول . وقد رأينا عمودا نادرا من هذا النوع مصنوعا من الرخام الأسود والأبيض النادر والذي يجد مثيلا له في مصر كنيسة القديس مرقس في المنفدية . ويتضمن أحد المحاور بطس القطع الصفرة من الموزايك البيزنطي . ويبدو أن المبني يكامله قد تم تجميعه بطريقة عشوائية . كما يبدو أنه يدين بحالته المتناحية الحالية إلى روائع تنفيذ البناء وليس عنصر الرمي . إن العديد من الأعمدة خاصة في الناحية الغربية متساوية ومسطحة . أما الغربية المتناحية الأضلاع التي في الوسط فانها خربة وبدون سقف . وكذلك فإن المذبة التي في الجنوب الغربي لم تسلم من التخريب .

وعالقم من انتشار جامع عمرو إلى رحلة التصميم كنوة التخليص . فإن أهميته سود إلى أنه تحفة الطلاق في تاريخ الحضارة الإسلامية . وقد بناه عمرو بن العاص الفاتح العربي لمصر في السنة الحادية والعشرين للهجرة (٦٤٢ للميلاد) بعد عشر سنوات من وفاة الرسول . وهو القم عبادة إسلامية في مصر ، ولهذا السبب سمينا بمشاهدته يصرف النظر عن الأسباب الأخرى . والمكان مكتشف وموحش ، وكان الموضع المنعكس

من كل جوانب المربع حديدية الكثافة حتى أننا نقفينا الصعداء عندما جلدنا
ثانية إلى السوارع الضيقة بجوار الدهر (٢) .

وهنا صادفنا موكب عرس مكونا من حشد من الرجال ، وفرقة
موسيقية وثلاثة أو أربعة من الحناظر المؤجرة التي تنقل بالمسياء
المحجبات ، ولقد تمكن تمييز العروس من بينهم . أما العريس فكانت يسير
بين الرجال الذين كانوا يداعونه وهو صابط بالطبول الضخمة التي تدون
تقدمه ، بينما ترتفع حلجلة للمحرف ولفرات الطبول الضخمة على أصوات
المضحك والصفاح . وقد سمعنا جملة مرتفعة تصدر عن آلة تعطي
أسوأنا تقربه موسيقى القرب .

وكأن بعد ظهر ذلك اليوم جنرنا . والتذكر أننا الهينا جهشا بركوب
الحناظر في شارع شبرا ، حيث اللينا نظيرة على حقائق القصر الصغير
للنديو . ويمتدح شارع شبرا بشاية شاترليزية القاهرة ، ويردح
بالناس يوحيا ما بهي المساحة الراسية إلى الساحة والنصف . وهنا نجده
على جانب الشارع حلقاف لتقديم المشروبات أقيمت بالتبادل مع الديلات
الحديثة الأنيقة . ويركب الفلاحون دوا الملائس المتواضعة صبرهم
المهركة القوي حسا إلى حطب الملحق بالدولماس الأنيق الذي يركب
جوادا عربيا مطعما ، بينما يركب السائحون الحناظر المؤجرة . ويركب
رجال المال اليهود عربات مشاة يجر كلا منها حصانان ، وتركب الحريم
المحجبات عربات بريطانية الصنع يسير كلا منها حصان واحد ، ويركض
المصاحب المحلات الإيطاليون ملايس متبرجة خارجة عن الأدب . ويركب
الكنيسوخ المؤثرون السيد المفضلة التي تقهر بها القاهرة . ويسر الضباط
مرتدين على الردنيجوت ذلك الحداقل والمراوى المطرودة . ونسر البنات
الانجليزيات وهي يرتدين القمصان الضالقة والبطلونات الضيقة المخصصة
لركوب الخيل . ويتبعهم السائقس الانجليزى الصغير ذو الهيئة الرزينة .
ويسير الناس يسبق بعضهم الآخر أو يتبعه في تيار غير متجانس لا يهدأ
ودائم التغيير . ولا يمكن رؤية مثيل له في أية عاصمة أخرى من عواصم
العالم . ويركب أباه الكنديو مركباتهم هنا يوحيا ، أنهم دائما في
مركبات منفصلة يسبقها أربعة من السائقين وأربعة من العراس . وهم
من كالة الإحصاء والأشجار ، اجتداء من وإلى المهدي وهو شاب ضاحك اللون

(٢) اعتدت هيئة الآثار منذ عدة سنوات بتسريح هذا الآثار الذي رغم أهميته ليست
العلمية ولا كانت بغية ترفيهية لا تفرح بشئ . وقد أجد قضيعة كبداني المشاه ودمه
وقد لا يوجد بالثقافة والأشجار - (انظر ص ٢)

يتمتع بظهر السادة يبلغ من العمر الرابعة أو الخامسة والمفرد ، حتى الطفل المتصلب الصغير الحجم الذي يبلغ حوالي السادسة من العمر ، وقد ارتدى ملابس رجل صغير . وهو يطل باستمرار من نافذة مركبته إلى الخارج ويسرّ معالجة حذى المركبة بصوت مرتفع (١) .

ويصرف النظر عن هؤلاء المترددين على شوارع شبرا كثيرا ، فانه تسارع يصلح حقا لسير المركبات ، عريض ، ومبسط ، ويرتفع حوالي ستة أو ثمانية أقدام فوق السطح المزدوج . وعلى جانبي الشوارع زرعته لتجار السطح والتي تمتد لمسافة أربعة أميال خارج القاهرة اعتبارا من المحطة النهائية للسكك الحديدية حتى القصر الصيفي ويسهل عرض طريق سير المركبات إلى عرض الطريق الذي يعبر حديقة الهادييلوك والتي تربط بين بايروور بين كنسبتون في لندن ويجري الطريق بالقرب من النيل حتى نهاية شبرا . والكثير من أشجار الجير صممة الحجم ومستديرة الجذع ، تلتقي درجتها في أعلاها تقريبا لأسجة ظلا رقيقا وصائما لتقا أحضر رطباً من المنطور الطويل .

ولم يبق في حدائق المخروعة فترة طويلة لأن الوقت كان قد بدأ يتأخر عندها وصلنا إلى البراريات . ولكننا توغلنا بما يكفي لمعرفة أنها كانت تلتقي الرعاية المتكاملة بشكل مبهول ، وليس فوق المادة . وقد أعيدت بحيث تبدو منظر تجمعات الخضرة . والمرات الظليلة . وفراغات الأرض المزروعة بالمساش والمزخرفة بأحواض الأزهار على مثال حدائق مسارتيم ومؤثر في بونيس بإقليم النيبول (٢) . وتوجد هنا أشجار السط من جسم غير عادي ، وقد تكاثرت على سطحها حرم متفرقة من الأزهار الصفراء ، وتفرقت أشجار الرمال والسمون والكرام من أشجار المراد الصفية الخضراء . وتعددت اللز التي تحمل سباطات ثقيلة مصطبة بالتحار الناضجة . والأحلام المثلثة من أشجار الرمان وأشجار اللؤلؤ المزهرة . ولشجار الصافيا التي تزور للبرنة وأحواض صينية ، وضفاف وصبرات وتكميمات من الأزهار لم الأخط بينها أية تشكيلات مألوفة . كما من أحجار الجرسية (بيضاء كسبيكي) فهي تبدو في مصر ويصل ارتفاعها إلى عشرين قدما . وتحتل أزهارا تفضل في حجبها ولونها إلى مدى

(١) وإن العهد المتكرر . أصبح الآن للتحيز توجيها بأهلا . (اشبهت هذه الملاحظة إلى الطبيعة لانتية)
 - (٢) للعلم يقع في شمال إيطاليا بالقرب النمسا كان محل مراح بين الفونتين في مكال
 فترات التاريخ الحديث - (للمجم)

لا يستطيع أن تغلبه في أنجلترا ، ورائنا لشجارا صحبة سواء هذا
القاهرة أو هي الإسكندرية نيمو كما لو كانت تمنحني نص عبادة من
النجوم العصرية ، وكان محيط بعضها لا يقل عن اثنتي عشرة
عند الكياس -

ويستل اعظم مناظر القصر في المناقورة الإيطالية الفسحة التي
في طراز الروكوكو المساري المحرف ، وقد لمضعا في خلال الأشجار
ولمضعا في البستان الذي كان يصحنا كان يتضممها في أقرب
ولم يهمل لنا نفلنا في صرف وقتنا في المشجرات وأحواض الأزهار -

وعلمنا كنا مركب المنطور عائلتي في اتجاه القاهرة وجع كل منا
بأقبة كبيرة في الورد ، وأينا الشمس وهي تغرب داخل عالم وردية لاهمة
والسحب الذهبية ، والبيد يطفئ مثل غدير من البور السائل ، وأسطولا
في القوارب الشراعية متجها إلى بولاق ، تسوقه نسمة من ربيع الشمال ،
وقد أصبحت هذه الأفرعة الانسيابية ذات أهمية بالغة بالنسبة لنا حيث
أثارت مشاعرنا بالعمل ، إذ انسى نحن هذا الاكتشاف المطير حتى آخر
لحظة - لأننا كنا متبدا في اليوم التالي رحلتنا الأولى

وهذا هو السبب في أني استعظمت في وسط رحام هذه المناظر
الجديدة والملمحة أن أتذكر تماما التواريخ وكافة الأحداث المرتبطة بهذين
اليومين الأخيرين ، وقد كانا آخر يومين تفصيهما باللامر - وكان علي
أد مرحل صباح اليوم التالي وهو السبب الموافق ١٤ من ديسمبر على
ظهر ذهبية نرسو الآن عند البوابة الحديدية في بولاق - وسببنا هذه
الحياة المائية العصرية التي كنا نمتظرها متشبعين بالكثير من الأعمال
والمخاوف ، والتي كنا نتطلع إليها من خلال العديد من المتاعب الحديدية -

ولكن المتاعب انتهت الآن ولستفرت كل الأمور ، بالرغم من أن ذلك
لم يمس بالطريقة التي أردناها في البداية ، لأنه بدلا من قارب صغير
استأجرنا واحدة من أكبر المراكب المماثلة على سفينة النهر ، وبدلا من
الذهاب بفردنا قررنا أن نبقى في مركبتنا بثلاثة صائمين أحمرين ، كان
أحدهم قد تمسك بالكتابة حديثا ، والأخر تار صديقنا الأول ، كانوا جميعا
في طريقهم خارج أوروبا ولم يتوقعوا أن يتفصوا في القاهرة أسبوعا آخر -
ولم نعرفه عنهم شيئا سوى أسمائهم -

وفي تلك الوقت كانت الكاتبة وصديقتها فرعان في ماجير اللحية
يمتدحها - وكانتا على وشك الإبحار عند عشرة أيام سابقة - ولم تصبنا
الإبحار إلى أبعد من الروضة (وهي المحطة النهائية التي تصل إليها سكة
حديد النيل) وهناك تنتظران وصول بقية الفريق - وإلى أن تروضة
تقع جنوب القاهرة بمسافة مائة وثمانية عشر ميلا - وقد حسنا حجم
الحسبة لتقدير المسافة اللازمة لمشاهدة أهرام سفيرة ومحاجر طرة ومقابر
بنى حسن وكهف النخل الصلاق - وذلك قبل وصول السباح المراهقين •

وقال الفريق : « تعرفان أن ذلك يتوقف على الريح » • قال ذلك
وهو يتسعم اهتماما ودية • لقد عرفنا أن الأمر يتوقف على الريح •
ولكن ماذا بعد ذلك ؟ أنهم يصرحون في مصر أن الريح تهب دائما من
الشمال في هذا الوقت من السنة وبذلك يصعب أمامنا عشرة أيام كاملة
ننصرف فيها كما نشاء - وكان من الواضح أن الملاحظة خارجة عن
الموضوع •

الفصل الثامن

من القاهرة إلى الإسكندرية

بادروا بالرحيل بأسرع ما يستطيع الجوادان الأشهبان الهزيلان إن حصلنا - بعد ديارية سريعة خصا بها إلى بعض المحلات القريبة ، لشراء الأشياء التي تذكرناها من آخر خطة - وحينما ونحن مقطوعو الأنفاس طرودا هديئة • وبعد أن أدبنا بعض تحيات الوداع للتمجلة على سلام الفسق - ذلك أن كل لحظة لها قيمة في ذلك الصباح - كنا متأخرين حيث لنا منتظر حضور بعض الزوار وقت الظهيرة للقاء على ظهر للجمعية •

وكان يجب علينا الامتراج بالجمعية في الساعة الثانية بعد الظهر حتى يتحقق لنا في الوصول إلى بولاق قبل فتح الكوبرى الذي يمر خلاله إلى الضفة الغربية حيث نرسو فحيتنا قبالة الميدان الذي نلصقها • وحتى لا نشعر بالخيبة إذا وصلنا في تمام الوقت المحدد لفتح الكوبرى ومشاهدة قول صار طويل يمر خلاله •

وعلى كل حال فإنه عندما لاحظ أولئك الذين يراقبونا علامات طلب المساعدة التي أطلقناها ، أسرع اليها صندوق رخيخ أو للوحة زائفة اللون كما يسمونها ، كان صعبا بالبطاطي والرسائل ، يقوم خصصة من العرب الباسمين وأصمعي عليا بريطانيا صغيرا لهما • وكان الصندوق يشق طريقه بين الصنادل المتراصة في منزل الكوبرى • وبعد عدة دقائق سارت فحيتنا لأن هذا الصندوق كان حلقا بنا هؤلاء الفسقة من فحيتنا • وس بين المعينات الثلاث التي نريث منها في ظل لتجار النخيل كانت دجيبينا الغريبة التي لا تسمى ونسجها • فبسة «Fables» هي الأكبر والإكسبن استعملها •

وكانت نرسو خلف فلة ذهبية أخرى تسمى باجسورز وهي ذهبية صغيرة لطيفة لسيديتي انجليزيتي لصادف أن كانتا تهربان معنا في المركب • سيلا • من برنديز • وقد رايناها مررت عديمة صا جلنا

تتبرحها حينذاك بمثابة صديقتها قدسيته في الرص الخروية ، وسالطوق
عليها اسم م ، ب . أما الذهبية الأخرى التي ترمسو أمامنا على بعد عدة
ياردات فهي تحمل العلم الفرنسي ومؤجرة لعدد من الوجوه الفرنسيين .
وكان من المقرر أن تبحر الذهبيات الثلاث اليوم . نحن الآن على سطح
السفينة وقد ملأنا على القبطان وأنفسنا مثل الحمل ، فقد كانت الكيائن
في حاجة إلى الترتيب ، والأزهار في حاجة إلى التلميع . كما كانت
هناك مئات الأشياء الصغيرة التي يجب النظر فيها قبل وصول الضيوف .
ولمى للمعنى تصور مدى ما يمكن أن نعمله بمضى الكتب والورد والياسمين
المتنوع مع لوحة أو الستيد من اللوحات المرسومة باليد ، وخلال دقائق
قليلة رالت النظرة للكدوة المرحقة وبعد الذهبية قبلة ذات الطلعة الهية
داقنة مثل البيت . كما لو كانت مشغولة بسكانها من شهر وذلك قبل
الاعلان عن وصول أول القادمين .

أما عن الفناء فمن المؤكد أنه قد أدمى حلقى التسليمة مثلما أدمى
صيوغهم حيث كان يتنقل في عرض سباق الترتيب ، يتبرح الاصحابه
بالترجمان والطباخ ، كان يقبض كثيرا فداء عيد الميلاد (الكريسماس)
باضط التكلفة أكثر منه رغبة متوسطة وسط النهار . وجلسنا حوله
بلا تردد لمدة ساعة وثلاثة أرباع الساعة عندما صلت أسباعتنا طلائع
نارية جبلتنا فجري على سطح الذهبية . واتسعت تحولا شاملا لصالحنا .
كانت الذهبية الفرنسية تعلق على أبحارها وقد بسطت شراعها الكبير
وحجرت في شكل يميز عن الانكسار .

وأحس أن تكون نحن دكالب الياجستور وقيلة - وقد كنا مجرد
مبتدعات انجليزيات - قد عمزنا من مواجهة الاحساس بالقليل من الحق
عنفاً وجدنا أن الذهبية الفرنسية قد دخلت في البداية ، ولكننا شعرا
بالإرتياح عندما عرفنا أن الفرنسيين كانوا في طريقهم إلى اسوان فقط .
وعلم في روح النيل . أن دكالب الذهبيات بمحفوظات سياج توماس كوك
حزلاً ، الذين يقصدون الشمال الثاني ، بينما ينظرون بسخط عميق نحو هؤلاء
الذين لايتد طموحهم إلا إلى الضلال الأول فقط . أما السياج الذين
استأجروا حركهم لمدة شهر فاتهم ينظرون ، بأعمالهم أهل من هؤلاء الذين
تعاقدوا على الرحلة فقط . أما نحن الذين تعاقدنا على الخطى إلى المسافة
التي يريدها ولكة التي أرادها ، فقد كنا في موضع الاختيار ، ولذلك
سأضربنا الفرنسيين . ونزلنا مرة أخرى إلى الصالون وتناولنا أكلة على
أنفاج الميرميتي .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة تقريبا عندهما ودعنا أصغلاهما الذين اتوا من القاهرة ، ثم عادت السيدتان م . ب . وابي أخيهما ، وكانوا ضمن الرافدين ، الى مركبهما واستعد كل من القبطانين للإبحار عند صعود الإشارة لأى السيدتين . ب . لـه اتفاقنا معنا على الإبحار معا ، والرسو معا ، والبقاء معا على مدى الرحلة عبر النهر بقدر الاستطاعة ، ونفى الآن تسمى بالمساعدة عنهما نذكر هذا الاتفاق الودى ، الذى تم تنفيذه حرفيا حتى وصلنا الى أبى مسيل ، ولم نخرج عليه مقلما يحدث دائما فى مثل هذه الاتفاقات ، أى أنه قد استمر مسؤولا به لفترة سبعة أسابيع شاقة ، ولطيفة تجتاوز لمائة ميل .

وأخيرا تم إعداد كل شىء ، وانزلت المظلة التى ظلت تغطى السطح العلوى طوال النهار ، ووقف القبطان على رأس الدراج ، كما وقف موجه الدفة أمام دفته ، وحمل القبطانين مضطجته المضطومة ، ولوحنا بتعديل سرعة ما إذا كانت المركب باستتور قد استعنت من عدمه - وجاء الرد بالإيجاب - فقد تم حل حبال الرصاة ، كما دلف اليخوت المركب بعيدا عن الضفة ، ولطقت الخناقل طلقاها . سمع طلقات من قذيفة ، وسنا أخرى من باستتور تم حطيفا وقد امتلأ هراغنا الحشم بالهراء .

ما اسمد المسافريين من النيل الذين يبعثون ويطعمون مع التسميم المليل بعد ظهر يوم وضاه ا وضعت المركب التسمية طريقها فى سرعة وثبات وأخذت الكصور والمنازل التى على جالبي النيل تتلأأ تم تتوارى خلفنا ، كما أخذت قباب ومآذن القاهرة تتباعد بسرعة عن الأنظار ، وأخذ طبع القلعة وخرائب الحصن التى يطل عليها من فوق الحافة الجبلية لتسجل كلما أقمنا ، بينما طلت الأهرام خلف حافة وقاهرة .

لما نحن قد جلسنا على السطح العلوى المؤثث بالكراشى المريحة والمفطمة والبطاطس الأجنبية مثل مقصورة فى الهواء الطلق ، واحدا لمستمع بالنظر الطبيعى ونفى فى حالة الإسترخاء ، ومن هنا يبدو الودى مضما والضفتان صليحتين ككلمان من ساحة حديثة الانفصال من الشمس المتهاير بجوار مجرى النهر ، وظهر حزام طويل من أشجار النخيل ، وزراعات واسعة من القمح الحديث الإنبات ، ترتفع سيقانه عن سطح الأرض بوسة أو بوستين ، ومجموعات من البيوت المبنية بالطوب اللبن يتسل بينها أحيانا قبة صغيرة مطنية بالجير أو متدلة عالية تتبع أحداها الأخرى على جالبي النهر ، بينما تمتد الأفق من اليمن والشمال صفوف

طويلة من نلال البحر الجبرى التى يتركها بين طياتها ظلال دقيقة ينمى فيها اللونان البفسجى الساحب والأزرق بشكل لا يمكن التعبير عنه .

وهكذا نرى الاميال ونعترق شيئا فشيئا من بلده . وهى قرية طيبة كبيرة ذات شكل جديد ، كما أنها أول ما نراه على هذه البعد . ان بعض المنازل مغطاة بالحجر ، والباقى منها له مواقد رصاصية . ويبدو أن الكثير من هذه المنازل لم يتم بناؤه بعد . وهناك فضاء واسع من البحر الأبيض يعصل القرية عن الجبال التى تفرح بالمحاجر خلفها . والجواسب انى لتكسب عن كافة الأطراف والشقوق - وهناك صخرة عظيمة يبدو أنها قد شقت طويلا لمسانة نعل الى نصف ميل . وعندما تصادف شقوقا جديدة ترى البحر الجبرى يورد منها لأمع البياض . وقد تكونت المنحدرات الطويلة من الاقواس أسفل الصخور اللامعة مثل الكوام الثلج التى تلعب تحت أشعة الشمس . ولكن السطح الخارجى للجبال يميل الى اللون الأصفر المترب بالسرة مثل الأحرام . لها اكوام الكتل البحرية المقطوعة التى ترفد مكسفة بطول الضفة والمجهزة للقل فانها تبدو كما لو كانت من الملح وليست من الحجر . وهنا يرسو أسطول كامل من قوارب نقل البضائع - محملة أو جار تحميلها . وبرى سلسلة طويلة من الربات التى تجرما البغال وهى تبض دهاها وأياها بطول الطريق الممتد من جانبها الدهر الى المحاجر .

أن المادة المستخدمة فى بناء كافة المباني الجديدة بالقاهرة زهى تصور التخدير . والمباني الحكومية . والمباني الحديثة الجديدة . والفسواح . والفسواح والأرضيات المبلطة المسقة . والمباني . كلها تأتى من هذه الجبال - تماما كما حدث بالنسبة للأحرام منذ أكثر من ستة آلاف عام مضت . وكان من الممكن أن تشاهد ملامح فرعونية ومملكات منقوشة فى القمم أجزاء المحاجر . إذا تولفتنا هناك خلال هذه المرحلة المبكرة من الرحلة . ويتحدث تلاميذ عن خطين تاريخيين عظيمين مرسومين بالحجر الأحمر على الصخرة الكبرى بيد أحد المسئولين عن البناء أيام الفرعنة . وهى صخرة لم يكن قد بدأ تقطيعها بعد . وتصل إلى نهاية القرية حيث توجد كتلة عسكرية جديدة مخصصة للمساحة وحيدان فسحج محاط بكسجر الجميز والتين .

والآن ، ومع انقضاء فترة بيد الظهور يصل الى غابة منسمة من إتحجار للنجلى المطيعة على الضفة القريبة ولعلم أن خلفها دواوى منب وكذلة عجائز سفارة ، يالرفهم من أنها لا تبدو ظاهرة للبنى . ثم تغرب الشمس

حلف نلال الصحرَاء، القريية ، وتقف الشجار البكيل بلونيهـا الأسمر والبرونزى مقابل السماء الذهبية . أما الأهرام فتظهر عطدية على البعد خلفنا . والآن وقد حل الضسق وظهرت النجوم، فقد وسعنا لقضاء الليل عند الهرسين وهى اقرب نقطة لزيارة سفارة . وتوجد هنا محطة للسكك الحديدية ، وقريه كبيرة . تمان هما ككتاعبا حلب الهر بمسافة تقرب من نصف الميل . أما المسافة إلى القاهرة والى تقاس بخمسة عشر ميلا على الأرض فمن المحتمل أن نصل إلى ثمانية عشر ميلا في الهر . وكان ذلك هو أول اياضا على صفحة النيل . وربما يجب علينا قبل أن نقضى في رحلتنا إلى أبعد من ذلك أن نصف الذهبية فيلة وتعرف على الرس جسس وطائفة .

أما ذهبية تبدو للوحة الأولى مثل لقبي مدني نو حاصي بجامعة ألسفورد أكثر منها شيها بالمراكب التي تعودا عليها في إنجلترا . انها ضحلة الصق عريضة القاع ، وله جهزت اما للإبحار بالشراع أو بالتجديف . وبها صاريان ، الأكبر منهما بالقرب من المقدمة ، والأصغر عند المؤخرة . أما القمرات فهي على السطح وتحتل القسم الخلفي من السفينة . ويشكل سطح القمرات السطح العلوى للسفينة أو المقصورة التي في الهواء الطلق والتي إشرابا إليها من قبل . وتصل إلى هذا السطح العلوى من السطح السفلى بواسطة سلم من درجين ، وهذه هي المنطقة المخصصة للمسافرين . أما السطح السفلى فهو المنطقة المخصصة لطاقم السفينة . وهى في الطبيعة لا تشبه بسفينة نوح التي تذكرها عند الطفولة نظرا لوجود لارف . هو أن البحرة الممول يقع كله في طرف السفينة وليس في وسطها . وهو مرتفع وورود أيضا بالثواند ، بينما السطح الأسامي لا يتجاوز ارتفاعه ستة أقدام فوق سطح الماء . أما غرفة القادة تقع تحت المسطح السفلى وبذلك يحدث التوازن في الطرف الآخر . وليست هناك ضرورة لذكر مقادير أخرى ، ولكننى أقول أن الماحسة الكبيرة تذكرنى بالصورة القديمة لسفينة القرامسة خاصة عندما يجلس الرجال إلى صناديقهم .

أما المطبخ الذى هو مجرد سفينة فالكه شبه القرن الألفاني من حيث الشكل ويشتمل على فون يصل بالقمم البياني وصف من أوعية الطبخ ذات الأنظمة ويضع بين الصاري الكبير ومقدمة السفينة بيتدا من لارات الركاب بقدر الاستطاعة . ونى هذا الموقع يحشى الطبخ من الرياح المواتية داخل سقفته ، أما في حالة الرياح المكسية فان هناك مظلة تحجب عنها . أما كيف يستطوع هؤلاء الرجال حتى في أحسن الظروف

لما أتته إن يقدروا الوجبات الفاحشة التي ستجر بحجره الخليج الذي في
 قسب الليل . كان هذا جنير المصيف بما فيه الضمايه . ولكن ليف يحفظون
 نفس استناب عند هبوب المرافص العاذية أو الرماية عندما تكون كل
 من حيلة سجات الرمل الدقيقة فهذه عملا من المصيرة . وتضمايه
 جميع اندييات . في حين يختلف قريب القمرات حسب حجم المركب .
 وعلى القاري أن يذكر أمي وأما أصف فيله أما أصف شعبيه من الحجم
 الكبير حيث يصل طولها من المكسة الى المؤخرة الى حوال مائة قدم . كما
 يصل عرض سطحها العلوي في تعرض لجرائه الى حوال العشرين قدما .
 أما قمرتا التي تنحصر قليلا عن سطح الرجال . فانها تيملنا فقط
 للاب درجات الى باب السور الذي كان يقتصر دولابا خارجيا على كل
 من جانيه . يستخدم أحد الدولاب كمنزلة بيننا يستخدم الآخر لسطح
 أدوات المائدة . ويقود هذا الباب الى من تفتح عليه أربع قمرات للنوم
 بمعدل اثنتي على كل جانب . تبلغ مساحة كل من هذه القمرات ثمانية
 اقدام طولاً وأربعة اقدام عرضاً . وتحتوي على سرير وكرسي
 وخوص ثابت للاتصال . ومراة معلقة على الحائط . ورق . وصفت من
 المنطلييف . ويوجد تحت كل سرير درجيان كبيران لسطح الملابس . وعنده
 نهاية هذا المسر يفتح باب آخر يقود الى قاعة الطعام التي تتكون من
 حجرة بيضاوية واسعة يبلغ طولها حوال ثلاثة وعشرين أو أربعة وعشرين
 قدما . وتقع في أرض جرد من جسم المركب . ويعدل إليها الضوء من
 أربع نوافذ في كل جانب وطانة علوية . أما المرواط للمطاة بالألوان
 الفسجية والسقف فقد كانت جيمهما مطلية باللون الأبيض الحامض
 باللون السعبي . ووضعت بطول كل جانب منهما فريكة منجدة مغطاة
 بلسان من الصوف المنج على كل من الجانبين . أما الأرضية فتغطيتها
 سجادات جميلة من بروكسل . أما مائدة الطعام فقد وضعت في وسط
 الغرفة . وكان هناك أيضا فراغ فسيح للبيانو وخزانة من صناديق
 للكتب مع العديد من الكراسي . أما سائر النوافذ والأبواب فقد كانت
 من نفس النسيج المطاة به الأريكة . أما الألواف المائلة فهي القرصى
 والبرقلى . هذا بالإضافة الى اثنتين من المرايا داخل طائرين مطليين
 بياض الذهب . وعلى المائدة زهرة تحلل الأزهار (لأنه نادرا ما اقتطعا
 الأزهار من أى نوع حتى في النوبة حيث كانت الباقة اليومية تقدم اليها
 مع بعض أزهار القور الأخضر وحبات الخروع) وقد وضعت في أحط
 الأركان كمية كبيرة من الكتب والينلدى والمص . وقد علقنا بعض
 المجموعة كلها في الفراغات التي بين النوافذ فكان من السهل أن نتمرف
 الى المنظر المنزل الذي تبرزت به حجرة الخيشة .

وهناك بالغ وممر آخرون معوجون من مؤخرة الصالون يقودون الى ثلاث قسرات اضافية للنوم منهما اثنتان يسير واحد في كل منهما والثالثة بها سريران - وهناك حمام ودرج صغير يقود الى السطح العلوي والصالون الفخورة التي في مؤخرة السفينة - وهذه الأخيرة تشبه المؤخرة من حيث الشكل نصف القناري ، ويحل فيها الضوء من ثمانى نوافذ وتكتنفها أريكة ، ويوجد تحت هذه الأريكة والأرائك الأخرى التي في الصالون نصف من الأندراج العتيقة التي قسمت بالتمشوي لوضع ملابسها وليندما . وكثيرا - ولما كان طول اللحية يبلغ مائة قدم بالنظام فإن الجزء المشغول بالقمرات يصل طوله الى حوالي ستة وخمسين او سبعة وخمسين قدما (أى انه يربط عن النصف بحوال ستة فوسيلة أقدم) أما السطح السفلي من طوله يصل الى الثلاثة والأربعين قدما الباقية ، ولكن هذه الأبعاد تقريبية لأنها مأخوذة من الذاكرة .

وكان الطاقم يتكون من الرئيس أو القبطان وعدوى المدفعية والاعلى عشر بحارا والفرسان ورئيس الطباخين ومساعده واثنين من الجرسولات ، والولد الذي كان يطبخ طعام البساطة - وكان الرئيس حسن قصبه القامة وسامم النظرات ومتوسط الهيئة وهو من العرب الذى يبيتسون في القاهرة .

أما الترجمان الياسى تلحى لكلى سوريا من بيروت - أما الجرسولان ميشيل وحبيب ورئيس الطباخين (كان عجوزا مسنود الوجه وليس وشاحا أذرق واسع حصى رموى) فهم أيضا سوريون - أما موجه المدفعية وعده خمسة من البحارة فقد كانوا من الأقصر ، أربعة منهم ينتمون الى مكان غريب من قبلة والآخر من قرية مواجهة لمدينة كوم أمبو ، ويحار من القاهرة . واثنان نوبيان من أسوان - وكانوا لدى أجسام متخلطة الألوان . تراوح ما بين البرونزي الأذرق - الى لون يغرب من الأسود . ولا أجد لأولى وعلة ما أقوله عن كل منهم سوى أنه بحار يليس صديريا وعامة ، ولكن هؤلاء الرجال وهم يرتدون عبائهم الزرقاء المختوشة - حلة الأكدام ، وعبائهم المختوشة من قماش المرسى الأبيض لم يكن منظرهم جديرا بالتصوير فقط . ولكنهم كانوا يرتدون للباس الذى يجب أن يرتدوها . وكانوا في الغالب شبالا ذوي أشكال وحيدة ، لجسامهم نحيفة ، ولكنهم

قويه ، وأكثافهم مريحة مثل تماثيل قبسا ، المصري ، ولهم مفس السيمان
 الرجمة والاعدام الطويلة المظلمة ، وكانوا ذوي طباع لينة ، بشيطي ،
 وسنوكهم حسي ، يشعرونك بأهم أصدقائه ، لم يجذب أحد منهم مجددا ،
 وكانوا بضمير يبالغ في يالقة مثل الأطفال ، وقصصهم مثل السمك ، وكانوا
 يصالون بفرح في تروق الشمس إلى حضريها - أجهم يجذبون المعجبة أحيانا
 بحيل طوال النهار مثل حيول البحر - وأحيانا أخرى يدعون المركب يصعد
 طويلا عدة ساعات ، وهذا أصعب الأعمال ، ولكنهم في جميع الأحوال
 يغفلون أثناء العمل ، وهم دائرو الأضمار كلها محدثت اليهم ، ويظهرونه
 بظهر الأمير السعيد عندما يمالون حقة من الستار المصري الخشن ،
 أو حرة من أعواد القصب التي تباع بقروش قليلة على جانب النهر ،
 ومصر ما عرفت لسانهم جسيما وهم محبة على ، وسلامة ، وحبيبة ،
 ورزق على ، وحسن ، وموسى - وهكذا - لم يزل أحد منا إلى التناطح
 دون أن يصحبه واحد أو اثنان منهم للحراسة ولحماية الطنجات ، وكانوا
 مثل سائر الفراء أيديهم وأرجلهم ذرقاء بسبب كثرة الاستئصال ،
 ويحضرهم ألبا في السطح العلوي لملاجئها ، ومصر ما قبلها أحساس
 بالصدقة ببقنا وبينهم .

والأجر المتداد للبطار التي يصل في الليل هو جنبها شهرها مع
 بدل نصافي يبلغ ثلاثة جنيهات وستة بنسات الفراء المقيت ، والخبر
 هو شذوذهم الرئيس ، وهم يصنعونه بأنفسهم في أماكن ممية بطول النهر
 حيث توجه لهما دلتهم أفراخ علامة صخرة ، وهذه الخبر الذي يقطع
 إلى شرائح ويصيف في الشمس لونه بني مثل كفكة المرجبيل وصلابته
 مثل صلابة السكويك ، وهم يأكلونه مبعوثا في الماء المسخن مضافا إليه
 شورية الفس الكثيفة ، وليس عدا للناسيات الكبرى مثل عيد الميلاد
 (التكريسام) أو هجرة الرسول ، وهي للناسيات التي يقدم لهم فيها
 المسافرون لعم الخراف ، فالهم يتناولون هذه الخلطة المكونة من الخبر
 والفسي ويشربون معها القليل من القهوة مرتين يوميا ، ويتناولون بين حين
 وآخر حقة من الخبز ، وهذا في مكونات طعامهم طوال الرحلة ، فإن
 موسم فصل النيل هو فصل المصايد بالنسبة للمعاودة الذين يسلمون في
 النيل حيث يبدأ المناخ الحار ويرحل السباح مع تصفد السمود المهاجر ،
 حينئذ تقتطع هؤلاء البسطاء في كافة الاتصاحات ، بعضهم يبحث عن
 رزق في القاهرة كبغال والأثريون يتحولون إلى مولتهم في مصر الوسطى
 والعلما حيث يتم امتحانهم كسالم بحلول أرملة بنسات يوميا ، أو
 يملكون في تشغيل القنادل لفرى حتى يعود النيل فيغرق الأرض مرة
 أخرى - أما تصفيل القنادل فهو عمل شاق وعلى السائل أن يستمر

فيه على مدى تسع ساعات كل ٢٤ ساعة . ولكنه يفصله عن العمل في حضانة السكر الحكومية حيث يعمل متوسط الأجر إلى نفس التسمية ولكن العامل يقضيه في شكل خبز يتوزع بنفسه له كصفة دونه مراعاة لصوت حمارهم ، لأنه خفيف الوزن رقيق الصندع . أما البحارة الذين يجدون عملا في مراكب قبل البطائح هذه الصنف فهم أوفرهم حظا .

وكان القبطان وبحارة الدخية جميعا مسلمين . أما الطبايح ومساعدو تكافا مسلمين من سوريا ، أما القترجان والحرسون فكانوا مسيحيين تابعين للكنيسة اللاتينية السورية . وكان هناك واحد فقط من هؤلاء المواطنين الخمسة عشر هو الذي يستطيع القراءة والكتابة وهو بحار اسمه الجندى كان يحمل مئاعدا للقبطان . وقد تمود أن يكتب شيئا نظائيات وملائكة الآخرين فيمسك فصاصة من الورق يلقيها حول إبهام يده اليسرى ويستنشط حروفا عربية بدائية بقلم من البوص صنعته بنفسه . وبالرغم من أن هذا الشخص المسمى الجندى هو أقل البحارة أهمية إلا أنه كان رجل اجازات . فهو مثل كوميدي جيد ، وله دواية باصلاح الأحذية وحلاق من الدرجة الأولى . وقد حدث أكثر من مرة عندما ترسو بعضنا على آية قرية أنه كان يفتق رؤوس وملائكة لتصنع ناعمة مثل كراته الهلباردو .

ويوجد بالطبايح مسلمون ، طييون ومسلمون حبيثا ، مثلما يوجد مسيحيون طييون ومسيحيون حبيثا . في كل طبقة . وكان لدينا كلا النوعين على ظهر المركب . فقد كان بعض الرجال شديدي التقوى لا يمسون القيلم بالوضوء وإداه الصلوات عند الصروق والغروب . أما الآخرون فلم يحتسوا بأخبار ذلك مطلقا . وكان البعض منهم لا يلبسون الحبر أو يتدقونها طوال حياتهم وكانوا مستعدين لمواجهة كافة المشاكل والحرم على عدم مخالفة شريعة قبيهم . وكان آخرون يستطعمون مذاق التبيبة الحصف . ويمسحون مرأيا كاس من الروم أو الويسكي . ولكن من العدل أن نصف أننا لم نقدم لهم هذه الأثناء . فبما هذا بعض الملاحظات الخاصة مثل الكريسماس أو عصفنا كانوا يحضون في النهر . أو عصفنا يتألم التسب في خمننا . ولا أتعتقد أن رجلا واحدا من هؤلاء على المركب كان مساعدا لصرف طليم واحد من إيراده الضئيل على أي مشروب بخلاف القهوة . إن القهوة والدخان هما في الحقيقة المتعة الوحيدة التي يتلذذ بها الفلاح المصري . ولم يكن أصنافا السطاة هؤلاء أكثر امتنا ما هم عليه حيسا توزع عليهم أرطالا قليلة من المئان المحل الرخيص . هذا الخليط اللطخ الذي يباع الرطل منه في السوق مئة فلسات . إن النبات الذي حسم

منه قد استست من بدوه ذات وتية ادني ، هي تربة غير صالحة كيميائيا
لها حالة تماما عن البوتاسيوم -

وكذلك فان هذا السطح قد نما طبعا لأساليب زراعية غير سليمة ،
وبدلا من قطعه وهو أحضر تم تجفيفه في الظل ، تركت الأوراق لكي تجف
على السطح قبل جمعها ، والنتيجة هي ظهور نوع من الفس المتفشي بدو
قوة أو نكهة - ولا يصحح سوى انقار الطبقات ، بينما يتجنبه كل من
يستطيع شرب الشاي التركي أو السوري -

وكان يشاركتا يطمعون على شكل دائرة مرتين يوميا بعد الغداء
والعشاء ، ويحدثون في وقار شيشة من النوع المعروف باسم الرجيلة .
وبعد الرجيلة (التي كانت بداية الصنيع ومكوله من ثمرة جوز الهند
المجففة وعودين من البوص) كانت تعتبر ملكية عطفة - وبعد أن يقوم
القطبان بملئها تدور من يد إلى يد وص فيم إلى ثم طوال فترة استعطافها .

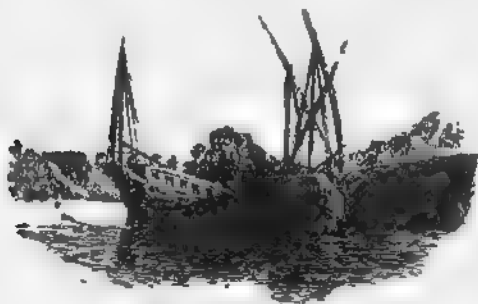
وكانوا في أحيان أخرى يدخنون السجاير ونادرا ما نزلوا إلى
الشارع ، بدون جراب السطح ودقتر صغير من ورق الشرة ، حل تصدور
أن هذا العربي البسيط يصنع السجاير ، ولا أظن أن لدى رجل عربي
يستطيع أن يلف السجاجة بسهولة أكثر أو يدهنها بهذا الأسلوب الأنيق .

وتنتهي خدمة البحار الذي يعمل في الليل مع انتهاء الفصل .
وبذلك فهو يعمل بالإنحة لفترة تبلغ نصف السنة ، أما وهيلة القطبان
فهي دائمة - ولذلك فمن المتوقع أن يعيش في القاهرة ويحصل مستوية
اللمبة خلال شهور الصيف عندما تكون راسية في بولاق . وكان
للرأس حسن زوجة وبنت صغير مريح في أطراف مصر القديمة فكان
ينظر إليه بوصفه شخصية موسرة بين رفاقه . كان يتقاضى أجرة جنيتهات
كل شهر طوال العام من صاحب فيلة وهو رجل عربي من أهل المنكب
طوله حوالي ستة أقدام وتسع بوصات ، له ابتسامة منفرجة ، وكان
يتصرف تصرفات النبلاء . بينما في فسطاطه يضم خيلوك .

وفي هذه الليلة الأولى دعانا رجالنا إلى حفلة موسيقية عندما كنا
نأسي على الضفة بالقرب من البيردشين ، ولا عرفنا أنه من المتأاد أحضار
الآلات الموسيقية ، سمعنا لهم بالانصراف لاحضار الطار والدريكة قبل
بث الحفلة ، ولا كان الطار أو الرق لماخرا جدا مصعوا من خشب الورد
ومعلما بقرق اللؤلؤ ، فانتى لا أظن أن هناك شيئا تم صنعه بطريقة أكثر

بربريه من الدريكه • فهذه العبيده البدائيه يبلغ طولها قدما ونصف القدم ، وهي تتحد شكل القمع ، وقد صنعت من العصار المجفف في الشمس مثل القله ، وغطيت فوهها الواسعه بجلد الثور الملقوى • وتوصح تحت الدراع اليسرى بينما يجرى النقر عليها بأصابع اليد اليمنى • ويبلغ ورمها حواى أربعة أرتال • وكنا نرغب في اصافه مرمار مزدوج أو كسجة تنقويه عرف الفرعه ، ولكننا لم نجد بين رجالنا من يعرف على أى منها • وعلى كل حال فإن الطار والدريكه قد أوفيا بالقرص تماما • وربما كانا أكثر ملائمة لمناهم القريب دون الآلات الأخرى المتألفه النضات •

وعندما بدأت الحفلة كما قد انتهيا لتونا من تناول القعدة • هي البدايه حان معه طويله مائحة ارتفعت وهبطت ثم ارتفعت مرة أخرى • واضمحلت في النهاية • وكان ذلك هو صوت المصن الرئيسى الذى يقود الفرقة متوافقا مع النغمة الافتتاحية • اما النغمة الثانية فكانت متناسية مع الافتتاح الثالث • وأخيرا توجد الجميع في صبيحة طويلة حادة تشبه التثاؤب أو النواح أو مريحا من الاثني وتكررت هذه الصبيحة مرتين كبقية للمرعى قادتهم بوصح الى التحول الضرورى للحساس الموسيقى •



مراكب محلية الصنع

ثم يطلق المصن الاول صاحب الصوت السيور ليقود انتابج الصوتى المرتفع الذى اطلق معه الى القماء الحزين ، بينما تحول الآخرون الى كورس • وبعد حاتمة كل فقرة كانوا يتشابهون ويوحون مرة أخرى • وكما يطلق المصن مع أحاسيسه توقف بين حن وآخر مرزدا نفس

الناوه الصومي الذي لا يمكن وضعه والذي بدأ به القناه . وعلمنا كان
يعمل ذلك ، كان الآخرون يمسكون أثمانهم بأعجاب عتيوب بالاحترام .
ويتسبون بكنبه الاسحاني فانهم ، كه ا ، وهي اسبق المتساد على
الاسمجانده .

وانذكر اننا في هذه الفيلة الأولى حسينا موميقاهم فطبعة ونم أننا
عند اسمائها أحسننا مثل كل المسافرين بأننا قد أحيناها . وقد
شكرناهم على كل حال لمضودهم إلى سطح السعينة واناحة الفرصة لنا
للاستماع إلى العرض الذي قموه . لما من جهة حبال المنظر ليلا .
فلا شك في أنه لا يوجد منظر يستحق للتصوير أفضل من منظر هذه العرة
في العرب المسجى الذي يجلسون الكرفصاء على شكل دائرة ، وأصنعين
صباحا في وسطهم . بينما المعنى يرتقى صوته ، والموسيقىون يغفرون
بأسابهم ، والبالون يصطفون من حين لآخر متظري دورهم للدخول مع
الكودس . وفي نفس الوقت اخذ المصباح وجوههم السمر . وأسمانهم
المتألقة . وكان القصاري الكبير يرتفع في الظلام كالبرج . ولح النهر في
أسفل . وبرفت النجوم في أعلى . لقد أحسننا بالفعل أننا غربا . في أرض
شريعة .

الفصل الرابع

مسقاة ومنف

عند وصولنا الى البدرشج، بعد حلول الظلام والرمح هناك لنفسه
للليل ، استيقظنا صباح اليوم التالي مبكرين على صوت شجار وترثرة
غريبة صادرة من حوائى حمسى أو سنج، رجلا وولما ، كانوا متجهين
على الضفة المرفضة مع عشرين أو أربعين حمارا في لردية حمسة وأشكال
كتيبة . لقد رأيناهم ونسائهم البالية كتطير مع الريح بينما تتحرك
أذرعهم وصيفانهم السية اللون في حركة محتاجة كما لو كانوا نصيفة من
الحجر الشائرة وقد انطلقت من هناك . وكان دبرهم يرتفع مع كل
حركة بينما يترايد في كل لحظة عند الرجال ، والأولاد ، والحبر حتى
بدا لنا ان بعض محطات الاوصال الجديدة تبث الأولاد والحبر الذين يروا
سرة واحدة لشفتنا .

ثم ظهر ان تلحمي النى كان يعرف ان قوائنا للسنة تحتاج لشماية
حمى ، أرسل الى القرية طالبا خمسة وعشرين حمارا وفي ليله ان يستأجر
الخطمها ويسرف الباقى من منطق الحكمة وليس المثل ، فكانت النتيجة
عاصفة . لقد خرج كل رجل وولد وحمار في البدرشج والقرية المجاورة
الى النهر وقد ضللتهم جسيمة الأمر فاستنجوا أن جاعة السياح النابضة
لتومئى كوك قد وصلت . وعلى ذلك فانه عند الانتهاء من الاطار كان
لدينا حبر كافية وعلى استعداد لنقل جميع الاتعاب الموجودين بالقاهرة .
وسأناجمل الفوضىء التى نشبت عنصا ركبت جبرعتنا فى النهاية أحسن
تمانة حبر وسفت تلوكة الزحام الخائق لكي يتفنى على ميل .

والآن ، فان طريقنا يقع على سطح مترب عبر خط السكة الحديدية
خلال القرية عبر للمنطقة المكل طوليا ، وخلال للزارع المشهورة للمرونة
باسم تخيل منف . وكان هناك على لحظة الصفرة الخطية بالبحر الأبيض

حدث من الملاحين المكفوفين سبب طول انتظارهم للقطار . ومن الباعة
 الفروغ المزدحمين الذين يبيعون الماء والخبز . ويأخذ الماكهة . وتبيع
 البندوشية وودعة مستكية في وسط أشجار الخيل القوية بالرغم من أنها
 مجرد مجموعة من الأكواخ المبنية بالطوب . وتنتشر على مساحات بين الأكواخ
 أبراج الحمام المربعة التي تحيط بقضبان طقات من القنور ذات الفوهات
 الواسعة وقد استعملت إليها صفوف من نضاب أشجار الأثل غير المورقة
 مثل صواري الأعلام المربعة . بينما الحمام يدخل ويخرج من القنور أو
 يخرج على الأصصان ويسوي ريشه يستقره - وعند مرورنا كانت الكلاب
 تدفع محوما وهي تنبح بجنون ، بينما يسبح حلفاء الأطفال الصغار ديو
 الوجوه البنية اللون وهم يصيحون « بقتيتي ا » . وكانت الأوعية
 الفخارية واللؤلؤ (١) المصنوعة حديثا من الصلصال الرمادي الناعم
 والمصفوفة في صفوف تنتظر أن يتم حرقها في الشمس وقد وقف صائغاها
 ناسر القم يجلس فينا كما لو كان لم يقصده أوروبا حتى هذه اللحظة
 وكانت زوجته تمسك بطنها وتجنب حجابها على وجهها خوفا من العين
 الشريرة .

وبعد أن تركنا القرية خلفنا جسرنا خلال غابة بعد أخرى من أشجار
 الدخيل . والآن نحن نسبح محاذين لحدود مساحة كبيرة من بركة حادثة
 بحذاء النهر . أما ولد رأينا لحظة حادثة من أهرام الجزيرة البيضاء
 بينما نحن نمر بين الروابي غير المنتظمة من الطين المتداعي الذي يحد منطقة
 متلف . فقد وصلنا بعد كل ذلك إلى طريق مرتفع بنا يقرب من عشرين
 قدما فوق السهل ، يصير الماء في شكل جسر ويشير على بصرة واسعة
 ويصرف آخر موجة من الطين ذي اللون البني الخلق مقابل الصخور
 الصفراء التي تجدد طرف الصحراء . وتكف مصبوعة من الأهرام مرتفعة
 فوق الهضبة الجرداء ، وتظهر البصرة الأولى في شكل خط علوي متصل .
 أنها أهرام سقارة التي تقع أمامنا مباشرة . أما أهرام دهنشور فهي إلى
 يسارنا وأهرام أبي صير إلى اليمين . أما أهرام الجزيرة العظيمة فهي
 تظهر دائما على أقصى اليمين .

(١) لفتة في عروق اللؤلؤ مسجوع من طين النيل الخفيف إلى شمسور وهي تصنع
 من كتلة الأحجار في مصبوعة واحدة من الأشكال المختلفة ويتراوح لون الواحدة منها
 ما بين زنج بلو إلى أشعث من البصاير .

وقد ينظر القاري، انه ربما يحتوي المتطهر على الكثير من الرمزية فانه يوجد به القليل فقط من الجبال ، ولكن على العكس هناك جمال من نوع دقيق المعنى والروعة - انه جمال مائق يظهر في الألوان والنور والوجوه . ولتستحياك آية رثابة سود في المنظر الطبيعي لو في أشكال الأهرام - وتقترب الآن من أحد هذه الأهرام الذي بني على شكل مصاطب تقل مساحة كل مصطبة منها عن المصطبة التي تحتها بمعنى ان مساحة كل مصطبة تقل كلما اقتربنا نحو القمة (*) وهناك حرم آخر عند معابد دهنشور يقع خارج البروايا على شكل قبة نصف دائرية ونصف حرمية مثل سقف لصر العدالة في باريس . ولا يوجد حرمين متساويان في الحجم ، أو مبنيان على نفس الزاوية ، وكل مجموعة مختلفة في تصميمها الى حد ما .

ولنود مرة أخرى الى الألوان - لا يمكن منافسة هذه الألوان بأية مادة ملونة استعملت حتى الآن - ان تصور الصحراء الغربية التي تفسد المنحدر الضارب الى الحمرة ، والألوان الناعمة للمسحورات الرملية ، والصفرة الدافئة للأهرام القريبة التي راما في هذا البعد تفتقد حية رقابة في لون الورد مثل دهرة للشمس الحمراء . اما نحو الشام الرقيق لينة الأهرام مقابل السماء ، مع الامتداد اللانهائي لهذه السماء في لوحة لإزيه نحو الأفق ، وهي تتجه بلونها الأروق المشتعل نحو الندوة ، والظلال المبرقة ذات النوب الأزرق الناحب والبنفسجي ، واللون الرمادي الذي يميل الى الخضرة ، تلك الظلال التي تستكين في أحضان تجاويف الصخور ومعشبات للظل الرملية . كل ذلك جميل بصورة لا يمكن وصفها . ولكن ، والسماء : انه في المستحيل نقل صورة منها . كما أن السهل الذي يشبه البجيرة ، مع غابات النخيل ، وحقول القمح ، لا يشكل خلفية عادية . وكان ذلك هو المطلوب أساساً للتخفيف من وحشية هذه المسافة المتوهجة .

والآن ونحن نتبع المسار الخارج للطريق ومع الاقتراب التدريجي تزداد الأهرام الحديثة ضخامة ، ويزداد سطوع الشمس ، ويزداد ارتفاع درجة الحرارة ، ونلتقي بطيور من الابل والحناوس والغراف البسه اللون الفريدة الصنف مع النساء والرجال والأطفال في كافة الأعمار . كانت الجبال محملة مقروشات الأسرة مع المخدات والغطاس الطيدو والداحة ، وتعمل بالإضافة الى ذلك سيدتين مع أطفالهما وكهلا عموزا جدا . اما الرجال الأصغر سنا فهم يتودقون الابل للمحبة ويسير اليافون خلفهم ، ويرقع التراب خلفهم في شكل سحابة - ومن الواضح أن عدد

(*) أخير فكتبت هذا الى هدم وشره المخرج - (الترميم) .

حجرة عائلة بأجبالها الثلاثة ان لم يكن الأربعة . ولا يستطيع التسامح ان يقاوم تأثره بهذه البساطة المالية التي يمثلها التسامح ، وهكذا خرج إبراهيم مع الأسرى والفلسطين وجنح الفراد عقيرته الى أرض كنعان منذ أربعة آلاف عام مضت . وهناك واحد على الأقل من أقوام سفارة حله الذي يستمر اليوم يملئ في العالم .

انه حوكب مؤثر ويستحق الصور أكثر من حوكبنا نحن . وأكثر عددا من قوتنا للتخلف بما فيها الأولاد الذين يقودون الحمار ، والحالون ومختلف المطفلين . وهذا المدد من الأشخاص يقترب من الثلاثين ويتجاوز العشرين ، وكانت هناك السيدتان م ، ب وابى أحدهما ، والكاتبة وسديقتها ، وخادمة صديقتها ، وتلميذ . وهم جميعا يركبون الحمار . ثم أحصاب الصبح يركبون أيضا حمارا أخرى . بالإضافة الى ولد يسوق كل حمار مع وجود ولد آخر احتياطي لكل ولد منهم . وبالرغم من ان طرقات ملاسنا كانت مناسبة إلا انها لم تكن متناسبة مع المنظر المحيط بنا . ولا يستطيع الانسان الا ان يشعر ببعض شعور هؤلاء الحجاج للتحسين بالملايس المتضاعفة والثرية الذين يمررون بنا في الطريق . وكما توجد تماثلا حريا بمحاطتنا الشبيهة المصنوعة من حوص النخيل ، وأحييتنا الضراء ، ومظلاتنا البيضاء .

وكان جورج هو بلا منازع أكثر الشخصيات المسلية والغريبة في حركتنا . وجورج سائس انجليزى من الريف الشمال احضرته السيدتان م ، ب معها من غابات لاكتشير - أولا لأنه وام ماهر وسبكوى محبدا للسيد (الفريد) في متابعة الطيور والتماشيح - وثانيا من اعتقاد راسخ في مهاراته العامة . وكان جورج شخصا يشع الضحك بلا انقطاع ، وواسع الخيلة بلا حدود . يفوض في الحياة القهرلية كما يفوض فرخ البط في الماء - وينطق العربية كما لو كانت لغته الأم - ويسلخ الطيور كما لو كان صحنقا مفرقا ، ويستطيع أيضا ان يسهل الملايس ويكوها عنه الزوم . انه باحساس سائس وخدم وعذرية منزلة وغسالة . ومراكبي أصيل ، وحارس للحيوانات التي تصيها . وتخدم يؤدي جميع الأعمال المنزلية . كل ذلك في آن واحد - وعلاوة على كل ذلك نال لديه طرفة كثيرة للضحك لا يستطيع أية مفاجأة او نكتة ان تؤثر فيها ولو للحظة واحدة . وتستطيع ان نلاحظ هذه المفارقة الجديرة بالاعتناء في بدلة السائس التي يرتديها . والطرق ، والآثار ، والسائس التي يلقه حول رقنقه ، والقبعة الطويلة وكل ما يتعلق بها ، وساقية الطويلتين اللتين تتكارجسان في حدود بوصة

واحده من الارض على كلا جانبي اصغر الحجر حجرا . ويستطيع الانسان
بدون نظر الى بنفسية السيد ذات المأسورتي التي يحملها نحت بداعة ،
وحياة وجه التي تنقل على حمود الاصحاب ، ان يقسم بانه هو مصر كانا
صديقين منذ اقدم ، وانه نسا بجانب الاحرام منذ طفولته .

وكانت المسيرة في مزارع التخيل الى الصحراء طويلة ومكتسوفة ولكننا
اجروا وصدا الى نهايتها . وارتقينا ذلك الحجر الرطب الاسر وهو يشبه
ذلك الذي يقود من شارع البحيرة الى سلمة الهرم الاكبر . وترتفع حافة
الهضبة هنا عن السهل بعدة في شكل صف طويل من الصخور السودية
المسطحة التي تختزنها قوامات المقابر المنحوتة في الصخر بينما يترلق
المحاجر الجبل الذي تنسلقه خلال لمره في الصخرة مثلها تنهر أكوام
التلج التي عول جبال الاله خلال ثغرة جبلية بارزة من المستويات التنبية
العارية .

والآن ولقد نزلنا من باب الشقة في حرمنا الصغيرة التمهية المط
فان اول شيء لاحظناه هو المحيط الغريب من الأطلال التي لصحت كقاعا -
ان الرائر في البحيرة يهوس على الرمل والرط غط ، اما هنا في سفارة
فان الهضبة كلها مكسفة بقطع صغيرة من كسر المنار ، والحجر الجيري
والرحام والمرمر . وشظايا الزجاج الأخضر والأزرق ، والعظام البيضاء ،
وحرق الكتان الاصفر ومكسبات غير منتظمة الشكل من مادة غريبة الشكل
ذات لون بني غامق تغيبه الاسلحة المجهت . وسرعان ما يلتقط احدنا رأس
تمثال ميناغري صغير بقرون ألف ذا لون أزرق . ولنعني جميعا في سرعة
ميشي الأرض منحا عن الكنز عبيدين الوقت القليل لأنه رغم أن الرمل ملي
بالأقنص إلا أن الأعراب قد غريلوه كثيرا ويحرص شديد بحيث أصبح
لا يحتوي على شيء . يستحق البحث - وفي نفس الوقت يجد أحدا شقية
من ذحاج بالوان قوس قزح . ويبدأ آخر كسرة من زهرية مهشمة ، بينما
يبدأ ثالث قطعة حشنة مصنوعة من بعض انواع العجائن الصغراء اللون -
ثم اكتشفنا ثمانية وفي حزة لن نساها الكتامة بأية حال أن هذه العظام
المختلطة من عظام آدمية ، وإن هذه الخرق الكتامة هي لجزء من أكتان
وإن هذه المكسبات البنية الغريبة غير المنتظمة الشكل هي قطع صغيرة
مما كان يوما ما لحما حيا ! والآن عرفنا للمرة الأولى أن كل بوصة من هذه
الأرض التي نطف عليها وإن كلفة صف الروابي والتجاويف والمداخل
الرملية هي قبور انصكت حرمها .

و هذه بقاية لا تستحق النصب ، ولكننا سرعان ما نتجدها لدى مشاهدة مثل هذه المناظر وتعلينا أن متغيب بين للآثار القوية دون الاحساس بتأنيب الصبر أكثر من احساس بحساسة مدوية من حشرفى سرقة الجثث . وعندما كنا تذكر هذه التجارب التي مرونا بها فيما بعد ، كنا نقصر بالمحسنة ويقطع من التمس - وكما كانت القسوة شاملة والرغبة في اقتناص الرفات حاصلة لدرجة انني لا أشك في اننا لن نتراجع عن عمل نفس ما عملناه لو عادت نفس الظروف - اي غالبية المسافرين سيبدلون بنفس هذا الاعتراض لو طلبنا اليهم ، انهم يشعرون بصعوبة في البداية ، ثم يستنكرون في فرع الاسلوب الذي تجرى به الحفائر ، فهو على الرغم من التصريح به الا انه أسلوب وحش - ان اللزق الذي يرحس بالمجاصير والساتيل الصارية الصفرة ، سرعان ما يتطور الى شره اسلاب الموتى ، وفي النهاية يسبون مايب الضمير السابق ، ولا يتسبون حظا افضل من أن يكتشفوا مقبرة ويصاتروها لالاسهم .

وعلى الرغم من أنني رأيت أولا اهرام الجيزة ، الا أن حجم مجموعة اهرام سفارة - خاصة الهرم الذي على المنصة - قد أصابني بالذهمة . اهرام جيمنا أسفر من حرمي خوفو وحفرع ، ولا أشك في أنهم سيبقون ايضا بلا أهمية اذا ما فوزلوا بهرمي خوفو وحفرع . ولكن بالنظر اليهم وحسبهم فان صفاتهم كالفية لبان صفى روعتهم . اما الهرم الذي على المنصة (وهو أكبر اهرام ستقاره وعلى حرم حفرع من حيز الضخامة) فان مؤلفه فريد - وطرازه المصري نادر - وعمره قديم جدا بحيث ينسب الانسان الأسئلة المتعلقة بالضخامة النسبية . واذا كان علماء المصريات صادقين في نسبة الملقب الملكى المنوف بالهيراوغليفية على الباب الداخلى لهذا الهرم الى وسفيس (٥) فملك الرابع من الأسرة الأولى فانه بذلك يكون أقدم بناء في العالم - فقد كان موجودا لمدة تتراوح ما بين خمسمائة الى سبعمائة سنة عندما بدأ الملك خوفو في بناء هرمه الأكبر بالجيزة . وكان عمره يتجاوز الألفى عام عندما ولد ابراهيم . وعمره الآن حوالي مائة آلاف وثلاثمائة عام حسب ما أثبتته مائتةون ومازيت . أو حوالي أربعة آلاف وثلاثمائة عام طبقا للحجبة التي أهرامها مونسين ، وبالطبع فإن خيال الانسان يتراجع عند حائلة مثل هذه الحظبة الزمنية .

(*) خطأ والصواب أن الملك رومر الثاني حوكت الأسرة الثالثة من صاحب هذا الهرم - (الرابع) .

لقد افترض بأنه هذا الهرم مع الأهرام الثلاثة الأخرى بحرفة
 ليسوس والآن هو بمنهج يراى . أما الدليل الذى يضر النقش ، وطبقا
 لما أورده ماينون وهو مؤرخ مصرى كتب باليونانية وعاش فى مصر
 بطليموس فيلادلفوس . فهو ان الملك تيفيس بنى لنفسه هرمًا فى مكان
 يدعى كوحوم . وقد اكتشف ماويت مؤرخا لوجا مطلقا مقبرة سمارة
 اسم كاكيم . ولم يكن الهرم المدرج هو أكبر الأهرام الموجودة على حرمه
 المنصبة ، ولكنه الأثر الوحيد الذى وجد شروط ملكى منقوشا عليه .
 ويبدو هذا الاستنتاج مقبولا .

وعندما نطلق ياء فاقنا لحمة خمسة أو ستة آلاف عام فى منح يساعد
 على نمو الطبقات الصخرية والرسات الطليقة وكافة العلامات الطبيعية
 الدالة على ألبس الرضى والتي تعودا عليها فى لوريا ولكنها غير موجودة ،
 فليس المفروض ان يكون لهذه منات من السهم ، أكثر أو أقل . تأثير على
 مظهره الخارجى . ولكنى من وجهة نظرى الشخصية أرى أن حرم وتيفيس
 يبدو أقدم من أهرام الجيزة . وإذا لمكننا أن نتخيل ذلك فإنه سيحدثنا
 فى جميع الأحوال الاحساس بالانتماء للمبارى ال حبه مما يراه أكثر
 بدالية . ان فكرة اقامة أثر يتكون من مصالط متدرجة السيم هى بطبيعتها
 أكثر هدائية بالنسبة للهرم الأملس الذى الجوانب الأربعة . وقد لاحظنا
 ان البناء الحجرى فى جانب واحد - أرى انه الجانب المقابل لاتجاه الشرق -
 كان مستكلا تماما بالنسبة للجوانب الثلاثة الأخرى .

وصف ويلكنسون داخل الهرم بأنه : لية مجولة حلت هنا وهناك
 على عواذى خشية . . ويذكر ان غرفة الفخ قد تحطت أبنائها
 بيلاطات من الخرق الأزرق (٦) وكنا نصب ان نذهب للداخل ولكن هذا لم
 يعد ممكنا ، لأن الداخل قد سد بسبب انهيار جبرى حديث

والآن ونحن قبل على تصويرى للوقت الذى شاح فقد ركبنا حى
 المنزل الذى كان قد بنى سنة ١٨٥٠ م لاقامة ماويت أثناء حكمه
 السراييم - وهو عمل استغرق أكثر من أربع سنوات .

(٦) تتلوه بعض هذه الفكتلة فى قسم المسمى من القبط البيزانى . وفى
 ليست ذات لون أزرق ولكنه الأخضر يميل للزرق . أما عن شكل غرفة الفخ فانظر كتاب
 ماسبيرو : *Archaeologie Egyptienne* ص ٢٦٠ من ٢٥٦ . (على الصورة مضافة
 فى نهاية الملف)

- وعن أم حورية القول بأن السرايوم هو أشهر شعب جفارى للمجول
للقصة - وكانت هذه المجول (التي نفسها المصريون يوصفها بـجند
مستباحا للالة (أوروريس) تسكن أثناء حياتها في معبد أيبس في منب
(حيث رحمة) . وبعد موتها يجري احتفائها وتدفنها في سراديب جبريت
لها في الصحراء . وفي سنة ١٨٥٠ عندما كان ماريت مسافرا في مأورية
تخص الحكومة الفرنسية ، اكتشف المعبد والسرداب ، ويوجد مفتاح هذا
الاكتشاف حسب روايته أن فقرة معية أوردتها استرايون في وصف
معبد سرايبس بأنه يقع في منطقة تجرف فيها الرمال بواسطة الرياح
يحيث يتعدد كل من يدلو عنها بالنعوى فيها . وببعض كانت الكباش على
كلا جانبي الطريق قد دفنت كليا أو جريا على رؤوس بعضها كانت يارزة
على السطح . ويقول ماريت : « لو لم يكتب استرايون هذه الفقرة »
لأنه « كان من المحتمل أن يظل السرايوم مائنا تحت رمال مقابر سفارة »
وفي أحد أيام سنة ١٨٥٠ اتحت نهر سفارة معلوما بتأجير دواسا
في علم المصريين ، فشاهدت رأس كشي بلورة فوق السطح . ومن الواضح
أنها كانت تحتل مكانها الأصلي - وقد وصفت بالقرب منها عائلة قرايب
حفر عليها نقش هروغليفي عن أيبس وأوروريس - وحفظت فكرت هذه
الفترة التي كتبها استرايون وعرفت أن الطريق الذي يقود إلى السرايوم
الذي فكرت فيه طويلا بلا طائل ، يقع تحت نفس . ويهون أن أقول كلمة
واحدة لأي شخص اضرت بطن المسال وبنانا في الحفر - كانت البداية
صعبة ولكن سرعان ما برزت من بين الرمال تماثيل الأسود والطواويس
والتماثيل المصرية للجبل على جانبي الطريق ولوحات معبد تختابو الغنية
بالتفوي (٦) وهكذا جرى اكتشاف السرايوم .

أما التمرل - وهو مبنى بسيط من دور واحد على منصة حجرية -
فهو يشرف على منحفض رمل يحتفظ الآن بنفس المظهر الذي ظهر به علما
تذكر مارست لأول مرة الفترة السبعية التي أوردتها استرايون . وتبرز
رأس أو اثنين للكباش فوق الرمال هنا وهناك بشكل مريب ، محلاة
مستار الطريق العظيم . ويظهر كذلك النصف العلوي من تشال ردي
الصفحة لوله راكبا على ظهر طاووس . أما الباقي فهو ملبور بكاملة في
الرمال كما لو كان لم ينكتس من قبل . ويصعب على الإنسان الاعتقاد
بأن المكان كله قد كشف فيه تطلعا بتكلفة شعبة في الوقت والعميل .

(٦) كليلة نختابو إلهة ونظائره الثاني لفر علقين عن الأصل المصري لنظير
حصريا ما بين عامي ٢٧٨ ق م - ولابد أنه كان هناك معبد بناء نختابو الأول
قبل بناء معبد السرايوم

منه سرى علما حظه . لقد استفرد بشكال العمل كما ذكرت منذ قليل أربع سنوات - ويبلغ طول هذا الطريق وحده ستمائة قدم ويسمح عرضه لجيش من الكباش حيث وجدها واحدا وأربعين كبشا لم ينقل من مكانها الأصلي . وعندما اقتربت الحفائر من نهاية هذا الطريق انضغ ان الحجر الذى يليها مع الهيولى التدرجى بين الحوائط الضخمة ، يقع تحت السطح بمسافة سبعين قدما . لقد كان العمل مضنا والمقيدات تفوق الحصر . وكان من الضرورى فحص الأرض بوحدة بوحدة . ويقول ماريوت انه « فى أماكن معينة كان الرمل متسوجا وأصبها كاللاد الذى يتراخ دائما إلى الخلف فى محاولة لاستعادة مستوى ارتفاعه » (١) .

وعلى كل حال فإنه بمقدار مساحته الجهد المبذول ، تكون مساحته الجهد المبذول . وكان الخراء هو اكتشاف الطريق الرئيسى الذى يسير إلى مصحة دائرية أحاطت بها تماثيل لتساعير الفلاحة والفرار الإبريقى ، واكتشفت أيضا طى طريق تلى يتقاطع مع الأول براوية قائمة بقاءا معبه السرايوم العظيم وثلاثة عمائد صغيرة وثلاث مجسوعات مشيرة لسراديم دلى المعبر آيس . وكانت عندك فحة سر حائط من غرفة فى الصيد العظيم تقود إلى السراديم . وقد شقت متعلقات ضخمة من المفود والممرات فى الصخر الصلص الذى يبيت عليه العمائد . ولبيان هذه المجموعات الثلاث من الحفائر ثلاث حقب من الشاويح المصرى . وتتكون السلسلة الأولى وهى الأكثر قداما . من عقود يرجع تاريخها للفترة من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة الثانية والعشرين أى ابتداء من حوالي سنة ١٧٠٣ ق.م . إلى سنة ٩٨٠ ق.م . أما المجموعة الثانية فإنها تنتمى إلى حكم ثيمستوف الأول (الأسرة الثانية والعشرين أى سنة ٩٨٠ ق.م) وحتى حكم طهرقا آخر ملوك الأسرة الحاشية والعشرين وقد جرى الحفظ لها بأسلوب سهوى ، وهى تتكون من طبق واحد طويل يحده على كلا الجانبين صف من حجرات الدفن . أما المجموعة الثالثة لأنها تنسب إلى العصر الإغريقى مستمدة بحكم سمائيك الأول (الأسرة السادسة والعشرين) أى سنة ٦٦٥ ق.م . وتنتهى مع إراثر عصر البطالة ، ومن بين هذه المصنوعات الثلاثة بعد أن الأولى من التى حفظها الرمال . أما الثانية فنفسه غير آمنة ، أما الثالثة فهى مكتاحة للسياح .

(١) كتابة قصة الحياة والميتة لسرايوم والآثار التى اكتشفت خلال آخر تظلي سيجو آرثر روبلث *L'Égypte en pellet Journées* الذى صدر سنة ١٩٠٦ حيث وجد فى الحقيقة (مجموعة متاحة على الطبيعة الثانية)

وبعد حينونة مسافة قصيرة وإن كانت مفهكة ، ومع بطى التأخير أمام باب يشبه أبواب المبحون يقع عند قاع المنحدر ، مسح الحارسي لنا بالدحولة ، وهو كهل أعرايى فى يده عصا . ولم يكن المنتظر فى الداخل حداً . كل الضوء القادم من الخارج يسقط على درجته أو درجتيه من درجات السلم الخشبي ، ويملأها بعنبر الظلام التام - ودحسنا فنلتقما على المقبة مناع تكيل حار ، وقد سقط الباب بصايل مرجح تردت استداره كما لو كنا فى تجاوب الأرض المركبة - واسطلق الأعرايى يتحدث مستخدماً الحركات والإشارات - كان يقول لنا الآن فى اليوم العظيم الذى يتعد لمسافة طويلة فى هذا الاتجاه وفى الاتجاه الآخر - ولكننا لم نستطع أن نرى شيئاً - لا السقف القريب ، ولا الحوائط على أى جانب ، ولا حتى الأرض التى تحت أقدامنا ، كل الظلم شبيهاً بالظلم الذى يعطى الفراغ الكائناتى .

وأصليت لكل منا شعبة مفصلة وسار الأعرايى فى المقدمة بسرعة مخيفة ، وبدأ لنا فى كل خطوة أننا على شفا حائرية مسبوقة - وبالتدريج تعودت عيوننا على الظلمة فوجدنا أننا قد عبرنا اليوم إلى الممر الأول الكبير . كان كل شيء غامضاً ومغصاً بالأمرار ومنطى بالظلال - ولأحلامنا فى الظلام منظور فاكى ، كانت الأضواء تترانس وتسايل مثل محطات البجور السيادة - والرب الأعرايى مصباحه من الحوائط هنا وهناك وأرانا بعض القاصى القربان التى سجلت فى سجلات الريارات للخدمة السى قام بها المصريون الأتقياء إلى القابر المقدسة - وقد وجد من هذه القرايين عند فتح السرايب لأول مرة حسماسة قرصى ، ولكن طوييت وأوسلها كلها تقريباً إلى متحف القلوفر .

وبعد خطوات قليلة وصلنا إلى القابر - وهي سلسلة من الحجرات الخفية الضخمة منحوتة على مسافات غير متساوية على كلا جانبي الممر الأوسط ، ونفوس تحت السطح لمسافة تقرب من ستة أو سبعة أقدام . وقد القيم فى وسط كل حجرة تابوت ضخم من الجرانيت اللامع وهذا المصنوب الأعرايى للأمام مثل شبح أسود ، وكان يتوقف لحظة أمام كل فتحة عميلة ، ويسلط ضوء مصباحه على التابوت ثم يسرع مرة أخرى تاركاً إيانا لكي نتجه بقدر استطاعتنا -

ومضينا خلفه ومن تتقدم كل لحظة فى عمق الصخر الصلب متعددى البوابات الضلئ وضوء الشمس - ولا فلنا أن البحر قد يكون باردا تحت الأرض فقد أحضرنا كمية كبيرة من القفاف العائنة ، ولكن على العكس

كانت الحرارة شديدة والجو حاقنا • ولم يضع في الحيطان حفاف المكان • وكذلك لم يذكر أن الملحم العائدة والأخلاق باردة لأنها رطبة • أما هنا وعنى مدى عصور لا محصى وربما آلاف السنين قبل أن يتقن النيل مجراه خلال صحور السلسلة • كانت شمس أفريقيا التي لا تحوقها السحب • تصب فيضها اليومي من الضوء والحرارة على الصحراء غير الرطبة • ولابد أن جو المكان كله لا يحتمل • فقد كان مثل فرن ضخم يختزن الحرارة المتراكمة ببطء • خلال الموجات المتكررة والكثيرة بحيث يطر الإنسان أن العصور المبكرة لتاريخ المصري بالمقارنة إليها • تنسج إلى الأمام فقط •

وعلى ذلك فإسما بعد أن اجزأنا مسافة مقترن من مائتي ياردة وهبطنا إلى حفرة تحتوى على أول تابوت عليه نقوش لآل بقية التوابيت كانت سلسلة بنون نقوش • وهنا توقف الأعرابي حيث وجدنا سرا عاستطعنا من خلاله يساعدنا صفى دوجات سلم حششى إلى هبوط إلى البصرة • وسرنا حول التابوت واحتلنا النظر إلى داخله بمساعدة سلم ونهصدنا النقوش الهيروغليفية التي نطليه وهي ضخمة كما تبدو من أعلى • ولا يستطيع الإنسان تكوين فكرة عى مدى ضخامة هذه الكتل الصخرية إلا من المستوى الذى أقيمت فوقه • وهذا التابوت الذى يعود تاريخه إلى عصر الملك إماريس من الأسرة السادسة والعشرين • كان طوله أربعة عشر قدما وارتفاعه أحد عشر قدما وهو مكون من كتلة واحدة من الجرانيت الأسود دليق ومتقى الصنع • ويمكن أن يجلس بداخله لوردة امرأة حول مائة صغيرة لمحب البرق فيلمون عشرة كوتشينة وهم مرتاحون • ويتنسم المحرم هذه النقطه إلى مرجح لمسافة مائتي ياردة أخرى متجها نحو حجرات أكثر وتوابيت أكثر حتى يبلغ عددها أربعة وعشرين • هنا ثلاثة فقط عليها نقوش • ولا يقل طول أى منها عن ثلاثة عشر قدما • بعضها عازمة • وقد أريحت الأعطلة إلى الحلف قليلا وبعضها مكسور ولكن المفريين لم يجمعوا إلى إزاحتها تماما • وحسب ما أورده هاربيت فإن المكان قد سلب بسرعة المسيحيين الأوائل الذين يبدو أنهم بحاسه ما استطاعوا سلبه من الذهب والمجوهرات التي وجدوها في طرفهم • قد دمروا حرمات المجلود ودمروا المعبد العظيم وسووه بالأرض تقريبا • وعلى أية حال • فإنهم لمس الحظ قد ساعدوا أو تركوا عدة مئات من السبائك البرونزية الرائعة وما أنهم اغتربوها غير ذات قيمة والقرصان القران الخمسمائة التي ذكرناها من قبل لأنها تسجل لمس لفظ اسم ووظيفة الزائر • بل أيضا • مع سطر الاستنساخ الاسم والصفة الدالمة على القرون المبكر • وهي بذلك تحيط ببيانات تاريخية لا تقدر بثمن •

وتعمل أكثر من أية وثيقة سبق اكتشافها على توصيح النقطة التي تثير
الجدال في التسلسل الزمني للتاريخ المصري .

ومن أغرب المفااتي أن أحد التوابيت الحجرية يحمل علامة قعيرين
حيث ورد عن قعيرين أنه وقد طلب إلى كهنة منب أن يحضروا أمامه الإله
أييس ، استل حجره في ثورة لمسه وسخريته وطس السجل في الفصل .
وحسيد ما ذكره بلوتارخ فإنه ذبح السجل والتي لحته للكلايب .
لما هيرودوت فقد ذكر أن ، أييس رقد في المعبد لبعض الوقت وقد نحل
جسمه ، ولكنه في النهاية مات متأثرا بجرحه ، وقام الكهنة بدفنه سرا ،
ولكن حسب ما ورد على إحدى هذه الموائد التيمية فإن السجل الجريج
لم يست حتى العام الرابع من حكم الملك دارا . وهكذا نجد أن هذا
الكشف الحديث قد صمم وصور التقليد الموروث بطريقة عجيبة .

وتصل الآن إلى نسخة هذه التيمة القديمة في شكل سكاية ذكرها
مسيو أبوت الذي يمكن أن ماريت وقد استمدى حجة إلى باريس
بعد ستة شهور من افتتاح الجرابيوم ، وحيد نفسه يعتقد وسائل نقل
الأثار التي اكتشفها حديثا ، ولذلك دلى أربع عشرة حالة في الصحراء
انتظارا لمودته . ومن ضمن هذه الحالات تابوت حجري احتوى على مومياء
أحد عجول أييس وقد نجى من اكتشاف المسيحيين الأوائل له . وانضج
أن هذه المومياء تطبق عليها أوصاف السجل الذي طمه قعير .
ويعنى ذلك أن السجل قد عاش وعولج حرسه ، كما هو ظاهر على عظمة
الفخذ التي تظهر عليها علامات الإصابة والالتهام وهي علامات لا يمكن
تجاهلها .

والقصة لا تنتهى عند هذا الحد ، فإن ماريت وقد رحل حاملا معه
كل ما يمكن حمله من الكتور ، جاء إلى منف شخص وصفه مسيو أبوت
بأنه « شاب غريب وصعل » وهو أرتسوقي جاء إلى مصر للاستمتاع ،
وبست امرأة الفسقى كشف له الأعراب سر الحالات المنخفضة فاكسج
الأرسيفوق مضاي . الحالات الأربع عشرة وحملها إلى الاسكندرية ، ومن
هناك نقلها بحرا إلى قرصبتا (١) .

(١) حوت هذه المجموعة باسم « مجموعة ميرامار » وقد سمىها البروفيسور
وايتش في الكفولوج الذي نفسه ، وقد نقلت جليا إلى فينا - (مجموعة مضالما على
الطبعة الثانية) .

ويقول فستر آيوت الذي يذكر أنه قد عرف القصة من ملابسة مباشرة : « أما بخصوص المحرم فإنه قد انتهى بصورة مؤلمة في نصف الكرة الآخر بعد أن تآكل عن جميع الثروة نظير عدم نشر اسمه » . ولكن ليس من الصعب التعرف على جطل هذه الحكاية البرية رغم هذا التفكير الواضح .

لما التابرت الذي وجد فيه المجلد أسس فقد بقي في فجر المراتبيوم ولكننا لم نره . ولما كنا قد ذهبنا حالاً إلى أكثر من مائتي ياردة ، وأصبحنا حتى ذلك الحين على وشك الإحناق ، فلم نهتم بأن نحصل مائتي ياردة تحول بنا وبين الخروج إلى ضوء النهار ، ولذلك عدنا في منتصف المسافة وقد أحرقنا أول وعد من بودة للأغسيوم التي توصلت بشدة لمئة نواص ماضيات الترفة المفضية وكأمة ضابها المنخفضة ووجه الأعراب المتشعبة ، ثم خرجنا في الدفاع تاركين الظلام أشد كثافة مما كنا .

وفي هنا مضينا عبر فضاء رملي بعيد في وجه الظهيرة الشديدة إلى مقبرة « تي » وهو كلس من عامة الناس من الأسرة الخامسة كال متروجا من صيلة تسمى نفرتحتب وهي الابنة الكبرى لأحد الفرعنة ، وقد يتى لنفسيه مقبرة عظيمة هنا في الصحراء .

أما عن واجهة هذه المقبرة التي كانت في الأصل تشبه مميدا صغيرا ، فلم يشق منها سوى عمودين كبيرين وبقي ذلك فناء مربع الشكل يحيط به سور بدون سقف . ويرر من أحد الأركان من مضطبي يقود إلى حجرتين . كما قبرر في وسط الفناء فوهة حفرة يلح عميقا حوال حسنة وعشرين قلما . بها تابوت صلب من طلة اللفة المسطبة . وكل شيء هنا مصنوع من الحجر الجيري - الحوامل ، والأعمدة ، ووصف الأرضية ، وحتى الأطفال المبحونة التي امتلات بها الحفرة عندما انفقت انقة السفلية إلى الأبد . أما عن خصائص هذا الحجر الجيري فتعصر في قرب المكان الذي حلب منه ، علاوة على سفاته مثل الرجام ، وشدة بياض لونه لدرجة أنه على الرغم من تغطية حوائط وأعمدة الفناء بالنقوش التي تم تنفيذها بمهارة فائقة واهتمام بالغ ، فإن الصور المنعكس عليها شديد التوهج مما أصعب علينا فهمها بالاهتمام الذي تستحقه . أما في الصحرة الكبرى الفيديفة الظلام والتي لم نستطع رؤية شيء فيها إلا على ضوء الشموع . فقد وجدنا سلسلة من النقوش البارزة الكثيرة والمختلطة والتي تحتاج رؤيتها القصيلة إلى نصف يوم . وهي مرمية في خطوط القبة متوازية

ويبلغ عمقها حوالي قسم ونصف النعم ، بحيث أن هذه المناظر غير العادية والمرقعة رأسيا صفا فوق صعب ، تغطي كل بوصة في فراع الحائط من الأرضية إلى السفف ، وبرورما شخص الممنوع منها يحصل لشك في أنه يتجاوز ربع البوصة في أي من المساحات المنقوشة . أما السطح المقطع بصفة دقيقة من الأسفلت فإنه يمتاز بخاصة السمان مثل العاج ، ويبلغ متوسط ارتفاع الأشكال حوالي اثنتي عشرة بوصة وحيدها ملونة .

وهنا نجد قصة « تي » كما لو كانت ملونة في كتاب مفتوح . كل حيائه وممراته ، وعمله ، وعلاقاته المائلة ، تظهر جميعها أمامنا ببساطة شديدة الجيدة . حتى أن الطفل يستطيع قراءة سجل الأحداث المصورة التي أضاعت الحائط ، ويحب فيها قصة مثل أكثر علماء الآثار خبرة .

كان « تي » رجلا غنيا وكانت ثروته من النوع الإقطاعي ، فقد كان يملك أبراما وقطعا من أراضي كثيرة . وكان يصعد بأنواع كثيرة من الطيور والحيوانات - أور وبط وحمام وكراكي ونيران وممر وحبر وطبائخ وفرلان . وكان مفرما بصيد السمك وطيور الرينة . واعتاد أن يمشي أحيانا في التي التماسيح وأفراس النهر التي كانت تصل في هذا الوقت إلى نصف - وكان زوجا رحيما وأما حائيا ، وكان يحب أن يتقاسم مسراته مع أسرته ، وقرأ هنا جالسا في هدوء مع زوجته وأطفاله . بينما يقوم مفلون والقصون محترقون بتقديم عرض أمامهم - وفي ناحية أخرى يتسرحون معا ويراقبون عدم الزرعة الماء عملهم ، ويلاحظون دخول القوارب التي تأتي بإنتاج أراضي « تي » البصلة . وهي موضع آخر نرى الأور أنه صوفا إلى المنزل ، والأعشار وهي تصير مخاضة ، والثيران وهي تحرث ، والراور يقر البذور ، والمخمد وهو يصل مبيطه ، والثيران تموس الحبوب مأكداها . ويخرن القمح في الشوكة ، ومن الواضح أنه لم يكن هناك تجار مستقلون في هذه المنطقة المكرة من تاربيخ البصرة . وكان لدى « تي » عماله الذين يعملون في ضيقه ، كما أن كافة صانعه وأمنته المنقولة صناعة مدلية . وهذا نرى التجارب يصنعون أثاثا جديدا للمنزل ، وصانعي المراكب متشغلين بصنع قوارب جديدة . والصغار يصبون في القوارب الصلصال الذي تصنع منه القصور . أما عمال المائدة فأنهم يصهرون حباتك القمح الأحمر ، ومن الواضح أن « تي » يعيش مثل ملك داخل حدود ضيقته . وهو يتمتع بوضعه المميز المحترم في كافة هذه المناظر . وكان مرسوما في حجم يماثل ثمانية أضعاف حجم خلفه ليجلس أو يقف عمالا بين الأكرام ، أما زوجته (ولا نسي أنها كانت

تسمى إلى الأسرة الثالثة [فقد رسمت بنفسه حمله • أما الأطفال فكانوا
في نصف حجم والديهم • وما جدير المصير أن الفن المصري لم يتجاوز
هذه السدادة المتكررة • فالرجل العظيم يقبل يرسم ضمن الحجم حتى
الأمام الأخيرة من حكم البطالة • بينما ظل الفلاح يرسم دائما في شكل
القرم (١) •

الحجرات : إن معظم الحركات الضعيفة والانتقالية قد جرى التعميم
عنها بدقناح رسم عن مهارة فائقة • فالعمار يركس برجليه الحليين
وينهض - والتسماح يسطس في الماء - وترتفع البطة المرية مباشرة حاضيا •
ذلك مع مراعاة إبعاد الحركة المباشرة في كل لحظة بصدق لا يستطيع أن
يتخطه أي مصمم • أما الأشكال التي تخرج من الصرامة التقليدية التي
اشتهرت بها الأعمال المصرية النالية • فقد رسمت بوضوح وبرور • ولكنها
استكملت بهذه وسوسة • أما الألوان فهي صافية وقد وضعت في شكل
طبقات خفيفة منفصلة بدون أية محاولة لتكتيها ثم درجات لونية أو ظلال
تخفى جمال القروش وتزيد من قيمتها •

ومده في حقيقتها من أفضل ما يمكن مشاهدته حيث تم كعب اللون
نهائيا • ولسكن الألوان الخفيفة ماوالت لامة في مضي أجواء الحجر
الكبيرة • أما في المر والماء اللذين تم التخليص عنهما منذ عتبة سنوات
عقط • وتجرى المحافظة عليهما بصعوبة يوما بعد يوم • أما هنا فاسا لا يجد
أثرا ياقيا للألوان - وهذا هو تأثير الرمال - التي تشتمل المائل الذي
لا يقتصر عمله على المراساة فقط بل أيضا أداة الرمال • إن الرمال
تضيق وتخطط عمل النحات ولكنها سجد عمل للصور • أما في الأماكن
الحسية حيث تراكم الرمال بلا فائدة مثل الإحبار التلحي • فإنها لا تعمل لنقط
المتفاسيل اللوينة السطحية • بل إنها أيضا تترك الألوان السفلية
مسبوحة ومعتمة •

(١) هناك دراسة أكثر هدولا عن هذه التعميمات الجازية تعال ثورة قيمة وهي
تؤكد المبررة لهذه القروش وميلتها من المشاهد الجارية • إن المناظر التي تتضمنها بيوت
كعب المرفضة عند كتابة هذا الكتاب • مجرد حكايات عن الحياة اليومية للعوام • ولكنها
جللت في القصة المسجلة بصفه ويكافئ العوامي بعد الموت • فتجد أن بلر ديمو
ومحمد القمح يتقدم به طمس وتحويل بخرية إلى صلب جارية • أما الثيران والماعز
والفرسان والار وخيرها من المصورين ليس بالقصود بها الأصوية التي تقم كوازيه
أما الألوان والأشكال وكافة البضائع المنزلية • لأنها تدفن مع جثة المتوفي في مقبرته
أما التي تظهر في كابة المناظر فهي مرمية في الكا • وليس الرجس تقه • (ملحوظة
مضافة إلى الطبعة الثانية) -

وكما ذكرت دائما خلال مسار الرحلة ، فانه لا شيء يسو الاالوان
 بفاعلية مثل الرمال التي تعود الى فصل الرياح وتتكون حقد مقبرة كما
 رأينا من وفاق وفاء وحجرتين وسرداب للدمن ، وتكتصن أيضا سرا صريا
 من النوع المعروف باسم « السرداب » وتندو هذه السرداب التي تبني
 بغض سبك الحوائط ، دون ان يكون لها مثلث مثلث مغلقة عن حكام
 الامبراطورية القديمة (أي عصر ملوك الإهرام) وهي تحتوي على تماثيل
 المراحل من جميع الاحجام مصنوعة من الخشب والجبس الجري
 والجرايت . وقد وجد هنا عثرون تماثلا للوجيه « تي » حبيسة في سرداب
 مقبرته ، وكلها مغطاة بما عدا تماثلا واحدا وهو تماثل مصنوع من الحجر
 الجري في وضع الوجوه وارتفاعه حوالي سبعة اقدام وهو موجود يستحق
 بولاق (٢٤) .

ويمثل هذا التمثال شابا يرتدي ردا أبيض ، ومن الواضح أنه تماثل
 شخصي بيان تفاصيل الوجه ، فجدا ان الملامح ملوية ، والتعبير طبيعي .
 أما الشكل العام للرأس فهو يكاد ان يكون مغربيا أكثر منه مصرياً وتم
 تلويب البشرة بلون أصفر مالح . ويض التمثال في الموقب التقليدي
 المعباد، فالسائق اليسرى سفيفة وقضة كل يد طفلة والدعان مستقيمتان
 وحلتفتان بالجلتين . ويستطيع الاسنان ان يتعرف جيدا على « تي »
 بعد رؤية اللوش الحبيبة التي تى مقبرته ، مما يجعل هذا التمثال الممثل
 يثير الاهتمام كما لو كان يمثل صديقا صريفا (٢٥) .

وبما أجل ان تعود الى عمل مارييت المهجور بعد الاحتشاق في
 السرايموم وسارة مقبرة « تي » ، لكي تتناول عمادنا على لرضية المنس
 الحجرية الباردة ، وهو المنس الذي يظهر في الجاه التمثال في الصغراء ،
 لقد تركت هنا بعض المتناضد والدكك الخشبية للاجفاء بالضيوف وإقامة
 السياح . وقد زودت بالماء الفلب من طريق القفل التي جلبها الأعرابي
 الكهل التي يقوم بالحراسة . أما الأسواش والمراق التي في الخافه
 فانها متلي- بالتماثيل المقصية وشطايا الجرايت الملوثة بالأحمر والأسود-
 وصدا تماثلا للكبح من الطريق المنسود يري المنس ، ويطلق على
 رملانها المدويين حتى المقبرة الرملية السفلية . وعلى مسافة

(٢٤) حكام في المتحف المصري بميدان التحرير - (المراجع) .

(٢٥) ليس هذا التماثيل حجر مثلث شخصية ولكنها حسنة ويحت تكون مصكما
 للقرين « الكا » وهو المقروض انه عندما يعود يحتاج الى جسد وطعام وخراب ذاته
 سيهلك كصبيبا اذا لم يرد هذه القصوريلت . وكان هذا من النظام الملكي الخاص بمنس
 القرين واللائل رائدك الأخرى المخططة من طاهر حكام المصريين (ملحوظة
 متعلقة الى القيمة الثانية) .



واسى • نى •

بعيدة يظهر الصحراء، مصعرة قاحلة متعرجة ، مع خط من النجم الأبرجائية على مدى الأفق • وعلى اليسار، وسعت حافة باردة من الهضبة الصخرية التى لا يجاوز بعضها من المنزل مائتي ياردة ، نفتح فوحة كهف أسود اللون تحوطه أشعة كثيفة • ويفترق منه مصدر من الإطلال • وهذا هو المدخل الاصطراذى للقباب القديمة للمراييم والتي اكتشفت من واحدة منها المومياء التى وصفها ماريت كبقرة لئلا آيبس ولكن العالم يروى عن يدكر أنها مومياء الأمير • مع أم واسى • حاكم مذب والابن المفضل للملك رسميسى الأكبر •

وعند الموصلة المهمة التى بدت كالسان وتود في أم واحد • وجدت منطقة بالجواهر والسلاسل الذهبية والتماثيل النحاسية المنقوشة عليها اسم • مع أم واسى • وقد وضع على وجهها شراع ذهبي • ويمكن مشاهدة جميع كنوز هذه المومياء في متحف اللوفر • ولو كانت المومياء تنص ثورا فلأيد وأن تكون المجوهرات التى تربتها مهددة من الأمير الذى كان يحكم صف في ذلك الوقت بوصفها قرايين •

وعلى العكس فلو كانت المومياء تنص رجلا وتم دفنها في مثل هذا المكان ذى التقسية العجيبة • فليس المحتمل أن يكون قد اختص أحد الإكبية المهمة لئلا • وهو مزال غريب ظل بدون احاة حتى اليوم • ولكن لا شك في إمكانية تروته في لحظة بحرفة البروفيسور أوبن (٦) •

وما آثار الحجب أكثر من اكتشاف آيبس أو المجوهرات كلى من المنظر الذى شاهده ماريت عند دخول هذه المحرة الطويلة المخصصة للدفن •

(١) تم اكتشاف المقبرة الرسمية للأمير • مع أم واسى • في عتق بحرفة مكينيريو خلال السنوات الثلاث من الأربع الأخيرة (مجموعة متصلة إلى الطبعة الثالثة) •

(٢) هذا الطريق حسب نظير حاليه •

لقد تم الفرع فوق المجمع ولربلت الفصحة ثم دخلت بمرده ، وحالك وحد على طبقه الرمل الرقصة التي عطلت الارصفة آثار اقدام العمال الذين وصوا - منذ ٣٧٠٠ سنة عصمت (٢) - تلك القوماء التي ليس لها شكل - هي ترحبا وإغلقوا الأبواب عليها الى الأبد كما اعتقدوا حينذاك .

والآن والنصف الثاني من النهار يمضي سريعا أصبحت المجمع وقيل لنا ان هذه هو وقت الرحيل - وكان علينا ان نشاهد موقع مصف والتمثال المصمم المنحرج على الأرض ، والطريق الطويل الذي يقع أمامنا بكامل طوله ، وكذلك عددا واكبر المجمع عبر الرجال المحفرة - ونزلنا من سلكه الاموات الى أرض الاحياء بعد لقاء نظرة متلفهة طويلة وأخيرة على الهرم الذي في المنصة .

وهناك سحر عجيب يحيط بهذا الهرم يحدث ان الاسنان لا يكل من النظر اليه وهو يردد بينه وبين نفسه انه فعلا المجمع بناء على وجهه اشكورة كلها .

أما الملك الذي إقامه فقد جاء الى العرش بعد موت الملك منا مؤسس الملكية المصرية بحوالي ثمانين عاما حسب ما ذكره هيرودوت . ولم يترك لنا سوى حرمه هذا ، كما أننا لا نعرف عنه سوى اسمه . وعنده القدرة كلها تنسب كما هي الى مقولة الجسد البشري . وعلى الاسنان في تعامله مع التواريخ المصرية ان يعكر بوهو من الحبب التي تمتد بالقرون ، ولكن عادة النفل هي التي تقود الى الحطة - لقد وجدت الكتابة انه من المعبد ان تقارب بين الفترات الزمنية باستمرار ، وعلى حصيل المثال فان معرفة الزمن الصحيح الذي انطوى على بدء هرم سقارة متصاعدا على ان نتذكر ذلك ابتداء من عصر ينائه على يد الملك وينيقيس *Ousages* الى العصر الذي اقام فيه الملك حوفر الهرم الأكبر في الجيزة . ولابد ان يبينها فترة زمنية تساوي تلك الفترة في تاريخ اسجلنا التي تسند من عصر القزوا الى عصر لذلك جورج الثاني (١) ولكن حوفر نفسه المروك الذي مؤرخه الاغريق باسم كيويي *Cheops* - ليس الا ظلا يرمق على حنية التاريخ المصري .

(١) لم تكن عادة ابيس قائمة في أيام الملك وينيقيس ولا حتى في عصر كليوباتر *Kleopatra* الذي جاء بعده وأكثر من حنة وحفرين عاما ، ولكنهم ظهرت في فترة الملكية ايلم الامبراطورية السرية . وقد قام كهنة منف بتعميد حرمه لومياوات السجل المقدس . وقد حدث تلك بالطبع قبل حفر ابي من الهرم الذي المروك لجعل ابيس ولا شك ان هنالك للمعبد من هذه الهرم الذي لم تكتشف بعد . وكذلك لم يجد العلماء فيها من هذه الهرم الذي ما قبل عصر الأسرة الخامسة حضرة -

والآن مررتنا الصحراء خلصاً وتقريب من النخيل الذي يقود الى
 هدف .. ولا شك أننا كنا بالاطح نيل بحر صمودوت - كان كل واحد منا
 يحلو حلو صمودوت في رحلته عمر النبل ، كما كانت وؤوسنا متلي
 بالاصحاد القديمة لهذه المدينة الشهيرة . اما علم ان الملك صا مد حول
 صحرى النهر لكي يسمى صف في هذه القمه بالذات ، وان غالبية الفراعنة
 المظباء قد رينوها بثلمايه والتقصود والامراج والتنايل التمنية . لقد
 قررنا ان حصد ساح المظظم الذي وضعه رصبيس الاكبر بتنايله
 الشخصيه . وعن المكان المقدس الذي عاش فيه اسس يهتو ، وهو يمتشي
 في بهو الاعسة حيث كان كل عمود منها تمثالا . وعن البحيرة المستعينة
 والطرق المقدسة والمسلات وكافة عجائب هذه المدينة التي كانت حتى آخر
 ايامها من اكبر المدن المصرية لادخالها بالسكان *

ومع التفكير العارض في هذه الاشياء اتفقا على انه كان من الافضل
 ان نترك منب كنود اليها في نهاية الرحلة . وحينذاك نستطيع ان نلدر
 المدينة حتى نلدها مد فن تكون قد شاعدنا اولا تلك المدينة الاسرى التي
 على حافة الصحراء . والتي دلب سكان منب على الهجرة اليها جيلا بعد
 جيل على مدى ستة آلاف عام تقريبا . ونحن نعرف الآن كيف كان يصل
 فراق الناس ، وكيف كان المظباء يسلون انفسهم في تلك الايام البعيدة
 ويمشي بهم وجهه الريف من أمثال « نى » الذين يعيشون في منازل حصرية
 بمدينة منب وفيلات على صفة النبل . لما بخصوص السرايوم . ما درس
 منه وما جرى تحريبه . فلان الانسان لا يستطيع الا ان يمشى وكديه انطباع
 عميق عن طبيعة وقوة تلك الديانة التي تسخر لكافة اساطيرها المظربية
 مثل تلك الطبيعة وذلك الولا ، وتلك الانشغال الطبة .

والآن حان من مود مرة اخرى لنصبح وسط غابات النخيل . لنرى
 طريقا وسط نفس الروابي التي عبرناها في الصباح . وسرعان ما اجنارت
 مقلنة التركيب الطريق المطروق عبر سهل مغطي بالمشاتش الى اليمن .
 وهي اللحظة التالية تحضا على شفا بركة طيبة تقع في وسطها كثلة
 غير منتظمة الشكل من الحجر الجيري المعتم والمأكول . ويبدو انها من
 التمثال المبطع المشهور لرصبيس الاكبر الذي يخص الامة البريطانية .
 ولكن الحكومة الاحبارية شديدة الانقسام بحيث لا تسبل على تحريكه (١)
 ولذلك فهو يرتد حيا مخلوبا عل وجهه ويسره القبطان مرة كل عام ،
 ولا يظهر قط الا عندما تقتبتر البرق المتخلفة عن اليمضان . وسعد

(١) هذا التمثال مقام الآن على قاعدة من الفرميد - (ملحوظة متعلقة الى الطبيعة
 الثلاثة) *

كافة التجاويف الطبيعية . وهو أحد التلال كانا يقعان على مثل مبدع
بتاح العظيم . وقد أسطرنا هؤلاء الذين جاؤا إلى التجويف وشاهدوه من
أسفل أثناء فصل الجفاف بأنه نموذج بيل ووانغ لفترة من أفضل فترات
القرن المصري .

ولكن أين التلال الآخر ؟ بل أين المعبد نفسه ؟ وأين أبوابات
والسلالات وطرق الكناش ؟ وباختصار - أين معبد ؟ إن الترحان يهر
كتعبه ويقير إلى الزوايا الخاوية بين أشجار النخيل . أنها تبدو مثل
أكوام ترابية صلبة ، وترتفع فوق سطح السهل من ثلاثين إلى أربعين
قدمًا ، ولا يرتفع شيء من حستواها اللهم إلا مصر مجموعات النخيل الناقص
المو المتناثرة هنا وهناك . يبدو أن ماديها تتكون أساسًا من القرميد
المتناثر ، والخرف الكسور ، وشطبات من الحجر الجيري . ويمكن رؤية
بعض آثار قبلة لتواعد من القرميد ، وكثيرة أو اثنتين من الحجر في أماكن
متحفظة مقابل قاعدة رابية أو اثنتين وساحت دون مستوى عن أية علامة تبيين
حدود حائط الجدران أو مكان مبنى هام شهم .

هل هذا هو كل شيء ؟ لا . ليس تمامًا . هناك بعض الأكوام الطبيعية
بين الأشجار ، ونجد أمام كوخ منها عددًا من الشظايا المنقوشة ، والكياش
الهشبة ، والتماثيل التي بدون سيقان ، والتماثيل المجالسة بدون
رؤوس . وكلها مصنوعة من الجرايت الأحمر والأسود والأحمر . وقد
رسمت على هيئة نصف دائرة غير منتظمة على الأرض المعقسة ، وتبدو
كما لو كانت سالبة في اجتماع في بيت مهجور . نصف رؤيتها ، ونصف
سخيفة ، مع الماخر التي تمرى حولها ، وأطفال الإهراب الذين يتجشون
حلقها .

ويرتفع شمال من الجرايت الأحمر بالقرب من هذه النقطة في بركة
أخرى - وليس هو الساحة الثانية من تمثال رمسيس الذي رأيناه من
قبل ، ولكنه تمثال أصغر حجمًا ومكتفي على وجهه أيضًا .

وهذا هو كل ما تبقى من صف أفهم المس . عدد قليل من الأكوام
السالبة الصخية ، خمسة من التماثيل الهشبة ، والاسم ! وينظر الاسماء
حول . ويحاول فلا يجد سوى أن يسرع الإيجاد الضائعة لهذا الكناش . أين
صف التي جده الملك ميتا من تاتيس لكن يشيها - صف يوبيفيس ،
وحول ، وخروج ، وكافة الملوك الإوائل الذين بنوا مقابرهم الهرمية
الشكل في الصحراء المبالورة ؟ أين صف هيودوت وأستروبول

وعبد اللطيف ؟ أين تلك الخرائب المرونة حتى في المصوّر الوسطى
والى تمتد على مساحة هائلة « رحلة طولها نصف يوم في كل
اتجاه » ؟

يصحب على الأمان أن يتذكر أنه كانت هنا مدينة عظيمة ازدهرت
في هذه البقعة ، أو أن يفهم كيف طمست معالمها تماما . ولكنها تقف
هنا - حيث يودع المنيب الأخطر ، وتنبو أشجار النخيل ، ويبني
الأعراب أكواصهم على حافة النهر - أن التمثال العظيم يحدد موقع المدخل
الرئيسي إلى حصن دفاعي . أنه يركد حيث وقع ولم يحركه أحد ، وهذه
الصخرة الهائلة للبركة التي بمحاذاة النهر ، والتي تنمو أشجار النخيل
في أطرافها ، مري وولها قرية ميت دهينة ، وبلدج وحضنة من أحرام
الجيرة التي تحتل حوض بحيرة صناعية ضخمة حفرها الملك مينا ، ومازال
اسم مينا يعيش في لهجة الفلاح الذي يطلق على الروابي اسم :
تل حنب (١) مثلما أن سفارة تطلق اسم سوكر أحد الأسماء الخاصة بالاله
أوزيريس .

وليس هناك عاصمة في العالم سود تاريخها إلى هذه الفترة
السميكة . أو تحفظ سكانها في التاريخ مثل هذه المدة الطويلة ، فقد
أنتجت قبل عصرها هذا ستة آلاف عام ، لقد شاعت فيهم وسقوط
حدى وثلاثي أسرة ، وعاشت عصور حكم الفرس والفرقي والرومان .
وكانت حتى بعد انحلالها هي المدينة الثانية بعد الإسكندرية من حيث عدد
السكان والانتعاش . وظلت عامرة مائس حتى الفتح العربي ، وحينذاك
أصبحت هي الميناء الذي سبب بأسطوره الفسطاط (مصر القديمة) .
ومع قيام المدينة الجديدة على الضفة الشرقية سارع أهالي تنق إلى إخلاء
عاصمتهم القديمة وتركوها لتصبح تها للخراب والدمار .

ومازال باقيها منها سجل ولسبح من الخرائب . ويكتنه المؤرخ
عبد اللطيف منذ بداية القرن الثالث عشر قيسحت بحسن من التنايل
الصلاف والأسود والقواعد الضخمة للأصدة والتنايل وبيوت السروج
المكونة من ثلاثة أجنار فقط.والقوى البائرة والمجانب الأخرى التي كانت

(١) كلمة تل العربية تعني واية وتحفظ الحديث من هذه الروابي الأسماء القديمة

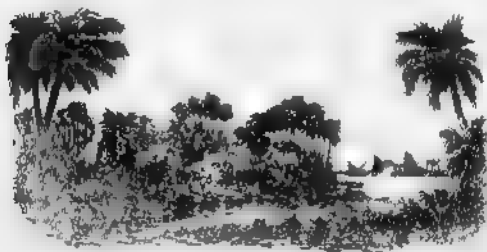
لحصى التي رجة مغاير مثل تل بسطة (بوباستو) ، وكوم أمبو (أمبون) تل .
وذلك لأن كل من تل وكوم خرافة

موجودة جيداً في هذه القصة، ولو كانت رحلة ماركو بولو قد أدته إلى
 نهر النيل ، لكأن قد وجد ماضي الإسماعيل والحمايد التي تخص مدينة صنف
 قائمة ، أما ساندريس Sandres الذي ذهب في سنة ١٦١٠ للميلاد حتى
 كفر الإيلاب جنوب القاهرة فيقول أنه « لا يوجد في بلد ٢٠ ميلاً جنوب
 القاهرة سوى الخرائب » وقد قالت نفس هذه الخرائب بعد هذا التاريخ ،
 ووجدت أشجار التين التي ربما يسمح لها بالنمو ، وامتنعت القاهرة الحديثة
 كل مادة البناء التي تفتقت عن المصور الوسطى .

إن صنف مكان يستعد أن تقرأ عنه وتذكر فيه وتذكر ، ولكنه
 يشعر بالاحباط عندما تراه . أما إذا التفتت فإليك تفتت أول حلقة في
 سلسلة التاريخ الأثرى الذي يربط مصر القديمة بمصر اليوم ، إن هذه
 الروايات القصصية وبك البصرة التي يسكنها مالك الحريم طائر البلشون
 لابد من رؤيتها إذا كان لابد لها أن تحتل موضعها في معرض الصور
 المحفوظة في ذاكرة الإنسان .

لقد كانت هذه الزيارة نتاج يوم عمل طويل ، ولكنها وصلت أحيرا
 إلى نهاية . وسقيا حبراً عائدتين نحو النهر ، وكان منظر الغروب العظيم
 يصبح أشجار النيل وأبراج الحمام في المدحس باللون القرمزي ، ويبدو
 كل شيء الآن في حالة استرخاء ، هذه حمامة تجتر طعامها متأية يساً
 نرقد في حانب بحوار المسر وتنتظر إلينا دون أن نحرك . أما الأطفال
 والحمام فقد ذهبوا جميعاً للنوم . أما القصور فقد جفت في النسي بعد
 أن استمرت وقت طويلاً . وقد ارتفع عمود رفيع من الفخار هنا وهناك
 مبعثاً من الأكواخ الملتصقة . ولكن في اللحد أن يرى مخلوق يتحرك .
 وسرعان ما صادفنا امرأة حلاقة حيلة وطويلة تقف في إبهة بجانب
 الطريق ، وقد ارتاحت حجابها إلى الثلف فاسفل على قميصها في طيات
 مستطيلة . واجتمعت وهدت يدها وهي حسي « نقشيش » كانت
 أصابعها مطلة بالمخارم ودواعها بالأساور العضية . وكانت مسنحلي .
 فليس في ذلك عيب لأنه أصبح مألوفاً . ومجرد عادة متداصلة . وكان
 من الواضح أنها لم تتوقع أو ستحتاج البقشيش الذي تنازلت وطلبت .

وغرست الشمس بعد لحظات قليلة . ومركبا القرية حلقا ، وقطعنا
 بحر نصف ميل من السهل . والآن ونحن نعاثون من الجوع ولعشش ،
 والبراب يعطينا ، بالإضافة الى الأجهاد ، وقد تشبعنا بالمحرمات الحديدة ،
 والاتصالات الحديدة ، والأفكار الحديدة ، فقد عدنا مرة أخرى الى المنزل
 حيث نجد الراحة .



قرية بيت رفيلة

الفصل الخامس

من البلوشين الى النجا

من المعتاد في الرحلات عبر النيل أن يسرع السائح أثناء اجتازه جنوبا بقدر الامكان ، فتركوا الاطلال ليراموا في رحلة العودة مع التيار . ولكن علم التواجد مثلها مثل قواعد كثيرة غيرها لا يتم تطبيقها في جميع الاحوال . ان السائح الذي يبدأ رحلته في أواخر الموسم ليس أمامه خيار آخر ، وعليه أن يسرع في الوصول الى نهاية رحلته اذا أراد العودة مع انخفاض النيل دون أن تفرز سفينته في صفة رحلة يصعب الخروج منها حتى يتولى الفيضان التالي تمويدها مرة ثانية . لما بالنسبة لهؤلاء الذين يريدون ليس فقط مشاهدة الآثار ، بل أيضا متابعة مسار التاريخ المصري كما يكشف عنه الفن المصري بصرف النظر عن سطحية هذه المتابعة . فمن الضروري أن يبدؤوا رحلتهم في بداية الموسم حتى يتمكنوا مشاهدة العديد من الآثار أثناء الابطار -

ونظرا لأن تاريخ مصر القديمة يسير عكس التيار فأننا نجد الآثار الأقدم ربما تقع في القاهرة وأصبوط ، بينما تقع معابد الآونة الحديثة الأحدث زمنا في النوبة . ولذلك فإن هؤلاء السياح الذين يسرعون في الابطار جنوبا مع الريح أو بدونها ، بحيث يسرعون حينما ، ويتوقفون حينما ، وينضمون المركب بمصا طويلة تسمى قاع النهر حينما ، عابرين هذا المكان ليلا ، وذلك المكان نهارا ، ولا يستريحون حتى يصلوا الى ايدي نقطة في رحلتهم ، انما يبدؤون من الاتجاه المعاكس ، ويشاهدون جميع المناظر بترتيب مغرب تماما ، ولا شك في أن زيارة منف وسقارة ومقابر بني حسن لابد أن تتم أثناء الابطار جنوبا - وكذلك الكاب ونل المصارمة والقسم أجزاء الكرنك والاقصر - وليس من الضروري التوقف طويلا عند بعض هذه الأماكن ، فس الممكن مشاهدتها أثناء الفعاب ثم دراستها بناية أثناء العودة - ولكن لابد من مشاهدتها عند المرور بها ، بصرف النظر عما يكلفه

التأخير من تكتمة طليقة . مع ضرورة تجنب أي نوع من المبالغة . لأنه بهذه الطريقة وحدها يمكن تجنب تقدم ونموذ القبول من عصر بنات الاحرام حتى عصر القياصرة ، أو فهم ترتيب هذه المسموعة الضخمة والموقرة للأسرات التي توالت على صرح التاريخ في الوقت المناسب والمكان المناسب .

أما عن رحلتنا ، كما سمى سريعاً ، فإنا قد استعظنا أن نعد جزءاً من البرنامج ، ولكي ذلك الجبر ، كان لحبس الخط هو أهم الأجزاء . ولم نتوقف عن نهضة أنفسنا لأننا حسبنا انشغاف على أمراء الجيرة وسقارة قبل أن نشاهد مقابر الملوك في طبة . وأسى أحسن صمم مكانية تقدير ميزة دراسة تلويش مقبرة . هي . قبل أن نتأخر بالانطباع الذي يداخلنا لدى مشاهدة طراز معبد دندرة وأسنا الأقل وروعة . لقد يدان قراءة الكتاب الكبير باختصار كما يجب أن تكون البداية دالياً . ولعلنا في صفحة الأولى إلى هذه الرؤية الضرورية التي بدورها تفقد الوصول التالية أكثر من نصف أهميتها .

ولقد صممت على التركيز على هذه النقطة لأن الأتية تحتاج قدرًا معيناً من الاسرار على غير الصراحة . وأنا متأكدة من أنها ستواجه بالمبالغة . وعلى سبيل المثال فانه لا يوجد ترجمان واحد منظم لأهمية الترميز التاريخي في مثل هذا الموضوع خاصة في حالة الرحلات المؤجلة بطول . فإن خوفو والرعاسة والبطلة هم في واحد بالنسبة له . أما عن الإله فانه يغيرها كلها أكثر مصرية ، وكلا منها يمثل الآخر من حيث القرابة وصعوبة الأدوات . انه لا يفهم تمامًا كلاً ما يعبر التفسير هذه التسلطات البعيدة . ويصرفون مثل هذا القدر من التلال لمشاهدة الآثار ، ولكنه ينسبها إلى عادة حب الاستكشاف التي لا تؤدي إلى أية ضرر مادام يحقق أرباحه عن طريقها .

والحقيقة هي أن مجرد مشاهدة النيل تتطلب بعض القراءة والتنظيم إذا كان الغرض منها هو التمتع . ولا يمكن أن نكون جميعاً متحمسين . ولكنا نستطيع على الأقل أن نعدل أنفسنا لهذا لتعجب ما نراه . ونتخلص من الضباب ، وأن نصح الشيء الصحيح في مكانه الصحيح . لأن أرض مصر هي كما سبق أن قلت كتاب عظيم مفتوح وبها كان من الصعب قراءته تحت أية ظروف . ولكنه في جميع الأحوال شديد الصعوبة . فليكن عن الارتباك الناتج عن قراءته من الخلف إلى الأمام .

والآن ، فإن النقطة التالية في رحلتنا عبر النهر وهي نفسها الحلقة التالية في سلسلة الآثار الأكثر لهما . هي قرية نسي حسي يتقاربها الشهيرة المحفورة في الصخر . والتي تعود الى الأمتة الثانية عشرة . وما زالت قرية نسي حسي تقع على بعد يزيد عن خمسة وأربعين وعائة ميل - وكان علينا أن ننحى إليها مباشرة ، ولذلك قمنا بتقسيم عبلة رسو المراكب وما سمحناح من اميال قليلة للسودة اليها مالفوارب في هذا المساء ، ولكننا عزمنا على قضاء يوم آخر في نفس المكان بالرغم من استمرار هبوب الرياح المواتية ، على عكس كافة القواعد والسوابق - وصر القبطان رأسه بالمواظبة ، بينما استنكر المترجمان ذلك ، ولكنه وافق على حضري . قال الأخير في لغة تنمويها روح الادعاء المزني التي تمود أن بديها دائما عندما لا يسمح له بالنمر كما يريد . ه سنصرف قيمة الريع عندما نقضي وقتا طويلا على صفحة النيل ه . لقد كان رجلا كمولا ، حسن الطباع ، يتحدث للإبغيرية جيدا ، كما كان سهل الانقياد ، ولكن روح الادعاء حله أصبحت مزعجة في حينها .

وكان للسنتين م وب . نفس الطباع . وعلى كل حال فانا فضلتنا يوما الثاني الذي قضيناه في منف . وكان لابد لنا من العبور الى طرة . وشاهدنا المنام الفضيلة التي جاءت منها الأحجار التي اقيمت بها الطبقة التي كست الإحرام ، وكافة انواع السير الجيري الفاسر التي بنيت بها قصور وصناد منف . ولكن هذه الناحية البحرية بدت كما لو كانت في أوجها على الجانب المقابل من النهر . وقرردنا أن نترك طرة حتى نعودنا ، ولذلك مضينا في طريقنا - واتخذ ألفريد يصيد الحمام ، بينما كانت الكاتبة ترمم منطقة حيث رعيته والنخيل وبصرة مينا القنسية . واخذ الآخرون ينكبون الأرض بين الروابي بحثا عن الكبر ، فوجدوا شطايا عديدة من الرجاج والقنار . وبزوا من تشار مسحوت من البرونز للبحر أميس . وقضينا يوما هادئا سعيدا خاليا من الوقائع ، ولكنه جدير بأن نتذكره في سعادته .

ولاستمرت الرياح المواتية في الهبوب طوال تلك الليلة ، ولكنها انتهت مع شروق الشمس فتمسا كنا على وشك الانقلاع - وقال الرئيس حسي : ه المهر الآن يمتد أمامنا ناعسا كالرجاج . ولا نملك أن نعمل له شيئا اللهم الا المسحب ه . لقد سمعنا عن كلية السحب هذه كثيرا منذ خطوبتنا الى مصر ، ولكن دون أن تكون لدينا فكرة محددة عن هذه العملية . ولما صعدنا على سطح المركب ، وقبل الانطلاق وجدنا تسمت عن

استدقانا المساكين عربوطي في حبل مثل حيول البحر ، وهم يجرون المركب الضخمة ضد التيار . وكذلك قام سبعة من بحارة السيدتين م - وب ' بجم التركيب الأخرى وهم يسونوا على بعد عند يارولت ' وتقابل الحملان . يرتقلنهما ، ويغطسا في الماء معا . وسرعان ما غاب التكاوي الفئ رسوما فيه الليلة الماضية . وانتصب هرم ونفيس على حافة الصحراء - وسط اشوتة الأصغر حصا كما لو كان بعمينا بمبة الوداع . ولكن منظر عمال السحب سامر مع جاني الصورة الهادي . - وسودنا عليه متلما ينمود للرا على كل نى ' في حية . ولكن هذه المهمة بدت لنا عملا من أعمال الشجرة وأصابت مجاهدتنا الأندلسية بصدمة شديدة .

ومع استمرار السحب في هذا الصباح تجاوزنا لهرام دكتور . وتسلطنا مرما متداعيا متبدا من الترميد قائما في وسطها مثل صخرة سوداء تبرز بنفسها سلال منطقة السجر الجيري وسط الصحراء . وكانت أشجار الخيل تسد خط الضفة وتتغلغل المنظر . ولكننا اقتربا منى النظرات صا ومناو محتج باعينا من ذلك الهرم الذى يتخذ شكل القبة . وكنا قد لاحظناه من سفلة بالأمس . وبالنظر اليه في ضوء الشمس ظهر لنا أكبر حسا وانصح يافا وأكثر شجها يستلب لصر المالة القديم الذى يقع في ياريسى على هذا النعم المسحق .

ومع مرور فترة الصباح ، جلسنا على سطح المركب لكتب الملاحظات ، أو لقرا ، أو مشاهد مناظر الشاطئ الذى يقع عليها ضوء الشمس وترى من يده بعيد تطل على مدى النظر فترة طويلة . وكانت تتتابع لمانات النخيل والصفاف الرملية وزواجات القوة ذات الرؤوس المجددة ، والمخول التى تسو بها بعض الأعشاب ذات الرؤوس التى تكملها أوهار صفراء اللون . وهناك صبي يقف متاقلا بطول الضفة مسلحا بجملا . وكلاهما يقف يبط ، لكنهما سرعان ما تجاوزا نا والتفتنا بقارب محلي يسبح مع اختيار . وجاءت فتاة الى حافة الماء بينما جرة فارغة . وانتظرت حتى كلالها بعد مرور عمال الشمس . وكانت أبراج الحمام الخاصة بأحدى القرى الطينية تلوح وراء مجموعة من الأشجار الضخمة على مدى ربع ميل نحو الداخل . وهنا شاهدنا رجلا وحيدا منى اللون يضع على رأسه طاقية ويرتدى ثيابا قصيرة ويقوم بتفصيل الشادوف (١) ليتحضر

(١) كلم ف - ب . ذلك هو صنف الشادوف وصفا دقيقا ٢ يسمى ١١ ان انقله حرفيا كما هو . من الجانب التركى تجد أن للشادوف تطبيقا لشورية الدوايح . وفى (٢) التى اخترعها الاندلس - بسبعة نزلت كلم فريد أن الشادوف يعود لمتدلسه .

تم ستصمب وسجى تم يصمصمب مثل سدول الساعة • انها تسمى الآلة
 اى مسماها مراداً وكراوا مرسومة فى مقابر طيبة • ومن الواضح
 أن الرجل الذى يقوم بتشغيلها يسمى اى قداماء المصريين، بحيث يشعر
 بالمرارة لأنه استطاع أن يهرب بعد محبطه فى شكل موهباً ودفعه منذ
 أربعة أو خمسة آلاف سنة مضت -



الساقيون

• الى درجة انقوة المستخدمة ان جسم الساقون يتكون من عمود حكيين طويل يرتكز على
 دعامة وقد وضع العمود مرفوعة عمودية على النهر • اما طرفه الذى ناحية الارض فقد
 وضعت عليه كتلة ضخمة من الصلصال • وقد علق جريل من جلد دناعر على الطرف الذى
 يذخية النهر • هذا هو وصف الجهاز • أما الرجل الذى يقوم بتشغيله فانه يقف على حافة
 النهر وامامه حلقة مملوءة بالماء اللادم عن حبرى النيل • وعندما يقوم بتشغيل
 الساقون فانه يمسك بالصلل فالملق فيه الجريل القارغ ثم يمحس ويفرع الجريل فى الماء
 مستخدماً كل قوة كتفيه • اما الجهد الذى يبذله فى الاعتدال مرة أخرى فانه يعطى
 للذو المنوع بالماء دفعة الى اعلى بحيث ان كتلة الصلصال التى تعلق التوازن بين
 القوتين تعمل على رفع الدلو الى الحوض الذى تفرغ فيه ماء الجريل • يبطأ تعيل على
 جانب واحد • اما ما فعله ليتخلص فى انه رفع الماء ستة أو سبعة اقدام اعلى من مستوى
 سطح النهر • اما اذا كان مستوى سطح النهر منخفضاً بمقدار اثنتى عشر أو أربعة عشر

وزويدا رويدا بدا التسميم الحليل يهب فاطلق الرجال الجبل وقتضوا
الى سطح المركب ، وارتفع الصاوي الكبير ومشط السديم وعدلا للايدار
مرة أخرى بنفس يهجه اليوم الفئ يارحنا فيه القفصة - وعند عرويد
التسميم شاحدهنا شيئا غريبا يشبه عملة عملاقة بم نحت نصفها ، وهي
تقف على الضفة الغربية مقابل السدا ذات اللون البرتقال القمعي .
انه حرم مبدوم المدي مطلق عليه في الحالة اسم الهرم الكذاب . انه ينفو
قريبا صاما من الضفة . ولكن ذلك في تأثير الضوء الشديد والظل لانه
في الحقيقة يقع الى الداخل مسافة تزيد عن الهم مأويه اميال على
الآقل . وفي هذا المساء وبعد في واصلنا الابحار في البحر حتى الساعة
التاسعة . رسونا على بعد حوالي ميل من بي سويف . وانضمنا بمنما
علمنا انه لابد من بوصول رجل الى المحافظ لطلب الحراسي - ويقول
نفسه ان شيئا لا يحدث لأحد في بي سويف ولكن المكان لا يتشبع بسعة
من الدرجة الأولى ولذا كان لدينا الحراس فابا في جميع الاحوال
ميجر المحافظ صيغولا في ملامتنا وسلامة مستكافا . ولذلك أوفسنا في
طلب الحراسي . ومع رسونا على الضفة ظللنا طوال الليل نصدر صرخا
مسيوحا خارج نوافذنا .

وفي نفس الوقت احد اتجاه الريح في التحول الى الجنوب ، ولكننا
في الصباح التال صارت تهب في وجوها وعلى أية حال فقد ظل الرجال
يسحبون السفينة نحو بي سويف الى نقطة تصل فيها حدود الجبال
الى حد النهر وينتهي الفراغ الذي يمثل صبار سحب السفينة . وهناك
توقفت لعدة يوم أسطول من المراكب المحمية الكثرة الاضافة لواقع النزول
من السفينة . لما وصل بي سويف هو بديع ، ويمسك النديو هنا قليلا
من الطرار الايطلل بيشاء اللون تلمع في وسط حديقة كثيفة الأشجار .
وتقع المدينة خلف مجرى للنهر قليلا . ويواجه النهر من المصبغة عدد
قنبل من القاهي ونوع من المتزحمت التي تقع على ضفة النهر ، ومسجد
بديع الشكل مبني على طرف الضفة مقابل انحناء النهر .

ونريد الآن ان ندور مع هذا الركن لنصل الى موقع أفضل للابحار
عند صوب الريح . لما في التيار هنا فانه يجري بصق وقلة ولكن الريح

فما لنا سيحتاج في شرف آخر يعمل بحيث يصل الى حوض جديد ينقل كليه الماء
في الحوض الأول . وإذا كان ستوى سطح للنهر الى من ذلك في الامر يحتاج الى
شاهد ذلك لرفع الماء حتى لفة الضفة بحيث يمكن من الماء حتى للخلل التي تحتاج
لأرى . انظر كتابه **Rept of the Pharaoh and the Beehive**
في 164 وما بعدها .

والله اعلم بما في حالة سكوت . لقد انفض عدد من رجالنا حول الركن مثل القطط وهم يحلقون الجبل معهم . بينما عمل الآخرون على إبقاء الذهبية بعيدا عن الضعة باستخدام زمامات ترتكز على قاع النهر . ومع انقطاع الجبل وانكسار إحدى الرامات بانسلا لكي تنقسم عدة أقسام . ولكنه تقدم صعيقا . وبعد لذه استراح الرجال قليلا . كرهوا المحاولة ولكنهم مشوا حرة أخرى . واستمرت الحركة . وسرعان ما اردسم المنتزه وبواقد المسجد تدورحيا بالمشاهدين . وتم احضار عدد من الكراسي لجلوس ثلاثة أو أربعة من الرجال الملتحين الذين يرتدون الساعات . فجلسوا في وقار وهم يستمعون للرجيلة على الضفة ويستمتعون بالمشاهدة . وفي نفس الوقت ظل السقاؤون في غنى ووزاج في منطقة النورول . وهم يملأون القرب المصنوعة من حطب اللامر . كما أتى البعض بالخبر والجبال لكي تقرب . بينما أتت الفتيات اللاتي يرتدين فساتين زرقاء داكنة وأحذية سوداء خشنة ويحلبن جزارا ضخمة تبيع على رؤوسهن . وبعد عثها ووضعها مستدلة يشبهن حتى شطوات مهتة كما لو كانت الحرار الثقيلة الكابل فوق رؤوسهن .

وعكدا انفض اليوم في تكرار محاولات ازالة المركب ولكنها ظلت ثابتة . وأجيرا استطاع بمبارتنا باصرهم عليه أن يهبطوا بنا حول الركن الصعب . وبعد ذلك بقليل تبعنا الذهبية باجستونر ، ورسبت كلنا للحيثيتن على بعد حوالي ربع ميل أعلى المدينة . وتلكت ذلك ليلة مليئة بالمغامرات . لقد نام حراسنا بعمق مرة أخرى بينما كان لشرار بني سويح مصيقتهم نسيلا .

وقد حاول أحد الوجوه الذي آثارته دوافع الود الصديق للقيام برحلة ليالية للذهبية باجستونر ، ولكنه هرب بالقفز من الذهبية بعد أن تم اكتشافه وملاحقته وإطلاق النار عليه . وبعد ذلك بساعاتين حل دورنا عندما تصادف أن كانت الكابينة مستيقظة فسمعت صوت رجل يسبح يهدوء حول يله . وجاء النصرف السريع في شكل قشمال بور ملاحي ، وتحذير كل فرد بحركة فجائية . وسرعان ما آثارت الذهبية كلها ضجيجا يصم الآذان . وأضيئت المشاعل فوق السطح . واستطعت فصيطة السيطرة . وحين تلحي بندقته . فالتفت الض في الظلام حاربا كالسكة .

وماطرح كان لمزلس نائمين خلال كل تلك الأحداث . يا لهم من إيمه . لقد دلفنا لكل هتهم شملنا في الليلة نظير الجراسية ولكنهم لم يهتوا بشئ .

وفي صباح اليوم التالي لودعنا تنكوي مند أهل المدينة مصر ليرافقنا شخص صاحب النون ، مرتديا رداء أسود طويلا ، وتديسا أبيض كبر الحجم - كان هو كبير الخراس - فقام متدحيف القنوي مرات عديدة ، وقرب أكوابا عديدة من القهوة ، وأصت الى كل ما قلناه - وهو يسلو شديد التنقل - وأخيرا انترخ ضرورة مضاعفة عدد الخراس -

وغاصرت بالقول انه اذا كان اليوم طيبمهم، فان ارضي خارسا منهم لن يكونوا على مستوى المسئولية ، وعنده ذلك هب الرجل واقفا وتندب صهه - وليس لحبته - وقال بصوت صرحي جهوري - " ادا ناموا لانهم سوف يعلقون في القلعة ، ويضربون حتى الموت " .

ويبدو ان خطا السعيد قد طرقتا ، لاي الريح المضادة استمرت على مدى ثلاثة ايام بيناليها - وهي تهب بقوة على حجر الرجال عن السحب صدها - ومع وصولنا عند تلك الضفة الوحشة وجدنا ان بدايه رحلتنا مند عشرة ايام قد طارت فائدتها في الهواء ، وانما سر بالخص الظروف ، ولكن اسمعنا اكتشاف ان الجريرة الطويلة المجاورة والفضحة التي على جاني النهر كانت جميعها مودعة بالكثبان الرملية ولذلك كان الريد يخرج يوميا صحبة المخلص جورج وصمه بنقته التي لا تسطر ، ويمردان بسيد ولغير . وبسبب ما سفي في برعات طويلة كما رسم القوارب والابل ولناوم النساء الوطنيات في تراء العقود والاساور الذهبية - وهذه العقود (يسمى الواحد منها بالمرية طوقا) أسطوانية الشكل ولكنها ثقيلة الوزن - وهي في شكل الاصبغ المختصر وتنتهي بحطاف في احد طرفيها وحلقة مستديرة في الطرف الآخر - وقد نخلع السات احبيهن حانبا ويظهرن العقد الذي يلبسه كحرف في الماومة - ولكنهن في الغالب ويمد ان يلفن حلقة وهي ينظرن البناء مميون من السوداء في جبل ، كن يشمون بالخوف مثل قطع من الرمال المنحولة ، ثم ينصص مع صراحت حادة صف ضاحكة ونصف خائفة .

وفي نبي سويص واجهتنا اولي المواضع الرملية التي وصلت النهر قرب الظهيرة - وقد علت في الافق مثل مسحات صفراء تدور حول نفسها بسرعة لمام الريح - وعنده وصولها مرقت النهر الى موحات عاصبه ولطحت المنظر الطريبي وفي البدايه اخضت القلال البسيطة ثم أشجار النخيل التي حلف الجريرة ، ثم القوارب المجاورة لنا - ثم امتلا الجو بالرمال - وظهر سطح السهل منخركا ، وسوحت الضفتان شرقا الماء المتقرو -

وتسلي التراب الأسفر من خلال كل شق وكل صدع من شكل محات من الفضلات الصلبة ، وكان ينظروا لا يمكن جعله - وسرعان ما ابتلا الشعر والعيان والقم والأذنان بالتراب المتيق - وتقهقرا للإحتماء في المصاود - أما هنا فانه على الرغم من أن جميع التوالد والأبواب كانت قد أغلقت قبل وصول المباشرة إلا أن الرمل شق طريقه كالسحب ، فغطى جميع الكتب والأوراق والسجلات - ثم عدت المباشرة بمثل سرعة صيولها - واستغرق ذلك كله ساعة واحدة ثم تلاه تنفق المطر الغزير - وبعد ذلك صفت السحابة وكانت فترة بعد الظهر صافية جدا - وبعد هذه المرة لم تصادف أمطارا في مصر مرة أخرى .

وفي صباح اليوم كان أول ظهور لنا في بني سويف ، وهو اليوم السابع منذ يارحنا القاهرة . تحولت الرياح إلى الشمال مرة أخرى ، وللأسرة الثانية أصبحنا في طريقها - وكانت رؤية الشراع الكبير وهو يرتفع مرة ثانية فوق رؤوسنا وسماح صغير الماء تحت نوافذ القمرة بحيث مرور حطيم لنا - ولكننا كنا لم نزل على بعد تسعة أميال ومائة ميل من الروضة - وكنا نعلم أنه لا شيء يستطيع أن ينقلنا إلى هنا عند حلول اليوم الثالث والعشرين من الشهر سوى حيلة حظ غير عادية ، مع توفر الوقت اللازم للمشاهدة بسى حبل حلال الطريق - وفي نفس الوقت كنا نتقدم بمعدل مقبول وفي المساء رسونا على بعد حوالي ثلاثة أميال شمال مدينة ما عده هدوء الرياح - وفي اليوم التالي استطعنا بمعاونة السليم الحبيب الذي تمركز مرة أخرى بعد البحر أن نسف مسافة مقبولة بين الضفتين المستطبتين واللتين تشغل أطرافهما بالبحار الخيل المتناثرة هنا وهناك - وترصهما الممر الذي يجعل المنظر صالها للتصوير - ولكن لا يوجد هنا الكثير الذي يفيض إلى نراه . كما أنسى لم أكن راغبة في التسلية - والآن نحن نمر على جزيرة ذات شفة رملية مغطاة بطيور بيضاء مثل الثلج سريعا ما طارت في مصعب عند انقراضها - وبعد ذلك ظهرت مدينة بنا قائمة على حافة الضفة الشمالية الانحدار - وظهر الدبر القلبي الغريب الشكل الذي يتكون من حقله من تلال طيبة صغيرة مثل عقود من الفخامات الأرمية . ثم مررنا بمصنع السكر المجهز بمواقد المهشمة ومخمد الصودا الضخمة التي تصلح للمدينة برصحاتهم أو شميلد - وطلع الآن خط السمكة الحديد ، ونستبح إلى آخر مسافة لقطار يقادر المسطة - وفي المساء رسونا ونحن نرى حدائق المصنع والقنوات المائية لمدينة مفاجئة - وفي اليوم التالي وصلنا إلى قلوصلنا وهي آخر محطة قبل النيا .

راتطعت لنا الآن صروحة التخطص من حكرة الذهب الى بني حسن
 قبل وصول بقية المرافقي على المراكب الأخرى . وقد وصلنا الآن الى مصاء
 يوما التاسع . ومازلنا على بعد ثمانية ولويين ميلا من الروضة ، ولابد وأن
 هبوب رياح مضاده اخرى سيمططنا أثناء الطريق . لقد حسبنا جسيح
 المضطرات ، ورغمنا في ان نفس اجتماعنا حتى اليوم الرابع والخمسين من
 الشهر . وإن نعيم الموعد المتفق عليه للوصول الى الدنيا ، وسيتمتع لنا ذلك
 وقتا كافيا لمصحب المركب عند الملاحه ، وعلى ذلك تسمه صياغة بركة باللفة
 السريية ، وبدأ عدائنا السريع في الصلو للوصول الى قلوبنا قبل أن يفلق
 مكتب الضراف ابراهه طوال الليل .

وعموما . فإن المصمم لم يحقق بل عاد في صباح اليوم التالي عند
 الفجر . وجهه جهور قلوبنا وصلنا الى جرم مبسط في الدهر حيث تشرنا
 عنده بزيارة شيخ مسلم . له قميصه غريبة يدعى «الشيخ قطر المبروك» .
 والآن ، فإن الشيخ قطر وهو شاب في حوالى الثلاثين من السن . يتمتع
 بالصحة . ويبدو عليه أنه يتفلى جيدا . يظهر لأول مرة وقد جمع ملبسه
 على راسه في شكل عباءة ضخمة وكان يمسح في الماء بحيث لم يظهر منه
 الا ذقنه . وكلم لنا نفسه حل سطح السفينة ولمى ترجها حماسيا .
 فاحتضنه الرئيس حسى وقطه المرشد ، وحضر البيارة واحدا واحدا وهم
 يقدمون كميات من التبغ وبعض القروغى التي كان يتقبلها كما يتقبل
 بابا القاتكان الترهات الخاصة بالقديس بطرس .



الشيخ قطر المبروك

وكان الجميع يقدمون اليه عطايهم وهو يتقسم مثل غروب البحر
 المستأنسة - ويبدأ ذلك أحد يلمس دفة المركب والجمال وأطرافه الموارس
 الاقية التي تنبث الشراع ، ويقول نلحني عن ذلك انه ، سادتها ، واحدا
 يبدى بوعا من السموات الوداعية ويسمى بالتصادية ، ثم يرتدى في النهر
 مرة أخرى ويسبح الى السحابة باحسب نور ليؤدى نفس العرس على
 سطحها -

ومن تلك اللحظة ناكه اردحام رحلتنا ، واحد القبطان ينحول وقد
 رسم ابتسامة على وجهه الصارم ، وظهر البحارة سمناء كما لو كنا قد
 اعطيناهم شيئا ذهبيا ، ذلك انه لا يمكن ان يحدث مكروه للذهبية التي
 يباركها الشيخ قطى المروك ، واسمنا متاكدين الآن من أما سقاييل
 ريانا موثبه ، وان صير الشلال بنود حوادث وان يعود في صحة وسلامة
 كما بدأنا رحلتنا ، وكيف سأل عما فعله الشيخ قطى المروك حتى يحصل
 بركته شديدة التعالية ؟ انه يحصل على كميات وافرة من المال ، ولا يصوم
 أكثر من سائر المسلمين ، وله زوجتان ، ولا يؤدي أي عمل ، ويجسد
 صورة الرجا، المتاعم - ولكنه شيخ الماء ، وعندما سموت ستمعت صجرات
 عند القيرو ، وسيخلطه ابنه الأكبر في هذا العمل ،

وقد بلغنا الصحابة بالتحرف الى البعيد من المشايخ (*) على مدار
 رحلاتنا في الشرق ، ولكني لا أعلم أنهم فعلوا شيئا يستحقون عنه
 التكريم - لقد ساعدنا شيئا محورا دحبا اسمه الشيخ سليم كان يطمس
 على كومة من الثواب قرب فرشوط لا يرتدى ملابس ، ولا يستحم ،
 ولا يحنق ذلك - وقد مضى عليه نصف القرن الأخير دون أن يعمل شيئا
 ولا حتى يرفع يده الى فمه ليتناول الطعام ، ولكن الشيخ قطى لم يصل معه
 الى هذا الحد من التقوى كما أنه كان نظيف اليدين

وحين ذلك الوقت كنا نتبع نحو سلسلة من الصخور الصغرى
 كانت واضحة في الأفق منذ فترة طويلة ، وهي التي تظهر على الخرائط
 تحت اسم : جبل الطير ، وكانت الصحراء العربية (الشرقية) كثرة
 من اللغة الشرقية حتى فترة قصيرة حيث وهي الآن مضي في امراض
 متوحجة الى حافة الماء ، وتظهر الصخور الصغرى بفتة صبا وعساك فوق
 الرمال العالية التي تبدو كما لو كانت تنطى العديد من المعابد المجهولة .

(*) الكلمة هي نفس تشير الى القيس في الأولى - (المترجم) .

وسرعان ما انتصت الصخرة الطويلة وحل محلها حاجر محض من الحجر الجيري في شكل صخرة سوداء لامعة خلف خط الماء . والآن وعلى المنحدر النجميد أمامنا حيث يحس النهر ويظهر الصخور المرتفعة من مسافة بعيدة . يبرز بقعة صغيرة هي دير السكر . ويظهر الدير في حجم عثر النمل حائما على حافة جرف مرتفع . وكنا قد سمعنا كثيرا عن المنظر الجميل الذي يظهر من الربوة التي يس عليها الدير وهو داخل حوض رياح رحلتنا بوصفه أحد الأماكن المطلوبة لزيارتها أثناء الطريق . وكان لابد لنا الآن من زيارة المنيا هما كفضا الأمر . ولذلك كان لابد من تعامل عدد الموضوع مع الأنصب .

والآن يرتفع الطاهر الصحري الى أعلى ، وفي اليمين من المنحدر هنا وهناك في شكل ثغرات لامعة من الأنفاق التي يبدو بيضاء كالثلج . ويظهر الدير أكثر وضوحا ، وتصبح الصخور أكثر لونا ، ونصل الى انحدار النهر . حيث ينته صف طويل من الصخور المسطحة القبة متممة لمسافة طويلة .

انه يوم الكديس ، والسباحي ، لأنه عندما كانت الذهبية تقترب ، ظهر رأس يني اللون وهو يرتفع ويحيط في الماء على بعد حوالي مائة ياردة أمامنا . ثم انطلق شخص واحد وحار الماء فثلاثة في صخرة شديدة الانحدار أسفل حواف الدير ولخطوا في النهر . وفكرت الاسوات الحادة التي ترم في شكل حرفة سمعا صوتها بالرغم من الرياح . وفي دقائق معدودة احاط بالقارب سرب من الرصاص الذي يطلبون الماء وهم يصبحون بكل قوتهم : أنا كريستيان يا حواجة ! أنا كريستيان يا حواجة ! أي (أنا صيحي أيها الرحالة) . ولا كان هؤلاء رعبنا من الاكساد فقط . ولربوا مشايخ من المسلمين فقد سادح البحارة وهم نصف عاضين ونصف حادين في انحدار عنا بالصفي الطويلة التي يبروحها في النهر لتثبيت السفينة . وسبح لواءهم مهم فقط كان يرتجف وهو مخلوف في بطانية بان يصعد الى سطح الذهبية ، كان رجلا مليح الشكل يبلغ من العمر حوالي الأربعين عاما له عيال مدينتان ورأس مستدير ، وعينه في ثوب حطب الزمان الحاسي . ووجه يسر عن الجهل والفضيل والالتزام للشميد بسيف يجعل قلب الأنصار بشعر بالأم .

اذن هذا رجل ليطي سليل الشجرة المصرية المحصنة ١٠٠٠ واحد من هؤلاء الذين يدل أسلافهم عبادة الآلهة القديمة وجولوها الى المسيحية تحت

حكم الإمبراطور نيكتومبيوس منذ حوالي ألف وخمسة مائة عام مضت ،
والخروص أن يكون منهم مصرياً خالصاً لم يختلط بأي دماء أخرى بخلاف
المسلمين الذين اختلطت دمائهم أكثر من غيرهم من المصريين . وعندما تذكرت
هذه الأمور كان من المستحيل أن أنظر إليه دون أن أحس بالأعصاب المميو .
قد يكون ذلك مضى حيال . إلا أنني أرى فيه طرازاً مختلفاً عن ذلك الذي
ينتمي إليه العرب . لهذا شئ بسيط يوقظ المناظر المحقوقة في
مقبرة لي

وينبأ كنا تفكر في سببه العظيم . كانت أسنان القيطي المسكين
تصطك بشكل يثير الشفقة . ولذلك أعطيتاه شلتنا أو انتفخ لأجل حاطر
كل ما يمتلئ في تاريخ العالم . وبعد أن أخذ الضلعي مع زجاجة فارغة
وهينأما له . أصبح مبتعداً في وضعا وهو يصبح مرات عديدة كائلا .
« كتر جركم يا سنات ! كتر خيركم كثير » لي (أشكركن يا سيدات .
أشكركن كثير) .

والآن مضى الدهر بقيابه المنقودة وتركناه خلفنا . والصخرة هنا
تنتمي لنفس اللون الأصفر المائل للفسرة مثل الصخور طرة . ومن الواضح
أن الطبقة الألفية التي تتكون منها قد رست بفعل الماء في الواضح أن
الليل لم فاض هنا ووصل إلى مستوى شديد الارتفاع عند زمر بعينه .
لأن وجه الطبقة كلها منحرف على شكل حلزاني الفحل وقد غمره الماء بالتتابع
من متى عدة أميال . وعندما رأيت كيفية تكوين هذه الصخور الغريبة
التي تتخذ شكل الصخور ومتشابهة مثله . وتنحني كنموذج لرخصة المباني
الإسلامية البارزة . لم أنسألك نفسي عن التصجب حول ما إذا كان بعض
المصريين العرب القديم قد استعار يوماً ما لحصة خفية من مثل هذه
الصخور .

وبعد النهار يسيل . بينما يستمر سطح الصخور يصبحنا طوال
الطريق . والآن ونسج لشحم بعض الوديان الصغيرة المستعرضة . ولتفتح
الحقبة التي تشعق فيها مجموعات من الأكواخ الصغيرة والبقع الخضراء
من زراعات الترسس التي تعبر في النهر حيناً . ثم تتراجع إلى الأرض
تأدرة فراغا يشغل حراماً من التربة المروعة وساحة تجم بالشجار الخيل .
ويقترب غروب الشمس وويلدا روية عندما يتحول كل ظل ساقط في
حنيت الصخور إلى اللون البنفسجي . وتلمح صفحة الصخرة كالذهب
المتوهج . وتقف الحفلات التي على الضفة الغربية بلومها البرونزي الفائق
في مواجهة الأفاق للقرمى . ثم تنحدر الشمس . وسرعان ما يتحول

المنطق كله إلى لون السكون الأخضر الرمادي ، بينما تخرج السماء فوقها
 وغلفها باللون الوردي في شكل فيجاني - وقد استغرق هذا التحول حوالى
 ثمانى دقائق . ولقد دوس خشم من الظل الأزرق الضامق يصل قطره إلى
 قطر قوس قزح يرحب ببطء على الأفق الشرقى ، ويطل ظاهراً ، بينما
 تكثف مساحة الاحمرار الوردى لتواجه له ، ولكنه يتجلبأ ويغشى قليلاً في
 السماء . ونحيا يسهل الاحمرار الوردى وتصبح الزرقاة شاملة ، وتبدأ
 النجوم في الظهور ، ولا يتبقى إلا وعرض عريض إلى الغرب محدداً الاتجاه
 الذى غربت منه الشمس . وبعد ذلك يحوالى ربع الساعة يحل ما بعد
 الويس عندما تستلج السماء لعدة دقائق بضوء ناعم سمى ، ويهيئ
 ظلام الفسق داغياً على سطح الأرض . وعندما ينتهى ذلك يبدأ الليل ،
 ولكن مازال هناك شعاع طویل من النور يجرى في مسار الشمس ويظل
 ظاهراً لمدة تجاوز الساعتين بعد حلول الظلام .

كان هذا الذى شاهدناه في هذا المساء ومنى فترت من الدنيا هو
 المغرب . وقد تصادف أن شاهدناه مع فارق ظهين في نفس التوقيت
 ونعت نفس الظروف لمدة شهور قادمة . أنه شديد الجبال وشديد
 الهدوء ، ومشيح بالنور الحبيب ، ومعظم درجات اللون البنية ، ومصحوبا
 بظاهرة مبهمة سرعان ما ساندت معها كثرة ، ولكنه يستند تنوع وبهذه
 سبائك الشمالية . ولا يحمل سوى جو مصر الحار . وهؤلاء الذين يسيرون
 جنوباً مع الليل يتوقعون علماً تولعت ألسنة ، رؤية مواكب التحول إلى اللون
 القرمي مع لون الذهب والذهب ، ولكنهم سيمسبون بالأحباط كما حدث لي .
 لأن مواكب التحول هذه لا يمكن تحقيقها بدون إضافات السحاب والبحار
 وهي غير معروفة في النوبة ، ونادرة الحفوت في مصر . ولكننا صامدنا
 حظاً سعيداً مرة واحدة أثناء إقامتنا الطويلة غير المتأثرة على سطح النهر
 فشهدنا عرشاً فجعاً من هذا النوع ، وكنا حينذاك قد قضينا حوالى ثلاثة
 شهور في النوبة .

وفي نفس الوقت لم تكن من رؤية هذه السموات التي لا تصوبها
 شائبة واكتنبتنا فيها لمدة منه ليلة اعتدلاً حديثاً للجمال والراحة .
 أما عى هذا التنوير الثريب للأركان من الجبال إلى السماء فقد شاهدناه
 مراراً . سافرنا خلال العلم الناس في الجزء الشرقى من حيال الألب في
 شمال شرق إيطاليا . ووجدناه يحدث دائماً كما هو الآن في لحظة أول
 اختفاء للشمس ، ولكن ماذا عن هذا الظل الضخم الذى يصعد إلى منتصف
 السماء ويأتي منه بالليل ؟ هل يمكن أن يكون هو ظل العالم الصاعد خلال

الافتق يمسك ضرب الشمس في الاتجاه الآخر ؟ وانترك هذه المشكلة لرحاله
الاكثر حكمة لمهام يحدون لها حلا نفس بسنا من لديه العلم الكافي حتى
تحدث عنها .

وفي نفس هذا المساء ومجرد ظهور الضيق رأينا صيغته اخرى
انقر المجدد في الليلة الاولى لرسمه الأول . دائرة كاملة ، غائم اللون
واوضح ، ومحدد المحيط ولكن ضوءه عبارة عن خط رقيق لا يريد مسكه
عن مسكه الشعوة . ولا يمكن ان يكون هناك شيء الملح من هذه الحالة
الدقيقة من الفضة اللامعة ، وكانت جميع ظاهيل الكرة تلمع برقة وهي
الضوء بوضوح داخل دائرة . وبنت مثل بركان نفوخته الواسعة على
حريظة باروه . وعند حافة السطح حيث يتقابل النور والظل كلاهما .
ظهرت للعين المبردة وضعت حادة لقم حبيبة في دائرة الضوء . وحلقت
من حبتها عند الضيق . وبعد ليثني او ثلاثة عندما تحولت الحلقة الذهبية
الى خلال واسع صار الحرير غير الخفى كما لو كان قد اطفئ ولم يمد من
المسك تسره حتى بمساعدة النظارة المكبرة .

لما الريح وقد سكنت كعادتها عند غروب الشمس ، فقد بدأ البحارة
الصلب بحماس واستخدموا المصى الطويلة التي تدفع في قاع النهر لدفع
المركب للأمام طوال الحرر المتبلى من الطريق حتى وصلنا الميا في هذا
المساء حوالي الساعة التاسعة . وفي صباح اليوم التالي وجدنا أنفسنا وقد
وسونا بالقرب من القصر المصلي للخيرو . وكانت المسافة قريبة جدا حتى
ان الانسان كان يستطيع ان يلقى حصاة صغيرة في الشيايبك ذات المشربية
لغرفة الخريم . وقد جلس حارس البوابة الضخم في الشمس خارج
القصر ، وهو يمس مرجلة الصباح ويثرثر مع المارة . وقد امتدت حديقة
خبيطة زومت فيها بعض لنتجار الجميز بين القصر والنهر . وقد وسنت
على الضفة باخرة أو اثنتان مع رحام من القوارب المحلية . وهناك في
الطرف البعيد من المدينة ظهرت مارة وحسوة من المنازل المظلمة بالبحر
كليل يمر لنا الطريق الواصب الدوران سلاخ في المصباح الى المدينة .

وبصاف ان كان اليوم هو يوم انبساط السوق ولذلك شاهدنا المنيح
في أبهى صوره لها . فلم تكن هناك شيء يمكن ان يتصور عليها في القنارة
والكتابة والانتشاض . لقد كانت مثل مدينة سخطت بدون بوق في وسط
حقل صرود . الشوارع عبارة عن حوار من الطين والتراب ، أما المنازل
فهي متصلة من السحون الخشبية من الطين بدون نواقة وظهرها تمتد نحو

المعارض العلم ، أما الجائزات التي يتكون من جارتين أو ثلاثة أوسع قليلا من باتي الملوادي ، فقد كان مسلوفا هنا وهناك بسمف السجيل المدعى وقطع من الحصى المجهول ، بينما اصقفت السوق في قطنة من الفناء بخراب خادج المدبة ، وكان الجائز يتكون من دكاكين تشبه النوايب يجلس فيها التجار المترصيه مثل تماثيل قديمة متداخلة في مقابر قديمة متداخلة ، والوقوف رديئة الأثاث ، بها بضائع ما تفسر العتاة والحامات المدلة ذات الألوان الصارخة ، والسروج الحمراء المقدية ، والبطاطي باهنة الألوان معلقة للبيع ، وهناك المحلات اليهودية الأليقة حيث يمكن أن تشتري في آن واحد الأسماك والسمرة والبييد النصف ، ومتنجات جبرر الأنتيل وغيره ، والبيد الأبيض والحبس والمخللات والسردين وصلصة ورشستر ، ووريش الأظية والبسكويت والمعروم المظوفة والفسوج والنبيج والكرتريت والسكر والملح والأدوات المكتبية وصواريخ الألماب البترية والفرشات والألوية الموكية .

أما للمطم المحلي فتصاعد منه الروائح الفهية المنجعة من الكلب وشورية العنفس ، وتصلحه سبعة حشوية أشد سوادا من كافة اللوحات المرسومة لأشخاص سوء البثرة ، وهناك الباعة المنفردة كالسبل ، والمتداخلة بمناكيها لتتنق طريقها ، وما تهره من صخب ، وأيضا الصبر والائل ، وصرخات في الطريق ، والثرثرة والقرع والدياب والبراشيت والكلاب ، كل ذلك جعلنا نتذكر أخطر أحبة الكهنة - وكانت أصوات هذه المناظر تلك الموجودة في السوق حيث عثات من الفرويق جالسين على الأرض خلف سلال الفاكهة والخضروات ، وكان بعضهم يبيع البيض والريد والقفصة ، بينما يبيع آخرون مصب السكر والصنغ والكرتب والصنغ والتقسير والشمس المظف والقول المشوش والدرة والقمح والدرة للصبرا ، بينما تنقل السلة ذهابا وإيابا وهي تحمل مجموعات من الفصاج الحي ، يبقا مصصيح الككاكيت ، والباعة يستدعون سلمهم ، والمشترون يسامعون بأصوات مرتفعة ، ويقطعون التراب كالسحاب ، وغضب الشمس طوفانا من الضوء والحركة ، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع صوئك لأنه بالكلام ، وكان الزحام في مثل كثافة ذلك الرسام الذي كان يجري في ليلة عيد ميلاد السيد المسيح داخل حواري سوق ليدنول في لندن .

وكانت الأقبية وخيمة جدا فاللانة بيضة كساوي لرجلة عمر بنسأ بالعملة الانجليزية - ويبيع الفصاج بجمرة حسنة بسات للنجابية الواحدة ، أيا سعر العلم غيرأروج يبي بنسوي وينسوي ونصف ، أما الألوة الحية

المتنزه قبيل يأتى من الفسفات - أما الديك الرومى فهما كان سخنا ومثارا فان ثمنه جنيها وستة بنسات وهو ما يعادل نصف ثمن الحمل ثم مصر الوسطى والعليا - أما الخروف المتناز ليقدر ثمنه بستة عشر شلن أو جنيه واحد - لقد كانت السيدتان م - وب - اللتان ليس لديهما ترصكان مشغولين جدا هنا ، حيث تقومان بتخزين المؤن الطارحة وهما تصاميان باللغة العربية تحت حراسة اثنين من البحارة .

وقد وجدنا مجموعة منفصلة من صيقل الدوم من النوع الذى يسمى فى أقصى الشمال وهي العينة الأولى التى نلقاها على مهر النيل ، وجدناها تنمو فى حديقة محاطة لحوص هذه السوق - ولكننا رأيناها بصحوبة من خلال التراب الذى يمسى النيس - لها شجرة نخيل الدوم فهى نوع من الأشجار التى كان يجب أن يرسها دى دمت فهى غريبة الشكل - ولعيلة - ولها سيقان متضخمة تنتهى كل منها بتاج أضمت مكون من أوراق صلبة تشبه الأصابع وهي تظلها صائيد قبيحة عن الثمار اللامعة الكبيرة التى فى حجم حرشوف النمس - وأما أنها هى الشجرة الوحيدة فى العالم التى يلقى الإنسان قلب تشرتها بيمينها ويأكل الفلاف القصرى علما بأن القلب فى مثل صلبة الأرحام بينما الفلاف لىفى الشكل ومدافه مثل كسكة المربجىل غير الطارحة - ولا بد لشجرة نخيل الدوم أن تنقسم ال شعتهن لأن الانقسام هو قانون حياتها ، ولكنى لم أتمكن أن أكتشف ما إذا كان هناك حد ثابت لعدد السيقان التى تنفرع إليها - ولهى نفس الوقت لا أتذكر أنى رأيت نخلة معها لها أقل من رأسين أو أكثر من ستة رؤوس -

وعند عودتنا من خلال المدينة اعترضتنا عبور سحطا - دابة بعين واحدة مثل الحمير التى يمشت فى قبرها وقد عرضت علينا أن نقرأ طالما - ووضعت أمامنا حرفة قلدة من منهبل ، علبنة بالفواق والمصباح وشطايا من الزجاج المكسور والفسار - وقد جلست القرفصاء مثل الضفدع تحت بقعة بيضاء فى الجائفة - وكان الجزء السفلى من وجهها مغطى بالحبوب ، بينما تطلت الفراش الزاحية الزرقاء والخضراء ذابعا السيلكي - كما طعت أصابعها الخراشم الضخمة للشوخة - وأثقت يدها الكتوز فى الهواء وهزتها وشطلتها ببعضها البعض - ومالكها مكل حلس الرجم بالنيس - وذكرته لنا سلسلة من التنبؤات المنة مسبقا لحل هذه الظروف -

للك شديقي بييد ، وشديقي يكر ليك - هناك حظ سعيد مخطوف لك - وشديقي لكود - كما أن هناك أخبارا سارة آتية فى الطريق -

وستصنعك حفايات بها شيء . بعضك . ولكن منظمها يبحث نيك المرور
وفي حلال ثلاثي يوما ستفكر بالصفحة اسنان محبوبه لديك .
الف . الف . الف . الف .

انها نفس القصة القديسة المتتادة ، ولكنها تنكرو هنا باللمه الكريميه
حتى يكون الاحتفالات لتتوقفة هي قم خلاصة مجور ولدت وتغلبت في مدينة
بأعداد انثاليه مصر الوسطى .

وربما كانت لمرأى الميون معيم على هذا الجزء من الريم ، ان انها
انتشرت دون توقع ومسلط جمهور صميم . وقد لاحظنا ان الناس هنا
مردحونه ، ولكنني بالتاكيد لم اشاهد الكثيرين من العود مثل الذين
شاهدتهم هذا الصباح في المنيا ، ولا بد انه كان موجودا بالاضواء ومكان
الميون عند متراوح ما بين عشرة الى اثني عشر ألف مواطن من جميع
الامصار ، ولست امانع عنهما اقول ان واحدا من بين كل عشرين شخصا
ما بينهم الاطفال من سن ثلاث او أربع سنوات ، كان لعود

وإذا علمنا ان هؤلاء الناس ينتمون الى نوعية من ذوي المظهر الحسن ،
فان هذا القصر يمثل النسبة الاحيوة في مظهر رجوعهم التي سميت على
الاستنار ، والتي هي في الأصل معجبة ، وجاهلة ، وعمودية - ولم يرغب
في رؤية المزيد من هؤلاء السكان ذوي المظهر المنفر . فالرجال نصف
جائدين ونصف سفهاء - اما النساء فبرقيات وحشاشات . اما الاطفال
فانهم قلدون وسفهاء ، ولما قصرو المنور ومتبلدون الشمور . ولا يوجد شيء
في الاقاليم المصرية غير الالم مثل حالة الاعمال التي يطلقها الاطفال الصغار
حتى ان هؤلاء الذين ينتمون الى الطبقة الارضى ، يرتدي منظمهم ملابس
رائة وبطانتهم مفكوك فيها ، بينما تنسب على اجسام اطفال الفقراء
القدارة والانتهايات ، وتغطيها الطميليانات . ومن الصعب ان تصدق
للوصفة الاولى ، ان والدي هؤلاء الاطفال النساء قد تجاوزوا الحدود لسي
من ناحية الكسوة . بل ايضا من ناحية الجهل والشهاده والاستسلام
للتراقات . وما زال الرضى الذي يحتاجه هؤلاء الناس حتى تصلوا
للبادية الاساسية لتوقاية الصحبة بعيد النبال جيد . ان مستحاج الاطفال
الصغار يضر بصحتهم ولذلك فان الامهات يشركهم ليمانوا من حالة
القدارة الذاتية وهي وحدها كفيلة باستجلب المرض . اما طرد الذباب
الذي يسيطر بيوتهم فهو امر شنيع . ومن هنا تأتي النهايات الميون
وسائر الانواع المختلفة من النسي . لقد رأيت اطفالا يوقنون على اذرع
امهاتهم وقد اتصلت بكل عين من بيوتهم ممتة او ثمانية من حفرة الذباب .

وده رأيت الأيدي الصغيرة الصمعة وهي تنحني في مواجهة التائب
 إذا اقتربت من مركز الارعاج . وقد رأيت لطفالا في عبي الراجعة أو الخامسة
 وقد استطعت إحدى عيونهم أو كلنا المينج . وكانت لدى بعضهم كتلة لحمية
 كبيرة برزت مكان اسنان التي اسبب بالدمار . ومع اخذ هذه الأمور
 في الحسبان فإن الانسان يتوجب ان يعلم ان ثلاثة من بين كل خمسة أطفال
 مولودين في مصر يموتون . بالإضافة الى أن واحدا من بين كل اثنين
 شرذا في بعض المحافظات مصاب بالعمى كليا أو جزليا . وكذلك فإن اربعين
 في المائة من المواليد يعيشون حتى يكبروا . وأن خمسة وتسعين في المائة
 منهم يتمتعون بنعمة الابصار . لما في جسمه ما فلم يستغرق أسابيع كثيرة
 على معة النيل قبل أن يبدأ تلقائيا في محاض النجول في مدى الأقاليم
 عندما يكون ذلك متاحا . وهكذا قللت فرصة رؤية الكثير من حياة الضمير
 التي يعيشها الناس في هذه المدن . ولكن مثل هذه الملحقات الخارجية
 كانت ذات قيمة حقيقية . وبذلك تجاوزت في رؤية مظاهر الفقر الشديد
 والمرض والقتادة . وربما لم تكن حالة السكان في القرية المصرية أسوأ
 من حياة امثالهم في القرية الأيرلندية . ولكن حالة الأطفال أكثر خطورة
 لدرجة أن الانسان قد يرغب في الاعتماد على أميال في الطريق حتى لا يشاهد
 مآلاتهم مع عدم القدرة على تصنيف هذه المآلة (١٦) .

وإذا لم تكن هناك حادثة في التعرف لى أحوال السكان في مدينة
 المنيا وحولها . فإن ظهورهم الذي يشبه مظهر جيرانهم يزيد كثيرا عما سمعناه
 عنهم في كافة الموحود . أما عن أساليب ومعدات بنى حريف فقد كانت
 لنا بعض التجارب . وعرفنا أن الرأي العام يتهم المنيا والروسة ومعظم
 المدن والقرى الواقعة شمال لسيوط بأنها تشابه في حيث الجبل المطروح
 للسرقة . أما عن القرى التي تقع جنوب بني حسن فإن بها أوكارا للصوص
 منذ عدة أجيال . وبالرغم من لسيوتها بالأرض منذ عدة سنوات كطلب

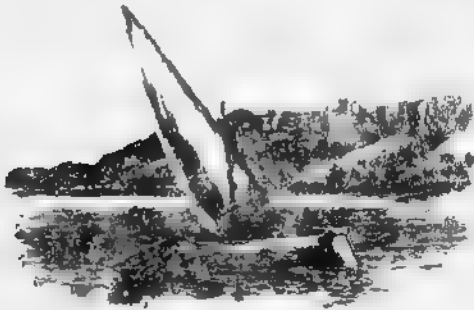
(١٦) انظر عيسى عويلى الذي يعتبر كتابها في هذا الموضوع ملود جدا . ان هاليفه
 الملائم الأقاليم يهوشين في حوالي سن ثلاثة من العمر (انظر كتابها المسمى بين
 الاكراج Among the huts ص ٦٦) بينما يقول ستر أيرت الذي انما السعيد
 في القرى دراسة الحفاتي انطلقت بالسكان والمولد الرويفية . ان هذه الآية لقد ثلاثة
 أطفال من بين كل خمسة . ان عوامي الجبل الضائل وتسيان القرية المسحية وسوا
 القليلة والنياب شبه الكمال كالمدينة الحوية جعلت الآلة تسوق الى هذه الحالة ان
 فلسطين الذي يضاعف منه باتظام ثلاثة أطفال من بين كل خمسة لا يمتنع ان يتنا ١٦
 مملوك معجزة .

(انظر كتابه المسمى فلاح Sa Fakh ص ١٦٤)

لشكائهم ، ولا انه قد تعيد تناوذا حالما وعانت الى سجنها الاولى كما كانت دائما . ولذلك فمن الضروري ليس فقط استئجار حراس غرافيت لئلا في كل عد الحرة من النهر بل أيضا اثناء رسو النجيه مع الحدود السديه من اقترب النصوص اثناء النهار - اما في مصر العليا فالأمر يختلف حسب بعد الموانئ من مظاهر حمسة ، وطوائع طيه وطقاء ورحمها .

وبالرغم من انهم اذكاء ومبره في أعمال صناعة وبيع لتصف الحديث الا أنهم شرقاء في المعاملة .

وعن هذا المساء (كان عشيه عند ميلاد السيد المسيح) وصحت الى امسا بقية أفراد مجموعتنا مكررة عن مواعيد وصولها بحسبى ساعين .



قارب للتوبيق 'الضائع في المينا

الفصل السادس

من المنيا إلى أسيوط

اليوم هو عيد ميلاد السيد المسيح ، وصباح السبت بدم وب
لنحاول الفداء - لقد انهك الطبايحون في إعطاء الطبق الرئيسي . وقام
البحارة ببيع حروف أحفاد بالمائة . وسما كان الصبيون
يخرجون الأمتعة من الخالق ، لعدة مستقر تدريجيا هي اماكي الجاوس .
أما الصبيون فهم اربعة اشخاص - رصام ، ووجان سعيدان . وشابه
عداء - وكان الأسماء قد قام بالرحلة عبر النيل ثلاث مرات ، وهو يضيف ،
رصيدا من الخبرة إلى المتفرجين . انه يعرف كل شيء عن الضفاد ارملة
والرياح ولماكي رصو المراكب . وقد تعرف إلى معظم الحكام المحليين
والقناصل على طول نهر النيل . وهو حير في موضوع ما يصلح
وما لا يصلح طعام وشراب . لقد أعطيتهم القمرة التي هي مؤجرة السفينة
ليستعملوها كمستودع ووضع فيها البراوير وقماش اللوحات وأوراق
الرسم والحوامل الخشبة بما يكفي لاثاء مدرسة اقليمية للفنون . انه
في طريقه لرسم صورة ضخمة لأبي منبل . أما الزوجان السعيدان
فلا داعي للقول بأنهما هفيان رحلة شهر العسل . والحقبة هي أنه
لم يسهل شهر على روائعها . أما الرئيس فهو الشخص الذي يستحق
العالم للفوز بلقب الماثل . انه حاصل على منحة دراسية . وصحة
مكتسبة . ووقت فراغ . أما العروص فتستلحق عليها لقب السيدة الصغيرة
تسهيلا للحديث . ان الناس الذين يتصارعون في خضم هذه الرحلة
المرحلة من الصاة الأصنام يظنون عليها اسم شهر العسل . وليس من
الإنصاف في شيء أن نقول عل اللذين يخوضان مثل هذه الرحلة أكثر من
أنواع صبران مما يكفي لأن يجعل الموقف مشوقا .

وفي نفس الوقت يجب اخلاء سطح السفينة من الأثاث الجديد الذي
وصل إلى ظهر المركب . وحتى اليوم في ارتداة اشراج الأمتعة وترتيبها

وبعدها ، من مثل هذا الحرى من جانب الى جانب اسفل اثر كرف . ومنثل هذا التعرج للصناديق وتركيبه الرجوف المؤميه . ومنثل هذا الحديد والفضك والطرق بالطرقه ، لا يدايه الا الشبيل الذى يجرى بالطابق السفلى .

وكذلك كان نفعى والجرسومات مشتملها بالطابق العلوى فى مرفى السطح المبوى بسقف الخليل - واحاطه المركب من جميع الجهات بصعوف من الخشب الخوصه . ويصحب على الانسان الاعتقاد بان هذا هو يوم ميلاد السيد المسيح فاذا كانت النار من الوطن (الجنون) تلمح فى كل حجرة ، وحوش الكنيسة ابصر بفعل الثلج ، والاجر اس المساده تمس بامتواج عبر الهواء البارد . فان الوضع هنا مختلف حيث اما فى وسط النهار والحرارة شديدة على سطح المركب بغوى المظلة . وعندما رسوا مع غروب الشمس بالقرب من قرية على جانب النهر فى وسط زراعات الخليل فحسبوا بالانتماء الى احدى سج من هوا المساء الشديد البرودة

وهناك طرأه حتى من مثل هذا المكان العادى مثل سائر العباد على النيل فى المهره الطلق . وامت تذهب وسعود فى القلوة كما لو كانت مركبة ، والسفوف الهريون الذين سيمهون منك يستعدوك بالطلاق لركضهم بدلا من ذق اليجوج . اما اصحاب القار الذين يعطرون مسامح طينتهم ما بهم يتجاوزون بهم بالطلاق الطلقات المارية ، لان المناظر مستبدل حالا بدوى انداز نظرا لانتقائهم لساعة الكنيسة التى تبسط حلوسهم ، ومن الممكن دائما ان يظل المضيف والضيف حاليين بدون اذعاج لمدة ساعة أو ساعتين . ولتلك الملقط الطلقات المبتادة ، وانام الشبل ، وجفينا الى احدى الولايم المدوية المضممة . ولم يجمع اى من فى تصديق ان ذلك اليوم كان عيد ميلاد السيد المسيح حقيقه ، حتى ظهر لى المشهد طبق البوديج المصنوع من الجرفوق وهو يلمح فى اعراء شميديه .

ولا يمكن ان يكون هناك شئ اكثر رقة أو اشراقا من العرض الذى كان فى انتظارنا عندما نهضنا على لائنهم . لقد أحاط بالفلوب حسوس ومائة مصباح ملون ، علق ما بين طرفه وروق الصاويين ، والوقت بانكاساتها المكسرة على النيار المشرقوق . وظهر السطح العلوى المزين بالرايات والمظلل بالمظلات مثل عريش من اشجار الخليل . وظهرت النجوم والهلال فوقنا . وكانت خطوط الانبجار الممتدة . والامتداد الأرض داخل

النهر ، والمطول الضامض للمبر اللامع وامسجه على البعد ، وفي نفس الوقت كان هناك صوء يلعب بين الحبي والآخر من اتجاه القرية أو شريط قاتم اللون يحف بطول الضفة .

وفي نفس الوقت كان هناك صوت جعل مناخب أثناء الليل لأن يحلوا دعوا بحارة الباجستون لتناول القهوة وتدخين التبغ ، والامور حقا كبيرا على السطح الخفل . كانوا يدقون الطبول ويصنون ويرقصون ويرقصون ملابس أبيضه ويرتجلون متبهذا كوميديا جعل مشاهديهم يراودون بصوت عال . وكان الرمي حسى يوم بالشريف ، سما جلس جورج وتلحمي والسات منفصلين على النصفه الثانية وهم يحسبون قهوتهم على مثال ، داء الطمفه الفراقية . وطرنا اليهم وصفنا بأيدينا . وانتهت جلسا الموسيقية بأضائة الاوار خلفا يحرق في النروسي الخاصة بأعياد ميلاد السيد المسيح .

وباناسيه . من المعلات التي نظام في مصر على انغام للموسيقى والرقص والاصاب الناقرة تسمى فالتاوي .

واحدنا يوما معه يوم سرع مقدر ما يستطيع . أحيانا بالانحار . وحيانا بمسحب اندغيبية . وأحيانا بدفنها بالمضى الطويلة التي تصل الى قاع النهر . ولكن الامور لا تبقى دائما كما يريدنا الانسبان . فعالمنا ما كانت الريح تنوكت عنفنا تكون في حاجة الى حبوبها ، ويريد شدتها عندما نريد أن نساعد شيئا على الضفة . وعلى ذلك غاننا معه يوم كامل من المسحب وصلنا الى بني حسي في اللحظة التي هبت فيها ريع طينة وملاّت اشرعنا لأول مرة منذ يومين . وهكذا اضطررنا لنمضي في طريقنا مع المطرات المشتاقة التي اتبعنا بها بحر مداحل الممرات التي تخترق الصحور . وذلك بعد أن استسلمنا للنصائح التي ألقينا عليها فيما بعد . وبعد الروسة انني نفع على نفس الطريق . توقفنا لمدة دقائق لارسال البريد والسؤال عن القطارات الواردة . وأوجانا طين الوحدة ريارة دير النخل حيث يمكن مشاهدة النقش الشهير للانتال الفسخم الذي على مركيبة الجبل . ولكن يبدو أنه قد كتب علينا ألا نشاهد المناظر المؤجلة وهو الأمر الذي سرعنا ما اكتشفناه لزيد من اسامتنا بالخسارة والنهم .

وفي نفس الوقت ظلت السماء صفائية . وساعات النهار نظفة . والامسيات رائحة . وقفنا أوقانا طويلة في الهواء الطلق . وعنصنا

تتوقف الريح خافيا نزل الى الارض وتقوم بمزحلت طويله على صفة الزهر .
لنا اثنا ، وجودنا على سطح الدمية فاننا نرسم صورةا تخطيطية . ونكتب
التخطيطات . ونقرأ لتلاميذنا وباسمى . وسعى جازونز ويلكنسون ، ونعمل
يجد فى دراسة الامرات المصرية . وبينا كانت المصايف النورية
واير فسادة مجسم على المظلات وتقل حول سطح السفينة . كانت الديوك
والمنجارات تشفق ، والاور يوقون . والديوك الرومية تصبح فى انقاسها
القريبة . اما الخروف الذى مضى به والذى يعيش وحيدا فى الفلوكه .
فقد كان يمشى فى الزهرة . وفى بعض الأحيان كانه لدينسا حوالى
مائة دجاجة على سطح المركب (ولنى نحدث عن الحمام والارانب) مع
الاحتفاظ بجوروفى او ثلاثة فى الفلوكه . وكان هناك سور حول حوش
الطيور الدجاجة عند الطرف البعيد فى مؤخرة السفينة . وبذلك تكون هذه
المخلوقات بعيدة عن غرفة الاستقبال . وعندما كنا نرسو فى مكان مناسب ،
كانت تنطلق هذه الطيور عدة ساعات وتلر حول السفنات وتنشع
سمرتها . اما صديقتى (ل) والسفينة الصغيرة فكانتا تظلمان هذه الطيور
السبية تقطع صميرة من الاطار كل صباح . وكان عامل الدفة الذى
اتخذ منها تسليمة حقيقية لا يستطيع ان يتحمل لى سبب آخر يندمنا الى
طعام هذه الطيور فسادا اثنا نسميها لكنى تدميها وتناولها على مائدة
الطعام .

ان هذه الحياة التى نعيشها على مثال حياة روح من الفلك تسير
بأنها سعيدة وأمنة وهائلة . وحتى الأيام التى لا شاهد فيها سوى
الليل ولا نصل لثبات بالمرء . ثم تكن أياما مبهضة . اما الوقائع الثقافية
التي تعمل لنا الازرة الحديد فقد كانت دائرة الحلوت . اما الدمييات
الآخري بأعلامها وسكانها فكانت مصفرا ثابتا للاحتفال . اما اللقيا ، فى
لماكن الرسو خلال الليل فقد افتاح لنا ناطل الريارات . وانفسا مروو
بعضا على البعض الآخر خلال النهار . كنا نلطفز الاعلام . ونطلق الرصاص
للتعبه . وراضى آداب السلوك فى البحر بدقة . وكانت بعضى بواجر
توماس كوك السطحية تسرع بجانبنا وهى مزودة بالسباح . او تس
يجوزنا إحدى منى السحب الحكومية وهى تمر ثلاثة او أربعة حسانل
سبعة محلة بالفلاحين نصف المرأة ذوى السمات اليابسة . وقد جرى
تجميعهم لأعمال السخرة فى امشاء خط جديد للشبكة الحديد او حم
قناة . وقد يتصادف مروونا بأحدى الفصائل التى المنزلة فى قسمة
رطبة . وأحيانا كان يحدث ذلك لمهستنا نحن أيضا فكان الرحال
يمرحون الى مصيهم الطويلة او يقفزون فى النهر وهم يتأخرون فى سرات
منطقية . لكنى نذهبوا للمركب سناكبهم حتى تقوم مرة أخرى .

وكانت هناك طيور جديدة يراها لأول مرة وكنا نبحث عنها دائما . وربما رأينا بجمة ثقيلة الرأس تحفر مواوئها فوقها الضخم على حافة صخرى النهر وصيد السمك في جبل غذائها - أو مشاهد أورة يريه وهي مشر غير المساء في اتجاه ضرب الشمس . أو سريا في المسور تبشج حبيبا في صف واحد على حافة إحدى الصخور في شبه وقار الأساقفة الجالسي على المنصة . وهناك أيضا طيور مالك الحمرى التي تقف على ساق واحدة وتندلق في الشمس ، وطيور الهندم المختبئة فيجسبان وقوسها التي حكت حولها الأساطير الخرافية . وكانت آكلات الحبل الرزقا والخضراء تحوم فوق حطاي الحبل الخام . كما كانت طيور الرفراف التي تصيد الأسماك في المياه العذبة بألوانها الفلوات والبيضاء مثل المرباني سيلي بلا خوف على الصفة ولا تحرك ساكنا بالرغم من مرور المراجيح المربوطة بالحبل فوق رؤوسها ، ومرار الذهبية على بعد أقدام قليلة من الصفة . أما الطيور التي تحل بها حقول الأرد فقد كانت المئات منب ، بالزوايا البيضاء ، ملأ الضفاف الرملية ثم ترتفع طائرة كالسحابة الضخمة عند اقترانها منها . أما الصقر القفص فكان يحوم فوق الرؤوس ويصيح نفس الصيحة الدلوة ويطلق سطره الناقه وصرخته الحزينة التي انصمت إليها الفجاعة عند القسم .

وتستند هذه المناظر مع الجزء الأكبر من صخرى النيل . وكما نرى نفس الأشياء مرات عديدة على مدى أميال عديدة . وكان مستوى الضفة يستمر تنسدة نحو النهر ، وشريط الأرض المروعة يتحد لوى عيذان الدرد الصحراء أو المدة الصحراء . وتوالت القرى الطينية وديارات النخيل . وصبح السكر المهجور يمتدحه غير الرشيفة ووافه المحشة . والساقية التي تدور بطيئة وهي تحمل عند الجرار التي تنقل الماء ، والقناديق التي يحوم على شحمها اثنا من الصال الأقوياء ذوي اللون البني ، وطاير الأبل المحلة بالأحبال ، والصحراء ، وكل اللال والسهول الرملية مع الجبال التي تشكل الخلفه ، والسهل المنبسط المستطيل والشرائح التي داسح دائما .

وفي بعض الأحيان كما سير بعداء خلال القراصد القديمة لمدينة غير معروفة مع بعض لطلال ساق كانت عليها مخود ، وأيضا حواط ومداخل نعد الى حافة الماء . أو بحر بحوار سلاسل مسجور عودية ضخمة مثل تلك التي يند جبل ابو هافنة- وكانت طيور الماء تحفل تاركة مراضها ، وسدائق في الحشبات المثلثة للبقار الصيده المجهود في الصحراء فوق السبيري الذي يدل إليه القضاة .



جبل ابو فائدة

وسمع حين (الو فائدة) هذا يسمعه سيئه فيما يتعلق بالرياح
 العاصية خاصة عند نهاية السلسلة وبهايتها حيث يجيئ اسل بعده ،
 ويفتح انوادى على الهر يروا قائمه ومن المناظر الى ساحل
 شسعهه ان ينظر الى الريس حس وحس يقترب من احدى هذه ابروايا
 رديئة وهى بقطعة يمسح عندها انسان من الوديان بسبب امتداد رس
 بحرى من الارض يحكم فى الممر المائى فيقسمه كما لو كان زوجا من
 المدافع القديمة الرصصة ، وسعه مع صعب الرياح العاصيه من شمال
 الصحراء لشرقيه - والتمار الذى يفيض هنا يصبى وشدة يتقابل مع
 الرياح ويرفع فى سكنى مواج عالية ، مما حصل انقطاعا يخلق جلاءه
 ويعبر ليسر اشراع ثم يقف براوها صاعنا ، ويسعد المخاره برحرحه
 سراعنا الرنيسى عند صدور الامر ، وقد تشبث بعضهم بالحصى الذى
 ربط السراع سما وقف العصر الآخر فى نهاية العارضة الأفقية
 ما بالاقوى عند اندفعوا أمام الرياح وظهور الحجر العظيم أكثر ظلما
 وسد فردا - ثم حاست لحظة كنم لأفان عندما صدر أمر فحاشى حاد من
 انجرح الفضل الحجم الذى نسلك نالحل الرنيسى فصاح اسحارة
 وامسكوا بالأطواق وأمالوا الشراع المعروف وأداروا اسعة حصور
 الركنى بسلام "

ان الصجور هنا حيفه النوع ، وأكبر ارتفاعا ، وأقل اساق من تلكه
 التى فى جبل لطر ، ونحو اشكالا غريبه مثل اسكال لتناس وأقراص

الجبل والأبراج والاكتاف المائتة من الصخور ، وإقراص السمح التي لم
 حلّيا المحل مع سلاسل طويلة من القبور المصنوعة في الصخر ، والمناجم
 التي تعلوها الكهوف للشعيرة بصل التيارات المائية والتي يرمى فيها بعض
 التماسيح الساكنة ، على عكس الصخور الموجودة في جبل الطير التي
 تنفتح إلى سبيل قطع الشمال الأرابيسك ، ويظهر حسا كما لو كانت قد
 تقدمت كلها بكتابات سرية تعود إلى عصر ما قبل التاريخ ، وسجلات عن
 أنجذرات نهر النيل حفرها إلى التيسل العظيم بنفسه - من الصخور
 القديمة - ولكن اللغة التي كتبت بها لم يتحدث بها السكان .

لما عن القابر المحفورة في الصخر عند جبل (أبو مائة) فالها بعد
 بالثلاث - وصلا على بعد اثني عشر ميلا تقع هذه السلسلة موارية للنهر -
 ويبرد سطح الصخور طوال هذه المسافة مرصا بالمنازل التي لا تنحى
 بعضها صخر ورص - وكل عشرين أو ثلاثين ميلا متجمعة مع بعضها
 الجص مثل بعض لواند السفى ، يسا يقع البيض الأحمر منمرلا
 وبعضها منحوت بطريقة تجعل الاقتراب منها يحدث من أجل - والبعض
 الآخر يعمى قريبا من مستوى النهر - وبعض المنازل متقابلة مما يجعلها
 تمثل إحدى العارضتين الرئيسيتين لأحد الأبراج أو الإطار الحصى المحيط
 بالباب أو النافذة - وبعضها يفعد وضعا عرضيا يجعلها تظهر كما لو كانت
 تتكون من سلسلة من الحجرات التي تصينها بعض اللواند الصغيرة
 المحفورة في الصخر - ويسكن للسان أن يصل إليها عن طريق سلم مكون
 من الدرجات الخشبية القائمة في هذه حالة الماء - والبعض الآخر منحوت
 في أعين مقدمة الصخور أمام مدخل كهف صغير على شكل واجهة بسيطه
 ولكنها مهيبة ، وصغيرة على أريته أعينه منفصلة - ويبدو أن إحدى من
 الرحالة المحدثين لم يعم زيارة هذه القابر ، بينما الرحالة الذين يتبعون
 لمدونة القديس من أمثال ويلكنسون وشامليون - ألح تجاهلها إلا من
 بعض الاشارات القليلة - واعتقد أنه ربما هذا المجال التي تقع حطب
 طيبة ، لا توجد أية بقعة في مصر يعمر على مثل هذا الخيط من حائر
 القابر - ويظهر العديد منها كما لو كان يرمى إلى نفس الحقيقة المبكرة
 والمثيرة التي تنحى إليها قابر بنى حسن .

ولقد لاحظت على مسافة تقارب من منتصف الطريق أو أقل من ذلك
 بطول السلسلة عودين كبيرين عليها نقوش هيروغليفية ، يقال على أنه
 كله نازره من صخرة مستديرة ربما على ارتفاع يماثل حسمين ومائة قدم
 فوق مستوى سطح النهر - ويبدو أن إحدى العودين ليسا إلا شاهدين
 منار ملكية تم نقشهما جنباً إلى جنب كما حرت المادة - ويترجح ارتفاعها

ما بين اثني عشر الى خمسة عشر قدماً ولكن بالنظر الى عدم وجود
 أشياء قريبة يمكن مقارنتها بها ، فابدى احس ابعادها الحقيقية بشكل
 تقريبي . وهنا اخذت المركب بسرعة بحيث أصبح من المستحيل عمل أية
 رسوم جغرافية او تدوين أية ملحوظات عن النجوم المجاورة لثابتة . وكنا
 قد تجاوزناها قبل أن نضبط متقاربي . تم اختيها تساماً علماً بأدب
 بقية المراقبين .

وعند عودنا بعد عدة شهور بحثت عنهما مرة أخرى بلحود جدي
 لأن شمس منتصف النهار الشديد كانت تصب لهيئها على الصخور حتى
 طمس تماماً كل شيء حتى التفاصيل الضخمة . وعندما كنت أبحث عن
 الصخور بلا أمل . طفت العنوش عن ذلك برؤية نقوش بارزة ضسفة على
 الوجه الشمالي من صخرة تقع طويلاً عنه ركن إحدى الحنيات التي
 تطل على النظام السلسلتي هنا وهناك . وكان بروز هذه النقوش مخصصاً ،
 ولكن بالنظر الى الزاوية التي مستقبل بها الضوء كان الشكل الواحد
 الذي لا يقل ارتفاعه عن ثمانية عشر أو عشرين قدماً واضحاً تماماً .
 وسرعان ما وجهت انتباه السمت (ل) الى الموقع ، ولكنها لم تميز المعالم
 دوى أن تسعين بالنظر فقط . بل انها اعتقدت حتى أنها تستطيع رؤية
 آثار الحصى .

وحيث أن الصخور في الوفاش الجار لم يلاحظها غيرنا من الرحالة
 السابقين ، فابدى احس الى سرعة الآخرين أن الصخرة المستديرة التي
 تشبه البرج والتي نقشت عليها النقوش ، تقع على مسافة قريبة من الجبل
 من الاتجاه الجنوبي من قبر الشيخ وأحدى الخلجان . وهي قطعة راقعة
 المنظر لا يمكن لأحد أن يتجاهل رؤيتها ، وهي تقع خلف بعض المخاض
 غرباً من حافة الماء ، بينما لوحة النقوش على مسافة قصيرة أسفل العبر
 الصلي والحدادة . وبعد أن سرنا بمحادثة طرف قاعدة حمل ر أبو لايمة ا
 محاول التي عشر ميلاً تقريباً شاعداً أروع امتداد لمنظر الصخرة على حد
 الجانب من التلال الثاني حيث يتخذ الجبل اجنحة حادة في اتجاه الشرق
 ومن ثم يقوس بتهمة أميال من الرقعة الزراعية - ومع الوصول الى هذه
 الحبة الضخمة فإن الرياح التي كانت تتصلباً بطول تريط مسطهر
 قليلاً بالنسبة لما تحتاجه المركبة ، هذه الرياح الآن تضغط على كمر
 السبعة وتسوقها نحو المناطق بقوة بحيث الحصر كل الجهد الذي يملكه
 عامل الدفة في توجيه حكمة فيلة نحو الضفة وتعاش حوالى عشر
 أو اثني عشرة مركباً صطياً كانت قد انفسد قلنا ، واندمجت المحية
 بالحسوز معدنا مباشرة . وسرعان ما رأينا ذهبية مصنوعة من الحديد

قادمه بقوة تحت الصخور وتراعىا منتشر مكامله . رأسها وهي مصارع
فى الركنى الخطر ثم تغرر مقعنتها فى الضفة مثل سمينة لذلك أجيبه
على جيل المنداليسى .

ولما وحدها أيضا مسحوبها طوال حجرة بعد الظهر بادلنا
ريارات المراساء مع حياطة الذين صادهم سوء الخط . وقد بعثت أذنا
من ارمال الساقية ، فغسلنا فى مساعنا للقيام بالترزه على الضفة . ومع
استمرار غصب الطمصة أحدث الرياح موى . بينما تصدبت أمواج النيل
فى الاندفاع ، وانتشرت الرمال كالسحاب ، وأظلم وجه المساء كما لو كنا
داخلين فى ضباب ليل . وفى نفس الوقت أحدث المراكبه واحدا بعد
الأخر زرعى يتسمه على الضفة . وكبل صوبت الظلام وصل عندنا الى
استطول حكور من حوال عشرين سفينة محلية وأجنبية .

وفى اليوم التالى استدعى الأمر توحيد جهود جميع البطارة لمحلب
فيله وباجستور عبر النهر بالبحل والهرب . وفى وسيلة تستحق
التنويه ٧ بعدانها لم يرتعها ولكن لأن رجالنا قالوا انها غير قابلة
للمسيد . وقالوا ان آياهم لم يستخرجوها . وكذلك أجنادهم أيضا
ولذلك اعتبروها مستحيقة . ولذا كانت مستحيقة فلماذا يتصور أنهم
بمحاولة تنفيذها ؟

ولكنهم حاولوا تنفيذها وبعثوا فى ذلك ما أصابهم بالهشة .

وبعد اقتراب ظهر ذلك اليوم الثانى وأثناء السير على الضفة النهر
تعرضنا لأول مرة بهذه الحجرة المشهورة ألا وهي حجرة الجمل المصرية
كانت تبته رائحة من هذه النوعية سوداء اللون ويبلغ طولها حوال
نصف البوصة - ويصيرب لونها الى السواد واللحم مثل الجمل المصنوع
من جبر اللحم الذى تصنع منه المهورات الصائحية . وكانت هذه الحجرة
مقسولة فى اعداد قرصى حجم من الطين سرعان ما بدأت فى تحريكه فوق
الضفة بشقة شديدة . ووقفا مشاهدا بعض الوقت ، نصف مجيبين ،
ونصف مشفقين . لقد كان حجم القرص الذى سنمض يبلع أرسه أسعاف
حجمها . كما أن تحريكه للصعود به مع هذا النيل الشديد الى نقطة أعلى من
قصرنا المصير القادم . كان علا يتطلب مجهود مرقل الجبار وليس
وجود هذه الحجرة الضئيلة . وقد أدت القيام بغور الوقتى فاصله
عنها الى لعل الضفة . ولكن ذلك كان خلا فوق مستوى قيسها .

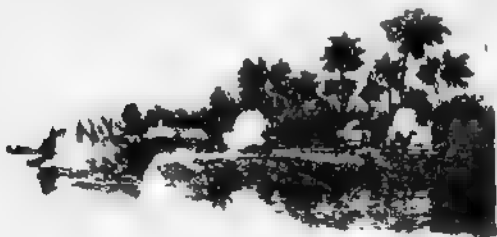
ومررنا جميعا القصة القديمة التى تدور حول كيفية وضع هذه
الحجرة للمسن على حافة النهر وتعلقه داخل كوة من الصلصال الرطب .

ثم درجة الكرة الى مكان آخر على حافة الصحراء . ثم دفنها في الرمل وعلمها بجمع اجلها ثوب واسمها لانها اصبحت سلالة سلالها . ومن حين جاءت غسورها الأسطورية ، وكل الرمزية التي اربطت بهذا المخلوق المفضل وانتهت بأحاسيس يقينية خاصة تطورت الى عبادة فعلية - اما ولم وقفا ما يشاهد بحركات هذا المخلوق ، وطاقته التي لا تكل ، وقوته العملية غير العادية ، وعمله الذي يصل الى درجة تكريس الذات للموضوع الذي به يديه ، عاما مستطع فن يرى كيف اعطى هذا المخلوق درسا دقيقا يستحق تأمل المتخصص في تعليم الاخلاقيات المصري القديم - وكيف كان الجمع بين الحكمة والسحر سببا في اعتبارهم لهذا المخلوق الأسود الصغير ليس فقط زمرا للغزو الخلافة والحاققة بل ربما أيضا لحلود الروح ، وبذلك فإن هذا النوع من الحشرات قد سأل تعظيما لم يله غيره من الأنواع . لقد أصبح رمزاً مبهما ، وصار كلمة معبرة في الكيمياء والتحول . فقد رسمت صورة هذه الحشرة ملايين المرات وتلقت على أبواب المعابد مبنية على أكتاف الآلهة - وحُفرت على المجوهرات ، ووضعت كختم على المنابر ، ودمست على النواويس وحواظ المعابد . وليس لها الأيدي خشي عقودهم . ودفنت مع الأموات . وقد اعتاد كل رحالة على النيل ان يصطحب معه حشرة من حشرات الجمل البحرية الصغيرة خفيفة او غير حقيقية - والمبني لايتم بامتلاكها ، ولكن لا أحد يتناكح هذه عن شرائها ، اما مجرد تقليد غيره ، او للتخلص من ناجس مشابه لمروح ، او لاهدائها الى الأصدقاء في الوطن - ومع ذلك فاني أشك فيما اذا كان أحد هؤلاء الجمل نحسا يؤمن بالقوة الحرية التي تشده الى تلك الجواهر الصلبة او يقدر اثباته الشديدة في مهارتها حتى يشاهد الجمل الحي أثناء إتهامه الى عمله .

وفي الغربة حيث تتكون الرقعة الزراعية من مجرد شريط عرضي على اقدام - فإن عمل الجمل خفيف نسبيا وتتصاعد سلالاته في حرية . كما في مصر هناك سبل واسع يضطر لميوزة مثقلا بصله ، ولذلك فإن حصص نادوة بسببه الصعوبة التي يواجهها محركه الخفيف . ويبدو ان عدد حشرات الجمل في مصر يتضاءل تقدر ملحوظ منذ أيام الفراعنة ولي يكون ذلك انظر الى حفرة الجمل الحقيقية ببساطة جيداً يجرى البحث عن عسان منها على هذا الجلس من السلالات الأول دون جدوى - وحسب خبرتي لمستطيع القول انني رأيت عشرات من هذه الحشرة خلال الرحلة من المرحلة التي قضيتها في النوبة . أما للفصل ما في تذكاراتي هذه فهو المصافاة التي رأيت فيها جلا حقيقيا في مصر .

وبعض الفصل خلال أربع أو خمس استعمالات كبيرة أخرى بين حمل

(أبو فادس) ، وأسوط ، هرورا بمطوط . وهي حديه تقع على مساحة قليلة
 حلف الضعة - وقد نجسنا لكافة الاحتمالات - الريح المواتية التي كانت
 تأتي ويندفع باستمرار ، الانحناء المتفرج للنهر ، الهندو القائل الذي حدث
 وسحر على بعد ثمانية أميال فقط من أسبوط ، واليوم الطويل التالي له الذي
 قصيصاه في سحب المركب حتى حسنا امعسا مطلطين لوصولنا مساء
 سوم الثالث بعد العاصفة . أما تلك الأميان السامية الأخيرة فقد كانت
 حتى ما صادفناه في طريقنا شمال طيبة ، بسبب جمالها الهادي المتعرج .
 والو دي هما شدد الاتساع وحصيب ، وتظهر المدينة بمآذنها المدينة
 لأول وهلة على جانب واحد . ثم تعد امتدادا لها على الجانب الآخر حسب
 احداثاب اسير . أما الحال الوردية البعيدة فتسدر شفافة مثل الهواء
 أو سطوع الشمس . بينما تخرج الضعتان عن سلسلة لانهاته من
 الموضوعات الصغيرة البهيحة التي يلفو كل منها وكأنه يسألنا أن نتوقف
 لكي نرسيه أثناء عبورنا - هناك شحاتوف ومزرعة للسجيل ، وثلاث
 حاموسات سوداء ذات شعر انضمت . وعند اكاف النهر ترتفع أشجار
 لحميز وهي تكاد سام وهي واقفة وبسط في النوم تحت ظلها رجل وجس .



المقابر التي على شفة النهر بالقرب من أسبوط

ونأى بحله ساقطة اقتلعتها البصان الأخير ولكنها مارالت ملتصقة
 بصفتها عن طريق حذرنا المتشعب وهامتها التي في الماء . وامتدت مجسوة
 من حمور لتسبح بقماها البصاء المتألقه بخلفية من الأشجار الداكنة
 الخضرة . وهناك أيضا ساقطة قديمة بطل استعماليا ، ترفد على جانب

الضفة مثل خفوف (٢) صمم ذى أربعة وجوه - وقد تكلمت يزورع يظنة (٣) بركة متسلسلة ، وهناك القليل من الأحياء التي صادفناها في الطريق ولكن ليس فيها جديد . وعلى كل حال فقد وجدنا الأحياء القديمة قد أصبحت معالم حديثة . لما أربط مثل هذا الضوء الأثيري والظل مع مثل حلم الرقة اليراققة ، فقد جعلها تبدو مثل السراب الذي يظهر في الهواء أكثر منها قطعة من العالم الذي نعيش فيه .

وتبدو مثل السراب أيضا حلم المدينة الخرافية التي يدعى أسيوط فهي تظهر دائما كما لو كانت تحلق على نسي المسافة البعيدة التي لا يمكن الوصول إليها - وبعد ساعات من سحب السفينة بالحبل لم تظهر المدينة الغريب عما كانت من قبل .

والحقيقة أننا كنا أحيانا ونسبح لتبجح الأطراف الطويلة للنهر ، على أننا قد تركناها خلفنا ، ورغم أننا كنا نسبح أي وقت ، كنا نسبح لمانيه ليال في السيل الشاسع حتى نصل إلى أسيوط ، إلا أنني أشك في أنها كانت تتجاوز ثلاثة ليال وهي مسافة قديما جدنا حسب طهران الطيور . وفي نهاية فترة بعد الظهر دونا حول الركن الأخير - وكانت الشمس تسبح بحر الحب ، عسا وصلت المركب إلى قرية الحراء - وهي مكان رسو السفن عند أسيوط . أما أسيوط نفسها بلباها المتناثرة ومآذنها الرفيعة فإنها تقع في السهل إلى الورا ، عند قاعدة جبل عظيم تتخلل المقابر في سفحه .

وكنا قد قرأنا السماح لمحاوكتنا بتجهيز خبر في أسيوط وأسمنا وأسموا حلال أربعة وعشرين ساعة - قبل أن أرسينا الذهبية حتى أسرع الرئيس حسى وعامل الدولة إلى ركوب حمارين لقراء الفتيق بينما انطلق معبد على وهو من أنشط ولذكي البحارة لاستنطار القرن . لأنه يوجد هنا كما في أسنا وأسمان مخزون ضخمة للفتيق . وسنأخذ عامة لاستخدام البحارة النابض على النهر ، وذلك لسبح الفتيق وتجزء بكميات كبيرة ، وتطليه إلى شرائح وتطليه في الشمس ، ثم حقله مبعضا لمدة شهر . ولذلك نهر حد لعدده يحمل مثل السمكوكيت الذي يستلهم على السفن ويتنقل على السمكوكيت من حيث أنه لا يفتت ولا يصيبه المدف ، ولكنه يظل جيذا وصحيا حتى آخر كسة .

وأسيوط هي عاصمة مصر الوسطى ، وبها أحسن المتاجر التي يمكن أن تتوفر في أية مدينة على النيل ، ويشتير قضاها الأحمر والأسود في

(١) للشقوية : السيران إذا ساروه فوالله . (لفرج)

(٢) الفتيق : ما لا يخال له من الفتيق ، كالفتيق والفتيق ، ويعلم أخلاقه على

الفرج - (لفرج)



كل أرجاء القطر المصري - لها رؤوس القليوب التي تصنع فيها (المروحي
 أنها من القليوب النواعيات التي تصنع في الشرق) والتي يتم تصديرها
 إلى القاهرة بكميات كبيرة ، فإنها تملأ طرقيها ليس يمتد إلى كافة مناطق
 البحر المتوسط ولكن إلى كل مغل جزائري وإيطالي في لندن وباريس .
 ولا يستطيع أي عاين لمعمار اصلاحي أن يسي الكنتك المصري الذي
 أجدهم يعمده بمرص اسبراميك في المروحي الدليل سنة ١٨٧٦ أن كل حمة
 المروحيات الحمراء الحداية والقدور السوداء اللينة ، وكل حمة القليوب
 الصغيرة المرائية ، وقطاعات الورق التي تشبه التمساح ، وهذه القوارير
 التي على شكل البرميل أو الطبق ، كانت جميعها من أسبوط . ويوجه
 بالمدينة هنا شارع يكمله لمتحات المعمار - ونادرا ما تكتسب الذهبية
 سرعتها قبل أن يصبها أحد التجار إلى سطحها ويصف آنية سهلة الكسر
 بطول الطريق العلوي . وهناك تجار آخرون يروضون بضاعتهم على
 الصفة - ولكن أصل المسحات يوجد في المتاجر ، وحتى في القاهرة
 لا يستطيع أن تجد المنتج الأسبوطي الذي يتبع لك الأعيان من حمة القوي
 والتكوين والتصميم مثل تلك التي يخرجها التجار ويلعبونها في الورق
 القناع هتفا يظهر السيل الأوربي في المرقع .

وهناك شوارع أخرى يجانب شوارع المعمار بها شوارع للأحذية
 الحمراء وآخر للمفاتيح المحلية والأجنبية . ولطحات المتاحف ليبيع المروج ،
 والكنساق الكتاب . وللحلاب اليومية ليبيع كاله البضائع المرحونة
 على الأرض ابتداء من كويساك الدرجة الثالثة حتى الكبريت المصنوع
 من الفحم . والمنازل حنية من الطين المغطى بالجبس أو الطوب الأحمر
 كما هو الحال في ليبيا - أما الشوارع فإنها حنرية وصيقة وغير
 مرصوفة ومرصحة كما هو الحال في ليبيا - كذلك فإن عيون الأطفال
 محاطة بالدياب . ورؤوسهم مغطاة بالانتهابات كما هو الحال في ليبيا -
 وامتصاص على المنا تكرر هنا ولكن على طلق واسع مع الاختلاف في
 بوجه السكان الذين ليس بينهم لموس أو عدوانيون ، ولكنهم ودودون
 وطيبون ، وقد منهم المتسولين الذي يتفوقون على نظرائهم من
 الأيرلنديين في خاصية الإلحاح ، وهكذا تحول السراب الذي توقعناه إلى
 حقيقة . أما أسبوط التي تظهر على البعد مثل عاصمة مدينة الأحلام فقد
 أظهرت نفسها في شكل مدينة كيرة مستوية قبضة الشكل وعادة حدة من
 سكانها . وحتى الآن التي كانت تبدو وشيقة من على البعد حفتها
 في معظمها نادا هي عند النظر إليها من قريب ليست إلا نباتات من الأحجار
 القشرة ذات الرخوة المنقضة . وهناك طريق مرتفع محصور بين صفيين
 من لشجار الحبر يصل من الحمراء إلى أسبوط ، وطريق آخر يصل

من اسبوط الى الجسر الذي به المقابر . اما عن المدينة الفرعونية القديمة فلم يتبقى منها أية آثار ، أما المدينة الحديثة فقد أُنشئت على التلال التي تستقر عليها الناس من قبل . أما مدينة الموتى التي حُفرت فيه الصخر الصلد مما والى عظمتها موحدة لتقليد عظيمة هذا المكان التي وُثقت مع الزمان -

وفي اليوم الثاني ركنا الحبر الى حافة الصخرة ومضينا على انفسنا الى المقابر فاذا بالجبل الذي يبدو وبقينا وندى اللؤلؤ مثل السلمون من على الجحد . يظهر الآن باهتا وفاتحا وملوما باللون الأصفر اللال للسمود . وهو مكون من طبقات فوق بعضها من لحواش شديدة الموضوح - وترتفع من شكل مرج متدرج طبعه فوق طبقة - أما المقابر فكانت مضمخة الأبواب بطول حافة الجرف - والنسخت شظية من الصخر فوجهها خفيفة ومسامية وملمسة بالثقوب الصمغية مثل الأسد الأمريكي . وكانت الأحجار مبعثرة على المنحدرات ومعها شظيات من الوهبوات ، وقطع من الأكتاف وعظام بشرية ، وحصىها بيضاء ويحتمل اللون يفتل القمعي .

وكانت أول مقبرة وصلنا اليها تسمى اسبوط عترة (٣) . وهو من البقائر الضخمة ولكنه مشوه جدا . وهو يتكون من مدخل كبير وممر مسكوف ، وقاعة مضمخة على كل جانب من جانبيها غرفة وحيد . أما سقف الممر الذي تحول الى اللون الأصفر بسبب السجان ، مع الثقوبية الضخمة ، فقد كان ممرها بأشكال مقلدة باللون الأخضر الفاتح ، والأبيض ، والأصفر الداكن ، على أوضاع من أشكال الحص باللون الأخضر الضامق . والحائط على يمين الدخول منطلي ينقش بهرغلبي طويل . أما في الهيكل فوسد آثار باهتة لأشخاص جالسين من ذكور وإناث وفي أيديهم وحور اللؤلؤ . وهناك تماثيل كبيرين لائمين من الحارثيين منحوتين على الهامش فوق الصخرة المسطحة . أحدهما كامل الصنع ، أما الآخر فمن الصعب التعرف عليه . والتماثيل طفلان على جانبي البراية الضخمة . وهناك ثقب جارتري في الطرف الذي يبعد القمة التي كان الثياب يدور فيها على محور يوما ما وحفرة عميقة امتلأت سائبا بالمخلفات . تمتد من وسط القاعة الى عقد مستطيل داخل في عتق قلب الجبل . وهناك مدخل ضخم واقف على كلا الجانبين . أما الثقوب الحائطية فهي مبهمة ومشوهة - أما الأعمدة الضخمة التي حملت الصخرة الرئيسية يوما ما لقد انقلعت

(٣) محمد اسبوط عترة { حبير من أنجودوس } الذي تكتبته الأمانة حفظه الله

(انراجع)

من مكانها • أما للفصل فمسمود ياكوام الانتقامي ، وقد بقي من حشد الانتقامي ما يكفي للمساهمة على ضخامة المقبرة الأثرية - وبقي النشيد الهيرودغليفي سليماً لكي يحكي لنا عمر المقبرة وباربيتها •

وحدا النشيد (ادخل في دليل سوراى حطاً بوصفه غير معهود ، ولكن شرحه العالم يروجنس الذي نشر مقتطفات منه تعود الى سنة ١٨٦٢) يبين ان هذه المقبرة قد اقيمت من اجل من دعى باسم ميويكفا او هاجيتفا حاكم اقليم ليكوبوليس وهو كبير كهنة الاله اوريوس (اير اوى) معبود مدينة اسيوط (١) - وهي مشهورة ايضا بين طلاب الدراسات العلمية بسبب سرقات مميعة تنضمين سلوومات مهمة تنحصر بحساب الايام التي تصاد الى التقويم المصري (٢) ، وقد لاحظنا ان كل العلاقات التي على الدراسة الراسية للممثل تبهو مقبوضة وقد سفت بالخص ثم جرى تلويدها ، وقد سقط الجسم في معظم أجزائها بالرغم من انه قد بقي منه ما يكفي لبيان طراز هذا العمل (٣) •

وقد رجحنا من هذه المقبرة الى المقبرة التالية عن طريق من معطوف في الجبل ، ويرد في مقبرة فسحة ذات أربعة أضلاع أكثر كدائما في الأولى . وقد حملت المقبرة على أعمدة مربعة مقامة في جسم الصخرة ولكنها مثل الأعمدة البالالة في التكوينات الجيولوجية ، أما الساقى وهو حترتان لصفت سلووتى ، وبلووسى مكسور ، وبقي الرموز الهيرودغليفيه المرسومة على حائط الجسم فهو جسيما باقية •

وكننت لصب ان اوى المقصورة التي لك منها ابيح تليف شامليون الألمى والمتحجس رمود الاسم القديم لمدينة اسيوط ، ولكن نظرا لانه لم يعد الحروف التي استطاع ذلك عن طريقه ، أصبح من اللازم التحول في الجبل لمة اسيوط دون أن تتمكن من العثور عليه •

(١) ان النشيد المعروفة في طيرة حابيتفا قد فسحت مؤخرا كتاب نسخ نص امر طويل لم يصدق تسميه وثقت ترجمته بمرقة حسن لـ - لوفان جريفت F. Lawellyn Griffiths حسن صانوق استكشاف مصر - E. E. F. - وقد حشد حسن جريفت لمرقة الأولى تاريخ هذه المقبرة المشهورة الى اليه في عصر فرمر تيسين الأولى من الأسرة الثانية عشرة •

(٢) نشر الحروف المعروفة de Monuments Egyptiens للملك Brugsch الجزء الأول الفصل السادس عشر - مطبوع سنة ١٨٦٢ •
(٣) يمكن مشاهدة بعض للتقريب الفنية للشجيرة مرفوعة بنفس هذا الدوح من التلخيص في مجلد هذه قاعدة هرم ميوم -

وقد قال علماء وصف لمسطيل عشر لأول مرة - هـ وفي ذلكم وجلت
 الحرطوش منقوشا مرتين حول اسم المدينة المنور بالحرطوش (أهر وعلييه
 (اميوط) ويشكل هذا الاسم جزءا من مقترى يحدوي على حرطوش على
 قديم وبذلك عرف أن الاسم الحالي للمدينة يعود إلى أيام الغرامه (كتاب
 المسالك J. J. Ampère ج. ج. عساه Voyage en Egypt et en Nubie
 ويذكر فيه أن الحرطوش ربما كان يسم وراكميريس الذي ذكره هروجنس
 في الفصل الخاص في الطيبة الأولى لكتابه : (Histoire d'Egypte)
 وهذا أيضا منطبق عليه حفظ مردوخ . هذه المدينة التي كانت تكتب
 بالمصرية القديمة asout أصبحت تسمى ليكوبوليس Lympolis
 خلال فترة الحكم الروماني لمصر وقد أعيد هذا الاسم إلى أصله التاريخي
 القديم بحرفه أقباط . المصور الوسطى الذين كتبوه سيوط asout
 وبقي موجودا في اسم سيوط كما ينطقه الفلاحون العرب . وليست هذه
 حالة وحيدة . فقد صار اسم كاتيس يعرف بالاسم باتوبوليس وبمس
 هذه الطريقة تحول إلى الاسم القبطي حبيب وما زال حتى اليوم موجودا
 بالشكل احبب الذي يدخل اسمورة تاسيسها الأول . وكما حدث في هذه
 التغيرات من اللغة القديمة حدث كذلك في التنوع الجنسي الذي خضع
 له المصريون مع توالى الجيوش المصرية حيث اختلقت مملوهم علماء
 الفيلسوفين والفنم واليونانيين والرومان والعرب . واستطاعوا أن يصيروا
 هذه العناصر المختلفة في قالب واحد ينتسب إلى النوع القديم ويستمر
 مصر إلى الآن . يا لفرابة طفيان القوى الطبيعية ! إن شمس مصر وتربتها
 لطالبن بيتي واحد من البشر ولا تجيز غره - ولا يستطيع المستوطنون
 الغرباء أن يقبوا تسلا في هذا البلد - لقد حاولت مجموعة أجنبية مكونة
 من عشرين ألف شخص أن تعيش في منطقة السويس التي تعتبر أكثر
 مناطق مصر ملائمة للصحة . ولكنها فشلت على مدى عشر سنوات في تربية
 طفل صغير واحد من وكفوا على التربة المصرية . وإن الالتفات إلى الذين
 ينجبهم آب اجنبي من أم مصرية يوتون بنفس الطريقة التي يموت بها
 الصغار في المهج . إلا إذا تربوا بنفس الأسلوب المصري البسيط . وقد
 تأكد بالنسبة للمولودين تنسجة للزواج المختلط أنه بعد الجيل الثالث
 يسقط الدم الأجنبي ويستعبد النسل الخاص بالخصبة في توجها
 الأصلي القبطي .

هذه مشر وليست كل حالات النقاء المصري الملحق . إنه قد لا بد
 انتماسي خاصة وساعد اليه كثيرا بين العرب والآسر - إن كل محافظة
 من محافظات مصر القديمة لها حيواناتها الخاصة . وقد أطلق الانثريق على

أسيوط اسم ليكروبوليس (١) لأن الذهب (انقضى الأدي من هذا البلد) كانت له هناك خمس توعية المقديس التي للقطعة في بوجاستسي (تل يسطلة) والتمساح في الفيوم (كوم اسير) والأسد في ليونتوبوليس (الفيوم) (٢) . إن موميوات الملكات وجدت في المقابر الصغيرة حول الجبل . وكذلك موميوات ابن آوى . إن الآله أنوبيس الذي يعمل رأس ابن آوى كان هو الآله الميجل في هذه المقاطعة . لما موميوات ابن آوى التي تنتمي لهذه المنطقة والتي كانت تدف في شرايط ملوثة فمن الممكن مشاهدتها في الهرم المصرية الأولى بالقرب للبرطاني . أما المنظر من الجبل فوق أسيوط فهو أروع من مقابرهما واقم من موميواتها . وبالنظر من المنسل العظيم للمعبرة الشامية تبدو الصورة وكأنها موسوعة داخل إطار . لأنها بالنظر إلى المنظر الأمامي شامدا منحدرا متالفا من الأطلال التي كانت صروحا مبنية من الصخر الجيري . أما في المساحة المتوسطة لقد شاهدنا سهلا واسما مكتميا باللون الأحمر الرقيق المبيست من الفصح الحديث الإنسان . وفي المساحة الأبعد ترتفع قباب ومآذن أسيوط في وسط نطاق من زراعات النخيل . وبعد ذلك يقع الذهب المنصهر في لهر الجبل العظيم . أما على البعد الميق في الصحراء البعيدة طبقة معد طبقة باعتدال الأفق . فتظهر حافة الصحراء اللاتينية . وتظهر هنا وهناك برك وأسمه من الله الهادئ المختلف عن القيصان الأحمر مثل بحيرات وسط الزراعات الخضراء . وصالح فريق من الرجال ذوي اللون البني يتنحسون في المياه بفسياكم . وتتقدم إحدى الجنارات في الطريق المصنوع . وتري النمل على محصول على أكتاف الرجال وهو حطى يتمال أحمر . أما النساء فكن يملأن أيديهن بمحبات من التراب ويلدينها على رؤوسهن أثناء سير الجتلة . وكنا ترى التراب يطاير بينما يعمل الهواء صوت تولسن الحاد . وتقع المدامن التي يقصدها على اليسار عند سفح الجبل . وهي مكونة من عدد من القباب البيضاء في وسط البهه فيما عدا شجرة هنا أو هناك . بينما تدور مساحات عريضة من الظل تحت أشجار الجيز التي تنتشر على جانبي الطريق . ويحوم صقر على رؤوس البساتين . أما مدينة أسيوط التي تجمع في أشراقه شمس الصباح فتبدو كما هي دائما مثل الحورية .

(١) قام الأثريون بترجمة الأسماء القديمة للأماكن المصرية القديمة . بينما حدث الألباما الأسماء المحلية .

(٢) ليونتوبوليس هي تل المقام حاليه في شرق القطنا - (المرجع) .

وقد ورد ان بيسيوس قال ان المطر من جانب هذا التل يصير من اروع المناظر في مصر - ولكن مصر بلد مستطيل وصغير مسائل الاسفة اوردوا محررة اذا حاولنا التعامل على أساسها - انه منظر جليل بالرغم من ان معظم الرحالة الذين يصفون المنظر حول طيبة والمنزل الى أسوان قد يترددون في الاعتراف بذلك . ولانه ان اتخيل ان اعطي الاسففة للمنظر الطبيعي الذي تستشعر منه الجمال القريبة بسبب موقع المشاهد .

وقد قيل ان المقابر حيا مثلها مثل غيرها من المقابر هي بقية انحاء مصر قد سكنها المتوحدون المسيحيون الاوائل خلال حكم اواخر الأباطرة ذرومان - وينسب الى هؤلاء النسل الاسطورة التي نصل ليكيوبوليس و اسيوط : مقرا لاقامة القديس يوسف النجار والمعلم مريم خلال سنوات الإقامة في مصر انها مجرد اسطورة يعبه الاحتمال جدا اذا كانت العائلة المقدسة قد جاءت الى مصر مطلعا . وهذه قضية تشكك فيها الآن بعض الدراسات التي تهجم الكتاب المقدس (*) . ولكن ربما كانت العائلة المقدسة قد استراحت في نجواها في إحدى المدن التي لا نعلم كثيرا هي المصوفة لشرقية مثل تانيس أو بيثوم أو تل بسطة . وعلى كل حال قال اسيوط تقع على بعد ٢٥ ميلا على الأكل جنوب أية نقطة يفترض مصطفا ان العائلة المقدسة قد توقفت اليها .

ويظل الانسان حيا لا للاعتقاد في صحة القصة التي وضعت منظر طفولة السيد المسيح في وسط هذه المنطقة الريية المصرية الجميلة والمتألقة . وباله من اهتمام عبق ومؤثر ذلك الذي تضيفه على ذلك ان ولايد أن ننظر نظرة مختلفة الى المنظر الطبيعي الذي كان مكانا لمصطفة عزرا عليه وآله وآله لاد أنه بقي نوح أن يفهم منذ يومه وحتى يومنا هذا بسبب طبيعة الأرض - الجبل بقره ، ومساحات القمح الخضراء ، والنيل ، والصحره - كانت جميعها تبدو حينذاك مثلما تبدو الآن ، واليديه قطع هو ماكن المساجد الإسلامية ، والهاكن الفرعونية الخاصة بالمباحث القديمة التي كانت .

(*) هذه ليست اسطورة ولكنها حيلة اثار فيها انبياء العهد القديم بالوصف قبا .
 حشرها (لصفحة ١٩ : ٦ - وايضا : مرقس ١٦ : ٦)
 كما اشار لينا وسبقوا العهد الجديد به حدوثها (متى ٢٣ - ٢٢) ولا فرق لادرا تعاملت المذلة حل تستلم واندير المسحق بفرقة حافظا للمكان الذي حدثت فيه المظلمة المهمة لدة منذ ظهور مع كاتبة الاثار والمخطوطات التي تؤكد هذه الحقيقة .
 انظر : كتاب : القبر المرقى - تاريخه ووصفه وتل مغطاته . من تأليف هادف الدكتور اديا غريغوريوس وكلها صدرت الجيم عنوانه التاريخ لاجداث ابيالده . من تأليف مترجم هذا الكتاب الذي يترجم القلعه وغيرها - (المترجم) .

الفصل السابع

من أسقوط إلى دنجرة

استمرت رحلتنا من السقوط ، وهنا على سطح المركب ما وراءه طراد من الخيزر الأبيض الطارج الذي تم تخطيطه إلى خرافع لم تجفيفه في الشمس . وسرعان ما تحول إلى بقساط ووضع في مترتين متخفي على السطح العلوى . وقد استنعت المصابيح الدورية وأبو لصادة بوقتها أثناء تجفيف الخيزر ، ولكن أحدا لم يخطئ على تلك الضربة التي حصلت بها الطيور .

وتعجب طينا الآن رياح شديدة رغم أنها نادرا ما تهب قبل الساعة الماشرة في المادية عشرة صباحا وتضجحل عامة عند الغروب . وعندما يتصادف استمرارها مع عصف وجود مناطق شحطة في مجرى النهر فاننا نضفي في الابطار خلال الليل ، ولكن ذلك نادرا ما يحدث . وعند حدوثه يحصل النوم مستحيلا ، ولذلك فانه لا شيء يستطيع المرء ان يلا بطار سوى تأكيده السفر لأميال عديدة ما بين وقت النوم ووقت الانطار .

لقد مضى وقت طويل ونحن على متن المركب قبل أن نكتشف وجود شخص مريض ، ولذلك لم يكن هناك مقر من استمرار سفر المركب ، فلم يكن هناك من شبيه ليحلونا في بطل ما في طاقتهم من جهد مما جعلهم دائما يسبون اقدامهم بالكدمات ، ويخرجون أيديهم ، ويمسكون سربات الشمس ، والتهابات الأصابع ، والتواءات المفاصل ، فيسبون المجر لأنفسهم بطريقة ما . وكانت البنية (ل) ومعا صندوق أدواتها الصغير ولقائفا من الضمادات والاربطة . تقوم بمرأولة السلاج الموجود الذي كان نائما . وكنا نراها في السطح السفلى معظم اوقات الصباح بعد الافطار ومن تمالج المصابين . ولقد كان من حسن حظهم وجود ه جراح متمرس ه منا لأنهم كانوا يحسون بالضعف واليأس عندما يتعرضون للأذى مع جعلهم بالاسفالات الأولية . كما أن هذا المجر كان يقتصر على المواطنين من طبقة البحارة والفلاحين . ان لسحاب الأعمال والموظفين في الأقاليم

يجعلون مماها ليس فقط استخدام الأشياء البسيطة مثل اللبنة أو الحديد
 للبلبل بالاه ، بل أيضا يجعلون الفوائد الأولية للصحة ، ولا يوجد أطباء
 في اتجاه الجيوب من القاهره ، مع عدم الثقة في العلاج الحكومي لأنه في
 حالة استمرار دواء ، ترسل الحكومة مفتشي الصحة يأمر بها ، وقال ان
 نصف الناس يخشون اسبابهم ، بينما يرفض النصف الآخر تطبيق العلاج
 الموصوف لهم ، ومن اتجاه الأخرى فإن تقتهم في مهارة الأوربيين الممارسين
 ليس لها حدود ، فكانوا يأتون اليها دائما سواء منهم الاعتناء أو الفقراء
 طالبيهم النعمية والنوالة ، وهناك ما يتم المواطن في الاعتقاد الساذج
 التي يتقبلون به أية مساعدة مهما كانت قليلة ، وفي نفس الوقت تأكدت
 صحة السبغة (ل) الطبية بين البحارة عن طريق بعض الملاحظات البسيطة
 التي قممتها ، ولذلك أطلقوا عليها لقب الست الحكيمه ، وأطلقوا
 ترحيبتها ، وابتلعوا أدويتها بثقة كما لو كانت خريجة كلية الجراحين ،
 وعبروا عن شكرهم بكافة الأساليب الرقيقة التي تشبه أساليب الأطفال ،
 وكانوا يفتنون لها لسبب الأعاني العربية وهم يبرون بهجاء حارها ،
 ويسعدون لها عن شغليات اكتسابيل عند ريفه الاطفال ، وكانوا يقدرون
 لها ما سمرلو مديا ضخمة من الصفاء والأرهاق الريه .

وبعد أسبوت يتكشف منظر النهر عن أعظم أجزائه في الضفة
 الغربية ، فله كانت سلسلة الجبال التي على جانب الصحراء العربية الغربية
 حدة ، بينما كانت تبدو هناك سلسلة أكثر بعدا في الأفق القريب ،
 ويأس جبل شيخ الربابة بعد جبل (أبو فايزة) يليه بعد ذلك في تتابع
 متقارب مسخور فاو ، وجبل الشيخ حريمى ، وجبل المسيرات ، وجبل
 طوخ - وجميعها تتشابه في الصلابة القائمة على قواعد شديدة الوضوح
 من طبقات الحجر الجيري المستوية ، وقسم مسطحة تشبه خطوطا من
 الحوامير الضخمة ، مفرقتها الكثير أو القليل من الفتحات التي ترقف أياها
 كمور ولكنها من على البعد تشبه المناخل التي تستعظم في الهروب .

ومع ابتعادنا في مواجهة الريح وقد تضرعا الشراعتين ، رأينا المنظر
 العام البسيط يكشف عن ذاته يوما بعد يوم ، وميلا بعد ميل ، وساعة
 بعد ساعة - وتركتنا خلفنا القرى ، ومزارع النخيل ، والقبور المتسوة
 في الصخر ، ونصل اليوم منطقة نضال الدوم ، ولحدا سنخبر الحد المرسوم
 على الخريطة لمناطق التماسيح - وتتقسم للصخور ، وينصر المد ، ويفتح
 المنظر على الوديان المهيورة ، وتظهر آثار باعثة للسرور التي تعود الى
 الحضارة المتسوة على ارتفاعات بصمة - ووصلنا الى الرأس البحري التي ظهر
 على الجبل سلفا بالطلال صفه ساعتيه ثم تجاوزناه ، لما مركب البضائع

التي عملنا على اللحاق بها طوال فترة الصباح، وقد سططيناها وأحد منظرها
 يتصاعد خلفنا - والآف من حمر مسطرا يافوا يظلل على قبر أحد
 المشايخ ، وشجرة مندلثة من شبل النوم . ونس يمدنم فديم كان الفناء
 يظعون منه الأحجار هي تتكل كتل ملصاة تاركين تقويا ضخمه وممرات
 ودراجات سلاط في جاسب الحبل . وبعد قار (١) التي تمثل مقبل الفتنة
 التي ترأسها دويش معنوه عند حوال عشر سنوات . وجدنا أن هذه
 القرية المضمحه الكتنة بالسكان لم يتبق منها الا متلفة غصينه من حقول
 المصح الخصبه . وبعض الأكوخ الخربة ، ومجموعة من الشكلات المتفصلة
 الرؤوس . وعلى الآف منر محاذين لحافة جبل الشيخ حريمي والذي
 يحدده هنا حده نسي بالأرض الزراعية، ناكنا هناك فريغا يستل من شريط من
 طريق بين حافة الجرف والمهر . ثم تأتي الريايه وهي قرية ضخمة مكونة
 من أبراج طينية مربعة ، عالية ومحاطة بالأسوار ، وخطوط تشبه السلاسل
 مكونة من الحرا المخصصة لمخيمه الحمام . وفيما بعد وصلنا إل جرحا
 التي كانت في يوم ما عاصمة لصر الوسطي . ورسونا هناك لمتة نصف
 ساعة لأرسال البريد والسؤال عن الخطابات الواردة . والتبر هنا مربع
 الجريان حتى انه كان يظني على الضلعي ويهاجم المدينة كالمصاصة .
 ويطلع فوق مكان المرسوة مسجد صخر ، له طوق مدنية وأروق غير مسلوقة
 وعود صحن لاند انه كان قد وقع على الأرض في تلك الفترة . ومنذ
 حالي عام مضت كانت تقع على بعد ربع ميل من النهر . كما كانت سليمة
 منذ عشر سنوات ، ولابد أنها ستسحق بعد مرور مدة لمضانات قادمة .
 ونسي باقي ذلك الوقت مستظلي جرحا واحدة من أجمل الملق المصرية .

وفي فرسوط . لوى مصانع الممكر ألقاء العمل ، والفخاخ يفتق
 من المباحض الطويلة . والمخار يفرج من فتحات شبيكة في الطابق الذي

(١) إن هذا الشيخ حسب القصة التي أدريتها السيد داف جويلتون في مساهمها ، إن
 اكتسب سبعة رابطة من حيث لهداهه شهر القامية لأنه كان يردد اسم الله - ٣ مرة كل
 ليلة لمدة ثلاث سنوات إيماناً منه بأنه يهده بالوحيدة له جعل نفسه عصمتا وعلى ذلك
 أعلن نفسه بأنه الهدي الذي سيقتل المسيح المصل . وقد ذكر المسيحيون بين أماني القاري
 المجاورة قبل التليخ حريمي ، وحرس على محاولة تصفية لتطوية وجلب على نسب
 وعلى أهالي كل تلك القامية الانتقام المبرح من جهة الكنيسة - وقد أرسلت الركب
 الحربية بقيادة لندل بكشا في الليل جنوداً ، وتم إلقاء الرصاص على القشايون ، ومدينته
 الذي . وسوقوا الضاميل والمخية . وتم توزيع غصاء وأطفال المصلحة بين الكثر
 المجاورة - أما قار التي كانت قرية ضخمة في سبع مئة ألفس قد هربت أما مسير
 لأدويش لمارال غير معروف . وقد قل الجيش انه قتل رجا بالرمصاص . كما قال البعض
 الآخر انه هرب في الصحراء وعقل في حامية كيلة من القلي .

أسفل الأرض (البندوم) . وقولرب النقل تفرغ عيذان تصب السكى
 أمام الضفة بينما يتقله أعراب أتوية الأجسام الى المسح ، وتحمل
 العربات التي تجرها التيران بقايا النصب لاستغلالها كوقود . وهناك
 قى ساحل يمجوبة المرتفع قليلا على الجانب المقابل للنهر ، نجد الضف
 وقد تناثرت عليها الكوام من أعواد نصب السكر تصل الى مسافة ربع
 ميل . وهناك لكثات من الجبال التي تأتي محملة به أو تعود لنصب للزيد
 منه . وتأتي العشرات من مراكب الشحن لاستقبالها . وتقوم طقود من
 الفلاحين ينقله الى مسلحها لاعادة تفرغه في ترشوط . وكانت الجبال
 ترعى وتريد ، والرجال يتصامحون ، ووقماء السبال بلاسهم ذات
 الحواف الزرقاء وعمالهم البيضاء يتسعون في عطرسة ضعايا وأياها ،
 ويشرفون على العمل . وتراجع الجبال هنا بينما حتى تختفي عن الأنظار .
 يتما يجمع السهل التي برزاعات النصب وأنشجار التحميل فيما بين
 الجبال وبين مجرى النيل .

ويظهر جبال الضفتين المفتحة بتروة غير عادية من الخضرة . ويتعثر
 الناح للمحدث النبات على صفحة السهل مثل السجادة . بينما تنتشر
 نباتات الست المستحبة (العجول) ذات القماريب الصفراء ، وأشجار
 الطرود أو الميل التي تنتشر أوقالها مثل الریش ، وشكل الدم والبلح
 وأشجار الحين على حافة ممر مسحب العربات مثل أشجار الحديقة المنروعة
 على جوانب صرائها .

وما لانا نرى مع شدة النجسة ما يبدو أنه فرد وماتى صمم يجهم
 على فة كوم رابى على الضفة الغربية وذلك بعد أن تركنا حلقنا كل حدة
 البطيرة ، وبعد أن عادت الضفتان الى الاتساع والعلو من المزروعات ،
 وظهر هذا المخلوق حادنا ومستالسا تملأنا وهو يجلس القرفصة ، متخذا
 ذلك الوضع الذي يسير عن الحرن والاحساس بالبرد ، والذي يشغله
 الشبانى في قلبه مجدائق الحيوان . وهناك ستة أو ثمانية من الأعراب ،
 كان أحدهم قد نزل من جملة ، وتجمهوا حوله واثقوا يمشقون فيه
 شلا يتوقف الجهور البرطاني ويحلق في النموذج الموجود في حديقة
 ريجنت بارك . وفي نفس الوقت تظهر دجاجة غريبة بين بحارتنا .
 انهم يتراحمون على هذا الحائس ، ويتصامحون ، ويستخفون بالحركة
 والاشارات باليدين للتصوير عن دهشتهم . ويرسل السلطان تحياته .
 ويلوح عامل الضفة بيد ، وقد اتجهت عبون الجيع نحو الشاطئ .



ويصبح نخبى وهو يتلحح من أسفل مفلطح النصف . « حل روى
الشيخ سليم ؟ انه هناك ! انظر الى هذا هو الشيخ سليم ! » .

واكتشفنا أنه لم يكن قرنا ولكنه رجل . ليس فقط ربيلا بل ميخا
سروكا يعيض بالعدسة ، وايضا القفاره ، ابيض الرأس ، وبيض
الاحية ، وذات الجسم ، ومحبيا ، ويتكورا . انه الشيخ سليم الدامع
انصيت . وكان ذلك السريان الذى لا يعرف الاستحمام يجلس في نفس
الموقع يوميا تحت حر الصيف ويرد الشتاء على مدى السنوات الخمسة
الاحيرة . ولا يرود نفسه بالعداء أو الماء . ولا حتى يرغح يده الى فيه ،
متمسك على الاحسان ليس فقط لفوائده ، بل ايضا لغاياته القفاه . وليس
من المستحسن ان ننظر اليه حتى مع هذا الضوضاء الضخمة والاصوات وهي هذه
المسافة ، ولكن البحارة يظنونه بانح الجبال ويطلبون بركاته بصوت
مرتفع أثناء مرورنا بالقرب منه .

وكانوا يتصايحون « معفرة يا آبابا ، اما لم تتعد بضائرا » .
ثم يضيفون . « كم نود ان نقبل منك . ولكن الريح تهب والمركب تسير
وليس في مقدورنا البقاء » . ولكن الشيخ سليم لا يرجع به ، ولا يبدى
أية علامة تدل على أنه مسمع اصواتهم . وبعد دقائق قليلة ومع حلول
المسح ، تركنا خلفنا الكوم الترابى الذى يجلس عليه .

وعند المدينة الجديدة التى سميت جريا على التلال القديمة التى اطلق
عليها باللاتينه « ديوسبوليس ماريا » *Diopolis Parva* ، رأينا المواطنين
في اليوم التالى ينقلون أحبال قوارب صميرة من قوالب الرابطة اللاتينية
الى الحائس الآخر من النهر بفرض تسميد تلك الحطوب التى جمع منها
محبول الدرة الحكرة . وبالإضافة الى ما أتاه ذلك من استغلال ، فإن
الطين المختلف عن الفيلسان عند القلي أو ثلاثة آلاف سنة مضت ، يأتى
في النهاية لكي يستخدم في الفرض الذى تحول من أجله لأنه أكثر
حسوبة من الرواسب الجديدة . وعند قصر الصناد الأند قليلا ، وصلنا
الى أحد المواقع الرديئة المشهورة وهو حوض من مجرى النهر مكتظ
بالصخور المارة مما جعل الملاحة عنده مستحيلة . وهنا قضى الرجال
نصف يومهم في دفع اللحية فوق البحر الخطير ، بينما همينا بين التلال
التي كانت قما حتى تمثل المدينة القديمة التى اطلق عليها باللاتينية
اسم « شينوبوسيون *Chenobosion* » . وهذه البقايا التى تغطي
سطح منطقة واسعة وتتكون كلها من أساسات من الطوب الأحمر الختم ،
ذات أصية شديدة وحفوظة في حالة جيدة . وقد تبعتها الرسوم

المنحليطة للعديد من المنازل والممرات التي تفصل بينها ، ولاسطنا العديد من الشقوق الصغيرة التي يبدو أن أجواها ولزها قد أقيمت حسب قياس ومن صغير جدا ، ولكن كان من الصعب التصرف على أسلوب آخر ، وكانت إلتجار المرمج والأعداد الضارة تنو في هذه الأوقات المبحورة ، بينما شقت نلال القلعة ومخلفات البحر ، وأكوام الفضار المكسور ، وسط الخرائب وصعبت من مهمة الاستكشاف ، ونظرنا في يأس إلى رصيف النجس للنداء ، والكلل المبحورة التي ذكرها ويلكنسون في كتابه الجسسي منظر عام لبحر General View of Egypt ، ولكن لو استطاعت أحجار أساسيات مصنع السكر الجديد المجاورة لوقع المرسي أن تفكلم ، فإنها كانت ستكشف السر يدون شك - ولم لر عينا في الحقيقة لأن هذه المدينة القديمة لم تحو على أية معالم حجرية . لاهيك عن المرسي المكسور لأحد الأعنة الجرائنية الصغيرة .



بحر السويس

وكانت قرية قصر الصيلد تتكون من مجموعة من الأكواخ الطينية ومصنع للسكر ، ولكن المصنع كان مقلقا في ذلك اليوم ، وبدأت القرية نصف مبحورة - وللفظ لها جيل على وجه الخصوص ، وعلى بعد حوالي ميلين في اتجاه الجنوب ، تهبب اليبال نحو مجرى النهر بزوايا قائمة على تسلسل عظيم - ومن هناك تصل في تدريجات طويلة إلى الرؤوس البحرية المنحدرة . لما السهل الذي ينتهي بحدته مقابل قلعة هذا المائل الضخم ، فإنه يفتح إلى الخلف في اتجاه الشرق حتى يصل إلى الأتق العبد ، في شكل بحر فياض من الرمال المتوحشة معاطا في موشى بأكوام من الأحلال على مسافة متوسطة ، أقربا حسباً مقدمة شقة من

الترمة المزروعة ، ذات اللون الأخضر بسبب الحاصل المعدية الاكيات التي تنمو بالتساقوف ، والتي تمتد بطول شفة النهر حتى تواعد الجبال . ويظهر على الضفة قبر لأحد المتساخ تظله شجرة دوم متعزلة ، بينما ترى وسط الرمال على البعد قبر ، فبطيا له قباب عديدة ، وقبرة مليئة بالقبور المسيحية . ورواحة صفيرة من اشجار النخيل التي تملأ عن حلول فصل الربيع .

ويتذكر الاهتمام الرئيسي في هذا المنظر وسط هذه الأمطار ، التي تبدو من أعلى على مسافة قصيرة ، سوداء ومهجورة ونصف مدفونة وصعبة بين حين وآخر عندما تهب عليها الرياح مثيرة سحباً دائرية من الرمال ، مما يجعلنا نتذكر القري التي شاهدها منذ أقل من عامين نصف مكتشفة ، ومختفية في وسط سبيل الحزم المتدفق في بركان لينزوي .

والآن يظهر القبر الكامل مرة أخرى فيحصل الليل أكثر اثرا من النهار - واعتدنا ونرى جلوس على سطح المركب لمدة ساعات بعد مغيب الشمس ، ومع انزلاق المركب في وفق بشراع نصف مبتل - بالهواء ، وانصراف قوة الريح ، لن نتجنبها مما لنا كان يوجد في العالم كله مثل هذا لتتاح القري يجعل ضوء القمر في مثل هذا السحر ؟ ونقول ان كل شيء سواء اكان بعيدا أم قريبا ، واضح كما لو كنا في وقت النهار ، ولكنه أكثر رقة بحيث لا نجد ما يمكن ان يقال - ولم يكن شكل القمر هو الواضح فقط ، ولا الضوء والظل كما الظامير فقط ، بل أيضا اللون الذي كان حاصرا . لم يكن ضوءا حادنا ولا متغيرا ولكنه رقيق ولامع ودو حالي . لما البريق المنير للجزيرة الرملية في وسط النهر . والخضرة الهادئة لزراعات النخيل ، والفلنسوة ذات اللون الليرودي التي ترتديها السيدات الصغرى . هذه كلها كانت ظاهرة للعيان ، وخطية في الاضلاع بشكل نسي ، وظهر البرتقال من خلال الضبان صندوق الشمن مثل كرات من الذهب الخالص ، ولم شال السيدة (ل) القرمزي بصيلة أدفا مما يبدو عليه انتهاء النهار . وكانت الجبال محمرة كما في ضوء السروب - ولا أتذكر من كافة الظواهر الطبيعية التي صادفناها على هذا

الرحلة شينا أكثر اتلوه من ذلك - ولم نستطع ان نصلق في البداية
 ان ذلك لم يكن يضربنا نورا الشمس . ان يضرب الوان الشلق المبهرة
 التي تظهر في الشرق ، ولكن الشمس لم يكن لها تأثير على ذلك الإحمرار
 الذي فوق الجبال . لقد كلف السماء في البحر ، بينما انصر جود ضوء
 القمر على كشف اللون المحلى خط .

وكنا نبحث في شقوق على تلال طيبة قبل ظهورها يومه أيام . والآن وبعد
 مرور ليلة من الإبحار السريع . استيقظنا ذات صباح لتجد الشمس تشرق
 على الجانب الآخر للمركب . وسكنت الريح المواجهة لنا بينما هضرت
 من مناظر الكمم المتكررة على يسارنا . ومن هذه الملاحظات عرفنا
 أننا وصلنا الى المنحطة النهر الكبيرة التي تقع ما بين حاو وقبا . وأن
 هذه الجبال الجديدة الأكثر احتلافا هي الشكل في جبال مصر الوسطى .
 لا بد أنه تكون في الجبال التي خلف دندرة . لقد ظهرت والمة على
 الضفة الشرقية ولكن ذلك كان مجرد وهم لم تبرز عليه الخريطة .
 وإنما استمر لقط حتى اكتمل الدوران حول الركن الكبير . ولم يكن
 الدوران حول هذا الركن في مهب الرياح والتسارات المائية أمرا سهلا .
 ولكنه كلنا يوجه كلفيت من السحب الشلق للمركب -

وعند لحظة تقع على بعد عشرة أميال جنوب دندرة رأينا عدة الآل
 من الفلاحين يعملون على حقلهم نعمة جديدة وسط سحب من الرمال .
 وكانوا محتشدين على التلال كالنمل ، ووصلت اليها مبهمة أصراهم عبر
 النهر مثل طيور جيش لا حصر له من النمل . وكان هناك آخرون يقفون
 على السواطيط الضيقة نحو موقع العمل في فيض لا يتخلل . كان لابد
 أن يصل عرض النهر في هذه البقعة الى نصف ميل تقريبا . وكان من
 الممكن باستخدام المنظار تمييز المنحصرين بلايسهم الأوربية بسهولة .
 وعلاقتي العمال بالطويلة التي في أيديهم . وبين التخللات التي
 على حامى النهر لمست الخيام التي كان يمسك فيها هؤلاء الموظفون أثناء
 مسار العمل بالقرن الأبيض . ولابد أن مثل هذه المناظر كانت عادية
 بما فيه الكفاية في الأرملة القديمة عندما كان الفرعون المنتصر عائدا من

ليبيا أو ارض كوش وقد احبر اسراهم على اقامة صرح ، أو حجر بحيرة ، أو عمل حثج في الجبل . ولابد أن الاسراتيليين الذين بنوا حواطل بينوم ودرعسيس بجزال الطوب التي كانوا يستصوتها ، قد ههروا حينذاك بمنزل هذا المظهر تماما -

وعكدا كنا مشاهد حالة من السخرة لا يمكن الشك فيها . ولابد أن هؤلاء الذين يدعون بالآلاف قد سيقوا الى هناك في جماعات تبلغ المئات من القرى البعيدة . ولم تكن حالتهم افضل كثيرا من حالة الأسرى الذين ساقتهم جيوش الامبراطورية القديمة . ويبدو أن العمل في جميع اسوار السخرة التي تجرى في العهد الحالي ، ينال من عمله الاجباري الضايق اجرا ولكنه غير كاف . وأن مدة تسفيره تستمر على مدى الفترة التي يستغرقها التجار العمل الذي اجبر على اداؤه . وفي بعض الحالات كانت فترة السخرة تقتصر على ثلاثة أو أربعة شهور يعترض أن يعود العمال في نهايتها فوق مساكن تجرها سمكة سحب حكومية . وغالبا ما يحدث أن يترك هؤلاء التماسه ليموتوا سمبما ينسبر لهم ، مما دفع بالعديد من الأزواج والأبناء الى قضاء نفهم خلال الطريق ، أو دفعهم للطفة من احدى القرى البعيدة عن موطن اقامتهم . وفي نفس الوقت كانت زوجاتهم وأطفالهم الذين يحصلون على إعانة حزيلة من شيخ البلد ، يقعون في براثن نوع من القناعة (هيودية الأرض) . بينما تترك راحة الأرض الصغيرة التي يمتلكها كل منهم دون حراث أثناء وقت التودد والحصاد . ويسر عليها موسم الخيشان التالي وفي في يد شخص غريب . وهناك جانب آخر لهذه المسألة المتعلقة بالسخرة يمثل في ضرورة حصول صر على الماء بأي ثمن . لأنه اذا لم ترو الأرض دبا كاتيا فان المحاصيل معترق ويحوج المراد التشبيب -والآن . فان استمرار حفر الترع كان يستسب خمس أولويات ونجبات الحاكم المصري عند أول العصور ، ولكنه واجبه لا يمكن اذائه بدون تدارك آلاف العمال سواء أوغبروا ذلك أم لم يرغبوا . وحؤلاء الذين يصفون سلوك وطباع الفلاح كصفون للمهمة اليائسة التي تدور حول البجته عنه للتفيلم بالمثل التطوعي الذي من هذا النوع . ان القناعة والصبر يحملانه داخيا بطائفة الراسه . ولذلك لا تستطيع

الرمود يرفع أعمامه فتترك حمل إمامته في قريته ، وهم يهجم
احتياحات اقليم يبعد ستماية أو سيمائة ميل ؟ ان شادونه يكفى عطشنا
لوضه الصقيرة ، وما دام قادرا على زراعة محاصيله الثلاثة الصغيرة من
الحلة كل عام فلا عائلته لن تموت جوعا . ادد كيف يتم سعيد هذه
المشروعات الخاصة الضرورية بدون الالتجاء الى وسيلة السحر ؟ بعد وضع
سيو آيوت ملصقا يقرأ لمواز هنا : الجانب الآخر « على لسان فلاحه
النموذجي » يقول أحمد المرحل الفرنسي : ليس الامبراطور هو الذى يعمل
المطر يسلط على اراضيك ولكنها الرياح الغربية . والنتيجة هي ان العائلة
التي تعود عليك تموت اية دقيقة تبليها هي السبل البشري ، أما في مصر
حيث لا يتجاوز عدد مرات سقوط المطر في السنة ثلاث مرات فان الأمر
هو الذى يعمل محلها فيسدا يالما عن طريق توزيع مياه النيل . ولا يمكن
الجزء ذلك الا اذا عمل الرجال بأيديهم ، ولذلك فمن الضروري للجميع
ان تكون أى القمع تحت تصرفه » .

لقد اعتبرنا الهواء الذى تولى لنا في اليوم التالي ههنا سرنا على
بعد ثلاثة أو أربعة أميال من مدينة لحة من حسن الحظ . وظهرت أيفوس
أولا حسب ترتيب الخريطة ، ولكن المساجد تقع على بعد سبعة أو ثمانية
أميال من مجرى النيل . ولما كنا في ذلك الوقت نضى بسرعة تقرب من
عشرة أميال في الساعة فقد أجلبنا النزعة حتى هودتنا . وتبع الأطلال
هنا في موقع قريب سببا بحث نستطيع الوصول إليها من الجنوب
ولمؤد الى ذهبينا بعد الاتجاه نسر الشمال بأميال قليلة حتى تصل الى
المنهر . وعلى ذلك فقد تركنا الرمس حسن يسحب النخبة ضد التيار
ونزلنا في أول نقطة منامية . ولما لم نجد حميرا أو مرشدين ، تركنا
سرنا مكونا من ثلاثة أو أربعة بسارة وعضنا مسرا على الألفم .



وكان الطريق طويلا - واليوم حارا - ولم يكن لدينا وسيلة للاعتداء
 إلى الطريق سوى الخريطة . وبعد أن تسقنا القبة المنحجرة وسرنا
 بمعداة مزروعة بميل كثيفة وجدنا أنفسنا في منطقة رقيقة ليست بها
 حمراء أو شوائع من أي نوع . وكانت التربة تمتد شكلا مربعا كما هي
 العادة فظهرت مثل رقعة شطرنج ممتدة تميزها مئات من قنوات المياه
 الضعيرة التي كان علينا أن نغرق طريقنا خلالها فمرعا نستطيع - وسرعان
 ما عبرنا آخر حقله من جمعات التخليل . وكان أمامنا السهل أخضر اللون
 بصل وراعات القمح الحديثة ، كما كان سطحه مستويا مثل سطح البحيرة ،
 وينسج حتى يصل إلى قواعد الجبال . أما الحميد الذي ظهر كجيرة وسط
 هذا البحر من الرمرد المتفرق ، فقد امتصص أمامنا على منصة من التلال
 السوداء .

وكان لا يزال على بعد ميلين ، نادى المسحاة ، ظاهرا من على هذا
 البعد كساية بضياء ضخمة ، منخفضة البروز ، شديدة القوضوح . وكانت
 الموحاة مائلة إلى الداخل قليلا في اتجاه القبة ، كما ظهرت الواجهة
 محدولة على ثمانية أعمدة مربعة مع مدخل صخري في الوسط . ولو كانت
 هناك نقوش بارزة أو اقزير أو أسطورة مصورة تثرى هذه الحواشي لما
 سمح لنا البعد عنها بالمقدرة على تمييزها . ولذلك ظهر المسح كلة عازيا
 ورزينا يتشكل عجيب . لقد ظهر كقبة أكثر منه ميمبا .

ولم يكن المنظر المحيط أقل سكونا في موقعه المنعزل ، فلا توجد
 شجرة أو كوخ أو أي شكل من أشكال الحياة يكسر جملة انخساف السهل
 الرتيب ، وتبرز انجبال شكله وإن كانت منفصلة عنه بمنطقة فراغ بعيد
 القسلة الاطال التي ترتفع مثل التلال ، بلونها الودي ، ورمالها اللامعة
 التي تمتد شكل ملاكوام في جوف دعامها المكشوفة وارتفاع الظل
 الأزرق الناعم في وهابها الخلفية بالبحاب . حيث نحسر المسلة لينفتح
 المنظر من الصحراء اللامعة التي تصل إلى الأفق اللببي .

ولما التزمنا تدريجيا ، وصلنا خطوة إلى جسر مرتفع كان من
 الواضح أنه يربط التلال بنقطة منخفضة بجانب مجرى النهر . وأخذت
 تقاسيل المسح تظهر تدريجيا . وتستطيع الآن أن نرى منحني الاقزير
 ومنطقة الظل المحيطة به ، بالإضافة إلى شيء صغير أمام الواجهة ظهر لأول
 وهلة مثل عيكل صخري ضخم ، ثم كشف عن نفسه نالا هو قائم في
 مدخل ضخم من النوع المعروف بوصفه بوابة منفصلة . ومع اقترابنا
 أكثر ، أيقنا إلى أجزاء من أعمدة منحوتة ، وتماثيل مشوكة تصف مدفونة

في التضاريس الثائرة به بعض التلال التي تقع في الاطراف ، ثم ظهرت سلسلة من حرايت الترات الراكمة والمعامل المجرورة ، ثم أعست التلراف والاملاك التي تصل الى هنا على مسافات واسعة بطول سافة الصحراء ، وتنتهي في اتجاه الجنوب حاملة الرسائل الى النوبة والسودان .

وحصر في الأرض التي تنتج لملاح الترات التي توجد في التلال التي بها الخام الاحمر ، او انقاضي البية الحجرية القديمة ، بالاضافة الى أن طمس النيل متفصح بها . وقد تعودنا أن نرى في رفاق كثيره تمليه بودة التلك على سطح الصحور التي يتجاوز ارتفاعها المستوي السالي للفيضان . وقد قيل لنا ان هذه الخزانات التي كانت موجودة في ديرة ودعت هذه المظر حول الحيد أيام صعيد باقنا منذ أكثر من عشرين عاما . أما الترات التي وجوها فقد امتصت بعيدا حيث عملت وتبلورت في الخزانات وتحولت في المائل المجرورة الى ملح البارود . أما أسلاك التلراف فهي دجلة منذ فترة قليلة ، أقامها الخديو الذي أراد بهذا البعد أن يجعلها في الخدمة حتى لا تجيب مشاكل ملح البارود الانفجار . وحسب يملأ الخزانات بالانفاس . ولكن ماذا نستطيع عنون الحرب الحديثة أو محائب العلم الحديث أن تعمل مع متحور . ربة الجبال والظلال الغريبة . مربية حورس ، وأرويت المصرية ، التي صار تقديس أحجار هذا الجبل وكافة هذه القفار من أجل تكريمها ؟

وفي هذا الوقت أصبحنا على مسافة قريبة تسمح لنا بعرفة أنه تلك المعائم المربعة التي سجل الواحة لم تكن مربعة ولا كانت دعائم ، ولكنها أصبحت ضخمة تنتهي مرقوس بشرية الهيئة . وأن الحوائط لم تكن مسطحة على شكل القامير ولكنها مغطاة بخليط لا يهائي من الأشكال المنحوتة . وأن الجواب الضم بالنقوش البارزة مشوبة مآلاف من أعشاش القبابير مثل مجموعات الفتحات الطيبة . وهي ترتفع الآل فوق رؤوسنا وتقودنا الى شارع صباط بالحوائط . صفوف مباشرة خلال التلال ، ومنحدر الى المنحدر الرئيسي للمعبد .

ولم نرى النسب المنظمة للبناء ، حتى وقفنا تحت هذه الأعمدة الضخمة . نلظن في الأرض المسهقة تحتنا والالبر الضخم الذي يرد الى أعلى مثل قمة حوية قادمة . أما ما ظهر لنا شاحقا على البعد فلم يكن الا وسط الحيد الذي يرى حفره ، والذي لم يظهر منه فوق مستوى التلال سوى ثلثي ارتفاعه الحقيقي . أما سطح الشارع فقد وصل ارتفاعه في الجزء المنخفض منه الى عشرين قلما أعلى من سطح الكهف الأول الكبير .

وكان علينا ان نهبط مدرج سلالم شديد الانحدار قبل ان نصل الى الارضية
الاصلية .

ان تأثير الرواق على الانسان عندما يتف عبد قمة السهم يصله
يشعر بالحلال المبيض كما ان العرش والارتفاع وصقاعة الأجزاء ،
كلها تدور في عظمتها كافة التوقعات التي توصلها خلال الملبس اللقي
تقدمها عند الاقتراء من المعبود . ذلك لأن صديق الأعمدة الضخم ،
والفسكات الضخمة التي تربطها ، والاورير الثقيل البارز دون رؤوسها ،
كل ذلك يعبر الشال . ويظهر مع مايس الأبعاد (١) ربما أضخم مما هو
عليه . وبالنظر الى أعلى نحو الاطوار الخشبي يرى نوعا من المواكب
الاحتمالية المصرية التي تضم كهنة ومطربين ، بعضهم يحمل الرثبات
والبيض الآخر يحمل الآلات الموسيقية . وقد رسمت الكرة المحتمة
يميل إلى رسم فحم على اسحات الاورير بحيث تظهر وكأنها تعوم فوق
الحلج الرئيسي ، أما الكتابة الهيروغليفية والفسكات والاشكال الفريدة
للفسوك والمكتبات فهي تغطي كل قدم على الحائط والاورير والمسود .
ولا تنمو هذه الثروة من النقوش نحو الافلاك من الاحساس القامع
بالضجعة ، بل انها على العكس تبدو كما لو كانت الرسوة للنفقة في
تلك اللحظة هي المكمل الطبيعي للسلطة في التنكيل . حيث تظهر صرورة
وجرد كل مجموعة ، وكل نفس ، وأنه قد وضع في مكانه الصحيح كجره
ضروري في البناء الذي يريته . ومثل هذه التفاصيل سليم ، كما كان
يوم أن تركه آخر العمال الذين كانوا يعملون فيه بعد أن صرح المهندس
المصري بأن تصميمه قد تم تنفيذ . أما سرور الزمن فلم يشوه سطح
الحجر ولم يخفضي صل الأزيل .

لما تلك الاصابات التي شاهدها وهي من عمل الانسان . ولا يوجد
قطر آخر عملت به يد الانسان ما عدا . سواء في البناء أو الهنم أكثر
ما عملت مصر . لقد ألقى افرسي بالتحف الفرعونية . وشوه الألباط
معابد البطالة والتمساسة . أما العرب فقد نزعوا الطبقة الخارجية
للأحرام . ونقلوا صف من مورتها على لتراث غير منظمة . وعندما هنا
في دفعة نموذج للمبل الاغريقي المصري المشترك . والتصميم المسحي

(١) ينكر سير ج- ويلكنسون ان الطول الجمالي للحدود هو ٩٢ خطرة الى ٧٢٠ كما
يبدو من عرض الرواق إلى ٥٠ خطرة . كما موراى فلا ينكر أية قيود . وكذلك
طريقته في القليل التفسير المتاح لكثير غيره . ولم يتعرض لكثير من هؤلاء أو شاميلون
أو أي كاتب آخر من الذين رجعت إلى كتاباتهم .

المكر - لقد بدأ بناء هذا المعبد في أيام بطليموس الحادي عشر (١) بينما يحمل على حراطشة اليعصم القنطرة اسم وصفة برون - وقد كان الصرح الحالي جديدا نسبيا سنة ٢٧٩م عندما تولى مرسوم تيؤوتوسيس على الديانة القديمة . وهكذا فإن معبد دندرة هو أقدم وأقدم هذه البلاد الصخمة التي بسبب انقضاء أكثر فرائث الحكم الأحسي ارتدادا حلال المسمانة عام الأخيرة ، وهو محاط بأشجار النخيل والأكاسيا في حرم منطقتة واسعة ما زالت واضحة المعالم . يبلغ طول حوائطها ١٠٠٠ قدم وارتفاعها ٢٥ قدما وسمكها ١٥ قدما . وهناك معمار مهذون حاليا نحت عشرين قدما في الأنقاض . ويصل من البوابة إلى الرواق . وما زالت البوابة هناك وقد حوت جريا - ولكن المعبد نفسه ، مع مدرجات السلالم وسراديب الكور السرية ما زال كاملا من كافة الوجوه كما كان في اليوم الذي تجاوزت فيه عظمتة أعمال المخربين .

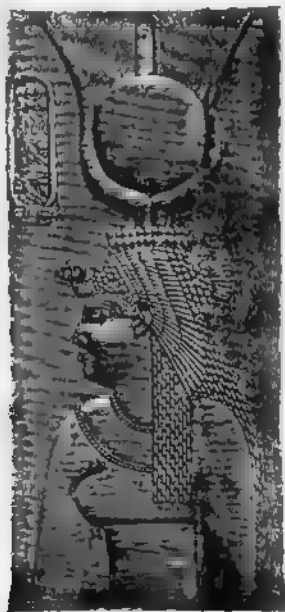
ويمتدح الأهل أن يتخيل بسهولة كيف لن هؤلاء المخربين سلوا وحروا كل ما قابلهم . وكيف انتهكوا حرمة الأماكن التي نفسها المصريون انفسا وقيروا سائيل الآلهة وقسموا كنوز الهيكل . والحقيقة هي أنهم

(١) لقد وجدت أسماء الألقاب أغسطس وكلاوديوس وطيبريوس وديوسيان وكلوديو وديونيسيوس في الهرماتين الملكيتين وكانت كلها حوائط بطليموس السادس حتى مؤسس هذا الصرح الذي أعيد بناؤه في شكل سلسلة الهياكل التي يعود تاريخ انجذابها إلى عصر الملك حورس باسم الهرم الأكبر . وهذه الحقيقة التي لازالت أكثر المسائل أصية . بين أن الباء الأقدم في التجميع ينسب إلى فترة انتباج حورس Harsheos القنطرة التي لا يمكن تسميتها (المسعود بقناع حورس سمار الزمرد أو الأبراء الذين حكموا العالم مصر قبل تأسيس الحكومة الملكية الأولى) ومن حقيقة أن الفئتين المعروفين الثاني والثالث اكتشفه هاربيت في أحد السراديب التي تشكل داخل جسم حوائط المعبد الحالي .

ويلاحظ للنس الأول التي يعض الأعياد التي كتبت نظام الاحتفال بكثرة حضور . ويذكر أن كافة الحفلات المعقدة قد أداها الملك منحوس الثالث (من الأسرة الثامنة عشرة) . أحياء الفنون والمثلة حضور ربة مقدرة ووضعا للقواعد الأساسية الحقيقية لمعبد مقدرة بانكتلية الحقيقة . حقيقة أخرى جلد المذبح في عصر انتباج حورس - وقد وجدت هذه الكتابة في داخل حائط حلي من الطوب الأحمر يحدد إلى عصر الملك ميس (من الأسرة السادسة) . يوجد في نفس السرديب نقش آخر أكثر اختصارا يقول : « الأداة الأساسية المنظمة لمعبد مقدرة ، والتجديدات التي عملها منحوس الثالث حسب ما وجد في الكتابة القديمة التي تعود إلى عصر الملك حورس » . وهذا يعني تاريخه ملحوظة تقول : « أن طوبس معبد مقدرة نحت ألباتس في عصر ألباتس بنفسه يتقاربه على يد أحد الأهرام الآخرين الذي سماه في ثيل للملح » . انظر في ذلك كتاب Denderah Description Générale لفصل الأول - حورس ٩٥ - ٩٦ -

لم يعرفوا مثل هذا التخريب الواسع النطاق الذي هم به الغزاة العرب
 منذ ستمائة عام ، ولكنهم كانوا محطيين للقيم الثوارثة بدون رغبة
 وأزالوا معالم وجه كل تمثال وقع في متناول أيديهم سواء أكان داخل
 أم خارج المعبد .

ومن بين المناظر التي ألفت من النشويه مظهر كليوباترا انصار
 امشهور والمعشوق على ظهر المعبد . وقد تكسبت حوله المقاييس التي
 حملته ولكنها حرم السباح من مشاهدته . وكان قد تم تصويره منذ عدة
 سنوات بمعرفة السور بيسي وطعنت هذه الصورة في الملقح الخاص
 بالبحث .



كليوباترا

ونظور كليبواترة هنا وهي تضع غطاء للرأس يجمع بين صفات ثلاثة من الآلهة هي سمرموت (التي صورت رأسه بطريقة يارعة) وقرص حنوز ذي القرين - وعرش ايريس - اما الكتلة المتدلية تحت غطاء الرأس فهي تدعى الشجر المسحور على الطريقة المصرية حيث لا يعدل لا يخص من العناصر القيمة التي تنتهي كل منها بطرف معدني للريفة . وما زالت بساء مصر والوثة يوسن شعورهم يمثل علم الطريقة حتى اليوم ولا يبدله . وكما أشعر بالأسف وأنا أقول اني رأيت أكثر من مرة كل شابة أو عذراء أممايخ ، أن الفتات المويجات يرتبط كل حديلة مفصلة بقطعة من طين النيل مطلية بصلصال أسمر (م) . ولكن من المحتمل ان حداث كليبواترة والحريري كانت تطل أطرافها بشمع أو صمغ تدعى اللون .

ومن الصعب معرفة أين تنتهي بقوش الزينة لكي يبدأ في رسم الأشخاص في عمل ينتمي الى علم الحقة - ونحن غير متأكدين من أن المقصود كان رسم شخص بالرغم من أن مقدمة الخرطوش الملكي الذي كتبت فيه كلمة كليبواترة بكل علامات النطق كاملة ، يشير الى عدم النطق . ولو كان الرسم يصي شخصا لاحتاج الى مراعاة المساحة اللازمة ليمالبة التقليدية . ان علام الوجه الكثير والابتسامة المفتحة صفتان عاديان في كل رأس انساني ينتمي الى العصر البطلمي . والأذن أيضا عمل مطوي ورسم الشكل سخييف وحصر النظر عن التكلم فان الوجه لا يحتاج الى الوجود المستقل ولا الى الجمال . واذا غطيت الفم فستجد امامك ومسا جانبا للوجه غالبا من الميوب . اما اللحن والحلق فيمتاز كل منهما بالجمال التام . بينما يصير الوجه كله عن الايصال بالقصوة ، وانفهام ، والاثارة الجنسية ، مع الاساس الفاض ليس فقط في رسم الأشخاص بل أيضا بالتصايف .

ولابد ان يشعر الانسان بقوة يقسه الصلحة عندما يرى لأول مرة الصلح التحريبي غير الظاهر على الأصد المربعة برأس الآلهة حنوز تلك التي تحمل واحة مسددة . فهناك التيات الكثيفة لغطاء الرأس . وهناك الأذنان المنتصبتان والمثبتتان مثل اذني البقرة . ولكن لم تنبثق أية واحدة من الملاحح الرحيمة لوجه الآلهة . ويصف امير علم الأصد في أحد خطاباته من مصر قائلا عنها انها ما زالت « تتألق بألوانها التي لم يقدر الزمن على طمسها » . ولابد أن الرسم كان مشتبولا خلال الثلاثين

(*) المقصود هنا هو الحلة - (المراجع) .

عاما التي مضت منذ ذلك التاريخ لأنه رغم أننا حاليا نجد حالات عديدة من الولد الرسوم المنحوتة في الصخور الماخيلية الصغيرة هاتين لا أنه ذكر اننى لاحظت أنه بقايا من الآلوان (فيما عدا أترا باهنا لفصلصال الأصفر هنا وحده) على الزخارف الخارجية .

وبنود كل هذا الصبغ المنترق القادم من الشمس مع الضخامة والصبغ وكل الأسرار ، فالتسا عند الأمتية والحية تعينه تشبه رائحة الموت مجتة من العزلات التي طال احتباسها . واستطعا بمساعدة أضواء الصبغ الذي وصل طريقه خلال الروابي إلى نرى ملامح باهتة لثاية من الأعمدة التي يرتفع من الظلام السفلى وتضمحل في الظلام العلوي . وظهرت حلها مرة أخرى مفصدة بميدة لبعض القاعات المتوالية التي تنضي في ظلام لا يمكن اختراقه . ولم يكن نحتاج إلى شجاعة عظيمة للزول من هذه المسلام واكتشاف هذه الامتلى مع مجسومة من السباح المرافقي . ولكن المكمل كان حقيقيا بالنسبة إلى يقاضى بزوارته وحده .

ويكسب الرواي عند النظر من الداخل عن قاعة ضخمة يطلع ارتفاعها حسب كسبا . ومحدولة على أديمه وعشرى عموما تحمل رؤوس الآلهة حثور . وقد ربطت صفة من هذه الأعمدة بالخارج عن طريق جزء من الواجهة ، وهي نفس الأعمدة التي تراها من الخارج . ويبدو أن نموذج أعيننا على ضوء الشمس تدويرها رأيا عموما هما وعمودا صاك ما زالت جميعها تحتفظ السواء الملمس في نقوش وجه مسائي صخري . بينما ظهرت على كل حائط أو عمود أو مقار . أو رؤوس متوجة أو ريش الطيور . وقد دفنوا غالبا شمولت غريبة وهم حلوس على الخروشي ، يؤدون شعائر سرية ، ويظهرون كما لو كانوا يمتنون من لملكهم مثل الأحياء - وبالنظر إلى السقف الذي صار أسود اللون ومشوها بطول الفسار ، اكتشفنا وسوما مرصعة كجدارين ، وكرات سجنحة ، وشعارات فلكية تفصل بينها حواجز تمتد إلى النوعيات الانغريشية المبقعة - ملونة بالون خضراء وبني - وتطلى عوارض الأعمدة الضخمة من القبة إلى القاعدة مجاميع من النقوش الهيروغليفة التي تمثل حرايطش ملكية . ورؤوس الآلهة حثور ، وصقور متوجة ، وسموش خرافة (٣) ، وآلهة . وملوك وكلها بالنقش البارز .

(١) هذا المرحى الخزائير يطلق عليه الأفرقي اسم شيمرا *Chimera* ، وهو مبراة من كائن له رأس كسد وجسم حرة وليل رأس ويطلق الفار حنمته - (الترحم) -

وحتى هنا تجد ان كل راس يشتره تمكن الوصول اليها مهما كانت صغيرة
الحجم ، قد تعرضت للتقوية القديمة .

ومع الازدياد الذى اجترأنا عند النظرة الاولى لهذه النقوش الجديدة
والسرية ، احسنا نتجول ونسعى فى القاعة الاولى الى الثانية ومن الثانية
الى الثالثة ، وكل خطوة نتودنا الى ظلم أشد عمقا . وكما نقرأ عن حبه
الآلهة والتمناجات من عدة أسابيع مضت ، أما الآن ونص هنا بالفعل
فقد وجدنا ان المعلومات التى احذناها من الكتب لا تساوى شيئا ، وشعرا
بجهلنا كما لو كنا قد هبطنا صخرة على عالم جديد . ولم نفتقح خريطة
العميد لم نبدأ فى معرفة معاني النقوش التى تحيط بنا ، الا بعد ان أحبطنا
بهذا الاطباء الاكبر الذى اربكنا ، وبعد ان امترحنا قليلا على قاعدته
أحد الأعمدة .

لقد كانت طلوس المباشرة المصرية القديمة تتضمن بالضرورة المراكب
الاحتفالية . وهذا بعد العكرة الأساسية لكل عميد . ويحتاج بناه ، فهو
يتضمن حجرات مخازن تحفظ فيها الملابس والأدوات والتمناجات المقدسة
وما يتباه ذلك ، ومما لم ننسجح المصور والمناجات ، وشرائل لمخط
الأراضي المقدسة والتمناجات التى من حجرات لاستلام ودفقة القرابين
بأنواعها ، وصلات لتجميع وحشد الكهنة والموظفين وأراضى تكوي
المراكب ، وممرات وسلالم وأحواض وأروقة ملوطة وأمنية ضخمة مزروعة
بالاستجار على المصنوع ، ومعلقة بمواظف تحوطها السرية التى تصور
خصوصية الكهنوت .

ولا يوجد فى هذا التصميم كما نراه ، مكان لى شيء يتخط شكل
المادة الجسدية ، ولذلك فإن المصيد المصرى لم يكن مكانا للمباشرة
الجسدية . لقد كان صحرى لتكوير ، والأراضي ، ومكانا ملكيا حصويا
ومكانا للتصميم ، والتكرير . والأسرار الكهوتية ، وفيه تقيم التنايل
المقدسة على عروش تيمية حيث ملبسونها الملابس أو يغسلونها عنها .
ويسلطونها بالبحور ، ويرودها الملك للمباشرة فى أيام عطية مخصصة على
مدار التقويم السنوى مثل مناسبة بداية العام الجديد أو تنظيم الآلهة
المحلية حيث يتم إخراج هذه التنايل وتجميعها فى ممرات العميد ، ثم
تتمثل فى دورات حول القاعة بين تلويحات الرأيات ، والشاهد الترانسل ، ثم
وأحراق البخور خلال ممرات القناه ، ومن المحتمل أنه لم يكن يسمح
لأحد بحضور هذه الاحتفالات سوى الذين ينتسبون الى الأصول الملكية
أو الكهوتية . أما بالنسبة لمقبة التسمب فقد كان كل ذلك الذى يحدث

بين الجنديين الشباقة مغطى بالسريه . ولابد من السؤال عما اذا كانت للحدود الصغيرة من التسبب أية أهمية دينية ؟ من المحتمل أنهم لم يكونوا محرومين من دخول حرم المعبد . ولكن يبدو أنه لم يسمح لهم بالمشاركة في عبادة الآلهة . وإن كان يسمح لهم مع المعبد والآثار في أيام الأعياد الكبيرة لمشاهدة الفصحى للقدسه حول الآلهة المحسوب في موكبه ملبور حول النساء ، أو يقرب نظرة سريه على الأشخاص الذين يتحركون والشملوات البراقة في الظلام المحاط بالأعمدة في القاعة السفلية ، هذا هو كل ما كانوا مشاهدين في العبادة الوقورة التي تتم في معبدهم .

ويتكون معبد دندرة من وفاق ، وصالة المدخل ، وصالة الاجتماع . وصالة ثالثة يمكن أن يطلق عليها اسم صالة المراكب القدسه ، وهيكل أرضي صغير . ويتضمن أعلى المعبد عشرين حجرة جانبية منتظمة الأحجام ومغطىها سقف تماما . وتحمل كل واحدة من هذه الصالات والبجرات سجل استحداثاتها المحفور . لهاك مئات من اللوحات الملوze ، والنقوش الهيروغليفية المنقطة التي تغطي كل قسم من الفراغ للساح على الحوائط والأسقف الخارجية والداخلية والمسل والمعمدة ، ومكعبات البطانة التي تطين الممرات والسلاكم . وتتضمن هذه النصوص الشبيهة الكثير من القطع البحرية والميلة ، وهي ثروة غير عادية من التاريخ غير المبشرين . فهنا نجد برامج الشرائع الاحتفالية ، وأساطير الآلهة التي لا تحصى ، وسير الملوك مع القاجيم المديفة ، ومسجلات الموازين والمقاييس ، وبيانات التقديرات ، ووصفات نخبز الزيت والروائح العطرية ، ومسجلات بالإصلاحات والتعديلات التي أجريت للمعبد ، وقوائم جغرافية للمدن والأقاليم ، وقوائم جرد الخزائن . وما شابه ذلك . وتحتوى قاعة الأساطير على تقويم بالأعداد . وتبين بدقة متناهية الاتابات التي تقدم عن كل مناسبة تتكرر . وتجد على سبعة الرواق خريطة البروج الفلكية . كما نجد على حوائط معبد صغير فوق السقف ، التاريخ الكامل لبعث أوزوريس مع نظام الصلوات خلال ساعات الليل الاثنى عشرة . وتقريبا ما عدا أوزوريس في كافة المدن الرئيسية بمصر العليا ومصر السفلى . ومنذ سبعة عاما مضت كانت هذه النقوش سميت الارتباك والياس لدى العلماء ، ولكن منذ أن توصل العلم الحديث إلى فهم أسرارها أصبح المعبد

حكى لنا أمثالا مثل كتاب معنوج يعرض بالأمور المريبة والطريقة وغير
التجاسة - انه كتاب يتتبع مجموعة الشرائع والتقاليد ولكنه محدود على
الاشجار للتأشيرة (١٦) .

ومع هذه المساعدة الى تقديمها دليل حاريت يستطيع الاسفل ان
يسخرج معظم هذه الاشياء المريبة ، ويحدد استخدامات كل حيالة
وكل غرمة في اثنين كله - والملك بدوره الردوج كترعوى وليس للكهنة .
هو بطل كل منظر محمور - وهو يرتدى أحيانا التاج المشطوف الطرف
عصر السهل ، وأحيانا أخرى التاج الذى يشبهه المعوذ الخاص بمصر
العليا - وأحيانا ثالثة يرتدى التاج الردوج الذى يجمع بين التاجين ويسمى
« بنتيت » *Pachmet* ، وهو يظهر فى كل لوحة ، ويرأس كل موكب -
وابتداء من النقوش التى فى الرواق لراه قادما نعيمه الرايت الملكية
الخمس ، مرديا رداء الطويل ، وصلدلا فى قمميه ، ومسمكا بمكاهه
فى يده ، وتستقبله عند الباب الهتان تقودانه الى حضرة الاله ترحوت ،
والاله أبيس الذى يحمل رأس السجل ، والاله حورس الذى يحمل رأس
الصقر وهو الذى يصب عليه سبيلا مودجا من مياه الحياة - وبعد ان
يتطهر ، تكلم الهات مصر العليا ومصر السهل بتقويته ثم يرسله الى
الالهة المحلية التى تميد فى طيبة وحليوبوليس وهى التى تقوده الى حضرة
الالهة ححور ، وسينند يقسم الراين مختلفة ، وينلو صلوات صينة . وهنا
تمنحه الالهة وعمدا يطول العمر ودوام السمة الطيبة وأشياء أخرى
طيبة - وبعد ذلك راه قادما بنفس الابتسامة ، ودائما فى نفس الحوزة
يقدم الولاء لأوزيريس وحورس وغيرهما من الآلهة - وهذه الالهة الأضرار
والنبط والخمر والبخور ، بينما هم يمنحونه الزهد والعناية والسعادة
والحصاد الوفير والنصر وحبه الشعب . وتكرر هذه الممارات الطليقة
من رؤس الممثلات الدبلوماسية مع نماذج التملق الأنفة . مرات وكرات
فى مجموعات من اللوحات الهيروغليفية - وعلى كل حال فان حاريت يرى
فيها شيئا أكبر من لغة البلاط المنظمة بلغة السلطة - انه يتوصل الى لغة
الثورس ، ويكتشف فى التحجرات التى تقدم الى الملك والآلهة انعكاسات

(١٦) انظر كتاب ماريوت وعولده مخرقة *Denderah* الذى يطوى على هذه
النقوش التى ٧ تصفى فى ١٦٦ لوحة وهى مجموعة من النقوش التى فى كتاب
بروجس ووجيخى بعنوانه

هذه العبادة القديمة التي تقس الجمال والبحر والصفى ، تلك العبادة
التي تميز تماثيل المتحف الاسكندري (١) .

وبعد الخروج من الرواق الى صالة الاجتماع ، ندخل الى منطقة من
الغروب السماكي ، ومنها يصبح كل شيء مظلماً ، ولا نستطيع ان نرى
شيئاً في الممرات حيث الممرات القديمة والجو المظلم الا بساعاته
الضوء المسجلة ، ويبلغ طول هذه الممرات حوالي عشرين متراً وهي
محصلة من مرآتات السجور وظلمة تماماً ، اما النقوش التي تغطي
جوانبها فهي عديدة مثل تلك التي في الصالات الخارجية ، وفي هيكل
لحظة الممر الذي صممت الحجارة لاجله ، وعلى ذلك فأننا نجد في الممرات
قوساً يادية للقوارير ودرجات ، ولشخصاً يصلون درجات الممرات ذات
التكرار المتناوب ، في حجرات الفناء ، مع المقصات التي تقطع أركان
النقوش ، وحرم التمتع ، وكثيراً من الدقة ، والرمز ، وفي هياكل الرئيس
وأحد ، وصممت ، به تماثيل لهذه الآلهة وهي متوجهة وتعدّل من الملك
غروب الطاعة والولاء ، بينما يظهر كل من الملك والملكة في المنزلة وفي
صها يحل هدايا مكرمة من صناديق الممرات والممرات والصدريات
والصنوج وما شابه ذلك ، ويبدو أن سطح النقوش لم يجندوا وقتها
يستخدمونه في هذه الممرات المظلمة ، لأن الوجود والأشكال هنا غير
مشوكة ، كما أن الأكوام بقيت في بعض الأماكن معلقة بشكل ممتاز ،
وعلى صيقل المثال نجد أن وجود الآلهة ملوثة باللون الأصفر الخفيف ،
أما جسم الملك فهو أحمر داكن وجسم أمون أزرق اللون ، بينما نرى
أيريس دماء ثياباً من طراز اللور الهندي ، أما أشكال صممت فهي نرى

(١) في حشود سكان حرس لا تمثل فقط لذة الجمال (المهرج) التي عيشها مصر
القديمة ، ولكنها تليها بين الشمس ، أنها لذة ذلك الأثر ، للكرم الذي يبدى شروق
والرسان مياه الهند ، وهي تملي للحيات الدائم للحياة ، والتجديد ، يفتقر
للحياة ، وهي أيضاً لذة الحياة .

ويقول الله في أحد النواحي التي في الهيكل المخصص للسلاسل (الآلات التي
تستخدم في الموسيقى) ، ليس قدم لك الطبيعة يا لذة نسمة ، لأن الحقيقة في عطف ،
يا لذة نسمة في الطبيعة ، وأخيراً لأن صفراً هو للسلاسل ومن المفروض أن صوت
السلاسل كما ذكر بلونارخ يزعم ويظهر في (دهر الدار) كما كان رنين أجرس الكتان
في المصدر الوسطى يفرغ ويضرب وجنوده ، ومن وجهة النظر هذه تصبح السلاسل
جراً لتتساو البحر على البحر ، ويخبر مارييت في تحليله لرحابك ونقوش هذا الصمد
التي من يتكلم قد لا نرى بلطف ذلك البحر وكيف الحفر الآلافية الاسكندرية تحت
برزية الحياة القديمة ، والحقيقة أن حشود ملوثة كانت تجد بما لا يدرك غير معروف قبل
الحصر المطلق .

توبيا حينئذ الألوان ملطوها حول جسمها . أما آمون فهو مشبح برداء أحمر
وعدة حربية خضراء . أما الأجزاء السفلى من ملابس الإلهة (العقب) فهي
تفسيرية بشكل لا يمكن احصاؤه . ولكنها غنية بالمجوهرات ، أما إنيطة
وزوسها وعقودها وأساورها فهي مغطاة بالتفاصيل الدقيقة ذات الإحسية .
وبرى في أحد الهياكل الأربعة المتخصصة للإلهة سمحت ، الملك مرسوم
وهو يقدم صدره تيمنه وذات تصميم وشيق . ولو وجدت الكتابة الوقت
والضوء اللازمي لكانت قد قامت يرسمها *

ويقع هيكل حتحور في الحجرة الوسطى في طرف المبد في مواجهة
المدخل الرئيسي تماما . وهذه الحجرة المطلوبة التي لم يدخلها شعاع
الشمس مطلقا ، تحتوي على المقصورة المقدسة ، وقفس الأنداس حيث
كانت تحفظ المصاحف المقدسة بالآلهة . وكان الملك هو الشخص
الوحيد الذي يملك امتياز ادخار ذلك الثمار السري - وبعد أن يقوم
بذلك يضعه في باورس تحت ضغط سيطرة كثيفة ويصممه في أحد القواب
المقدسة التي تعد مورها مفوثة على سواط القاعة التي تحفظ بها .
وكان المقصود أن ترفع هذه القواب المصنوعة من خشب الارز واللص
والفضة على اربعة مطروقة ثم تحمل على كتاف الكهنة في الواكب
الاحتفالية - وما زال اللبوس حلف ، وهو عبارة عن فراغ في الخائط يبلغ
حجمه حوالي ثلاثة اقدام حربية ويرتفع عن الأرض بحوالي ثمانية اقدام .
وقدما على صوء التسرع بالمرور حول هذه الحبرات الخارجية . وكما
تجد في كل مدخل - بالإضافة الى المكان المحصور لاجل الملاج - تقريبا دائريا
موجها من أعلى وسفورا من أسفل على شكل ربع محيط الفائرة حيث كان
السحاب يثور على محوره في طغي الرمان . كما الأرضيات المهددة والتي
قربها الباحثون عن الكنوز فهي مملوءة بتقوي الخيابة التي احدثوها وكثرت
من الاحداث المطلوبة - أما الصقوف فهي مرتفعة جدا . ويهيئ الظلام
على المسرات . وكل شيء خلف هذه الاعتاب غارق في الظلام . وكان الضوء
الوحيد الذي يستطيع ان تصنه ونسج سرع حطانا في ضوء الشموع
هو الاحساس بالاصاط مسبب عراية وحول المكان . كما نتحدث بأنفس
مقطوعة ، كما ان الاعراب الرفاعين لنا المروطين بكثرة الكلام قد لاذوا
بالصمت - أما الهوة المحيط فيبدو من رائحته أنه قد احتبس هنا على
على عدة قروته *

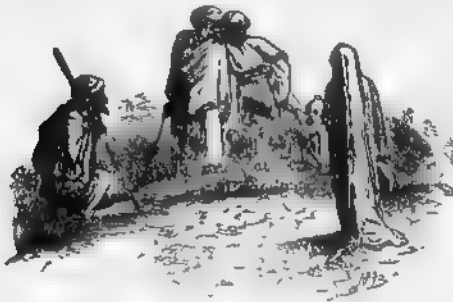
وأخيرا فانتا تتسلق السلم الذي في الجانب الشمال للمجد لكي
تصل الى السقف . ولم تر شيئا يثير الدهشة والبهجة مثل هذا السلم -

وكذلك محاولاً هنا أن نتميع بالترتيب كافة الاستعدادات التي
تتخذ لإقامة احتفال ديني عظيم - لقد رأينا الملك يدخل المدينة ، ويسير
بإجراءات التطهير الرمزية ، ويستلم التاج المزودج ، ويخلو مسلولاته
أمام كل معبود بالترتيب ، وتبناه إلى داخل المعامل والبياكل وقدم
الاقناسي ، وحتى هذه اللحظة فإن كل ما قام به ليس إلا إجراءات
أولية ، وبأى الآن دور المركب وما هو قائم بحوا ، ويرى هنا القروش
المحصورة على حوائط ذلك السلم وهي تمثل احتفال تنويع المياه المصرية
وهي تمر أمامنا بكافة تفاصيلها - وهنا نشاهد حامل الراب ، والكهنة
حامل الغرابي ، ثم الكهنة الذين يؤدون الطقوس ، وكل المركب الطويل
المحجب والملك يسير في صفته - وهم جميعاً في أحسن منظر ودون أية
حموش كما لو كانوا قد خرجوا لتوهم من تحت يد المنصات - كل في الحالة
التي تعود أن يمشيها ، وكل منهم قد وضع قدمه على السلم - صاعداً
كما أثناء صعودنا وسائراً بحائنا في كل الطريق - أوصاعهم طيبيسة ،
واشكالهم وأصحة الملامح بحيث يتخيلهم المشاهد وكأنهم يتحركون أثناء
تذليل ضوء الشمس فوقهم - وفي المزد أن هناك ليلة موحشة في السنة
يتخرجون فيها من مواضعهم ويذهبون البيت الثامن من تربيتهم ، ويتقدم
النسك في ترتيب روضي مع صوت الآلات الموسيقية الطويل السكون
وصوت الإنشاد الطويل الصمت !

وقد غربت الشمس الآن ، وبهت اللون القرمزي بينما كتب تقدم
على هذا المر الكبير - أما أسيار السلف فهي صالحة ، ويسر بعض
بخطوات واسعة ذهاباً وجيئة فوق الصجارة الأصغر منها - وقد وجد
وجلسا الكسوك أن المدينة منها يبلغ طوله سبع خطوات وعرضه أربعة -
وهناك في الركن الوحيد يقف صيف صغير مرتكزا على أعمدة ذات رؤوس
تمثل البقرة ، مثل بيت حجري صغير في لناء تبديع الانشاع - بينما
يرتفع سقف القاعة في الطرف اللبقي مكوّلاً حصة نامة أكثر ارتفاعاً .

وفي نفس الوقت يستقبل نور الفسق في الوقت الذي ظلت فيه
الجبال متدفقة في جو من الضوء الخافت الرقيق - ولكن الظلال المنطقه
بالأحرار مرحب سريماً قوي السهل - وترقد تلال المدينة القديمة عند
أقدامها مرصعة ومقلنة مثل أمواج بحر مظلم - وكل من مرتفعة وصراة
وصاعدة ! أنصت إلى هذه الصبغة الناتجة الرقية ! أنها عويل دني يتحول
في الليل ، انظر كم هي مظلمة هناك في اتجاه النهر ! أسرع ، أسرع -
لقد تباطنا طويلاً - لابد أن نضي سريماً لأن الليل سيتركنا - وكان
علينا أن نضي عن طريق السلام المكسية التي تحتوي على صفوف من

استوفش لكي تدفع الى خارج المعبد حيث ينفذ الحائط العائلي الضخم
للروان وهو يرتفع فوق دوارنا نحو السماء مثل برج عظيم - ونسج
النسج من السانيل للصحة أحدهما برأس أسد والآخر يدون رأس
وهما يجسدان حارحا وقد أعطي كل منهما ظهرا للمعبد - ونتجه نحو
اسهل يكن سرعنا ، وسنلق الكتل الماثرة لكي نضي بين التلال
التي جس لها شكل محدد - وسرعان ما يركبنا الليل ، ونحتم التلال ،
ويسعد المعبد ، ولا نسعى لنا ما يقودنا الا صوت النجوم الخافت - وعلى كل
حال ، فقد أحدهما بحر ، لغاربنا من بعضنا ، وأخذنا نطلق رصاصة بين
حين وآخر على أهل أن يسمعا هؤلاء الذين في الفوارب ، وضربنا تمام
مثل القرضع في الغابة .



للشيخ حبيب

وأخيرا عندما بدأ بعضنا يرصد ، وبدأنا نسمع حبيبا باليأس ،
واحد نحوي يطلق آخر رصاصة باقبة معه ، ردت علينا رصاصة انطلقت
القرب منا ، وظهر ضوء هائم وسرعان ما لمع من راعات القصب سرب
كامل من المصابيح المتراقصة ، والوسوء البنية اللون لترحب بنا ، وتقودنا
الى مقربا ، ان لريس حسن الصبيل الحجم ، والمخلص ، والمفتول
لمصلات ، والعريز عليا ، وخليفة الرجل الشريف ، وسلام الضاحك ،
ومحمد علي انظريف ، وموسى الأسمر الوسيم ، كانوا جميعهم هناك ،
وبالها من صراحة تلك التي خرت معهم - وكم ظهر مداح الاسان التي
كشفت عهد الاسامات اويا له من سبيل متبادل من التهاني التي يصعب
ادراكها ، أما من جهتي أنا فأقول بكل الصدق ، اني لم أشعر طوال
حياتي بسعادة قى لقاء مثبنا شعرت في هذا اللقاء .

الفصل الثامن

طبيعة والكرك

وفي اليوم الثالث لرحيلنا عن دهمرة ، وأثناء صعودنا الى سطح المركب وحدها قد ربت يسمف الفخيل ، كنا وجدنا محارتنا يرتدون بحالهم المخصصة للحارات ، وظهر الرئيس حسن في أحسن مظهر يسمى أنه كان يلبيس الحذاء والجوارب التي يرتديها في المناسبات العظيمة ، وقال في نفس واحد :

• نهارك سعيد • صباح الخير أيها الأكبر ! • •

وكان صباحا حارا مشعبا بالفضباب الضيف الذي لحث في حلاله أشكال غير واضحة للعيال ، مع هبوب الرياح الدافئة •

وأسرعنا الى جانب المركب ، ونظرنا الى الخارج باستثبات ، ولكننا لم نر شيئا • وكان الضباب ما زال يتسم ويحصى ، بينما أحد البحارة في الحري هما هناك • يمسحون ويرغفون رؤس المركب " قال الجندي الذي لا يستطيع الد اعدائه أن يلصق به نهمة الحية : ، الأكبر ، الخوف ، طيبة ! • ولقد يردد ذلك في كل مرة يقترب هنا •

لقد قرأنا في الأكبر الكثير ، كما رأودتنا في أحلامنا ولكنها ظهرت بعمدة دائما ، لدرجة أنه كان من الصعوبة يمكن أن نصق أننا كنا مقرب من تلك الشواطئ الشهيرة لولا هذا التنويه اللطيف عن الضيوف الموعود ، وحوالي الساعة العاشرة ارتفع الضباب مثلما ترتفع السناورة ، ورأينا الى يسارنا سهلا غيبا مرصعا بزراعات الفخيل ، أما عن اليمين فقد شاهدنا خطا عريضا من الأراضي المنروعة التي تعلوها سلسلة من جبال الحجر الجيري • كما ظهرت في الأفق السيد سلسلة أخرى • وجبها رمادة اللون • منتحلة بالظلال • وكان الرئيس حسن في شدة الانتصار وهو يشير في جميع الاتجاهات على الفور قائلا :

• الكرك - الكرنه - الأقصر ٢ - وحاول تلمس أن يطلعتا على مدينة هابو وتمتلك مصونة - وأقسم الرسام المرافق لنا على أنه يستطيع رؤية رأس التمثال الجالس، وممثل وادي حقاير الملوك - وحققنا ونحن صمدحون ومتشككون فلم ير أيًا من هذه الأشياء - ووجدنا أنه من الصعبه يمكن أن نصدق أن نجريها برأها - كذلك النهر يسبح أمامنا ، والمستطعات حضراء على كلا الجانبين ، وقد أصبحت الجبال على الشرايت التي توشى إلى المقابر المعقورة في الصخر ، بينما كنا نرى هنا بوضوح مجموعة من أشجار الجير بعيدا داخل مطلق الأرض على حافة الصحراء ، وهناك ربوة مظلمة في منتصف المسافة بين كومة محتطمة من أسياء قد تكون صورا ساطقة أو بداية من الأشجار المتهنئة ، ولكننا لم نر شيئا يقسبه المبد ، أو شيئا ينج لنا أننا أصبحنا على مسافة معروفة من أعظم الأطلال في العالم -

وسرعان ما رأينا أثناء سير المركب بناء صخريا حاليًا من النواهد (ليت السند تحفظنا) يشبه قلعة جديدة أو سجنًا ، يعلو فوق رماحات الخيل التي على اليسار - وقد قيل لنا أن ذلك هو أحد بوابات الكرك الأمية - وهي نفس الوقت ظهرت بعض الأتواج المحلية بالخير ، ومجموعة عليه من الأعمدة على بعد حوالي ميل مسجدة إلى موقع الأقصر - وقفل الجندي وهو يصبح سبارته التي لا يفتك عن نردينا : « الأقصر - الشرف - طيب ! » وصفق القبطان بيديه لاحتضار المطار والدمكة وتشكلت دائرة على السطح السفلي - وأقسم الرجال جميعًا وشرعوا يسمون أهل الثمانين ، ومن ثم دخلنا إلى الأقصر دخول المائمين مع الموسيقي الصاخبة ، والشراميل الممثلين بالرياح ، والرايات الخالقة ، والأحصان التي تنوج فوق رؤوسنا -

وعندما مضينا قسما كانت أول المناظر التي شاهدناها من هذه القرية المشهورة هي قبة بوابة فرعونية أخرى، والنهاية الرقيقة لاحتد المسلات، وصف من الأعمدة الضخمة نصف المدعونة في التربة ، والمتنازل البيضاء التي يقيم فيها قناصل بريطانيا وأمريكا وبروسيا ، وفوق كل منزل على وشعاره ، ومنحدر من شاطئ رجل ، وخلفية من الحوائط الطينية وأبراج الحمام ، ومقصة من القوارب المحطة والدميكت المحلية بأسلوبه صاروحي تقف في مراسيها - وأنفس أوروبا وقفت لتحتيا مجموعة من الوضفين الصميين الذين كانوا يجلسون في ظل مدخل فوقه عقد - أما الفخفيات للتحفة التي كانت راقدة بالشرعها المطوبة مثل طيور البحر المألقة فقد جبت من نومها في نومة من النشاط المتقطع - وأنزلت الأعلام ، وأطلقت

المتدفق ، واستنفط الأضر كلها من قبله الطور • وقبل أن يفتتح
البحر • وصلت الدفعة باحتوا من هبتها الأضف • بما نألت
الذهبيات الأخرى كما حدث من قبل •



هو الأساطين الخاص بالكه حور محب

عن صورة في كتاب يروى به •

والآن بسمع نحو الشاطئ رحبام من الحمر والأولاد الذين
يسوقونها ، والشحادين ، والمرشدين • وتجار العاذيات ، بينما أخذ
الأعمال يصبحون طالبيين القيش • أما التجار فكانوا يعرضون قلائد من
العصاري المقدسة ، وكان الأولاد الذين يسوقون الحمر يهتفون بأسماء
حبرهم ويمتدحونها ، واعتبر الجميع أسا فريسم الماحة • وصاح
أحدهم • أهلا يا سيدي • هذا حمار أرنكي لكل الأغراض • حربي هذا
لحمار الأمريكى •

وصاح ولد آخر • موسى السريع • انه حمار جيد • حمار سريع •
انه أفضل حمار في الأضر •

وحاء ثالث وهو يجر بالحل حمارا محورا صميف الركبتين • اكر
عليه الدهر وشر • بينما هو حمار يائل الحصان الخشبي الذي تحف
عليه المشاف وذلك من حيث الصلاحية للركوب • وقال صاتحا :

• هذا هو حصار أمير ويلز - أنه حاصر من الدرجة الأولى - حصار
عظيم - سبقت الملكة - سيرة -

ولم يكن الحصار ولا الحصار ذات أهمية في نظري الآن مقارنة مع
الخطابات التي تأمل أن نجدها في انتظارنا على الشاطئ - وأسرعنا بها
القوارب ، ثم انطلقنا منها سرعياً ، واتجه نحواً القصصية البريطانية
بينما انطلق الحرس إلى شاطئ البرد - وعدنا منهما ونسأله
وسعدنا -

وفي نفس الوقت عرضنا أن نقضي في الأتصر أربعة وعشرين ساعة
فقط - وكان علينا أن نذهب إلى الكرنك بعد ظهر هذا اليوم الأول - وفي
صباح الغد نبر النبل إلى مدينة مايو وعبد الرسيم (١) ، ثم نساود
الإبحار بعد منتصف النهار يتقو استطاعنا - وعلى ذلك كنا تأمل أن
نحيط بفكرة عامة عن جيوغرافية طيبة وإن حصل منا انطبعا سطحي عن
الطراز البحري التي اتبعه الفراعة - أما لا نبدو أن تكون مجرد أطلالة
ولكنها ضرورية ، لأن طيبة مثل الفترة الوسطى المطيعة من تاريخ الفن
المصري - أن الطرز القديمة تعود إلى صعد النقطة ، وتفرع منها الطرز
البعيدة ، ولكل كلا الطرازي القديم والحديث يصعب إدراكهما بدونها -
وفي نفس الوقت فإن السباح الذي يقصودون الشلال الثاني يتصرفون
بحكمة عندما يتكروى كل شيء مثل الدراسة المصنفة لمدينة طيبة حتى
عودهم - أما في الوقت الحالي فيكفي عمل مسح سريع للجموعات الثلاث
من الأطلال - لأنها تقدم الوصلة الضرورية - ونساع السائح على فهم متباد
أدق وقيلة و (أبر سبل) ، واحتصار فهي تنجح للسائح أن يصح الأشياء
في عرضها الصحيح - ومع كل ذلك فإن هذه عملية عقلية يجب على كل
سائح أن يعرفها بنفسه -

ولا بد من القول بأن طيبة قد عرفت مثل بعض على كلا جانبي النهر
ولا بد أن حدودها الأصلية كانت شديدة الاتساع - ولكن متانها العامة
والمساحة الشحيحة - والألاب من المساكن الخاصة قد زالت ولم يبق منها
سوى القليل من الآثار - أما المدينة التي عاش فيها المواطنون العاديون

(١) ويتبع للبحث أن هذا السرح القهوي صدى طبق الأصل من مبرة سنون
التي نكرها استرلين - ومجرة أوسيلتجر التي وسعها ديودر القسبي - أما شاليتها
لأنه حسب ما عرفت من الأساطير الجيوغرافية التي تطلق عليها اسم « منزل ريسيس »
(الثاني) فقد أطلق عليه الاسم المنسوب وهو « حيد الرسيم » -

وأنشأ بيت من الترميد فيها قاعة على بعض التلال ذات القمة الضخيلة ،
 بينما انتسل الحاسب الذي يحتوى على الصروح الدينية على حصى مجوعدات
 صححه من الأطلال التي كانت مبه بالحجر الجيري . منها ثلاث مجموعات
 هي البر الغربي ، واشتلت في البر الشرقي ، مع بقايا العديد من المباد
 الصغيرة . وتشكيله صححه من الحفار . وحده هو كل ما بقي دليلاً على
 سطوها على النوام . أما الأقصر فهي قرية عميقة حديثة . متصل على
 أقدم هذه المجموعات الحسى ، وهي تقوم على البر الشرقي ملاصقة لسير
 وعلى بعد حوالى ميلين جنوب الكرنك . وعلى الضفة الشمالية تقع المقبرة
 والرمسيوم ومدينة هابو . ونظرة خاطفة إلى الخريطة تعنى عن سمات
 كائنه من الشرح لبيان العلاقة المسببة بين مواقع هذه الأطلال . أما مدية
 هابو فهي تقع في الجنوب البعيد بالنسبة لاي صرح قائم على الجانب
 المرقى للنهر . وقع مقابر طيبة العظيمة حلف هذه المجموعات الثلاث
 حيث منه وتسمع بطول طرف سلسلة الجبال اللبية . بينما نجد مقابر
 الملوك على البعد خلفها في الأودية الخائفة على الجانب الآخر من الجبال .
 وبلغ المسافة بين الكرنك والأقصر أقل من ميلين ، بينما تقدر المسافة بين
 مدينة هابو والقرية بحوالى أربعة أميال . ولدينا هنا بيان بالانحسار رغم أنه
 لا يعد من المدينة القديمة .

والأقصر قرية كبيرة يسكنها خليط من السكان الأبسط والعمد .
 الذين يمارسون تجارتهم المرفحة في الماديات ، ويشكل المجد هنا مركز
 نشاط القرية التي بني الجزء القديم منها داخل وحول الأطلال . ويواجه
 المحل الكبير للقرية اتجاه الشمال ويطل على الكرنك . ومازال الميراث
 للردفجان للصرح العظيم عظيمين رغم أنها متداعيان في مكانها ، وعمردان
 من الأطلال ، ومنحصر بالأنقاض . ويجلس مقابلها على كل جانب من
 البوابة الوسطى تمثال ضخم على رأسه تاج مهتر ، وبلا ملامح ، ومدفون
 حتى العنق . مثل اثنين من المتكبرين في الدائرة الخامسة الحزينة .
 ومرة أخرى تقوم مسلة منزلة أمامها على بعد عدة ياردات ، وهي أيضاً
 مدفونة إلى نصفها . والتشالان مصنوعات من الجرانيت الأسود .
 أما المسلة فهي من الجرانيت الأصفر لمصقولة بأسلوب ربيع ، ومطاة على
 كافة جوانبها الأربعة بنقوش هيروغليفية رائعة ، مصقولة في ثلاثة أعمدة
 رئيسة . وقد حوت هذه النقوش بدقة متناهية . ويبلغ عمقها داخل
 الصفيح الخارجيين من النقوش حوالى بوصتين ، وخمس بوصات في الصرد
 الأوسط . ويريد الارتفاع الحقيقي لهذه الكتلة الرائعة عن مستوى سطح
 يحفظ منها ما بين ثلاثين وأربعين قدماً تحت التربة التراكمية منذ عهد
 قرون .



أما المسلة الأخرى التي فقدت طبقتها الطبيعية والتي لا تتركها الشمس بسبب تعرضها للشمس المكتنفة تحت ظروف المناخ الخارجي فانها تعاني من الكآبة بسبب الأعمال الناتج عن الثورات والثورات المضادة النافذة التي تحدث في ميدان الكونكوردي - وينصب تثال ثالث ذو رأس صناعي من الحجر الجيري على حط واحد مع التمثالين الأسودين ، ولكنه يعتمد عليهما حوالي حبيبتهما إلى الغرب - ونسك في أن يكون هناك تثال مماثل له مختلفا بين الاكواخ التي تتجاوز منتصف المسافة عبر واجهة البرج الشرقي ، أما السطح الخارجي لهدبي البرج فهو مغطى كله بنقوش منحوتة ملونة للأكله والرجال والحيول والبريات الخيرية ومواكب النصر وعطارد الحرب - فالملك في مركته يتد قوسه الرجب ، أو يدع أعداءه مترحلا على قفصه ، أو يجلس على عرشه وهو يقتل الولد من رحمال الملأط - وهناك فرق عسكرية كاملة مسلحة بالرماح والتروس تسير في الاستعراض ، بينما يهرب الأعداء في فوضى - ويوجد الملك في مكانه وحوله حيلوا الماروح بينما يحرق الكهنة البخور امامه .

وهذا الملك هو رمسيس الثاني الذي أطلق عليه الكتاب القدماء اسم ميزوستريس ولوسياندياس والمروفي في التواريخ باسم رمسيس الأكبر - واسأذه والقابه الحقيقية الموجودة على الآثار هي - رع - أوسر - ماعت - ستية - ان - رع - رع - ميسو - مر - آمون (?) وهي رمس - رع القوى في الحق ، التي يبرهن عليه رع - ابن رع - محبوب رع .

أما مناظر الممارك المنقوشة هنا فهي المسلة التي قام بها ضد الحشم موضوع بردية مصرية الثالثة الشهيرة (٩) وقد سجلت للمركي على شرائط كل صيد بماه هنا الملك - ويظهر الملك منعزلا عن حشمه ، صرافا بالأعنة ولا يرأفقه سوى سائق عربته الخيرية ، وهي تميز أنه قد أثار على أعدائه سمه مرات، وقد قهرهم بسيف قوته وحشهم مثل القش تحت سهامه ، حصانه ، وبعده شملهم بعد واحدة كالآله - وقد كانت هناك خيمسائة وألفان من البريات الخيرية فاطاح بها ، وماله لقب معاربه فتمت جشمهم . أما هؤلاء الذين لم يدبهم بيده لكد طاردهم حتى حافة البحر دامت

(١) ترجمها إلى الفرنسية الرحوم الفيلسوف من روميه تحت عنوان ٩٥ ١٥٢٥٥
 ١٨٥٦ سنة ، وترجمها إلى الإيطالية مختار جاردون سنة ١٨٨٨ .
 وتكررت مرة ثانية بمعرفة البروفيسور لاشينجوتن سنة ١٨٧٤ انظر Records of the Past
 من الطبعة الأولى .
 (*) ينطق الاسم أوسر ماعت رع - ماعت ابن رع - ميسو - د - دوى كمون .

ايامهم لكي يتقوا حتمهم قفرا في الماء مثلما يقصر التمساح . وكان هذا هو الانتصار الذي احرزه رمسيس ، وهو التاريخ الذي كتبه المؤرخ المصري بتاتوزو .

وإذا جازنا جانباً المبالغة الأسطورية التي تظهرها هذه القصة فلا شك أنها سجل بعض الأعمال العسكرية التي أتحرها هذا الملك مع جيشه والذي يظهر لعمامة ، ولكنها ليست واضحة ، ويذكر النصوص الهيرغليفية المعونة على هذه اللوحات أن الأحداث المبينة قد حدثت في اليوم الخامس من شهر أبيب في السنة الخامسة من حكمه . ومن هذا نعرف أنها السنة الخامسة من حكمه المنفرد بمعنى أنها السنة الخامسة بعد موت أبيه سيتي الأول التي اشترك معه في الحكم عندما كان صغير السن . كان شاباً قوياً عندما جرت هذه الحركة الشهيرة التي حازها تحت حواظ قاض على نهر الأورنت . ونرى القوس البارزة أنه كان يصب من المديد من أبنائه الذي رغم أنهم كانوا صغار السن إلا أنهم ظهروا في عظامهم الحربية مسلحين بكمالياتهم الكاملة ومشركين في الحركة (١) .

أما التماثيل المقبوحة فهي تماثيل شخصية للملك الظاهر ، أما المسلة كطراز فآخر للتكريسات في مصر فهي تملن على الملا أن « سيد العالم » ، الشمس الحارسة للحققة ، المؤيد من رع ، قد بنى هذا الصرح تكريماً لأبيه آمون رع ، وقد نصب له هاتين المسلتين العظيمتين المحتورتين من الحجر في مواجهة بيت رمسيس في مدينة آمون .

وكانت هذه هي الغاية التي افترض بها رمسيس الأكبر المعبد الذي أقيم قبلة بحوالى خمسين ومائة عام بعد وفاة الملك المنحوب الثالث . وقد بنى أيضاً المعبد الذي أقيم فيه هذه الجوانب الضخمة . وقد ربطها بانجرم الأكدم من المتى بطريقة حكيمة جعلت النهر الأسفل الأول يتحول الآن إلى الجهد الثاني ، ويليه في الترتيب هو الأعنة ، وصالة الإجماع ، ثم قدام الأكدم . وبهذه أن انتهت الفترة الطويلة التي حكمها الملك رمسيس ، وشهد الملوك الآخرون الذين حكموا بعده ، بصماتهم على المعبد .

(١) حسب التفسير الكبير الموجود في شينوس ، الذي ترجمه ماسبيرو ، يبدو أن رمسيس الثاني كان ملكاً حاد ولائته كما لو أن عرش مصر قد دل إليه من أمه ، وإن أباه سبى الأول قد حكم نيابة عنه لثناؤه لطفوله بوصفه وصياً على العرش . ولينين يفسر التفسير أنه قد نظم البيعة قبل ولادته .

حيث يظهر في النقوش المتأخرة اسمه شملكا **Shalka** ، وبطلميوس فيلوباتور ، والاستكندرو الصغير ، بينما يوجد في الأجزاء الأقدم من المبني اسمه أمحتوب الرابع (حو - اب - آتوب) ، وجود مصب ، ومبني والد ومسس الأكبر . وبهذه الطريقة تطور المعبد المصري من عصر إلى عصر فأقام هذا الملك صما من الأعمدة . وأقام الآخر صرحا . حتى أصبح المعبد في الوقت المناسب ممرضا لطرز البناء التي تنسب إلى عهد حصور . ومنذ ذلك التاريخ غاب عهد الفرع في التخطيط الذي يمكن أن نسبها إلى بروتو الحياة المتعاقبين مثل أحد الملاحح المدينة في العمارة المصرية . وفي الوقت الحالي فإن صرح المعبد والقضاء اللذين أقامهما ومسس الثاني قد أقيما بمرآية قاموها حسن درجات من البناء والهيكل اللذين أقامهما أمحتوب الثالث . وقد حدث ذلك لكي يصير معبد الأقصر على حد واحد مع معبد الكرنك حتى يمكن الربط بينهما بواسطة طريق الكباش العظيم الذي تتناثر بقاياه فوق ضواط الطريق القديم .

وكما قلت منه قليل فإن بوابة الصرح نصف المظفونة ، وعنده المعبد المنعزلة ، وعنده الرؤوس العملاقة التي تبرز أمام صرح المعبد ، تبدو مرمجة كما لو كانت لسحرة في الموت ، عارلات كلها تحمل دلائل العطفة . ولكنها عظيمة نسبته عظيمة فاتحة باهرة لكسيفة لم يتبق منها إلا بقايا مشرعة . وتقع خلف هذا المنسل متاحة من الجوارى والممرات المسننة والفنونة والمنقطة . وأكواخ طينية ، وأبراج حمام طينية ، وأحواش طينية ، ومسجد بني من الطين . وجميعها متشابكة مثل أمحتوب الدبابير في داخل وحول الأطلال ، وكانت تحمل سقف الأكوخ المقبرة عواش منوش عليها الألقاب الملكية . وبرزت الأعمدة الضخمة من وسط السطائر التي يظهر داخلها الجبابوس والجمال والحير والكلاب والكتائنات البشرية ، ترمي مع بعضها في راحة رديئة . وكانت لنديروك تصبغ . والدجاجات توقوق ، والحصائم تهمل ، والدديوك الرومية تضيح ، والأطفال تسهر ، والنساء يضررن الأرفعة ويثرثن . وكانت كافة المرمجات المظفونة من دوتين الحياة العربية تجري بين الجوارى المنعرجة التي تغطي الأروقة وتسوه شكل نقوش الفرائعة . ولذلك كان من الصعب دائما أن نتبع تصميم هذا الحرم من المني . ولما كانت كافة أنواع الاتصالات مضطربة بين المقاعات ويهو الأعمدة . فقد كان عابيا أن ندور من الخارج وحلال باب في الطريقة البعيدة للمعبد . فالموصول إلى قديم الأقداس والجحرات الملامقة له . وقد استقط الإغراب بالفتاح بالإنشافة إلى نصن التسوع . وكان الظلام مستشرا هناك بينما ظل السقف سليما . وقد نسي على قسمة عزلة حديث ضخم معتمد الصمرات .

ولذلك فإن هذا الجزء من المبدع لو كان ضياء جريئاً مثل مجده دافعة وغيره
عن طريق فتحات في السقف مثلثة الشكل ، فانه حتى تلك الومضات
لباعثة من الضوء تكون قد استقبلت بسبب هذا المنزل .

وتمثل كل ما بقي تحت عطاء اسجار السقف الأصلي في المقصوره
التي أعيد بناؤها أثناء حكم الاسكندر ايجوس . وبعض الحجرات المأهولة
الصغيرة ، ويبدو ضخم ربما كان هو صالة الاجتماع . وقد أظهرت
بعض الأساطير صفه للدقوة والمهظة على الحساب التالي للنهر أن
هذا الطرف كان محاطا بصف من الأساطير في سالف الزمان . أما قسم
الأقداس وهو حجرة مستطيلة من الجرايت ذات سقف منفصل . فقد
كان قائما تحيط به قاعة أكبر مثل صندوق داخل صندوق ، وتغطيه
نقوش يابرة في الداخل والخارج . وصف النقوش (التي لاحظت بينها
شكل الملك راكميا وهو يقسم لأموه ربع مقابل شخص راكع) قد جرى
تنفيذها حسب الطراز المتوسط الذي انتشر في عصر البطالة ، بمعنى
أن الأشكال أكثر طبعية ولكنها أقل جودة بالنسبة لأعمالها من نقوش
العصر الفرعولي . كانت الأطراف مائلة ، والمفاصل ضخمة ، والملمع
غير مبرر . ولا يستطيع الإنسان أن يجد أثرا لمن رسم الأشخاص في
شكلها الطبيعي . لأن كل وجه يتخذ نفس الإيماءة الكريهة التي نفوسه
المعشوق البارد للملكة كليوباترة في مجده دافعة .

وفي البهو الكبير الذي أطلق عليه اسم قاعة الاجتماعات يعود
الإنسان إلى زمن مؤسسه . يوجد ما بين أمتعت الثالث والاسكندر
أيجوس فترة ومدة قدرها ١٢٠٠ سنة ، وبالطبع فإن طرود المباني عند كل
مهما يعيد عن الآخر تماما مثل اعتماد عصر كل منها على عصر الآخر .
ولا يمكن حتى للتبعية أن يخطئ . فينسب أيها إلى الآخر . ولا يوجد
شيء عادي أكثر من بواحد الأفعال التي تنتمي إلى عصر الفرعونية عينا
إلى جنب مع الأعمال التي تنتمي إلى عصر اليونانية في نفس المبدع الواحد .
ولذلك لا تعد في أي مكان آخر خصائص كل منها واضحة في تناقض
صاخر مثلما تجد في هذه الحجرات المظلمة بمعبد الأقصر ، ففي القروش
التي تحتل يهو لصحوب نجد المتطويع الفاصلة والأشكال البعثة والرفيعة
والرؤوس المحددة للشخصيات خلال فترة كانه فيها لكن لم يكنسب
أو يضح به معن ضغوط التأثيرات الأجنبية بل كان مصرياً خالصاً .
وبينما تنتمي الموضوعات أساساً إلى طفولة الملك إلا أنه من الصعب أن
نرى شيئا يوضح في ضوء الفسحة المربوطة في نهاية عصا لحيها .

وهنا حيث التقى سنبل البروز ، ومع ارتجاع الموانئ غاب عن المجال أن
يميز تفصيل اللوحات المرتفعة .

وقد اكتشفت أن الآلهة أمون والآلهة موت وإيهما خنسو ، ثل ملات
التخصيبات التي تكون منها ثالوث طيبة هم الآلهة التي تنصهر عند المناظر ،
وأيهم لحسن الحظ عبرون بطريقة ما عن تحتس الرابع والملكه روحته
وأيها أمحوتب الثالث . والواضح أن أمحوتب قد ولد تحت حياه
الآلهة موت الأم المقدسة ، وترى مع الآلهة التلب خنسو ، واستقيبه أمون
بوصفه الأخ المساوي لأمه المقدس . وأظن أنني لاحظت في هذه القاعة
مجموعة منفصلة من الكوش مثل أمون وموت في موقف زمرى ربما يمثل
الطوبى أو الزواج لأنهما يجلسان وجها لوجه وتمسك الآلهة بيدهما اليسرى
يد الآلهة اليسرى يقبلا قوسه الأيسر بدهما اليسرى . وفي نفس
الوقت ظهر فرق وإيهما عرضا . واستلمت أقدامهما على يدي أنتي
من الآلهة الحارسات . ومن الأمور ذات الدلالة أن سيد رئيس الثالث
مع إحدى زوجاته قد ظهر في نفس الموضع في هذه الموضوعات المتعددة
الشهرة المنقوشة على الطوائف العليا للمسي المقام في مدينة هابو

لقد ألقنا نظرة عابرة على هذا المعبد الثمير للاهتمام . إلا أننا لمنبنا
به وقتا أطول مما يحظى به معظم هؤلاء الذين ترسو مراكبهم لبعده أيام
عاما بعد عام ياتقرب من أعمدته الملكية . ولو أمكن لظل الناس يكافئوا إلى
نقطة ما بين حنف وأسبوت ، وهي المنطقة التي لا يوجد بها أطلال تظل على
النهر . فلا بد أنه الساتمي مميز وروبه بحساس شديد ، إذ أنه في موقعه
حنا ضائع الذكر بين عجائب الكرك والبر الغربي ، ولا ينال إلا الإهمال
الذي لا يمحطه . وتلك الأحرار من الميسر الأصلي التي طلت باقية ،
هي في المنطقة نسبة بشكل غريب لأن أمحوتب الثالث كان واحدا من
ملوك عصر الذين اشتهروا بالبناء ، وما نراه هنا هو عينة من المباني
القليلة التي لا تزال باقية من أعماله المساوية (١) .

(١) إن حراش سعيد الأكبر المقيم في علفه من التمول لأطال مدة كتابة هذا
لوصف المذكور عائلته ، وقد قام بالبروسور هاسبيرو حاكم للمابين الآخرين من حمله
الوطنية كخلاف للمرحوم ماريوت باشا . يعمل للتأجير لهذا الآثار الفرعونية المقيم شفا
عمل سلفه لميد أشهر الآثار الحديثة - وكانت المعجزة التي اكتشفت تلتقي هذا لعدم
المعظم تيمر شعبية أول دولة . لقد رفض للتلاوة في ليدانيا أو بيهوا منولهم
وطلب مسدداً إما مبلغ ثلاثة آلاف جنيه إسترليني لقره القصص التي تلى كل مدينا بين
أسالين حورسسي إلى ساحة النور . وكان من الصعب مناقشة شراء حتى عدم المسدد آدم .

ويقع البحر القبطي من الاقصر في شمال النهر الكبير مطويا للنهر .
 انه انقلب واوسع وطلق الهوام بالنسبة للحي الذي يضم به بقية سكان
 الاقصر وكل القنصل البروسي قبطيا ، وكذلك مدير مكتب البريد
 المهتمه ويعيش الاسقف القبطي في بيت مفروض نصفه مجاور للكنيسة
 والنصف الآخر فوقها ، أما مدير مكتب البريد (شارب غير وشيس يلمس
 بقلة أوربه صيغة أظهرت ذراعيه وساقيه من أطرافها القصيرة) فقد كان
 يمرض بجماعته سريعا . وقد تمهد بأن يرسل إلينا خطابات أثناء وجودنا
 في أسوان وكوروسكو وواحد حلقا حيث أمضت مكاتب البريد مناسره ،
 وقد وفي بوعده والترم بهذا بكل ثقة . وكان يضيف دائما ملحوظة بجانب
 غريبة على الظروف الجارسي يقول فيها : مع لطيف ستياثي . أو ه انسي
 لكم أخبارا طيبة ورحلة سعيدة ، وقد نقلت عيه من أسلوبه الأدبي متضمنه
 في الملحوظة التالية التي يبدو أنه كان يفكروا بها

« في الغداة الأول المميد ، وبعد طم كامل من المظلمت ربي للخلاص بالبحر مقابل فروط
 حاملة حيث سئل كل ماله ثمة لثلا مع قطعة ترص في مكان آخر لكي يبنى عليها منزلا
 جديدا ، وذلك أمكن السطاس من حوالى ثلثين عائلة بينما وضعت ثمانى أو عشر
 عائلات للبيع لئلا تن . وقد بدأت أعمال البناء في سنة ١٨٨٤ . وفي سنة ١٨٨٦
 تجمعت الممتلكات الكلية الواقعة للبحر مسار الممتلكات الأخرى وبم أحاطه المبد بكامله من
 الأشغال خلال تلك المزم . ولم يزل سوى السند الذى تركه فالحدا داخل حرم
 المعبد ، وكذلك منزل مصطفى أيضا على الجانب الشمالى للمواقع الذى روضه في أمراكب
 ونلا ذلك استقالا للبروليسور ماسيدور سنة ١٨٨٧ . ومن ذلك لشهد قام حلقه مسعود
 جريور M. Germain واستكمال العمل الذى نتج عنه ظهور محيد إلى معبد للقرية من
 حيث لفيفة التسميم وجمال التمشيق في ذلكم الذى كان زمعسا وقبرا وخير ظاهر
 بسبب الكرواح الكهنية والإموافى والأسطبلات والأرتة وأقوام السباد المنعير . والآن فله
 له جرى تنسيق أنارات التي يبره أحمدة المعبد . وارتفعت المولوى المنحوتة بطول ثمة
 ملسا الجبال التي ترتفع هنا خلفية فوق الهرم الذرى القليل . والآن تم الخوض بعض
 هذه الأساطير حتى مسنرى الإرسية الأساية ويبلغ ارتفاع هذه الأساطير ٥٧ قدما في
 الممثل . وفي الهرم الكبير الذى بناه ومسيو الثلى خلفت مسطحة المنطقة التي جرى
 الظهورها ٩٠ قدما طولا ، ١٧٠ قدما عرضا واكتشف مجموعة من التماثيل المنسقة
 للمعبدة المنسوبة من التبريت . الأصر للفرعون ومسيو الثلى . لكن أن نقل من
 مكانها الأصابر لأنها كانت جوية بين جوائش من الطير متصلة على سطح القرون (من
 يناير إلى بعد هذا المعبد غير المعروف من القرون ٢) داخل حرم من التمسك بالوقوع .
 وفي القوية كان مسطحا أما القنصل للبريطانى المجهز الذى يستغل المساحون الانجليز
 ينتفرون كرمه لفترة طويلة . له حلت بعد حوالى عام من ذلك الشاويح . كما أن المنزل
 الذى أتى إليه للتجديد من الزوار الانجليز والذين أصلاه فيه وفيرة ، تجرى الآن
 أعمال إزالته

(ملحوظة بالامر - امرنا كاتب البريد في مصر السفلى من لسيوط الى الخرطوم تلك التي تتبع البوطة المديونية المصرية للسلطة ، ان تدفع الآن للرسائل المرسلة في مصر السفلى ضعف ما يطلع عنها في مصر العليا ، ونسى ذلك ان الخطابات التي ترسل من هنا الى ابيد من اسبوط يدفع عنها قرشاً ، من كل عشرة جرامات من ورتها ، وكذلك تلك الرسائل المرسلة الى ما وراء الخرطوم - اما الخطابات المرسلة ما بينه اسبوط والخرطوم فيدفع عنها قرش واحد مقابل كل عشرة جرامات من الورق ويعني ذلك سره طوامع من البوطة ثم اصمها على الخطابات - وايضا اذا اراد شخص ما ان يرسل خطابات مسجلة فيجب ان يدفع قرشاً رافعة عن كل خطاب - وهناك بطاقات في مكاتب البريد باستلام الخطابات المرسلة الى بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا مثل الهند وفرنسا وإيطاليا والمانيا ومصر والقسطنطينية ... الخ - وكذلك ارسال الجرافيك ونحوها من الأشكال - الاقصر في اول يناير ١٨٧٤ المكشوف ، صفح ٢)

كان هذا الشاب عند الوداع يطلب بعض الأدوات الكتابية وراية - وكنا بالطبع نجد سرورا في اعدائه من عدم الهدايا التقديرية للتواضعة - وقد عرفنا فيما بعد انه كان يدرس نفس هذه الطريقة على كل ذبابة تسافر في النيل - وقد استنتجت انه حتى ذلك الوقت قد امتلك مجموعة مثيرة من أدوات المائدة المصنوعة -

وعند نقطة انتهاء خط المسكة الجديد كانت الرسائل المصرية والنبوية تحبل بمعرفة عدائين متمركزين على مسافات تبلغ كل منها اربعة اميال بطول الطريق - وكان كل عداء يجري الاميال الاربعة للظلمة وفي نهايتها يجد العداء التالي مستجدا لا يختلف حقيقته ثم الانصراف حالا بكل سرعته - وطرق العداء التالي بتسليمها الى الذي يليه بنفس الطريقة - ويعني هذا الاسلوب قليلا ونهايا بدون توقف حتى تصل الحقيبة الى اول محطة للمسكة الجديد - والفروض ان يتغير كل عداء مسافة الاميال الاربعة الخاصة به في مدة تصل ساعة وبذلك فان البريد الذي يخرج كل صباح من الاقصر يصل الى القاهرة في ستة ايام باعتبار ان القاهرة تبعد ٥٤٠ ميلا وان ٢٦٨ ميلا من هذه المسافة يتم قطعها عدوا على الاقدام - وبما ان القطارات تسير مرة واحدة كل يوم سنعتقد ان هذه السرعة المذكورة -

وبعد الظهر وكنا نسير ومضينا الى الكرنك - وكان طريقنا يمر خلال السوق السياحية التي كانت من اقتر الاسواق التي رايناها حتى

ذلك الحين . كانت تتكون من حظائر قليلة مفتوحة ، وفي واحد منها شاهدة
بين إحدى حلق الإقصر حصة من يحارثنا وهم يجلسون القرفصاء على
مصطبة مبنية من الطين . وفيه خلوا عائلهم مثل صف من اليوسفي
للمساقط من الشجر . وكان الحلاق قد انتهى لقوه من دهر يؤوسهم
الحصه برعاوى الصايور ، ورفع بطر الى تأثير ما عمله في اعجاب مثنا
يصصر الطباخ النار طبقا مصنوعا من البودنج بالكريمة . وقد ظهر
البودنج كما لو كان يشمر بالحيل عندنا صحتنا اننا عبورنا .

وبعد ذلك وصلا الى الساحة غير المنتهية الشكل التي تجتمع فيها
الفتيات الرافعات . وكانت تلك الفتيات اللاتي يرتدين الثياب المزركشة
باللون الاحمر الرمدي ، والوردي الفاتح ، والاصفر المذهب ، ويجلسن
القرفصاء خارج محال القاصص وهي حامرات الوجوه على اعصاب انتن
او ثلث من الخيوط الموحدة التي تسخضم لتقديم القهوة في السوق .
لقد كنت في عن أسناني وهي يصحكن في وجوها في آلة شديدة . وكانت
حواجبه مرسومة بحيث تلتقي فوق نصبة الأنف ، كما أن عيونهم قد
تخضبت بالكحل . وتلومت طودهن بالروح الاحمر بشكل مبالغ فيه .
أما شعرهن فكان مبقا وملسا يريت الشعر ومقوصا فوق جبهتهن .
ويجذولا في شكل دلايات عديدة . ولم ير من قبل فتيات يعمل منه
الغرابه . وكانت إحدى هؤلاء الحوريات سوداء اللون وظهرت فاققة الجبال
في لونها الأسود بالمقارنة الى المسابك والمساحيق التي تقسو وجوه
زميلاتها .

والآن تركنا القرية خلفنا وركنا الصعر عبر سهل واسع ، بعض
أجرائه فاحقة وجبلية ، بينما تنمو حشائش الحقل الجافة في بعض
أجزاء الأخرى . وقد تنافرت مجموعات الخيل ، هنا وهناك . وكان
نهر النيل يجري منخفضا وسدنا عن الاكطار مما جعل الوادي يبدو متبدا
في خط متصل بالجبال على كلا الجانبين - والأل انهم يسارا ثم صرغ
احد المقايض التي تملوه قبة صغيرة وتظله مجموعة من أشجار الطراد .
وبعد ذلك نضى مع حرس نرعة حافة ، ثم تسر بمطادة نلال غير واضحة
المالم تحدد موقع النلال لم تكتشف بعد . وتدخل الى طريق غير مستو
ولكنه مستقيم ويضمه بيلدة الى الكرنك . وعند كل ارتفاع في مستوى
الأرض كما ترى الحيوانات الضخمة ترتفع فوق مستوى أشجار النخيل .
ومرة واحدة لمت لحظات قليلة ، ظهرت في المنظر كتلة مختلطة ومتناثرة من
الاشلال الكثيفة التي يمتد كالملال مدينة كبيرة . ثم اتصل طريقنا الى

محدود وعلى معاطع بحواظ من الطير، وروايات من السجل القزمي .
وسرعان ما اتسع ذلك الأجنود حتى أصبح شارعاً كبيراً يمر منه على
الجانبين معالي من سائيل الكباش المسطحة ويقودنا الى بوابة صرح مرتفع
الى السماء .

وإذا قممت غابة صغيرة من أشجار الجوز والنجيل بجانب هذا الصرح
كما لو كانت قد رومت حيا عندنا ، وقد ظهر خلقها صرح المصد ذو البرجين،
وكانت الكباش ضخمة ويبلغ طول الواحد منها عشرة أقدام ، وكان
بعضها يحمل رأس كبش . أما الباقي ويبلغ عنده حوالي أربعين أو خمسين
فقد كان بطنه بنوع رأس ، وقد اشقى بطنه الآخر الى أجزاء متناثرة ،
بينما انقلب البطني . وتضوء البعض يظهر مثل الصخرة التي قلب بها
السبل . لقد كان هذا الطريق يصل ما بين مصفى الإقصر والكركاء
فى يوم ما ، ومع مرعاة المسألة (تلعب حوائط ملحق بها من أحد المبدئين
الى للبد الآخر) وأيضا مع حساب المسائل الصغيرة بين مواقع تماثيل
الكباش نجد أن عند هذه التماثيل يصل الى حوائط حسمالة ، أى أن
عندما كان يبلغ خمسين ومائتين على كل جانب من جانبي الطريق .
ويعد أن نرحلنا من الجوز لمدة دقائق دخلنا الى المصد . وطريقا مشدوهين
الى القناة الواسع وصف الأساطير ، واحتلنا النظرات الى بقى الممرات
الجانبية البحرية ، ثم وكنتنا الجوز . وذكرنا الكتب التى فى أيدينا أننا
قد شاهدنا المعبد الصغير الذى أقامه رئيس الثالث . وإذا كان موقعه
فى نقي مكان آخر يختلف الكركاء فلا بد وأنه كان سيظهر طسعا جدا .

والذكر البلى كما لو كنت فى حلم . ويعد أن تركنا المصد الصغير
نحولنا نحو النهر وسرنا صلايين طرف الحواظ الطينية للقرية ، واقتربا
من المصد الكبير فى طريق يقود الى معقله الرئيسى . وهذا مختلفا فوق
ما كان فى يوم ما طريقا آخر طويلا للتماثيل التى تحمل رؤوس الكباش
وهي تحتمل مرقعة الرؤوس على قواعد مرصعة تنطويها قوشر الأساطير
الهجوتليقية ، ويبدأ هذا الطريق من مرسى بجانب نهر النيل .

والآن فإن البرجين اللذين رأيناها أولا عند قنوصها بحرا فى الصباح،
يرتفعان أمامنا ، كاطلال هيمية تلعب فى ضوء الشمس ، وقد سطع عليها
الضوء المتلألئ، خلال أحماق السماء الرقراء ، وكان أحدهما سليا تقريبا
بينما كان الآخر مضيقا كما لو كانت قد أصابته حزة وزوال . ولكنهما
كأنهما مرتفعين بحيث أنه لو تصالح أحدهما وتعلق فى منتصف المسافة ما بين

أمة أجدنا إلى لغة الأحر ، فإنه وهو على هذا الارتفاع كان سيظهر في
حجم لا يزيد على حجم المستطيل .

وترجعنا ثانية على عتبه بوابة المخرج المنحنية ، وكانت التلال غير
المستوية الشكل التي تكومت من الطوب الأحمر ، تبين حدود الحائط
القديم للدائرة ، والذي كان يسه على كلا الجانبين ، واتسع أمامنا منطوق
صخر من الأساطير والمزج بقود إلى مسلة مميته ، وسلماء فاذا بالمواظب
العالية ترتفع موي وروسا كالصخور ، ودخلنا إلى البهو الأول ، وهنا
في وسط مربع مفتوح إلى السماء يتصطب أسطون محزل . هو الأخير في
درب مكوّن من اثني عشر أسطونا تمكك بمصها لمعل البهرة ، فتبعت
على الأرض حيث وقفت مثل الهياكل المظلمة لوحوش من المفترقات قدس
بها الفضايل على السلي .

وبعد أن عبرنا هذا البهو في صوم الشمس اللامع ، أتينا إلى عسلو
صخر بهي بوابتي أخريين . وكان المسفل غنيا ومغطى بلوحش باردة ،
أما البوابتان فقد كانتا مجرد شلالين من الكتل المتساقطة التي تكومت إلى
السبح واليسار في عوصي كبيرة . وقد رآه الفرير المسفل ، ولم يبق
الا شطبة باردة من الحجر الذي تكومت منه المارسة الألفية فوق المسفل .
وكان يبلغ طول هذا الحجر عندما كان كاملا أربعة أقدام وثمان موصات .
ولايه أن ارتفاع المسفل كان يبلغ حافة قسم .

وتقسما بعد أن تركنا إلى اليسار تماثيل عملاقة مشوهة ، نغتنى
على ذراع وصغر كل منها حروطوش الملك رمسيس الثاني ، وعبرنا الظل
الذي على المنصة ووصلنا إلى القاعة السلالية الشهيرة التي بناها الملك
سميتي الأول .

لقد كتب الكثير عن هذه القاعة كما نشرت عنها حود كثيرة ، ولكن
لا نستطيع أية كتابات أو فروع أن تعطي اليك أكثر من انطباع قزمي شديد
المنحوب . وهي الصعب وصفها بالكلمات لجرد تقديم صورة واضحة
عنها ، إن مساحتها كبيرة ، وناوذا عظيمة ، وتكثر في الإنسان احساسه
بالمنية التي تصبغ من النطق ، ومصر الشمس ، والقدوس بمشكل كامل
وساق .

إنه مكان مقدس إلى الصمت وينبذك ليس فقط عن الكلام بل أيضا
عن التفكير . وليس هذا فقط جر الانطباع الأول ، فإنه فيما بعد ونخلد

عس انهم ء ء فى الهر فى رحلة العودة ، ورسوبنا بحوار المكان وقصصنا
 ايما طويته بين الاطلال ، وحلت اسي لم اقل كلمة واحدة في الندوة
 الكبرى ، كان افراد آخرون يفسون محط هذه الاساطين بصحة
 وكان آخرون يتسلقون هنا وهناك ، وينكسرون وجهات النظر ، ويحترون
 دقة قياسات وينكسون وهاريت ، أما أنا فقد استطعت ان انظر بعط
 وأظن صاعته ، والنظر المجرد يمثل شيئا اذا جمع الانسان في التذكر ،
 وبعد صوب القاعة الكبرى بالكرك في ركن مظلم من عفى طابا اسي
 أملاك ساكرة ، لقد اغلقت عيني ونظرت اليها كما لو كنت هناك ،
 لس مرة واحدة كما يحدث أثناء النظر الى الصورة ولكن بالدرج مثلا
 ملاحظ العنان الاشياء المعطية وتعمل خلال نطاق بصري مسح - وقع
 مرة اخرى بين هذه الاساطين الضحية التي تظهر خلال الدروب من اى
 زاوية تنظر اليها .



بؤ الاساطين بالكرك

اسمى احدى هذه الاساطير ملفوفة في ظلال غامرة وحرم عرضه من الضوء ، انتهى اراما منقوشه وملونة باشكل الالهة والموتى مع شعارات الاسماء الملكية ، ومدايح تقديم الترابي ، واشكال الحيوانات المقدسة ، ورموز الحكمة والحقيقة . ان محيط هذه الاساطير ضخم ، وعندما اتى عند قاعدة واحد منها - او ما يبدو انه القاعدة - لان رصيف الارضيه الاصلية مدون تحت الارض يتصل بمحيطه اقلاما ، ان الاحاطة بالاساطير الواحدة تحتاج الى ستة رجال يصعدون حوله بأدعهم مستندة وقد تلامست لطراف اصابع دراعى كل منهم بالطراف اصابع ذراعى الآخر ، ان الاساطير الواحد يلقى بظل عرضه اثنى عشر قدما ، ومثل هذا الطل لا يلقى الا برج كبير . اما قمة الاساطير التى ترتفع فوق رؤوسنا لتظهر كما لو كانت قد وضعت هناك لتحصل السماء ، وقد سحت على شكل رصيف الدوتس للفتحة ، وهى تسع بالوان ابدية - اللون ماوالت رابعة بالرغم من انها تقع تحت ملامسه ايد ملونة بالتراب على مدى اكثر من ثلاثة آلاف عام ، ان الاساطير لا يحتاج الى ستة رجال بل اسمى عشر رجلا للحدود حول هذه القبة الدائرية لهذه الزهرة الهائلة .

وتنبأه الاثنا عشر اسطونا الوسطى في هذا الجسم الضخم ، اما بقية الاساطير (وعددها اثنان وعشرون ومائة) فهى ضحلة كذلك ولكنها اصغر ، ولم يبق في السطح الذى كانت تحمله الا المزارع التى هى عبارة عن احجار منحوتة من كتل صخرية كبيرة (١) ، ومنقوشة وملونة تكوم مقام القنطرة في الفراغ الواقع ما بين كل اسطون والاسطون الذى يليه ، وتفرش التربة السميكة بخطوط من الطلال .

وبالنظر الى اعلى واسفل النوب الاوسط ترى في احد الطرفين مسلة تحسه الذهب ، وترى في الطرف الآخر نخلة عثمركة في مواجهة

(١) لم يذكر حجم هذه الاحجار في اى كتاب من كتبنا . وقد قحت بقياس طول احد الاساطير مع التفتد في الاعتبار اختلاف ٢٠ قدما عنه كل طرف تمثل المسافة الدورية للورسل الى مركز كل من الاسطيرين اللذين يصلان الجص . وقد وجد ان للكتلة المنقوشة ايد وان يبلغ طولها ٢٥ قدما . اما قياس الشبر الكبير فهى ١٧ قدما الطول . ٢٢٧ قدما للعرض . وحتى يتضح ١٢٣ اسطونا . ترتفع الاساطير اثنا عشر الوسكى منها بمقدار ١٢ قدما (حوالى ٧ قدما بعد اضمالة للكتلة المربعة والطبقة المحيطة النبطية التى تسو قبة الاسطون) . يبلغ مساحه ٧٤ كلفا و ٦٠ برصلى . اما الاساطير الخمير فى طول الواحد كلفا يبلغ ١٢ قدما - = برصلى ومحيه ٧٨ قدما - وجميع الاساطير قد ملئت في الارض على عمق يسيل الى ستة او سبعة اقدام في كروست . لطيفه التى تشكلت من البضائات التى سقطت خلال فترة تتراوح ما بين ثلاثة الى خمسة الاف عام .

حلقية عبارة عن حبل أحمر اللون - أما عن السبي والبسار فتظهر من خلال صفوف طويلة من الأساطين ، لوحة من هوش مازودة ضخمة تتخذ شكل صفوف على الفواصل غير المستقيمة التي تنوع في كل اتجاه ، وكما هي المادة فقد كان الملك ظاهرا في كل مجموعة وهو يقدم فصوص العبادة المتداولة يبدأ بمتقلبه الآلهة وتداوله - وكانت هذه الأسلاك الذهبية الرقيقة التي يظهر تصفها في الضوء والنصف الأحمر في الظل - تبرز بشكل واضح وبدون لون ، ويبلغ ارتفاع كل شكل منها حوالي نسبة عثر أو عشرين قدما ، وبالتكاد تظهر أكثر لمراة عندما كان السقف الضخم في حركات مع وجود ضوء الشمس الخافت .

ولكن من الصعب ان نتعمق وجود سقف فوقها لأنه يقتضي الاتساع الذي يفتتح نحو السماء . انها تقوم جميعا في موضعها المناسب ، ويشعر الانسان الى حد ما بأنه لم يكن من الضروري وجود شيء يحصل بين مثل هذه الأساطين والإساق الزرقاء اللانهائية لاسمها .

وكان الطريق السليم مضى بها فيه الكفاية بعمل صف مزدوج من النوافذ التي في الجزء العلوي من الملائق الذي يبرز من السقف وما رآه بعضها باقيا حتى الآن . وقد افترض بعض المدارس انها ربما كانت لإحاجية . ولكن هذا غير محتمل لسببين الأول هو ان واحدا أو اثنين من راوبر هذه النوافذ الضخمة مازال ينظمى المصرية البحرية الصلبة التي تغطيها والتي يبدو في الوقت الحالي انها قامت حزام المادة نصف الضخامة . والثاني هو عدم وجود دليل يبين ان المصريين القدماء قد صنعوا الزجاج الزجاج أو انهم استخدموه في مبانيهم بهذه الطريقة رغم أنهم عرفوا استخدام أنابيب النسخ لصناعة الزجاج منذ أيام خوافو .

فكش كتبت العبارة القائلة بأن البهو الكبير في الكرنك هو اعظم الأعمال المعمارية التي صممت وبنيت بأيدي الانسان ؟ فكيف أمكن تكرار هذه العبارة ؟ يقول لسا أحد المؤلفين لأن صياغته تنطج أروحة انضمام المنطقة التي تقوم معها كاتدرائية نوردام في ماريس . ربما يفارنها مؤلف آخر بكنائس القديس بطرس في روما . وييسا يتدفقت الجميع عن عدم قدرتهم على وصفه إلا أنهم حاولوا تقديم هذا الوصف . وذلك لكي يظلوا صورية علومه في لم يصاحبه . ولكن ذلك مستحيل كما سبق أن قلت ، ولو كان يشبه هذا المكان أو ذلك لا صحت علينا مهمة وصفه ، ولكن الحقيقة أنه لا يوجد مبنى في هذا العالم الواسع نستطيع ان نقارنه به ،

فالأهرام أكثر عظمة ، أما مسرح الكولوزيوم (في روما) فيغطي مساحة أكبر ، أما معبد البارثينون (في أثينا) فأكبر جمالا ، ولكن بهو الأعمدة يتفوق عليها جميعا من حيث عظمة الفكرة ، وضخامة النماثيل ، وجلال التنظيم الرفيع . إن هذا المداخل وهذه الأعمدة هي كلها من عجائب الدنيا . كيف تم رفع هذه السلاسل الحجرية الأضخمة ؟ وكيف تم نصب هذه الأعمدة ؟ يقول مشاهد حديث العهد بهد أن دخل بين هذه الأعمدة الجسرة : « ستعجب بأنك قد انكسرت حتى أصبحت في مثل حجم وعجز الدبابة » ولكنني أظن أنك ستعجب بأكثر من ذلك ، أنك ستعجب عندما تفكر في الرجال الأقوياء الذين صمموها وسقول أنفسهم : « لقد كان هناك عمالكة حقيقيون في تلك الأيام » .

وربما لحس السائح الذي يجد نفسه لأول مرة كما لو كان في وسط غابة من لشجار المطاط الضخمة اللحم والارتضاع *Willingtonia Gigantica* نفس الاحساس الساقط بالرحبة والفراية ، ولكن الأشجار الطحينة بالرغم من أنها اجتاحت إلى ثلاثة آلاف عام لكي تنمو وتصل إلى هذا الحجم ، إلا أنها تفتله الآثار والتموض الطير يحققهما العمل الإنساني ، أنها لا تضرب بسنورها في أعناق ستة آلاف عام من التاريخ . وكذلك لم ترتو بهما ودموع الملايين (٦) الذي لم تعرف حياتهم أصواتا تنقل في حرمها الموسيقي عن غناء الطيور ، أو عويل الرياح الليلية وهي تكس من قصص كالجيرا (٣) ولكن يبدو أن كل نفس ينطلق خلال أجندة الكرماك الملونة ، يرجع صفاء حاملا تنهدات هؤلاء الذين تصوروا مجدهم في المعجر ، وعوق المجاديف : وقعت عجالات مركبة المازي .

وبالرغم من أن البهو السفلي بهاء مبنى الأول والد رئيس المين الثاني إلا أن بعض علماء المصريات يفترضون أنه قد صمم أنه لم يكن قد بدأ تنفيذه - في عهد أمنموتب الثالث الذي أسس معبد الإكصر وإقام التماثيل الضخمة التي في السهل - ويحتمل أن تكون هذه الحرايطض المنسوجة بوفرة على الأسطون والامطار النخسي الذي يحيط بالباب ، لا تنقسم سوى أسماء مينتي ، التي لا تشك في أنه قام بتنفذ العمل كله ، وأسمه رئيس المين الذي أكمله .

(٦) لقد حسب المخطاط أن كل حجر في هذه للمابد الفرعونية للخدمة يساوي على الأقل حياة إنسان .
(٧) فتح جنوب استراليا للشمالية - (المتجه) .

والآن ، أليس عجيباً أن تعرف اسم وتاريخ المهتمس الذي اشرف
 على بناء هذا الهيكل الضخم ، وصمم المدخل الضخم الذي يستعمل
 للدخول اليه ، والبوابتين العظيمتين اللتين تقفان على كلا الجانبين ؟
 اليس من البذر أن ننظر الى صورتته ونعرف في صفت من الرجال كان
 يستحق ابنه ؟ حسناً - لانه القاعة المصرية في متحف ميونخ تتميز مثالا
 وجد في طيبة منذ حوالي مئتين عاماً يمثل ذلك الرجل وقد نقش اسمه
 عليه . كان اسمه : ناك - ان - حونسو (خادم حونسو) انه يجلس
 على الأرض في حالة تأمل وقد أطلق عينيه وفرونتى رداءه ، وقد ظهر من
 التفوق على ظهر التمثال انه رجل يتميز بمقدرة غير عادية ، وتسجيل عمله
 المنقوش خطوطاً خطوة ، ترفيقته الى أعلى درجات السلطة ، لقد حصل على
 منصب رئيس الكهنة والسبب الأول لذلك آموه خلال حكم سيتي الأول ،
 وأصبح كبير المهتمسين لمدة طيلة خلال حكم رمسيس الثاني ، وبالنسبة
 تلو أيضاً ملكياً بالاشراف على زخرفة المعابد ، وعلمنا انهم وصيبي الثاني
 انما لابنه المقدس آموه وع تم تنفيذ به هذا الأمر تحت اشراف ناك -
 ان - حونسو - ويظهر النقش هنا كما ترجمه سيمو ديفيريا فيقول انه
 « انما الصرح المقدس في البوابة العليا في دار آموه (١) وأقام مصلات
 في الجرانيت وعمل صواري ذهبية للأعلام ، وأضاف صفوفاً من
 الأساطين الباقية المفضضة » .

ويبقى سيمو ديفيريا في عهد القرية قد يكون هو المقصود هنا - ولكن
 يجوز الاعتراض على ذلك بأن عهد القرية يقع في الجزء السفلي وليس
 اتسوى من طيبة ، وأنه لا توجد في عهد القرية صفوف من الأساطين
 المفضضة أو مصلات ، والأكثر من ذلك هو أنه لم يبق غير معروف لدينا
 حالياً يبدو أنه قائمة المصلات قد أصبحت كلها في البر الترقى لنهر
 النيل ، وس يمكن ألا تكون الأعمال التي سردت هنا قد بلغت أقصى
 العهد وحدها - انما الصرح المقدس في البوابة الشمالية لم يكن آموه
 لابد وان يكون هو معبد الأقصر الذي رمنه رمسيس بالمصليات الموهبتين
 اللتين تسميان اليه في طيبة ، والصرح الذي اقله لابي المقدس آموه
 (من الواضح انه بناء جديد) من المحتمل أن يكون شيئاً آخر غير

(١) بر آمون أو يا آمون هو أحد الأسماء القديمة لقبيلة طيبة التي كانت من المدينة
 القديمة القديمة لذلك آمون . وقد نسب البعض كذلك كلمة أيت أو أوت أو أوتير الى
 أصل هذا الذي يسمى دار في مسكن وهو اسم آخر لادينة طيبة ولكن من المحتمل أن
 يكون أكثر الأسماء القديمة المستخدمة في بواب حلالا .

الرمسيوم ، بسا ، صغوف الأساطين البائلة الفضضة ، التي ذكرت
يوسفها اضافات ، يبدو كما لو أنها تخص قسط المهر السهل في الكرنك
وهذا السؤال في جميع الحالات على الأثر - ويسعدنا الاعتقاد بأننا
لا نجد في تماثيل صعب مبرج صخرة لشخص لعب دور ما بكل
اتجار في الكرنك خلال فترة مصرت ووطحت في طي السيان ، ولكنه كان
أيضا مسم *Isidore* الرميميوم ، لأن الرميميوم هو يارثيون طية .

عندما انبثا في الرحلة في الأطلال الرئيسية ، كانت الشمس تمل
الى الغروب والأطلال تنهد فركنا حبرنا وانجينا نحو الأقصر - أما وصف
ما رأينا بعد مغادرة البهو الكبير فلا بد وأنه سيستغرق فصلا كاملا في
الكتاب . إن اللات الفضة المصنوعة من الحراست اللامع ، التي أقيم
بعضها ، بينما تهشم بعضها الآخر ، والنقوش الضخمة على الحوائط
المثبوسة التي غطتها موضوعات الحركة المحلية ، والمواكب القنسية ،
والتمسجل النحسلي لأعمال الملوك ، والإنيبة المحلية المحاطة بصغوف
في التماثيل التي بدون رؤوس ، والهيكول التي تكامله بالحراست اللامع ،
والنقوش المطورة مثل الخوخة ، ويهو الأساطين الثاني الذي يعود
تاريخه الى الأيام الأولى للملك تحوتس الثالث ، والمتاحات المكونة من
الحجرات التي بدون سقف ، والتماثيل المنصوبة ، والبوابات الملهمة ،
والأساطين الساقتة ، والقواعد الضخمة ، والنقوش الهرموية التي ليس
لها نهاية ، التي حيلقا فيها ، ومروبا بها ، قد تلفتها عجائب حديثة .
ولا اجسر على تلخيص الطد الكبير من المبادئ الصغيرة التي شاهدها
خلال مسار هذا المسح السريع . وفي أحد الأماكن رأينا منطقة متبوعة
من حشائش الحفاء الجافة ، التي يجثو في وسطها مجموعة منسوبة
ومتنوعة ومهورة من تماثيل الكباش الحراستية الخضراء ، وتماثيل
برؤوس لؤلؤة ، وفي مكان آخر رأينا تماثلا لصغر عظيم واقعا على
قاعدته في وسط محيط من الخرائب . وقد مرونا بالتريد من طرف
الكمباش ، والتريد من البوابات ، والتريد من التماثيل لئلا أن يعودنا الطريق
الذي اتخذناه في العودة للموردين حول ذلك الذي أتيانا منه . وفي ذلك
الوقت وصلنا الى صريح التمش عند حلول الضيق ، وركبا حبرما عبر
السهل في صمت وارتياح . ألم أكل لأن ذلك كل شيء يشبه الحلم ؟

الفصل التاسع

من طيبة الى اسوان

نلا غروب شمس عصر الصاعية ليل ملء بالأعاصير . وقد بدأ هبوب الرياح حوالى المساعة العاشرة . وعند منتصف الليل تحول النهر الى أمواج عاتية ، وأخذت دهبينا تتربع فى مرساها جبل سمينة فى البحر ، وأحدثت الرمال بهبه من الصحراء اللبية فى سمحات غاضبية ، وكجمل فى بواذ قمرها مثل الواابل . وكنا فى كل لحظة مصطلم اما بالضفة أو بالمغرب . ولحمرا وقيل الفجر بقليل . انهارت قطعة صخرة من الضفة . واصفرت صونا كالرعه وهي للدفع كالانتيار التلصق موى سطح النخبة . وحيدناك ابرجج الرئيس حسى من اجل سلامة المركب وجذبنا الى ركن صغير ضخمى من الرياح على ارتفاع عدة مئات من الياردات . وعلى المنبوم فاننا بعد اللجوء الى هذا الركن عتسا ليلة نعيش بالتشاط لم صناديق مثلها هذه رحيلنا عن بلهى سويك .

ولى صباح اليوم التالى كله المنظر ككليا ، فالنهر يرتفع أمواجه مرنة ، وتجمعت القوارب مما أسفل التشاطى . واحسنت الصفة الغربية داخل سحب من الرمال ، وأصبح السير مستحيلا لأن الرياح كانت منصبة علينا ولم يكن الحصى الى أى مكان على الأرض موضع سؤال . وكان صمد الكرك يظهر شخصنا من خلال الماصفة الرملية ولكن الاتمان يفتاق الى شرفة القواصى لحاية الميلين والأذنين من المسار .

وعند الظهر هذا غصب الرياح بحيث استسلمنا عبور النهر وركوب البحر الى مدينة هابو والرصبيوم ، وقد حققنا لحمة عابره بحر هذه الاطلال البهية ، ولكنى لم اتحدث عنها الآن . فقد نمرعنا اليها بشكل أفضل فيما بعد فاصبح مجرد الاطباع الأول لا يستحق التسجيل .

وفى اليوم التالى ساعدنا القسم المتحاب رغم وقته ، على الحصى حتى ارممت . وهى مدينة جرموتيس Hermonthis (ارممت) المظلمية ،

وأنتى كانت يوما ما مقر حبيب كبير . وهى الآن مقر مصنع كبير للسكر .
ورسوها هنا لقضاء الليل . وبعد العشاء وصلتنا زيارة رسمية من البنك
- وهو رجل طويل وسيف حاد الملامح لأمع العينين ، يرتدى الملابس
الأفريقية - وهى الواضح أنه كان وحيدا وحسن التربية - وقد جاء بصحبة
سكرتيره القواس وحامل غليومه ، وعرفنا الآن أن يك أُرست هو شخصية
مرموقة فى عهد الأنسة . انه حاكم المدينة وهو أيضا المشرف على مصنع
السكر . كما أن له منطقة عسكرية ، وكان قصره وحلته فى موضع
قريب ، وكذلك كان يختص الخاص فى مرصاه على النهر ، وهو تركم
الأصل مثل كل كبار الموظفين فى مصر - ثمة السكرير الذى كان هو الأح
الأعشر لذلك فقد ارتدى رداء خارجيا يعطى آكام دا لوى بى . فوق
جلدب أبيض طويل ، وترك شيشيه عند باب الصالون . وجلس طول
الوقت طائرا أصابع قسيه الى أسفل ، فظهرت قفله داخل الجيوب مثل
قيستى مصبومتين ، وقد ارتدى كل من الرجلين طربوشا وحمل عصا
الريادة ، وبالنسبة فان عصا الريادة تلعب دورا بارزا فى الحياة المصرية
المدينة . ويبلغ طولها قلما ونصف القدم وقد وسع لى كل من طرفيها
ميسم من الذهب أو الفضة . وهى المقروضة أنها تصيف لحملها آخر
لمسات الفخالة .

وقد أسعدنا صيوفا بتقديم القهوة والليمونة . كما تجاذبت معهم
أطراف الحديث بقدر استطاعتنا . وقص علينا البك الذى لم يكن يحدث
إلا التركية والمربية ، قصة شيقة عن أسفالى السكر ، وأرسل حامل
غليومه لاحضار حزمة من أهوات القمص وبعض عيقات من السكر الخام ،
والمنبور ، وذكر أن لديه صلاحة عمال انجليزى وعدد من العمال الامجليز ،
وأنه حديد الإعجاب والتقدير بالانجليز كنسب عظيم . أما عن عدم اهتمام
العرب بامتلاكات عن الآثار ذاك اجاباته لم تكن شافية - لقد احتجى كل
أثر للميد الكبير عند زمن طويل . بيتا بقى من الميد الكبير عند كليل
من الأساطير وجو- من الحوايط . وصا يقمان حلب المدينة على مسافة
بعيدة من النهر ، ولم يكن هناك ما يسحق للمشاهدة الا القليل منها .
وهى كلها صغيرة وودينة ولا تستحق مشقة الحديث عنها - أما من القطع
الأثرية ففى الناحية الشرق عليها ، وإذا عثر على شيء منها فانه شئيل
القيمة .

وقد مرر علينا المصل الذى كان يرتديه بوصفه عصا لأحد الخواتم
فأعجبنا به - وأحيرا حء الدور على السيف الصغيرة لفصه وأعادته الى
صاحبه . ولكنه رفض استعادته مع أسنانه وإباضة تصير الى عدم الرغبة

ثم ذلك . لقد كان المائم مجرد لعبة لا تساوى شيئا ، ولكن السيدة لجبرت على قبوله رغم أنها لم تكن راضية في ذلك ، إذ الأساغ يعنى التمدد ، ولكن الطريقة انتمى حدث بها هذا القبول هي التي أعطت البهجة لهذا الحدث الصغير ، لأن ما تضمنه من الكياسة ، والاستجابة ، والجماله وعدم المبالاة ، كانت كلها جذيرة بالاعتباط . كان ماكريدى لى افضل أيامه قادرا على اذائها بشكل رفيع . ولكن حتى هو لم يكن من المحتمل ان يسهو عن التحفظ الشرقي الذي تثير به وجيه لرمته .

ودعانا بعد ذلك لزيارة مصنع المنكر (ايبا ذلك لأن الوقت كان متأخرا) فرحل في الحال . وبعد ذلك بعثر دقائق وصلتنا مجموعة كاملة من الهدايا بسبها ثلاث باقات كبيرة من الورد اللمسات ، واثلاث من الجمارين وتمثال جندي سمى من الجوسلين الأسير المائز ، وديك رومى من . أما من جهتنا فقد أرسلنا في المقابل عديدا انجبرية ومعها مجموعة من الاتصال ، وعلت خوافير من الرئيس الانجليزية .

وفي صباح اليوم التالي حبت الرياح مع اشراقة الشمس ، وبعد تناول الافطار رحلنا عن ارمست الى ما بعدها . ولد جنمنا الرياح الطيبة طوال هذا اليوم ، كما أن النهر كان عرجما بغوارب البضائع ، وصمت لينة بكامل سرعتها ، كما احتفظت السفينة الصغيرة باجستور سرعتها . أما المسطاط وهي ذهبية انجليزية مصنوعة من الحديد ومرحجة بالسائلين الاجليز ، فقد صاحبتنا طوال فترة بعد الظهر . وكنا جميعا متجهين نحو اسما وهي مدينة تجارية كبيرة تقع على مسافة ستة وعشرين ميلا جنوب ارمست ، وصا في اسما كان من اللازم ان يقوم الرجال مرة أخرى باعداد الحبز ، وظهر شوق الرئيس حسى التشديد للثبول أولا وتديبر الثبر ، وشراء المظيق قبل حلول المسق . وكان رئيس المسطاط ورئيس الباجستولز من مثل شوقه ولنفسى الأسباب - وفي بعض الموقت كان وجائنا شهيدى الانفصال وهم يرتبون تحركات الغوارب الأسرى . وقد تعلقوا بحبل الفراخ مثل جماعة من النحل ، مع طاعة الأوامر يتسلط في مألوف ، وبعثنا اقربنا عن الهدف تزايدت حرارة السباق ، وأصبح تقوى كل سفينة هو الهدف وتنامى الجميع مسالة الحبز مع هذا السباق ، وأخيرا وصلت اللحيات الثلاث في وقت واحد ، ورمست بجانب بعضها امام صلب من القاصى السفينة خارج المدينة .

وتقع اسنا (واسمها المصرى القديم سسى واللاتى لاتوبوليس Lamtopoliz) فوق تلال المدينة القديمة . وهي مدينة كبيرة تشبه المنيا

من حيث المساحة ، وهي أيضاً عاصمه وحده اداوية مثلها - وصا اعد
التراجحة اعدادات الجير ، والفحم السائي والنفط والمعادن الحيه اللازمه
للرحلة الى النوبة ، واحد الببحارة يعجزون حيرهم لنمره الأميرة قبل
عودتهم الى مصر ، ذلك لأن الطعام يادر في النوبة ، والأسماك مرتفعة
بالاضافة الى عدم وجود افران عسومية .

وقد وصلنا الى اصبا حوالي الساعة الخامسة في يوم اسفاد السوق ،
ولم يكن السوق قد افضت بعد ، ولما مضينا خلال متاعه الحواري الطيبيه
وبينها النحالية من الواعد ، حيث جثم كبار الس يصبون ، تحت كل
خبر من الحائط الظليل ، ويسا تجمع الأطفال مثل الذباب ، كانت صيعة
القتيشي تثر متوالية في آذاننا ، ثم اتينا في فضاء واسع في الجره الطوي
من المدينة ، وسرعان ما وجدنا أنفسنا في وسط السوق، وصا رأينا عامة
العلاطين يبيعون المنتجات الزراعية ، واصحاب الأكشاك يربصون
الاضطاد ، والمرايا ، والمباديل المطبوعه بالوليد صاخرة ، والأساور
الرحيصة المصنوعة من العظام والرحاج الملون وكانت الجمال يركد
مسنريضة ويرمى نحو كل عابر ، بالاضافه الى الصبح الصبورة ، والكلاب
الصالة ، والنساء المحجبات والرجال الذين يرتدون الوردية الرقده
والسوداء ، وكافة الماهر والأصوات المتناثرة في السوق المحلية . وصا
أيضا وجدنا الرئيس حسني يساوم على شراء الدقيق وتلحمي ينج على بائع
الفحم النباتي ، والسيدان م - و ب ، مشترين لمصباحا اليدوك الرومية
والأور ، وكفيه صخمه من الشيخ ليحاربها . وكان انفصل للمناظر هو منظر
محل مهول للطائرة في مثل حجم كتشك الحرامه . وقد علقت على مدخله
لافتة باللغة العربية ، يسا جلس في داخله أمراي منظر الظهر ، أتميم
السحر - فاشترينا رجاجة كبيرة من ماء الورد لعل محلول لمسيل عيون
مرضى الرمد .

وفي نفس الوقت كان صاك حميد اسنا ، وكان هذا المبد كما قيل
لنا ، يقع بجوار موقع السوق ونظرنا حولنا بحثا عن علامة لعل على
وجود بوابة أو رواق حوذ جدوى - وقال المظار ان المصد قريب ، وأشار
راكب أحد الجبال الى بوابة تحسسه متطعيه من مرلي متجاريين -
وسلوح ولد حمير بأن يتودا الى الطريق - وقد كنا شديدى الارتباك
لأننا كنا متوقع أن نرى المصد متاخنا فوق المنازل المحيطة كما هو الحال
في الاكصر ، ولم نفهم بأيه حال كيف لا يمكن رؤيه مثل هذا الشئ
الضخم الذى يوصل اليه هذه البوابه .

وعلى كل حال ، فإن الولد جرى مسرعاً ودق على البوابة وصاح :
• عباس ! عباس ! • وأصابه محنة على الذي كان يقوم بالحراسة بعض
المرقات اللدوية بقبضة يده ، واحتشد جميع صغير دود له يأتي عباس .

وكما هي العادة فقد طرّح المتخرجون ينصائحهم للمحاربة فاشاروا
على الولد بأن يمتصق ، وعلى البحار أن يلق بصوت أعلى ، وقالوا إن
عباس الغائب يمكن أن يجده في قهوة محاورة ، وقد عرفت عن رأيي
بعد أن نفذ مسرى بابه لا يوجد صبيد إطلاقاً ، بينما ارتفعت دسنة من
الأسوات تؤكد لي أن البريه (المسد) ليست حرافه ، وأن المعبد كبير
و • كويس • وإن جميع الانجليز يأتون لمشاهدته •

وفي وسط الضجة ، وعدنا قرراً أن نود ياتسج ، اختفت
البوابة ، وحرج رجال مصيلة المسطحات وهم يريدون البيطولات
القصية ، وأخيراً أصبح لما بالندول •

وهذا هو ما رأيته أماماً - بناء صميم يحاط بحوائط طينية ، ورأيت
في الطرف البعيد من القلعة مدجلاً متفاعلاً ، وظهرت حله كثلة غريبة
التشكل وهائلة الحجم من الحجر الجيري الأصفر • كانت مستطيلة
ومتخففة ومستوية السطح وفالعه الضخامة ، عرساً أنها الامير الداتوي
لمعد عظيم ، وعلى يده حطرات قبيلة شامداً مبداً غير متعلم ولا مشور ،
ولكنه مدفون حتى بقته في القمامة المتركة على مدى عدة قرون • وكان
واضحاً أن هذا الجزء هو الرواق ، ووقتما بالقرب منه نحت صلب من
الدعامات الضخمة التي يحملها أساطين مدفوعة تحت القدماء ، وكان
الانريز الثقيل ياوراً فوق رؤوسنا • وتبلغ المساحة ما بين المستوى الذي
نقف عليه وحتى قمة هذا الامير حوائط حصة وعشرين قدماً ، وهناك
حائط مرتفع من الطين يحاذي الواجهة بطول عرضها تلوكا بينه الاثنين
سراً يطلع عرضها اثني عشر قدماً ، وكان هناك حاجز طيني صخفي وسور
يسل ما بين كل دعامه وأخرى • وكان كل ما تلا ذلك غامضاً ومختلفاً
ومعاطاً بالأمراء وهو عبارة عن حوت عارفة في الظلام ظهرت في وسطها
لسباح باعثة للعديد من الأساطين التي نزلها مصبوبة • ومن خلال فتحة
بين اثنتي من الدعامات رأينا مجموعة من دوحات سلم من القرميد تلود
إلى قاعة واسعة تقع أسفل سطح العالم الخارجي ، ذات مظهر مقبض
ومرعب ، ورأينا كانت هي بوابة الهلوية •

وبعد أن صطنا مع هذه الترحاب وصلنا إلى المستوى الأصلي
للمسجد • الآن ونحن على الأوسية القديمة ، ونظر إلى السقف المظتم

المجرب والمفتوح والمثل مثل سقف معبد دمنوة ، اعتقه لنا أننا خلف حقا
 في يهو الأساطير بمعبد دمنوة مرة أخرى ، لهذا نجد نفس المدح من
 الأساطير ، ونفس ترميز الحماجز الذي فيها ، ونفس المنساج العام
 والملاحج الأسامية للتصميم ، ولكن معبد أسبا أكثر الثروة في بعض مواجيه
 لأن الأساطير بالرغم من أنها أقل صفاها عن مثيلتها التي في معبد دمنوة
 إلا أنها أكثر رشاقة ، كما كانت أكثر ارتقاعا ، وكانت مقلدة
 بأشكال الآلهة والتسلطرات وصغرى في النقوش الهيروغليفية ، وجميها
 محصورة حرا غائرا . أما تيجانها فاعلمنا ذلك أشكال طبيعية تمثل أرحام
 الموتى أو البردى ، أو رؤوس بغيل البلع يحلاه أساطير دمنوة الفسحة
 التي تنتفخ جيجان مثل رأس البقرة حثبور . وكذلك كانت النقوش
 المنحوتة على الحوائط مختلفة عن تلك التي في دمنوة ، وكذلك تختلف
 عن تلك التي في الكرنك بفوجة كبيرة - وكانت الأشكال من الطراز
 البطلمي ، وجميعها ذات حجم واحد . وكانت النقوش متباينة وليست
 متجانسة في مجموعات مما جعلها تمثل أفضل أشكال زخارف الجناح التي
 أبناها الإنسان . فقد كانت موزعة في أساطير متباينة تغطي الأحاسيس
 بأناقة العمل المصنم المبر عن الحرية العقلية التي استكملت بها هذا
 الانتاج البديع لغني ، وذلك بالمقارنة مع طراز نقوش الكرنك الذي يتميز
 بالبساطة .

وتحتل هذه الدرجات مكان المسئل الكبير . أما العواضد الراسية
 وجو من الأهرار ، والمناجر التي بين الأساطير التي دخلنا بحث دعائها
 المطوية ، فقد كانت كلها نصف ظاهرة ونصف غائبة في الرابية الصلبة
 التي ورأسها . وكان النجوم يدخل من أعلى خلال فراغ ضيق جدا ، بحيث
 تحتاج المني إلى التمدد على الرؤيه في الظلام قبل أن تتعرف على أي من
 هذه التفاصيل . وبالتدريج استنتجنا أشكال الآلهة المعروفة وغير المعروفة
 تنبثق من خلال الظلام .

وكان المعبد مخصصا للاله حنوم روح العالم الذي نراه الآن للحرية
 الأولى - أي رأسه وأمس كمش وبمسك بيلد علامة المنح أو رمز الحياة (١) .

(١) كل الآلهة حنوم منذ الأزل أحد الآلهة الكوكبية للمصرية ، وهو الخراف المقدس
 لانه هو الذي أوجد الإنسان من الطين ومن ثم نسمة الحياة . وهو يظهر أحيانا أثناء
 عملية تشكيل الإنسان الأول أو تلك للنسمة البشرية التي خرج منها ليس الإنسان
 فقط بل العالم الكائن بواسطة عبقة الكهفاني المعروفة . وهي أحيانا أخرى يرسم وهو في
 القرد . يتحرك فوق سفرة المياه في شهر الحليفة . وفي عصر الأسرة العشرين شطابق ١٩٤٤ -



كما أمكن التعرف على شكل حديد هو الإله بس (١) وهو الإله المشهور الخلقه المتحد بالمرح والسحة - لما البهي ، ولناى الذى احتسب امتياها فهو أسطوان صمراى صمرال قد بيا بين الأساطير على عيسى ويسار الماريات ، وصا شيهان حومى الحرمة الجرى - وكان كل منهما متكافلا فى حد ذاته من حيث المنطق والافريز المنحوت والمنسل ، وأيضا شياك صير مربع فى الجانب - وبين النقوش التى على مسير مشاهير لهما فى الرواق بجمه افق ، لى الخزانة اليسى قد تضمنت الكتب الهامة الخاصة بالصيد ، بينما لموت الحرمة التى على يسار المنسل الرئيسى ، مناظر لنيلك وهو يوفى طقس التطهير - ولذلك فمن المحتمل ان يكون هذا الموجودان فى اسما قد اقيما لنفس السبب -

والآن ، نحن نبحث عن الثقافة الناليه - ونظر بلا جموى . لأن المنسل الذى يعود اليها مملوءة معاط ، وكان الرواق قد كشف عنه فى أيام مجده على سنة ١٨٤٢ ، ليس تغييرا عن الاهتمام بالآثار ، ولكن لمصل مسودع سفل لحفظ ملح البارود - وحتى ذلك الوقت وكما هو ظاهر فى رسم بكتاب ويلكسون وعنوانه (طيبة ومظفر عام لصر) *Thebes and General view of Egypt* ، فقد كان الداخل يفرس بين رؤوس الأساطير لسانة تقدر بحداد وقد استخدم مغرا للقطى . ولا يربف تينا من طية الهة لملم وضوح فى - ومن المحتمل أنه فى مثل حجم معبد دمنرة أو ممد ادو ، وهو سليم كما يقول التقليد المنسل . ولكنه لا يستطيع ان يشير الى مساحته التى تقع تحت أساسات المشارل الحديثة التى تحشد فوق سطحه - ويذكر قسلى كان شامليوى قد أول من لاحظ ، أنه تحشى الثالث قد بسى هيكل من قبل - فهل ما زال ذلك الهيكل الأثرى موجودا هناك ؟ وهل اتسع الممد خطوط حطوة نعمت حكم الملوك المتتابعين مثلما هو الحال بمعبد الأقصر ؟ أو أنه قد أعيد بناؤه فى اختلافات النصر مثلما حدث فى دمنرة ؟ وعلم أستغف حجرة إلا اذا

يد ظلم مع الإله رع ، كما تطابق كذلك مع الإله آمون - وسار بعد فى الوثائق الكهري فى العصر الإغريقى تحت أسم آمون حرم وهو يعرف أيضا باسم - روح الإلهة - ويظهر فى هذه الشخصية وفى شخصيته القسوية يوتى كيش - أو على هيئة كيش - ومن بين الإلهة الأخرى - صانع الإلهة والناس - وكذلك كان حرم أحد الإلهة الضلال وكبير الوة للدارت الذى عبه فى جزيرة لافنتين ، ويذكر قسلى فى معبد قيلة أنه - صانع كل الموجودات - ويخلق كل الكائنات - وأنه أول الوجوه ، أبو الأبياء وأم الأمهات -

(١) - يظهر الإله بس فى الصور لحيانا بوجهه اليه مستورا عن أنسا - ويظهر صليبا بسيله الذى يسته فرق رأسه - وهو مبروح فى هذا البارود بوجهه أنه المسترك - وله وجه لكثيرا بوجهه اله طرامس والموموفير والمهور - . مارينيك بك

بحسبنا عن أجوبتها بهم رمع المدينة . وفى نفس الوقت كم من كنوز
التأويح المحفورة ، وكم من الحشرات المتنة بالقشور ، وكم من التحف
البرورية المندونة والمائيل سكوت موجودة هنا فى انتظار محول من
سيفقوم بالتحفر !

وقضت الكاتبة طوال اليوم التالى جالسة فى وكن من البحر الخارجى
وحى ترسم وراق الحيد ، بينما كان الرجال مشغولون بحرقهم . وقد أشرقت
الشمس من الأفق الشرقى . وعرب فى الأحرى العربى قبل الانتهاء من
هذا الرسم ، ولكنها نبت أكثر من ساعة تضيء مقعقة الحيد . وفى حوالى
الساعة النامسة والنصف صباحا بدأ ظهور الصب على التريط البحرى
فى الرواية ، لم ظهرت فيه أسطون مخطط بشرط رفيع من الضوء
الذهبي ، ومع اتساع هذا التريط ظهر الأبرير من لون بارى . ثم برد
الحيد كله فى البر وهو ياتطع السماء . وبعد ذلك أخذت الشمس تحفى
بالتدرج ولكن فى وضوح تام عبر القضاء الصبق الذى يعلو الأفق ،
وصارت الظلال رأسية . وأحد الضوء تبدل فى شكل الجوانب وفى
الساعة العاشرة حيم الظل حتى نهاية اليوم ، وعند الظهر صارت الشمس
فى قمة ارتفاعها . وأخذت تبحل الأساطير الفاحلية التى حيم عليها الطلام
تضيء بفعل الضوء المنعكس ، وأسامت عن الخارج يشوه جعلها
تبدو مثل أصيلة من ناز .

وعندئذ ضمت قوتها الحياة على النيل فأعنت تملك من الغزول إلى
الشاطئ ، بعد حرامه . وحتى ذلك الوقت كان سلام قد أصبح كله نحت
أمرى أنه موطن من أسوان صدر اليس ومقبط وذكى ومعلم بالحرارة
مع الطبع البمار ، فكان بذلك وحيا كاملا . وكنت سمينة صغرته .
أما الدليل على حسي تربيته فهو ذلك اليوم الذى قضياه فى بسا
وهو يوم كان من القروى أن يقضيه فى التسكع فى أسوانى الماديات
والقناني . ولابد أنه أحس ماثل مع الانشغال بفضاء اليوم صحويا بين
الحائط الطبيعى والمبني القريب الشكل الذى بناه الجى الذين حكموا قبل
عصر آدم . ولكن سلام لم يظهر عليه علم الرضا . وقد أتطوى على نفسه
فى أنه الأركان يراقب ما عمله ، وهو مستمد بالشمسية عندما تشتد
حرارة الشمس ، وأحد صد جل زحاجة الماء لو سسك يستدق الأوان
بمهارة . كما لو كان قد تقرب على ذلك منذ ولادته . وقد وصل غداى فى
الساعة الرابعة محمولا فى حامل للأطباء . ولما كنت مشغولة بحدث
لا أستطيع الانصراف عن العمل ، فقد سميت الحامل حانكا وأرسلت سلام
إلى السوق لكي يشتري لنفسه غداء ، وهو عمل أبلى رغبته فى أدائه

بطريقة مبهمة - ولقد أعيدته مبلغ قرشين من الفضة وهو ما يساوى خمسة
بسمات بالعملة الإنجليزية ، وقد تطيح بهذا المبلغ أن يشتري ثلاث أو
أربع فطائر من أفضل المخبز وكفاً من اللحم للتبؤى وخضروات
وتصلح وظل من التبر -

ولما كنت أعلم أن هذا الفداء أفضل مما يتناوله هذا الصديق كل
يوم ، كما أعلم أيضاً أن محاربتنا قد تمردوا على تناول الطعام وقت الظهر ،
فقد تمحنت وأنا أراه يترك هذه المأكولات اللذبة دون أن يلمسها ، وقلت
في صوت خفص : « بسم الله » محاولة إيجاره على تناول الطعام في كلباته
لقطة ، بالإضافة إلى الحركات التمسوية ، فصحك وهز رأسه وطلب الأذن
بتلصصه صيحارة متدلاً بأنه لا يشعر بالجوع ، وعلى ذلك فقد مرت ثلاث
ساعات ، ولما كنت قد تمردت على الصوم الطويل ومع الانتماج في الرسم
الذي كنت أرسسه ، فقد سميت كل ما سلق بهامل الألباق ، وكانت
الساعة قد تجاوزت الراحة عندما بدأت في اصلاح المسيج في ضوء النهار
باستخدام أقل وقت ممكن ، والآن بدأ سلام الأولى في تناول الطعام
بنهية قضت على الفطائر والكفتة والنمر كما لو كان قد استنخدم السحر .
أما بخصوصي ما بقي من غذائي فقد تناوله في مثل لمح البصر ، ولم أر
انساناً يحاول طعامه مثل هذه الشهية إلا في عروض التمثيل بالإشارات
(البانتوميم) - وفيما بعد جعلت تلحس يوبخته بسبب هذا الصوم الطويل
الذي تطوع به -

فقال : « أقسم باللهي - أني لست خنزيراً أو كلباً حتى أتناول
طعامي بينما السيرة صالحة »

وبالنسبة فأننا لم نكتشف إلا عند أصا هذا الأمر الغريب عندما
عرض على أحد الأشخاص شراء قطعة من العملة المصرية القديمة - كان
الرجل الذي يريد أن يبيعها قد وجفها عندما كان يصغر على عمق نعيه
لمحت النمل في أطراف المدينة بحثاً عن سلاح البعرات ، وتطوع بأن
يطلبنا هل للكان ، وأحد يقص رويته مثل مسطرة الأطفال ، ونسوء
الحظ فأنه بالرغم من حقيقة هذه العملة الأثرية إلا أنها كانت تحمل الصورة
المروقة للملك جورج الرابع وحققا بين قيمتها المتواضعة التي تساوى
ربع فلس فقط ، وفي مناسبة أخرى وأثناء الفترة الطويلة التي قضيناها
في الأقصر ، أحضر أحد الفلاحين إلى القارب ورا زجاجاً مصنوعاً في
برصينها وأقسم أنه وحده في إحدى الموصولات في مقابر الملكات في
قرنة مرعى ، وفي أحد الأيام حد نفس الرجل إلى ضمي عندما كنت
متسكفة في الرسم ، وقد أحضر منه حطاً يضم عددا لا بأس به من
البحاير ويقول أنها أثرية لولا ولا يمكن انكار أصالتها .

قلت له ماست : لا تريد أن تحضر في المريد من القطع الأثرية .
إنها كلها قديمة ومستهلكة وغالية الثمن ، إلا يوجد لديك جدارين مقلدة ،
جديدة وصالحة للاستعمال بحيث يستطيع الإنسان أن يرتديها ولا يتخفى
عليها من الكسر ؟

وجاءت الأجابة المأخوذة : « إنها مقلدة يا صحت ؟ »

قلت : ولكنك قلت منذ لحظة أنها قطع أثرية أصيلة .

فقال في حجب : « ذلك لأمنى ظننت أنك تريدون شراء آثار »

قلت : « ما دمت تريد أن تباع لي أشياء جديدة على أنها الأثرية
فكيف أتأكد أنك لم تباع لي أشياء قديمة على أنها حديثة ؟ »
فأثاب : « قد صنع هذه الجدارين بدمه - ولما حضر ألا أصدق صاحب من
صدره قطعة صغيرة من الرزق الخشن ولما صار أحد أقلامي الرصاص
ورسم ألى صغيرة ، وظاهر أبي منحل ومضى الانسكال الهروغليفي
المرونة بهارة ملحوظة - ثم قال يفضة الانكسار : « من تصفحك الآن ؟ »

قلت : « أرى أنك تستطيع صلب طيور وأفاع ولكن ذلك لا يبرهن
على أنك تستطيع أن تصنع جدارين ولا تثبت كذلك أن هذه الجدارين
جديدة »

فاعترض قائلا : « كلا يا صحت - لقد صممتها بهاتين اليدين ، لقد
صممتها ولكن في اليوم السابق - والقسم بالله أنها لا يمكن أن تكون أحدث
من ذلك »

وهنا تفنن تلحي قائلا : « لن جمارينك في هذه الحالة جديدة جدا
وستصاب بالتشققات قبل انقضاء الشهر ، ويستحسن أن تقوم الست
طغراء بغير الجمارين في الوقت المناسب » - وهنا لمي الفلاح حاجبه
وصدوره ، وقال في جو من الصراحة الأمية : « الحيلة أيها الترجمان هي
أن هذه الجدارين قد صممت في وقت الضيفان - أنها حديثة ولكن ألى
جد ما ، لقد صممت في موعدها النطق ، ولذا تشققت فانك تستطيع
أن تشكركني إلى الحاكم وسأناك علة مقابل ذلك ؟ »

وقد ظهر لي أن أعرب ملتح هذا المنظر الصغير تمثل في البساطة
المنجية التي أبدأها هذا الأعراي ، فقد دافع بكل دمائه ، وقدرته على
الاحتياال حتى يرفع نفسه فوق مستوى الفك مثل طفل صغير . ولم

يحدث له في قبل أن كلل صديق حديثه موضع الاختيار ، أو أنه نسب لنفسه صديق كل كلمة يعوه بها ، والحقيقة هي أن العلاج نصف بدائي ، وعلى الرغم من إمكانه في الكذب (ولابد أنه كان أكبر كذاب تحت الشمس) إلا أنه ظل انساناً قرداً يسهل مضغه ، كما يسهل الترفه عنه ، وخداعه ، واستثاقته ، وتهديئة ساطره . إنه يسرق ذليلاً ويحتال قليلاً ، ولكنه يكذب كثيراً . أما في المناحة الأخرى فانه صبور ، وصحياف ، وبأدى البدو وثيق بالأعراس . إنه لا يزوج البعضاء ولا يحملها في صدره ، ولا يرتكب جرائم كثيرة ، ولا يضرر الانتقام ، وماضيهار مان معاصيه تفوق مساوئه . وكل انسان أو شعب يحتاج الى الارتقاء بسلوكه نحو الأفضل .

وقد يبدو أسلوب التعميم هنا تعادوا من غريب عام سبيل . إلا أنه يقتضي العذر لأنه يحترم مصر أكثر من أي قطر آخر يضامها في الظروف - وفي أوروبا كما هو الحال في معظم أنحاء الشرق يرى الانسان القليل من الناس بحيث لا يمكن أن يشكك رأيا حولهم ، ولكن الأمر مختلف بالمسبة لمن يعيشون على النيل - وبصرف النظر عن القنادق والسكنك الحديديّة والمدن ذات الطابع الأوروبي ، هناك تعامل مع المواطنين ، إن المرضى الذين يحضرون اليها طلبا للعلاج ، ووجهاء الريف ، وموظفي الحكومة الذين يرودونك على ظهر مركبك ، ويسألوك على الضامى ، والمرشدين ، والأولاد الذين يسوقون الحمير ، والنجار الذين يعيشون على الاحتيال ، كل ذلك يشكل ممبسا لا ينضب من الدراسات السلوكية . ويملكه الكثير عن الحياة المصرية أكثر من جميع الكتب التي كتبت عن السياحة النيلية . أما بحارتك وبعضهم من الأعراب والبعض الآخر من النوبيين فهم يمثلون عالما صغيرا في حد ذاتهم . هناك رجل منهم قد ولد عبداً وسحب علامة النحاس منه الى اللبر - وآخر لديه طفلان في مدرسة ميس حواجنى بالقاهرة وثالث تزوج حديثا وترك زوجته مريضة في البيت . وربما يجتاح منه همه عودته كبا أنه لا يسمح منها أية أخبار في الوقت الحالي . وهكذا فإن وراء كل منهم قصة متواضعة . قصة تحمل علامات الطغيان المحل ، والازلام المريب ، والسحرة الأكثر رعبا . وحقد كلها تشكل الروايات الأولية - ومزلاء المساكين على استخدام مكفى للادلاء بأمالهم ، وأخطائهم ، وأعدائهم . ومن خلال التماثل معهم ، يمكن التعرف الى الناس ؛ ومن خلال الناس تتعرف الى الأمة ذاتها . لأن حياة العامة تكرر نفسها فيما عدا بعض الاختلافات السطحية في كل مكان يجري فيه النيل ويقع تحت حكم الخديو . فالخصائص هي نفس الخصائص ، والوقائع هي نفس الوقائع ، ولا يختلف إلا تبديل المناظر على مسرح الأحداث .

وعلم ذلك ، فقد سجلت أن السائح الذي قضى حوالي مئة شهر في
رحلة جبلية ، ويهتم بمصر والمصريين ، ربما تشمل خلال هذه الفترة القصيرة
الكثير من معالم البلد وأهمه أكثر مما سجلت في قطر آخر أقل أمرا لا
واحصاوا من كافة الدواهي السياسية والاجتماعية والجغرافية .

ويذكرني ذلك بأن السائح الذي سافر في الليل ، يساعد القطر
المصري كله ، لأن السائح الذي يستقل من نقطة إلى أخرى في الأنظار الأخرى
يسمح خطأ فريحا من الطريق أو السكة الحديد أو النهر ، تاركاً مناطق
واسعة لم تستكشف على كلا الجانبين . ولكن هناك هناك فائدة في مصر
الوسطى والعلية - وليس في التوبة - لا يستطيع السائح أن يحيط فيها
بأية ملامح أو يقوم بأي مسح لسطح البلد متفلاً من صحراء إلى صحراء .
والأفضل أن يقوم بهذا المسح مرات عديدة لأنه يساعد السائح أكثر من
أي شيء آخر في فهم الفراغ الجبل المتناهي الذي شق السيل خلاله طريقه
على مدى الحقب الثلاثة ، كما يساعد السائح في معرفة ماهية الرود ،
الكون من الرواسب الطينية التي يغطي هذا البلد الذي هو حبة النيل .

وقد واجهنا صباح عطش رملي اللون ، ونسم خفيف ومعتدل ،
رويد رويداً في طريقنا من أسا إلى ادفو كما ظهر الغمر الجديد بوصفه
حبلًا ثقيلًا على المركب ضد وصفه على السطح ، وقد تكوّن في كومة ضخمة
عند طرف السطح العلوي ، وقد احتاج تطعيمه إلى حيد أربعة رجال طوال
يوم كامل ، وسيت لنا ثمرتهم المترصلة الكثر من الارتباك وكان
تلحس يصبح بين وقت وآخر ، اسكت يا طيريه ، اسكت يا علي ، انك
لست على السطح الخاص بك ، ان الحواجات لا يسطحون في بفرأ أو
يكنوا هذا الزهر الذي يتحدثون به .

فكانوا يصعدون لمد دقيقة ونصف دقيقة .

ولكن من السهل عليك أن تجعل قرباً يتعرف على الثروة ولا تستطيع
ذلك بالنسبة للأعراي ، فكان رجالاً يتحدثون باستمرار ، وكان حديثهم
يلوح دائماً حول النقود ، وعندما سمع اليهم بعضهم يتحدثون بكلمات
من نوعية خمسة قروش ، نصف ريال ، اثنين شلن - ولم يعرف
أبداً كيف كانت النقود تلعب مثل هذا الدور الصغير في حياتهم بساً
كانت تلعب مثل هذا الدور الكبير في آحادتهم .

وحوالي منتصف النهار عبرنا الكاب التي كانت ترف بامم
Eilethyrne قديماً ، وهناك لحد الوادي الصخري بضيق كما كان

هناك أيضا خربيع لأحد المشايخ على حافة الجبل من فوق ، وعقد قليل من مجمرعات الحبل ، ومضى بقايا ما يشبه حائطاً طويلاً مبنيًا من الطوب الملبس براويه عمودية على النهر ، وكتلة محزلة من صخرة مجوفة من الحجر الجيري ، تركت ظاهرة في وسط مجمر عتاهلك ، وكانت تلك هي كل ما شاهدهنا من الكاب عند مرور القهبة بها .

والآن ومع مرور فترة بعد الظهر التراحية ، لاحت صروح معدة لدلو المملعة بالضباب من على ساحة بيده ، وكنا تصاعداً لخرة طويلة قبل ظهورها ونحن نصب كل ميل على الطريق ، وكل دقيقة من صوة النهار . وكان التسميم قد توقف عن الهبوب حيثفاك ، بينما امتد النهر أمامنا ناعماً ومتألفاً مثل بركة الماء . وأحد تيمة من الرجال في سحب المركب أتى اندلج ، فهل ستعد في وقت يسمح بمعاينة معد أدنو قبل حلول الليل ؟

وكان الرئيس حسن مبسو ملتصكاً ولكنه يحمي كعادته في عبارة «إني شاء الله» ، وكان تلخصي تحدث عن الزلزال يحاذ لكي يمدو فيسبنا ويأمر بإحطار الحمر ، بينما كانت قبلة ترحب بطنه ، وأجالت الشمس تروول مصفحة خلف سحابة رقيقة ، بينما كانت هاتان الوانان للفيان بظلالهما أهل وأهل فوق الأفق كالتسبح ولكنها ظلتا على مسافة بعيدة .

وفجأة تولف السحب ، ويطروا خلفهم وصاموا نحو الذين على سطح المركب وبدعوا في سحب القارب إلى المر . وأحد الرئيس حسن شعر بفرح نحو شريط أبيض عبر سطح النهر الناعم بمسافة تقدر بنصف الميل . وكان بخارة الفسفاط يحتشدون بأعلى السارية ، بينما عمل بخارة الباجستور على إفساح المكان للهيبتهم . وكان رجالنا يستمدون لفلق الحبل والقمر فوق سطح المركب عندما تقترب قبلة من البر .

وكانت الرياح الخفيفة المراج التي لا تهب إلا عندما لا تهبها ، تقترب !

أما وقد وصلت الفسفاط من المؤخرة فقد شرحت خراهما الضخم واستقبلت أول سمة . وحاء الدور على الباجستور بعد ذلك . أما قبلة فقد تركت جناحيها يرفرفان ، وأطلقت طلفاتها لتصبح الطريق أمامها . وفي دقائق قليلة اسماست للراكب الثلاث تسوقها ريح عظيمة .

أما اليوايتان العظمتان اللتان ظهرتتا بميدتين منذ نصف ساعة فقد أصبحتا الآن في مقبول أيدينا . وكانت نهتمتا غابات من السجل وأكواب

متخصصة كانت الموانئ تبرزان من بينها في رفعة مقام النساء للبلدية بالبحر ، وسرعان ما تجاوزتها وبركانها خلفا - وأخذ الفسقى الرمادي يلفهما ، وأصبحا لا يراهما مرة أخرى - ثم جعل الليل طردا وحالبا من ضوء النجوم ولكن هبوط الظلام لم يكن في مثل سرعة الريح والمهسه التي تحيلنا .

والآن ، ومع هذا السباق المتعجل الذي لا يكبح جماحه - شاعرة فوق صفحة الليل ، فقد سرعنا الى دهل ما نستطيع من جهد بالبحر في تجربة السرعة - ولم يمض وقت طويل حتى اندمجت في هذا الموضوح . انها مبارزة للفور ، فقد كانت حلة ضد الفسقاط ، والباحصون ضد الانهيم حيا . وتقول في لمة بسيطة ان ذلك كان سباقا في السرعة وكانت اللهيبيات اللتان في القفزة متعادلتين ، وكانت قبله انهم من الفسقاط ولكن الشراع الرئيسي للفسقاط كان أكبر حجما - ومن جهة أخرى كانت الفسقاط مصنوعة من الخشب بينما بنيت لمة من الخشب ، ولد سهل ذلك من عملية سحبها من الشاطئ الرمل ، وجعلها أخف قيادة ، أما الباحسون فهي تحمل شراعا رئيسيا وتستطيع ان تسرع عند الحاجة ، وفي نفس الوقت كان السباق واحدا من السباقات التي تختلف فيها ضربات البط ، والآن فإن الفسقاط تندفع للأمام ، ثم تندفع طيلة بينما - كنا نتجاوزها مرة ، ونجاوزها مرة أخرى - كما كنا لمسبح الريح من احدها لصالح الأخرى ، ونسحب من كل دوران ونسحب كل شراع - وكنا قد انصفا بقواربنا سحب احدها اشد شوقا للفوز ، كما لو كانت هناك حافزة من انتظارنا . وفي هذه الظروف أصبح من الصعب علينا ارساء المراكب طوال الليل ، وما كنا قد بدأنا المبارزة فاننا لا نستطيع ان نمضي الى اشد ما تموقنا اليه الريح ، وكان يحاربنا متشوقين مثلنا للفور ، ومع قعود الليل رادت سرعة الريح وارتداد منها الفمالي ، وظلت المراكب تطارد صفها اليمص بطول النهر الظلم ، ونشر الرذاذ من اقواسها ، وترمي بملطوط عريضة من الويد خلفها ، وكانت نوالده قمرتها مضاة كلها من الداخل ، وتلقى مشعلات اللهب الخافتة على أمواج البحر التي تحتها . وكانت المساييح المعلقة في قمة صواريخنا تلعب بالوانها البرتقالية ، والازجوانة والقرميه خلال الفسقى مثل الجواهر - وسرعان ما انقضت السحابة ، وصفت السماء ، وظهرت النجوم ، دعوت الزرياح ، واحتزن رجاس النوافذ وتوسجت ذراع ذلة القنارب ، وصاح البحارة وتسابقوا ، وحبطت البحال مرقنا ، بينما كنا حالمين في قمراتنا الضيقة نطفي نصف الليل وليس ننظر من نوالدها الخفاضة بنا . وضمت عذات ساعات على هذا المنوال ، وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا ، الدفعت

الراكب الثلاث وانخرزت في شاطئه وعلى بعد هزة عيفة وارتداد شديد ،
ومسيح ، ومساحه ا تم طار الرجال لكي طووا التراجع الحماق ، فكان
بعضهم يسبح بالمعنى العلوية الى تدفق في حياح الهر ، بينما كان
الآخرى مثل العاوية التي تلت اشحا في الظلام ، وهم يتقافرون من
سطح المركب الى البحر ويعلمون في دمع السفينة لاكتافهم ، واسدوا
سيادون فما بهم ومن الذين على السطح عمارات ثمانية تدفع الى بلل
المريه من الجهد ، واحيرا وبعد معركة جوية استمرت عشر دقائق
ارلقت قبلة تاركة الذهبية الأخرى جابحتي على الأرض في وسط
الهر .

وقبل فقوم الصباح قليل اختصت المدة كثيرة الطوعاء ، واحطدا
الى النوم لكي يستيقظ مرة أخرى في الساعة السابعة على صوت نبحي
وهو يعلو ان السبعين الباحثين والمسلط قد اقتربا ما ، وأنا
قد تجاوزا السلسلة وكوم امر وتركنا خلفنا ، وأنا أصبحنا على
مسافة ستة وأربعين ميلا من ادقر وأن الرياح الطسة ما زالت تهب .

أنا الآن على بعد خمسة عشر ميلا من أسوان ، ومجرى النيل هنا
صيق جدا ، وأن خصائص المنظر قد تغيرت ، لقد اتجهت أسوارنا نحو
الصحراء الشرقية (العربية) واقتربنا من حدود الجبال الحراشية
اسودده ، مما كانت هناك على جانب الصحراء الغربية (الليبية) سلسلة
من التلال العريضة المرتفعة ، وقد تكفل كل منها بأكليل من الصخور
لهذا . وقد استمرت اشجار النخيل بكثافة على كلتا الضفتين

وفي نفس الوقت استمر السائق لقد كان في الليلة الماضية صعد
ورايضة . أما في هذه الليلة فهو شديد الجدية . لقد سافقا في الليلة
الماضية من باب العظيمة ، أما في هذه الليلة فأننا نتصابق من أجل الفوز .
والقب . سافح الرئيس خمس سبعا اذا وصلنا أسوان أولا .

ومررت عبدا الررس ، بدون الحاسة الى تدخل الترجاج بيتنا .
كانت للثظرة والمرة واضحه بالسيرة له وشروح أحسن الكلمات العربية
وصارت كلمة (حسه) السحرية في الحكم الآن ، لأنها كانت تسمى
سحتها من السلة التي كانت مستحفظ في أيام طسوس وأركرومي ،
ولس راسه وصفره ، وألتي مطرة الى الرزا على الذهبية اللتين حلفنا ،
ونظرة الى الأمام في اتجاه أسوان . وسط قفصيه يعضها في حركة
انتباه ، ثم ربط صديلا حول وسطه وتركز بنفسه عند فية الدرجات

الى تفود الى السطح العلوى . وظهر تحسب الرئيس حسن على النفوذ مثلاً
في الصور التي اتبعت من عبيه . وهذه الاستعداد التي أجابت به .

والآن ، فان وعرفنا أولاً انى اسوان يسمى ان يكون أول من كتب
اسماؤهم في قائمة الحكمدار ، واسا أول من توجه الى الشمال . ولما كان
عبور الشمال يحتاج الى يومين أو ثلاثة من العمل ، فان مسألة الاستيقظ
عده أصبحت غير ذات أهمية . ولولا التحية للوعود لكاتب المسطوط قد
سبقنا حسن مرات ، وكنا سنستعطر حينذاك لانتظار دورنا على الجانب
الغنى من الجود .

والآن سرى الشمس عالية غشيت حراءه السباق حتى انما أصبحنا
على بعد خمسة عشر ميلا من اسوان عند حلول وقت الافطار ثم انعصم
الشمس عشرة الى عشرة ، وعلمنا حصل الى الرأس البحرى الذى هناك
عابها تكون قد انعصم الى سبعة أميال . ومن السهل رؤية كيف أنه مع
نقصان المسافة بينا وبين أسوان فأنها بنفس أيضا بينا وبين القسطاط .
ويعرف الرئيس حسن ذلك . انى انراه يقضى المسافة بعينه ، كما يرى
التقطعة الى استقرت بين طاحيه . انه يحسب طول المسافة التي
تقطعها القسطاط كل ربع ساعة ، وكل يبلغ عند أربع الساعة التي تبعنا
عن الهدف ، انى السحابة العرق لا يقوى المسافة بالأعمال ، انه يحسبها
بالرعى وبما يقطعها من النهر ، وهي تساوى ثلاثة أميال في المتوسط لكل
ربع ساعة (٣٠) ولذلك كان قطارنا معها يقول انه بقى لنا القيام
بحدودتين اجابه للسؤال الذى يردد مرارا وتكرارا . فانه يضى انما نيسه
حوالى ستة أميال عن الجهة المقصودة .

فبقيت ستة أميال مع انه القسطاط نوداد اقترابا في كل دقيقة !
وكان حتى الآن نتحدث بشمف . ولكن حينئذ يقترب الهدف فانه حسن
البحارة يفترون الصمت . ويقف الرئيس حسن يقف حراك عند مجموع
للمداد لكي يعرف على الأماكن المسجلة في النهر . وكانت كلمتنا شمال .

{ ١٢ } هذا الأسلوب القامى للمعبرين التسل المتبع في حساب المسافة حسب الزمن .
يقول في حسنة المسافة التي تسلك في الحركات والقفلات الإمبراطورية . وقد نعم
استخدامه الآن في اللوحة المصرية والبحرية لانه يقيس في حسنة . استهلاك الوقود . وعلى
سبيل المثال فان الكابرين والراغبين الجويين في الطيران الذين يقولون ان المسافة الباقية
طوى وصول الطائرة الى مقصدها هي ساعتان وخمس عشرة دقيقة بقائهم وشود بقى
لغة نصف ساعة طيران . اما المسافة فيسجل حسابها حسب سرعة الطائرة في الساعة .
(المترجم)

يسمى « الثتال » تصدراؤه عنه في الجهة صغيرة حادة هما المصوت الوحيد الذي يجرود ، بينما عامل اللغة يطبعه به واذنه كما لو كان هو يد البصير ، ويجلس البحارة القرقصاء في أماكنهم هادئين ومتخفين من القتل القتل .

وللساقفة الآن ليست ستة اميال بل خمسة ثم أربعة ، أما القسطنطين الذي يعود الفضل الى شراعيها الكبير فقد كانت ان تلحق بنا ، كما ان الياجستونر كانت على بعد لا يريد على مائة ياردة خلف القسطنطين ، والبنا تقدمنا كما سر بغابات من الخيل من ابود الأنواع التي تساعدنا في حسابا . كما مرنا بمصيحات مهجورة تقف في انتظار الريح المواتية للاتجاه نحو مقاصدها ، ومرنا بقوارب محلبة ، وأكواخ على جانب النهر ، وغيوم من الرمل المنفوخ حتى اكملنا الدوران حول الركن ، وكسبنا ربع الساعة الاخير ، وظهرت ماذن أسود كما لو كانت في داخل منجاة على المد وكان البرج القديم الذي يتوج الرأس البحري التالي يرتفع مقابل المدينة ، وكاتب هذه البعج السوداء التي في وسط بحر النهر ، هي اوائل صحور الضلال - وينسى المجرى هناك بين الشهاب الصغيرة والضباب الرملية ، ومن الصعب الدوران حتى في أشد برقيات الطقس هودا . وكانت قبلة تنفخ الى الامام وهي تميل بكاملها مثل عداء قفر الثوائف عند الحاجز الخشبي ، مع استمرار نشر شراعيها في مواجهة الريح وتنتج كل الميون الآن نحو الركن حسن ، الذي يقف متدودا مثل تنثال من الحجر ، والصخور قريبة من الامام لفرحة أننا نستطيع ان نرى الاحواج وهي تصب فوقها ، والفرحة وهي نفور من بينها . ويقع طريقنا خلال فتحة بين الصخور ، وينصرف المجرى التالي حذب حذب الفتحة الى اليسار سبعة . انها نقطة يمتد كل شيء عندها على تحويل الشراع . وبذا تم ذلك مريضا فاما مستقبل العلامة . اما اذا تم مناسرا فاننا سنصلهم بالصخور ، ونجاة وقع الصطان يده . وصعد السلالم من حدة . ونظر الى مقبلة السمينة . وهي البحارة واقفين وتجمهوا ، يصعبهم حول جبل الصاري ، والبحير الآخر حول نهاية السطح . لقد أصبحت القسطنطين جبابنا ، وحانت لحظة الفوز او الخسارة .

والآن وبعد مضي ثائتين من حسي الأساس ، اتلفت الفهيتان فلاما ، كلفناها بحساب الأخرى ، لفرور من هذا الممر الضيق الذي لا يتسع الا لوحاف منها فقط . وحتى السفينة الحديدية بالصفة الرملية قامت بعمل مدار لوسج ، وقد حولت شراعيها اولا مبددة تاركة جبل الصاري دون رباط . ورأينا الشراع يرفرف ، والحبل يطير ، وقد تكافح جميع الأيدي لاستعادته .

ولم هذه اللحظة أطلق الرئيس حس كلبته ، وانجحت فيلة للأمام
 وقد اقتضت القصة من بين مخالف الفسلف ، وحاولت ترواعها بدود
 محم ، وابجعت عن الماء المينق مازكة مناصتها بمسائي الأعرين وعمر
 تسرع بين المياه الضحلة .

وكان الجزء الباقي من الطريق قصيرا ومعتوجا . وفي اقل من
 خمس دقائق طويلا شراعنا ، وقفا للرئيس حس الجنيه الذي كسبه
 بعدارمه . ووجدنا ركبا مريضا لكن برمسو فيه . وهكذا انتهى مسابقا
 المقصود الذي قلنا به حوائى كناية وسبي ميلا من ادفو الى أسوان .



فريق مصري في أسوان

الفصل العاشر

أسوان والفتن

تقع جزيرة الفتن، الصحراء التي يبلغ طولها حوالي ميل ، في مواجهة
أسوان ، وتلسم النيل إلى غربها . وعلى كلا الجانبين بعد أن الصحراء
الغربية (الليبية) والصحراء الشرقية (العربية) التي تتكون من
محدبات هامة بلون الكهرمان ، وهي صحور جرايتية غير مستوية ، تصل
إلى حافة النهر . وهناك صريح لأحد المتابع على الضفة التي في ناحية
الصحراء الغربية ، إما في ناحية الصحراء الشرقية فيوجد حطام يارز من
العمارة العربية تملؤه عقود حربية مفتوحة في أعلاها ، تنوح التي من
المرتفعات المتعاقبة ، وتطل على يواطة الشمال . وتقع أسوان تحت حطام
المنارة الغربية - ويعصلها عن النهر غماطي - منحدر من الرمال .

وكل ما يستطيع الإنسان أن يراه من المدينة وهو يقف على للرسي
الجري الذي يقع أسفلها ، بعض المنازل المتناثرة ، مع صف من الحوايط
البيضاء ، وقبة مربعة ، والمداخل المظلمة لثقاني أو اثنين من الأزقة
المحصنة . وتعالى في الشمس ، الصخور السوداء الملائمة للضوء ، والتي
يحتوي بعضها على نقوش حبروغليبية رائعة ، مثل المعجم (اللامع ١) -
أما الغماطي ، فإنه مردهم بيالات البضائع والجمال المحملة ونجر المحطة ،
والأشخاص المسحوق القاديين والرالحين ، وفوارب نقل البضائع المحملة

(١) في صحور ثلاث الأجنار المشبعة مثل أوربا، بكر والسيل . والكروم مملوءة
بطريقة من ملأ سوداء مبهلها تظهر كما لو كانت مغمورة بالكربون - ومدة الطاقة وقوة
جهد اكتشاف برزايوس بعد تحليلها أنها تتكون من أكسيد الماغنسيوم وأكسيد الحديد -
ولا تعرف أصل هذه المادة ، الكوة من الأكسيد للمنبه والتي ملأها الصخور كطقة من
الاصطناع . واعتقد أنه ٧ هرجية كما يرون حسب التفسير في كتابها بطر
Society of Researches تأليف نشارلو دافون - الفصل الأول من ١٢ ، طبعة
سنة ١٨١٥ .

التي تتكون من عدة وصف مائة تحت شمس الشمس ، فيما ترسو قوارب أخرى متفاربة وهي تحتل بالصنائع أو تدعى منها الصنائع . وكل بعد قليل صبا ، ترسو ثلاث أو أربع فصبحت بحسب الأعلام البريطانية والأمريكية والبلجيكية . كما أن حلق مراكب أخرى ترسو في الطريق نحو القنصل . وترى منى القلوب ذات المجاذيف ، متحدة مسارا عرسيا في كلا الاتجاهين من التناطلي إلى التناطلي الآخر . واحتلت الكلاب تسبح والجمال يرمح . وأصبح نهق . وباتوا الأناوار يصحون ويغنون . ويحلقون على أذرعهم الصنائع التي يرضونها . وبما ركوب ويتوسطون لكن يصعدوا إلى سطح المركب . ولا يسبح من الصعود إلى اللوح المتوصل بين السحبة والتناطلي . إلا أنتمن من المعنى القليلة أسك بهما ألمان من البعثة الصناديد .

وتتزين الأنثى التي تعرض للبيع في أسواق بأنها جديدة وغريبة . وهذا لا يعرض عليك الجمادى أو النماثيل الجارية أو الآلة المصنوعة من الجرويز أو العرف ، ولا نظايا المسارة المصنوعة ، ولكنهم على العكس يعرضون عليك الأنثى التي تتحدث فقط عن حاضر سادج ومتحدث . المهم يعرضون عليك بيبي وريش العام والمثل القصية الزبية المصنع والرماح ، والأقواس ، والسهم . والدروع التي تحمي حاميها Rhinoceros-hide والأساور العاجية المسحرة من ناب العجل ، وريش الطيور الذي يستخدم في الكتابة ، والسلاسل المصنوعة من البوصي المكسوخ ، والمجدول ، وحراصت الألف الذهبية . وما شابه ذلك . وقد عرست إحدى البسة التوبيات المجارل للبيع حقبة لأدوات التريسة ، وشبها حشا بينه التشنال مع وسادة ، وطواقم ذوات حصلات من الريش الأسود . أما الوسائد فقد كانت تقضى رجائيتهم من الكحل ، وأمسره غليظة . ومقطا من العظم .

وكان أشد الباعة صخا . وله مشايخ لونه شديد السواد ، وصوته شديد البحة ، وهذا صفتان نادرا ما يجتمعان في شخص واحد . وكانت ملاسمة البسيطة تتكون من جلاباد مهمل وطلاقة من النطش الأبيض . وكانت أدواته مصنوعة من حرام من الجلد الأملس مربوط في طرف عصا . وأحد يتنقل من نافذة إلى نافذة على حائطي الصالون المواجه للتناطلي . وتسلق طرف مركب بضائع محاوره حتى يصل إليها في الزسرة ، وأخذ يدع عصاه وحرامه في وجهنا بصرف النظر عن الاتجاه الذي كنا نهرب إليه . وهو يصرخ : يا مدام . حرام كوبي ! يا مدام . حرام كوبي ! واستمر يصرخ ويكشف عن أسنانه ، كما لو كان شيطانا يتواجد في كل مكان ويطيع بجميع مناقضيه إلى الهاوية .

ولما كنت قد رأيت حراماً مشابهاً ضمن مجموعة أحد الأصنفاء في الوطن ، فقد ترجمت في عيالي : « يا حليم » - حزام بوي ١٠٠ هـ إلى أحد هذه الأحرمة النورية التي تشكل مع المعد وبعض الأساور الذي الكامل للسات الصميراء في منطقة حروب الشمال ، وتختلف هذه الأحرمة في حجمها حسب سن الفتاة التي ترتديها ، ويبلغ عرض أكبرها حوالي اثني عشرة بوصة ، كما يبلغ طوله حسباً وعشرين بوصة ، والقدير من هذه الأحرمة يرس الخرز والأصداف الصغيرة وهذه نوعية من الوعيات السنية ، أما الوعيات المعدنية فهي رخيصة وقد جهت أطرافها بريت الخروع ، ويمكن القول بأن الحرام الجديد يقع جيداً في ريت الخروع الذي يحل الجلة أملس وغلق اللون ، إلى جانب إضافة عطر تين تسمد به الفتاة النورية . أما الوبي الذي يدرج مروجاته ويصير أعنائه بنفسه ، فإنه يصمد حداً بهذه الرائحة - أنه بحسب ريت الخروع ضمن أفضل كمالياته ، ويستخدمه في الطعام مثلاً يستعمل حتى المصحوم ، وتقع فيه زوجاته حصائد شعورها المجدولة ، كما تطر عناته أحمرتها فيه ، ويدهم أولاده أسبادهم به ، أن يسه ، وسنة أنفاسه ، وأدوات زيتته . وطعامه ، سيمها مضجة به - أن ريت الخروع يروح أريجها في المكان الذي يسا فيه . ويا لسعادة السائح الأوربي الذي يتوقف في النوبة لأنه يستطيع أن يشرب أنه المصحوم على أريج ريت الخروع ١

لقد طرد التطور الحضاري هذه الأحرمة خارج نطاق الموضة على الصمود أما في أسواق فهي تعتبر طلبات ضرورية يطلبها الرواد الانجليز والأمريكيون - إن معظم السياح يشترون الأحرمة النورية لتلبية أصدقائهم عند عودتهم للوطن ، وقد اشترت السيدة ل التي تراهي الموضة في ملابسها ، حراماً لوى الرابحة لدرجة أنه عطر الذهبية فيطه طوال الفترة الباقية من الرحلة ، وما زال يحتفظ بأريجها حتى اليوم .

وقبل انقضاء ربط حبل الذهبية ، عنهم رساما نفسه نارتاده كوفيه خضرة ، وتسلق يمساً للزيارة ، ثم قرر أن المشاطي - وسائر لهخرة الحكمدار وبعد ساعتين رد الحكمدار الزيارة (وكان قد وعد بأن يرسل حالاً في طلب شيخ الشمال ، وأن يحيط سفرنا مكل ما في استطاعته من عناية) وقد أحضر معه مدير وقاصي أسوان وبصحبة كل منهما حامل غليومه .

واستقبلنا مسجوماً في الصالون بخفاوة دافئة ، وجلس الرجال المقطاع على إحدى الأرائك الجانبية - وانتج الرسام الحديث تقديم

النسيان والسيب واليرانى والويسكى ولغيرها من مبيعات الخمور
الفساحرة ، وقام تلحى بالرحمة . وصحك الحكيم وهو شاب طويل
ورشيق ونشيط وبني الطمحة ونسود مثل الخراب ، أما القاصى والمدير
فقد كانا هما كلاهما من شيوخ الميرك وقد اصغر لون مشربيا ، وقطا
حواشيها ، وبدأ عليهما الارتياك لجرد ذكر حلم المشروبات المحرمة .
وحينئذ اقتحم احدهما تقديم الليبونة .

وابتج الحكيم بصره نحو المتحدث مسائلا : « كاروّة » .

فرد عليه تلحى قائلا : « أيوه كاروّة » .

ثم اضطرت الليبونة والسيحار - وواقب الحكيم عليه فرع
السنادات بأصنام شديد ، وشرب في شرعة ظهيرة مثل نبيذ صغير .
وحتى القاصى والمدير ، تحررا قليلا من التحفظ في السفوك . أما بالنسبة
لهؤلاء الرجال الذين سودوا من المشروبات للكوفة من عصير الليبون
والسكر ، فإن الليبونة ذات الرغبة ، المعينة في الرجاسات تعتبر
أفضل النوعيات .

وبدأت المحاورات المتتالية للحديث ، ولا يعرف مستوى هؤلاء الذين
حاولوا المسول في حديث قصير أمام أصحاب السلطة ، سميرة المسول
في موضوعات للحديث تمنح التناوب وتضخم التعبير الحي على سميرة
استمعين انباءا ، الاحتشام على كلا الجانبين ، ذلك الذى كان لا يطمحه
سوى حديث الترجساة .

لقد بدأنا رحلتنا في بقعة اعتدال الجر لأنه في مصر حيث لا تظم
السماء ، وتشرق الشمس دائما ، يحل الترمومتر محل النشرة الجوية
بوصفه مقياسا مفيدا - ولا كنا نعرف أن أسوان تنوي سمعتها مسمة
أية مدينة أخرى على سطح الكرة الأرضية في حيث ارتفاع درجة
الحرارة ، فقد سعدنا ونحى في قبة المعينة عندما وجدنا أن حرما لا يريد
في حر استطرا في شهر مستقيم - وقد علق الحكيم على ذلك بقوله أنه
لم يسر عليه شتاء بارد في مثل برودة هذا الشتاء . ثم سألناه الأسطة المتخافة
عن الحاصل ، وارتفاع مستوى البحر - وما شابه ذلك . وقد أجاب عن
جميع الأسئلة بهمو ، وبساطة لم سعد منها لدى أي رجل آخر في العالم
كله . فقال : إن جو القوية صحي وكان محصول البلح وميرا . كما أن
براكير الفصح تشبه إلى حدة المحصول . أما السردان فكانا مادنا ومردمرا .
أما بخصوص الترسات الجبهية للخصومات الباردة فقد هنا عليها لأننا

أصبحنا قادرين على استلام وإمداد الخطاطات من الشلال النامي
ودكر أيضا أن استلام التلغراف تصل الآن بانتظام حتى الخرطوم .
وحسبنا مثله عن الزمن المتوقع لوصول السكة الحديد إلى أسسوان ،
فاجاب قائلا : « في مدى سنتين على الأقل » .

وسرعان ما انتهى وعيندا من الموضوعات وحل موعد التلبية .

وسألنا المترجمان : « ماذا أقول بعد ذلك ؟ » .

فاجابنا قائلا : « نل له أسا نريد أن نتأخذ سوق العبيد
بالدليل » .

وعامت الإسماء من على وجه الحكمدار ، وسرك المدير كروب
الليونادة دون أن يتذوقها ، واستطاع القاضي السبحارة من فيه ، ولو كانت
قد انفجرت قنبلة في الصافون لما كان لها مثل هذا الأثر العظيم .

وكان الحكمدار هو بول من تكلم وعلى صعيده سميح البحر . ونقل
إلينا المترجمان كلامه قائلا :

« يقول لكم انه لا توجد في مصر نجارة في العبيد ، ولا توجد لي
أسوان سوق للعبيد » .

وكان قد قيل لنا في القاهرة من مصادر موثوق بها أن العبيد
ما زالوا يشترون ويبيعون هنا . ولكن ذلك يحدث الآن بسمة أقل ما كان
في الماضي . وإن منظر هذه السوق من أكثر المناظر التي يراها السائح
بين مصر نجارة وثارة للشاعر ، وكررها الصارة فالحل في شك
« لا توجد سوق للعبيد » . فبهز الحكمدار والمدير والقاضي رؤوسهم ورفعوا
أصواتهم وقالوا في نفس واحد مثل تلامي الوطنيين الإداريين في الأوبرا ،
الفكاهية :

« لا ، لا ، لا ، عافيتي باراز - عافيتي باراز » .

وسعيلا إلى توضيح أننا لم نرغب بهذا الاستفسار من أن نجيب
حب الاستطلاع غير المحقق أو أن نقدم أية وجهات نظر مسيحية .
إن عرضنا التوحيد هو على رسم كروكي . وكما نعرف أن هناك سوقا
للعبيد ما زالت موجودة في أسوان - وكان ذلك أكثر مما تجعله حساسية
القاضي القصصية فلم يدع ثلثي يكمل الحديث .

وقاطعه قائلا وقد دم شفتيه تسرا عن مثل هذا الرعب الذي يخص به
الرجل اليهودي المصلح عندما يطرُق الحبيب معه الى موسوع آكل
لحوم البشر ، انه غير قانوني ، انه غير قانوني ،

وتلا ذلك صمت محرج ، واجسسا ياما قد ارتكبا خطا لاحضا
ترتب عليه ظهور الارتباك عليهما .

ودأى الحكمدار ذلك واشفق على اوتياكا مايماء أحسن ، معاصر
الرقعة في العالم ، فوقف ، وفتح البابا وطلب الاستماع الى بعض
الموسيقى ، فقامت السيدة الصغرى بعرف أفضل الألحان الى استطاعت
ان تذكركها ، وتصادف انها عرفت لدى رقصة الفانالي للموسيقار فردي .

وفي هذه اللحظة جلس الحكمدار مبتسما وعندئذ بجانب البابا ،
وظهر أنه بالرغم من كل اديه المم ، كان يبحث عن شيء حتى لا يظهر
بظهر عدم الرضا ، وكانت هناك سحابة تعبر عن عصف التوفيق وهو
يقول : « كثر حيرك كثير » عندما انظر الفانالي عند نهايته في شكل سيل
من التناجيع السريع لماذا كلل يعني بذلك ؟ هل كان يريد الاستماع
الى أغنية أم ان الجو الشاعري قد أعطاه الاحساس بسعادة أكبر ؟

أ شيء من ذلك ، لقد كان يبحث عما لحته عينه السريعة بالحركة -
وبالمدحيد بعض الموسيقى للموتة في الموتة ، فامسك بها منتصرا ووضعها
تمام المازفة ، لقد كان يريد الموسيقى التي تعرفه في الموتة .

ولما سئل عما اذا كان يفضل احسا غنيا بالحركة أم لعا ينم عن
الشكوى والآنبي . اجاب بانه لا يهتم طالما كان اللحن صحيح الاداء ، -
لقد مصافق عتوره الآن على امطرواة الموسيقار فلجنر - وعلى ذلك فقد
تعدت السيدة الصغرى وغنيته وغممت له جبرعة من موسيقى مانهاور.
Taubauer ولا صترب ان يقول انه آسى مالمساته ، فابسمم
كاشعا عن اسمائه ، وحرك جسمه وزدد (الآه) الطريقة المعروفة في مصر
كتمير عن الاستحسان ، وكان من الواضح أنه كلما كالأ اللحن أكثر
ابهاما وعرافة وغوضا اعجب به أكثر .

اشي ؟ افكر في اسوان الة الا وابد غبي أتذكر ذلك المشهد
الغريب الذي ظهرت فيه السيدة الصغرى وهي تحبس الى البابا وبالتقريب
بها الحكمدار الأسير وقد كتمف عن أسفانه في مشوة ، والقاضي وقد

الشمع بالنخال والسمانة ، والمدير وهو نصف مائم ، والجراد وقد تشيع
بحان القبح ، وقوى كل ذلك - يذكر صوت الصخب والرمق والاقاغات
وسيمات تهاوور المتوعة التي ملأت كلها واستيدهم بتفعية المشهد .

ان حلولة الزيارة الشرقية تمتد لفترة طويلة تبصل صبر وادب
الضيوف الأوربيين محل اختبار عميق - فهذا الوجه المحل يتوك عمله -
لو كان لديه بالفعل عمل يؤديه - ويتصرف قبل الظهر ، ولا يفعل شيئا
سوى التدخين والثرثرة حتى انتهاء اليوم . ولا يقيم ادنى اعتبار للزمن
الذي يتناله بين يديه - وكل هذه في الحقيقة هو استهلاك هذا الزمن ،
اذا أمكن ذلك بآكل قدر ممكن من الأكل - ولذلك فهو يقوم بزيارة يتعمد
خلالها إطالة البقاء طرد الاستطاعة - وعن أية حال فقد قسى زوارنا ساعتين
من أفضل الأوقات - أما الحكيدار الذي تحدث حديثا قصيرا عن الذهاب
الى امجلترا ، فقد طلب كافة سمائلنا وعلاويننا لانه يرجع ان يحضر لزيارتنا
في بلدنا .

واتاد انصرافه في الفترة لمهل لكي يعامل ورودنا التي كانت
موضوعة بالفرد في الساب . وذكرنا له ان بك درست قد اعطانا لنا -
فائلنا وهو يتفحصها في لمحاب عظيم : - هل ترزع هذه الورود في
ارمت ؟ يالها من حيلة ! لماذا لا ترزع في النوبة ؟ .

فقلنا انه ربما كان جو الدوبة أشبه حرارة بالنسبة لها - فأعفى ظهره
لكي يستنشق عيرها ، وظهر عليه الارتباك وهو يقول : - انها عظيمة
جدا - هل هي ورود ؟ ؟

لقد سبب لنا هذا السؤال نوعا من الصدمات فلم يتطرق في يالنا
اتنا وحلنا الى منطقة لا تعرف الورود - ولكن الحكيدار الذي قضى عمره
في بعض الترحيلة التي كانت مملوءة ماء الورد ، وشرب شربات الورد ،
وأكل مربى الورد ، لم يعرف الى الورد الا بعد أن شم رائحته - وفسد
انه لم يمانر أسوان طوال حياته - ولم يسافر الى ابيد في ارميت ،
ولم ير طوال حياته وردة عظيمة .

وكنا قد عزمنا على الخس في طريقنا الى منطقة التلال في صباح
اليوم التالي لوصولنا الى الميناء . ولكن يبدو انه كانت هناك ذهنية
أخرى لتدائل لشق طريقها الى غيلة - وحتى مرور هذه الذهنية غالة
لا التبع ولا رجالة كانوا على مستمدان للقلنا - وفي الساعة الثامنة من

صباح اليوم التالي ، حيث وعدوا بأن يصبحونا كمرتدين ، وكنا ملزمين بدفع ١٢ جنيهًا في الرحلة عن الاتصاف في تسعة جنيهات للتحليب والثلاثة الباقية عند عودتنا إلى أسوان .

وكانت هذه هي الاتفاقية المبرمة بيننا وبين شيخ الشلال في اجتماع لجنة برأسها الحكماء وبمساعدة القاضي والمدير .

وكان لدينا يوم فراغ وعليه أن نقضه في أسوان . وبالطبع شغلنا جزءًا منه برحلة الفتن التي أطلق عليها في النقوش اسم : أبو أو حريرة الماج ، ولابد أنه كان يوجد هنا مستودع لوراء مدينة الفراتي . لطلق أئس الأسماء الموحدة في منطقة أعالي النيل . واعتني بها المصعب السويدي وأنشأ في النيل التي تشتهر بها كوش .

أما حريرة رالبة الجبال . وعرة ومرتبعة في الناحية الجنوبية ، ومنطقة وحشة في الناحية الشمالية مع ساحل ممتاز يشتهر بجداول المياه الكثيرة النهر ، ومناطق السباحة المفضلة المساحة التي يتربع الإنسان في كل لحظة أن يتقابل فيها مع دويسون كروزو حاملًا تسليته التي صنعها من حبل الماعز ، أو حافله فرايداي وقد أمسى تحت ثقل حمل من الحطب . أن مكانه على الحرية جميعًا من نوعية فرايداي لأن الفتيحة بوصفها أول مركز عربي لا يسكنها إلا النوبسون . أنها تصف فرقة بوبشي . وحرالب مدينة قديمة كانت عاصمة لمصر كلها على أيام فرعون الأسرة السادسة عند ثلاثة أو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد . وكان هناك هيدان في أصلها في أيام المنعوت الثالث . كان موجودا من حوالي سبعة عاما مست . وقد شاعنها بلروبي سنة ١٨٦٥ ، وقد بنت دواتهما مؤخرًا لبناء قصر ومسكنات للجنبي مكانهما . وقد حدث ذلك من زيارة ضاميلون للمنطقة سنة ١٨٢٨ فلم يشاهد إلا اطلال برابة من القصر الفروعوي . وتمثالاً روى الهيئة للنك مستاح في وضع الجلوس . وهو الفرعون الذي قيل عنه أنه فرعون الخروج . وقد بنى وحده لتعدد المواقع التي توقفوا فيها .

لقد تحول قلب هذه الجزيرة إلى اللون الأخضر نتيجة لاشتغال مزادج المغيل الكثيفة ، وحول الخروج المروثة بصاية . وأشجار القطن ، والصنسي والدة . أما الساحل الغربي فهو محاط بالمنازل التي مظل على حافة الماء ، بحيث يستطيع الإنسان أن يسمع بها في الظل في أشد فترات الظهر حارة . ههنا في حدير الشلال وبحنا عن الأضطرار

البرية التي لا يبدو أنها تنمو في أي مكان آخر إلا المنطقة التي يطلق عليها
الاسم العربي الجليل - جزيرة الأزهار -

وفي فوق الأرض الرخسة في الطرف الجنوبي للجزيرة حيث تنتشر
أكوام الرمال والغمام البضاء اللون والجماجم العصرية ، وجلود الخنازير
التي استخضت عنها ، وأكوام قطع الخنزير الملون المكسورة ، استغنيا أن
تلتقط الصديع من قطع الفخار الأسمر المتوش والتى يتفجج أنها قطع
من الرخريات المكسورة ، وكانت الكتابة التي عليها باعته جدا ومطبوسة
إلى حد ما . لقد اكتشفنا أنها مكنونة بحروف يونانية ، ولكن حتى رحلنا
الكليل لم يكن كمؤا لتفسير كلمة واحدة بشكل مطلق ، واعتقد أنها
ليست مسوى قطع صغيرة متفرقة ومن الاستحالة المتور على الأجزاء
المكتلة لها . وقد سلمنا بأنها تسمى أيضا إلى تاريخ حديث نسما ، ولكننا
أحدنا معا ثلاثة أو أربعة منها كذا ذكر لزيارة المكان ، ولم نفكر فيها أكثر
من ذلك .

وقد استغرقنا العلم بأن يكون الدكتور بيرش Dr. Birch جالسا
في هذه اللحظة في غرفة مكتب القصبة بالمتحف البريطاني على بعد عدة
أميال ، مشغولا بفك طلاسم مجموعة من كسر الفخار المبائلة والتي أحضرت
جميعها تقريبا من نفس المكان (١) .

(١) نشره اسميل الدكتور بيرش في كتابه *Guide to the First and Second Egyptian Rooms* ومعهذه المجلد إلى المرفق المصربين الأولي والثانية وتم
طبعه على نسخة المسك البريطاني في شهر مايو سنة ١٨٧١ - ويؤلف من صفحاته
الاولية رقم ٩١ بالفرقة الثالثة ما يلي

« لقد اردنا استخدام قطع الفخار لتسجيل الأحداث في عصر الإمبراطورية الرومانية
حيث كانت إحصاءات مستلام الضرائب تكون على مثل هذه القطع بصورة جاسم الضرائب
في القديس أو يبين على حدود مصر . وقد بدأ استخدام هذه النوعية من الإحصاءات
على أيام الإمبراطور فسلبانيان حوالي عام ٧٧ ميلادية . واستمر استخدامها حتى عصر
الإمبراطور ماركوس أوريليوس والإمبراطور فيرونس حوالي سنة ١٦٧ للميلاد . ويظهر
منها أن عمودية القديس ورسمة الشهادة التي كانت تسجل في ١٦ مراجعة سنة ٧٧ ميلادية قد
ارتفعت إلى ٢ مراجعة منه ١٦٨ ميلادية بمعدل زيادة ثلثية . وكانت القيمة تسجل على
أقسام تسمى *vermen* ثلاث مرات في السنة . وكللت الضرائب تجمع بمعرفة حياء
الذين عليهم اسم *meddabak* وهم من الإغريق كما يبدو من هذا الاسم .

وكانت الضرائب في القرنين تسجل بصورة جاسم الضرائب المرفوعة ويسمى
Practores والواضع أنهم كانوا يعيشون في هذه الوهيفة منذ أيام البطالة -
وكانت كتابة للسجلات لتدوين مجموعتهم من المربين - وكانت لديهم عوالم وخرافات تسمى
Phylax - انظر من ١٩ من الكتاب المذكور أعلاه وفيما يلي نفس المؤلف الدكتور =

ولا تعرف شيئاً تقريباً عن الاعتماد العربي الذي انصب على هذه الشظايا التي يصعب قراءتها ، أو الأهمية التي حاربها عيسراً في عيون الباحثين ، أو القيمة المختلفة من اكتشاف بعض الإضافات في علقها عن طريق الصدفة . ولكننا بعد ذلك بـ ستة أشهر وثيقاً جديلاً ونسماً لغريب الضائقة .

لقد عرفنا أن المصريين قد استخدموا قطع الفخار بدلا من أوراق البردي لكتابة المذكرات الصغيرة . وأن كل واحد من تلك الشظايا التي التقطناها قد قسمت تسجيلا كاملا في حده ذاته .

ولكننا إذا كنا سنضعك لو ذكر لنا أحد في حينه أنها إيصالات ضرائب حكومية جنب على الحدود حلال فترة الحكم الروماني لمصر . لقد كاسد مكتوبة باليونانية لأن الرومان وضعوا الكتابة الإغريقية لأداء مهام هذه الوظيفة غير المحبوبة . ولكن الإغريق كان ينادى اللغة ، كما كان في الخط متخلفا . بحث انه لا يستطيع قراءة المكتوب عليها سوى القليل من الفلاسيفين البارعين .

وليس جميع الشظائيات التي وجدت في الدفتن إيصالات ضرائب أو أنها كانت كلها بخط يوناني ردي ، لأن التحف البيطاني يعنى العديد من الشظايا مكتوبة بالديسوطية أو الخط الشمسي . بينما كتب القليل منها بالهيراطيكية أي الخط الذي يتماثل به المنقوش والكهنة . ولم يتم بعد ترجمة النوعية السابقة ، ولكن لابد أنها تتضمن المذكرات في الأعمال . وعلايات خاصة قصيرة مما كان يتداوله المصريون في تلك الفترة .

• يريش من 18 عن كلمة History of Ancient Pottery وليست هذه المذكرات العامة هي الاسفل الأهمية العلمية الوحيدة التي مثل طبخا في التفسير . كما يوجد خمس لمخطوطات لرسية أنكرطه متحف اللوفر بعض قطع الفخار التي تسمى في الأسرة الثامنة عشرة . تتسم فقرات من الأبيلا كانت قد اكتشفت في ملبرد أبو هذه الجزيرة . ولا يعرف أحد كيف تم بنائها . ولا يظن حلق الفخار أن بعض التسابا الإغريق في البرومين قد مات في هذه الحقة للبيضة أثناء تلبية مهام وظيفته وذهب في أن يتركه منه في البره اشماد غومريوس الذي يجه .

ملحوظة صافية في الطبيعة الطفلة

تم العثور على قطع فخار من الفخار معيون طبخا أبيات من الأبيلا في أجراء متداولة من مصر والمصري منها (طوبخه الآن بملف اللوفر) طبخه شقيقة مثل إيصالات دفع الضرائب التي ذكرناها هنا . لقد وجدت الآن الجينات في مصر أو في أي مكان آخر . أما انفسها فقد تم اكتشافه في هذه السنة 1984 بمعرفة مستر طلفرت ديكن في مقبرة احدى السجلات بملف هوفرد بالبحر .

الألف قبل - ٢-٩

ولكن كيف تم الاحتفاظ بهذه الكسر الوثائقية عندما اختفت المدينة التي عاش فيها من كتبها ، والمعابد التي تصعدوا فيها ولم تترك خلفها أى أثر ؟ من الذى أتى بها ، قطع الفخار المكسورة على هذا الجانب المكشوف من التل ؟ هل تستطيع ادعاء انه كان يحتل هذا المكان مكتسبة لتسجيل الوثائق الصومالية ، وأن الاتصالات التي حرلت هنا كانت تستغل مكررة من الاتصالات التي تسدها دافعو الضرائب ؟ اليس من المحتمل أن يكون هذا المكان هو جبل العايلت Monte Kumbaole لمدينة القديمة ، حيث تأخذ جميع قطع الفخار المكسورة سواء كانت مكتوبة أم غير مكتوبة طريقها إليه أن عاجلا أم آجلا ؟

ومع استثناء شظية واحدة من المعبر الرومانى المواجه تقريبا لمدينة أسوان ، فإن بوابة الإسكندر للسطحة ، وتنتال منبتاح المهتم ، هما الأثران الوحيدان اللذان لهما أهمية أثرية على سطح هذه الجزيرة . ولكن حاذية الفنتين هي جاذبية الجمال الطبيعي الدائم ، وهي الجاذبية التي تبدو في الصخور وفي مزارع النيل والمياه الهادئة .

وتشبه شوارع أسوان شوارع كل مدينة طينية أخرى على شاطئ النيل . كما أن أسواق العاديات بها تشبه منيلتها في المنيا وأسيوط . والبيئة المحيطة صاخبة بما فيها من حقا وفنتيت وأقسامات مثل البيئة المحيطة بمدينة إسمنا والأقصر . وقد اختلستنا الأنظار إلى داخل المسجد الذي كانت تزدى فيه بعض الصفوات ولم ندخله . كان يبدو رطبا وطيفا وشديد الانساع . وكانت الأرضية مغطاة بالسجاد الداخى ، وقد تعدت من السطح مجموعات من بيض الحمام . وقد استقرنا من سوق العاديات بعض السلال والأطباق المصنوعة من التوبة وهي مصنوعة من نفس الجوى ونفس الصبغة ونفس الألوان ونفس الطرائف المشابهة لتيلتها التي وجدت في مقام طيبة .

وقد وجدنا نوعا غريبا من السلال البصية ذات النظار المقوس التي توجد عينات منها محفوظة بالمتحف البريطانى مما يدل على أنها مازالت مطلوبة في مسوان . إن صائس السلال لم يبدلوا في الطرازات ، كما أن المشترين لم يبدلوا في الذوايق منذ أيام رمسيس العظيم .

وعدا عنه خزانة صغيرة في دكان قريب من سوق الأحذية ، وقمنا في برالى الإغراء بانفاق عنت جيبيات في شراء ريش النعام الذى جلبه التجار القادمون من السودان إلى أسوان . وكان التجار يبيعون ريشة واحدة في

كل مرة ولم تظهر عليه الرغبة في معرفة الدبع . وكذلك لم نغيا نرى أيضا بهذا الأمر . وكانت المساومة طويلة في كلا الحاسين ، كما كان المتفرجون مهتمين بالصاحه ، وترعوا بالتطبيق على كل كلمة خاطرة - وفي النهاية حملنا حمل دراع من الريش القاسر الذي بلغ طول الواحدة من غاليينه ما بين اثنين ونصف الى ثلاثة أقدام . وكان بعض هذا الريش ناصع البياض ، بينما كان بعضه الآخر أبيض مع بقع بنية اللون . وكذلك لم يكن هذا الريش نظما ولا سجيما ، ولكنه كان بنفس الشكل الذي ورد به من أيدي صائدي النحل .

وكان أكثر المناظر إثارة في سمون هو منظر حسكر التجارب بالقرب من المرسى . مما تشاهد الأحيات مثل قروذ البايون ذات الأرجل الرفيعة ، وأفراد قبائل البشارية ذوي السمحات الوحشية ، وأعراب قبائل الصابئة ذوي الميول اللامعة والمقصور المسترسفة . والوبيين الفتوى الضخمة ، ذوي اللون البرومري . والواطهي من جميع القبائل والأقاليم ، من كردلان وسباد وصهارى بالهودا وضفاف النيل الأزرق والنيل الأبيض . كان بعضهم عاديا من القاهرة ، والبعض الآخر في طريقه الى هناك . وبعضهم قد انزل تماريه في المنطقة (قرية على الجانب الآخر من الشلال) ، والبعض الآخر جاء عبر الصحراء لكي يبيع تحصيلها على السفن في المحطة وكانوا يعيشون ببوارعها وقد صنع كل منهم نفسه في عقله الصغير المكون من أكوام الخبثات والمسدنات الخشبية التي تستخدم في تقبل البطائح ، مثل عكوث وسط عشه . وقد ردد كل منهم معه بضايه وكنته للقهوة وسجادة قديمة لكي ينام ويصل عليها . وقد أقام تركي صبور متبهم الوجه سقما من الحميم ، وأنت معه بكنية من جريد النخل . ولكنه كان غير منقاد للملذات وهو استثناء من القاعدة .

وعند مرورنا بالمسكن شاهدنا الحوض مجتسا . والبعض الآخر عابسا . وقد عرض علينا أحدهم تناول القهوة ، وكان البعض الآخر لرحبا أكثر من غيره ليرضى علينا محتويات طروده التي كانت عبارة عن حرم ضخمة من خلود الأسود والقهود ، وبلاط من الفل ، وزكاتب من أوراق الصنعة ، وأنياب الفيل المخضفة في الخيش ، والصبغ المتأثرة على الضفة الرملية . وكانت هناك عدة مئات من المالات التي سحتوى على الصمغ العربي وحده ، وقد حيطت كل بالة في غلاف من الجلد السمك . وربطت بسيور من جلد فرس النهر . وعند قرب حلول الشمس عندما اضلمت أنوار المسكن ، وجرى إعداد وجبة العشاء . صار لناظر رائع بما يكفي للتصوير ، فقد كانت الأنوار تلعب ، والفلل تنصق . وكان الأشخاص

الغريب ، يتبعون هنا وهناك أو يجلسون القرفصاء في مجموعات وسط
جاراتهم . وكان البعض يتنحرون قطاير مسطحة ، والبعض الآخر يقبلون
الشووية أو يحدسون الش . وقد أحدثوا تقيا وسط الرجال ، ووضعوا
حجرين متقابلين لحمل الفلاة ، ثم جلسوا حصة من الحطب وذلك ليعمل
المطبخ وتوفير الوقود . وفي نفس الوقت أخذت جميع كلاب أسوان نحوم
حول الممسك ، واستمرت ليلة في الأكسنة البريرية المختلطة مع السبع
التي تلا غروب الشمس .

ويجب ألا نسي إضافة أنني رأيت وسط هذا الزحام المتنوع أنثى
من مواطني الخرطوم ، كما قد قابلتها لأول مرة في المدينة ثم في
المسك . كانا يرتديان عمامتين حريريتين ، لونهما أبيض ، ويحرسانه
أنثى من قبائل الكشمير بلون أصفر باهت . وكان رأسهما المصفران
المتعاليان وعلامتهما الأرسخراطية المتناسقة تتناسب مع أنثى موعيات
أهل فنومسا . أما عيونهما فقد كانت مستطيفة ولا ممتدة ، كما خلت
بشرتها من أية قوالب حبشية وروفا ، أو موبية برورية ، فقد كان
سوادها حالكًا وبراقًا ورأينا . ولقد انقضا على أنثى لم تقابل أيدا مشبل
عدي الكناشي الوسيحي . فقد كانا مثل نموذجين محوريين في العاج .
ولم يطرعا لألام العالم ، أو يصانا بأمراض التفكير التي تصيب الإنسان
بالسحوب ، وإنما كانا يتوهجان بمباهج حياة الجنوب الدافئ .

وبعد أن استكشما جزيرة الفنتين ، وقلبا أمواا الماديات ،
تفرقت مجموعتنا في اتجاهات مختلفة . البعض قضى بقية اليوم في كتابة
المطالبات ، والبعض الرسام على رسوماته الكروكية . ثم قام ليبحث على
ذئب يميني في الخراب غوي وحدة عبقة في الجانب القوي من النهر .
لما الرحن الكسولة فقد ركب الجبال بشجاعة وسطى بها في الصحراء
الشرقية .

ومعتبر ركوب الجبال من المظاهر المادية في أسوان ، كما أن السفر
في الصحراء يقدم نفس المتعة التي يجنيها قضاة نصف ساعة على شاطئ
بحر القتاج في بحر جبل الثلوج Mortaroth Glacier ، أو تسقى
جبل مونت رودا ، أن الطريق المختصر في أسوان إلى قبيلة أو على الأكس
ركوب الدواب إلى محاجر الجرافيت . يشكل حرد من البرنامج الذي يضمه
كل لرجان ، ويعتبر مشاة الامحاز المتوج لكل منافع من سياج شركة
كوك . ويقيم الريان أنفسهم بهذه الرحلات الصغيرة على الخير بالكثير
سعادة وأكثر سرعة ، وهم في الحقيقة يحرسون على ألا يتجاوزوا طاقة

الحمل بقدر الاستطاعة . ولكن السائح السهل التائق يضع جبل أرمون
 سمي مصاحب الرحلة - انه يصح ضممن احتمالاته أن هذه الحيوانات
 دولت الأربع للرملجة ، محرو على ترك مهامها المعتادة لكي تجوب منطقة
 الحرم ، بينما تنلخص مهمتها في عمل البضائع التي تقو غ ذبل وبعد
 التلال . ولكن بعيدا في هذه المهمة الشريفة ، يجد أنها تستخدم في
 أداء مشابهة متجبة تهدف إلى تسلية السياح ، ولذلك فاسي لا أتصيب
 وأنا أرى هذه النوعية من الدواب وقد أصبح سوء الطباع عادة عندها .
 أنها تعرف أن لإحرامات كلها ذات طابع شعبي ولذلك فإنها تمنته معها
 بموجب هذه المعرفة ، وبالرغم من ذلك فهناك مميزات يتميز بها ركوب
 هذه الدواب ، لأنها أها سهل للاسنان مصرفة نوعية الفصل المنوط
 بأية مدة استكشافية منتظمة في الصحراء ، وهي في جميع الأحوال نتيج
 للاسنان أن يتعرف على مميزات الصحراء ومع ذلك الأحد في الاختيار التفسر
 للمحمل للقيمة) فإنه يشكل حكما مسبقا على مواهب الحمل .

إن للحمل فضائله الكثيرة التي تختص به والتي يجب التسليم به
 على الأقل ، ولكنها لا تظهر على السطح - ولما ذكر في أجنهم في الحمل
 يختزن في مدته مخزونا من تلك الطارح الذي يستحق عليه البناء ، ولكن
 هذا المخزون لم يهدف مقبته ولا طيحه . لأنها ما زالت قطبة . ولا هبار
 عليه بوصفه واحدا في دواب الحمل ، ولكنه يلقى اعراضات كثيرة كحيوان
 للركوب - وليس من المرجح فيه في المحل الأول أن نركب حيوانا لا يرفض
 قبط أن يركبه أحد ، ولكنه أيضا يمدى يورا قويا نحو من يركبه - ومع
 ذلك فهو يمتاز بحلاوة المعشر - امت تعرف أنه يكرهك من أول مرة تدور
 فيها حوله باحتيا من الكيفية التي تبدأ بها الصعود على سنامه . وهو لم
 الحقيقة لا يتردد في أن يبني لك ذلك بأوصيحه المصلحات ، انه يناديك
 في حرية عندما تأخذ مبيتك ، ويرجع إذا تحركت في لشرح - ويرعك
 في غضب إذا حاولت أن تدبر رأسه في أي اتجاه يخالف ذلك الاتجاه
 الذي يفضل - ولذا صمت على ذلك فإنه يحاول أن يرضي نفسك ، وإذا لم
 يزد هذا المص إلى نسيئة فإنه يرفد على الأرض .

والآن - فإن رغود الحمل وشامه بدلان على الحرم الواصب الذي يهدف
 إلى توجيه الأذى الذي يتألق لراكبه . وعندما يلقى براكبه مرمي للأمام
 ومرتج للصلب ، يضرب به الهواء ، ويصطم عبوده الفكري ، فإن الرأكب
 السبيء السط يتلقى أربع حرات ظاهرة ، كل منها أفسى من سابقتها وغير
 متوقعة ، ذلك لأن هذا السام ألقطيح يخط وضعا متجبا وغريبا ، وهناك
 معسل رائد فير مكي ما في أرجله يستحضره ليخفوق على الأسفل .

وعلى كل حال فإن خطواته أكثر تعقيدا من مفاصله . وأكثر أزعاجا من طياته . ذلك لأن له أربعة أساليب للسير . سير قصير يتدرج فيه مثل يدرج التعارب الصغير في بحر متقلب . وسير طويل يجمع فيه كل عظمة في جسدك . وهرولة تهبط منك الى مستوى الجوى . وركض يوردك موارد التهلكة . وادى انجيل أن الجريمة التي يعاقب مرتكبها بمعاذرة البقاء على ظهر الجبل لمدة ست عشرة ساعة متواصلة . يمكن أن تكون كفارة كاملة وكافية عن الذنوب لأنها عقوبة لا يرد الاثم لأن تكون وسيلة لإدانة أي إنسان حتى لو كان يعمل مائلا لذيلا .

وكانت هذه الجمال تقصى النهار بطوله على الضفة للاسوار . وكان يمشي على اللون . والفضي الآخر أبيض اللون . كما كان بعضها تلمست الشعر والبعض الآخر أبيض . وقد وضعت تزاريب في الصوف الرأسي اللون على رؤوسها كلها . وطرحت بعض السجايد على سروجها الخشبية بطريقة يجعلها تصلح للإقامة . لقد ركب وجهه القسطنط الجبال منذ ساعات وجلسوا فوقها في هدوء وأرجلهم متقاطعة . وقد شهدنا سلوكهم هذا باعجاب يخالطه الحسد . لما الآن وقد انتهينا في تواصلهم إلى شجاعتنا الذاتية . فقد أعدنا أنفسنا للعمل مثلهم . وكانت لحظة رؤية تلك التي لقنا فيها باختيار الجمال التي سنركبها . وقامنا لمجاورة مضاطر الصحراء . وأثار إعجابنا ما قام به الزوجان الصفيان من تبادل الوداع عند الرجوع .

وكننا لم مضينا في طريقنا . وكان هناك ولعل مثل شيطان صغيرين يتحان خطوات جبالنا . فبدأ يوم سلام بعبور الحارس . ثم وجدنا أننا ترتفع ومنخفض . وتنارجع . وتندرج للأمام بسرعة جعلتنا نصعد فوق المتجر خلال ساحية مبلوطة بالقمامة والبيات الرافعات والضاحكات . ثم انطلقنا إلى الصحراء . وكان طريقنا بالنسبة لتصف الجبل الأول يمر بين المسامير . أنها جبالنا طخنة يستخدمها المسلمون . جزء منها قديم وأخر حديث . وهي تقع حلف مدينة اموان وتغطي مساحة أكبر من مساحة المدينة ذاتها . وهناك عمة مجموعات من المساجد الصغيرة ترتفع فوقها قباب صغيرة . وجسمها متداعية كثيرا أو قليلا . وهي تقوم هنا وهناك خرائب أحجار القصور المتناثرة . وبعضها ممرل . بينما تجمع البعض الآخر في مجموعات تشكل منظرا صائعا للتصوير . وبينما تجمع أن كلا منها يغطي غير قديم مبلم . ولكن بعضها مجرد بشرية لتخليد ذكرى قتلى وشهداء مدفونين في أماكن أخرى . وهناك ثلاث من شواهد القصور البسيطة . متوهة ومحطة . وعقلوية . ومسبودة بعضها إلى البيض

الأحر فوق الكوام من الحجارة ، أو وضعت في شـكل الكوام مهدة •
 وأظهره المولى في مصلحتها مستدير مثل اللوحات النعوتية القديمة •
 عليها كتابات مسجورة • بعضها بالحط الكوفى يتجاوز عمرها ألف علم •
 وعندما تمسى الشمس في اتجاه الغرب ويستطيل الظلال • تحسب من
 من البحر السيق والروعة التي تحيط بـمدينة الأحوات • هذه التي تمتد
 في الصحراء المهجورة •

والآن • وبعد أن تركنا القاهر فادما نجه نحو اليسار فاصدق المسلة
 التي في الحجر، وهي تمثل المنظر الأساسي للمكان، ويمتد الأفق خلف أسوان
 صاعدا من جميع الاتجاهات بمرتفعات صخرية شاهقة وذات شكل يديع •
 ولكنها ليست بالارتفاع الذي يكفى لكي يظل عليها اسم الجبال • وكان
 القاع الرملى الذى تحت القدم جمالا تتأثر به الحسب • يسا عو متساك
 بشكل مريح • وكانت مجموعات الصخور الجرانيتية التى تتلى بالنقوش
 الحجرية • تظهر حياة هنا وهناك وتقوم مثل المعالم الأرضية حيث تشتت
 الحاجة إليها لأنه ليس هناك ما هو اسهل من أن يصل الأساس طريقه
 بين هذه المنحدرات الصخرية اللون • ويمضى تأنها مثل الاسرائيليين
 الناهين في الصحراء • وأجرا وبعد أن نمرجت بنا السيل بين الرماح
 لتتروجة ومالطى الصخور الأسطوانية وصلنا إلى مجموعة صغيرة من
 الصخور حيث توقفت جبالنا عند سفحها بأزدها • وهنا نرجلنا •
 وتسلقنا مسجرا قصيرا • ووجدنا الكتلة الصخرية الضخمة تحت أقدامنا •

ونظرا لأنها قطعت أفقيا فقد كانت ترفد نصف مدفونة في الرمال
 المنجرفة • ولم يظهر منها ما يفل عل أنها ليست منفصلة كلها وجاهزة
 لنقل • ويقول الكتب التي بين أيدينا أنه لم يتم قطع السطح السفلى منها
 وهو الضلع الجرانيتي الذى ترفد عليه • أما طرفها فقد احتسب •
 ولا يستطيع الإنسان أن يسير حولي متين قنما على السطح المظلم منها •
 ويعمل هذا السطح آثار الأذوات التي كان يستعملها العمال • وهناك
 أخدود مسطوح • بالثقب الثلاثة الشكل التي تبين مسار التناقص
 التدريجي في الحجم مع الاقتراب نحو القمة • وأخدود آخر يبين التناقص
 الجيـامى • ولو كانت هذه المسلة قد اكتملت لصارت أضخم مسلة في
 العالم • إن المسلة الطويلة للملكة حتشمسوت في الكرك الذى حـاصت
 أيضا من أسوان حسب ما ذكرته النقوش المرسومة عليها • يبلغ ارتفاعها

اثنين وتسمى قفصا - وتكعب سمعتها عند القاعدة ثمانية اقدام هي قمة (١) -
 أما هذه التي برقد نائبة في الصحراء بعد كان طولها سيبلغ خمسة وتسعين
 قدما وتزيد مساحة قاعدتها على احد عشر قدما وربما -

ولا يعرف الآن لماذا تركت هنا ، كما أنها لا تستطيع تخمين اسم
 الملك الذي كان سينقش عليها - وهل كان الملك قد أمضى في قلبه أن
 يقيم أصح مملة رأها عيون البشر ؟ وهل مات قبل جعل المسلة في كتلة
 الصخر ؟ أم أب الصل قد طردوا من موقع العمل مثلما طرد الملك عن عرشه
 بفعل المشاكل الحادثة العادية في ، تيوريا أو سوريا أو جر ما وراء البحر ؟
 وربما كانت هذه الكتلة الضخمة أقدم من رمسيس الأكبر أو أنها هي مثل
 جدانة أس الأباطرة الرومان ، ولكنه من المستحيل أن نحدد لها زما
 أو نخصص لها تاريخا - وهنا يتف علم المصريين الذي حل لغز أبي الهول ،
 عاجزا ، لأن المسلة التي في المحجر تحتفظ بسرها أما ، وتمسك به
 إلى الأبد .

ويساعد الاسماء المصرية القديمة في توضيح معالمها بين
 الطبقات الكثيفة من الحجر الجيري أو الحجر الرملي كما هي في مناطق طرة
 والسلسلة - ولا يمكن تتبع الطريقة التي يستخلص بها الحجر بمرحة
 أوضح مما هي عليه إلا في أسوان والحاسر هنا رغم أنها على نطاق ضيق
 بالنسبة لتلك الموجودة أسفل النهر إلا أنها أكبر جاذبية ، وليس هناك
 شيء يثير الاحساس في السلسلة أكثر من الأسلوب الذي كان يقطع به
 الحجر المرحل من قلب الجبل - أما في أسوان فإن نفس المادة مهي إلى
 نوعية أفضل ، ولذلك فإن أسلوب الاستخراج هنا أضخم تكلفة والصخور
 الصفراء في السلسلة تقطع إلى شرائح متثلثة مثل انتظام الجبس في
 تسباك بانيع الجبي ، وتحدد معالم المكان الذي يتم فيه العمل حوائط مرتفعة
 طبسا ، مع كمية ضخمة من الأنقاض - أما في أسوان فانه عند استخلاص
 الجرانيت للأغراض المحت فاجهم يطمون الصخر كتلة واحدة بالفك
 التقرسي المطلوب ، ثم يقومون بتشكيله بالتخلص من الروائد ، وليست
 المسلة الضخمة إلا إحدى العينات التي في المنطقة - وفي نفس المجموعة

(١) هذه هي الأبعاد التي وردت في دليل موراي ، أما لترجمة الإنجليزية المعجمة
 لكتاب مارييت ، وهو *Nécropole de la Haute Egypte* وترجمته النابيل
 إلى مصر العليا - فلانها تذكر أن ارتفاع صخرة جثثهموت يبلغ ١٨ اقدام وعبر
 برصا - انظر *The Monuments of Upper Egypt* ترجمه إلى الإنجليزية
 لوفس مارييت - لندن ، ١٨٧٧ .

من الصخور ، أو في مجموعة أخرى مجاورة ، وإنما عوداً منحوتاً دون استواء ، قائماً وقد وصلت ثلاثة أقدام منه وبضخامة نصف الأسطوانة التي أحد منها دليلك . وكان حديد تجويف عريب قطعت منه كتلة روم دائرية أقارت أوتاباكنا بسبب صخامتها . وفي أماكن أخرى ظهرت الكبل الصخرية وقد اتخذت شكل صندوق . وقد بحثنا في النوروس المهشم الذي ذكره هورلي ولكن دون جدوى .

ولكننا متأكدون من أنه الرمال المتراكمة قد انضمت أشياء أخرى التي من هذه . ومن المحتمل أن تكون النقوش كثيرة هنا كما هو الحال في محاجر الحماجر . ولابد من وجود صلة وعلاقة للغة الضخمة ولينا نعرف المكان الذي سكنت فيه عنها . ومن الممكن تتبع صلة الملكة حتشبسوت وبولويس العديد من الملوك المشهورين حتى مواقع قطعها في هذه المحاجر . وكذلك أحجار الطهمة الخارجية التي اكتسب بها حرم سكار رع . والكتل المكمية الضخمة التي بنى بها معبد الكباش ، وحرايط هيكل فيليب أريدايوس بالكرك . وقبيل كل شيء التثال الضخم بالرمسيوم وتمثال الحيوان الغرافي الغريب الشكل في تاليس (١) الذي يعتبر أضخم تمثال صحت في العالم . فلابد وأن يكون كل منها قد ترك المعجزة الضخمة التي سكنت منها بين الصخور القريبة . ولكن هذه تنسب أحياناً الحيات البحرية (في الأساطير اليونانية) أو البلاء أحيال رغم أنها ليست فوق مستوى الضخيم ، إلا أنها تقع ضمن الأشياء التي لم يتم اكتشافها حالياً .

أما مخصوص عملية القطع في المحاجر بأسوان ، فيبدو أن الكتل الحجرية المستطيلة الشكل قد قطعت هنا مثل الحجر الجيري والحجر الرملي السامر في أي مكان آخر ، باستخدام أدوات خشبية تنسب في تقارب صحت لأدخالها ، ويبدو أن تشجيع بالماء ، تنسج الصخر الصلب بقوة التمدد . ويبدو أن كل كتلة مأخوذة من الحجر تحمل علامات صعوب من تقارب الأدوات التي ذكرناها .

وسرردا في طريقنا بواحة صغيرة شاصداً فيها جيالا ومثرا ، وساقية مهجورة ، وسباحة من الشجر الأخضر بلوى الرمد . وبعد ذلك وكبنا

سـ (١) للإطلاع على قصة اكتشاف هذا التمثال الضخم وطائيس أجزائه المختلفة ، انظر الجزء الأول من كتابي Tania تأليف العالم و . م . فاندر بيري - القصة للكتن ، صفحة ٢٦ وما بعدها - طبعة جمعية استكشاف مصر E.E.F. سنة ١٩٨٥ .
(ملاحظة مشابهة في الطبيعة للقافية) .

الحجر عائدتين إلى صواحي أسوان ، حيث يملك أن تسمى إلى منغش
صغير في الأرض على حافة الصحراء صعدا صديرا نصف مدفون من العصر
النسطري - وما زالت آثار الألوان ظاهرة على القرص للتحج الذي تمت
الادريس - وعلى بعض النقوش البارزة المشوهة على كلا جانبي المدخل -
ولم تحاول القبول لاسا وجدا داخل للمعد خلاصا بالمحلفات ، ولذلك
ابتعدنا دون فن نزل من الحجر .

والتي ، مزال ضوء الشمس باقيا لمدة ساعة . وعقدنا البية على
الصعود إلى قمة أقرب نل ، لكي نشاهد غروب الشمس ، وهو ابتكار
لم يسمح به أحد من قبل ولذلك فقد حلق بينا الأولاد الذين يهودون
الجمال - وهروا رؤوسهم واعترضوا فائلي . « ما فشي مكة » أي لا يوجد
طريق - والواضح أنهم اعتبروا مجانب - وزرعت الجمال بصلابه اقدامها
السرعة في الرمال ، وحاولت أن تعود - وعندما اجبرت على الاستسلام
لضغط الظروف ، صارت تسببا طوال الطريق . وهذا وصلنا إلى القمة
وحدا أنفسنا منظر إلى جزيرة الفتي بنا ذبيبا النيل ، والمدية ،
والصعيات التي تحت اقدامنا . وقادنا أطالة حافة سلسلة الجبال التي
كنا نقف عليها إلى مرتفع آخر يتوجه قبر متهم ، وبدا المنظر كما لو كان
هو منظر التلال - وعندما رأى الأولاد الذين يهودون الجمال أننا نستعد
للاستمرار في السير - اندلعوا في ثورة غضبهم مترضين ، ولم يفسح
جدا لتبردهم الصريح سوى صبا سلام الكبيرة - واستتب تقسنا يصاحبه
عدم الرضا ، وصممنا على مجابهة قمة تالعة ، وسار الأولاد في تلال
وهم يتشعرون باليأس وقد كجست وجوعهم - وكانت الشمس تتجه
للمغرب ، بينا كان الطريق منعفرا وصعبا - واقترب حلول الليل -
وأذا اختار الخواجات أن تكسر أعناقهم فالأمر خاصي بهم ، أما إذا انكسرت
أعناق الجبال فمن الذي سيفتح ألمانيا ؟

وقد عبروا عن بعض هذه المعاني بكلمات عربية ، وعن بعضها
الأخر بالإشارات . وكانت تلك هي أفكار هؤلاء الشبان النوبيين .
ولم تكن الجبال نفسها بأقل منهم حميا - فقد صرت على أسنانها ، ولحرت
يانوقها . وزعمت مكترة عن أنيابها ، وعارضت كل قدم من الطريق -
أما عن حبل (وهو حيوان ثقيل الحركة وشديد الاستخفاف ، ويعيش
تقذفان بالشر ، وأنه روماني مائل) فادى لم أر في حياتي كلها جبلا
مثله يلفظ بأشد عبارات اللقمة بقاة !

وكان النزل الأخير حيريا شديدا الانحدار ولكن المنتظر من فوق
لحمته كان رائعا - لقد فرما الآن بأعلى نقطة على السحابة التي تفصل وادي

الليل عن الصحراء الحرة (الشرفية) . وقد ظهر الضلال الذي أخذ يتسع
مرحلة بعد أخرى ، ويتلى - بالجزء الصغيرة الصغيرة التي لا تصحى ، كما لو
كان بعبية وليس هراء . ولم يستطع أن يرى شيئاً من الصحراء القربة وراءه
المنحدرات الرملية المتأهلة ، ذات الحواف الذهبية التي تواجه مقسوم
الشمس - وكانت الصحراء الشرقية وهي متاهة سرامية الأطراف يقع على
حافتها خط متعرج من القمم القرمزية ، ممتد شرقاً نحو الأذن اليميد ،
وأحدنا نظر إليها كما لو كنا نطير إلى خريطة باذرة المعالم ، أما مقابر
المسلمين أنى تقع على بعد حوالي خمسة أمتار قدم إلى أسفل - وقد ظهرت في
حجم لمب الأطفال - وقد عرفنا ونحس بنظر لل اليمين ، من فتحة واحدة
منسمة متجهة إلى الجنوب ، ذلك الموضع القديم للنهر ، الذي يقوم حالياً
مقام الطريق المجلوى بين مصر وبلاد النوبة - وقد حدثت الطريق إلى فيلة ،
بعض التخللات البعيدة التي تقع في مواجهة حلقية صحيرية على حافة
الصحراء .

ولم نفس الوقت كانت الشمس تتجه بسرعة نحو الخيب ، وتشتغل
الأشوار لونا قرمزياً ، والظلال تستطيل ، بينما لف الصمت والوحشة
كل شيء ، لقد اتصتنا ولكنا لم نسمح أية صيحة من الضلال - وبحثنا
عن مصدر السلسلة دون جدوى ، فلم يكن سوى مجموعة من الصخور بين
المجموعات الأخرى وهي الصعب التعرف اليه من هذه المسافة البعيدة .

وفي تلك اللحظة ظهرت مجموعة مكونة من ثلاثة أو أربعة أشخاص
يركبون حميراً ومادية صغيرة ويدورون بين القبور ، ثم اتصلوا الطريق إلى
فيلة . كانوا بالنسبة لنا مجرد نقط صغيرة متحركة ، ولكن الأولاد ذوي
الأبصار الحادة الذين يسوقون حمالاً ، عرفوهم سريعاً بأنهم « شبيخ
الضلال » وحاشيتهم - لقد حملت ذهبات كثيرة إلى الضلال . وكان الرجل
الجميل القدر الذي قضى النهار في أسوان يقوم بالزيارات والمتنقشات
والمساومات ، وعالداً لقضاء الليل في منزله بالمطاسة - وراقب الركاب
المتقهرين لمدة دقائق ، حتى نظى الفسق القفص القفصية مثل البيضاء
وأخرجها في الظلال المظلمة .

وسرعان ما احتفى الضوء خلف المرتصفت عندما عرفنا آخر حافة .
ونزلنا آخر جانب من الضلال ، ووصلنا إلى السطح المستوي الذي بدأنا
منه - وصارنا فابلنا مجموعة القسطنطين مرة أخرى - لقد ركبوا إلى فيلة
وعادوا من طريق الصحراء . وكانت ملابسهم شديدة الاتساع .
ولما شاهدناهم دخلوا حمالهم بالخطوة السريعة ، وتظاهروا بأنهم
يحيدون هذه الطريقة في السير . وقد أخرجت أساور الرجل الكسلا

والكبدية على السهاده واسعه ودعما جملتهما لتسير بنفس الخطوة السريعة ولم يفصحا عن صغوره السر هذه الخطوة مظهر من أن هذا هو الثاني استوكمي للجمال الذي تصرف بشكل عصبي ، متمسك بالعصائل الاسرطعية وإذا لم يكن هو نفسه بطلا فإنه على الأقل يدفع الآخرين في طريق الخطوة .

وعندما وصلنا سوان كان الليل قد ارجى سدوله . وكانت جسيح لدهى مضياء ومسيطة على قدم وماء . وكان المدحس واحتساء التهوية مسمر من خارجها ، سيما تصاعدت أصوات ابوسيمي والتصحك في راحتيه . وكان هناك بين خصوصي صبح على الجانب الآخر من الطريق هرس بالأنوار كما لو كان ماعلوه يدفعون بماسه ساره . كانت الأعلام تطير على المنطح بينما اسفل رحلان في تركيب يقطع علوة على المدخل . وقد سألنا كما هي العادة عما اذا كانت الاستعداد داب بحري لمعد احتفال بالروح أو احتفال موسيقي ، ولم يظهر أية علامة من على أنه هذه كانت علامات الحفاد ، وأن رب هذا المنزل قد مات خلال الفرس ما بين خروجها وعودتها على ظهور الحمار . وفي عصر التي كانت تعتبر عساهه الأسلاب وحفظ الأجساد مخطئة في يوم ما ، حين اواجبت المقدسة التي يقوم بها الأحياء ، يعمل المهرود الآن عملا عشائريا كما كان يحدث في الماضي بالنسبة لسمت . كانوا يقولون انه سمدني في صباح الهد بعد شروق الشمس ثلاث ساعات .



الجمال في اسوان

الفصل الثاني عشر

الشلال والصحرَاء

عند أسوان يردع الأسوان مصر ويخلل النوبة من حلال بوابات الشلال . وهو في الحقيقة ليس شلالا بل سلسلة من الجبال تمتد بطول ما يريد على تلتي المسافة بين حريرتي الفستق وفلة . حيث تحول النيل عن مجراه الأصلي بسبب بعض الموائق التي لا تحصى . والتي كاسب طبيعتها سببا في ظهور انحرافات عملية كثيرة . ويستمر النهر هنا فوق حرمى صحرى تمتد على أحد الجانبين مشجرات وعلية . وعلى الجانب الآخر صخور جرانيتية . وسفح جرد صمغية تفوق الحصر . ويتفرع إلى عدد كبير من القروص . ويعيش على الصخور الفائرة . وينور في شكل دواخل حول الصخور التي تطبقها المياه . فتارة تجد المياه مسجلة . وتارة أخرى عميقة . وتارة بطيئة . وتارة أخرى سريعة . وهنا يرفد في عمق صحفر رمل صلب . بينما ينور هناك فوق دواخل غير ظاهرة . وتستطيع إذا ترى النهر سواء من فوق سطح النوبة . أو المرتفعات التي بطول الشاطئ . وهو يعنى طريقه خلال مناهة لم يرسم مجراها مد على الخرائط ولم يسمح بها أحد .

وتحدد هذه الممرات صعبة وحظيرة في كل مكان تمر به . وبذلك الشلال وحده مفتاح هذه المنطقة . وفي وقت الفيضان عندما يصبح كل شيء مغطى بالماء اللهم إلا الصخور الشديدة الارتفاع . تصبح الملاحه سهلة مما كما هي في أي مكان ولا تجد أثرا لمقالب الشلال . ولكن مع انحسار الفيضان وظهور المسافرين مره أخرى . يعود الشلال إلى ما كان عليه . وهنا تسحب النسيجات فوق هذه الحتال الفائرة بفرد دوح الجمال والصيلات . ويوجه بهارة للمودة خلال الفتحات المحفورة بالصخور والتي تقل بالمريد فتصبح شمله الشاغل لفتحة حلة أشهر كل سنة . أنه عمل ضاق ولكن يقابله أجر مرتفع . وترداد الأرباح دائمالا لأن هناك ما يبي أربح إلى حسبي ذهبية تأتي اليه في الأمرة ما يبي شهري فوسبر

ومارس ، حافلة سيلاً كبير من السباح ، وفي نفس الوقت تجد أن الحوادث نادرة الوقوع ، بينما تنجس الأسماك نحو الارتفاع باستمرار ، ويضئ أعراب الفلال ويسا لا بأس به عن طريق احتكاكاتهم الفردية (١) -

أما منظر الفلال الأول فلا يضاهيه في العالم كله إلا منظر الفلال الثاني ، أنه جديد وغريب وجميل ، ومن الممتع أن نلهم لماذا كتب عنه السباح عامة بمنزل هذا الإعجاب المخلود ، فمن الواضح أنهم تأثروا بقوة المياه ، وبغاية أشكال الصخور ، ووحشة وروعة المنظر الطبيعي بوجه عام ، ولكنهم تأثروا بما تأثروا به منظر الذي يفوق الخيال .

ويصبح الليل هنا فيصبح مثل البهجة ، وبعد صعوبة في وصف ملات الجمر التي يضي بها ، ولكنها لا تبالغ إذاً لنا أنه لا توجد منها جريزات متشابهة ، وتكون بعض هذه الجمر كتلة فوق كتلة ، وعمودا فوق عمود ، وبرجاً فوق برج ، كما لو كانت قد صممت بيد الإنسان مثل الصخور التي في طرف أراضي كورنوال (٢) -

وترحس بعض هذه الجمر باللون الأحمر بسبب الحشائش ، بينما يزخر بعضها الآخر باللون الذهبي بسبب متحدرات الرمال المجرعة ، وبعضها الأحمر مروج بصفوف من مياه الترس المرصصة بالكوارثا القرمزية والبني ، بينما تحول بعض منها إلى مجرد كلال صغيرة من قطع الحجارة ، وتنتشر قمم الصخور الخطرة هنا وهناك ، وتقع فوق واحدة منها صخرة مستقيمة متعرجة بارزة كما لو كانت قد وضعت هناك كصليب تذكاري لتاريخ معين ، أو لتعديد الطريق إلى خيمة - وتبرز كتلة صخرية أخرى من الغد ، مربعة ومركزة في السباح كاحدى القلاع ، وتحدد كتلة تالفة كما لو كانت هي الظهر الميل لأحد الوحوش البرمائية الذي يرمع ما يبدو أنه رأس متوج بالقرون فوق مستوى سطح الجنادل . ويصبح هذه الكتل والصخور المجيبة من الجرايت ، بعضها أحمر ، والبعض الآخر قرمزي ، والبعض الآخر أسود ، أما أشكالها فهي مستديرة

(١) أن أريد حركة المراكب بشكل مسمى قد غير أحوال كل من في النيل منذ كتابة هذا الكلام ، قال عبد المهيمن المتخصص ولكن بالصدفة لهذا النوع يستفيدون من هذه المراكب والتيين يربحون في الحصول من الرحلة على أقصى درجة من الاستمتاع ، والتمتع ، والاضطلاع ، فليس شكلاً بتفصيل الدخيل (طبيعة متفانية إلى الطبيعة الثانية) .

(٢) كورنوال مقاطعة في جنوب غرب إنجلترا تبلغ مساحتها ٢٦٠ ميلين في ١٢٥ ميلاً مربعاً - (الترجم) .

يسبب توالى العصور . أما الصخور الثرية من الحافة فتعكس صورة السماء وكأنها مرآيا مصنوعة من القلود المصقول . وفوق هذه الأسطح اللامعة تظهر هنا وهناك حرايطى ملوكية ، وقنوش هيرغليفية مسطحة كما لو كانت قد نقشت بالأسى . وقد كلى القليل من هذه الحجر مجموعات من النخيل - ولزادات أصل هذه الحجر بأنحجار الصبغ والأثل ونخيل العموم ونخيل الملح وأنحجار الطرحة ذات الفروع المتناثرة مثل ريش الطيور . وقد نشأت كاه هذه الأشجار تحت مظلة معلقة من النباتات الراححة ذات الأرحار المستقر . لقد دخلنا الى هذا الأرحيل الخراضي في صباح يوم أحد مفروق مع هبوب رياح مواتية واهربنا ضد التيار بسرعة منتظمة حتى اجتمعنا على أسوان وبركنا القتيق حطفا . وبعزنا ما وجدنا أنفسنا في وسط البحر . ومن تلك اللحظة أعلقت كل دورة للمعدة نكتف على وجهه بحر جديدة . وجلسنا على سطح الذهبية للفرحة على باعروا متحركة . وكان هذا التباين في الموضوعات بلا نهاية لأن هذا المريج من الشكل واللون ، ومن الضوء والظل ، ومن المنظر الأمامي والمسافة ، دائم التغيير . ولم يتطلب الأمر لاستكمال المنظر الذي يفرى بالتصوير الا قارباً وبضعة الراد ، ولكننا لم نر في كافة هذه القنوات ، وبه جميع هذه الجرد أية علامة تدل على وجود كائن حي .

وفي نفس الوقت فإن شيخ القلال - وهو موبى كهل . مسطح الوجه ، وذو عيني كمبون الأسماك ، وقد ربط رأسه ببنديل حريري قدر ذى لون أصفر ، جلس وحيداً في مؤخرة السفينة وهو يدخن نرجيلة طويلة في حلال مهيب ، وجلس القرفصاء خلفه خمسة أو ستة غرباء متجهي الوجوه . وتول قيادة النفا عامل جليلد أسود اللون هو المرشد الذي سيقدنا في منطقة النوبة . وقد أصبح مسئولاً عن سلامة الذهبية وكل من عليها من أسوان الى وادي حطفا ثم العودة الى أسوان .

وقد سرت بين البحارة عبارة عامة تحذرننا من الاقتراب الشديد من الجبل الأول . وكانت هناك سلسلة من الجرد الصغيرة تنمرفس طريقنا رأساً بطول النفا مثل سد صغير يتحكم في مجرى النهر . بينما يتفرع النهر الى ثلاثة أو أربعة مسارات طويلة تنفخ فوق المنحدر ثم تنجد مرة أخرى عند التقاع في مفاق عاصف .

وفي البداية ظهرت لنا استحالة الوصول الى جزيرة لينة فوق هذا الجبل من المياه المتعقة . واستمر عامل النفا في عمله ملتزماً بالإستمرار داخل أوسع القنوات ، كما استمر الشيخ في التحدث وهو رايت البحاض

حول إلى يرقع النليسون عن فيه . وهو يردد كلمة واحدة (روح ا)
أي (تقسم ا) .

ومع ابتداء من رأس الشبح . امتلأت الصخور سريعا بالمواطين .
لقد كانوا مضطحين حتى الآن في كافة اسواق الاماكن غير المنظورة .
وقفروا وهم يصيحون ويستخدمون الاشارات . وقد حملوا لفائفهم من
البحال . ثم قفروا في مياه التخلل حيث انثروا بيضا من المياه مثل
كلاب البحر . وكانوا يتقافرون مثل قطع الفلين . وهم يرضون هليسا
استمرضا للقوة كما لو كانوا سيحدثون الى اهل شلالات ساجرا . كان
المنظر مثل دفات المسرح . وشبهها بظهور فرقة معارفي الالب في مسرحية
دونا ديل لاجو Donna del Lago مع طلب البقيش في الغلظة .

وكان المنظر الذي تلا ذلك منها للفاية . لقد حملوا حبلهم من
الذهبية الى اقرب حرية وتبوعها في السخود . كما اوسلوا حبالا بين
الحريرة الى سطح الذهبية . وكان هناك صفان من الرجال على السطح .
وصعدان آخران على الجبل . وقلعوا حبيبا بترتيب أنفسهم وهم يغنون بطول
المسال . واضطى الشبح الاشارة وبدأ سحب الذهبية عن طريق حبلهم
يجذبها هناك الصفان من الرجال . يسحبهم الاشداد بصوت مرتفع .
وحركة تشبه الرقص البربري الذي يؤديه سيد ديو كوفيل . وهكذا
صعدت الذهبية ببطء وثبات . لقد قضينا ربع ساعة في صعود المتعذر .
ولكن بعت لنا هذه الفترة الطول من ذلك . وفي نفس الوقت كان الرجال
مدمجين في عملهم . وصار صوت اضدادهم اكثر ارتعافا . كما أصبح
سحبهم اشد قوة . حتى اندفع المركب احيرا . وسقطت فوق بعمرة من الماء
الهادي . سببا . وبعد أن قضينا ساعة للراحة . كررنا العرض ثانية ضد
تيار ضد قوة للسعود الى اعل لمسافة اخرى . وفي هذه المرة انقطع أحد
الحبلين فتساقط الرجال الذين يسحبون المركب مثل صف من اوراق
اللب التي مالت اطرافها فجأة . وتناحروا حول الذهبية قبلة . مستعبلين
النداءة التار على كرة السفينة . وفي حسي حقا ان العمل الآسر كان
مربوعا جيدا . ولو كان قد انقطع هو الآخر لتحولت الذهبية الى حطام
شبح التكل .

وبعد ذلك ترك مساعدونا البوبيون الصل . وقالوا ان القيد كان
صانعا . وعادوا الى منازلهم تاركين المركب راحية طوال الليل في البحيرة
عند قبة الجبل الأول . ووعده الشبح بان يبدأ رجاله العمل عند فجر
الثلاث فقبلوا بنا الى هناك قبل الغروب . وجاء صباح اليوم التالي

ولم يظهر أى رجل من الألق - وعند منتصف النهار تحرقوا بدوا يتظاهرون ويلتقون بأنفسهم فى الماء ، وتطرقوا لطريقته كسولته وعترانية من العفيدة لده ساعتين أو أكثر ونقلوا إلى موقع أفضل لمواجهة الجبل التسلال . ثم ذابوا بين الصخور فى مجموعات مكونه من فردين أو ثلاثة ، ولم يظهروا به ذلك - وأحسنا الآن بأن وقتنا وسودنا قد تبطلت بأسمهتار ، ودنا قررنا ألا نتحمل هذا الوضع أكثر من ذلك - وتكمل الرسام المرافق لنا بإبلاغ اعتراضنا للشيخ وإقناعه بنقل الاساليب التى يلجأ إليها ، وأصت إليه الشيخ ، واحد يحى ترجيلته ، ويهر داسه ، ثم احبب يامه توجد فى الشلال مثل فى مكان آخر أيام حط وأيام مصر ، أيام يمشى فيها الرجال بالرعبه فى العمل ، وأيام أخرى يميلون فيها إلى الكسل ، وقد حدث اليوم أهم أحسوا بالكسل ، ولا ذكرناه بأنه من غير المحول ان نضى ثلاثة أيام فى صعود حسنة أميال فقط من النهار ، وأن هناك حكمدارا فى لسلون ستصل به غدا إذا لم يستمر العمل بنشاط ، انتمس وهو كفيه بلا مبالاة وتشم بشى عى ، القصر ، ، والألق بدأ الرسام يقوم بدور عصى لأنه كان قد جمع لنفسه مجموعة كلمات عربية معتادة عن السحاب والشمس ، وقد دويها فى نوتة للعوده إليها عند الحاجة ، ، وقد اعتقد فى عدم امكانية الاستمادة منها فقد وجدنا فى الطريقة التى يصحها بها مادة لتفسيلىة - منظرنا إليها واعتبرناها لى حقيقه الأمر تسلية غير ضارة ، مثلما نظرنا إلى المسند الذى يعمل فى جيبه حول ان يحسوه بالرصاصى ، أو بلغيته الجديدة الخاصة بصيد الطيور تلك الذى لم يعرف مطلقا كيفية استخدامها .

ولكى شيخ الشلالضى إلى أبعد من ذلك ، لأن سخافة اجسامه تلك تنم أكثر الرجال تواضعا ، ولم يكن رسامنا هو أكثر الرجال تواضعا ، ولذلك أخرج النوتة من جيبه ، ومضى بأصبعه على الخط واستخرج تيميرا مناسبا ، وربما لم تكن لهجته صحيحة ولكن لم يخطئ فى أسلوبه أو قوة لفته ، وكلنا تأثرنا سريعا ، لقد فقد الشيوخ إلى قديم كما لو كان قد أطلق عليه الرصاصى ، وامتقع لونه من الغضب واندم بأن نفل قبلة فى مكانها حتى يوم الحشر لأنه مهما كانت الأسباب نانه هو ، رجاله لن يسامعوا فى توريكها قسما واحدا ، ثم انتمل صوته بالهالك ، وانتم تاركا أينا لحسونا .

ووقفنا مذهولين - فقد انتهى كل شىء بالنسبة لنا ولرئى شمسنا (أبو سبل) ، وإن نكتب اسماءنا على سفرة (أبو صير) ، أو لى طمشنا فى حاء الشلال الثانى ، فإذا نفل 5 حل يمكن مقاومة الشيخ أو استطاعة ؟

هل تحصل بالحكمة ، أو تقدم الرسام قريانا . وقد وافقت الأغلبية على التصحية بالرسام .

وغير تلك الليلة شعبا للنوم ونس يانسون . ولكن ، اطر ! لقد ظهر شيخ الفلال في صباح اليوم التالي عليه شروق الشمس بكل ابتسام ، وكل نشاط ، ومعها سيال لاجر لها . وقوة مكونة من مائة رجل . لقد أصبحنا الآن أعز أصدقاءه وأصبح الرسام أخا له . لقد استدعى حامي الفلال وما وراحا لكي يصعروا في حطبنا . وباستثمار ناله عمل كل ما في استطاعته لخدمتنا .

واقسم الترحمان أنه لم ير التوبيخ، يفعلون كما عملوا في هذا اليوم . لقد انهضوا على المسافة وانضموا يسحبون السفينة من الصباح حتى مساء . ولم يتوقفوا حتى عبروا بنا الركن الأحمر ، وصعدوا بسا آخر الجبال . وعندما استقرت بصيتنا أجمرا في الله الخال من المطيعة ، كانت الشمس قد غربت . وخيم الظلام ، وبدأ القسطنطين يغطي سطح النهر . ومع صيحة الرحيل تفرق الرجال الذين يبلغ عددهم مائتين وعادوا إلى ديارهم البعيدة .

ولم سرف بعد ذلك إمدا قيمة الميارات السبعة . ولو كانت هذه النوبة هي كتاب بروسجرو الذي غرق في البحر ، أو بردية تحوت السميرية وقد جرى مبيعا من قلاع النيل ، لما كنا ننظر إليها باحترام يتساوون ما لقيته هذه النوبة من الاحترام . وبالرغم من عدم وجود خط يحدد أين تنتهي حدود مصر وأين تبدأ النوبة . إلا أن جنسية السكان الذين يعيشون على كلا جانبي هذا الخط الوهمي غير المتطور ، واضحة كما لو كان المحيط يحصل بين الاثنين . فمن بين القرويين الذين يسكنون الفسائل توسلنا فجأة إلى عدم وجود شيء واضح يجمع بينهم وبين سكان مصر . اللهم ينتمون إلى تصنيف جنسي مختلف . ويحددون لغة مختلفة من أصول الطريقة خالصة . لالبدانيزون الذين احتضنوا حول قلعة عند مرورها الفسائل ويتخلفون عن مشاركتنا المصير من حيث سميتهم العائسة ، وأسمائهم نصف المصارى ، وقوتهم البدنية . ولا يستطيع الإنسان إلا أن يلاحظ أنهم ما زالوا حتى اليوم الناسا مبررين ومختلفين، وقد صنف المصريون القدماء جميع الأمم الذين يعيشون جنوب الحدود بحيث يشتركون في صفة واحدة بوصفهم « الجنس الكوشى الصحيح » ولم يثير الزمن شيئا من طابعهم منذ الأيام القديمة التي هزمهم فيها المصريون ، ولكن ذهبت إلى مفرداتهم بعض الكلمات العربية . وتضمنت قائمة اجتماعاتهم اليومية بعض مواد

الترف الحديثة مثل البغ ، والتهود والصابون ، ومع البارد ، ولكم ما والوا في غاليه نواحي الحياة يصيرون حتى اليوم متلبا كانوا يعيشون على ايام الزراعة ، يزرعون الجنس والقوة ، ويصنعون الحبة من التخمير ، ويصنعون الحصر والسلال من البوص المصروع ، ويحطون اشكالا بدائية فوق اوعية من سطح القرع المجفف ، ويحرقون الرمح ، ويرعون القوس والخشب الذي يرثه ال راحه ، ويصنعون الدروع من جلد التمساح ، والاساور من العاج ، ويمسكون حصر بالسنة ، ويولذون انفسهم على جذع الشجرة المعروق بمهارة عظيمة كما لو كانوا يجلسون في قارب المراكسات، وتدعك طريقة تحديقهم في النهر ذهابا وعودة وربما كان هذا السبيل الجريء للقارب اقلم من الاميرام - وبه ان شاعدا مسار الجنادل القليلة الأولى سعدا بالبرق في اللعينة وقضاء الوقت في الرسم حثا وعتاف على حدود الصحراء وفي القرى والحرر المحيطة ، ولا يوجد في كل بقاع حصر واللوية مطر غلي بالصور الصالحة للرسم افضل من منظر الشلال ، ولا به للفن ان يقضي هناك فصل الشتاء دون ان يستعد الثروة التصويرية المحروقة في هذه الاميال الخمسة التي تفصل اسوان عن جزيرة فيلة ، او بسلسلة الجداول الخالية الصعبة المتكررة المليئة بالصخور المتجمعة من شكل عجيب ، او المنحدرات الرملية اللعينة التي على حافة الماء ، او البحيرات الهائلة التي ترقد في وسط حقول الترس ، ومناطق زراعة القمح الرقيق والسواقي المختلطة بين اشجار النخيل وهي تنقي بالماء اقله دوراتها ، والاكوام الطينية التي تتجمع هنا في مناطق غامرة ، بينما تجثم هناك منزلة على المرتفعات التي مع الصخور وتتخذ حتى هذا اليوم شكل وانحدار البوايات الفرعونية ، والقوارب البدائية التي تجر في حطام حشية او التي تنكسر وتحب لوق الرمال ، وصخور الجرانيت القمرية والسوداء ، والأحجار التي تجرها الأمواج وتلطبها الطيور البرية في وسط النهار ، والصيد الذي ينشر شبابه لكي تجب في حرارة الشمس ، والحمائل والقوافل ، والمسكرات المتألمة ، وقوارب تلك الضائع ، والمراكب التي في النهر ، والاشكال الضخمة للأجسام الرياضية نصف المائية ، والسلة القاتمة اللون اللاتي يتزين بالزينة البربرية ومن سافرات ، وينزلق سرعة ، ويسبح حلقه انوارا طويلة الدليل ذات ألوان زرقاء غامقة - والحنائر المسننة ، والأشكال الصخر الدلالة مثل تماثيل برونزية حية ، وليست هناك نهاية لهذه الموضوعات ومئات الموضوعات الأخرى التي يمكن تصنيفها في مجموعات لا نهائية ، وهي جميعها صالحة للتصوير ، والتدوين ، والنظم في التصانيد لدرجة ان الانسلاخ يقتضي ان يقع في حقا تميلا ان هذه الأماكن تمثل ما هو أكثر من خلقيات جميلة ، وان النامي ليسوا مجرد تماثيل متناثرة وشملت

هناك لاسعاد الرسامين ، ولكنهم من لحم ودم . يسحبون وهم صمغون
بالأمل والمحاف والأحزان مثلنا .

وسكنى المحطة في أحضان خليج صغير وقد احضر لونها بعدل
أشجار الحمير والبحيل ، كما أخذ تصفها الحلى شكل جزيرة يصيب
ذراع من الماء يمتد ويلج مثل سيف تركي قنيدو بذلك من أجل الثرى
الى على النيل . انها مقر الشيخ الرئيس وهي أيضا عاصمة الضلال
وتبعد المارل قليلا عن الشاطئ . أما الخليج فانه مردح بالعوارب المحلية
من كافة الأجناس والألوان . ويردح الشاطئ الرمل بالريجال والحمام
والسما والإطفال والحمد والكلاب والبضائع والأكواح المزقة كل ذلك
من نفس الموقع مع الأعمدة والحصى . وهذه هي أسوان أخرى ولكن على
نطاق أوسع . فهناك العشرات من السفى . أما معسكر التجار فهو مرنه
في حد ذاته . ويبلغ طول الشاطئ نصف ميل . كما يبلغ عرصه المسحر
الى النهر ربع ميل . والحقيقة هي أن المحطة تمثل المياه ألثوام لأسوان .
وهي لا تقع تماما على أطراف الآخر للوادي العظيم بين أسوان وفيلة ، ولكن



التجار السودانيون في المحطة

عند اقرب نقطة يسكن الوصول إليها موى الضلال . ويفرع التجار
السودانيون بضائعهم هنا لكي يعاد شحنها الى أسوان . ولم نر بطول
النهر مثل هذه القوارب البوذية المخلفة ذات المنظر البيرى ، انها تبدو
تديئة ومهجورة مثل سفينة نوح ، وعلى البعض من هذه القوارب شرفات
مقوسة خارج مثلث النمرة ، بينما تميل مؤخرة بعضها الآخر مثل السفينة

الشراعية الصينية المسطحة الكماج . وقد كان معظم هؤلاء التجار يملكونه بالمحسة أيام المفترديك ، ويتقلون بين وادي حلقا والمسطحة متبل يستقلون الآن حيث يرعون بسانهم البشرية في هذه البقعة لكي يماند شخصه الى اسولن ، وادرا ما كانوا يبرزون التلال حتى في وقت الفيضان . ولو كانت الواحهم الخشبية القديمة القنوة تستطيع الكلام لذكرت له العديد من القصص السوداء الغامية .

وبعد ان مضينا من خلال القرية وحدايق النخيل ، ودنا من اتجاه شالي شرقي نهر الصحراء وصلنا الى منتصف المسافة في هذا الوادى الذي توهت عنه أكثر من مرة ، ولا يستطيع أى شخص غير ماهر فيه الجغرافيا الطبيعية أن يظن من أحد طرفى هذا الاسود الضخم الى الطرف الآخر دون ان يكتسب انه كان في يوم ما قاعا لنهر ولا يعرف لمنه كم من عشرات الآلاف من السنين مضى التبل في سبيل داحل هذه البقود الاصلية . ولا نستطيع له يذكر على صجرها . ولكن من المؤكد أن النهر كان يفيض متحدا هذا الطريق خلال المصور التاريخية أى في أيام امتحانات الخالت (سواى سنة ٢٨٠٠ ق م) والكثير من هذا الكلام يحتاج الى برهان يستدل عليه في بعض المقوش (١) اكنى تسجل أعلى

(١) ان اعم الاكتشافات التي اكتشفناها هنا والتي يلازم في مجاز - غير سلسلة من القنوس المصرية الى سبل اعلى ارتفاعات القنوس خلال سلسلة من المنارات تحت حكم اممات الثلاث وخلفات انها يبرهن على ان البحر قد ارتفع خلال الألفية الآلاف عام التي مضت أكثر من أربعة وعشرون قضا عرفت مستوى ارتفاعه الآن ولا بد ان ذلك الكج جده دحوال مختلفة بنفسها الفيضان ومطج الارض كله شمال وجنوب هذه البقعة . انظر خطابات من عصر الملوك ليمبوس (لكتاب الشمس والشمس) Lepsius's Letters from Egypt. الله مع تسجيل اعلى ارتفاع قليل كال عام في سنة بواسطة علامة تنج - سنة حكم ائلكه . خلفت في الحرايت ، سواء فوق احدى التلال التي تشكل احاسي القنوة او على صخرة خلسة على الضفة الشرقية او الغربية في اطلال مكان مسلمب لواء القنوس . وقد بقيت ثمانى حجرة علامة من هذه الامارات . كانت ثلاث حجرة مربعة في عصر موريوس (اسميات طلائع) بحصة في عصر الملكين قلنوس طلماء . لقد اوشطنا هذه الحقائق ذات الدلالة وهي ان البحر الارتفاع المسجلة سافرت مبرونة الى ، لذلك في سنة السنة الثالثة عشرة من حكم اممات وحده على القنوسات المربعة المبرمت بها كائن الارتفاع ١٧ متر (٦٦ قدم) اعلى من اعلى مستوى وصل اليه ارتفاع لنمو خلال سنوات الفيضان الحالي . وكانت كل علامة على البحر الشرقي وغرب طابك لسنة الخامسة عشرة من حكم نفس الله . تبين ان الارتفاع مدارل هو ١٤ متر (١٢ قدم) ٦٦ بحصة (كما في العلامة المنزلة على الضفة الغربية تبين انه في خلال لسنة الخامسة بلغ الارتفاع ٢٧ متر (٩ اقدام) فوق اعلى مستوى سبق الوصول اليه) من طابك ليمبوس الى البرونزير اهرنبرج Lepsius's Letters to Ehrenberg .

ارتفاع الفيضان عند منحه خلال السنوات الحديثة التي حكمها هذا الملك . ثم ارتفع النيل في أثيوبيا الى مستوى ٢٧ قدما رياته على أعلى نقطة وصل إليها في السنة الحالي . وانا لا أعرف ما فيه العلاقة التي يحصلها ارتفاع هذا الفيضان القديم بالنسبة للمستويات المسجلة في سنة أو بالنسبة لتلك المستويات المسجلة الآن ذاتها على شواطئه لينة ، ولكن الأساس يرى في لوحة واحدة بدون الاستعانة بالقياس أو علم مسجح الأتشار ، أنه لو غاص النهر في حوجة عظيمة تصل قمته الى ٢٧ قدما فوق أعلى أرض يخصبها الآن الفيضان السمرى ، فسرعان ما يمتلئ النهر من الصحراوى الطريق ويحول أسوان الى جزيرة .

ولابد أن النيل الذى أغرق الصحارى بطيئانه الحال على عصر الحضارات الثالث ، قد جاء عليه يوم في فترة أخرى تلت ذلك العصر فانخفض مستوى الفيضان الى درجة الجفاف . ومن المعروف أن تكون هذه الكارثة قد حدثت في وقت طرد الهكسوس (حوالي سنة ١٧٠٢ ق.م) عندما لحظم الحاجر الصحرى في السلسلة وأغرق منطقة النوبة التي امتدت حتى الآن دور حزان صمم ، وشلت الفيضانات الحيوية فوق سهول مصر الجنوبية . ومن الحلا استنتاج أن النيل مع هذه الكارثة قد حول مجراه لكي يتدفق في اتجاه الشمال ، ولابد أن ذراعا من النهر قد انقطع لنعته المجرى المنخفض والسابق الحال . في نفس الوقت التي جف فيه الفراع الأخير الذى كان منخفضا وذلك مع هبوط الفيضان كل موسم ، ولا يوجد أى سجل لهدا الحدث ، ولكن الحقائق تتحدث عن نفسها . هناك المجرى المنظم ، وهناك طس النيل القديم ، وقد دمر الجزء الأكبر منه في الزمان . ولكنه مازال ظاهرا فوق العديد من المدرجات والهضاب الصحرية التي تقع بين أسوان وقيفة . وهناك أماكن يجد فيها أن سطح الكنتة قد اجبرى كما لو كان ذلك بموصل الاندفاع الجبالى للنيام . وعند ذلك البحر فاضت موجات الحرب والتجارة في مكانها لقد أجه كل من الصاويين تميمس ورسميس إلى أرض كوش وقادوا جيوشهما عبر هذا الطريق . واستطاع شيباكا وهو على رأس القبائل الاثيوبية أن يشد هذا الطريق المختصر ليصل به الى عرش القرعنة وكذلك فان الفرستين الذين طاردوا الممالك بميادة تربية بعد معركة لأهرام قد اندمروا خلال هذا الطريق الى نطه . وفي نفس الوقت فان كل تجارة السودا قد انقطعت عن الطريق ولذا كانت قد انقطعت لحيانا بسبب الله والجزر الذى تحدته المربوب . ولم يمر أبدا هذه الأملاك الخمسة من الصحرا ، بدون مقابلة قافلة أو قافلة من الحاصل

السلسلة السوداء بالضفاف الأودية إلى جنوب السودان ، أو الكنوز الشرقية
في اتجاه الشمال .

ولس أسي مريعا القافلة الأنثوية التي فاعلتها ذات يوم أثناء
حروجا من المنطقة ، كانت تتكون من سبعة جمل محملة بأنثاب الفيل
وقد حرم كل سنة من هذه الأنثاب التي يبلغ طول الواحد منها أربعة عشر
قدما في حرم واحدة ، ووصفت داخل ركائب من جلد الجاموس الملقط
جهدا بالحيوط الخفية . وكان كل جمل محملا بصديق وصنع كل منها
فوق أحد جانبي السنام . ولابد أن القافلة كلها قد حلت حوالي أربعين
ونساء ناب . وكان يجرى إلى جانبي كل جمل نومي حامي القديس .
وتلا القافلة هذه صياد محروس داخل قصي حشبي وصحول فوق ظهر
جمل ضخم ومعه فطة يريه داخل سلة . وفي النهاية سمار حشبي أسود
كالصم يصل طوله إلى حوالي سبعة أقدام ، وقد ارتدى شالا مضامعا
وكان يلع إلى جانبه سيف أحمر ضخم ، كما وضع فيه حزامه زويا من
حسبات القرب السابع عشر المظلمة بالصدف ، مثل جسر اب سبس
الأمير دوريت . وكان هذا الحارب المزدكن هو حارس القافلة . وكان
الفهد السيد والظفة البرية قادمين لأجل الأمير حسن الابن الثالث
لؤلؤ العهد . أما الحاج فكان مخصصا للتصديق . ولم يجد منظرا يصلح
للتصوير اتصل من مظهر هذه القافلة التي تسبقها مسحب من التراب
المنار بينما يخرج الأفلاك من القرية في إثرها ، بشكل يصعب أدراكه .
وقد اشتقا لصحور جبروم لكي يرسمها على الطبيعة .

وتنضم الصحور على كلا جانبي مجرى النهر القديم بقوا
مروغليقية ، ويظهر تاريخ هذه النقوش مع غيرها مما وجدناه في المجاور
المجاورة ، فترة تتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف عام ابتداء من النصور
المبكرة للإمبراطورية القديمة ، وتنتهي بصور البطانة والقبصرة ،
أو بعضها مجرد بوقبات ، ولكن النمى الأحمر يصل إلى طول معتول
والكثير منها صورة أشكال الألهة والمايدين . وليس هذه النوعة في
مظهرها إلا مجرد نقوش حدادية سيرة الرسم وصغيرة بأهال .
أما السجلات التي تصورهما فهي من الغالب سجلات الطور ، كان المسافر
العابر ينظم آلهة الشمال ، ويطلب حمايتها ، ويسجل اسمه ، ويذكر
الرمي من رحلته . وكان المسافرون من طبقات ومصور وجسميات
مختلفة . ولكن الممارات كانت في معظم الحالات متشابهة إلى حد كبير ،
فهذا مواطن من طبقة يقوم بالغ إلى غلة . أو قائد على رأس قواته عائد
من غزوة في إثيوبيا ، أو أمير تابع يقدم حضوره للملك رمسيس العظيم

وارتباط قطعانيه بألهة المكان ، وكما بين حين وآخر نعتز على حرطوس ملكي وقائمة طويلة بالألقاب بين كيف ان الفرعون هو نفسه الصخر الذهبي واين رع ، والحمار ، والذي لا يقهر ، وشبيهه الآلهة . وهكذا .

وبما ينير العجب ان يرى كيف أرسب الملكية من عدة آلاف من لسين أسلوب الألقاب ، كما تفعل في أيامنا هذه ، لقد تسمى تسعة اعشار من المسافرين القدماء الذين تركوا توقيعاتهم على هذه الصخور بأسماء رمسيس أو نختمس أو أوسرباسين ، وكان البعض منهم طموحين فاندعوا لانفسهم أسماء الآلهة . وقد وجد أمير الذي كان محتهدا في العمل في اكتشاف النقوش سواء هنا أو بين الجزر ، بوجبات عند لا يحصى من ابومي الذين تسموا بأسماء آمون وحتحور (١) .

وتلا فترة ثلاثة الأيام التي قضيناها محجورين في الشلال . يوم رابع تميز بالهدوء الساحل حيث لم تكن هناك سمة هوا تملأ أشرعت . ولم يكن هناك مكان يقوم فيه الملاحون بسحب السفينة حتى انما لم يستطيع أن يحرك اللامام الا باستخدام العصي الطويلة التي تعبر في قاع النهر ولذلك مضى نصف النهار قبل أن ترسو السفينة في ظل احد اهر المقعدة التي تحمل اسمها .



معبد جزيرة الفراعنة

(١) للاطلاع على عبارات ومرجمات عدد كبير من نقوش سوان الجديريه انظر كتاب بيمبوس وعنوانه Dentmaler وللاطلاع كذلك على أحدث وأكبر مجموعة من النقوش التي كانت على محجور اسوان ولناطق المجاورة بها فيها النقوش شهر لدرجة براءتي السبع رجالة والفتيتي والصخور التي في جنوبه تسلسله الخ .. الخ . انظر أحدث كتب السير ولده م فليمنج وعنوانه عمل متصل كامل في عام سنة ١٨٨٧ . جسور سنة ٨٨٨ عن دار نشر Field and Tuer (مطبوعة - ساعة الى الساعة الثانية)

الفصل الثاني عشر

قبيلة

قبيلتنا حدة العلم على حاربة من قبيلة ، وليس للقارىء أن يحسب أنها اكتفيتنا بها بالتطلع الى بواماتها البعيدة بين البحر والأحمر ، ولكن على العكس فقد كنا سجد طريقنا الى هناك عند انتهاء جولة كل يوم ، لقد اخترعنا منها يربا من الصحراء ، وبخريا عن طريق المغرب ، ومن المسطة عن طريق المسر الواقع بين الصخور والنهر - وعندما أقول بأننا قد درسونا هنا لمدة ليلة ونهارين تقريبا ونرى في طريقنا جنوب النهر ، وعرى أخرى لمدة أسبوع عند وصولنا ، فإن ذلك يبين أنه كان لدينا وقت يسمح لنا باستظهار معالم هذه الجزيرة البديعة ، وأجمل الطرق المأدبة إليها هو طريق النهر ، فحينما نرى من سطح الشارب الجزيرة وغلبها أشجار الخيل ، تظهر أساطيسها وبواماتها وكأنها هي سراب يرتفع من البحر ، وتحيط بها أكوام الصخور من جميع الجهات ، بينما نسد الأفق البعيد ذات اللون الأرجواني - وكرتمع هذه الصروح المزينة بالنقوش فحينما نقترب فوق أمق السماء ، بينما يبرلق المغرب على صفحة الماء فيدنو منها وهو يتسق طريقه بين الصخور المتكاثفة ، دون أن تظهر عليها أية علاقه نك على الجحراء أو تكلم الرمي ، فكل شيء يبدو صلبا ومتناسكا ومتكاملا ، ولمرحة نخل أن كل شيء على حاله لم يتغير ، فلو سلطت إلينا سباتم الهواء الذي يلهه السمسم نضبات أغنية عابره ، ولو أننا لدينا موكبا من الكهنة المتسبلين بالأساس يشق طريقه وسط أحام الخيل وأبراج المعبد ، وهم يحملون زروق الآله المحبوب عن الأنظار ، لما كنا سنجد في ذلك غرابة .

وينزل غالبية السائقين في طرف الجزيرة بالقرب من الشلال وبذلك يصلون الى المعبد الرئيس من المخطف وحشاهدونه بترتيب عكسي ، ولكننا جئنا الأخرى بيجدفوق حول الجزيرة منجهين نحو الطرف الجنوبي حيث كان يوجد حرمى نكسم ينسخر بمدرج ال النهر - وسرنا محاذين لنضائف المتحدرة ، ومررنا بالمعبد غير المستوف المعروف باسم معبد

سرير فرعون ، وهو معبد طائلا اجتناب الفنانين لتصويره ، بالريشة والكاميرا حتى أصبحت صورة كل حجر فيه وكل ركن في النخلة القائمة عليها وأجام النخيل التي تخلقه مطبوعة في الذهن هذه الطقولة كمسورة أبي الهول أو الأهرام . وقد وجدته إنضم ما كنت أحسب ، لكنه لم يكن أقل جصا مما تولدت ولو بلمر حردلة . وعلى أية حال فلا تفسد ان يشمر بأن معبد سرير فرعون الحقيقي يعمل محل الصور المحفوظة في الذاكرة الصيقة التي نقيبه عثر الحمام والتي اعتاد الاساق حتى هذه اللحظة أن يحتزن فيها للناظر المشهورة على بأنه حتى الصور قد يطرا عليها نوع من التغير .

والآن بعد الركن مستظرا ، والنهر يتسع في اتجاه الجنوب بها الجبال وحرار الخيل ، وتلمس قطعة السفينة خرائب حتى قديم فانا بالصفة هنا شديدة الانحدار . ومصد فيمتح امام أعينا منظر عجيب . اتنا نلق على الطرف السفلي من فضاء يقود الى صروح المعبد العظيم . وهذا الفناء غير منتظم الشكل . ويطوقه على كلا الجانبين رواق من الأساطير . وهي أساطير غير متساوية في الطول . كما انها مقامة في زوايا مختلفة . وبعد يساهلة أن أحد الرواقين عبارة عن سر مطوي ، بينما يسك الآخر على صف من الجدران الصغيرة مثل رواق دير يلمح على صف من صوامع الرهبان . اما الأبنية التي أقيمت بها صفوف حديد الرواقين فقد أريحت قليلا ، بينما ضامع أسطون أو تاج أسطون صفا أو هناك . اما الصروح المزدوجة المتصل التي تقف في صفوف مستقيمة متقابل السلة وقد نحتها التناثيل المنحوتة فهي كاملة أو شبه كاملة تقريبا مثلما كانت في أيام البطالة القديس شيدوها .

وقد رحمت المنطقة التي بين الأساطير بقواعد من الطوب اللبن عبارة عن الأثر الباقي من قرية قبطية تنتمي الى الصور الأولى للمسيحية . وقد اتعدنا طريقنا بين هذه القواعد الى مقبرة الصرح الرئيسي التي يبلغ عرضها الكلي ١٢٠ قدما . ويبلغ ارتفاع البوابة ٦٠ قدما من القاعدة حتى القرمه . وهذه الأبعاد لا تسمى شيئا بالنسبة لصر ، ولكن الصرح الذي يعتبر صمرا بالقياس الى صروح الأقصر أو الكرنك لا يبدو هكذا في قلة . وليست المنطقة هنا هي صورة الكلام بل فيجمال . والميزة صغيرة بحسب أنها تنطلي منطقة تعادل مساحة قمة الأكرودول في أثينا . أما نطاق المباني فقد سنده حجم الجزيرة ، والأرض ما كما هي لمي اثينا يحتلها صمد وليس واحد موسط الحميم . بالإضافة الى عدد من الهياكل الثانوية . ويحل محل الضخامة هنا الرشاقة الكاملة ، والتعاسيب الرائع ، والعجيب

الرواق الكبير بمسجد جامع



المختلف والمتنوع في الأطوار ، ويطلق يضاهى إلى الساذج المصري علم انتظام التسميد وهو صفة تميز العبادة القوطية ، والذمعان الذي تتميز به العبادة الانجيرية .

وتساعد الآن بعض لحظات قاعة داخلية ، وهوأ قاتلها ، يفتح حلقه وهو آخر ذو أساطين . وعندما ترفع أنظارنا إلى النحت البارز الضخم الذي فوق رؤوسنا ، نرى الأشكال السرية المتعاقبة للكلوك والآلهة ، متوجين ، وجالسين على العروش ، يمشون أو يتخللون العبادة . وتبرهن هذه النقوش التي تبعد لأول نظرة وهي ليست لثقل كدالا عن المصروح على أنها نالت من الجهد مثل ما نالت من ميلتها في معبد دندوة . وقد نبتت من التحطيم هذه وهناك التماثيل التي تحمل رأس الصقر حورس ، ورأس البقرة حتحور ، بينما كانت الآلهة ذات الوجوه البشرية وملاحيمة . بدون عيون ، وبدون أنوف . وبدون أذان . وبدون أي شيء .

ودخلنا إلى القاعة الداخلية وهي على شكل مربع غير منتظم يحده من الشرق رواق مكتشف . ومن الغرب هيكل صغير في مقعته أساطين على نبتها رأس البقرة حتحور ، بينما يحده من الجانبين الشمال والجنوب الرواق الثاني والرواق الأول ، ويضم الست على هذه القاعة المربعة . بينما تقع دقة السماء في أعلى ، وترقد الظلال من أسفل ، ويظهر النسق رقيقا حول أقدامنا . وترقد الطلبة الأيدي في داخل الهيكل الصغير الذي بناء بطليموس الثاني (يوجتيس) وينتمي هذا الهيكل إلى الطراز الذي أطلق عليه شاميليون اسم ماميري (بيت الولادة) Mamiri وهو مكان شديد الغرابة ، مخصص للآلهة حتحور تمليدا للذكرى تربيته حورس . ومن خلال الضوء الياضت التي يتصارع على الحاجز والمدخل . ظهرت على الجوانب السوداء صورة إريس دوجة وأخت إوزوريس وهي فله حورس . أما في الخارج فله تيمنا على عوارض الحاجز قصة طهرته ، ومعلمه ، ونوه . كان يجري في حجر أمه الحائضه منحور عندما كان طفلا رضيعا . وعندما صار صبيا نراه يقف عند ركة أمه ، وينصت إلى موسيقى عارفة القيثارة (رأينا في القاهرة في يوم آخر ، ولذا عازي القيثارة يصرف كل قيثارة من نفس النوع بها أوتار معدية) . وعندما صار شاما كان يرتد الحبوب تكريما لإريس ، ويقدم صدقة مرسمة بالأحجار الكريمة إلى حتحور . أما إريس حله بأنها الطويل المرقوف ، وشفتيها الرفعتين ، وطمعتها الشامخة فانها تشبه إحدى الصور التمهنية التكريمية التي تعرف إليها ضمن نقوش المعابد المصرية . وقد تمثل إحدى الصور أنهم اللذين تسجلان زفاف كلبوباترة إلى بطليموس فيسكون .

وقد نقش على الحائط الخارجي لهيكل صغير مجاور كلبى
 سلوقيان ، وضع حول عميقها طوقان ، ويظهر عدان أيضا من صور
 شخصتين ، وربما كانا هما الكلبى المصلي لأحد كبار كهنة ملك

وقد نقس مقابل الكلبى وعلى نفس الحائط ثلث السبعة لشجرة
 هي القطن السود على حجر رشيد والذي كان لسيوس هو أول من لاحظ
 سنة ١٨٤٣ للميلاد وهو نقش غير مرتفع ومكتوب بخط واضح بخلاف
 ما ذكره أمير (بكل ما فيه من عصب بوصفه قرصيا من رجال
 شاصيون) ويستطيع القول بأنه كان محفوظا في حالة أكثر من جيدة

أما عن هذه نسخة من مرسوم رشيد الموضوعة على حائط ميدة بوصفي
 صورة طبق الأصل ، فهي نسخة ناقصة ، لأن من حجر رشيد عدان أورد
 بكل العناية الرسمة انتصارات وسجاء الملك بطليموس الخامس الدائم
 السلام والمنعم مصر ينتهى بالأمر بأن يكون هذا المسجل بالكتابات
 النورية والسنية والديموقراطية واليوبانية ، ويوضع في جميع معابد الدرجات
 الأولى والثانية والثالثة من كاتبة إلهاء الامبراطورية ، وتتميز النسخة
 النسخة التي من البازلت والموجود في المتحف البريطانى بكافة هذه
 الانتراطات ، يعرف النظر عما بها من كسور وتحطيمات (١) وعليها
 النسخ المكتوب باللغات الثلاث

A parer de l'histoire d'Égypte

(١) يورد حاريت في نهاية كتابه

- قصة حجر رشيد واكتشاف شليسين كما يلي :

« Déclaré le 11 y a 65 ans environ par des soldats français qui creu-
 raient un retranchement près d'une redoute située à Rosette, la pierre
 qui porte ce nom a joué le plus grand rôle dans l'archéologie égypti-
 enne. Sur la face principale sont gravées trois inscriptions. Les deux
 premières sont en langue égyptienne et écrites dans les deux écritures
 qui avaient cours à cette époque. L'une est en écriture hiéroglyphique
 réservée aux prêtres - elle ne compte plus que 14 lignes tronquées
 par la brisure de la pierre. L'autre est en une écriture cursive appli-
 quée principalement aux usages du peuple et comprise par lui. Celle-ci
 offre 32 lignes de texte. Enfin, la troisième inscription de la stèle est
 en langue grecque et comprend 54 lignes. C'est dans cette dernière
 partie que réside l'intérêt du monument trouvé à Rosette. Il résulte,
 en effet de l'interprétation du texte grec de la stèle que ce texte
 n'est qu'une version de l'original transcrit plus haut dans les deux
 écritures égyptiennes. La Pierre de Rosette nous donne donc, dans une
 langue parfaitement connue (le grec) la traduction d'un texte connu
 dans une autre langue encore inconnue au moment où la stèle a été
 découverte. Qui ne voit l'utilité de cette mention ? Remonter du
 connu à l'inconnu n'est pas une opération en dehors des moyens d'une
 critique prudente, et déjà l'on devine que si la Pierre de Rosette a

أما في قبله ، فانه بالرغم من ان النص الأصلي المكتوب بالهروغليفية والديوطيقية مطابقا حرفيا إلا انه يفسد النص اليوناني الأصلي ، وهو الذي يفسد حجر رشيد في المقسمة ، وقد ترك له مكان فارغ في نهاية لرحه صلة - ونحو تجعل اما استطعنا ان نميز هنا وهناك آثار الحجر

— acquies dans la science la célébrité dont elle jouit aujourd'hui — c'est qu'elle a fourni la vraie clef de cette mystérieuse écriture dont l'Égypte a si longtemps gardé le secret. Il ne faudrait pas croire cependant que le déchiffrement des hiéroglyphes au moyen de la Pierre de Rosette ait été obtenu du premier coup et sans tâtonnement. Bien au contraire, avant d'y essayer sans succès pendant 26 ans, Enfin Champollion parut. Jusque-là l'on avait cru que chaque des lettres qui composent l'écriture hiéroglyphique était un symbole — c'est à dire que dans une suite de ces lettres était exprimée une idée complète. Le mérite de Champollion fut de prouver qu'au contraire l'écriture égyptienne consistait des signes qui expriment véritablement des sons. En d'autres termes que c'est à l'écriture. Il remarqua par exemple que partout où dans le texte grec de Rosette se trouve le nom propre Ptolémée on rencontre à l'endroit correspondant du texte égyptien un certain nombre de signes enfermés dans un encadrement elliptique. Il en conclut 1. que les noms des rois étaient dans le système hiéroglyphique signalés à l'attention par une sorte d'écusson qu'il appela cartouche. 2. que les signes contenus dans ces écussons devaient être lettre pour lettre le nom de Ptolémée. Mais donc on supprimant les voyelles connues, Champollion était en possession de cinq lettres — P, T, L, M, S. D'un autre côté Champollion savait, d'après une seconde inscription grecque gravée sur une obélisque de Philae que sur cet obélisque un cartouche hiéroglyphique qu'on y voit devait être celui de Cléopâtre. Si sa première lecture était juste, le P le L et le T, de Ptolémée devaient se retrouver dans le second nom propre, mais en même temps ce second nom propre fournissait un K et un N nouveaux. Enfin, appliqué à d'autres cartouches, l'alphabet encore très imparfait servit à Champollion par les noms de Cléopâtre et de Ptolémée le mit en possession d'à peu près toutes les autres consonnes. Comme prononciation des signes, Champollion n'eut donc pas à hésiter, et dès la tour où cette constatation eut lieu, il put certifier qu'il était en possession de l'alphabet égyptien. Mais restait la langue, car prononcer des mots n'est rien si l'on ne sait pas ce que ces mots veulent dire. Ici le génie de Champollion se donna libre cours. Il s'aperçut en effet que son alphabet tiré des noms propres et appliqué aux mots de la langue donnait tout simplement du Copte. Or le Copte à son tour est une langue qui sans être aussi explorée que le grec n'en était pas moins depuis longtemps accessible. Cette fois le voile était donc complètement levé. La langue égyptienne n'est que du Copte écrit en hiéroglyphes, ou pour parler plus exactement, le Copte n'est que la langue des anciens Pharaons, écrite comme nous l'avons dit plus haut, en lettres grecques. Le reste se devine. D'indices en indices Champollion procéda véritablement du connu à l'inconnu, et bientôt l'illustre fondateur de l'égyptologie put poser les fondements de cette belle science qui a pour objet l'interprétation des hiéroglyphes. Tel est la Pierre de Rosette. — Aperçu de l'histoire d'Égypte : Mariette Bey, p. 189 et seq. ; 1872.

الأمر في الفراغ الذي كان من المفروض أن تكتب فيه السطور اليونانية ولكن لم يفتش حرف واحد منها على سطح الحجر .

وإذا نظرنا إلى هذا النقش في حد ذاته نأخذ لا نجد غرابة في هذا النصب ، ولكننا نطرح إليه مرئطاً يحذف مماثل موجود في نقش آخر يصعد عنه عدة ياردات ، وبذلك يصبح الأمر أكثر من مصادفة .

وهذا النقش الثامن محفوظ على صفحة كتلة من صخرة تشكيل جيداً من أساس البرج الشرقي من المصحح الثاني وهو بعد أن ذكر الأراضي التي أوقفها بطليموس السادس والسابع لصالح للمبد ، يسمى مثل الحجر الأول بالأمر بأن يغشى هذا السجل الخاص بالمنحة الملكية بالملك الهيرودوليفية والديموطيقية واليونانية - أي بطة الكلمة المنقصة التي كانت تستخدم لدى الفراعنة ، ولغة السامرة ، ولغة البلاط . وهذا أيضاً ترك المنحوت عليه ناقصاً حيث يتوقف النقش عند نهاية النص الديموطيقي تاركاً فراغاً للنص اليوناني . وهذا النصف الثاني يسمى أصلاً بقصودا ، وليس من الصعب إدراك الدافع لهذا النصف وهو أن لغة المجلس الحاكم لم تكن لها حجية بين الفئات النبيلة العريقة والكهوتية . وربما كان كلمة فينة الذين يحتمون بحريتهم البعيدة والمنزلة يملكون هذه الفترة دون خوف من الخصاص بخلاف احوتهم في الدلتا الذين أجبروا على الانصياع .

ولا نفهم من ذلك أن الحكم الإغريقي كان بالتالي غير شعبي فإن لدينا من الأساليب ما يدلنا على الاعتقاد بنفس ذلك فقد كان إلهام الفلاسفة

= ونضيف إلى ما ذكره هاربيت أنه قد اكتشف نسخة أخرى مكتوبة بالهلات الثلاث حينما كان يقوم بحفراته في عام (تانيس) سنة ١٨٦٥ ويوجد تاريخها إلى السنة المنقصة من حكم بطليموس يوجيني ويضمن للنص عقيد برنيس أبنة الملك والتي كانت لهما بعد (سنة ٢٠١ قبل الميلاد) وهذا الحجر المنقوش في مقفط بولاق معروف باسم صخر صان أو مرسوم كاتور ، ولو لم يكن قد تم اكتشاف حجر رشيد فلان كانا مستقلين أن مرسوم كاتور، ربما أصبح هذه هامليرون فيما بعد لاكتشاف مضاع للغة الهيرودوليفية ولا تكن هذا الاكتشاف للمسلم لم يتم حتى الآن .

لمعونة مشابهة إلى الطبعة الثانية ، ويحدث أن تل تبرزه سنة مائة نسخة ثلاثية من مرسوم كاتورب مطروقة والهيرودوليفية فقط ونقلت إلى متحف بولاق . وقد كانت مكتوبة هذه اللوحة الإعلان عن هذا الكثر العظيم وبذلك كان هو المنطق حتى أتى مرسوم قلنديز بترجى إلى هذه البتة بعد ذلك يظهر أن شهرين ووجد أن ملاحظات كل خبره لغوي بتايا الفنية الأثرية فوكراشيس الشهيرة والتي ظلت مجهولة لغزاً طويلاً . انظر كتاب بترجى ومقراته Wandt-die - الجزء الأول . فخرته جسيمة لاكتشاف مصر E.B.R. سنة ١٨٨٦ م .

المصري في الحقيقة هو مخلص مصر . لقد استعاد الاسكندر الاكبر السلام
 لمصر المصري ، وانتم البطلان يثبون الشمش ، وانصار الاسرة التي
 لم تحب الاحمال على الفراء فقط ، بل واحتوت امتيازات الانبياء وكرمت
 رجال الكهوت ، وذهبت الاوقاف للمساكين ، واستحدثت العاقد في مياه
 النيل . ولذلك كان من الصعب على مثل هذه الاسرة ان تفضل في كسب
 موت جميع الطبقات ، ولا بد ان كنهه ميله قد احتقروا له هو موسى
 ولكنهم في نفس الوقت كرموا احفاد قليم للفقير . لقد استطاعوا
 نصير الملك ، فانفخوا اسمه بحروف الهجاء الهروغليفية - وصورة
 مرديا ملاسي الفراخ التقليدية ، كما القوه متوجا بالتاج المزدوج اثنان
 عبادته لاله بلته الجديد . ولكنهم لم يستطيعوا ان يصنعوا او يصنعوا
 له . فقد كانت شيئا دجيبا سواء في لفظها او كتابتها ، وكان حرمها
 في الاماكن العالية يمثل شعارا للمبودية - فسادا تستطيع السلطة المحافظة
 الا ان تخرجه . وان تعامله كلما كان ذلك في استطاعتها ؟ وهناك نقوش
 اخرى في هذا المربع يجب الانسكان ان يلقى عليها نظرة ، وهي للوحة
 الاولى تيجان اساطين الرواق الشرقي التي لا يشابه منها اثنان ، والنقوش
 البارزة الموضحة التي فوق افرير الهيكل . ومن هذه الاساطين لجد
 مجموعة عربية جدا تشبه شجرة الانساب ، تمثل الصقر القنسي جالسا
 في وسط شجرة على شكل المروحة بين اثنين من المساعدين . اما المساعدان
 فاحدهما اسد جبنون على احد الجناحين ، والاخر اسد افراس النهر .
 وقد تمسك كل منها روجا من جرة صوف العراف .

والاى وقد عبرنا من مدخل السرح الثاني ، نجد المنسأ في مواجهة
 به الاساطين الذي رأينا له العديد من الصور التخطيطية حتى تخيلنا
 انها بمرقه ، وهذه المرفة التماوية لا تساوى شيئا في حسرة المعبدة .
 وبد احدنا المعبدة الشديدة كما لو كنا اول السياج الذين يضمنون
 اقداعهم في هذا الحرم الغلاب . وفي هذا المكان يبدو ان الزمن قد توقفه
 - ساكنا كما في مثل هذا القصر الخالد الذي احل كل ما فيه كالموم على
 مدى مائة عام . فن النقوش البارزة على الجوانب ، والمناظر المعقدة المنقوشة
 على السقوف ، والاثواب التي على تيجان الاساطين . كانت كلها مملوكة
 وواضحة بشكل لا يصدق عقل . لقد كانت هذه التيجان الرائعة هي
 المعبرة التي تسعد السياج في مصر على مدى الازمان . انها جيها
 ساحرة من اشكال الطبيعة مثل زهرة اللوتس في البرعم المنفتح ،
 والورد ، والنخيل . انها تكشف عن المهارة التقليدية ، وفي نفس الوقت
 تمتاز بالتماسك ما بين الارتفاع والمحيط الاسطواني للاسطون مما يعطي
 انطباعا بالرشاقة التي تقبل المبني كله . وهناك اللون قبل كل شيء .

أنه اللون الذي تركز في ورقة ويساطة في رسوم وانو ولاشرت وجود وهي
بوصه ساحرة . أنها الوعية المتدرجة الرقيقة ، وهي صورة طبق الأصل
من « سادى » التلوين ، التي لا تدل الفكرة البسيطة - كانت كل درجة
من درجات اللون ملغمة وممزجة ومتدرجة ، عالوان الوردية مرجانية ،
والبحر مندرجة بالورقة ، ومحصورة كالقفور ، مثل النصف الغربي
من المسلة في أحسية خريفية .

وفيما بعد عندما عدنا الى ديفة من التشالل الثامى ، خصصت الكتابة
الجزء الأكبر من الأيام الثلاثة لعمل دراسة متأنية لأحد أركان رواق
الأساطين هذا ، وجمعت هي صبر عجيب هذه الفروع الدقيقة التي في
طبقات اللون ساعية الى السيطرة على سر تركيبها (١) .

إن الرسم المبتق للطبوع من سفر على الخشب يمكن أن يبيى ما هو
أكثر من مجرد عمل نسخة .

ومن وجهة النظر المصاوية نجد أن هذه القاعة لا تقبى أية قاعة أخرى
شاهدا، ناهى حتى الآن بوصفها صليبة جدا ومتنوعة من الوسط نحو المسا
مثل الصيغة المركزية المتنوعة في منزل روماني . ولذلك فإن الضوء
المسحوح به يستل وأسيا في شكل بقعة مرصعة على الأرضية التي تحته ،
وينعكس على حنيات السقف المزخرفة بالصور ، وهناك حاجر أصل بين
الأساطين في الطرف العلوى . وتبين الجوانب الخمسة للأساطين المكان
الذي انضمت فيه الكتل التي توصل بينها - وكذلك الأرضية قد حطمت

(١) ولوحظ ترحان الأساطين هذه من المخطات الأولى لملحة القرون في أية حوث
مألوف يوجد بين القفرى والبرية المصنعة التي في دور الأساطين الكبير الواقع في الغرب
الجنوبي للجزيرة . . . بعض القلاع المنزلة التي لم يسد للبناء التي وهي ملونة بالوان
جديدة - انظر الى الزخرفة بالخرق التي على طرفي الاله فوق المنض التي في السطحة
الغربية ، والتمديدات التي على مسطرة من القرون الأخيرة التي تمتد قليلا نحو الشمال .
لقد رسمت كلها بمثابة في شكل حسيورات ولدت بالالوان الاصطناعية الفاتحة ، ونظمت في
تدرجات مرتبة مثل على المسلة المصبوبة والقرعة المتألمة ومن بين عدد الرسومات
التي سطحت في نكمتها كتلاخ لهذا التجار التكاثر والتصميم الذي جرى تنقيته بالوان
زاهية ، زهرة القرون التي رسمت بين اثنين من الأبرام وكيش صغير ممتد على
أرضية بالانين الأحمر الفاتح ، ومسلة من المسطرة المنصبة بلون أبيض على المسر بالانين
مع ثوب أبيض على اتفان وكلها وكتلة الكورن .

ولا يوجد على غسلى القليل بطوله - مثل كثر قايقة للدراسة وإثارة للحمية في
الطرفين ويقف رسم هذه القلاع المتعددة التي تسمى القلعة والرسامين منها ممتها .

منها اسمعير الخروف للولوة التي كانت سبطها وذلك بمعرفة الباحثين من الكتوز . وتيممته الكتل المكسورة وقطع الامر المصلحة على الارضيه .

وعمد هي العلامات الوحيدة الدالة على التخريب . وهي علامات لم تتسبب فيها اصابع الرمي ولكن اصابع المخرب . لما الباتي دور ملهم حتى اما تسميا ان تخرج افستنا لحظه بالاعتقاد من ان ما شاهدناه ليس الا عملا لم يلحق به ضرر . وان هذه الاصابع التي يرتكز عليها لم يتم انجازها بعد ، وان اجبار الخوف التي كانت تطبقها على وشك ان يتم تركيبها . ولن يمتحننا ان نجد هنا في صياح القذ المتناهي او المصورين وحده المطرقة والأرجل . وهم ينقلون هذه المجموعة من براعم اللوس والسجيل . ومن الصعب الاعتقاد بأنهم حينما همكون في هذا العمل هذه اثنتي وعشرين قرلا طمت .

يرى المشاهد هنا وهناك حيث جرى الاسلار بالاساس - ان الاصابع قد انشئت من كتل مسخرة ، فشلت من جديد اكثر قلحا - بينما يرى على ارتفاع حوالي ستة اقدام من الارض صليبا من الطراز اليوناني ، مسجورا في جانب قصبة السهم التي ترتكز على عمودين علامه على ممارسة العبادة المسيحية . ذلك ان الاقباط الذين احاطوا القاعات والاقبية باكواحهم تسربوا ايضا الى المياد . وقد هتموا بضمها للحصول على مواد البناء بينما استولوا على البضى الآخر .

ولا نعلم كم عدد المياد التي حرموها ولكننا نرى دبرين كبيرين على الضفة الشرقية في لعل الدهر ، وكنيسة صغيرة من الطراز البيزنطي في الطرف الشمال من الجزيرة . ويبدو ان هذه المياد قد اقيمت بالسيجار رصيف المياه الجنوبي ، والكتل المسخرة التي اخلت من مبنى كان يحتل الركن الجنوبي الغربي من الكبر .

اما فيما يتعلق بهذا البهو الملون فقد حولوه الى كنيسة صغيرة . واقاموا مقصورة صغيرة في المناطق الشرقية ، وهناك مذبح مقلوب مأخوذ من كتلة مصنعة من الحجر الجيري تشبه الى مكان القسم الشرقي من الكنيسة وهو المخصص للقساوسة والمرفع . اما العرب الذين اتحدوا من هذا المرح الاحمر شواهد المنور فقد قلبوه رأسا على عقب ، حسب عاداتهم بحثا عن الكثر المدفون مع الامرات . وجرة اخرى يظهر الصليب



الاعمدة المائلة في ديلو المهد الكبير بجزيرة ديلو



• مقصورة مسيحية قديمة في جزيرة ليلى •

اليوناني على مقعده المذبح (١) وموق المقصورة التي زخرفتها بالقوش
المبهرطية البدائية يد غير ماهرة ولكنها متدينة •

ان التاريخ الذي لجزيرة ليلى عجيب لدرجة تثير الشبهة نظرا
لعدم قيام أحد من المؤرخين بدراسته • انها تنقسم مع أيلدوس وبعض
الأماكن الأخرى المسماة القائه ماها هي المكان الذي دفن فيه أوزوريس •
ولذلك كانت تدعى « الجزيرة المقدسة » ونفس تربتها تربة مقدسة •
وكان لا يسمح لأحد مائهبوط على شواطئها أو حتى الاقتراب منها بدون

(١) أشار كاتب في مجلة ساترداي ريفيو Saturday Review إلى ان هذا
المذبح قد أقيم من قطعة حجرية أخفت من خربج كان مدفونا فيه أحد السقور التي كانت
تجيد لتقسيم للاله خورمر (ملحوظة مساهم الي الطبعة الثانية)

مصرح ، ويطلب المصوّر على هذا التصريح والتقييم بالمعج الى قبر الاله
 - الذي يمثل بالسيدة المصرية الصالح ما يشتهل المعج الى مكة بالسبب
 للمسلم للصالح - المكتوب من الماء . وكان أكبر قسم يقسم به المخزف
 هو « باسم ذلك الذي يرقه في ليلة » .

أما من وكيف اعتبرت الجزيرة لأول مرة مكان الراحة بالسبب
 لأحب الآلهة فهذا أمر لم يكشف بعد . ولكن يبدو ان تمتع الجزيرة
 بسببها كمكان مقدس يعود الى تاريخ حديث - ولأجله أنها تألت أهميتها
 بعد اصطلاح ابيدوس . وقد قام هيرودوت - الذي يفترض أنه رسل الى
 القنشين - بالاستعلام الدقيق حول ما يتعلق بظالة الاله بعد هذه المنطقة
 وذكر ان التلال كان تحت احتلال « البدو الاثيوبيين » ولا يذكر شيئاً
 عن ليلة أو معابها . وهذا الهدف الذي قام به شخص عرف عنه أنه
 كان يقوم بدراسة مجموع الكهنة في كل بلد ذهب اليه - واسم اصناما
 خاصا بالشعائر الدينية النحلة في البلد . مما يعني ان هيرودوت لم يصر
 الى أبعد من ذلك ، أو ان الجزيرة لم تكن قد أصبحت بعد سزلا لأسرار
 أو زوريس - وبعد ذلك بأوسالة عام يصفها ديودور الصقل بأنها اقدس
 الأماكن المقدسة . بينما يذكر استرابون الذي كتب تاريخه اثنه نفس
 الفترة الزمنية ان ابيدوس قد قضت مكائنها حتى صارت مجرد قرية
 ولذلك فربما يكون كهنة ايزيس قد هاجروا من ابيدوس الى نسة خلال
 فترة تالمة لمصر هيرودوت ومسابقة على مصر ليودور واسترابون .
 ولا يصح عدا بأنه حال أنه كان انتقلا رسميا ليس فقط لرفات لودوريس
 بل أيضا للقدسية التي كانت مرتبطة بموضع راحتها الأصل على مدعى
 المصور . ولا نحتاج الى بيان الدافع لهذا الخروج . فلم تعد بقايا الآلهة
 أمة في ابيدوس التي تقع في وسط منطقة ويقع غيبة بالتصريح على طريق
 عبية ، ولم تكن أية مدينة جنوب منف أكثر منها تمردا لمخاطر الحرب .
 لقد مر كثير من هذا الطريق . ولابد أن غرلة آخرين قد نجوا . ولذلك
 يفترض ان البحث عبر الحدود من الأمان الذي لم يسه موجودا في مصر
 هو السبب الواضح لمسيره جماعة الكهنة الذين حصصوا أنفسهم لهذه
 النقة - وماطبع فإن هذا مجرد تخمين قد تكون له قيمة - وبالتالي تفهم
 ابيدوس في كافة الأحوال مع نمو مكانة ليلة . ولا يستطيع الانسان ان
 تتهم كيفية ارتفاع حتى هذه القمة لحد الى هذه المكانة الرفيعة دون
 الاستمارة متلى هذا الافتراض .

لقد يسي المعبد الأقدم هنا والذي لم يتبق منه إلا دواق صغير
 بعمرة أسر الرائعة الوطنيين (تخطيط الثاني - ٣٦٩ ق م) - أما أكثر

أيام قبله ازدهارا فهي التي تنسب إلى الحكم اليوناني الروماني * أما أيام البطالة التي أصبحت هذه الجزيرة لنفسه خلالها مقرا لمدرسة دينية ومعقلا لسلطة الكهنة القوية - وكان الروار من كافة أرجاء مصر ، والساحل من الأراضي البعيدة ، وموظفو البلاد المحملون بالمسح للكلية ، يأتون سنويا في جموع غفيرة لتقديم نفوسهم عند قبر الإله - وقد قطعوا المئات من أسماهم في كافة أرجاء المعبد الرئيسي كما يفعل المسيح اليوم - وقد كتبت بعض هذه الأسماء فوق أسماء دوائر أخرى مسطحة ، بينما نقشتم أسماء غيرها من الروار على الأحجار بعد حرق الأسماء التي كانت مكتوبة سابقا . وكذلك حُفرت أسماء أخرى على سطح المنحدر وبوابة الصرح القديم لم يرحل بعد . لأنها تبدو أقدم من النصوص الهيروغليفية التي حُفرت عليه فيما يبدو . وتغطي هذه النقوش فترة استغرقت عدة قرون . وهي الفترة التي توالى فيها إرسال الأوتلاف إلى الجزيرة بمعرفة ملوك البطالة والقيصرية المتتابعين . وفي سنة ٣٧٩ للميلاد أصبحت المدرسة الدينية ، القبية بقرائنها ومسابيها وأساطيرها الشعبية التي فرضتها ، قوية بما فيه الكفاية لكي تفرض طاعتها الصلبة ضد مقبور ليزيدوسيوس ، ذلك أنه بكلية واحدة صاعدة عن السلطنة صارت كل أرض مصر مسيحية . واعتنق الكهنة - بسبب الخوف من عذاب الموت - من ممارسة التماثيل الجنائزية للنفس ، وعلقت المئات من المعابد ، وتم تعطيل أربعين ألفا من تماثيل الآلهة في عجلة واحدة . وفي نفس الوقت حوّل كهنة قبلة خلف الضلال والسمراء المضاف على حجارة اللطامهم وخراكي عقيدتهم المقدسة (٩) ولا يعرف بالتأكيد المدة التي استمروا يستنصرون فيها بامتيازاتهم الكهنوتية . ولكن ينسب من النقوش التي ذكرناها عاليه يدلان على أن المائتات الكهنوتية كانت لا تزال تحتل الجزيرة حتى سنة ١٥٣ للميلاد وأنها ظلت تحتفل بأصوار أسطورة أيزيس وأوزيريس . ويبدو أن هذا هو السبب في الاعتقاد بأن العبادة القديمة استمرت قائمة حتى نهاية القرن السادس الميلادي . وهو للوقت الذي تسكن فيه سينكو ، ملك جميع الاثيوبين ، الذي كان مسيحيا ، من غزو جنوب النوبة منته حيث أعطاه

(٩) لك حجت تخيلت المذلة إلى حد بعيد ولم تستطع بما تفعله من إدايات انتشار المسيحية في عصر أن تغطي عدم دلائلها بمعرفة التاريخ الحقيقي لهذه الفترة لأن الاضطهاد الذي تمتصه ضد حجت من جانب الرومان للمصريين الذين كانوا قد بدلوا في المسيحية منذ البدايات وليست للرأسع التي سمعت عن الرومان بالاعتراف بالمسيحية حجة راسخة إلا أنها تؤكد الاعتقاد الذي حارسوه . { انظرهم } .

الرب الانتصار . واقسم له المتهرمون باصنامهم على مراعاة شروط السلام .
وذلك بناء على تقضى موجود في سيد كلايشة (٦) .

وليس في هذا السجل شيء يجهل ان الفرات قد مضى الى ابعد من طاما
هكذا' التي كانت مشهورة قديما باسم Taphne وهي تقع على بعد ٢٧ ميلا
جنوب فيلة . ولكن من المثل ان يستج انه طاما كانت الالهة القديمة
بحكم غير اى جزء من النوبة . لان الجزيرة المحصنة لعبادة اوروريس ظلت
محتفلة بقصصيتها التقليدية . ولا بد انه كان هناك يوم مخصص لتسوية قبر
الاله بالارحام واشهد مراى ايريس على اعصاب الممد . ولا بد ان كان هناك
يوم آخر اذ تمع فيه المصلين منصرفا فوق هذه الأساطير الملوثة . واقيم
اول قدس مسجى في الحرم الرتنى . ويورد الإسكندر ان يعرف كيف حدثت
هذه التغيرات . وهل اصطلحت العبادة القديمة لأضراف المريدين عنها .
ثم انها اريدت بالقوة ١٩- والاربع فج . واصبح غير هذه القطعة (٢) . كما ان
ملوش ملك الفترة لم تذكر شيئا . لكننا نعرف فقط ان العبادة القديمة قد
انتهت ودخلت العبادة الجديدة . وأنه حيث كان يعبد لاوروريس المقام من الموت
حسب اقدم أساطير القديس المصري القديم . صارت عبادة المسيح القائم
من بين الاموات بعد تضاف الكنيسة القبطية في عصورها الاولى . والآن . فان
الجزيرة القديمة التي كان من المعتقد ان الاسماك لا تستطيع ان تسبح

(١) كانت جزيرة فيلة في مصر مسترايون كما وصفها اليروديسور وغير
في كتاب *Second Memoire sur les Hieroglyphes* ملكة عامة للمصريين والمصريين
او على الأصح تلك الدولة الفلسفة التي أطلق عليها اسم الجبل (أندج) كانوا يصفون
مع يدو الهيرود والمجاور في تلك الوقت طبقة واحدة من « الاحياء » وكان الجبل (أجداد
من يطلق عليهم حاليا اسم الهرابرة) جنة لهما ويخفي القيس . وفيها بها فيه الكلية
للعامل مع الحكام الروحاني الذين حكموا مصر . وكانوا عباد حطسبند ثلاثة ايريس
ومن المثل ان تعلم ان ملكييين في طاعته مع هذا الصليب الخطر قد د طبقت للثاني
لقديم . يسمح لشعب الدايوس على ياكلوا نعال ايريس من حديد فيلة في ياكلهم للزائرة
ليرة منفا عليها . ويذكر نفس فيلة التي نشره فيثون *Ammon* في الكتاب
(بقصد استرايون) كان موجودا في فيلة بعد اعادة تمثال الالهة من احدى هذه
البيوت الدورية . والله شاهد وحمل القوارب لكسة التي حملت مرار الاناثيل العائمة .
ويتمتع من ذلك ان هناك تماثيل أخرى بخلقة نعال ايريس كانت تنقل الى اثيوبيا ويطا
كانت لاوروريس وديما اخيا لخصم المرحمة طفسة - (على فيلة بخلقة الى
البحر هائلة) .

(٢) يرجع الفضل الى التميز لهور جستانين في تشويه كلوش الممد الكبير . وفي ١٩٠٥
وان هناك ما يدل على ان هذه العبادة القديمة قد توجلت حلفت في الفترة التي حكم فيها
الامبراطور

على خراطيمها ، ولا يستطيع الطيران أن تطير في اجوائها ، ولا يستطيع
 حاج أن يطأ أرضها بضعفه ينوب صريع . أصبحت على الفور ملكية عامة
 ومشاعا لجميع الناس . وانتشرت المساكن الصغيرة الخشبية من الطوب
 التي بين القاعات ، والأروقة ، وحيز الممرات المصفوفة ، وبنت كنيسة
 صغيرة على الطراز البازيليكي في الطرف الجنوبي للجزيرة . وتحول بهو
 انضيد الكبير الى كنيسة صغيرة كرسيت لاسم القديس اسطفانوس . ويقول
 تقيس يوناني حرس هناك بيد راسب عائل في تلك الفترة أن : هذا العمل
 العظيم قام به رئيس الدير الأسقف نيكودور حبيب الله . ولا نعرف شيئا
 عن هذا الأسقف - الذي وصفه نصي آخر بأنه القديس العظيم ..
 إلا اسمه فقط .

وتمثل الحوائط في كل مكان هنا بهذه السجلات العظيمة ، فيجد
 أن أحد الكتاب المهيدين كتب قائلا : « لقد انصر الصليب ، وسينتصر
 دائما » . بينما ترك كتاب آخرون توقيعات بسيطة مثل « أنا يوسف »
 في مكان ، و « أنا نيكودورسيموس الذي من النوبة » في مكان آخر . وتعد
 هذا أو هناك بعض الكلمات الانشائية التي تحيط أهمية انشائية للتوقيع .
 كمل حبيب المثال نجد في شعبة متعة أحد التوقيعات لشخص يقول من
 نفسه « العميد يوانس » ويبدو أحيانا أننا نقرأ لصلة حياة أحد الأفراد
 في سطر واحد . وقد أعقب رسم علامة الصليب هذه التوقيعات القبطية
 كلها .

وما زالت أساسات الكنيسة الصغيرة التي من الطراز البازيليكي -
 والتي تنحدر الشرقية (المخراب) فيها نحو الشرق ، بينما يتجه المداخل
 نحو الغرب - ظاهرة ويمكن تتبع آثارها . وقد حصصا اثنين من بخارنا
 لمدة يوم كامل لازالة القمامة التي حول الطرف الجنوبي من صحن
 الكنيسة . وهناك وجدنا للمودية - وهي حوض من الحجر غير المشتمل -
 عند قاعدة أسطون مكسور .

وليس من الصعب محس ما كانت عليه جزيرة قبله على أيام رئيس
 الدير الأسقف نيكودور واتباعه ، ولكننا تعلم أن الكنيسة الصغيرة التي
 من الطراز البازيليكي كانت لها مجموعة من القباب الطينية فوق السقف ،
 وأنجيل أن رئيس الدير ورجلانه قد قاموا في هذا الصف من الصوامع
 التي تقع على الجانب الشرقي من البهو الكبير حيث كان يسكن كهنة
 ايريس قطعهم . أما على القرية فللايد أنها كانت مثل الأقصر - مدمجة
 بالحياة الكنسية ، ومليئة بالمشروعات التي يحدثها الأطفال ، وصياح الطيور
 الناجية ، وتباح الكلاب . ويرتفع منها وقت الظهر أعمدة رحيمة من الدخان

الأدوق . ويتجلبوب في لوجائها صفى رنجي الجرس الذي يدعو الى الصلاة
صباحا ومساء ، وتنام ليلا في مكنون كذا لو لم تكن هناك آلهة مشرقة
شبيهة بالشباطي ، تطل عليها من خلال ضوء القمر بتشكل يتبرر الأشجلى .

والآن انتقم الآلهة لنفسها ، فالحقيد التي ارتكبتها عن عرشها
قد أزلت هي الأخرى من عرشها . أما رئيس الدير الأسقف ثيودور
وغلفاؤه والديانة التي لتروها ، ويسلط الناس الذين اتصوا الى تسليمهم
تقد ذهبوا وغابوا في طي التسميان ، لأن كنيسة المسيح التي ظلت صميمه
في مصر ، قد انكثرت في التوبة وقد بقيت مترة طويلة - بالرغم من الشك
في أنها كانت تتخذ شكلا متخفا وبربريا - مثل ذلك الذي تبوء عليه في
اليوبيا حتى اليوم . ولكن الإسلام امتصها مؤجرا ولم يبق الا ثمر محترق
جائنا هنا أو هناك قرون بعض المرتفعات المنعزلة ، أو قليل من السنين
للمعصرة مدون عتاة على حوائط للمبد البطلي ، وقد بقيت دليلا على أن
المسيحية حوت يوما من هذا الطريق (٢٠) .

أما الفاربع الوسيط لجزيرة قبيلة فهو مجهول . لأن العرب وقد
غروا مصر حوالي منتصف القرن السابع الميلادي ، فمضوا وقتنا طويلا فوق
الأرض المصرية قبل أن ينعوا في حضم الآداب ، وأضوا ما يريد على
ثلاثمائة عام في صمت ، ولم تظهر أية لغة غائبة عن قبيلة مرة أخرى قبل
القرن العاشر الميلادي . لقد انتقلت البطود الآن الى شمال الضلال .
وتوقفت الجزيرة القنسية من مفاصلة وضعها المسيحي ، وتوقفت أيضا
عن مفاصلة وضعها النوبى . إنها الآن تتخضم مسجدا وقاعة عسكرية
وهي آخر نقطة حدود إمارة المسلمين - وما زالت تحتجز وتستغل تحتجز
اسمها القصر القديم لعدة قرون قادمة ، وطول ان بيلاق المذكورة في
النوش الهيروغليفية (يعرف P الذي يصبح B في اللغة العربية) أصبحت

(٢٠) وجدت لوحة السيد المسيح التي كتبت عدة لكلام ولغوه مما ورد في مواضع
أخرى من الكتاب . وهو كلام أقل ما يقال عنه أنه طريف والظاهر المراد على السيديين
الذين تكلموا اليوم خامسا الأقباط وكثيرونهم القبطية المصرية كنيسة الشهداء والتي سمى
المسيحية حاكم عسورها الأولى قام الانجيليات وما تلاها من تهريلات وتسمى
رجالها لكل مراحل القضاء وتكلموا للاستهزاء وهم يتنصرون فرحين ولكنني لا أستغرب
مثل هذا الكلام من حبيبة لتجربة احتلت بولتها مصر وليقت لها مينا (فرق منه)
للمرقة بين الأقباط والمسلمين ولم تنجح ما افترض تصور هؤلاء التجارب . (أ لفرم)

يبلاک فی اللغة العربية (ص ٢٠٢) وهي أكثر شيها بالأصل من قبله
وهو الاسم الذي أطلقه عليها الاعريق (١) .

وعني متى الوقت فان المواطن المسيحيين يظهرون وقد اكدوا الى
حالة نصف ميرييه . انهم يقصون غارات دائمة على الحدود العربية ،
ويقاسون دائما مرارة الهروسة . انهم يحرضون المبارك ويقتصبون
الضرائب ، ويصدون المعاملات ويخربون شروطها . وعند نهاية القرن
الثالث عشر قتل ملكهم ونهبت كنائسهم ، وفقدوا ربع مساحة ارضهم ،
بما فيها ذلك البحر الذي تسفل اسوار عس حنوت . اما هؤلاء الذين
ظلوا مسيحيين فقد الرمو بدفع حرية ستوية . بالاضافة الى الضرائب
العادية المروسة على البلج . والميد ، والجمال ، ونستخرج من ذلك انهم
قبلوا الاسلام من العرب ، كما قبلوا من قبل عقيدة اوزوريس من قضاة
المصريين ، والمسيح من الرومان . ولم يحد سمع عنهم شيئا بوصفهم
مسيحيين . لان للمسيحية في النوبة قد تلاشت في الجبلور والغروب
ويقال انه لا يوجد قبلي الآن في منطقة الحدود .

وكانت بفة ماهرة بالناس سنة ١٧٩٩ ميلادية عندما اخذت
البحرية تجريد من جيش ديزيه بقيادة الجنرال فيليساد . وتكرت
لنفسا (٢) فوق السقف الداخلي لمسل البهو الكبير احياء للذكرى عبور
القتال . ويذكر ديتون عند وصفه المظر بخفة روحه للصداة كيف ان
المواطني قاموا في البداية ثم عربوا املهم الفرنسيين . والقوا بانفسهم في
النيل . والمروا اطفالهم الذين لم تسمح اعمارهم بالسباحة . ثم عربوا في
البحر . وظهروا في هذا الوقت بوصفهم مجرد متوحشين فكانت النساء

(١) توجد عدة القلمية وغيرها من الشخصيات للقطعة بالنسبة للذين في كتاب
الفرجين وهو مترج عربى من القرن الخامس عشر ذل الكثير من المؤرخين المسلمين .
مثل كتاب جودخارت Burckhardt وعنوانه في Travel in NUBIA - الجزء
الرابع - صدر سنة ١٨١٩ للتصنيف رقم ٢ . وظهر مما فكره من ان بلاك جزيرة مجاورة
للسلال بنيت اربعة اسوار الا انه يمر على انها تقع ضمن البحر التي في جنوب
المسلة ، وان بفة هي اول مدينة مصرية بعد السودان . ولم تكن الايجرة للبربرانية ثم
حلب ومروا حينذاك كما حلت بالقاهرة سنة ١٨١٧

(٢) هذا القتل الذي يعتبره سيق ثبوت اهم النقوش الموجودة في بفة وعلى بعض
كما يلي : في السنة لتأسيس للجمهورية وفي ١٨ من شهر ديسمبر ، قتل جيش
فرنسي بقيادة لاجنرال يونانير في الاسكندرية . وبعد شهرين يوما هزم اهلها من مواجة
الاهرام . وقد يميزه انقرة الاولى وتبع الاولى العمليته حتى لذلك التي وصلها في ١٨
من شهر نوفمبر من السنة السابقة .

كثيرات ومتجهبات الوجوه . وكلا الرجل عراة . وخلف الحركة .
وتشابهين . وكانوا صمدى ليس فقط بالسيف والرمح ولكن أيضا
ببنادق يتم حشوها بالبارود . وقد استخدموها لاطلاق د نيران حربية
ومركبه ٢

قد بدأ عدد رحيلهم عن الجزيرة الى هذا التاريخ ، فعلمنا ذهب اليها
بوحالات سنة ١٨١٢ للسيلاد . وجنحا كما نبدو حتى اليوم ، مهيوجة
وحاليه . ولم يكن يسكنها سوى رجل عجوز فقير هذا اذا كان لا يزال
حيا . واشتاك في قدرته على عبورها في بيحه في الموسم السياحي . انه
يطلق على نفسه اسم الروصى على الجزيرة سواء عن طريق السلطة او
بموجبها . ويقيم في كومه في الحرق البالية والغلى في ركن محصى حلف الشعب
الكبير . وهو صهه الفوحه ومحى الظهر وعكليه بحيث لا يظهر عنه
ما يدل على انه حي سوى عبيده . وقد اعطياه حصة مارة (حوال جهتي
وسنة بسمات بالعملة الانجليزية) بعد رحيلنا في طريق العودة الى مصر .
ولقد دخل لدى احباسبه بهذه الثروة حتى انه اسرع بعض هذا الكثر
وتوصل اليها الا بغير احدا بها اعطياه . ومع الحصاد المربى وهرهب
السكان الوطنيين ، اطلق الفصل الاخير في تاريخ قبيلة النحل . ووقعت
الجزيرة المقدسة بعد ذلك في حضم حرب الصراعات المقاتلة او الملكية .
واحتمت من صفحة التاريخ وحملت صلبة العلم . وقد امتلأت الجزيرة
بمساحتها في اكتشاف الابدية الهيوغيلية . ولا يكاد يغلو أى رسم
لجزيرة قبيلة . وهذا المسلة التي نل حجر وشيد في الاحية القوية قلها
مسترو . بانكر Mr W Bankes مكتتب اللوحة الاولى لى ايلنوس -
الى دورستشاير . وتبقى مكانها الخالي ، ورفقتها المسلة الاخرى مشوهة
ومتملة دون أن تنقل من مكانها الاصل في الطرف الجنوبي البعيد من
الجزيرة -

لما الآن وبعد أن مكتنا في البهو مدة طويلة فقد حل الوقت لاسان
النظر في داخل المصد . ولذلك فاننا مستعمل من ثياب اليربوع الذي تتنفع
خلفه شمس او عشر قاعات وحجرات جانبية تعود الى الهيكل . كما هي
السادة ، وكل شي هنا عظم ومترب ومطبخ . وقد وجدنا في الحجرات
التي لا يصل اليها أى شعاع قادم من الخارج ، حواط ذات لون اسود
بسبب الستائر ، ومنظفات بالنقوش البارزة . كما وجدنا ممرات سرية سوداء
تتلق طريقها في باطن الجوانب السميكة وتتقابل عن طريق فتحات كتبه
القد وتحتها القبة . وهناك مذبح ملقى في الهيكل ، بينما تقع في الركن

سيفه الذهبية انسى لايد ولان يكون اخترايون قد شلحد فيها ذلك الصخر
الاثريون المسكين الذي وصفه ياده « مرسى وعينه تقيها » .

ولكن هناك في ذلك المبدع ، المخصص ليس فقط للالهة ايريس بل
ايضا لذكرى اوروريس وعبادة حورس اينهما ، توجد حجرة لا شك في
ان اخترايون لم يساعدوا وكذلك ديودور ، ولا انه غريب ينتمي الى عقيدة
اجنبية مهما كانت سمته او خصمه . انها حجرة أكثر قسسية من بقية
الحجرات ، لانها الغرفة المخصصة لاوروريس وبالطبع تنس غير طيبين ،
ولا مسويين ، بل احرار في ان يسخر حيثما يشاء . وتذكر لنا الكتب
الكثيرة بين ايدينا ان هذه الحجرة السرية تقع في مكان ما فوقنا ، ولذلك
اعتدنا مرة أخرى الى سوء النهار ، واعتليا سلما باليا يعود الى أعلى
السقف .

وعدا السقف مكان مقعد جيدة ودعائها ، ومن الصعب العثور على
الحجرة . انها تقع عند قناع سلم صغير على شكل حجرة صغيرة يبلغ حجمها
حوالي اثني عشر قدما مربعا ولا يضيقها الا المثلث . وكانت حوائطها
متطاة بتقوى تملح حناصير ، وكسيف ، وبت أدوريس (١) ولتحتوي

(١) اما لغة اوروريس ، الله الكريم ، صديق الصالحين ، الذي تله نيفرس وسبق
الفرمان ثم نص في عهد من القصور ويحكى عنه ايزيس واستندت المرافقة واسدا
فواحدا ، واعتدت اليه الحياة ، والمثل من الأرض ليهتم الأجواب في عالم الظلال - عند
القصة اثير الفكر الاساطير المصرية فليدا . وبقية اوروريس القتل في الامموت من
الوالس ، وهو وجه البحر القتل ويطلق عليه اسم « الكائن للظلم » وهو يظهر في
شكل اسفودرة من السنة الخمسة . ويصل فيها نبيلا بالاله برومبويرس البرنالي
والله بلوسم الجندى :

« Oëris, dit-on, était autrefois descendu sur la terre. Fier bon par
excellence. Il avait adouci les mœurs des hommes par la pénétration
et la bienfaisance. Mais il avait succombé sous les embûches de Typhon,
son frère, le génie du mal, et pendant que ses deux sœurs, Isis et Ne-
phthys recueillirent son corps qui avait été jeté dans le fleuve, le
dieu ressuscitait l'âme des morts et apparaissait à son fils Horus qu'il
initiait au vin. C'est ce sacrifice qu'il avait autrefois accompli
en faveur des hommes qu'Oëris renouvelle et se débarrasse de l'être
défiant de ses liens terrestres. Non seulement il devient son guide,
mais il s'identifie à elle. Il l'absorbe en son propre sein. C'est lui
alors qui, devenu le défunt lui-même, se soumet à toutes les épreuves
que celui-ci doit subir avant d'être proclamé juste. C'est lui qui a
chaque âme qu'il doit sauver, fléchit les puissances des demeures inférie-
les et combat les monstres compagnons de la nuit et de la mort. C'est
lui enfin qui, vainqueur des ténébreux, avec l'assistance d'Horus, s'élève
au tribunal de la suprême justice et ouvre à l'âme dévolue pure les
portes du séjour éternel. L'image de la mort aura été écartée au
moell qui disparaît à l'horizon du sol. Le soleil remplacé par le -

malin sera la symboles de cette seconde naissance à une vie qu, cette fois, ne connaît pas la mort.

« Osiris est donc le principe du bien. chargé de sauver les âmes de la mort définitive, il est l'intermédiaire entre l'homme et Dieu. Il est le type et le savor de l'homme » Notice des Monuments à Boulogne - ANQ Mariette Rev, 1872, pp. 185 et seq.

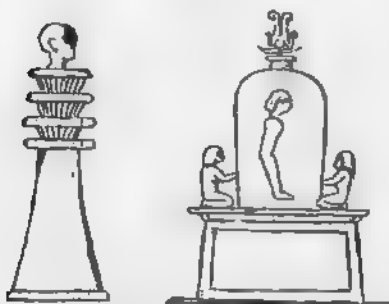
وقد اقر علماء المصريات كقضية مسلم بها ان اوزيريس في الاصل هو الاله المحلي
سبته اوزيريس وان اوزيريس كانت من اسطورة اوزيريس . وقد بين مينيور هاسبيرو في
بعض محاضراته الالهية في كواليج دي فرانس ان اسطورة اوزيريس ظهرت في ابتدا
وان اوزيريس كان يدعى في بعض لقيمة لقيمة باسم ذلك اوزيريس . مسجد الاموات
(اوزيريس) وكان اسمه مدفونا داخل عرطوش ملكي . رجلي بداية الحكم النوبسي
الروماني كانت انتمى الى حكمة اوزيريس مما اوزيريس وندى لفظ

Le centre terrestre du culte d'Osiris était dans les cantons nord-est du Delta, étendus entre la branche Sébennitique et la branche Pelusiaque, comme le centre terrestre du culte de Sit, le frere et le meurtrier d'Osiris. Les deux dieux étaient, l'un, l'un des vaincus et l'autre, et les rivalités de voisinage expliquent peut-être en partie leurs querelles.

Tous les traits de la tradition Osirienne ne sont pas également anciens. Le mot ne doit pas être une antiquité incontestable. Osiris y réunit les caractères des deux divinités qui se partageaient chaque nom. Il est le dieu des vivants et le dieu des morts en même temps. Le dieu qui nourrit et le dieu qui détruit. Probablement, les temps où nous le voyons de pitié pour les mortels à leur ouvrir l'accès de son royaume, avaient été précédés d'autres temps où il était implacable et ne songeait qu'à l'éternité. Je crois trouver un souvenir de ce rôle destructeur d'Osiris dans plusieurs passages des textes des Pyramides. où l'on promet au mort que Harkhoupti viendra vers lui l'éternité, ses liens, brisant ses chaînes pour le délivrer de la ruine, il ne le livrera pas à Osiris si bien qu'il ne mourra pas mais il sera glorieux dans l'horizon. Saïde comme le Dieu dans la ville de Didou. L'Osiris fermuche et cruel fut absorbé complètement par l'Osiris doux et bienveillant. L'Osiris qui domine toute la religion égyptienne dès le début, c'est l'Osiris Onnetris. L'Osiris Etre bon que les Grecs ont connu. Comme ses parents, Sibou et Nout Osiris Onnetris appartient à la classe des dieux généraux qui ne sont pas confinés en un seul canton, mais qui sont adorés par tout le pays en terre. See Les Hupotes Rougar de Théber (Bibliothèque critique de la religion égyptienne) par Professeur G. Maspero - Revue de l'histoire des Religions, 1888 Note la second édition.

ه ان العناصر الفلكية والطبيعية اوضح من ان تم لها نظرية خاطئة . ان اوزيريس
واوزيريس هما النيل ومصر . وتمثل اسطورة اوزيريس السنة التسمسية . أما قولا اوزيريس
هو الشمس في نصف الكرة الجنوبي . فترة الانقلاب الشتوي . ريجنل ميلك حورس
الاعتدال الربيعي . وانتصار حورس هو الانقلاب الصيفي والشمس في الليل . أما تفرق في
الاعتدال الصيفي . انظر كتاب ميسر وعلمه Egypt's place in, Diverses Egypte
الجزء الاول من 187 . ويذكر هيرودوت في كتابه الثاني ان المصريين حينما لم
يشتركوا في عبادة جميع الالهة فيما عدا اوزيريس واوزيريس اللذين عندما صدم
المصريين .

كل من هذه المقاصير ذات الأشكال المختلفة على جزء من جسمه . فإسفه
مثلا يستريح فوق مقبض السبل . وعواه الى مدلو رأسه ، قد نقش
على أسطوان رأس على شكل يمثل قارورة مرثمة الكفص يطلو أسف اعطيه
الراس المحصنة للاله . لها رجلاه وقسماء فانهما يرقدان بكامل طولهما
في خربج على شكل صرح الخشب .



ويقف في مقصورة أخرى مرقديا تاجه الذي يشبه تاج الأسكب . وهو
يرقد في بوسفه فافيا للعالم السفلي . وتقوم ايزيس ولقنيس بمراسة
كل من السريجن . ونرى في امريز سفلى مرمية الاله موضوعة على بعض
وقد وصفت تحت الجرار الأربع التي تسمى الأواني ذات الفطاء الذي
يسمى الفبة *caboplo jar* (١) .

(١) هذه الجرار المصنوعة من الفخار ، والمصنوعة من الجير ، والبورسلين ، والفسفا
البحري ، والفسف ، كان يورما ينجر في أطواء الجراء الفيلة أو الأحشاء التي
كانت تستخرج منسلة وتغزل فيها . وكان عندما قريبا مصنوعة على شبه جنات
الهامة الأربع التي تظهر في اللوحات الأسفلية الأربع . انظر كتاب بيدش وعنوانه
Guide to the First and Second Egyptian rooms المنشور سنة ١٨٧١ من

٨٩ وانظر كتابه الثاني وعنوانه ، *History of Ancient Pottery* المنشور سنة ١٨٧٢ ،
من ٣٣ لبا جمعا .



وعلى بعد قليل يرقد الآلهة سالكا ، تحيط به براعم اللولس فوق
 سيقان طويلة تمثل السح أو عودة الحياة (٦) . وأخيرا حانه قد رسم
 مسندا على أريكة ، وقد أبعد توصيل الطرافة وزأله ويده اليسرى وقطعة
 اليسرى مرموعة كما لو كانت تمثل حالة استعادة الوعي، بينما تقوم بيفتيس
 في ثياب حسي عجنج بالتهوية عليه بفتح نسمة الحياة -



(١) وعلى ذلك كانت تسمى : أولوريشي الذي يندك الجذور ، (ملحوظة مضافة إلى
 الطبعة الثانية) .

وتلقب ايزيس بتوابعها المبسوطتين عند قلميه ، ويبدو أنها تدعوه لكي يعود الى أحضانها مرة أخرى ، ويوسع للنظر في حقيقته . إن عدم هي اللحظة العظيمة التي صبت فيها ايزيس لمشواراتها ، بينما يبدو أودوريس في الحياة يعمل أغاني الأحولت القديسات (١) .

ويصرف النظر عن راحة الطراز والقطع فإن هذه التفاصيل تتميز بطبيعة فظة ترفعا فوق مستوى الإلتجار التقليدي في الأعمال البطلمية الخاصة بالموثي . إن الحروف مكتبي فصتها بوضوح . حيث يبدو أودوريس كما لو كان يتأقلم بالفعل للقيام من رقلته . كما تعبر حركة ايزيس من غرض الفان بوضوح ، وبالرغم من نقوشه بعض الرقوص وانحطاط سطح الحجر على المؤكد أن الموضوعات محفوظة لكن في حالة سيئه - ولم يتم عمل شيء في الرسوم النحسطة لتحسين التشكل المائس أو اصلاح الخطوط الخارجية للموضوعات الأصلية . على إحدى الصور نجد أن أودوريس بدون قلم ، وفي صورة أخرى بدون وجه . أما لدى ايزيس فليست بالشكل الطبيعي كما لو كانتا يدعى دمية مصنوعة من القش وتغطي مساحة التنفيذ على الموضوع فتجعله يبدو مثل رسوم الكاريكاتير . ولكن الأهمية التي تحملها هذه الصور تختلف عن طريقة تنفيذها .

والآن ونحن نستشوق بمرور الهواء الذي القادم مع هبوب الشمس ، يعود الى السقف ، لكي نرى الجزيرة في شكلها الذي يشبه المروح المصري القديم . وهي ترفه بكل تفاصيلها تحت اقدامنا . ومن هنا ننظر خلفا الى الطريق الذي حتماً منه . ونظر أمامنا الى الطريق الذي منتهى فيه . الضلال يقع في الاتجاه الشمالي ، مع شبكة من الجرد الصغيرة التي تتخللها ممرات من مياه النهر . لما في اتجاه الجنوب لأن التيار الواسع يتجمع في شكل لوح زجاجي ناعم ولا يقطعه أي ابداع صريع . وكما جئنا بأبصارنا في شوق نحو هذا الطريق لأن هناك يوجد عيب أي سنبل وجسم الأرائق الخفيفة بالأمرار التي خلف الضلال ا ولكننا لم نستطع أن نرى أبعد من ذلك لأن النهر يمثل في الاتجاه كبيرة نهر النهر ويغطي خلف سلسلة من الضلال البراءية . وهناك سلسلة متعاقبة تحيط به على الضفة القابلة . وفي نفس الوقت خرابث ديرين فوق حافتين صخريتين على طرف الضالمة أهل من مزارع الفخيل ، مثل

(١) انظر الترجمة التي تمها مسيو ب. ج. دي شواك في كتابه The Lamentations of Isis & Nephthys ضمن سجلات الماضي Records of the Past الجزء الثاني من ١١٧ وما بعدها .

قلعتي على نهر الراين . وعلى الضفة الشرقية المتخاية يوجد عدد قليل من البيوت الطيب وصنوعة من أشجار الخروب التي تحدد موقع قرية يختفي البحر الأكبر منها بين أشجار السجل - وينفتح خلف هذه القرية وادى رمل صمغ مثل دواع من البحر - راحت عنها المياه - أما للوحة الطويلة التي مررنا بها في اليوم السابق فقد كانت تبدو كالمراث الذي يلف بمرض الطريق الى قبلة - وأخيرا وجدنا جزيرة بيضاء على شاطئ الجانب الغربي من هذا المنظر الرائع - كان مسطحها وعرا وجبلا - وبفضلها عن جزيرة هيلة مائة ميقة جدا - بحيث ان كل صوت يسمع من القرية الوطنية التي على الشاطئ المقابل - يسمع كما لو كان آتيا من الفضاء الذي تلف فيه - لقد بنيت هذه القرية بين حوالب صيد بطلي صمغ لم يبق منه الا حلز وحشيل من رواية صمغ - وتستطيع ان ترى سيدة تفس التي على عتبة باب أحد الأكواح - وبعض الأطفال يجلسون حول المصنوع وهم يطاردون ديكًا روميا - وبمجرد أن شاهدونا على سفح المعبد حادوا وهم يصيحون ويهرولون الى الشاطئ - والحواء في طلب انيقصيفي - ولو لم يكن المجرى أوسع مما يبدو عليه لكنت قد قللت قرشا لغير أيديهم الممدودة .

وقد قبل ان نستر هاي اكتشف سرًا سريا من الجبل الصلب - سفودا تحت أرضية النهر وموصلا بين الجزيرتين - وكان الممثل على هذا الجانب يبدأ من منزل سيد امريس (٩) - ولم يذكر لنا مسر هاي المفق الذي استطاع ان يصل اليه في التلغلغل في اتجاه بيعة - ولكن من المحتمل ان يعودنا الأمر الى كعبه الصغير المقابل .

وبما كانت الجبال هي أكثر ملامح هذا المنظر غريبة - أنها من نوعية لم نر لها مثيلا خلال جولاتنا المتباينة - أما الجبال التي نمررها فهي متجانسة وتنمو طريقها من أسفل الى أعلى في كتل لا يوصلها في - أما هذه الجبال فيبدو أنها ترفد فوق سطح بدون أساس - في تشكل صخور متفصلة احداها فوق الأخرى - مثل تلال عظيمة اقامتها أشياء الآلهة والمردة - وتبدو هنا وهناك كتلة ضخمة مستديرة يصل وزنها الى عدة أطنان معلقة على ردة لونية في توازن متقلب الأطوار - وقد ألفتست بان معظم هذه الكتل قد يتعرض للانفجار اذا وضع تحت الاختبار .

(١) انظر - Operations Carried on at the Pyramids of Ghizeh

الكلف كولوميل هارولد فايس - لندن سنة ١٨٨٠ - المجلد الاول ص ٦٢

ونقدم كنودج لهذه الصخور ، صخرة ضخمة في مواجهة حادة ، بالقرب من أشجار الحروب والمدينة - وبعد أن حتم الصخرة بالرغم من أنها كتلة صلبة من الجرانيت ذي اللون الأحمر البرتقالي ، إلا أنها يبدو من ثلاثة صفوف ، وقد رأى الأعراب أنها بتعريفاتها الثلاثية تشبه الكرسي ذا المساند ولذلك أطلقوا عليه اسم - عرش فرعون ، وقد جعلها الفيصانات اجتماعية مسديرة ومصفولة - وقد نقش عليها حراطيس ملكية ذات حجم غير عادي مما جعلها تحدث أسبأه العجاج في جميع المعصور - وقد غطاها الملوك والفاتحون والكهنة والسباح بتسجيلات الانتصارات والمسببات القدييه والصلوات والقرابين والأعمال البطولية ويريد عمر بعض هذه التسجيلات على عمر المعابد التي على الجزيرة المواجهة لها . سنة الف عام .



الصخرة الثلاثة التي تحمل نقوش التسجيلات هي شيلة

وهذه الوجوه لأرسة التي يحيط بجزيرة بيده هي الشلال والهر والصخراء والجمال - ورفق هذه الحرية الجبيلة والتي لا حياة فيها في وسط هذه الوجوه الأرض ، بما مثله من الماضي الصيد بكل ترونها من النعوش واللوحات والتاريخ والمخار والثرات - أنها واحدة من أشهر المعالم الأرضية في العالم ، وهي تستحق ما تتمتع به من شهرة يصعبها كن سائح ، إلا أنها مجرد مكان من تلك الأماكن التي تتوازن فيها الملامح الأبحاس مع السلبية والتي لا يمكن وصفها بالكلمات أو الألوان ، ويضطر الرسام إلى أن ترك مدعما ، هو المعاشرة الموحى بالموضوع الصالح للرسم . أما وصف الكتابة فإنه في أحسن حاله ليس الا قائمة ناطقة .

الفصل الثالث عشر

من فيلة الى كورسكو

أخذ نهر النيل يسبح أمامنا ونحن مبحر جنوباً في ردف . بينما كانت فيلة تنضدل في الخلف ، وشعرنا بأننا الآن قد أصبحنا المحذود مماها . وأنه إذا كانت مصر غريبة وبعيدة عن هوطنا فإن الموهة هلم أشد عراية وأكثر بطلا ، وهي هذه المنطقة يرداد النيل لمسداً وعمقا . أما الارتفاعات الصحرية القريبة التي تحيط به من كلا الجانبين فإنها ما زالت سوداء من ناحية . ودعوية من الناحية الأخرى . أما الضفتان فإيهما تضيقان أكثر من ذي قبل . وصارت المساحة الخالية أكثر ضيقا بحيث تسبح فقط بسحب المركب . وصارت مساحة القراع في بعض الأجزاء أكثر ضيقا بحيث تسبح فقط بسحرة شريط من أشجار النخيل ، ومزلق من التربة الطليعية ترزح فيه القردة لور الشمس . وكان الطرف المتحدر تحتنا يصل بلونه الأخضر ال حافة الماء . وكان النهر أثناء العبارة اليوم يترك حاملا من التربة الرطبة كل الفلاح المتأثر يسرع أليه لكي يحرق شفا جديدا ويبنى حلا آخر من البفور لأنه لا يستطيع أن يترك بوصة واحدة من هذه التربة النوية دون استغلال .

ومع الاستمرار في الايجار متراخ يعتلي نصف سحبه بالهواء . لاحظنا كيف أن مساحة الأرض الصالحة للزراعة هي التي تحدد عدد السكان . وكانت ترددات كثافة القرى في المساحة التي تنتشر فيها مياه الفيضان ، ويظهر الكثير من الأشخاص الذين يتحركون حيا وحيا في ظل أشجار الخذل ، ويرداد عدد الأبقال الذين يتساقون بطول الضفتين وهم يصيحون طالبين القشيش . وعندما يضيق شريط التربة ويصبح على حلات ذلك مجرد هامش من الخضرة اللامعة التي تشق الصخور من ناحية النهر ، يتعب كل شيء على وجود الحبات . وتغطي بك المركب بطول هذا الهامش ميلا بعد ميل دون أن تصادف أية علامة تدل على وجود بشر يسكنون فيه . ومحمضا يظهر من حين وآخر مواطن فرد مسلح بسفلة

او رمح وهو يشي بطولات واسعة على حافة الصحراء . فانه يظهر الامتداد
المرضى للفرلة الموحشة .

وفي نفس الوقت غائبا لا يفتقد وجود الرجال والنساء فقط ،
الرجال الذين يملكون على شاطئ النهر ، والنساء اللاتي يمدن أطعماهن
متفرجين السيقان على أكشافهن ، او جوار الماء المتواردة على رؤوسهن ،
ولكنها يفتقد أيضا الطيور والوحوش والمراكب وكافة الاشياء التي تمودها
على رؤسها بطول النهر . وكانت اناث الجفوس نائمة في المياه الصبغة
في وسط النهار ، والجمال تنظر في ثقة متجهة الى مقاصدها في صف
واحد عند غروب الشمس . واحتضت الطيور المائية التي كانت تنزود
على الضفتين الرمليتين بشكل فجائي . وحس الحمر أصبحت الآن نادرة .
أما عن الخبول فلا أتذكر أنني شلصت احداهما على مدى الأسابيع السبعة
التي قضيتها في النوبة . ولم سمع طوال الليل سوى هواء الللاب
يدلا من نباح الكلاب التي تمودها من قرية الى أخرى . ولم تعجبني ملوحة
الحياة الحيوانية في مثل هذه المنطقة التي تغطي تربتها الضئيلة طعما
قليلًا يكاد يكفي هؤلاء الذين يحرقونها . ولكي يعرف مدى ضآلتها ،
علينا أن نتذكر فقط ان هذه التربة في اوسع عرض لها لا يزيد عرض
الرواسب السنوية التي تغطيها عن نصف ميل . بينما يصل عرضها
الى مسالة تتراوح ما بين ستة الى ستين ياردة في غالبية الطريق ما بين
خيلة وواحد طلفا الذي يبلغ طوله ٢٦٠ كيل .

وهذا فقط يستطيع الاسان أن يرى كيف ان جميع هذه الأرض
التي لمعوها مصر والنوبة ليست شيئا سوى ضفاف نهر وحيد وسط
عالم من الصحراء . ويتسع الوادي في مصر لعمدة نفس الانسان الفراغ
الحجري الذي يمتد خلف حقول القمح . لما في النوبة من الصحراء حاضرة
داكيا ولن نستطيع أن نسميها حتى لو أردنا ذلك . وكفصفت الجبال
القاحلة على طريق سيرنا ، وهي تنظرنا يسمول من الجرافيت على جانب
واحد . وابل من الرمل الأصفر على الحاسب الأسر . ونعرف ان هذه
الحجارة تنساق بشكل دائم . وإن هذه الرمال تنحدر دائما للوحة
تجمل من الأصعب على النهر أن يصعد في مكانه . وكنتصح الصحراء في
حسب يوما بعد يوم .

وتعتبر هذه المبادئ الرملية من اجمل وأجمل المعالم الأرضية .
انها تنحدر من المستوى الأعلى للصحراء الرملية (النيسة) مثلا تنحدر
شلوج مسورة من حضية ألابي العليا ، وتجد لنفسها مجرى من خلال

كل وحدة وفجوة - وهي هنا تظهر في محار دقيقة ، ميسا عيسى حبال
لغير سيول عريضة تنحصر في اتجاه النهر ،

وبعد ههنا ، استغرق عدة أميال فوق جريرة فيله ، وجدنا أهمها
عند قاعدة أحد هذه المنحدرات الكبيرة . ودخلنا في تحد مع دهبية السيديين
م . وب . اللقي أرادتنا تسبق المنحدر وروية غروب الشمس في الصحراء .
وكانت الساعة حوالي الساعة وثلث مرسر موقوف عند درجة ٨٠ قهر بهيت
في أشد أركان الصالون بروقة - وعامرا بالقول بأن القبة تستغرق
مسافة طويلة إلى أعلى نيلوغها ، ولكن السيدتين م . وب . لم تراجعا .
وعلى ذلك مضينا نلهث ونحي مطوحو الألفاس منكب قدوما الصعب .
لقد قامت السيدة ل . والكاتبة في أيلهما بعض المسيرات الصعبة على
الجبل ، وفي القسم البركانية الباردة والساحية ، ودون المنحدرات
المشعبة يبقايا القسم المخترق وأحواض السيول الجبلية . ولكن مع
المنحدرات الرملية ذات الشكل البرقي برهنت على أن تسبقنا أصعب من
كافة تلك المسيرات . ذلك لأن الرمال تتراكم ملعة وخفيفة بشكل عجيب ،
وهي في نفس الوقت مساحتها كما لو كانت حافة من الرن . وهي هذه
الرمال تنفرز الإكدام ، وتضوي الكواحل ، وتترلق إلى الخلف عند كل
خطوة تاركة حفرة كبيرة تنساب إليها الرمال مرة أخرى كالمياه وإذا
نظرت خلفك هناك ترى آثار خطوات فتسلك عن طريق سلسلة من الحفر
التي على شكل الأنفاق يصل حجم الواحد منها إلى مثل حجم حوضي لمسبل
الأدى . وبالرغم من أن هذا لا يحلور حجم حناء مسمرلا ، فإن
القدم الذي ياتي بعك أن يستطيع أن يذكر ما لذا كان أثر القدم هذا
يخص سيلة أم حنلا . أنها مهمة عسيرة لأن القدم لا تجد راحة ولا مقاومة
مع مواصلة الخط على المضلات .

ولكن حبال الرمال طريق الجهد المنول في تسبقها - أنها ناعمة
ولامعة وحريرية وبقية مثل رباب الحاس . ولينة ومتنوعة وبراقة ،
وسيط في أشد المنحدرات بوعة ، وتكون في سفقات مثل الكوام الثلج
التي تكسبها الرياح وقد تحولت إلى اللون القهبي . ومع هبوب كل تسة
تسد تشكيل سطحها الدائم الثمين في عرض لا نهاية له من الأنوار
والظلال الرقيقة - ولم يوجد بهد التنبات الذي يستطيع بحث مثل هذه
الامتناعات ولتلك في مقبرة (نندو) داته ، في لوق وأهم حالاته ، على أن
يجسن التحكم في هذه الألوان الرملية والمعنوية المركبة .

وبعد أن استرحنا على حافة الصخرة الباردة في منتصف المسافة
إلى أعلى ، وصلنا إلى قمة المنحدر الأحمر ، ووجدنا أنفسنا على سطح

الصحرَاء . وهذا كانت أول الأشيء التي التفت بها عيوننا مع المسار الصحيح لجري النهر : أعناء النطراف والأسلاك وخلفها في الشمال والجنوب مجموعة من التجم القوية . أما في الجهة الغربية فهناك قضاء دائري يتكون من الروابي والأودية المفتحة نحو الشمس . حيث تطفئ كرة قرمزية اللون تصف مصطفية تحت أفق العالم .

ولا يستطيع الإنسان أن يعاوم الرغبة في الحق . فلما لمعت اقدام حتى يمسس التربة لعمدة النطراف ، وشبهه صف الرغبة محاولة أن يمد الإنسان يده نحو الوطن .

ورجعا مع غياب الشمس ، فكان الوادي الأسفل شديد الانحدار أثناء فترة الضيق . وكان النيل يلعب مثل حية ملتفة في الظلال . وسكنس عليه مساء الليل في ثلاثة محاور متعصمة . وقد امتدت سلسلة من الجبال في ناحية الصحراء العربية (الشرقية) بلون أرجواني . وبررت في مواجهة الألق القرطبي ٢

وكان التبول سهلا حيث سقطنا بكمونا على الرمال فارتقنا . نصف مترخطين ، وسرعان ما وصلنا إلى القاع ، وهذا التقيا بامرأة بوية مجبور كانت قد أسرعت بمنسيتها البليطة آنية من أقرب قرية لتسأل عمارتنا عن يوسف ابنتها الذي لم نسمع عنه منذ عام مضى . وكانت أرملة مجبورا شديدة الفقر . لما يوسف هذا فهو ابنها الوحيد . وقد أراد أن يحسن حالته المادية فاتخذ طريقه إلى القاهرة منذ ثمانية عشر شهرا في مركب لنقل البضائع . وبعد رحلته لم يرسل إليها سوى خطابين فقط ويصير النقود . ومنذ ذلك الحين مضى أحد عشر شهرا في صمت ، وتخشى أن يكون قد مات . وفي نفس الوقت فإن تخلصها قد أنهكت إلى أقصى قدراتها على الإنتاج بحيث لم تجب هذا الملم ما يساوي ثلثا واحدا . وقد تقوض كوجهها الطبيعي ويوسف شجر موجود لكي يقوم بإصلاحه . ولا تستطيع الآن وهي مجبور ومريضة أن تفعل شيئا سوى طلب الإنسان من الناس . أما جيرانها الذين عاشت على إحسانهم فقد صاروا أكثر منها .

ولم يعرف رجالنا شيئا عن يوسف الضائع . وبعد الرئيس حسني بان يسأل عنه البحارة عنه عودته إلى بولاق ، وأشرف له = يوجد في القاهرة عدد كبير من الذين يحفون اسم يوسف ! =

وقد دأبت فلوسا ونحو سمع الصوت للفتى المتصدع الذى صاحت
به الصجور استلثها ، ولحظه المتعاقبة على وجهها عندما استدارت لتعود
إدراجها .

والآن وقد صادفنا الحظ المسمى بهبوب الرياح التى تأتى فى العاصف
من اتجاه الشمال ما بين الشرق والغروب . استظلنا لئلا نتقدم بحيث
تظلمنا عشرة الأيام التالية على سطح ذمتنا فى جو لطيف

وأحدث العالم الأساميى لسطح الأرض تكرر نفسها يوما بعد يوم
حيثما عدا بعض الاختلافات المحددة . فالجبال تزدري ريفها المعتدل من
اللوى الأسود والفضى ، والبحر يسمع ويصيح وهو يجرى بين صفتين
تظلمهما أزهار المدى والترسى ، بالأصناف إلى أعصاب أشجار البساط
الصغراء وحسب الخردق الرقراق ، وشجرات البطيخ البرى
Weldr Onloquintida بأوراقها الحنسة وعصيرها اللبى وتساوها
المنفخة مثل الخوخ الأحمر الخرب الحيرة ، وكما ليجمع منها بانه لقرين
ماله العشاء وذلك لسم وجود أزهار أخرى . وصحوبة زراعة الأزهار فى
هذه التربة التى يمس كل عود أخضر يورغ فيها قيمة كبيرة بالنسبة
لنوازع .

والآن صار لناخ أدلما يشكل محسوس . وإتستت حراية الشمس
فى وسط النهار حتى مع حبوب رباح الشمال ، ونمدد علينا الجيوس على
سطح المركب ما بين الساعة الثانية عشرة والساعة الثالثة . وبعد الغروب
كأنت سرعة الرياح تنخفض ، ويصبح الجو حارفا ، ولذلك اعتبرنا أن
المناسبة على الشالى . واجبا أكثر منها حمة . وعلى كل حال ، فأننا نتمكر
ذلك الرسام الذى لا يحرب حتى الامتسلاهم والذي كان على استملاهم
دائم للقيام بجولة قصيرة مد الظهر . ولذلك اعتدنا القيام بالنشى لمدة
ساعة قبل العشاء مضى فيها إلى الصحراء بحثا عن الأحجار الكريمة بين
العصاة التى تشارت على سطح الرمال ، ونراكب بفوف حصى ظهور
الذئاب والأرانب البرية .

ولى بعض الأحيان كنا نضى إسحاذاة ضفى النهر بدلا من الصحراء
فتصانف ساقية تدبرها حاصوة منقضة الصفر . أو مضى إلى قرية
وطنية مختفية خلف مظللات قرمية . وهنا نجد أن لكل كوخ فناء أماميا
صغيرا . أقيم فى وسطه طرف من الطين ، وحسرة طيبة تستلثها
الأسرة . وعنروطن قصيران من الصفسال الرمادى مثل أغابيب الضفار

التي هي رأس المذبح ، وقد غطي أحدهما بطلاء من الرصاص ، لما لاحي
فقد تركيب عليه باب بمزلاج خشبي - وكانت بعض المنارل مرسنة على
الحوائط المستوي متخلف بآثار اياد قد غسست في صهبة حمراء او
صفراء ثم طخت السطح الذي كان ميلا (٢) .

وكانت هناك أعداد لا تحصى من الأسوار التي تنتشر في كل قرية
من هذه القرى . وعند دخولنا كانت الكتلاب مغطى بأشجارا يدل على
اقترايد ، وسرعان ما مضى بها جميع المسلة والبنات اللاتي بالمكان ،
حيث يمرض عينا شراه الحمام الحي والبيض والكوسة ، والثلاثة .
وخرامات الآف ، والأساور الفضية . لما الأولاد فقد ظلوا يلحون علينا
لشراء الرواصف البائسة . لما الرجال مكانوا ينفون بيديا تاركين
المسارعات للتسعة .

ولم تكن الفباء على دراية بالمعلومات فقط بل ايضا بتقدير القيمة
التسببية لكل قطعة معلقة سر على نيايات الليل ، انهي يمرض الروبية
والروبل والريال والدولار والشل مثل معرفتهن البارة (المليم) والقرش .
ويمرض كذلك مقدار قفل الجنيه الذهب الانجليزي ، ومقدار خفة الفرنك
الذهب الفرنسي . لقد مضت ايلم النوبى الذي ذكره بلروني بأنه أحد
يخلق في اول لحظة تقود معدية براعا في حياته وهو يقول : « من يشبل
أن يطيني تبنا مقابل هذه القطعة الصغيرة من المعين ؟ » .

وكانت الثلاثة تتضمن حبات من العقيق والمظم والفضة والزجاج
باللون وبعض الحمازين او التنبالم المصنوعة في الخزف الأزرق القديم .
وكان ترتيب الألوان حقيقا جدا . لما الخرامات المصنوعة من الذهب
المخفوط ، والأساور الفضية الكبيرة الحجم ذات الزخارف البارزة .
لقد كانت ذات تصميمات مشرة للانبلاء ، وطرايزات تقليدية لا تفك في
أقدميتها الرمنية . وقد التفطت السعدان م- وب- مسفرة جميلة
التصميم مصنوعة من الفضة والمرحان ، ولابد أن تكون اسقى بات أحد
الفراعة قد تزينة بها مثل ثلاثة آلاف عام مضت .

وبدأنا الآن للقي نظرة حادة من فوق مسطح المركب بحثا عن
التماسيح ، لقد كنا نسمع عنها باستمرار ، ونرى مساراتها فوق شفاف

(*) تصيد بذلك ما يليها للية للقبويين في لريف عند منح لجميع لشخصية في مناسبة هزينة
حيث يتسوقون اليهم في معاتبا ويلطفون بها الجدران الملوكين والقبويين عن قيامهم بهذا
الصح العظيم - (الترتيم) .

النهج الرحبة . وتخلصنا مع الترفق الشديد كل مرة منوداه على الميبد .
 ولكننا كنا نتمثل دائما . وكلما أيقظنا جنوبي ، عيل صبرنا .
 وفي صباح أحد الأيام الهادئة قابلنا السيد (١) الذي كان ذهبيته
 تساق ببطء في طريق العودة . وأبلغنا أنه شاهد أمي ، لحد عشر
 تساعدا جبلا فوق جبهة رملية ، على بعد حوالي عشرة أكيال . أما أقارب
 صتر من - ب - فقد تكلم بالتمساح من القنطرة إلى المجرى ، مما ملا
 نفوسنا بالحدس تجاهه . وكنا على استعداد لدفع أي شيء في مقابل أنه
 شاهد هذه الزواحف وهي تنقل على جانبي صارية مركبة الرئيسية أو
 رفيقنا الباجستور الوفية . أما الفريد الذي قرر أن يصحب ستة تلاميذ
 على الأقل فإنه لم يقل شيئا ، ولكنه كان يردد وجوما يوما بعد يوم .
 وفي الليل عندما كان يظهر القمر ولبنا القلي إلى أسرهم ويملكون .
 كان الفريد يتجول في الصحراء متايئا الدقلب وهو عكر المراج .

وفي نفس الوقت واطبنا على السر ، صبنا المركب الإبطر ضد
 شروق الشمس ، وترسو عند الغروب ، ولا تتوقف ساعة واحدة طوال
 النهار ، متدحمة إلى الأمام في اتجاه البحر مسجلا بأسرع ما يمكن . وعلى
 ذلك فقد عبرنا برابات داوود بنا صفيه وزاوا من الصحراء والشمس التي
 كنا نراها عند اقتراب المساء عند الغروب . وكانت منطقة طافا الغبية
 بالتمثيل تلح ماعتها البيضاء من خلال لورن الشجر الخضر على جانب
 المياه . مع الصخور والجرى ، وجنادل كلابشة ولعبد الضخم الذي يرتفع
 في وسطها مثل الكلمة . ودقنود وهو عيكل صمير له بوابة وحيدة .
 ويرف حصن الذي يبدو من علم المسافة مثل لوحة قبر منحوت في
 صخرة على حافة الهادوية .

وفي منتصف المسافة بين كلابشة ودقنود بسفل في مدار السرطان .
 ومن ذلك اليوم وحتى اليوم الذي عبرنا فيه تلك الحدود الوهمية ،
 وجدنا تفوا ملحوظا في الأحوال الجوية التي سيشق منها . انبثجت دجات
 الحرارة خلال النهار مرتفع بالتدريج خاصة في وقت الظهر عندما تكون
 الشمس عمودية . وكذلك لم صد الليل صمسا . وغاضبت كشميرية
 الصباح الساكر اللهم الا عند صوب رياح قوية من الشمال ، حتى اننا
 أصبحنا لا نرى ما نحن في حاجة اليه . وهل هو جمال لنفضيه على
 سطح السفينة في المساء ، لم الغلبة لفضافة على أسرنا عند اقتراب
 البحر . اننا ننام ونوافق قمراتنا مفتوحة ونستمتع بملحة الحرارة المعتدلة
 منذ غروب الشمس وحتى شروقها . وفي نفس الوقت كان طول النهار
 يساوي مع طول الليل .

والآن ، فإن الصليب الجوى والمجموعة الثانية من النجوم الى استنتاجنا انها تشكل سورا من القنطورس تظهر ما بين الساعة الثانية والسابعة الرأسية كل صباح - وكانت مرصع سمك نجم كل ليلة خلال الأسبوعين الآخرين، ولكنها أزيلت شديدة الانخفاض فوق الأفق الشرقي لدرجة أننا لا نراها الا عندما يحدث انكسار في السلسلة الجبلية فوق هذا الجانب من النهر - وفي نفس الوقت كان استقارهما القدامى الذين تنمو الى نصف الكرة الشمالي ، وينهرى مشوهين وفي غير مكانهم الصحيح ، يجفون سريعا في الجانب المقابل من السماء - لقد ظهر كوكب أوريون وكأنه يرقه على ظهره ، لما اليد الأكبر فقد ظهر واقفا على ذيله بربا تحت مجموعة النجم القطبي، وفي نفس الوقت فإن سميت الرأس قد ظهر ولها خط ، ولذلك أحسنا يألفا له وحظنا بعيدا عن أحد نصفي الكرة الأرضية ولم نصل بعد الى النصف الآخر - أما عن الصليب الجوى فاما لمحتفظ برأينا عنه حتى يشهد في اتجاه الجنوب ، وقد تكون هناك حياة عندما تشير الى أننا قد جازها التوقيت مع هذه المجموعة من النجوم .

وبعد جري حسب ياتي المكان التالي في الأهمية والذي نفودا حرائكنا للبحث عنه وهو صيد الدكة - ونفسا اقترينا مه متوقمين في كل ساعة ان نرى شيئا من الصيد ، كان النيل يوفد اتساعا وحما لا - وكان صيادا آمنا وصافيا ، وكان الرجال قد عملوا في سحب السفينة منذ الفجر ، وتوقفوا للافطار تحت ضفة رميلة تطلها أشجار الطراء والصنح - وكانت هناك شبكة متألقة في نسيج السمكوت تطفو ممتدة من حصن الى حصن - وتلوت النساء فوقنا بطون لزرق لامع لم لر له مثلا في أوربا - أما الهواء فكان ساكنا بشكل يثير المصعب ، وكان النهر الذي يضط هذا العناية لمائية نحو الفرق - يخذ شكل بعمرة ، يما يوحى بأن الصحراء تعترض مساره - وفي الحال شبعنا جنارة تم بطول الضفة المقابلة ، وكبير المائمين بحرك عكزا طويلا مثل عصا قائد الفرقة الموسيقية ، وكانت النساء تدرى مل ايدهن من التراب ويتكفن به فوق رؤوسهن - وظلنا تمسح نواحين لفترة طويلة سد سرور الموكب .

ومع استمرارنا في المسير استحوذت على اهتمامنا الملامح الجيولوجية الجديدة والثقرة للصحراء الليبية - كانت سهلا عريضا منطى بالجمال المنزلة ذات الصالم البركانية ، مما جعلها تبدو مثل بعض التحولات القرية التي ظرا على سطح الهضبة بكافة مروجها التي تكتسها الرياح فحولها الى رمال ، ومجاراتها ذات الحشائش التي لرعتها الرياح فصلتها



معبد الحكمة بالندوبه

جرداء • وكما ارداد انساع هذا السهل امام أعيننا ، ارداد عدد القمم
التي تكثر على صفحه • وبينا كما يدور حول الركن ظهر معبد الحكمة ،
الذي اعتبر نموذجا مصمما لمبد ادوو . امام انظارنا على الصفا العريضة
حيث كاس الصحراء التي في هذا الجانب ، تقدم لنا منظر حقل ضخم
من القمم البركانية التي لا نخطئها العين • وكانت هذه القمم المحروطة
مختلفة الأحجام والارتفاعات مثل تلك الموجودة في أوفرنى Auvergne
كان بعضها منخفضة ومستديرا مثل الفقاعات التي تم تبريدها دون أن
تفجر ، والبعض الآخر يراوح ارتفاعه ما بين ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ قدم •
وكانت الفوهات البركانية للعديد منها يمكن التصرف عليها بمساعدة نظارة
المدان • وكانت أحدها بالذات تشبه صديقا قديما مهمل باريو
Puy de Pariou الذي لا يستطيع حتى مع الاستعانة برسم تخطيطي
باللون الأخضر والأسود أن يرق فيه بين القمة والأخرى •

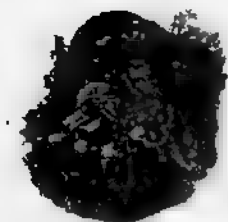
واللهشبا لأننا لم نجد ذكرا لأي شيء عن جيولوجيا هذه المنطقة في
كتاب من الكتب التي بين أيدينا • لقد مر عليها موراي وويلكسون في
صمت • أما كتاب الرحلات فإن واحدا أو اثنين منهم فقط هما اللذان
استطاعا أن يلحظا الشكل • الهرمي • الثلاثي ، وقد أحسا بالرضا لذلك
الاكتشاف • ولم يبد على أحد منهم أنه لاحظ أصولها البركانية (٣)
ونشكر النسم الخفيف الذي هو عند الظهور ، لقد أتاح لنا أن نشعر

(*) لم يال أحد من قبل أو من بعد أن منطقة الندوب بها أية تكوينات بركانية مما
متناقض مع اكتشاف المؤلف - (المرجع) •

صاريها الأكبر مرة أخرى ، وإن تربع وجلالها من نصب منحبه اللحية -
وعلى ذلك قد جعلنا خاتمة خرائب المعركة التي تظهر من النهر مثل بوابة
اغريقية ترتفع في الفضاء الواسع للصحراء - الحارقة - وبعد ذلك جاء
وادي السبوع وهو حديد نصف مدفون في الرمال ، حيث قابلا قريبا
من ذهبيه صخرة يبحر بها غوييان برلمان علما يحمل نجمة وهلالا ، انه
مفتش الحكومة المخادع الذي يرتدى ملابس اوردية وطربوشا ، وقد
على حصيرة خارج باب تحركه وهو يمشي ، فيما علق تمساحا ضخما على
قائم خشبي من أعلى - كان لوي هذا الوحش يميل الى الاضطراب .
ويبدو طولها من رأسه حتى ذيله ستة عشر قدما على الأقل ، وكان فكاه
منفرج ، وقد اتفقت إحدى أرجله السمينة المترهلة ، وعظيمة الثقل
يتأرجحان مع حركة المركب فظهر مثل انسان غريب الشكل -

وقد حيا الرسام عرضا قفصه بنفسه في الموقع وهو ينظر الى المتاع
الامامية ، ولكن المفتش المخادع لم تحركه اعتبارات الربيع ، ولمضلل
مساحه من الصعب التكافؤ . وتبادل بشق الألبس بالرد على الطلب -

وفي نور الشمس المفادي ظهرت الجبال الأرجوانية وهي تنحدر في
كل منفصلة نحو حافة النهر في جانب ، والصحراء بلبسها البركانية
المرلفة في الجانب الآخر . وقد حسينا ان الانحراف من كورسكو يشكل
منظرا دائما صليح للتصوير أكثر من كلفة المناظر التي شاهدها جنوبه
السهل . ومع تنخل الضيق ظهر القمر . لما التخللات التي جعلت لنفسها
مكانا تسو فيه بين الجبال والنهر ، فقد تحولت من اللون البرونزي الى
الفضي . وفي الوقت الذي خيم فيه بعض الضيق مع بعض ضوء القمر
وسلنا الى منطقة المرسى - لما طلعت الذي كنا أرسلناه في القرب الصغير
منه نصف ساعة لكي يتكلمنا ، فقد قرر ان يطلع اللحية وهو يحمل
حرمة من الحطابيات وورقة من الجرائد . وقد اكتشفنا أول مكتب مريد
يؤبر في هذه المنطقة التي يمشي فيها طريق القوافل الكبيرة عبر الصحراء
الى المرطوم - وكانت قد مضت عشرة أيام لقط عند أن تسلسا آخر رسالة
وددت السا في اسوان ولكي هذه الفترة ظهرت لنا مثل عشرة أسابيع -



موجودات ذریعہ

الفصل الرابع عشر من كوروسكو الى ابي سنبل

وصلا الى كوروسكو في وقفة العيد الكبير في مناسبة الصحبة التي
لدها ابراهيم عندما كان ابيه اساعيل (حسب النص الاصلاحي) هو
الصحبة المقصودة واعتمد يهروى . ولما كان العيد الكبير هو أحد الأعياد
الكبرى الاسلامية فهو مناسبة لتقديم الهدايا ورفع الدعوات الطيبة .
بالأغلب يرددون أصنافهم ويودعون اللحوم على الفقراء . ويذهب كل
مؤمن خفي في الصباح الى الجلس لتلاوة صلواته . ولذلك فإنه بدلا
من الاستيقاظ مع تروق الشمس كما هي العادة ، قمنا الى بحارنسا
حروما وانتظرا الى ما بعد الظهر حيث يقيمون العيد .

وبعدوا يومهم بالذهاب الى حاص القرية وهم يرملون في الحلاب
الجديدة والمعائم الخفيفة ، والشبابيب الجلدية القرمزية اللون ، فاندوا
يتكلمون حتى وقت الغداء عندما تم طهي الحروف المذكور مع الحمص
والنوم وانتهى بذلك الاحتمال . لقد كان الحروف حيوانا صغيرا ولا بد
انهم عاملوه بقوة ، ولكن الصوق الى الطعام جعلهم يستمتعون مثل
الأطفال ، وذلك عندما جلس استقارنا المخطون القرفصاء متقابلين
السيفان ، وهم سمعوا حول الرجل الذي يتصاعد منه الضحك وهم يجررون
ويضحكون ويحفلون بالמיד ويفرون أصابعهم في الطعام المشترك الذي
يتناولونه من انا واحد . ثم يمسكون أيديهم بمد متصل من ماء النيل
وبعد أن انتهوا من ذلك أخذوا يجادلون تدعى التارجيلة التي كانت
تدور من تدخين الى تدخين وهم محتل بالقهوة الكثيفة . وبعد منتصف
اليوم قليل كانوا قد غلغوا ملابسهم الفاخرة ، ولبطوا أنفسهم الى
الحسين . وبعدوا الليل في سبب المركب خلال التظلم الصخرية التي
تعاقل مسار القبار .

وبلغ أنسافه الحقيقيه ما بين اوروسكو والدر ، حوالي أحد عشر ميلا ونصف ، ولكن مع المراتق التي يسير في مجرى النيل ، ومع الريح التي يمت موانية ، ومع المدحول في اصنافه كبره اخرى ، غيرت مسار النيل الى الشرق ، وجدنا ان هذه الاميال الأحد عشر والنصف قد كلفتنا جهده يومين كاملين من السحب المتناقص .

وعندما كانت المركب بلاصبي انشاصي ، وكنا نهبط عنها ، وجدنا نظام الزراعة متفابها في كل مكان حيث يزوع الترمس والعنبر على المنحدر ممايل خط المياه ، بينما يمر غايبة متصلة من اشجار النخيل على حافة الانشاصي ، ونحن نحول القطن والقمح الحديث الابيات في الفراع الذي على ذلك ، ثم تنبع الصحراء ، وكانت التربة القايبة للزراعة لم تست كاستاد بواسطه مئات من القنوات الخفية ، ويبدو أنها اطلقت جيها ، كما رويت مبرارة بحيث لا يستطيع الاسان رؤية أية اعصاب مبرارة . كما أنه لم يفقد موصة واحدة من التربة ، وكانت القنات والكوسه تروى حوران في الاركان المنفره حيث لا يوجد مكان لزراعة النخيل وسائر المحاصيل . ولا يمكن الطور على انشمار انخروج المصنفة او لوز القطن الكبير او اشجار النخيل المرتفعة في أي مكان .

وعندما نشاهد لأول مرة خارج مصر بين الشجيرات الصغيرة عددا قليلا من طائر الهند وفيره من الطيور الصغيرة ، كما شاهدنا على منحدر دحل بجوار البحر مجموعة من البط البري ، وقد نجولت الكتابة مع احسن السيدتي م- و ب ، في ذلك الاتجاه بحثا عن التماسيح - وكانت كلتا النخيتين ، كل بطاغم السمك التي يجرها ، تنضممان ببطه ضد التيار على بعد حوالي ميل ، كما كانت المنطقة كلها شديدة البرارة وشديدة الصنعة - وقد اتعدنا في مبرنا ولكننا لم نر أية تماسيح - لها الذي ستفعله لو شاهدنا واحدا منها ؟ لست مستعدة للاجابة . فربما كنا متركضين بمصنعين - وعلى كل حال فقد كنا على وشك العودة عندما لمنا طيرو البط تجتفق ناسها في الشمس وهي صنف نائبة على حافة بحرة صميرة على بعد حوالي مائة وخمسين مترا .

وقد زحفنا بحرص تحت الضفة حتى اصبحنا على بعد ياردات قليلة منها . كان عمقها اربعة ، أحدهما ذكر واحداهما أنثى واثنتان صغيرتان لهما وريش رائع وصغير مثل الرطب - أما الأبران الكبيران فقد تجاوزا طول كل منهما ثمانين بوصات من الرأس حتى الذيل - وكانت لها جساما

ورؤوس بلون تمار أي خروقة يشتملها من المنتصف حريط أصفر مثل فرق
النفس ، و ظهور ذات لون قمرى مائل للسرة - أما رؤس أوجحتها فقد
كأن بلون قمرى ورمانى - أما ديوها فكانت أطرافها صفراء اللون •
كانت رائحة الحال مع اكتمال الصبغة العاتية الصنيرة لهجة إن المزلقة
لم مسطح أو تخفى سمادتها لوجود الفريد وبسقيته على ظهر الباجستوز •

وحاشى على الصفة المقابلة للصحراء اللبية كان يرتفع معبد عيدا
الصغير على حافة مسطوره وهو صنف متدفق فى الرمال - وعندما كنا نقوم
بصفة البط فى الصباح راينا من الجانب العكس ، قطعت أنه أحد
الملاحى ، الصيرة التي ألقاها محمد على لتربية الماشية التي ترسلها
السودانا سنويا • وتأكدنا من أنه معبد صغير ولكنه مسطح وقد بنى بكل
من الحجر الرملى • ويهود تاريخه إلى أيام أوسرتيسنر وتحوتمس • وكان
يحتل على يهو وقاعة أمامية مستمرة وثلاث حجرات صغيرة • أما السقف
اليهو فهي مسرد دعائم مربعة • والحجرات صغيرة ومسطحة • أما السقف
المبنى من كتل مستطيلة فهو مسطح من الجهتين • وإذا نظرنا إلى كاحد
العالم المصرية فسجد أنه فى الحقيقة ليس إلا درجات قليلة نزلت من
حرائب قديمة • ويمون هذا المعبد الصغير فإن المنطقة تصبح مثل العلية
التي جرت من البحر الكريم التي يتوسطها • ولم تساعد مثل تلك
التقوى المائرة الجبهة الطرار والمبيلة الأكران إلا على مقبرة • نى •
وهنا مثل كاتبة الأماكن الأخرى نجد المواجهات مغطاة بمجموعات من صور
الثرى والآلهة والنصوص الهيروغليفية • وتظهر أشكال الإكتفاص رشيدة
وقد رسمت فى أوضاع حركية • كما أن القطية الرؤوس والمجوهرات
والملايس مرسومة وملونة بأحكام بحيث تبدو كل رأس مثل لوحة شخصية ،
وكل شكل هيروغليفى مثل منسمة مرسومة على الماج أو حله الرق •

ويصرف النظر عن التنفيذ الرائع فإن النحت الموجود على حوائط
معبد عيدا لا ينتمى إلى الفولاء القديمة وإنما إلى عصر النهضة المصرية •
ورغم وداته من ناحية الوضوح والتعبير عن الطبيعة بالنسبة لأعمال
المدرسة القديمة إلا أنه يمثل علامة على تلك الفترة التي تطورت فيها فن
النحت العائر بحيث صار يتفلس مع المستوى الرفيع الذى لم يتركه
من قبل ، لأن هذا المستوى الرفيع يعود إلى أيام تحوتمس الثانى وتحوتمس
الثالث مثلما تنمى فترة التكمال فى الصناعة إلى عصر سينى الأول وحسيس
الثانى • ونعود لهية معبد عيدا إلى هذا السبب • أنه يسجل وصول
تاريخ الفن إلى قوته • ويقدم أحسن مآثر هذه الفترة عندما يلتصق قمة

تألفها - ويظهر السحت هنا ملتزما بالخطود التي رسمت له ، ولكنه وهم هذه الحدود كان يمتنع بحرية الحركة - وبالرغم من أن الفن القوي يصبر عنه تقليد إلى حد كبير ، إلا أنه يعطى غير متكرر ، وطلب موهبة الإحساس الفني تمرر عن نفسها له - وباحتصار فإن معه عمداً يمتاز بالرقرة والخطب فيما يتعلق بالحدث الفاتر الذي يفوق ذلك السحت القصصى للرسم على حوائط الكرنك .

أما المعبرات فهي نصف مكتظة بالرمال مما اضطرنا إلى الزحف على أيدينا وركبنا من داخل الهيكل . وهناك نقش طويل من الطرف العلوي يسجل كيف أن امحطب الثاني عند عودته من حملته الأولى ضد أعدائه الآسيويين ، قد ذبح سبعة ملوك يديه . غسق ستة منهم على أسوار طيبة بينما أرسلت جثة الملك السابع إلى الحبشة عن طريق النيل حيث علفت على الحائط الخارجي لمدينة نيماتا (١) . حتى يعلم لمنهسا بالانصارات الملك في كل أنحاء العالم .

وفي تشيد أركان الصالة الإمامية ظاهرا ، شامدا لوحة فريدة تمثل الملك وقد احتضنته إحدى الإلهات ، وكان يسبك بسيف مستقيم لصبر لير يد اليسرى ، وعلامة المنح في يده اليمنى . ويضع على رأسه الخوذة الحربية وهي تاج أروق مرصع بالبحرور الذهبية ومرصن بالفضة المكنية . وتبسك الإلهة برأسه في حب وتقترب يشفيها من شظية - رقة نون الرمام بشرتها باللون الأحمر المنصص للنساء - ولكن فيها الجذاب وأنفها المستقيم بمنجيات إلى الملامح الأوربية . ولما كانت ترتدى ملابس القرن التاسع عشر (ق ١٠م) ، فلا بد أنها كانت تشل الفتاة التي عاشت في ذلك العصر .

وكأن الرمال له تكوم في كومة حديثة الاكتشاف خلف الجسد بحيث يخطو الإنسان فوق السطح كما لو كان يخطو فوق ممر قد ارتفع مستوى سطحه عن مستوى سطح الصحراء . ولكن سرعان ما يسوى السطح مريضا . وإذا لم يتم عمل شيء لاتخاذ المبني خلال جبل أو جيلين قاضين فإن الرمال ستبتلعته جسيمة ويضيع مكانه .

(١) حيلة شريفة كانت تسمى الآلة لكون حوائط نهاية الأسرة للمعبرين . ومن طريق كهنة حيلة كثير استقروا في نهاية في تلك الفترة ، جاء النجل الذي نرا مصر على أيام الأسرة الثالثة والعشرين .

واذا نظرنا من فوق السطح حلقا الى كورومكو ومباشرة نحو قرية
الدر ، فاما سترى واحدا من افسر المناظر في البوابة ، وربما افسرها
كلية - فالسبل يسحب انحناء سطحه خلال الارض الامامية ، بينما تدنو
اراضي قرية الدر ، خضراء على ابعده - وتبدو المنطقة الجبلية التي عبرنا
تلاها منذ قليل ، مثل حلال ضخم مكون من القمم التي لا تحصى والتي
تنتشر حول ثلثي الأفق ، ساحة بعد ساحة ، وسلسلة بعد سلسلة ، ومن
لحم في الفسوف بلونها القرمري ، وتزداد عمقا في الظل مع كل درجة من
درجات اللونين البنفسجي والأرجواني ، ثم تتلاشى في الأفق باربعها الأودية
الغريبة ، وبعد غروب الشمس تبدو لأمة ، وجوهجة بالقصو ، ومتلازمة
مع الذهب ، متلما كانت كل قوحة بركان في المضي عينا تنبع من النار .

وفي الصباح التالي بعد أن باضنا خلال ضافة الضفاف الرملية
المارقة في النهر وصلنا الى قرية الدر بعد الامطار ، وتقع هذه القرية
التي تتميز عاصمة البوابة في موقع مسطح قليل عي مستوى الضفة ،
وبذلك لا يظهر منها سوى القليل من العواطف الطينية التي تبدو للمناظر
من النهر . وبما كنا قد صلنا حتى هذا الوقت أن العاصمة ليست
الإفريقية كبيرة قد تضم مسجده ومكانا لسيما لإقامة السوق ، فلم تصبها
خيبة الأمل عند رؤية المعالم المتواضعة لهذه العاصمة النوبية .

وكانت دهشتنا اكبر عندما وجدنا مرقع المرسى مهجورا بدلا من
الازدحام الصاخب المعتاد ، والذي يتصارع فيه الأفراد وهم يصطحبون
ويربون بعضهم بعضا بالثاقيب ، ويصايفوننا طالبين البقشيش . وكان
هناك قاربان وطيان لم ثلاثة ثقوب فارغة تحت الضفة ، ولم ير شخصا
واحدا على مدى الرؤية ، وكان السند (ل) والسيدة الصغيرة متشولجين
لشراء بعض السلال التي يشتهر بها هذا المكان ولكن بدون جعوى .
أما الشمس التي كان متموقا لثوم في صفون للبيبي الطارح والخضروات
فقد حلق بكفى حينئذ .

ومررنا ، ولكننا لم ير أمامنا سوى جراج يقع في الطرف البعيد منه
في مواجهة النهر لصر المدير ، وهو عبارة عن كوخ طيني ضخم له افرير
من الطوب الاحمر حول قمته ، ومعدل جبري مهيب ، ويستقبل الرجل
العظيم جمهور الزوار في هذا المختل حسب الاستخدام القديم ، ورايتاه
قائدا من مجرد شباب ، يفتح في غليون طويل وسط حشد صميم من كبار
السفن ذوي النحي الرمادية الذين نظروا اليها في وغار دون أن يتحركوا

مثل الآلات التي ينبعث منها الضجيج - وقد ارتدت قلوبهم إذ ما كانوا قد أصبحوا جميعاً تماثيل من الجرانيت امتلاء من وسطهم حتى أقدامهم ، وعما إذا كان مسكان قرية المر قد تحولوا إلى حجارة رقيقة ولكنني اجتذبت .

ومع الإصرار على شراء السلال ، هذا لذا كانت هناك سلال تحصلح للشراء ، كان الإصرار أيضاً على اكتشاف مكان معبد محجوت في الصخر أوصت الكتب التي بين أيدينا بأن يبحث عنه في ظاهر المدينة ، فاتجهنا جانباً إلى شارع غير منتظم الشكل يشود إلى الصحراء - وكانت المنازل مبنية بطريقة أفضل من المعتاد - ويبدو أن تسوية سطح الشوارع وتزيين الأبواب يقطع من الضخام الملون قد استغرقا الكثير من الجهد ، وكان هناك طبق مشروح مصنوع من الخرف المزيج بالرسوم ، موضوع مثل طاقة بأعلى أحد البابين ، وطق آخر أبيض اللون من أطباق التلوين لا شك أنه جاء من مقصب إحدى النصليات الانجليزية - كان موضوعاً فوق باب آخر ، وكان الطبقان مصدر فخر لأصحابهما . وقد نظرت في هذا الشارع من طرفه الأدنى إلى طرفه الأعلى - وكان شارعاً طويلاً ما يمه التبل في أحد طرفيه ، والصحراء في الطرف الآخر - إلا أننا لم نر علامة أو ظلاً لحركة انسان نبع فيه - فيما عدا سيدة شابة سمعت الأصوات القريبة التي تحدثت بلغة أجنبية تاحتمست النظر من باب نصف مفتوح أثناء مرورنا ، وبعد أن دأبني أنظر إلى الطفل الذي بين يديها (كان الطفل كبيج الشكل ملتصق العنق) جفت حجابها على وجهها ودلفت إلى الداخل مرة أخرى ، وقد ظننت أنني طمعت في كنزها ، وغالت من حسد العين القوية .

وسرعان ما سمعنا صوتاً مثل عرشة مرتحلة لعد كبير من اليوم آتية من بعيد - فأمسكنا أنفسنا ، وأخذنا أسباعتنا ، ولم نكن قد سمعنا مثل هذا الصوت المتوحش الناتج من قبل - وفعلاً رأينا من فتحة بين المنازل رجلاً ضخماً على أرض مرتفعة لمسيحة على يده حوالى ربع ميل - وكان الرجل مكوناً من الرجل فقط الذي بلغ عندهم حوالى أرمائة رجل مدمم واثنين في سكون وهم ينظرون جميعاً في نفس الاتجاه . وأسرعنا إلى الصحراء حتى شاهدنا المنظر المرعب الذي كانوا ينظرون إليه .

كان المنظر يتكون من مسجد ومحل قاحل ، طم بين المدينة والصحراء ، وقد انتشرت فيه القبور - وكانت جميع المثلثات من النساء وقد قرأسن

تحت حائط طويل على بعد عدة مئات من اليلادات . وكانت رؤوسهن مكشوفة ومعرضه لحرارة شمس الصباح ، وكان عذصن يريد من عدد الرجال يستدار الثلث ، البعض مبهل حالسيت ، والبعض الآخر واقفات ، بينما كن يتحلقن حول مينة شابة في الوسط يبدو أنها كانت تقوم بدور القانك . وأحلى يترنص ويتجصن في شكل دائري ، ويخرجن خطواتهن في شكل صف متراص ومترايط من القاصات . وكانت كل العيون مكررة على هذه المينة الشابة - كانت نسخة سوداء اللون من كامالندرا (م) وكانت تحرك جسمها من جانب إلى جانب ، وقد شبيكت يديها فوق رأسها ، وأطلقت أنشودة حماسية أخطت الأحرار في ترديدها خلفها . ويبدو أن هذه الأنشودة كانت مقبسة إلى أبيات ، ولذلك كانت تتوقف عند كل بيت من أبياتها ، وتلق على صمونها ، ثم تنفجر في هذا النوع المنيف الذي حصله من على البعد . ويسو أن أعياها قد مات اللبية الماضية وما نحن لنشاهد جنائزته في تلك اللحظة .

وله اللهم عملية الدفن عند وصولنا إلى المكان ، ولكن ما زال هناك أربعة رجال منشدن في تكديس الرجال فوق المقبرة حيث كانوا يلقون من، جازوف في كل مرة ثم يكسونه بأقدامهم العافية .

ولما كان الغولي غير متزوج فقد تولست اخته جولة العدايات . كانت امرأة شابة طويلة وحزيلة من النوع الديوي البسيط الذي يمتاز ببرود عظام الصدر ، والصين المتحدرك من الركن إلى أعلى ، والعم الضخم ذي الأسن اللامعة . وكانت قد وضعت فوق رأسها طرحة بيضاء مبطنة بالتراب . أما رفاقتها فقد تسير بشريط أبيض سبق ملطف فوق العاصي وقد ربط من طرفه حلق الرأس . ولقد أخلفن قتلاصن وأمسورص وأوتدين أودية تنجر على الأرض وعطين وؤوسن بصيلان . كما أوتدين سراويل من القطن الأسود أو الأزرق .

وقفنا لنشاهد القصص الأروع عدة طويلة دون أن نلاحظنا واحدة منهم . ولكن الرجال انقسموا لنا الطريق بأبد مشوب بالمزن حتى وصلنا إلى المقبرة لكن نشاهد منظر الاحتفال من حوالق أفضل .

(*) أمة الملك بريام التي كانت لديها موهبة القن ولكن أحد لم يكن يملكها .
(المرجع)

ووقفت امرأة عبور من بين أولئك الجالسات وتحملت يخطوات
متراخية غير ثابتة نحو نقطة مرتفعة من الأرض مسطحة قليلا عن الرحام
وحذت حركة خاطئة من الرجال الذين استدار أحدهم نحو المؤلفة وحسن
ثابتا : « هذه آله » .

كانت صورا واضحة ترتفع ملابس متواضعة ، وكانت دراماها
ويداها مثل دراعي ويندى الموياء ، أما وجهها الأسود الدابل ، فقد ظهر
مرعبا خلف قناعها النرابي . ولجعت ندير جسمها للأمام والحظف عند
لحظات وهي تراقب حماري أمير وهم يهبطون الرمال ، ثم منب ذراعها
وانخرطت في سبيل في المصحبي .

كانت لهجة قرية النور غريبة ويوبريه (١) ونكسا شعونا بأنا
نفهم كل كلمة نطقت بها ، وسرعان ما بدلت المصراع تسابح على خديها
واحسن صونها بالمبرات ، وسقطت على شكل كومة لا حول لها ولا قوة ،
ورمعت واضعة وجهها على الأرض مثل كلب كبير القلب . وظلت هكذا .

ولم نفس الوقت ارتفعت الرمال حتى أصبحت كومة كبيرة فتوجه
الرجال بأنفسهم إلى مكان بعيد عن الصخرة واحتاروا حيرى كبيرين
في بين الأغصان ثم وضوعها في موضعى عوف رأسى ورجل ألفت وانتهى
كل شيء .

وعند تشارة متفق عليها بالرغم من أنها لم تلتظها . بولاع النواح .
وقامت النساء وانطلقت جميع الألسنة . وانخرط الرحام إلى حميد متحرك
متدافع كثير الضرباء ، ونشئت الجميع في اتجاهات مختلفة . ومسيما
مع الجميع فأخذت المؤلفة والرسم يتجهان للبحث عن المبد ، بينما اتجه
الثلاثة الآخرون إلى البحث عن أماكن مع السلال والحل . وعندما نظروا
إلى الحطب . كان الرحام قد انقضى بينما بقيت الأم القصيدة راقدة في
التراب بلا حراك .

لقد تصادف أن تبايننا العديد من الجفارات في منطقة لنوبة .
وكانت كثيرة حتى أننا أحسبنا بأنه مصاحف لمولم لم يكن يدين عن الحالة

(١) الرجال هنا يتصرفون بجسم اللغة العربية . أما معناه اللغوية فلأنهم يعبرون
لغة الملهولين الكنيسة والميريرة والأدلى منها يتحدث بها أهل كوروسكو

الصحية في مناطقهم • وكان الاعتقال الجبارى متشابها في جميع محافظات
من حيث الرقص والانشاد دائما بفرق يجرى مع أعلى درجات اتساع •
وحدثت احدى في مدى مسبح عند الاعتقال بالاصول الاثريكية الحالية
وعلى ما دخل عليها من التقاليد المصرية القديمة • من المحتمل ان يكون
الرقص الى اصول حثية • وقد شاهد ليسيوس انا • وحلته في السودان
سنة ١٨٨٤ الميلاد شيئا من هذا النوع في جافة كانت في واد مدني
الذي يقع في منتصف المسافة بين منار والوطوم (١) لما شريط الشجر
المصنوع من القش الأبيض الذي كانت ترميه جوفه النملحات فهو
مصري • انا رأيت فيها يد في النقوش التي تمثل مواكب الجنائز
على حوائط العديد من المقابر في طيبة حيث تظهر النساء المائحات وهن
يجسطن التراب في ايديهن ثم يتولين فرج وؤوسهن متلما يحدث الآن • اما عن
النواج فقد بدأ عرضا ثم انخفض في دورات يحصل بينها ثقت نفسه وليس
تصعب مضى حتى يصل الى حتم الجواب المكون من ثمانى نفحات موسيقية
متتالية يبلغ ارتفاعها نصف الارتفاع الذي بدأ به النواج • ولابد أنه
يمثل حتى اليوم حس الحركة والارتفاع الذي امتاز به النواج الذي كان
يصحب الفراعنة الى مقواهم في وادى الملوك •

ولابد ان هذا النواج كان يسلم من جيل الى جيل على مدى عصور
عديدة مثل الفرغريد التي كانت كل أم تعلمها لبانها المصبرات والتي
لا يكن اتقائها الا بالتعرب عليها من سورات الطويلة • ولابد ايضا ان
الاعتية التي يدير الفلاح الصادوب على انعامها • والانشاد الريسي الذي
يشتمل على السالية تمود جميعها الى اصول بعيدة • ولكن أقدم وأشجع
الأصوات الانسانية هو نواج المرق الذي استمعنا اليه في قرية الدر •
ولا شك في أنه أقدم الأصوات وأكثرها إثارة للسمج •

أما هذا الحميد الذي يعود تاريخه الى أيام وميسس الثاني فهو
بسيط التسميم • تتوسط الجودة في التجميل • وقد بنى جزء منه وحفر
الجزء الآخر • ويتم الوصول اليه عن طريق قناة لماسي يدعم سقفه ثمانية
أعمدة مربعة • لم يتبق منها سوى قواعدها • وتربح سقف البهو أربعة
أعمدة ضخمة كان أمامها في يوم من الأيام أربعة تماثيل كبيرة الحجم •
وتسمح الأعمدة بظهور ثلاثة مداخل تؤدي الى الحجرات المتحونة في

(١) انظر Lepsius's letters from Egypt, Ethiopia etc. - المطبوع رقم
١٨ صفحة ١٧٤ • نسخة يون Bonn سنة ١٨٨٢ •

الصخر حقيقيا . وهذا الحجر الذي يكون صعب ، ما الذي ليس قد سبق
 فيها سوى اندامها . لقد حارب كل شيء تخريبا ليس فيه شيء من الجمال .

وعندئذ سر إلى المكنون من الداخل بعدة لا يحلو من روعه . ونقسم
 القاعدة الكبرى إلى صحن وجناحين بواسطة صفي من الأعمدة المربعة يوجد
 عنها ثلاثة على كل جانب - وتبلغ مساحة هذه القاعدة أربعة أقدام مربعة
 وقد نصب الأعمدة في الصخر من تلك الأعمدة الموجودة في المقابر
 القديمة بـسبوت أحد حوز البحار الذي يحجره اليهود استهدم فيه يبنو
 حافه ويسق طرعه صعب إلى حدس الأنداس في الحجر لعميق .
 أما سفوس التي في الداخل فاني بالرغم من شدة الدمار الذي لحق بها
 فاني أقل تسوية من تلك التي في القاعدة الخارجية . وقد عطي الحوائط
 والأعمدة والداخل سفوس بارده يظهر فيها الملك والآلهة بتاح ، ثم الملك
 والآلهة رع ، وأخيرا الملك والآلهة آمون وأمن وجها لوجه ، وهذا في يد
 على الجوانب الأربعة لكن عرود . وعطي الحوائط مساطر الحرب ،
 والدينح والمسح بالرب اما المساحات العالية فقد امتلأت كالعادة
 بالقبوش والبروغيفيه التي اكتشف سامبيون من بينها قائمة غير كاملة
 بأسماء أولاد وبنت ومسيحي الثاني .



معبد الذر مانوبه

وكانت هناك يوما ما اريه أنه مجلس على عروشها في عبي قنس
 الأقداس ولذها لبيت صعب الماتيل الخارجية الازمية ولم يبق صها
 الا اقدمها . اما النقوش الحائطية التي ينطى هذه الحجرة الصميمة
 المظلمة هي محفوظة بطرقه أفضل من تلك الموجودة في القاعة ، حيث
 ترى صورة لم تمس لوكب احتفال مكون من الكهنة الذين يحملون على
 أكتافهم القارب للقدس . يارى . . وبالقرب منها صورة لثلاثة حثجور
 بطول الحائط ما زالت تحتفظ بألوانها الزاهية .

أما المنظر الذي يجي الاحتمام أكثر من هذه المناظر كلها والذي تعود
 أصيته الى نمرته - فهو منظر منحوت لشجرة تخيل يركع الملك أمامها
 أنساء تقديمه القرابين للاله آمون رع . وقد رسم الجدار بنفس واضح ،
 والأصان كاملة وصحرة برشائه وعم تعميداً حسب الفسليكات المتعارف
 عليها . وليست هذه الشجرة الا إضافة ربما أمكن التعرف عليها من
 خلال موسم جنى البلع الذي يمثل ثروة عند المنطقة . ولكنها لا معنى
 شيئاً مفصلاً . وقد رسمت لأصفاء الجو الطبيعي على الرسم . وهذا الجو
 الطبيعي غير معناد من التي الذي يسمى الى هذه الفترة حيث كانت وهرة
 البردى التقليدية وهرة اللوتس التي يجازيها بها الفسليكات النباتية
 الوحيدتين اللذين يظهران على حوائط المصايد . وأذكر رسماً مشابهاً
 يتجلى في السحت البار الذي يسمى الى عصر المولة الحديثة ، ونعني
 به أعماد نبات البردى المنحنية والمقصورة والتمايه في منظر صيد الأسود
 بسحب مدينة حابر . وهو رسم يشي الإعجاب لنعزده من القيود واستماراته
 الروافضة من الطبيعة .

وبعد خروجنا سقزنا الى حوائط الفناء بأجنحة بلا جنوى عن منظر
 المعركة التي استطاع شاسليون من طريقها أن ينتج الأمد المشهور الذي
 حطم للملك رمسيس الثاني في الأسطورة التي تصفه بأنه « خاتم جلالته
 الذي يمرق أعداءه الى أملاء متناثرة » . وقد حشي على ذلك حصة وأربعون
 علماً . والآن فاننا نكشف بصعوبة بعض المخطوط الخارجية للبهمة التي
 تبين عمليات البرية الحربية والسيوى .

وهناك بعض المظاهر المحصورة في الصخور الجيرية . وقد اكتشفها
 الرسام بينما كانت مؤلفة هذا الكتاب ترسم بعض الرسومات التخطيطية
 للبعد من الداخل . ولكنه قرر أنها مجرد حفاير غير ملونة وغير منقوشة .
 وعندما ادركنا وجوها نائمة النهر ، كاتب الصخور والرمال والسماء في

أوجها . وبما أن كان صليح حشد كبير من الناس لا يجد إلا شخصاً واحداً . وكانت اشجار الكفيل نهر هاماتها ، وطيور الحمام قد عليها الساس . والندبة العلية ترفد في الشمس . وحتى لم القيد بأرست المكان الذي كانت موح فيه وتركت أيها ليرقد في مكان الصخرة .

وحسباً لكي تشاهد قبره . وكان الرمل الذي اصيل فوقه حديثاً ، غامق اللون بالنسبة لبقية الرمال المحيطة . ولولا آثار الاقدام لما استطعنا أن نميز القبور الحديثة من تلك القديمة فكلمها مشابيه . وقد وجدنا بعضها غائراً أكثر من غيره معدناته باحجار كبيرة . تم ملأه بالرمل المتعدد الألوان . وكل من قبر واحد أو اثنان معدني يمانط من الطين - وعلى رأس القبور جسيمها آية من الطين . وكما أيسر شاهدنا منطقة مدالي في النوبة . سر هذه الآلية فوق الميوز . وقيل لنا أن النائيين كانوا يوحون عندما لهم أربعين يوماً ويصرون خلال هذه الفترة كل يوم جيمه ، ويسألون هذه الآلية بالله الذي سرب من الطيور . وكانت الآلهة التي على القبور الأخرى جامة وعسكرة بالرمل . ولكن الاماء الجديد كان مبنياً . وعندما لمسنا المله الذي كان يه وجدناه ساحياً .

وجدنا السيد (ل) والروحيين السعديين واقفي عند العليج وظهورهم مستندة إلى شجرة ليح كبيرة ، معاطي برنام ضخم وأبعد ما يكرتون عن الراحة . ولأيد أنهم حروا على الاسواق متظاهرين بالاستعداد للشراء . ولذلك حصر اليهم جميع المكان حامل كل الصخر والسلاسل وحاملت الأسب والخوام والفلايد والأساور من المكان الذي يقفون فيه . ولما شاهدنا القضية التي كانوا فيها أسرها إلى المهيبة ولزمنا ثلاثة أو أربعة من المبازرة لشجعتهم فاحضروهم متصرين .

أنا لا تستطيع أن نتجول على التناطلي بدون حراسة حتى في مصر . فقد تعود الناس على الالتاح ولكن من الممكن ابتادهم إلى مسافة معقولة . أما في النوبة حيث لم تكن حياة السياح آمنة منذ حسمه علماً مضت . فإن الانجليز الذين يعرفون ساية يتجمع حولهم اللوغا بشكل غير مقبول . أما المواطنون فما زالوا في حيلة الأمر مجرد متوحشين . والطباخ القديمة صعبة تمت قشرة رقيقة من الإسلام .

وكانت بعض النساء اللاتي تمنعن لصدقنا إلى المركب بالرغم من لون بشرتهن الأسود . مثل شيه النساء يتبرون بعيون زرقاء صفائية ،

وشعر احمر مما جعل أشكاله تثير الخوف . ويوجد هنا وفي ايريم الكثير من هذه العائلات ذات البصره الماتحة اللون ، ويقال انها ضالست عن آباء من اليوسه كانوا قد اقاموا في النويه عبد الهريرة التي لحقت ببلادهم على أيام السلطان سليم سنة ١٥١٧ ميلادية . وتنتشر هذه العائلات بمنازلها الأجييه وعلى مبناها أنهن جيلاب .

ويعد أن ركبا حبيبا المركب ونحي مالحون ، أبحرنا في الحقل تاركين حوائى مائتة من الباعة الساحطين واقفين على الضفة . وهم يشيخوننا بصياحهم الذي يمر عن الامتيا . لقد طي الذين باعوا والذين لم يبيعوا أنهم قد تعرضوا حبيبا لعم التوبيق والحرايب والخداع . لقد اندمست اسقى البناء تحرى بطول المسه وهي تصرخ وتصرع صدرها لأنها استطاعت من مدد السائلي أن بيع الدلاية الذهبية التي تتدلى فوق الحاجب يتس مرتفع ولكنها شعر الآن بالحزن لفقدها . وكثيرا ما كان يحدث أن الباعة الذين اندوا استخدامهم للسبع . يمددون لينضمون على المساومة ، بالرغم من أن جسمهم يعوق حبيهم للظفر . وقد تأثرت مرة أو مرتين ببكاء بعض البتات السود اللاتي يبيعن ربيعا متوقلا من بيع فلاندهن . ولا عرضت عليهن الفاء الثراء . اتضح أنه بالرغم من صومعهن فانهن يفضلن الاحتفاظ بالنفود .

وكانت أشجار النخيل في قرية النور والمثقلة الغنية التي وراها من النهر الأنواع التي رأيناها خلال الرحلة كلها ، فقد كانت مستقيمة وقوية وواحدة الثمار ، وكان متوسط ارتفاعها يصل إلى ما بين مئمتين إلى ثمانين قدما . وهذه النخلات المتأخرة بعد مصر كلها بالنخلات ، وتساهم في زيادة الدخل القومي بسبب ما يفرض عليها من صرائب صعبة ، أما البلع الذي يطفئ في الشمس ، وينكس سطحه الخارجي فيرسل إلى الشمال بكميات كبيرة .

ويلوم المواطنون بزراعة أشجار النخيل في دلب شديد . ويؤكد اكتمال نجاح عملهم هذا إلى الرى العمير والمناخ المناسب . ويحيط بساق كل نخلة حديق دائري يتخلل بينه الواود اليه عن طريق قناة صغيرة يبلغ عرضها حوالي ١٤ قدما . وتقف كل مجموعة من النخلات داخل شبكة من هذه الجاري الصناعية . وتمد المساقية الخزان الذي يخرج منه هذه القنوات بالماء . والمساقية آلة بدائية وجيدة المنظر ، تتكون من صلبتين احدهما موضوعة رأسيا على النهر وقد رطبت بها سلسلة دائرية من الجرار ، أما الثانية فهي ترمس أفقي يديره في بعض الأحيان رجل ، وفي

أحيان أخرى خاموسة • أما الحرار والى وسط ذفرعة وتفس في الماء
ثم ترتفع مملئة بالماء { فاعيا تمتد حوضا مستحدا يمد حرارا بالماء على
بطن الأماني • وفي بعضها الآخر يتصل مباشرة بشراة الرى • وتعمل
هذه السواقي بشكل مسمر وهي موضوعة في أهل قرية الدار يكثره •
حتى ان المزلقة اخضت خمس عشرة مائة في خط واحد • وعلى مدى
ميل واحد ولا شك في وجود العديد منها على الضفة الأخرى •

وتصدر السواقي مريرا عاليا يرتفع صوته الى طيقت غير ملحوظة
من النعم وتبدأ القودى من العبر حتى هطول القندى • وفي هطول
الذى الى العبر وهي نصر وتموى وتحتك وتنى رسبق • وسد هطول
الطلام يسمع صوت السواقي وهي بجواب اجداها الأخرى • ويجعل تردد
صوتها الحزين الليل مرعا بشكل يستحيل معه النوم • ولما كنا قد
وصونا مصطريه على بعد أميال قليلة من قرية الدار • فقد عابسا من السهر
مدة قصير انى نصف الليل • ولذلك عرجسا على عامل الساقية دولارين
لما ترك مسافته لتستريح حتى الصباح • ولكن كان الرعى والماء خلال
هذا الفصل أغل من التوالفات • ولذلك رفض الرجل المبيع ولم يعمل
شيئا سوى الانتقال بالركب الى منتصف النهر • والبقاء في نقطة يقع على
بعد متوسط من أقرب ساقيتهم •

ويحب المواطن حسا يخله انى تكلفه الكثير من الجهد • وينظر اليها
برسمها فيه اجازات الملية • وتقول بسطوة عريية ان لقد عندما خلق
الانسان الأول احتفك بظلمة مصممة من الطين صنع منها التخله •
ونسب مدأيا البلع مقفلة بالنسبة للربى الفقير • لأنها تقدم الطعام
لأطفاله • وتسعد لكوحه • والواح الحنوب لساقينه • والحبال والحصر
والأطباق والأوعية وحتى المشروب القوى الذى تحرمه تعاليم الاسلام •
والخمر المصنوع من البلع (المرقى) لونه ابيض صائب الى الصفرة مثل
الويسكى • وهو ليس مثل الويسكى • ولكنه حلالة ذات قوام غليظ وطعم
مكثف غير مستساغ •

وعشاك أشجارا معبته مثل شجرة الصوبر الصغيرة التى تنمو على
غابات ألبانيا وتلقى الواحة منها كل عناية • ولكن لا أحد يهتم بالنسلة •
ان النسلة الواحدة أو الخمسة من الشجار البخيل رشقة ومثيرة دألا
وهي كبيرة القيمة بالنسبة للرسم الذى يرسم لوحاته على شاطئ النيل •
لأنها تكسر الخطوط المرسية الطويلة للنهر والمصيفين • وتتوالى مع
الخطوط العائدة للمصارف المصرية بشكل لا توفره أية شجرة أخرى في
السالم •



الصالحية

بعد قال أحد العباس البارزين لمؤلفة هذا الكتاب في يوم ما -
 « الموضوعات حقاً - أن ما يقال عن الموضوعات هو كلام فارغ ! أن الفنان
 الصادق يستطيع تكوين لوحة من مجرد عمود وحفرة صحنه يمثل بهاء
 المطر » .

لمفسر المحدثه اذن من العمود ثم ربط بينها وبين أول ما يحضر على
 باله ، ويذكر حملاً أو شادوقاً أو امرأة تحمل جرتها على رأسها ، فتصبح
 اللوحة كاملة أمامك » .

وفي البداية لم يسجس شيء أكثر من التخيل الذي اعتاد رساموه
 المناظر الطبيعية الشريفة أن يرسموه بلون أزرق غامق مثل لون ورقة
 الصبار Yucca أن سمع النحل رنين ولامع ، ولونه حليط من

الرمادي والأخضر مثل لون البحر - وهي الصبغات معاكاته إلا أنه يتوافق مع لون السد الشرق الرائع ، ولون الصحراء اللهي .

وقد ظلت مزارع النخيل مصاحبة لنا عدة أسيال ، وكانت نخيلها من ناحية الصحراء الشرقية حلال طويلة من صخور البحر الرمل التي تغطي شكل طبقات أفقية مثل تلك الموجودة في طيبة . والآن أصبحنا لا نرى القرى إلا نادرا ، ولكننا كنا نرى فقط النخيل والسواقي والصفوف الرملية على هور النيل كانت القرى هناك ، ولكنها غم مرية لأنها مبنية على حافة الصحراء . لأن الأرض القائمة للزراعة ذات قيمة كبيرة في النوبة سواء للحيطة عليها أو لدفع الخواري فيها .

وعندما في أيريم لفتت دقاتي ، حطام صرح كان قائما على حافة جرف عال . وذلك عندما نصعد لشرق حروف صغير ذي غرورة كثيفة التي به أصحابه إلى منطقة الرمى بصرى الببح . ولكننا لسنا السيم التي أحد يجب حيزاك فازدنا فن نسلو الصحرة لمساهمة المظر والخرائب التي كان بعضها حديثا ، وبعضها الآخر ذا طابع تركي ، والبعض الآخر رومانيا ، والقليل منها مصرياً .

وهناك أيضا بعض الكهوف المنحوتة والموتة التي تظهر في الجبال الجنوبي لجبل . وكان ارتكازها صعبا بالنسبة للسيدات ، ولكن تم جذب الفريد - الذي ذهب إلى القاطر - بحثا عن طيور النعام - إليها مربوطا بالجبال ، ولكنه وجدها مشوكة إلى الدجاجة التي تجعلها لا تستحق طبخة المضافة .

وأصبحنا الآن على بعد ٣٤ ميلا من أبي سبل ، ولكننا كنا نتقدم ببطء ونحس كل قدم نخطوها من الطريق . وكانت الحرارة شديدة في بعض الأحيان مع هبوب نسائم من رياح الشمال التي كانت تصاحب مصاحبة صاخبين الرجال الذين كانوا يسحبون المركب . واستمر تقلسنا لمسافة عدة أسيال في كل مرة حتى احتفت الصخور ذلك القسم المسطحة تمديدية ، ونحتها مرة أخرى القسم الركامية التي ظهرت أعلى من تلك التي حول الدكة أو كوروسكو . ثم أحدث مزارع النخيل في الروال . وضائق حرام الأرض المروعة حتى أصبح مثل شيف أخضر بين الصخور وحافة الماء . وفي النهاية حل الماء ممعنا كما تريد فقط رياحا تكفي لعبور امتصاصات أو ثلاث امتصاصات من النهر .

رسالتنا للمرة العشرين قبل أن نهبط لتناول المشاء . هل ستصل إلى أبي سبل الفينة ؟ ؟

وكان الرئيس حينئذ يجيب قائلا : « آهه » .

ولكن المرشد كان يضيف قائلا : « يكرة » .

وعندما سمعنا مرة أخرى كلى القمر قد لاح . ولكن الرياح انخفضت سرعتها . ولكننا ما زلنا لنحرك صووقهم بريح غميقة لدرجة أن الاسبان لا يشعر بها . وسرعان ما اختفت هذه الأخرى . وتم طلى المشراع . وادار المرشد المركب نحو المشاطى . وأتلى القبطان الأمر بالارتفاع عندما أدت هبة ريح مفاجئة قلقة من الشمال إلى تغيير طالعنا . ودعشنا للخروج مرة أخرى إلى وسط النهر بشراع مقل . بالهواء .

ولن يسي أحد ما الاثارة المتواصلة خلال الساعات الثلاث التالية . وعندما أخذ القمر في الارتفاع انقمر نور أكثر غرامة . ومختلفا من نور النهار . على الاحتداد المتسع للنهر والصحراء . وأسطعنا مقاضعة حبال أبي صليل وهي ترتفع على مسافة بعيدة عبر سفونا . لكه وأينا الجبل للمنطس في البداية . ثم الجبل الأكبر . ثم سلسلة من المرتفعات المنحدرة إلى الخلف . وكانت جميعها متجاورة ولكنها منفصلة .

كان الجبل الأكبر هو جبل الميه الكبير الذى يخلف لم مواجهتنا مثل تمريفة . لقد ظهر لفترة طويلة مجرد جبل مثل بقية الجبال . ولكننا تخيلنا رويدها رويدها أننا اكتشفنا شيئا - انه ظل - كما لو كان دعامة ضخمة . ثم ظهرت بقعة سوداء لا يريد حجمها من حجم نافذة القصر في السفينة . واستنتجنا أن هذه البقعة السوداء لابد وأن تكون هي المنسل . وعرفنا أن التماثيل المظلمة كانت هناك رغم أنها لم تظهر بعد . ولكن لابد لنا أن نراها .

وفي نفس الوقت شعر بعارثنا ببهجة الوصول قبل الآخرين . وكانت الذهبية باصنوتر وثلاث ذهيات أخرى كنمتنا في مسار صوم السر . وكانت ألوانها الصفراء تلح مثل المراتل الضوكة فوق سطح الماء . وكانت أقربها إلينا على مسافة تبعد ميلا تقريبا . اما الأخيرة فكانت مثل شرارة على البعد . ولم تكن في الحالة التي تسمح بالاهتمام بالتسايق في هذه الليلة . ولكننا كنا حريصين على وجودنا في الهدنة ووصلنا لولا أني عولج المرض .

وكان الصمود على المشاطى الرملى المتارق في النهر يشبه في مثل هذه اللحظة الترقق القلبي . في ماء بارد . لقد خلق شراعنا بشكل غريب .

واندفع الرجال إلى العصى الطويلة التي تبرز في قاع النهر لقطع المركب إلى الأمام ، فقام أربعة منهم على السطح ودفعوا العصى بكل قوة لاكتفيم ، وفي نفس الوقت رملوا من إلى القوارب الأخرى التي استطاعوا أن تقتحم بها لمسافة نصف ميل ، وبدلنا جنودا كبيرا لمسح هذه القوارب من الصفا على كموب اقداما ، وبعد أن دونا حول الركن الأحمر ظهر المسيد الكبير مرتفعا في مواجهتنا ، أما المواجهة التي كانت غارقة في جانب الجبل مثل صورة ضحلة داخل برزخ كبير ، فقد صار من السهل رؤيتها الآن . ولم بعد البقعة السوداء في مثل حجم نائمة القفرة بل ظهرت في حالتها الطبيعية بوصفها بوابة ضخمة .

وأخيرا ظهرت التماثيل الأربعة الضخمة كالإشباح ، باهتة ومكثلة بالظلال في ضوء القمر الناعم وذلك بالرغم من الليل ، ومن بعدها عنا بمسألة لا تقل عن ميل . وحتى عندما كنا نراها ، كانت تظهر وكأنها تكبر وتوسع وتضخم بحورا قابعة إلينا على هذا الجهد .

وكان الوقت يقترب من نصف الليل عندما وصلت قبيلة عند المعبد الكبير . والتجسسا بنا شاهدنا عن طريق النهر دفعت بقية المجموعة للحوم فيما عدا الرسام والمؤلفة اللذين لم يسيرا حتى الصباح . ولذلك قلنا إلى الشاطرة واحدة في تسليق الضفة قبل أن يتم ربط جبل المرمى جيدا .

وذهبنا وولمنا عند الدمام التماثيل الضخمة على عتبة ذلك المنسل الكبير الذي خيم الظلام خلفه . وكانت التماثيل الضخمة ترتفع فوق رأسبها مثل الأبراج المائلة . أما صفحة النهر فكانت تسمح على البعد مثل لوح من الصلب . وكان السكون الشديد يشلف الهواء . وتجم الصليب الجنوبي يرتفع في اتجاه الشرق أما بالنسبة للذين القريبين اللذين وكلما يتحدثن بانقاس مشلوعة ، فقد أحسا بأن ظروف الوقت والمكان وحتى صرت حديثها أبعد كثيرا عن التصديق . وشعرا كما لو كان الواجب يتحتم ثلاثي المطر كله في ضوء القمر واختفاه قبل شروق الصباح .

الفصل الخامس عشر

رمسيس الأكبر

كان رمسيس الثاني وسيظل دائما هو العلامة المركزية في التاريخ المصري . وهو يدال هذه الكثرة بالشرعية مرة وبالصيغة مرة أخرى . ولقد ولد ليكون عظيما مثل المطية ، واشتهى المطية فشقت طريقها إليه ، وكان لمره الوجه ليس فقط أن ينصب المطية بعد الوفاة ، بل أيضا لأن ينسب اسمه الشخصي ويذكره الناس عن طريق مجموعة من الأسس المستعارة مثل حيسوميس ، وأوسيمادياس ، وميترومستريس . لقد صار مرتبطا على مناو الرمز بكافة أعمال أبطال الدولة الحديثة التي بدأت بتحتوس الثالث الذي حمله بتلاتساعة علم وانتهت بشاشائق الذي استولى على القفس والذي عاش بعده عدة قرون . وعلى كل حال لقد قام العلم الحديث بإصلاح هذا الظلم عنصفا كشف عن السلسلة الطويلة من الأسماء التسمية لنظام الملوك . ما ساعدنا على أن نرد إلى كل منهم الأسماء التي تخصه . ونحن نعرف الآن أن بعض هؤلاء الملوك كانوا فرقة أعظم من رمسيس الثاني ، ولا تشك في أن بعضهم كانوا حكماء أفضل - إلا أن البطل الشعبي احتفظ بملكاته . وما فقه بالتأويل من ناحية ، ناله بالتأويل من الناحية الأخرى . وسيظل رمسيس بطل البردية المتأثرة السائرة . والفرعون الذي يمثل سلسلة من الملوك الذين بقطي تاريخهم فترة زمنية تقدر مئتين سنة ، والذي امتدت حدود إمبراطوريتهم يوما ما من بينه النهرين إلى الحدود الجنوبية للصومال .

وبدأ الاهتمام برمسيس الثاني من حقب ، ويمضي في الازدياد على طول الطريق مع نهز التبل . أنه اهتمام حي وشخصي مثله بحس الإنسان في الدنيا بظنة مركليس . أو في فلورنسا بظنة لورنزو . أما بقية الفراعة فلا تدورون الحيال الا قلبلا . فن تحتوس وأمنحوتب يمثلان ما يمثلها دارا أو أرتاكسيس . ظللا تأتي وتضرب على البعد . أما بالمسبة لرمسيس الثاني فأننا معرفة المعرفة التي تستحق الاحترام ، أننا نعرف الرجل

الذي يمثل أرواح سجل تاريخه انكثال من الماضي الى الحاضر ، فانه لا يذكر للسائح الا جزءاً من الحقيقة . وعندما يصل الى مجرد الخيط الذي يظهر من الشرع ، فانه يحول من قاعة الى قاعة معتقداً بهجة الارتباط بالماضي الذي لا يستطيع اي مؤلف من نوعية مورتي ان يشرحه . ويصبح سجل السائح القرنى الذي يحول شريطاً خلال قاعات كاتدرائية ومستمر آسى في لندن تحت توجيه أحد شياصة الكاتدرائية . فلا يحط الا بفهوم غير واضح عن المشرق النابضي للأشياء التي يشاهدها . وما يقال في هذا السائح الفرنسي يقال كذلك عن هؤلاء الذين يأتون معلوماً عن الرحلة عبر نهر النيل في طريق كتب الإرشاد السياحي . ولما أرادوا ان يفهموا شيئاً من وصف أبي سهل لمعلم أولاً ان يسرفوا شيئاً عن رئيسي الثاني - دعنا انى سنهز مرصه وجود قبلة رامية في صحرة انك (١) ، لكي تستعرض باختصار شديد الحقائق الاساسية عن علم الفترة ذات الالهية - ومنهذه هذه الحقائق كما هي ملونة في النقوش والبرديات وغير ذلك من الآثار المعاصرة .

كان رمسيس الثاني (٢) هو ابي سيتي الأول ، أحد فراعة الاميرة التاسعة عشرة من الملكة توي التي تصفها الآثار بأنها « الزوجة الملكية » والام الملكية ، ووارثة وشريكه العرش . ومن القروس انها تعود الى النسل الملكي من الأسرة السابقة وعلى ذلك ، فمن حقها ان تسبق زوجها في ارضاء التاج المزدوج . وبمما أن رمسيس الثاني قد ولد عن طريقها ، مساوياً لزوجته في الكرامة ان لم يكن مساوياً لها في قوتها . وتحدثت حقوقه بالاشتراك مع أبيه سيتي الأول الذي صعد السلطات الملكية والصفات القسرية منذ لحظة ولادته . أو كما يقول المؤرخون المصريون عندها كان (ما يزال في البهجة) ويذكر النقش القفص الموجود في مصبة أوذوريس

(١) ايضاً هو الاسم الذي يطلق على سبليل .

(٢) عن الصحيف في الترتيب الرسمي المصري حالياً تمديد لتاريخ القرون للحدث اثنى حدثت قبل نحو تسير . فليس لمصر القديسين في الحقيقة قديم ، ومن الماضي المعروف انكسرت ولته انشؤوا جلال السيد المسيح خلف مرجعية ، واسموا احدث كل فترة من بديهة ظهور السلطة التي تنسب اليها الاحداث . ولم يكن من الممكن قبله في حوت الخطا والارتباك مع تطبيق مثل هذا النظام ، فمن الصعب تحديد تاريخ ميلاد وفاة رمسيس الثاني . كذلك قلنا غير متكتم في تاريخ القرن المصحف الذي علم فيه ، ويغرس ماريوت الذي اتخذ من القوائم التاريخية التي أوردنا مائتين لكافة لمسلية ، ان الأسرة التاسعة عشرة قد حكمت خلال لفترة ما بين عامي ١١٦٢ ، ١٢٨٨ ق م . وبناء على هذه الحسابات التي يخرجها منا من فترة حكم رمسيس الأول وسيتي الأول (يرد حكم

في أبيدوس (١) كيف وضع أبوه الطفل المنكي بين يديه ، الذي لم يكن
 إلا ولدا متبعا ، وعرضه على الحجاج بوصفه ملكهم وطلب إلى كبار
 ضباط القصر أن يتوجهوا بالتاج المزدوج . ويذكر نرس النقش أنه كان
 قائما عسكريا منذ ولادته ، وأنه بالرغم من كونه طفلا كان يقره حراسه
 المتخصصين وكتيبة فرسان الميقات الحربية . ولكن لابد وأن تكون هذه
 مجرد القاب . وفي النامية عشرة من عمره جلس على العرش إلى جانب
 أبيه ، مع تعلق سينتي الأول التدريجي من الالتزام بإسم الحكومة .
 وفي خلال فترة تساروحها بين عشر إلى خمس عشرة سنة أصبح رئيس
 صاحب السلطة الكاملة بلا منازع . ومن المحتمل أنه كان في سن الثلاثين
 عند وفاة والده . ومن هذا التاريخ بدأ حساب سنوات حكمه الرسمي .
 وبمقتى آخر نقول إن حكم وصيس الثاني يمتد في الوثائق الرسمية
 ابتداء من السنة التي انفرد فيها بالسلطة ، وهي أيضا السنة الأولى التي
 تولى فيها سينتي الأول ، ونظرا لأنه تعتبر السنة الأولى من حكم أبيه
 وحليفه حسب ما ترويه النقوش الأثرية . وخلال السنوات الثانية
 والرابعة والخامسة لحكمه . قلد بنفسه الحملات العسكرية إلى سوريا .
 وقد دونت أخبار العديد من انبعاثاته على الألواح المنحوتة في الصخر
 على نهر الكلب بالقرب من بيروت . وأنه كان معروف في ذلك الوقت
 بوصفه القائد الحار كما هو مدون على لوح دكة الذي يعود تاريخه
 إلى السنة الثالثة وخامسة وأنه رهب في المعركة . الثورة التي شهد
 إثيوبيا . أما هؤلاء الذين كانوا يسكنون تحت الأرض فقد سبقوا للفصل بدون
 أي يطفوا سقائهم للريح . أما أحداث حملة السنة الخامسة (قام بها
 لكي يبعد إلى طاعته قبائل سوريا ومن النهرين النافرة) فهي مذكورة في
 قصيدة بنتاؤور . وفي هذه الحملة خاض صركته التي استغلها فيها

١ - رئيس القضاة في سنة ١١٠٥ ق م . ووصله بروسل فترة حكمه ما بين ١٤٧
 ١٢٤١ ق م . أما ليسينس فكان يحمل حكمه خلال الستين عاما المنجورة بين عامي ١٢٨٨
 ١٣٢٧ ق م . وقد أجريت هذه الحسابات جميعها قبل اكتشاف لوحة أبيدوس . أما بالنسبة
 لملك يحمل بداية حكمه من ١٢٥٧ ق م . وهناك الخلاف المره ٥٥ عاما بين كهر وأوسر
 هذه الحسابات كما يلي

وفقا لحسابات	بروسل ١٤٠٧ ق م
ماتيو ١٤٠٠ ق م	
ليسينس ١٢٨٨ ق م	
بالتسليم ١٢٧٢ ق م	

(١) انظر كتاب G. Maspero في باريس سنة ١٨٧٧ وعملاته .

Essai sur l'Interprétation Pédagogique du Temple d'Abydos et la Jeunesse
 de Sennosir.

يديه ضد المهاجرين الذين تدفقوا عليه أمام كل الجيشين تحت حوائط مدينة
 قاقوش . وبعد ذلك بثلاث سنوات حمل النار والسم في أرض كتمان
 وفي عامه الحادي عشر استولى على القلاع عمقلان وأورشليم ضمن الأماكن
 الحصينة الأخرى وذلك حسب النقوش التي مارالت نالكة فوق حراث
 بوابات حيد الرسيم في طيبة *

ويتفاننا السجل المهم الثاني إلى السنة الحادية والعشرين من حكمه .
 لقد مضت الآن عشر سنوات منذ سقوط قورشليم ، ومن المحتمل أن تكون
 قد حدثت خلالها حروب حضورية مقللة مما أدى إلى انتهاك الجيشين ،
 فسمى الأمير حينئذ أمير حينا إلى السلام (١) . وحينئذ وقعت مملكة
 مملكة ورد فيها أن الأمير الأكور ، ورعيسى كبير الحكام الذي يقم
 حدوده حيثما شاء ، يتماهدان على إقامة حلف صومعي ودفاعي ، وتحقيق
 النبأ الطيبة ، والتأخي بينهما إلى الأبد . وقد قيل لما أن علم المهادنة
 قد تقصها الأمير القيتي ، على لوح من الفضة مزين بصورة سونغ حاكم
 السيد العظيم ، أما بالنسبة لرعيسى من آمون فقد نقشت على حائط
 ملاصق للقاعة الكبرى في الكرناك (٢) حيث بقيت إلى اليوم *

وحسب آخر فقرة في السجل الحرب ، يشمل الطرفان المتماهدان
 أيضا في الاتفاق يقضي بأن يسلم كل منهما الآخر السياسيين الهاربين من
 كلتا الدولتين . ويميلان في نفس الوقت على تحقيق سلامة الأشخاص
 المراضين . وتقول المهادنة . « أما الذي يتم تسليمه فلا يتعرض للقتل
 حر أو روجاته أو أولاده ، وضربا عن ذلك فإنه لا يسمح بأولئك أية
 حرية ضده » (٣) . وتعتبر هذه النصوص أقدم نموذج معروف لمهادنة تصير

(١) أمير المماليك حيث يعرف شعبا الآن باسم « كبريت » .

(٢) هذا السجل المهم محفوظ على قطعة واحدة من الفخار من الحائط حوصلت لهذا العرف .
 قطع على زوايا قائمة من الحائط الجنوبي للقطعة الكبرى بالكرناك . ويظهر وجه نص
 المهادنة نحو الغرب . وفي واحدة في نفس المسلة بين القطعتين الفخار المشهور التعلق
 بذلك شاحاتني وإسراء ، وبمسلة مسلة يتنازير المهدنة في الكرنك . وتقع الأولى في
 شرق التسلل الجنوبي بينما تقع الأخيرة في الشرق . وربما كان هذا الحائط الجنوبي
 وبذلك المكان يبلغ طولها مما حوالي ٢٠٠ قدم يمثلان كل قطعة من المسطح المقلوبة
 في المساق .

(٣) انظر كتاب Twenty of peace between Ramses II and the Hittites

ترجم المهادنة من الوثيقة المصرية إلى الإنجليزية من « ج. ج. ج. » ضمن سلسلة
 Records of the Past ، المجلد الرابع ، ص ٢٨ .

عن تسليم الحرمين . وهي جديرة بالاهتمام لأنها تصور مدى الاعتدال
الذي تميز به القواعد المعمول في تلك الفترة .

وأجراً فقد وضعت المعاهدة بين النوتن تحت الحماية المشتركة
لآلهة كل من البلدين . موبح اله حتا ، وآمون اله مصر . وكافة الآلهة
التي يصل عددها الى ألف اله ، مثل الآلهة المذكور والافات ، وآلهة النلال
والأنهار وآلهة البحر الكبير وآلهة الرياح والسحب ، وآلهة أرض حتا
وآلهة أرض مصر .

يبدو الآن أن السلام المتفق عليه قد بقي صاوي المعمول سلال بقية
مئة حكم وميسى الثاني الطويلة المدى . ولم يسمح في كافة الأحوال ،
عن المزيد من الحروب - وبجهد لي الملك قد تروج أميريته حيثية
استندت لمسما اسم ما - آت - ايري - بعرو - رخ - ومساء - المتأمله
في محاسن رخ . واحتلقت بذلك مع آلهة بلدها . وقد وجدنا أيضا على
الأثار اسمي الثنتين من الملكات هما نفرناوي واست نعت .

ومن المحتمل أن تكون هذه الملكات الثلاث هي الزوجات الرئيسيات
للملك وميسى الثاني بأثرهم من انه كان لديه عدد ضخم من الحريم .
وعلى كل حال فإن عدد افراد أسرته كما هو مذكور على حوائط مقبه وادي
السبع ، بلغ ما لا يقل عن ١٧٠ ولما منهم ثلاثة افراد . وربما كانت
هذه أسرة صغيرة العدد بالنسبة لملك عظيم حكم مد ثلاثة آلاف عام .
ولا بد أن لمسيوس قد رأى في يوم آخر المجور حس ، كاشف قرية النور
وهو نفس الحاكم الصغير الذي أثار الكثير من المضايقات أمام بطروسي
وبوزمارت وغيرهما من الرعاة السابقين ، وكان بوصفه كبير المنبائز
في امامه روحا لمعد من الزوجات بلغ أيضا وستي روحه وأبا لما يقرب
من ٢٠٠ ابن .

وقد عاش وميسى الأكبر في سلام مع جيرانه من دافعي الجزية على
مدى ستة وأربعين عاما . وكان مصر طويلا وعظيما ، فقد أحب المدن
الجديدة وحاصر بامساتها وشيد القصور ، وحفر الترع ، وبني الحصون ،
وصاغف أعداد التماثيل والمسلات والقوشي . وأقام أكبر وأعلى المابد الى
تميد فيها الاتساع - وأصاف الى الآثار التي أقامها أسلافه أضافات عظيمة
عالت التخصيصات التي كان في بنهم استكمالها . وحفر الأبار الارتزوية
فهم قاع الصحراء الحجزية . واستكمل القنطرة التي بدأ أبوه في حفرها .

وثنى طريقا مائيا إلى البحرين الأبيض والأحمر (أ) ولم يكن لصعب عليه
أن يتدبر أو يتصور أى تصميم حدود طوحاته - وتقول لوحة النكة
أنه « بشرى أثناء طفولته على الأعمال الصالحة ووسع لسمها يديه » ،
وقد رجولته صار أعظم البنائين ، أما عن مبادئه الشخصية فقد استطاع
القليل منها أن يقاوم عولدى الأيام . ولكن هذا القليل يمثل عجائب
الدينا .

ومن الصعب الآن تقدير تكلفة هذه الأعمال التي أجزاها لأن كل
حيد ، وكل قصر ، يمثل مديحة بشرية ، لأنه أجبر السيد المستورين من
النوبيا ، وأسرى الحروب ، والمهاجرين السوديين الذين استقروا في

(أ) منذ تأليف هذا الكتاب تفتى المراسلة المستمرة لهذا الموضوع للكاتبين باي ستي
الأول لم يكن من المعتاد المعطى للترجمة التي أوصلت دور لنيل بالمر الأحمر ، ولكنها
الملكة حثيثت التي تفتى إلى الأسرة للخدمة حفرة ، ذلك لأن الظروف المعقدة على
حرائق مبدعها الكبير في البحر البحري نذكر بوضوح أن أسطولها أبحر من طيبة إلى
بالا ، بولت ثم عاد من بورت التي طيبا محطلا بمشاكل هذا السفر الصايف الذي استغرق
عشرين ومائتين سنة كان يلج على شرائطه السومالي بين باب المنصب وراش جايد أيرى .
والى لم يكن هناك في ذلك الوقت طريق بحري محدد بين النيل والقرى الأصغر من مرجع
أن تكون حصة حثيثت الاستكشافية قد أبحرت من طيبا في اتجاه الشمال وبعثت في
النيل إلى أحد محبته وعبرت البحر الأبيض المتوسط بطرق وحيث منه عند الضفة شمال
ومبرت رأس الرجاء الصالح ووصلت إلى ساحل الصومال عن طريق برفار موزمبيق
وساحل رجبار ، ويصير آخر ، فإن لسمن الشراعية البحرية قامت بدورها كاملا حول
القارة الأفريقية من غير وس التواضع أنه هذا الاستطال لا يقدم عليه لنيل ، وليس عداده
طريق النيل إلا وجود شاة أو سلسلة من الكتلولة التي تربط النيل بالمر الأحمر .
أو عن طريق شرا وراش الطويلات التي ينسب حفرها إلى حثيث الأول لأنه لم يكن عداده
سبب آخر يبرر حفر هذه للقناة التي تصل من النيل إلى البحر ولكن رجحت مديحة
في ذلك حائر على للمائة السبالي الخارجى من حيد الكركنة العظيم الذي يعود إلى
عمره ولكن هذا لا شك فيه أن تكون الملكة المقيمة التي جلست على طرف نهر حدة
في التي منسوبة أولا فكرة المديحة واصلوا إلى البحر في بحر مير دمروى وراش
التي ألفت القصة التي نسجت هذه القصة عن طريقها ، وحسب ما ورد في الطبعة
الثانية من كتاب مير ج - و داوسور المسى مصر وموزية Egypt and Africa
التي للبراسنت المديحة التي تم بها المديحيات كولوميل أودع Andago . وأما
حيث Andago والميلتست بورتوز وهم جميعا من الهندسين للكثير ، تؤكد أن هذا
الوادي (تقسمه وادي الطويلات) كان يجري فيه يوما ما فرع من النيل كان يلقى مياهه
في البحر الأحمر ، وفى هذه الحالة فإنه لو لم يكن هذا الفرع مستقيما في المدا
بالفعل عن الملكة حثيثت تكون له استايت خط الحفر ومن المحتمل أن تكون كانت ذلك
والفعل .

(مقرونة منسوبة إلى الطبعة الثانية)

ذلك الخطة الدولة . ونحن نعرف مقدار عناد المصريين ومدى وصولهم إلى حافة الشئ متى قادهم إليها الأعمال التي أحروا على انقيادهم . ولكن حتى المصريين قد استحدثت صدهم فيسوة لا تحاري تلك التي استحدثت ضد كديس احطفوا عن الحدود من حيث قوتها ، و اقترعوا من ديوتهم بدوي ادى الى العودة اليها . ثم صيغوا في امراء الى الساحل واطاحوا وساحاب صبح الطوبى الآخر . لقد عوفت هذه الفرائس المكوده لطبع طريفة ثم جعل هناك فرصة للفرار . لقد امسك الزنوج من الحبوب الى الشمال حسب نظام موصوع ، كما ان الاسرى الاسويين قد غلوا الى اثيوبيا . أما هؤلاء انديس كانوا يعملون تحت الارض فقد سبغوا للملح نظور راحة او اعمال حتى سقطوا في الساحل وماتوا . أما لعل بان رئيسي هو الفرعون الذي استمد المصريين (١) وان مرساح ابيه وحليفته كان هو فرعون الخروج (٢) فهو الاى صسى الافراضات المنتم بها في عام

(١) انظر كتاب شلنيس

« Les circonstances de l'histoire hébraïque d'expliquent ie, d'une man ère on ne peut plus satisfaisante. Les Hébreux opprimés battaient ont une ville du nom de Ramsès. Ce récit ne peut donc s'appliquer qu'à l'époque où la famille de Ramsès était sur le trône Moïse, containt de fuir la colère du roi après le meurtre d'un Égyptien, subit un long exil parceque le roi ne mourut qu'après un temps (ar long) Ramsès I, rema en affe plus de 67 ans. Assit au trône le retour de Moïse commença sa vie qui se termina par le célèbre passage de la Mer Rouge. C'est évenement eut donc lieu sous le fils de Ramsès II ou tout au plus tard pendant l'époque de troubles qui suivit son règne. Ajoutons que la Ramsès des derniers événements ne s'écrit pas de suminger que le roi eût sa résidence à Thèbes dans cet instant, Or Merenptah a précisément laissé dans la Basse-Egypte et spécialement à Tanis des preuves importantes de son séjour » . De Rougé Notice des Monuments Égyptiennes du Roi de C'ausse du Musée du Louvre Paris, 1857, p. 22.


« Il est impossible d'attribuer ni à Merenptah I ni à Set II ni à S'rah ni à Akhenaten un règne même de vingt années . À plus forte raison de cinquante ou soixante. Seul le règne de Ramsès II remplit les conditions indispensables. Lors même que nous ne saurions pas que ce souverain a occupé les Hébreux à la construction de la ville de Ramsès nous serions dans l'impossibilité de placer Moïse à une autre époque à moins de faire faiblesse des renseignements bibliques » — Recherches pour servir à l'Histoire de la XIX Dynastie — F. Schabas, Paris, 1873 p. 148.

(٢) القصة الواردة في الكتاب المقدس والتي جرت وراءها تذكر انك بحقه (فرعون) مما يجعل من الصعب تحديد اسمه . ويرد بروجي اسم انك من طريق نكر القايه .

« Plus généralement » says Brugsch, Writing of the royal titles, « on personne se souche sous une série d'expressions qui toutes ont le »

المصر مات - وتفق الكتاب المقدس مع الآثار حول هذه النقاط ، يسما يؤيدها مرة أخرى البحوث الجغرافية والنسوية الحديثة ، ان ه مدينة الخرائن يتوهم ورعسس - اللتين سماها الاسرائيليون الفرعون من الطوب التي سمىوه ، هما المدنان المذكورتان في القورش باسم باتوم وبارسيس . وقد سرق عليها حديثا مسمو نافيل خلال حاقه التي قام بها فيما بين ١٨٨٢ ، ١٨٨٦ لحساب صندوق اكتشاف مصر .

ان اكتشاف بيتوم ه مدينة الخرائن ه القديمة الوارد ذكرها في الكتاب المقدس في الاصحاح الأول من سفر الخروج قد جلب الكثير من الانتباه العام . ووقش على طاق واسع بعرفة العلماء الأوروبيين أكثر من أي حدث آخر حد اكتشاف مدينة نيوى . كلف ذلك في شهر فبراير سنة ١٨٨٢ عندما فتح مسيو نافيل الرابية المعروفة باسم تل المسخوفة على الضفة الجنوبية من الترع الجديدة بواى الطويلات - وهناك اكتشف الاساسات والبقايا الأخرى لمدينة حصينة من النوع المعروف في التاريخ المصرى باسم بعض Bebeha أو قلعة للتخزين . وانفتح ان مساحة هذه المدينة التي كانت محاطة بسور سمكه ٣ قدما يبلغ حوال ١٢ قدما ، وقد وجدت حرائب مميده بناء وميسس الثاني في أحد الأركان . أما بقية المساحة فقد شغلها ضلحة مكونة من مراديب مستطيلة تحت الأرض ، أو عسرف للتخزين مبنية من الطوب كبير الحجم المصطف في الشس . وقسمها حواظ يتراوح مسكها ها بين ٨ الى ١٠ اقدام . وقد اكتشفت في حرائب المبنية العديد من التنايل التي توشب بعض أحرائها ومنها مثال فحم لصفر مطور عليه الخراطيش للكتابة لذلك وميسس الثاني ، مع أعمال فية أخرى يعود تاريخها الى أيام أوسركون

« sous de la « grande maison » ou du « grand palais », quelquefois au dual, des « deux grandes maisons », par rapport à la division de l'Égypte en deux parties. C'est du filin très fréquent  Par sa « la grande maison », « la haute porte », qu'on a heureusement dérivé le nom biblique Pharaon donné aux rois d'Égypte » — *Revue d'Égyptologie* BRUGSCH - 2d édition, Part 2, p. 38, Leipzig, 1877.

ومن المحتمل أن يكون ذلك هو القاب الوحيد الذى صبح لطبقة العامة باستعماله في الحديث أو الكتابة أثناء تلك العصر . ومن الصعب في تباين ملحوظ بوجي التي أصبحت مترجمة عن سائر اللغتين { الأصحاح الثمسين الآية الرابعة / التي قيل ه ويعصا حيث أيام مكانه . كلم يوصف بيت فرعون قائلا : أنا كنت له وجدت نملا لوى سيولكم ه - الخ ، الخ ، الخ . ولو كان له ميل ولو مرة واحدة خيوطه اسم أي من العراصة الثلاثة الذين علمهم لفرع ملك الكثير من المنصب التي يعانها رجال الآثار وانصراف .

الثاني وفتاحيو وبطنيسوس فيلادلفوس . أما الاساطير الميثولوجية التي
تقتبس على التماثيل فانها تحدد القيمة الحقيقية لهذا الكشف بما تقدمته
من اسم المدينة واسم المقاطعة التي كانت تقع فيها المدينة . وكان اسم
المدينة هو باتوم (بيتوم) وصنائه و مسكن يوم (اتوم) واسم المقاطعة
هو نوكون (سوكون) وبذلك جرى ترميم باتوم التي في مقاطعة نوكون
بانها بيتوم مدينة الفرائن التي بناها الصرايمون عن طريق السخرة .
كما ان سوكون هي المنطقة التي اقاموا فيها أولا في طريق مجيئهم من
ارض الصودية . وحتى قوالب الطوب التي بنى بها الحائط الكبير وحوائط
الخنازير تحمل شهادة طيبة على تعب اليؤسفة الذين احتلوا ونهبت بالحق
النفاسيل صفة سجل تسخيرهم كان بفسها مبعوبا بالقش . وعند
عدم ورود القش (النس) كان البضى الآخر يخلط بأوراق البوص الموجود
بكمية في مستنقعات الدلتا . وعندما كان يمد وجود البوص كان البضى
الاخر يصح بفون التبن فيصجن من الطين ويصعب في الشمس . ولقد
اظهرت ابحاث مسيوناتيل فيما بعد له عهد اتوم الذي انشاء رمسيس
الثاني له اعاذ بناء اوسركون الثاني من الأسرة الثمانية والعشرين في
نفس الوقت الذي جرى فيه اكتشاف بقايا حسن دومانى على مستوى
ارضى أعلى من مستوى المسد . وكانت مدينة بيتوم هذه مارالت ذات
أهمية كبيرة في عصر البطالة دل عليها لوح تاريخي شديد الأهمية وجد
مسيوناتيل في إحدى غرف التحزين التي كان قد التي فيها حج مسحوتات
أخرى ووجبت مختلفة من القمامة - ويسجل هذا اللوح انباء الاسلحات
اثنى أحريت على القناة ، وسنة ال اثيوبيا ، وتأسيس مدينة أرسينوى -
ولا يقل عن هذا اللوح في الأهمية من وجهة النظر الجغرافية اكتشاف لوحة
مساخات رومانية تملئ من يثوم ماها تسمى هيروبوليس . وهي المدينة
التي ذكرت التوراة ان يوسف ذهب اليها لالقاء ابيه بطوب وتبين معه
اللوح الرومانية ان هناك تسمية لمينال رومانية هي المسافة من هيروبوليس
الى القفر - وقد اكتشف سنيور جاسوريس (Gassorius) مؤجرا في مكتبة
أريزو مخطوطا بين انه منذ القرن الرابع الميلادي استخدم هذا القفا
القديم التي بعده لموانط عسكريا للجيش في العصر الروماني - لقد كانت
مدينة يثوم الواردة ذكرها في الكتاب القدس مبروة للحجاج الأتقياء

بأنها « بينوم التي بلحا بو إسرائيل » وأن المدينة المجاورة هي خارج
المسكو والتي أنشئت حيثما تدخل حدود مدينة بينوم القديمة كانت
تسمى هيرابوليس ، ولك مدينة يارميس كانت بعيدة عن بينوم بحوالى
بمترين ميلا رومانيا (١) -

لما فيما يتعلق بمدينة « يارميس » مدينة الخرائط الأخرى الخاصة
بالخروج قد تعرف إليها مسيو بافل بالحق وليس يتمكلى إيجابى ،
وهي رابية قرية ضفت الضفة في المكان الذي قام فيه بحارته سنة ١٨٨٦ ،
أما معقل الحنة وهي « كس » أو جوشيد عاصمة إقليم « أرض جوشيد »
فقد برهن للكتشف مسيو بافل على حقيقة - وهي المحصل أنها كانت
مروعة أيضا في عصر ريميس الثاني باسم « يارميس » (٢) ، وتوجد
هناك بقايا معبد مسمى من البارث الأسود يشمل على أعمدة وأجزاء من
بعض التماثيل وما شابه ذلك ، وكلها متفوش عليها خرطيش ريميس
الثاني وتبعد عن بينوم بمسافة ٢٠ ميلا رومانيا .

(١) يعود الفصل في الحصول على هذه الخريطة إلى رحلة قامت بها مدينة فرنسية
حوالى سنة ١٢٧٠ حياتية للمج إلى مصر وما بين البحري والأراضي المقدسة . وهذا
الخريطة منقول من أصل ذكر فيها يهود طروقة إلى القرنين السادس والسادس عشر
واله هناك منه الكثير ولكن الأجزاء التي تصف عملية الحج عن جوشيد إلى تاليس
ثم إلى القدس وأيضا وحارثان ، حارثات سليمة وكاملة - وورد أنه من بطون قوله

« Pithon athena civitas quam oedificaverunt illi Iudei omnes est
notis in ipso itinere . in eo tamen loco ubi jam Reges Egypti intravimus
relictas jam terras Barocorum . Nam et ipud nunc Pithon Quae-
trum est . Haron autem civitas quae fuit illo tempore . ad rem ubi
occurit Joseph plurimum vendenti . sicut scriptum est in libro Genesis
nunc est curus sed grandis quod nos dicimus vicus . nam ipse vicus
nunc appellatur Haro . »

انظر الخريطة عن « Pithon-Pereopotis » التي وصلت إلى الأكاديمية عن مسير
تاليل في ٢٢ مارس سنة ١٨٨١ . وانظر كذلك مذكرا مسيو تاليل ومعاونها
« The store city of Pithon and the Route of the Exodus » (الكلمة الثالثة)

نشرت بمجلة جمعية متلوق أكاديمية مصر ١٨٨٨ سنة ١٨٨٨ -

(٢) انظر مذكرات مسيو تاليل ومعاونها « Godon and the location of »

el-Hamoud - نشرت في جمعية متلوق أكاديمية مصر ١٨٨٧ سنة ١٨٨٧ -

ومن بأومسيس هذه اسطق رسميس ببيشته لمسارفة الأمراء المجتمعين
 وأسا الصورى حيث وقع فى الكمين عند فانتى (١) وهناك أحرر انتصاره
 العظيم فيها بعد - وسكنى كاسر معاصر اسمه بابيما Pashaba فى
 عسارت واضمحة على جبال وعظمه المدينة للكتابة ، وكيف أن العبيات كن
 يقضى على أبواب بيونهى وهى يرتدى الملابس الخاصة بالمطلات الرسمية ،
 وتى أيديهم بأقلام الأرض ، وكل حصالاتهم موزون الريوس المطرية
 • فى يوم وصوله إلى العرب فى العالم كله • وهذه الرسالة محفوظة
 بالمتحف البريطانى (٢) -

وقد ورد فى خطابات أخرى أثناء فترة حكم رسميس الثامى ذكر كلمة
 الاسرائيليين بطريقة مباشرة ، حيث ذكر الكاتب كالأمر فى رسالته إلى
 رئيسه (ناك - لى - نتاج) أنه • وضع لجنة لتقديم التموين للجنود
 والمهاجرو [العبرانيين] الذين يقتلون الأسفار لبقاء قصر الملك ومسيس
 محبوب آخر • • وهناك وثيقة مشابهة كتبها كاتب يسمى فى أمون
 Kenazop تحمل فى مضمونها نفس الكلمات ، تذكر هؤلاء المهاجرو فى
 مناسبة أخرى بأنهم كانوا يقتلون الأسفار لإقامة مبنى فى الجهة
 الجنوبية من منف • ولابد أن معاصر فترة كانت هى المنطقة التى عملوا
 فيها •

وهذه الرسائل القيمة التى كتبت على أوراق البردى بالعروبة
 الهورولغية فى حالة جيدة - وقد وجدت فى حرائب منف وتشكل الآن
 جزءاً من كنوز متحف لندن (٣) •

(١) كاسى أو كاسس مدينة على نهر الأورد - لنظر بحثا بطون • مجلة رسميس
 الثامى فى علم الفلاس ضد كاسى على نهر الأورد • -
 "The campaign of Ramses the second in his 5th year against
 "kadesh on the Orontes"

بالق ج • فومكار فى مجلة
 Archaeology من سنة ١٨٨٦ - ١٨٨٧ • وكذلك مساهمات الجمعية - المجلد
 الثامن •

(٢) برنية استاكس رقم ٢ بالمتحف البريطانى •
 (٣) انظر كتاب Kelam Egyptian antiquities فى شافاس - الطبعة الأولى
 سنة ١٨٦٢ حيث يذكر أنه جرت مناقشة مجلة بين علماء المصريين حول تعريف
 شافاس للمبروتين • وقد استشهد بالاسم الذى أطلق عليهم من البرينيت وأسا فى نفس
 موجود فى معاصر السجلات والاسم هو الكنديرو Aphe • وهناك بحث علمى
 مطبوع فى مجلة Revue Archéologique (المجلد الخامس - الطبعة سنة
 ١٨٦٢) يقول :

وهم يذكرها بأحاديث وعصبيات الكتاب لبعض حيث يرى المال متعسف في عليهم . والملاحظ في سفرهم بتعصبات مشرقي الاصلاح العامة -
 ا هم يستخرجون من الحاجر ملك الكتل الضخمة التي تميز دعتنا حتى
 اليوم . ثم يستخرجونها وهي مريضة الى وحافات بدائية تحرق صفة النهر ،
 حيث يقومون بتحويلها للقل الى الضفة الأخرى (١) وكان يحضرها شريف
 القضاة وتكيل الورق مما جعل نقلها الى موقع المرص يسفرق
 شهورا (٢) - وكان هناك عمال آخرون في مكان آخر يقومون بصنع الطوب
 البني ، وحفر القنوات ، والمساعدة في بناء الحائط الكبير الذي كان يصل
 ما بين مدينتي بيلوروم وجليوبوليس . وتقوية الاستحكامات ليس فقط

«... La découverte du nom des libéraux dans les hiéroglyphes serait un fait de la dernière importance, nous comme aucun autre point historique n'autre peut-être une pareille solution, il faut avoir le motif des illusions avec un mot hiéroglyphique. La confusion des mots R et L dans la langue égyptienne, et et le visage des articulations B et P n'auraient pas, dans le cas particulier à la rigueur des vocalisations qu'on peut tirer de la transcription. Néanmoins, il y a lieu de prendre en considération ce fait que les Agouti, dans les trois documents qui nous parviennent d'eux sont montrés rangés à des travaux de même espèce que ceux auxquels, selon l'Écriture, les libéraux furent assignés par les Égyptiens. La circonstance que les papyrus mentionnent ce nom n'ait été trouvée à Memphis plaide encore en faveur de l'attribution proposée — découverte importante qu'il est à désirer de voir confirmée par d'autres documents. »

• ويشاف الى ذلك ان كلمة الشاجور ظهر أيضا في النسخ الخاص بالفتح الحراسي الثالث في الفقه . كما انقرض مرفوض انهم شعب ايفرن *Apfoun* وجنير بالفتح ان النسخ تذكر القياض من الشاجور . واحدة كبرى ولائفة مصري . وربما ومن ذلك ان ان بني الليبراليين استقروا في القلعة ربحهم الآخر بجوار سف . وظهر الشاجور في مجموع أخرى بأنهم كنوا ؟ فربما ان من بين الليبراليين ويشاف الى هذا مع القول بان هذه التسمية شبه بهاء الليبراليين .

(١) انظر نقش المائتي الموجود على التمثال في قسم المسجل على الرصافة واغريوم في السيرة التي في مواجهة المقاول المائتي لكتل سير ع . ولكتسي .
 المسيرين القمامة *Aeneas Egyptian* (المجلد الثاني - طبعة سنة ١٨٧١)

(٢) وجدت في خطاب كتبه كاهن كان يعيش في ذلك العصر (عمر رئيس القضاة) قصة حكيمة من العرب والمناصب التي واجهت لنواح السرف لطيفة والملاحظات التي حالت دون معارضة فكرهم افسد المناصب الكهنوتية . ويقول القضاة عن القضاة الذين يذنبون في حرفة شدة الشجور ما يلي :

« يصل مني يسلم الى درجة الترف من عمل لقاء بدفع كتلة من الصخر يقع طرايا من ارجع عزمها من قرح وفي كتلة يستغرق معها بين الفطرق بالامانيات
 اماسة من شهر . (برقية سكينة رقم ١١ بالتحالف البريطاني) »

لبي يثوم وزعميس. بل في جميع المدن والقلاع التي جمع ما بين البحرين
 الآخر والأقصى . وكانت مهتهم صعبة ولكنها لم تكن أصعب من مهام
 العمال الآخرين . وكان يقسم لهم غذاء جيد . ويسمح لهم بالزواج
 والتمتع بجمعة تتصاحب أعضادهم ، ولم يكن حبسك قد حرم الفصل الذي
 يراحمون فيه المائدة . ولا يمكن انكار حقيقة أنهم كانوا يصعدون الطوب
 اللبن ، وكان عليهم الفجاز كمية محددة ولقد فيها كل يوم (١) ولكنهم
 لما لم يتروكوا بالنسبة ترايد حجم العمل واستثنى أعيانه أيضا . ونحن
 الآن في عصر وعيسى الثاني . وغازل المصري سيحل فيه مريتا
 محله بعيدا جدا ، ولم يستطع بنو إسرائيل أن يتلفسوا الصمداء حتى مرت
 الملكة عيسى المصرية .

ويوجد في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر والمكتبة القومية
 بباريس . بعض البرديات الإقلم ومعها بالنسبة لها باب البرديات المتعد
 تصنيفا مبررة ليس . يعود بعضها إلى أيام يوسف الصديق ولكن ليس

(١) لا تعرفوا تحفون الذهب تينا لصلح القرن كالمس راول من قس . لينهوا
 هو ويصعدوا لنا لأقسامهم مقدار اللبن الذي كانوا يستعملونه راول من قس تينين
 عليهم ٧ تكتموا عنه (سفر الخروج ١٠ الصمغ للفلس . الإبن السليمه والثالثا)
 وهو لم يصور شاليس :

« Ces détails sont complètement confirmés aux hypothèses Egyptiennes. Le mélange de paille et d'argile dans les briques antiques a été parfaitement reconnu. D'un autre côté, le travail à la tâche est mentionné dans un texte écrit au revers d'un papyrus télébrail la splendeur de la ville de Ramsès, et datant selon toute vraisemblance, du règne de Sésostris I. On voit la transcription — « Compte des maçons, 12 en outre des hommes à couler la brique dans leurs villes, amenés aux travaux de la maison. Il y a fait leur nombre de briques journellement , ces ils sont à se voir les travaux dans la maison pour » c'est ainsi qu'il obtient le mandat donné par son maître » See *Recherches pour servir à l'histoire de la XIXe Dynastie*, par F. Chabas, Paris 1872, p. 148

وهذا النص القوي الذي ترجمه سيد كتابي إلى الفرنسية والكتاب على شال
 البردية ، ثم نسخة (صلب من بلنيسا - بردية انمستلي رقم ٢) وحفظ بالمتحف
 البريطاني . أما النظم المثلثي للبردية على صلب القبة التي في طيبة والتي تمده
 إلى عصر الأسرة الثالثة عشرة ، وهو النظم الذي يصر الآشوريين الذين يملكون
 النص ، ويصوبه في القلوب ، ويملكون ثم يملكون في صلوب . فهو نقل معروف
 من الحيرة التي أرمها سيد . ويكتسرون في كتاب *Ancient Egyptians* ص ١٨٧
 سنة ١٨٧١ - للجد الثاني . ص ١٩٦ . وكذلك نقل المصنفين رقم ٦٦ ، ٦٣ من
 الحيرة المصرية الأولى والنسخ البربخان يملكون على قواف من القرب للفلس بالبن
 وطيا خاتم ذلك رمسيس الثاني .

أيا مثل هذه الأهمية ، لأن الكنائس كالأهرام وفي آمون يظهران كما لو كانا على قيد الحياة ويتحدثان بما ورد في البرديات ، وليس هناك شيء لم يذكره عن خطيبتها هذين ! لقد عرفنا منذ في أيام مجيئنا ، وتفرسا في وجه ومسيس الأكبر ولابد ألما شلهدا موسى في عنقول شيا به عسما كان يعيش في حاية الأم التي تبخته (امة فرعون) أمرا وسط الإمراء .

لقد عاش كالأهرام ولكن آمون وعاتا وحطت جسداها خلال فترة قناروح ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف عام مضت . ولكن هذه القطع الصغيرة من المردتين قد عبرت حطام الصور ، كما أن الكتابة الطرفية التي غطتها

واضحة لنا كما كانت بالنسبة للموظفين الذين وسعت إليهم . لقد كان المصريون يسيرون الممل، وحرصوا على دقة تسجيل أعمال عمالهم وأسرارهم، وبناء على أنهم ما سجلته الآثار ، نجد نظاما بيروقراطيا مسجلا على العمل في كافة أنحاء القطر . وحتى في أيام بناء الأهرام كان هناك مسؤولون على الأعمال العامة ، ومتشبهون للتفتيش على الأراضي والبحيرات والبحار .

وسكرتاريون ، وكتبة وملاحظون عديرون (١) . ولابد أن هؤلاء جميعا كانوا في حالة إلى سبب مصر وعاتهم . وإلى تقارير عن الأعمال التي تم إنجازها تحت إشرافهم . ولكن عنات المسجلات المصرية التي سجلت فيها

عمله الفشون نادرة . ويذكر متحف اللوفر غميا في هذه النوعية من التذكرات التي يختص بعضها بتقويم تواريخ تسجيل الضرائب ، بينما يختص بعضها الآخر بنقل القمح ونظام فرض الضرائب الخاصة به .

ويختص البعض الآخر بدفع الأجور . وكذلك بيع وشراء الأرض لإقامة للفاش ، وما شابه ذلك . ولما كانت قد وصلتنا من حصاد مصرية أبناء مملكة وواضحة عن المصريين . فمن لذلك أنها جاءت على طريق مثل هذه الوثائق .

« Les affaires de la cour et de l'administration du pays sont ex- (١) pidiées par les « chefs » ou les « intendants », par les « secrétaires » et par la nombreuse classe des scribes. Le trésor compté d'or et d'argent, et le niveau des dépenses et des recettes avaient leurs intendants à eux. La chambre des comptes ne manque pas. Les domaines, les propriétés, les nobles, et même les lacs du roi sont mis sous la garde d'inspecteurs. Les architectes du pharaon s'occupent de bâtiments d'après l'ordre du pharaon. Les carrières à partir de celles du Mégalithe (le Toora de nos jours) jusqu'à celles d'Assouan, ne trouvent exploitées par des chefs qui surveillent le transport de pierre taillées à la place de leur destination. Finalement la corvée est dirigée par les chefs des travaux publics. » Histoire d'Egypte, Brugsch, 2^e édition, 1875 chap. V ap. 24 and 38.

وسلو أن الستة والأربعين عاما الأخيرة من حكم الملك رمسيس الثاني الطويل على غير العادة ، قد مرت في سلام ورحمة مما أتاح له أن يتمتع بشهرته للحكم بدون انقطاع - ان وضع قائمة مصورة بأعماله الانشائية المعروفة قد تتبادل أهميتها مع كتابه بيان تفصيلي عن مصر وأثيوبيا تحت حكم الأسرة الثامنة عشرة * ويبدو أن تصميماته كانت ضخمة كما أن وسائله غير محدودة * لقد صلا البلد من الدلتا حتى جبل برقل بالأناضول التي خصصها لبيان أوجه عظيته ولصيانة الآلهة * وقد ظهرت معالم عظيته التي لا تبارى على الآثار التي أقامها في طيبة وأبيدوس وثانيس * كما في النسوة في الأماكن المعروفة الآن مثل حوف حسين وودى المسبوح والمو وأبي سنبل فقد أقام المعابد وأتمم البناء - وقد اختفت هذه المدن التي بفضل وصفها بأنها كانت عواصم كبرى ، ولولا وجود ذكرها في النقوش المختلفة لا عرفنا شيئا من مجرد وجودها * عما يصعبنا تفاصيل عن كيفية بناء الكثير منها دون أن نترك أثرا أو مسجلا * وربما كانت هناك اثنتا عشرة مدينة تخص رمسيس مدفونة تحت بعض هذه الروابي التي لا يعرف أساسها والتي تلي بعضها البعض في سلسلة مستندة يطول صفها النيل في مصر الوسطى والسفلى (٦) * وللأسف فقط اكتشفت بالصدفة بقايا بناء عظيم مزين بأسلوب فريد تحت رابية تل اليهودية (٧) التي تقع على بعد اثني عشر ميلا شمال شرق القاهرة ، ومن المحتمل وجود حوالي خمسين رابية في هذه الروابي التي لم تفتح بعد في الثلثا وحدها * ولنا نبال إذا تحدثنا عن وجود حوالي مائة رابية أخرى تقع في المسافة ما بين البحر الأبيض المتوسط والشلال الأول *

وقد وجد في أبيدوس خلال السنوات الأخيرة نقش يبين أن رمسيس الثاني له حكم مملكتيه المحلية حوالي مائة وستين عاما * ويقول رمسيس الرابع مقدما ذنوبه إلى الآلهة أوروريس : ه انتك أنت الذي شتمتني مثل هذا الحكم الطويل الذي حكمه رمسيس الثاني الآلهة العظيم على مدى مائة

(٦) أن قصة مدينة * بارسيس * الواردة في الكتاب المقدس نقل على أنها لم تكن المدينة الحديثة التي تحمل هذا الاسم * فقد كانت جنتك حينما أحمس بارسيس بارسيس بارسيس بارسيس * ومنها ثلاثة عند نيل سنبل وربما اكتشفت من أخرى تحمل نفس الاسم *

(٧) * تكلمه للجديا عن قاعة ضخمة مبنية ببلطات من المرمر الأبيض * أما الحوائط فقد كانت مغطاة بنقوش من القلوب والقيشاني - كما أن القلوب قد كان لديهم منها رائج المبرنة وه بنعت فيها الحروف الهيروغليفية المعصرة عن التزجاج أما تجانس الأصداء قد صممت بالبرازيل للثلاثي للامح ، كما أنط بالآخر خط عن الجوازيك - *

وستبين لماذا • وانت الذى ستسحقى المدة التى استغرقتها هذا الحكم
المظيم • (٩) •

وإذا كنا قد عرفنا من أى سن جلس رمسيس الثانى على العرش ،
فإننا نستطيع عن طريق هذا النص أن نعرف أيضاً الذى مات لها •
ولم يصل البنا سجل عن هذا الموضوع ، ولكننا توصلنا الى ذلك عن طريق
مقارنة الفترة الطويلة التى استغرقتها أحداث هذا العصر • وقبل كل شئ
العمر الذى ولد عليه موميه هذا الفرعون العظيم الذى اكتشفت سنة
١٨٨٦ وهو تبين أنه عاش مائة عام •

وتقول لوحة الدكة : • انت الذى وطعت التصميمات عندما كنت
فى عمر الطفولة • لقد كنت ولداً يركضى الاوار • ويهوى لك لم يلم أى امر
أو يوضع أى نظام • وكلت تماها عرك عشر سنوات عندما كانت جميع
الاعمال فى كفة يدك وانت واضح اساساتها • • وليس لديها عا نصيلة
الى هذه المسطور التى ترجعناها حرفيا • • وهى لا تتضمن شيئاً يبين ان
هذه القباب التى كان عمره عشر سنوات أصبح فى هذه السن ملكاً منفرداً

— وقد خدمت بعض الأسماء بغير طعن رمسيس الثالث • • انظر دليل موراي من مصر
— الفصل السابع — Murray's Handbook for Egypt من ٢١٧ • ويحتوى
الخبرانة رقم D فى الفقرة المصرية للثنية بالخط الهيروجلي على الصعيد عن
بلاطات القباب هذه التى وجدت على يديها التمثال الأمير الاسميون والزوج
والطوبى والتمارين • الخ وتمثل جميعها بالزوجة سواء من ناحية التصميم أو التنفيذ •
ولا بد ان موراي قد قلنا فى نسخة هذا النص الى رمسيس الثالث ان الغرض من
رمسيس الثالث • وقد اكتشف بعض العمال هذه القاعة سنة ١٨٧٠ • ملحوظة مشابهة
للحديقة الثانية • كشفت من هذه الزاوية المنظر الذى لولها سيد دافيل فى العام
الماضى (١٨٨٧) سكتا لجمعية متحف اكتشاف مصر R.E.F • انظر الملحق المضاف
فى عدد مجلة The Illustrated London News بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٧ وهو
يتضمن القصة الكاملة لطريق الى اليهودية مع الرسوم •

(١٦) تمثل هذه القصة نذرا أو تحذيرا • ويحتوى فى حقيقته على صلاة تلبية لعمها
رمسيس الرابع الملك اوردوريس فى السنة الرابعة من حكمه • وايضا يجد ذلك اختلافه
لخصفية واسمها للعائلة • ويطلب من الآلهة أن يمنحه طول العمر • انظر مثلا
عنائه (Sur une stèle de l'époque d'Abydos • بطم ب • جهر نشر فى مجلة
Nouvelles Archéologie المجلد التاسع عشر • من ٢٢٢ •

وحاكمها خسر وانه كان ضد ولادته ملكا شريفيا حسب مفهوم الوردية (١) ،
 أثناء حياة أبيه - وقد حارب ذلك مؤكدا الآد ، ورغم كونه ولدا إلا انه قام
 بتصميم الباي العامة واشترق على بناتها - وأن هذا المركز كان لابد من
 استناده الى قوى التمهد الذي كان يحب المساواة واتخذ منها مجالا لبراسانه
 الخاصة - والحقيقة ان هذا المركز كان مركزا نسبيا لأنه كان يستند عند
 أوائل الدولة القديمة الى أمراء تجرى في عروقهم الدماء الملكية (٢) ، ولكنه
 لا يحمل في حد ذاته ذلك على السلطة - ولذلك فاننا نعلم بأن لوحة
 الدكة هذه (التي يعود تاريخها الى السنة الثالثة حكم رمسيس الثاني
 منفردا على العرش) تشير الى وقت طويل مضى عندما كان الملك ولدا جفلة
 هذا المركز تمت رعاية أبيه .

ويشير نفس النقش كما رأينا الى الحملة المفطرة في الجنوب ، ويذكر
 رمسيس بوصفه « الثور القوي خسه اثيوبيا » والوحش الماضب خسه

(١) أرفخح ميرو تاريخت في كتابه القديم من اليهودي ان الملك رمسيس الثاني قد
 «لخص أثناء حياة أبيه بفرطه بغير قد لانا (اوس - ددث - روح) وانه لم يتمم
 على قلب الابن (سب - بي - روح) حتى ولادة أبيه الملك سبتي الأول وعلى كل
 حال فإن حطب الفرع يتمم قلعة من حطب المقتر تبين ان الملك رمسيس الثاني حامل
 لقب الحاكم الذي جعله في السنوات الأخيرة ولد ومهد ميرو ب بوير هذه اللوحة
 بالان :

« *Ramsès II chabab* représenté assis sur le signe des enseignes des
 c'est une manifestation au soleil levant lorsqu'il émerge à l'horizon
 l'étoile. Il porte la main gauche à sa bouche, en signe d'effacement. Les
 mains droites pend sur ses genoux. Il est vêtu d'une longue robe. Les
 cheveux de l'enfance tombent sur son épaule. Un diadème recèle ses che-
 veux. et un uraeus se dresse sur son front. Voici la production de la
 toute ligende qui accompagnait cette représentation . Le roi de la
 Haute et de la Basse Egypte, maître des deux pays, Ra-Uas-Im Ra-
 en-Ra, vivifiaient, éternel comme le soleil » Catalogue de la Salle
 historique, P. Perrot, Paris, 1873, p. 3.

ويذكر سهر مسيرور ان هذه القلعة تكلف من الحديقة الى آخر جبال جوليا وهي
 ان حكمه انشأه في بدأ منذ الطفولة وبنائه يتولى هذا الاشكال . انظر
 الاصل الرابع الذي نشره ج. ماسبيرو سنة ١٨٦٧ في باريس ضمن سلسلة المكتبات
 التي تحمل العنوان التالي
 L'enseignement pédagogique au Temple d'Abydos, suivi d'un Essai sur la
 formation de ses textes.

(٢) انظر كتاب بروش

« Le maître d'architecture se trouvait confié aux plus hautes dispo-
 sitions de la cour pharaonique. Les architectes du roi, les *Merket*, se
 recrutèrent assez souvent parmi le nombre des princes » *Histoire
 d'Egypte* Brugsch, Second édition, 1878, chap. ٩, p. 34.

الزواج .^١ ولأن الأحداث التي ذُبح إليها لابد وأن تكون قد حدثت خلال السنوات الثلاث الأولى من حكمه المنفرد وهو ما برهن عليه تاريخ اللوح .
والحقيقة أن نقش ابيدوس العظيم يبين أن رمسيس الثاني قد قام بحملة في اثيوبيا ، في الوقت الذي وصله فيه خبر وفاة أبيه وأنه عاد في السبل إلى القسالة لكي يتم تنصيبه في طيبة (٢) .

والآن ، نأتي النقوش المشهورة التي كانت مرسومة على الهيكل التذكاري في معبد بيت الوالي تشير إلى أحداث هذه الحملة . وقد نقتبس النقوش بهذا الاحتمال الرفيع والرقيق الذي يجسده على وجه الخصوص النقش البارز في القرية واييدوس وكافة هذه المباني التي أنشأها سيتي الأول ، أو بعدها سيتي وأكملت خلال السنوات الأولى من حكم رمسيس الثاني . وأما الجراف بالقرن ماضي اعتبرها معاصرة له ، أو قريبة العهد من عصره . وعلى أية حال ، فإنها مع المنظر التي تسبقها تدعو إلى استنتاج أن الفايين الذين قاموا بالصل كانوا يعرفون شيئا من الأحداث والأشخاص الذين جرى التمسك بهم ، وأنهم أبرياء من الاتهام بعدم إقرار الأخطاء .

ويتحدد الشك كله حول ما إذا كانت الدواوين المتعلقة بحكم سيتي ورمسيس أو حكم الأخير المنفرد ، عندما يجد في هذه النقوش (٣) أن القاتع يصبح ابنه الأمير آمون حرسبب الذي كان في المس التي تسمح ليس فقط بالتعليم بدوره في الميدان بل تحمله يضم بعد ذلك احتفالا عظيما بمناسبة خضوع القائد الاثيوبي ودفعه للجزية ، وهذا الدليل الذي تقدمه النقوش البائدة الموجودة في بيت الوالي . وكذلك فإن هؤلاء الذين لا يستطيعون الذهاب إلى بيت الوالي يمكنهم أن يشاهدوا ويحكموا بأنفسهم عن طريق الأضواء الجنية التي تفرحها هذه اللوحات العظيمة التي تغطي حوائط الغرفة المصرية الثابتة بالمتحف البريطاني . ويصعب تفسير ما نملق بالأمير آمون حرسبب . لأننا تعودنا على اكتشاف قدر معين من البساطة الهدية من جهة هؤلاء الذين يستولون بالفلم أو يرحمون في لوجانهم الأحكام العظيمة للفراعة . أننا نتوقع أن نرى الملك على الدوام حاشيا وجيلا المنظر ومنكسرا . والنقش الطيفي والطبيعي أنه يجب ألا يطرأ ملوكة عن عشرين قلما ولا يزيد على ستين . ولكن الذي لا يمكن تصديقه هو أن

(١) انظر مقال ج. ماسبيرو ونحوه ،
I. Description Générale du Temple d'Abydos, etc.
(٢) انظر كتاب دوسيليه Monumental Studies الصفحة رقم ٧١ .

يحاول أي متعلق بن يحيى في نقله إلى دولة الإقرار بتقدمات مصر في
التأثير مع أخته التي يقع نفس عمره تقريبا .

وأخيرا فهنا هو الدليل من الكتاب المقصود :

« بعد موت يوسف وبناه الإسرائيليين في مصر ، جاء إلى العرش
هرعون الذي شعر بخطورة ريادة هذا الشعب الأجسي وذهب عن
طريقه بوصف مراتبهم السريع ولم يصل فقط على إزاله هؤلاء الأجانب ، بل
لمر أيضا بأن يلقى من مصر النيل كل مولود جديد يولد في « ه » وهناك
اجتماع عالمي على الاعتقاد بأن هذا الهرعون هو رسيس الثاني ، وتأتي بعد
ذلك انقصة القديسة العظيمة التي أوردتها الكتاب المقدس وهي مروفة
لنا جميعا ، وثبت ولادة موسى ووقع في سفط من البردي ووضع بين
العلماء على حافة النهر ، واقتنه ابنة هرعون واتخذته ابنا لها ، وبالرغم
من عدم ذكر أية تواريخ عن الواضح أن هذا الهرعون الجديد لم يكن قد
مضى عليه في الحكم سنوات طويلة عندما حدثت هذه الأحداث ، ومن
الأوضح كذلك أنه لم يكن مجرد شطب ، فقد كان كبيرا لأنه كان يدبر
أمور الدولة ، كما كان ابنا لأخيرة من النسب الإتراس أنها كانت هي
نفسها طفلة .

وعبرنا نستطيع استنتاج أن رسيس الثاني بالرغم من أنه قد ولد
ملكًا إلا أنه لم يكن يبلغ مبلغ الرجال حتى تم زواجه ، وأنه ربما أصبح
أبًا لأطفال قد يحاور مرحلة الطفولة ، وتم ذلك كله قبل أن يفترق
بالحكم ، وعلى كل حال فإن هذه هي وجهة النظر التي أبدتها البروتستور
ماسبيرو الذي يقول في الطبعة الأخيرة من كتابه : *التاريخ القديم*
Librairie Ancienne : « إن رسيس الثاني عندما وصله خبر وفاة والده
كان في عنفوان حياته محاطا بأمره كبيرة ووصل بعض أمثاله إلى السن
التي تسمح له بالتقال تحت قيادة أبيه » (١) .

(١) آخر

« A la nouvelle de la mort de son père, Ramsès, il désormais seul
roi quitta l'Égypte et se réfugia à Thèbes. Il était alors
tre d'enfants, dont quelques-uns étaient assez âgés pour combattre sous
ses ordres. » *États Anciens des Peuples de l'Orient*, par G. Maspero.
Chap. v p 220, 4ème édition 1886.

ويجعل يروجش ميلاد موسى في السنة السادسة لحكم وعيسى الثاني (٦) وهو استنتاج صحيح . أما السنوات المتناوبة التي انقضت بين ذلك الوقت ووقت الخروج فهي تطابق بالتزامن الفترة الزمنية التي اوجدها الآثار . وعلى ذلك فإن موسى قد شابه السنوات الباقية من حكم هذا الملك وعندها واحد وستون عاما، وأطلق الاسرائيليين من العبودية في اواخر حكم مرنبتاح (٢) الذي جلس على عرش آياهه حوالي عشرين عاما . وفي هذه المرة نجد ان تطابق التواريخ لم يترك شيئا للتخمين .

أما سير وصتريس الذي تحدث عنه ديجودور الصقلي فقد اصيب بالحمى وقتل نفسه يده ، وقد اعجب شعبه كثيرا بهاجته هذه التي تطابق مع عظمة حياته . اننا هنا لنسئل في منطقة الخرافة الخالصة . ان الانتحار معروف لدى المصريين ولكنه لصيلة كلاميكية . واما كلان الاغريق قد كرموا الحياة لدى المصريين قد عظموها . ولشك فيما اذا كان الناس الذين يتوفون دائما الى طول الايام يثير اعجابهم التمسك الارادي لأيام العمر وهي اعظم صفة اعطتها الآلهة للانسان . وباستثناء كليوباترة ، فهناك أيضا

(١) انظر .

« Comme Ramsès II regna 66 ans, le règne de son successeur sous lequel la sortie des Juifs eut lieu, embrassa la durée de 28 ans , et comme Moïse avait l'âge de 80 ans au temps de la sortie, il en résulte évidemment que les enfants d'Israël quittèrent l'Egypte une ou deux années six années du règne de Menephtah , C'est à dire entre 1227 et 1231 avant l'ère chrétienne. So nous admettons que ce pharaon périt dans la mer, selon le rapport biblique, Moïse sera né 80 ans avant 1231, ou 1401 avant J. Chr., la sixième année du règne de Ramsès II. » - Chap. VIII, p. 187, *Hist. d'Egypte* ERLINGSHOF 3^e édition, Leipzig, 1880.

(٢) ان كان الخروج قد حدث خلال السنوات الاولى لحكم مرنبتاح فكيف من الضروري اما ترحيل ميلاد موسى الى تاريخ سابق . واما قبول للتصحيح الذي اوردته المنسحين الذي يقول : « من الصعب ان نلتزم حرفيا بالقدس للقدس ، ومن وقت الخروج وهو اثنان وأربعون عاما » ، لفترة الاربعين عاما هي الاصطلاح المستخدم للتعبير عن جيل من الاجيال وهو فترة زمنية تقارب ما بين ثلاثين الى ثلثة وثلاثين عاما . انظر كتاب مانسين وعقارب *Egypt's Place in Universal History* نشر في لندن سنة ١٨٥٩ - الجزء الثالث - ص ١٨١ .

ومنه يتلوه القول بأن مرنبتاح لم يملك مع جلده اما كلفيليان الذي بلغ ثورته ضد الميراثيين ومجرات موسى ، حسب ما ورد في الكتاب المقدس ، فلها جميعها تطابقا تاما بان كافة هذه الامثلة قد حدثت في فترة زمنية قصيرة ، ولم تمتد على مدار مئةون سنة . ولم ننكر ان فخرين قد ملكه . والمحيلة ان فترة مرنبتاح موجودة في نفس الماوك - في الفترة رقم ٤ .

موت فيتركيس التلاميذ الاغريق في الخدمة المردية (١) المشكوك في أصيلة ، ولكن لم تسمح أن مصر في البحر - وهي كليوباترة التي كانت اغريقية بالبلاد - قد تأثرت في انضمامها على الاتحاد مسوايق اغريقية وروحانية . ولذلك علينا أن ننقل في هذه الأسطورة القائلة بأنه ليس بالسي وقتل صبي . وكذلك يكرر القول بأننا لا نعرف شيئا مؤكدا عن موت ميسيس الثاني -

ومستشار . فإن هذه هي الحقائق المتفق عليها بين تاريخ هذا الفرعون المشهور . وإذا عالجنا قصته بالتفصيل لما نحتاج إلى مجلد كامل ولو كانت ذلك بالفعل مسهل الانسان يتسلسل ويتسلسل عبر بومبة هذا الرجل ولكن دون جنوى . وتسبب كل محاولة لاستبطان طباعه للشخصية دنا ، على هذه المعلومات المتعددة مجرد حساب (٢) . أما في شجاعته فبكر أن يستعمل عليها في قصيدة يسأور - مع الحفاظ الواجب - أما في امتناره بصمة الرخصة فقد ظهرت في العبارة الخاصة بتسليم الجرمية التي وردت في معاهدته مع الجنين - أما كبرياؤه فليست لها حدود - لقد كان كل عهد أقامه يمثل أثرا يسجل عظمته ، وكان كل تمثال يصنع يمثل تذكارا - وكان كل نقش يمثل انشودة تمدح شخصه ، لقد وصح صورته الشخصية في الهيكل بين صور الآلهة في أبي ستيل وفي الدرو في جرف سيمي (٣) وهناك حالات رسم فيها مظهر السلطة

(١) فيرونيث - الكتاب الثاني .

(٢) ينكر روسيليني صفات التاج في نظري برجاتها متعلا لا يذكر غدا أن ميسيس الأكبر قد حقق نصر الفرعاء نتيجة انتصاراته . وإن هذا الزخاء قد أدى إلى أهمية الحياة البرية في رأس الدولة . ولكن فيشا (مع قبول اللغة التكميلية للروح للذكاء من الانتصارات كخليفة حكمها) يضيف أنه « السلام العالمي حققه له صف المنجزين » انظر : Monarchie المجلد الثالث - الجزء الثاني - ص ٢٦١ - ويلاحظ القلم يحتاج بالنسبة إلى الانكسار ، ولا يرى أية صلة من صفات الضميمة في الحكم في شخص يجب أن يرمض بأنه « طافية » يكتفح جماعه - فستقل مهنة بلغة في الحكم هذه لفظة الطروقة ، والمجاهرات اليه وتملاؤه لكي يطيب رعاياه ، والفرعاء للذين على أرواحه سلفهما اتسح ما يستلزم من قوة ، وروايتهم لشعيق شعيرة في العرب والبناء . الفرعاء ، والنسب - Egypt's Place in Universal History - المجلد الثالث - الكتاب الرابع - الجزء الثاني ، ص ١٨٤

(٣)

«Souvent il introduit lui-même dans les grandes divines auxquelles il dirige les temples. Le roi de Ramses Méneptem qu'on aperçoit sur leur murailles c'est notre chef de roi lui-même déjà du son vivant.» Notice des Monuments Egyptiens au Musée de Louvre Le ROUGE , Paris, 1876, p. 20.

الملكية وللسلطة الإلهية - ومعهم القويون بحرف البهوت أمام زميس
الآله .

أما عن الباقي في السلم استنتاج أنه لم يكن أفضل ولا أسوأ من
انطلاق المبدأ العام المعروف عن الطاعة الشرقيين إلا وهو أنه لا يعرف
الرجوع إلى الحرب ، سرنا في السلم ، متكاليا على الفضة ، وسنحنا في
عاصمة القوة غير المحدودة، وكان هذا الكبرياء مع هذا الطغيان يتوافقان مع
الأسبقية التي تعود إلى الأزمنة القديمة - وطبيعة العصر الذي عاش فيه -
ولا شك في أن المصريين قد اعتقدوا بأن ملكهم كان على الدوام إله .
فكتبوا عنه الترابيم (١) ورفعوا إليه الصلوات ، واعتبروه الممثل الحي
للأرضية . وكان أمراؤه ووزرائه يخاطبونه عادة بلغة البهوت ، وحتى
زوجاته المقروءين أبهى برفته جيلا ، ثم يصورهم وهم يقدمون الأعمال
الالهة على القديس الديني أمامه . أدى ما الذي يشي بهشتنا عندما يستفد
هذا الرجل أنه إله ؟

(١) نظر لرؤية موجه إلى القوي (١) استنتاج (١) ترجمتها من " و " جودوين
C. W. Goodwin في مجلة Records of the past المجلد الثاني ، ص ١١ -

الفصل السادس عشر

أبو سنبل

وصلنا الى أبي سنبل في ليلة الحادي والثلاثين من يناير ، وغادريها عند غروب شمس اليوم الثامن عشر من فبراير ، وقد قضينا من هذه الأيام الثمانية عشر - أربعة عشر يوما عند أهدام حفرة للمعدن الكبير التي مطلق عليها في اللغة المصرية القديمة اسم - حفرة ايشك - لها الأيام الأربعة الباقية - التي بقى بعد نهاية الأسبوع الأول وقبل بداية الأسبوع الثاني - فقد قضيناها في رحلة قصيرة الى وادي حلما ثم العودة - ويتقسيم المدة هكذا أصبحنا أقامتنا الطويلة أقل وبأقل حظا للمهم وجود عمل محدود نعمل به .

وفي نفس الوقت أعجبنا أن نستيقظ كل صباح بجوار الضفة المتحدرة دون أن نرفع رؤوسنا عن الخدمة لكن نرى ذلك النصف من الوجوه المعلقة التي تملأ السماء ، وكانت تظهر عاليه جدا في صبر القمر ، يسما يظهر نصف هذا الارتفاع في الفجر وفي تلك الساعة التي تمثل السبب ساعدت اليوم كانت الثمانيات تبدو في حالة سكون ولكنها أكثر روعة . وبعد اشتداد حرارة الجو ، كانت هذه النظرة اللطيفة وحصة تصاعد وتنحصر مثل اسملت وحفرة السيادة - حتى ان هذه الوجوه ظهرت وكأنها تنوحي ، وينبسم ، وتبتسم . وبعد ذلك ظهرت شرارة مثل شرارة الفكر نفسها ، وكانت هي الشرارة الأولى لتفريق الشمس وقد استقرت أقل من ثامنة واحدة . وحصلت قبل ان يقول الانسان انها حياك - وفي اللحظة التي نلت ذلك ظهر الجبل والنهر والسماء من خلال ضوء النهار المنظم . والآن نرى الثمانيات الضخمة خالصة حادثة ومتصلة في ضوء الشمس الساطع .

وكنتم نستيقظ في هذا الوقت كل صباح لشاهدة هذه المسجرة اليومية - انني أأحمد هؤلاء الاشوة المهيئين كل صباح وهم يحضون من

أمرت إلى الحياة . ويتحولون من الحياة إلى أحجار منحوتة - وغالباً ما تلبس
الرمم معنى بالاعتقاد أحجاراً بأنه سرعان ما يأتي يوم سواء أكان عاجلاً أم
آجلاً . عتلاًما تسخر البهجة القديرة حانياً ، فيقوم هؤلاء العمالقة
ويجسدون .

وليس هناك ما هو أصعب من رؤية هذه التماثيل الصخنة بوضوح
مع هذا الظهور المهب . وإذا وقف المشاهد بين الصخرة والنهر فإنه يقترب
منها البراءة شديداً ، إما إذا وقف فوق الجزيرة القابلة فإنه يتعدى عنها
بعداً شديداً . بينما لا يشاهده وهو فوق المنحدر الرملى إلا عتلاً حائلياً
ومع الحاجة إلى موقع مناسب للمشاهدة كان السباح لا يرون شيئاً
فيما عدا تنزهات أكمل وجه سلمه لها الفن المصري ، مما يجعل بعضهم
يتعرف في هذه التماثيل إلى الملامح الرملية . بينما يتعرف سائح آخر
على الملامح الرملية (١) بينما يتمجب سائح ثالث للاختلاص الذي يدل على
« التفكاس التوبية » .

والسبب أن رأس الملك الشاب ليست موضوعة في قالب أعلى
لأن هذه التماثيل تمثل صوراً شخصية لنفس الرجل محبرة أربع مرات
وهذا الرجل هو رمسيس الثاني .

(١) يمكن أن نجد التماثيل التي رويها في غلب أرسله إلى مصر
منه ظهور اكتشافات تسمى أنه لأحد الملامح السابقة في الفن الشخصي لرسم
الثاني وسين الأول . ويمن أن فرعون الأسرة الثامنة عشرة ربما يكون قد انتموا
من سلالة الكهنة . والله ما نذكر في هذا الصدد .

« L'origine de la famille des Ramsès nous est jusqu'ici complètement inconnue en prévision pour le dieu ou Setekh, qui s'écrit dès l'abord par le nom de Séti Ier (Setem), ainsi que d'autres indices, nous valent déjà engager à la reporter vers la Haute Egypte. Nous savons même que Ramsès II avait épousé une fille du prince de Kher quand le traité de l'an 23 est ramené la paix entre les deux pays. Le profil très-décidément sémitique de Séti et de Ramsès se distinguant nettement des figures orientales de nos Pharaons Thébaïnes » (Rev. Egypt. Archéologique, vol. 12, 4. 1894).

وفي نفس القالب يظهر حيدر روبيه إلى إضافة هذه الآلهة سوتخ الذي أجد
شبيهه في نكتيس (حيدر المصري) بصفة رمسيس الثاني ، وإلى حقيقة أن الآلهة أرسوم
منهك يلعب غشاء الرأس الغشاء الذي يركبها أمير حيتا في موضع آخر - ولابد أن تذكر أن
أتون رح هو حامي رمسيس الثاني . أما ذكرية الآلهة سوتخ (الذي من المفضل أن يكون
أرضه - لوجهه الحيتي) فيبدو أنه يلاصق قلب حيدر مملكة نكتيس التي من المعروف أن
الأميرة الحيتية (حاتش - أيرج - ناور - رح) تصكف فيها .

والآن . فإن رمسيس الأكبر لو كان يشبه هذا التماثيل الأربعة المتشابهة فلا بد أنه ضمن أكثر الرجال وسامة - ليس فقط في عصره بل على مدى التاريخ - وحسنا تقابلنا معه سواء في التماثيل الساكنة في متحف أو في التماثيل المقطوع الأطراف Sphento torso بالمتحف البريطاني ، أو بين النقوش البارزة الجديدة بميدان طيبة وأبيلوس والقولة وبيت الوثلي ، فإن ملامحه دائما متشابهة (يلاحظ من أن بعضها يحمل مظاهر الشباب وبعضها الآخر يحمل ملامح الشيخ) الوجه بيضوي ، والعيون مستطيلة وبائنة ، وأحافاتها سمكة . أما الأنف فهو معقوف قليلا ومضغوط عند طرفه المدبب . كما فتحنا الأنف فانها واسعتان وحسنتان . والشفة السفلى بارزة . بينما اللسان صغيرة ومربعة .



وهنا رسم مأخوذ عن رسم غائر في بيت الوال . والموضوع مسجل لتقليد ذكرى أولى حيلات الملك رمسيس، ويمثل شابا غير ملتح حليح الوجه يتباز الحركة ويمسك بأحد الأسرى من شعر رأسه . ويرفع المصراعين الملحم لكي يخلعه به . وفي هذا الوجه الرقيق الذي يمزجه امتلاء وهدوء الصور الشخصية الأخيرة ، تصرف على كافة المساحات التي تبرز بها رمسيس الأكبر .



وحسب هذه الصورة الثانية رسماً من أيبثوس يظهر فيه الملك متحناً
 بلحية الضخمة ، وقد تجاوز السن التي يبدو عليها في الصورة السابقة
 ثلاث أو أربع سنوات ، وذلك بالرغم من أنه لم يتوقف بعد عن ارتداء
 الأزار الذي يرتديه الثيمبابي .



ومن الضروري أن نقارن بين هذين الرسامين بالرسم الجانبي لأحد
 الأسماء الضخمة التي على شكل امرأة داخل معبد أبي سبيل الكبير .
 تم طارئ بين هؤلاء الثلاثة وبين إحدى الصور الضخمة التي في واجهة
 البهاء ، وسعد أن هذه الأخيرة صرف النظر عن اعتبارها أعجوبة في حيث
 الحجم ودقة رسم الأشخاص ، إلا أنها تمثل قمة ما وصل إليه فن النحت
 المصري ، إن ملاصقة متطابقة مع الرأس المرسوم في بيت الولي - ولكن
 الخطوط الخارجيه مختلفة ، وقد زاده عمر الملك بحوالي خمسة عشر
 أو عشرين عاماً . لقد تجاوز عتقوا ذلك الثيمبابي المبكر ولم يعد متطابقاً
 بل متشكلاً ومعادناً في مثل هذه الآلهة ، مع رقبة تتجاوز طاقة البشر ،
 واداعة واسعة - وجهه السمان كلها تكاد ينطق بها الحجر المنسوت -
 لقد تعلم الإنسان بأن بطولته لا تقاوم ، وإن ذاته مقفلة ، وأنه إذا رفع
 ذراعه اليوم للقتل قاتلها ستكون في مثل وداعة الملك المهلك .



مظهر جانبي لوجه رمسيس الثاني
(منقود عن التمثال الواقع في القصر معبد أبي سنبل)

أما الرسم الملحق المنقود على الخشب فإنه يعطي التمثال الذي في أقصى الجنوب - وهو التمثال الوحيد الكامل تقريباً من بين التماثيل الأربعة - الشكل الجانبي للوجه . أما التمثال الأصلي فلا يمكن رؤيته كاملاً من أية نقطة فيما عدا نقطة واحدة ، وهذه النقطة هي التي تتلاقى عندها الشجور الرعلى مع الفتحة الشمالية للواجهة على مستوى متواز

مع ذقون التنايل - ونحن هنا تم رسم الشكل الجانبي الذي قبلناه الآن ، أما المتحدر الزملي فهو شديد الانحدار وغير مناسبك وغشيد الحرارة بالنسبة لأقدام المتشاهدين ، ويندر وجود مصدر يصب بسفله مثل هذا المنحد حتى في بلاد التوبة ، ولكن لا يستطيع أي سائح يرفض القيام بملاحظته مثل هذه القبة الصغيرة أن يدعي رؤية وجوه التنايل .

أما إذا نظرنا من الصعل ، فإن هذه اللوحة الجميلة تقصر أبعادها من ناحية نسب المنظور ، فتظهر متسعة أكثر من اللازم في المسافة التي تقع ما بين الأديس ، بينما يظهر الضياء والجبل السفلي من الأنف بصحبه أكبر نسبيا من بقية الملامح ، وربما يقال نفس الكلام عن التمثال العظيم بالمتحف البريطاني فهو محبوب في نهاية عمر فنان وعرض عن سطح الأرض بمسافة لا تزيد على خمسة عشر قدما - فقد تم وضعه بمنايا حتى يبدو الوضع حائلا من جميع الروايا ، ومعبرا عن سوء عرض التمثال من كانه الأركان .

لم يواجه الفنانون الذين طوعوا التنايل الأصلية أية صعوبة من جهة ضبط الأبعاد ، ولم تهدم أية صعوبة فنيا يمتنع بنسب الرسم ، إن هؤلاء الذين بحثوا هذه التنايل الصلابة من الصخر الصلب ، ومتسوحا القوة والجمال الذين يفرقان لدرار البشر ، كانوا هم أنفسهم عمالقة ، ولم يسخروا من كتل الأحجار أو الصخور المأخوذة من الحاجر لأقامة تماثيلهم ، ولم يقيموا ساذج من الصلصال ، ولكنهم اختاروا حبالا وانكبوا عليه مثل لردة ولشوا يتقيونه ويحتولوه كما لو كلف ثمة من ثمار الكريز ، ثم تركوه لكي يقف رجال الأجيال القادمة في بلاءه ، مشدوعين أمام عظمة هذه المسجزة إلى الأبد ، ثم شقوا في بطنه قاعة ضخمة وخمس عشرة حجرة فضيحة ، ثم هذبوا حافة الحرف التي يتجه نحو النهر ، وقطعوا أربعة تماثيل ضخمة متجهة بوجوهها نحو مشرق الشمس ، أنشأ منها إلى يمين المدخل ، والنان إلى يساره لكي يقوموا بالمرالبة إلى نهاية الزمان .

إن هؤلاء الحراس الذين يجلسون بارتفاع ستة وستين قدما أعلى المنصة التي تحت أقدامهم ، يبلغ عرض حبلهم كل منهم ٢٥ قدما . ٤ بوصات - وتبلغ المسافة من الكتف إلى الكتف ١٥ قدما ، ٦ بوصات . ومن الجانب الداخل لفصل الكوع إلى طرف الإصبع الوسطى ١٥ قدما . وهكذا جرى حساب القيم النسبية ، حتى أنه لو قدر لوله التماثيل الوقوف فإن ارتفاعها سيبلغ ٨٣ قدما من باطن أقدامها إلى قمة تيجانها المزدوجة المسطحة .

لا يوجد في تراث النحت المصري كله شيء حصل دوعته الى مثل تلك الروعة التي تعامل بها فنانون آيى سبيل مع الاطنان في المادة الحجرية التي أعطوها هذا الشكل الانساني . واستطاعوا كاستائلة اصطب تأثير ان يعرفوا بالتحديد ما يجب ان يعلوه وما يجب ان يتركوه . لقد كانت هذه التباينل شخصية ، ولذلك فرغوا من نحت رؤوسها الى اولى نقطة فيها وجهوها متناسبة مع حجم الجسم . ولكنهم نظروا الى الجنوع والأطراف السفلية من وجهة النظر الزخرفية وليس باعتبارها اجزاء من التنايل . أما من وجهة النظر الزخرفية فقد كان من الضروري لهذه الأطراف ان توفر للفواحة مظهر المسجلة والهيبة . ونتيجة لذلك أصبح كل شيء هنا قانونيا بالنسبة لاصفاء التأثير باتساع وضخامة البناء ومع هذا الاعتبار جلفت التنايل القس في التفتيد . انها تطلى متجاوزة بصنها الى جانب البض الآخر في وضع حادى وهيب . وقد تباعدت اكادها قليلا بسا استراحت يدا كل تماال على وكتيته . وتظهر السياقان الضخمة في الوضع الذى هي عليه ، ودبة المحيط بالكليس الى اعمدة السركك الضخمة . اما وصلة رباط الركبة ، واستدارة سيانة الساق والخطوط الخارجية للعضة الساق الطويلة فانها تبدو طبيعية أكثر منها مكتسبة . اما اطراف وبفاصل اصابع القدم فهي منحوتة نفس الاسلوب الجرى . وجرى تنفيذ اصابع اليدين بشكل عام علما بأنه لا يظهر منها الا اطرافها وذلك لأن الناظر اليها يراها من أسفل .

تكشف الوجوه من نفس ضخامة الشكل . والفلى الصغير الذى يعطى مثل هذه الرقة لجانبى القم . والمعن السطحي الذى في شحة الأذن ، كل ذلك يمثل في حقيقة الأمر تحاويل دائرية في مثل حجم فضايل القهرة . ويكك ان تتامل في كيفية تصاب هذه المسالبة مع رقة ودوعه التفتيد بالنظر الى الرسم التخطيطى ، وسند ان الالام الرسوم في الشكل الجانس للوجه يبلغ طوله ثلاثة اقدم ونصف القدم . كما يبلغ عرض القم نفس هذا القدار . وحتى فتحتا الالام المتان يبلو أيضا تنمذاده مع سمة الحاة ، يجاوز طولهما 8 بوصات . أما الأذن (العالية وانفصلة من الراس بدقة) فيبلغ طولها 2 اقدم . 5 بوصات من القمة الى الطرف المديب .

ويرى كاتب مبحث المهد كان قد أثار هذا الموضوع (١) أنه التفتيح
 المصريين لم يحدوا، بلهم قبل التفتيح ، وإذا صدق هذا القول فإن المجدد
 هنا يكون أنه، روعة . لأن الرجال الذين يعملون في مادة يمثل هذه
 الصلاة ومثل هذه التوبة لم يستطيعوا فقط إضفاء هذا الجمال والتشطيب
 الرابع للزروس التي يبلغ هذا الحجم . بل استطاعوا أيضا باستخدام
 الأدوات البدائية أن يستوحوا من الصخر الطبيعي وهم بذلك وفق الحقيقة
 ما يكمل أنجلو عصرهم *

وقد قيل مؤخرًا أن المثال رمسيس الذي في النعاه الجيوب هو الذي
 في حالة أفضل - وإن كانت ذراعه المسمى وبه قد مرضت للأذى ، كما أن
 رأس الحية المنحوتة على خلفية التاج قد ضاعت ، ولكن بالرغم من هذه
 الاستثناءات على المثال كمثل ، ومسلم الطح ، واضح التفاصيل *
 مثلًا كان في اليوم الذي امتكمل فيه *

أما المثال الثالث له فإن وسطه محطم ورأسه ساقط عند قصبه
 ومدفون حتى نصفه في الرمال *

أما المثال الثالث فهو سليم مثل الأول * أما الرابع فقد فُقدت
 منه الحنية بكاملها والحزء الأكبر من الحية كما أن ذراعيه اللذين مكسورتان،

« L'absence de détails, la simplification voulue. » (١)

La restriction des détails et des ornements à quelques éléments plus ou moins hardis, l'engorgement de toutes les parties défilantes, démontrant que les Egyptiens étaient habitués d'avoir des procédés et des facilités inconnus. » La Sculpture Égyptienne, par Edouard Fournier, p. 48.

« Un fait qui nous paraît avoir eu entraver les progrès de la sculpture, c'est l'habitude probable des sculpteurs ou entrepreneurs égyptiens d'entreprendre le travail à même sur la pierre, sans avoir préalablement cherché le modèle en terre glaise, comme on le fait de nos jours. Une fois le modèle fini, on le moule et on le reproduit mathématiquement définitive. Ce procédé a toujours été employé dans les grandes époques de l'art ; et il ne nous a pas semblé qu'il ait jamais été en usage en Égypte. » Fournier, p. 48.

ويقال من قبل هؤلاء أيضًا مع الرأي الذي بأن للفنانيين المصريين كثيرًا مجهولون
 استخدام الكثير من الأدوات المصنوعة بالحرفة والخزف والرومان والنحاتين المجهولين
 مثل أنواع المنحوتة ومن المثل * كج ٥٥ فخ *

مع وجود ثقب غائر كبير في منطقة الجسم . ويصوص التاج المزوج على رأس التمثالين الأخرين في الزخرفة العليا مقلدة ، وهي تبدو كما لو كانت مجرد بقعة ولكن إصبعها يصل إلى نهاية اقدام .

ويتلخص تأثير حجم هذه التماثيل الأربعة على عقل المشاهد في أنه نادرا ما نلاحظ الكسور التي سجلت للفنل ، وأنا لا أتذكر أنني لاحظت رأس وجسم التمثال العظيم ، بالرغم من أنه لم يبق منها شيء سوى الركنين ، وسطح النقوش القديمة هاتين الساقين والقسم الكبير (١) وسطح هذه النقوش ذات أصل أغريقي ، ومصصها الآخر يعود إلى أصل فينيقي ، وهي ترتفع فوق رؤوس الذين ينظرون إليها من أسفل بالرغم من أنهم نادرا ما يفكرون في النظر إلى أعلى .

هذه التماثيل عارية حتى الوسط ، ترتدى الأزار دا الذهبية المتعاد ، يسا تصنع على رؤوسها التاج المزوج . وتحمل أعضائها الصدرية التسمية المرسومة بلصوص الأبعاد الكريمة . والإقدام عارية بدون صنادل والأذرع بدون أساور . ولكن هناك تقودا عميقة في الحجر في منطقة الجسم حيث كان يوضع الحزام المتعاد وشبكة كما لو كانت قد حطرت لوسع مسامير برشام مع افتراض أن الأربعة كانت مصبوغة من البرونز أو الفضة . أما على الصدر وتحت الصدرية تماما وعلى الجزء العلوي من كل ذراع فقد كتبت أشكال بيضية عظيمة ، يتراوح طول الواحد منها ما بين أربعة إلى خمسة اقدام تمثل العرايطيس المادية للملك . ومن المحتمل أن تكون وحشا مرسوما على جسمه .

(١) نكش على السطح اليسرى لهذا التمثال النص الاتريفي المشهور الذي اكتشفه السيفيان بلنجر ومالز ، ويصور ملهه إلى عصر بسماتيك الأول . ويوجد بأنه طبع بواسطة شخص معين يصور دلميرقوى وهو أحد الجلود الذين بلغ عددهم ٢٤ ألفا الذين نكش بميرقوى (في الكتاب الثاني للفصلين ٢٦ - ٢٧) لهم قد عروا أنهم حبروا في حامية بين عدة ثلاث سورات صودا تسمى . بأنه يرد كتاب روليسون من هيرودوت ترجمة النص التي قام بها كولوبيل ليك (الجزء الثاني - ص ٢٧) وفي كما يلي .
ه بعد أن جاء الملك بسماتيك إلى الفنتين نان هؤلاء الفنتين جاءوا مع بسماتيك كما كتب ابن ثيوكلستس قد أبحروا بجماعا إلى أعالي كيركس حيث يرتفع مجرى النيل .
أما ريس المسرى . والكتابت هو دلميرقوى بن اموبيكوس وبيلوفوس (بيليكوس) بن أوداموس . - واسم بسماتيك هنا محبر في النقوش باسم بسماتيك الأول . ولذلك نأخذ لأهذب المسكوكي الكبير قد حدث في عصره وليس في عصر بسماتيك الثاني كما كان يقال الممكن من قبل .

لقد افترض البعض أن هذه التماثيل كانت حاوية في الأصل ، وإن الألوان قد زالت بسبب دحرجه وحبوب الرياح المكتسبة ، ولكن الاكتشاف وحصل إلى خبره عندما اكتشف بورخاوت هذا المكال سنة ١٨١٣ ، ويبدو أنه لم يسطح آثارا للألوان على الرأسية اللذين كانا يارتين على السطح ، ولم تستطع العين الفاحصة أن تكتشف أي أثر لهذه الطبقة الزمينة من المونة التي كان يستعملها المصريون في إعداد السطح للزخرفة - وربما دعى الفنانون باللو الطبعو للمجر الرمني الذي يظهر هنا عبقسا ومتنايما كما تصادفه توافق لون التمثال مع لون الصخرة الفاتح . ولذلك فهو يجلس مكاما مقابل الوصية غامقة اللون ، وعده الظهور عبقسا حول مستوى الواجبة في الظل بينما كان ضوء الشمس مازال يضرب فوق التماثيل ، كان تأثير المناظر أخذاً وأصبح في الأمكنة رؤيته بكامله من الحرية ، شبيها بعض كيم من العقيق المحرق تحت بارزا .

ويقوم تمثال لثاله رع (١) الذي كرس المصيد على اسمه ، على بعد حوالي عشرين قدما داخل فجوة فوق الفشل وقد أسس في كل من جانبيه إلى شكل بالجمد النازد للثقل في وضع الصادة . ويأتي بعد ذلك نفس هورغليهي رائع يمرض الواجبة فوق الفشل البار ، ويتجسس مجبوعة من التفرطيش الملكية فوقها الفرير يكون من فرود جالسة ، وفوق الفرود بعض أجراء من طنف - ويتجولز ارتكاح هذه التركيبة كلها مالة فلم . ويستطيع أن يسترجعها بوعا من الزخرفة مع وجود الحرايطش البيضاء للثقل . وقد لاحظت تحت تلك الحراف المبرقة على المنصات وفوق الباب الإسلامية الهيرغليبية المبرومة من مجبوعة الملامات الدالة على المعادن بأنه يعني النخب (Nub) ولكن عندما يتم تصويره مثلما هو ظاهر هنا بدون تحديد فهو يعني النوبة (أرض النخب) -

(١) رع هو إله الشمس الرئيسي ويمثله رأس صقر عليه قرص الشمس :

« Ra veut dire faire, disposer, c'est, en effet, le dieu Ra qui a disposé, organisé le monde, dont la maîtrise lui a été donnée par Ptah. »
— P. PIERRET : Dictionnaire d'Archéologie Égyptienne

« Ra est une autre des intelligences démiurgiques, Ptah avait créé le soleil, le soleil, le Soleil, à son tour est le créateur des êtres, animaux et hommes. Il est à l'hémisphère supérieure ce qu'Osiris est à l'hémisphère inférieure Ra s'intitule à Héliopolis ». A. MARJETTE
Notion des Monuments à Bouleak, p. 128.

وحده الإضامه التي لا أعرف أين شاهدتها مع ارتباطها بخرابيش رمسيس الثاني (١) قد استخدمت هنا مفهوم يتعلق بالأنساب يسمى القيادة النوبية -

لقد وصفنا للوجه السمين لسمي أبي سبل ، وكيف أنها محفورة على جبلين متداورين يفصل بينهما سلال من الرمال ، وتقع مقعده المبهم الصغير مواريه لساار النيل الذي يتدفق هنا في الاتجاه الشمالي الشرقي . وقد حوت واجهة المعبد الكثير من سطح الجبل في مواجهة الشرق . وكذلك فإن التناثيل الضخمة التي ترتفع فوق مستوى المسحور الرملة تحتل منظر جانيها من المعبد الصغير وتواجه الشمس الملهمة الى شمال الهرم . أما عن الجرب الرملة فهو يشبه الأجزاء المتجمعة من بحر الروم . وبناؤها من حيث الحجم والتشكل والواقع ، وكل شيء ، ماعدا اللون ولثلاثة . وهو محصور بين المسحور في قمته ، بينما يفتح كالمروحة عند الفاع وهو بهذا المسار الأحيائي يحفر في اتجاه الجنوب عبر واجهة المعبد الكبير . ثم يقس الحرب القديمة الخفية هابطا ومكتسحا ومتراكبا الى الأبد ، ويعمل في حدوده وبلا كلل على ملء الصحرات المجرولة ودفع التناثيل الطويلة وإحاطة المعبد كله بالرمال حبة وراء حبة ، مثل تابوت ذهبي . وبذلك لا يحرف أحد هذا المكان فيما بعد .

وكان قد اقترى من هذه الحالة عند حضور بورخارت (سنة ١٨٩٣ لميلاد) . وكانت قمة المدخل حينذاك تقع على بعد ٣٠ قدما تحت مستوى السطح . أما إذا كان الرمل سيبلغ هذا الارتفاع مرة أخرى ، فهذا أمر يعتمد على القوة التي ستكونه . أنه يحتاج لازاحته كلما ازداد تراكبه لأنه من المستحيل تعاديه . ولذا أعيد الى التنايلات غير المملوءة في الصحراء الغربية فلا يمكن استنفاد المد الذي يتدفق من أعلى ، ويستظل يتدفق حتى انقضاء العصر .

وعندما درست قبلة كان الرمل المتراكم قد وصل الى قمة التنايل الذي في أقصى الشمال ، والى منتصف ساقى التنايل الثاني . أما المدخل فقد

(١) تظهر هذه الحالة في نقش صغير مطوي على حدود جزيرة سهيل في الشمال الأول . وهو يسجل اثر التنايل الذي يمتدح حكم رمسيس الثاني انظر ، *Rechnis der Neuzerker* للمسلم يروجى - المجلد الثاني - ثلاثة رقم ٨٧ .

للحفر رقم ١٩

الآلاف ميل - ٣٢٩

كان حلوا من الرمال حتى البسة ، ولم يرد ارتفاع الرمال في داخل القاعة الأولى من قسمين - وقد قيل لما إن الواجهة كلها قد أسليت من الرمال حتى أصبحت عازية تماما ، كما جرى كسي وتنظيف داخل المعبد عندما أسحرت الامبراطورة العرسية في مهر المل بعد احتضار قيام السويس سنة ١٨٦٩ ووصلت حتى التلال الثامى ، ومنذ ذلك الوقت تقريبا عادت السجادة الرملية مرة أخرى لكن لفترش كل عربة بمق الكبر ، وسرعان ما سلت المنهل مرة أخرى .

كتب أتذكر على الأثارة القديمة التي واجهناها في يومنا الأول في أبي سبل ا عندما كنا نحاول احتياو روايا متاهدة المنظر ، ونشرف على صلب الحام في الصباح البارد - لقد وصح الرسام حيمته على حافة النهر في مواجهة الشمال والمداخل الصبح - لما مؤلفة هذا الكتاب لقد بصبت خيبتها على ارتفاع يفرج من أريمن قصفا على حافة المنهل الرطبي وبدلك تشاهد المنظر الحائبي للواجهة مع احتلاص المنظر من مسافة تتيج الرؤيه عبر النهر ، علما بأن تثبت الحبة في هذا المكان المرتفع لم تكن بالامر السهل لأنه تم قنط بفرع عمود الخيبة في قنط على بالأحجار حتى يمكن للخيبة أن تثبت في مواجهة صنف وياح الشمال التي نهب دأنا الله هذا الفصل من البسة .

وفي نفس الوقت كان السياح القادمون على سطح الصفيك الأخرى يسبحون مسافة طويلة للأمام والخلف بين المبدئين ، وهم يملأون النهر بشحكاتهم التي تبنت لصدمة غريبة في الجمال المنجوة - ومع طوى النهار عادوا الى مراكزهم التي نشرت أشعتها واحدا وراء الآخر ، وأنجبت نحو وادى جلفا ، وعندما اختفوا تبلمنا وأصبح المكان ملكا لما وحدها . ذهبت لمساهمة المبدئين .

لقد وحدها أن المبد الصغير بالرغم من أنه يظهر أولا للقدام من النهر إلا أنه لا يشاهد إلا أخيرا ، ولذلك فإن رؤيته لا تمتد ميرة بالنسبة للمبوين القادمة بعد مساهمة « بيت وع » و « بيت حنوز » حيث يعلو بالنسبة لهما في حجم أقل من حصة الطبيعي ، وهي حقيقة ولكنها أقل أهمية بالنسبة للمبد الموجود في قرية الدو - لما القاعة الأولى والتي تبلغ أبعادها ٤٠ قدما طولا ، ٣١ قدما عرضا ، فانها تؤدي إلى صر مستعرض تطل على حمرتان حائيتان وقنط أقناس تبلغ مساحتها بمئة أقدام مربعة حيث توجد في نهاجه البلايا المصطبة لشمال يخيل رأس البقرة حنوز - وهناك



مبنى آلى سلسلہ الصفاىء الجبلية

أعمدة مريمه مثل تلك الموجوده في معبد الدر تحمل ما يجوز أن يطلق عليه
اسم سقف الماعه ، بالرغم من أن السقف في الحقيقة هو الجبل المحفور
فيه المعبد .

وهناك الكثير من السلاسل والرشاقات في هذا التنظيم كما هو في
الشكل العام للنقوش البارزة التي تغطي الجوانب والأعمدة ولكن ليس
لها شيء جديد . وعلى العكس من ذلك فإن الواجهة ابتكار حري . -
والرسم اللحي بهذا الكلام يشي عن تقديم صفحات كاملة من الوصف
بالنسبة لهؤلاء الذين لم يشاهدوا المكان . ومن الصعب كذلك أن نصفه
بالكلمات . وهنا نجد أن الواجهة كلها ليست إلا إطارا يحيط بست حجرات
يبرز من كل منها تمثال ضخم شبيه بالاسنان التي يبدو كأنه يمشي
إلى الأمام جازعا من قلب الجبل . وتقف هذه التماثيل بالنسبة للمدخل
معدل ثلاثة إلى اليمين وثلاثة إلى اليسار ، ويبلغ ارتفاع كل منها ثلاثين قدما
وتمثل رمسيس وروخته الملكة نفرتاري . وبالرغم من أنها مشوهة إلا أن
تماثيل الملك نفسه بالحياة وتماثيل الملكة مليئة بالرشاقة . وترتقى الملكة
على رأسها (قرص الشمس بين قرني البقرة) تاج الآلهة ححور . أما الملك
فهو يرتدي تاج اللباد (التاج الأبيض) مع حزمة غريبة مريئة بالأجنبية
والفرد . وهذا يصحبان أطفالهما ممهما . الملكة معها بناتها . والملك
مع أولاده . ويبلغ ارتفاع الأطفال عشرة أقدام بحيث تصل رؤوسهم إلى
مستوى راية الأيوين .

تشكل حجرات هذه الحجرات الثلاث وهي تتبع المنحدر الجبل ، دعائم
ضخمة يظهر تأثيرها الضيق من الضوء وفي الظل - ويغطي المدخل تأثير
الدفقة التي شاهدها مسبوقة في مصر أو في النوبة - لها النقوش
الهيرغليفية الطيبة التي تغطي وجوه هذه الدعائم ومقدمة هذه الشرفة
على منحوتة في الصخر بسق يصل إلى حافتهم ، وكيفية الحجم للوحة
تسمح بقراءتها من الجزيرة التي في وسط النهر - أما القصة التي يحكيها
هذه القصة المكررة في الطرايات المصرية القديمة المختلفة والمبنية على
الأساطير التي تحيط بالفتحات أو الأبواب ، وهي قصة لمريدة ومثيرة .

تقول الأسطورة الخارجة : « أقام هذا المسكن القديس رمسيس
القوى في الحقيقة . محبوب آمون - لزوجته الملكة نفرتارى التى
يعبها » (٦) -

ومما لم تعد الأسطورة الحب ذلك تذكر له زوجته الملكة التى
نحبه نفرتارى محبوبه ماتت ، قد بنت لأحله هذا المسكن فى جبال المياه
الطاهرة » -

ويجد اسمي رمسيس ونفرتارى متلازمين وغير منفصلين على كل
عمود ، وفى كل عمل تمهدى مقوش على الحائط ، وحتى فى قفس الأقداس ،
وربما استطاع الانسان أن يكتشف فى هذه الهيئة المتبادلة وفى ركة الطراد
غير المألوف ، آثار بعض الأحداث التذكارية التى ضاعت معالمها إلى الأبد .
ربما كان له ، أو وداعا - وربما كان صلاة استجيبت ، أو ندوا بحق -
وعلى كل حال ، فاسألى أن رمسيس ونفرتارى أرادا أن يتركا خلفهما
مجيلا خالدا عن الحب الذى جمع بينهما على الأرض والنسب ياملان أن يجمع
بينهما أيضا فى السماء -

ما الذى نريد أن نصوره أكثر من ذلك ؟ لقد رأينا إلى الملكة كانت
دقيقة (٧) ، وأن الملك كان فى قمة عظيمته - إنما نفس الباقى ، وكذلك
فى النهر المدون فى هذا المكان يخصص فى جميع الأحوال - وحتى فى
هذه العرفة الوحشة فإنه تهب علينا مسبات من شواطئ الخيال القديم
ولنفسر بأن الحب قد مر من هنا يوما ما - وأن الأرض التى وطأها مازالنا
أرضا عظيمة -

(٦) بالرغم من أن هذا المبدأ كان حجة من الملك رمسيس للملكة نفرتارى ، ومن الملكة
نفرتارى للملك رمسيس ، إلا أنه قد تبين شيئا تحت حماية حرمهم نظام نموذج للأخوة
الملك - وتمثلها الملكة نفرتارى التى تظهر فى التواجى كأم لست الخيال والتجمل بسلبات
الآلة - ومن وجهة النظر الدينية نجد أن عهد حرمهم هو العهد المطبق بعد رج -
ولنذكر سيمر مارييت فى كتابه *Notice des Monuments à Boulak* هو
حرمهم أن رثايتنا موجودة ولكنها غير مبرورة لما تشاء وفى لك يقول
*"Problème était-elle à Ra ce que Mast est à Amman, le rempart où le
dieu s'engendrait Pto-céme pour Pto-céme"* .

(٧) لا يستطيع التمسك أن يتحدث كثيرا عن جمال رأس أنثى فى رسم جدارى
مصرى . ولكن يتضح من هذه الصور التى شكلت الملكة والتى تكررت مرات كثيرة أن
حوادث اللوحة الأولى بمسجد حرمهم ، أن الملكة أو لم تكن تتنحى بالجمال إليها حسب
مناخها الفريدة فبنوا تحتها ما لكثير من الحلاوة والكثير من القوة - واسم نفرتارى -

وعرولنا الى المعبد الكبير دون ان نشطر للمصن تقاسيل المعبد
 الصخر - وكان هناك ضوء حامت يقيم على القاعة الاول والظلام بلغ كل
 شيء حلقه - وقد اثبتت تماثيل أربعة الى اليمين ولوحة الى اليسار .
 مدح الى وسط القاعة ، حامله الحبل فوق رؤوسها ، ويبلغ ارتفاعها
 خمسة وعشرين قدما - وقد وصفت التماثيل ايديها متقاطعة على صدورهم
 وهي تمسك بالحصا والصولجان رمز السلطة والسلطان . وعنده الهة هي
 هيئة ثوروريس ، ولكن الوجه هو وجه رئيس الثاني - وتبدو التماثيل
 عملة رؤسها من خلال هذا الضوء الحادث الطنسل والمجهر والمهيب .
 كما لو كانت قد تذكرت للمضى .

وتقع قاعة ثانية طمب القاعة الاولى موصولة على اعلى مربعة .
 وتقع خلف هذه الصالة ايضا حجرة انقة لمطبخ حوائطها بمقوش بارزة
 لعدد من الآلهة . وهي النهاية بالتي نفس الاكسس . وهذا يمثل أربعة
 تماثيل متجاوزة أكبر من الحجم الطبيعي تمثل الآلهة يتاح - آمون رع -
 رع ، ورسميس المؤله ، وأمانهم مدبح على شكل حرم مستور الطرى
 صحت من الصخر الصلب - وصارت الآثار الالوان ماقية على ثياب التماثيل
 وقد ظهرت في الحرائط على كلا الجانبين نقوب وأساديد وربما حشرت
 لتثيت متطورة صيدانية .

كان الهواء في الهيكل قليلا مع رائحة لادعة كما لو كان الكهنة قد
 أسرفوا بعض البخور القريب تم ذهبوا لتزهرهم على المكان . ونحن ندعى
 بهذا الوهم للروا الذي كانوا قبلا لأهم أشعلوا شريطا من الماغسيوم
 لآماره المكان . وكان هناك ما زال باقيا في هذه القاعات المظلمة .

- يسمي الرافقة الكتلة والحيه والجميلة - والمهفة هي ان عنا لجمال والطبيعة لاد
 ان يكونا صفتين مترافقتين وليس لهما فقط مجرد الامية التي تظهر من وجهة النظر
 الطبيعية الوهجة - ولكنهما تتكلمان عن القوة لتكنه في ملك المذهب الذي جرى تخليسه
 فيما بعد في المدارس الاستكبرية والذي لى مثل هذه للتألق الواضحة - ومنه ينبع لنا
 ان كلتي الحقيقة والنبل مترافقتين وبمآلات تسمى الهى .

وهناك معنى طريف من أسماء الأعلام المصرية التي تذكرنا بالاسماء التي استخدمت
 في اتملنا تحت مظلة الكومونول ولتأخذ مثلا الاسم ملك - ان - حوسو ، أى (حاتم
 حوسو) يا - نا - حوسو أى (هبة حوسو) - ربهنا حر - أى (عام سعيد) - حوسو
 ابن حير شو - وهناك أسماء خويوة ولكننا ندين للملاكة بالالهة مثل - اللعق التي أدلم
 الاله ١ للع - ٢ للع .

ولذلك كان من الصعب أن يستقر هناك لاجراء تحقيق ثابت حول نفوس الجنود ولم يحل ذلك ، ولجئنا لسجول في قاعة إلى قاعة ومن حجرة إلى أخرى ، نتأمل أحيانا الأشرطة الباهتة التي تفسد من الجوارح وأحيانا أخرى تتمتع في ضوء حدة من الشروع مربوطة إلى نهاية عصابة . إلا أننا فضلا عن ميعتق هذه الاطباءات الأولى المتبينة في الاتساع العظيم والعمومي ، والمظنة الموسقة التي تزداد عمقا مع بعض الايهام والشبح -

وعرت أمام أبصارنا مظاهر الحرب والانتصار والمادة مثل أحداث عابرة . هنا الملك محمولا في مركبة محرها حيول مسممة تملو ياقعي سرعتها وقد ريت ياخطية مركبة فوي سرورها ، أما هو فيسحب قوسه الجبار ويهاجم قنعه مهيبة . وقد طمس بعض المخاصرين يسواهه المظيفة فاصحوا يظنون الرحمة - أهم من السوريي ، يرتدبر مضطرب بأنهم من العيتيين الثساليين - وكأنت يشرتهم صمرا . وقد ارتدوا الثغر المستعار الطويل والذهب ، والتراثل التي يربطون بها شموهم والملايس الثمينة والعبدات التي يدور أكلم والأحرية المظورة بلشمال الأبره التي تلمس فوق الكتف لحمل السيف والتي اعتدنا رؤيتها في تماثيل بيمو . وهناك رجل يسوي المائنة في واجهة الصورة يسو كما لو كان قد خرج ماضرة من إحدى لوحات المتحف البريطاني . وفي نفس الوقت يظهر رئيس فوق الرغام صمرا ، في هيئته الإلهية . أما خيوله فلي سلالة حائلة مثل حيول أجبل . أما أولاده وكل أفراد جيشه ومعلماته الحربية وحواته قانها كلها تنبع . وتكتسب كافة المظاهر في الحركة وروعة الحركة .

وبعد ذلك يرى الملك عائلا في هيئته الرسمية يتبعه أسراه في الحرب وقد ربطوا معا في مجموعات وهم يترجمون أثناء سيرهم وقد أراحوا رؤوسهم إلى الخلف ورفعوا أيديهم إلى فوق . ولم يكن هؤلاء الأسرى آسيويين ولكنهم كانوا أحيانا يوربيين يتلون مدائح صادقة لجنسهم بالضماء المنيطة . والأثوب المظلمة والثغر الأشمت ، ويلير منظرهم الرثاء بدلا من السخرية -

وبعد ذلك يرى الملك رئيسيس يقدح مجموعة من هؤلاء الأخرى في حجرة أموي روع وموت وحسو ، ويظهر أمون روع في شكل غريب غير مالوف بلونه الأزرق وأحمرته الطويلة . لما الإلهة موت فكانت ترتدي تاج مصر العليا ، أما حنسو ففي علامته لمبة دقيقة من المبالغة التي جعلت علامته شبيهة بعلام الملك . ومرة أخرى نعد صور رئيسيس على يسار

المسجل في حجم يضاهي ثلاثة أمثال الحجم الطبيعي وهو يدبح مجموعة من الأسرى من جنسيات مختلفة ، وعلى يساره أمون رع وعن يمينه رع حرماحيس (١) وهو يرافقه ويتقبل التضحية - وفي القاعة الثانية يرى كالمادة موكب الآلهة المقدسة بتاج ، وحنوم ، وست في عبادات ملونة تظهر غامضة وهم مثل اشباح في لوحة باهتة من السجج . بين حوائط الممر المستمر ، أما الشيء المريب في أبي سبيل فهو الموضوع الضخم المرسوم على الجانب الشمالي من الصالة الكبرى . الله يمثل جانباً كبيراً من أرض الحركة يعطي مساحة طولها ١٤ قدماً ، ٧ بوصات ، وارتفاعها ٤٥ قدماً . ٤ بوصات ويبدأ عليها ما يريد على ١١٠٠ شكل - وسعد أن هذا الجناح قد حذف منه صف الجرافيتي المتبقية بالأسباب والأغصان الصغيرة التي بدور حول جية السقف . وكذلك على الحائط يمثل بالصورة من القبة إلى القاع .

ولا شك في أن الوصف الكامل لهذه اللوحة يستغرق عدة صفحات . لأنها تمثل معرضاً حياً في حد ذاتها . إنها لا تمثل عملاً واحداً بل حملة كاملة . لأنها تكشف أمامنا في سيطرة روعة وحالة الحرب ، وأحداث حياة المصكرات وأحداث ميدان المصركة المفتوح . ورى مدنية الأعصاب بأجراجها المزهرة للقتال ، وتألوت الآلهة موت . ومسكر الحصار وسراشع الملك . وسير جنود النساء وغزوات المجنات الحربية . والسامع التماثيل بالبايل يدا بيد أثناء الحركة ، وفراق المتهورين . واستمرار المرحون . واحتصار الأسرى ، وأحباء عدد الأيدي المقطعة . ومرور نهر خلال الصورة من طرفها الأيسر إلى طرفها الأيمن محيطاً بالمدبسة المعاصرة . والملك في عجلته الحربية يسبح جمهرة من الفارين بطول الضفة ، وقد سقط بعضهم تحت عجلات العرب . بينما سقط البعض الآخر في الماء وغرق فيه ، وحلهم حائط متحرك من حاملي النروج والرمح يتقدم بخطوة منتظمة في صف منضبط كذا إلى كذا . بينما تظهر هناك حية تنهمم المصركة ، العجلات التي انقلابت ، والرجال الذين هانوا . أو يمانون من سكرات الموت . والحيول التي يدور في سباق وهي تجري في الميدان ، وفي نفس الوقت يرسل المعاصرون كصفوف راكبين ، بينما يسوق الفلاحون ماشيتهم إلى التلال .

وهناك صف طويل من العجلات الحربية التي تحرها البعياد بأقصى سرعتها . يشق الموضوع طولاً ويصل المصكر المصري من مبدئ الحركة .

(١) رع حرماحيس يدعى حر - أم - لبت - هي الثلاثة القديمة وهو يمثل العصى التي تشكل حد الأفق العلوي .

أما المعسكر فهو مربع الشكل ومحاط بجدار من الدروع ، وهو يحرس
سبعم مساحة الصورة ويحتوى على ما يقرب من مائة شكل - وقد استطاع
القبائل أن يجمع فى هذا الحبر الضيق مجموعة حية من الأحداث
التيول واقعة من صفوف وهي تأكل من مذود عيسى ، أو تنتظر دورها
وهي تضرب الأرض بحجرها نظرا لفاد صبرها ، ويصمها راقدة على
الأرض . وهناك أحد الضيول بدون السرج والظلم يهول حول الميدان .
وهناك حصان آخر يرفس المجلة العربية المارغة باستخدام عقبيه الخلفيين
وقد اعترضه سائلان . وهناك عدد آخر من المائمين يصرون جرادل
من الماء تتدل من نير موضوع على عاتق كل منهم . وهناك أيضا صابط
جريح يجلس ممدولا وقد أراح رأسه على يده . بينما يطر إلى الصابط
المتأوب صمرا لكي ييلمه أحبار المركة ، وصابط آخر مصاب بجرح بسيط
فى قفصه ويقوم أحد الجراحين بعمل غيار على جرحه ، فيما تسرع قبيلتان
عن المشاة للقيام بدورهما لمؤونة الجنود المشركين فى المركة ، وتقبيلان
عند مفصل المعسكر مع الصلة الملكية أثناء عودتها من ميدان القتال .
وكاد رمسيس يسوق أمامه يطر الهاريين الذين وقفوا ولقى عليهم
وأرسلوا إلى هذا الموضع . وقد وصفت فى أحد الأركان أشياء يبدو أنها
قطع كبيرة من اللحم . ويقترب منها صديق صغير ومجيرة من اللحم على
حامل ثلاثى . وفى مكان آخر يجلس اثنان من الجنود على أطباقهما ويصمها
مرجل كبير . وهما يمسكان أصابعهما فى مستوياته ، مثلما يعمل كل الملاح
حتى اليوم . وفى نفس الوقت يتصح أن النظام كان مرهبا لدى المصريين .
وإن الجندى الذى يتجاوز حدود الإلتزام كان يتعرض للمقاب باستخدام
المصا مثلما يحدث حاليا مع أطباقها للحاصرين ويرى فيها لا يقل عن ثلاثة
أماكن هذه المادة التى أضفى عليها الرص حلا وهم يغلونها ، ويصلحون
الضابط العظيم وهو يرفع عصاه ، يما يتقبل الشخص المقاب بمؤبته
بإستراخ واضح . ويرقد بجوار رمسيس فى وسط المعسكر أمام
المماتس فى رعاية حارمه . بينما يلف عند الجناح الملكى جاسوس
مما يشمر بالهتمة بينما يتولى الضابط القائم بالمراقبة طهه . والجناح
تلمه قريب جدا لأنه ليس خبة بل ميسى من المحتمل أنه اقيم ارتجاليه
من الطوب الذين ، وبه أربعة مداجل ذات عقود ، ويصنف فى أحد أركانه
حيثما مثل دولا يدعه اثنان من الصقود الملمسه . وهذا النوع الذى
يتطابق مع القطار الهيروغليفى المستعمل للتصوير عن التكرير أو الاحتفال
يقوم بلا شك كبديل فى هيكل صغير مخصص لنفسك . وهناك حصنه
أشكاسي والكون أمامه لآله للعبادة .

وإذا أردنا أن نحدد أو نصف العناصر المهمة في هذه اللوحة المذهلة فابدأنا يحتاج إلى مساحة أكبر ، ومن المستحيل حتى مجرد رؤيتها خلال اقترع الفرصة المتاحة لنا مع كل المساعدة التي نقدمها لها التسرع وصياح المفسريين ، وبوجه أن عناصر الصورة منقضة على غير العادة ، والسطح الذي كان مغطى بالحصى ، قد عنته آثار الأوحيل الدقيقة التي يزعم التفاصيل بتشكل يتبر الأكم ، وليس هذا كل شيء ، بل إن موعا من الرواسب الطبيعية المألحة في هذا الجانب من الصخرة قد عدا طبقة الحصى وكان سبب في الإضرار بالسطح الطبيعي الذي يبدو متأكلا متلما يتاكل الحديد بفعل الصدأ ، وهناك بعض المساحات الصغيرة ملبسة في بعض الأماكن ومنقطة بألوانها الأصلية ، أما الدهر فلزالت نظيه المخطوط المنزعة الرقعة والبيضاء التي تمثل الماء ، وهناك بعض المجموعات المتقابلة كاملة ، وكذلك مجللتان حريتان على مكان واحد ، تطوعا مظلة خفيفة مرصعة بحيلة ولاصقة كما لو كانت قد رسمت حديثا .

أما الخيول في كل أرجاء اللوحة فهي متناوة ، ويعبر صف المحلات الحربية عن الاطباع الذي يحمله تحريك المعاميع ، وتسير الخيول التي في مسكر رمسيس من أحسن النماذج التي المصرية لما سدو عليه من أشكال طبيعية داخل مجموعة مختلفة من الأوضاع ، ويحذر بنا أن نذكر أن هناك فرسا واحد الوجود يظهر لربع أو حسن مرات في أجزاء مختلفة من الصورة ، إن منظر المحلة قد جرى في سوريا ، وكذلك من الدهر الذي تدل عليه المخطوط المنزعة الرقعة هو نهر النيل ، والمدينة المعاصرة هي قاذى (٦) والأعداد هم الميثيون ، والطيفة أن اللوحة كلها صورة تعبر عن قصة الأحداث التي حللتها قصيدة بنتاؤور ، وهي القصيدة التي وضعها مسميو روجيه بأنها « نوح من الأليانة المصرية » ولابد أن المفارقة هنا تدور حول الصورة أكثر منها حول القصيدة ، كان بنتاؤور

(٦) قسم كينيدي في المتحف المصري القبطي ،
« Aujourd'hui encore il existe une ville de Kades près d'une courbe de l'Oroule dans le voisinage de Homs. » Leçons de M. de Rougé, Professeur au Collège de France, Soc. d'Études d'Archéologie, Egypt. sans Amyt, vol. II, p. 288.

هذا وقد رقت مهمة أخرى مطولان حيلة رمسيس الثاني ضد قاذى
of Harnack II against Kadesh
ذكر الكتاب المصري Soc. of Bib. Arch. الجزء الثالث - سنة
١٨٨٧ ومعا يورد أن التمثال للنهر لا يورد بالمثل القليل .

يمتد إلى رجال البلاط في الحقل الأول ، وشاعرا في الحقل الثاني . وقد صرح بكل شيء لأيرام عظمة الشخصية المحورية - لقد قصد تنظيم الملك . أما قصيدته التي سطوى كلها على الفصح فهي تبدأ وتنتهي بالحدوث عن شجاعة الملك رصيم محبوب آمون وعلى ذلك يمكن أن يسمى الياقة فهي ملحمة لم تترك شيئا مما يمكن أن يهم أحيل . أما الصورة فهي على العكس ، بالرغم من أنها تبين البطل في القتال والنصر ، إلا أنها ذات أبعاد محدودة ، ولم تترك مساحة لجهور في الشخصيات الصغرى . وتحدد القصص التي تظهر فيها هذه الشخصيات شكل الملحمة . أن مساحة الحاسوس ومثله نشبه في تولود يد أوليس . أما الرجال فهم يحتفلون ويقادون وبصاويون بالحراع مثل أبناء أحياء ذوي الصعود الطويلة . بينما تاكل حيولهم الشجر الأبيض والنوعان وهي طليقة يدوب سروح . وهم في مثل صلابة عملاتهم الحربية . ينظرون طيور العجر .

وقد اعتم الناس الذي ضد القلعة المحاصرة بالمحركة مثل هومروس أيضا بإيراد الصفات المبررة للقتال الكثيرين ، فالمحبوب مركب كل ثلاثة منهم حيلة حربية . بينما يركب المحلة الحربية المصرية أسان غط . ويشتر الحشون بالشوارب ويرتدون الخوذات فوق رؤوسهم . بينما يتباهى المصريون بوجوعهم الحليقة ويمطون رؤوسهم بالشعور المستمرة الثقيلة . أما جود سرديبا المرتفعة فانهم يظفرون شعورهم الكثيفة ولصامهم وشواربهم ، ويظهر ملاصقهم الأروية بوصوح ويرتدون أيضا الخوذة الغريبة التي ملعوها الكرة وفصيان مديان مديان ، وهي الخوذة التي يمكن من طريقها التعرف عليهم في القتول . ويظهر هؤلاء السرديسيون في الصف السفلي القريب من الأرض . وقد تكونت الرجال عند هذه النقطة ولم تظهر فوق السطح الاضة خوذة واحدة . ولما لم يرف أن تنسى هذه الخوذة ، جلسا رجالا يريون الرجال فاذا بهم يكتشفون صنادقة أكثر المجموعات غريبة وأصيلة في الصورة كلها . وهم السرديسيون (ساردانا في اللغة المصرية القديمة) (١) الذين كانوا سجناء جندريين في صفوف الجيش المصري . وهم أولو الأروبيين الذين تظهر أسماؤهم في الآثار .

• Le légion Sardaïna de l'armée de Ramsès II provenait d'une première descente de ces peuples en Égypte. « Les Sardaïna qui étaient des prisonniers de sa majesté », ils expriment e texte de Karnak, au commencement du règne de Pentaur Les archéologues ont remarqué les schémas de leur costume et de leurs armures. Les principales pièces de leur vêtements semblent couvertes de braderies. Leur bouchier est .

وهناك ساعة واحدة فقط على مدى الأربع والعشرين ساعة يمكن خلالها تكوين فكرة عن التأثير العظيم لهذا الموضوع الضخم وهي ساعة شروق الشمس . وبعد ذلك ينقضي اليوم في المدخل وتطغى ظلمة الاحشة الجارية بالضوء المنعكس من الأرضية التي تضيئها أشعة الشمس . وحيداً لا يمكن رؤية الأقسام الواقعة من الصورة وتوزيع المجاميع ولكن بشكل هجين .

أما التفاصيل فهي تحتاج إلى ضوء الشمس ، ولا يمكن دراستها إلا على مراحل لمستغرق الرحلة منها عدة بوصات ، ومع ذلك فمن الصعب الوصول إلى المجموعات العلوية بدون استخدام السلم . وعند سلام على كرمي مسكا بمصرون طويلتين مربوطتين مما حتى استطاع صعوده إلى رفح منطلة الصغير إلى الإسطح الذي يتيح لكؤولة نسبغ التفتى المكون على المجرع الأوسط في قلعة قادش .

ومن المضح أن كنهه شروق الشمس على واجهة المبد الكبير ، ولكن هناك شيئاً أروع يحدث في قلب الجبال في صباح أيام صيفية من السنة . عندما تظهر الشمس فوق قمم الجبال الشرقية يدخل شعاع طويل من المدخل ويشرق الظلام الداخلي مثل السهم ويستعمل إلى الهيكل ويسقط مثل النار المازلة من السماء على المدرج الذي عند أقدم الآلهة . ولا يترك أحد من الذين شاهدوا زوال هذا الشعاع من ضوء الشمس أنه يعطى تأليفاً مصوباً ، وأن الخطر قد اتجه مباشرة برؤية حاصلة بحيث يسمح بمثل هذا الحدث . ويؤكد الطريقة يقال إن رج الذي خصص له هذا المبد يدخل يومياً ، وأنه يقدم بحضوره دليلاً على قبوله تفضيحات الذين يصفونه .

والقول أننا لم نشاهد صفه القوش ، أو حتى نصف الصحرات في نصف هذا اليوم الأول بعيد أي مستقبل . ولقد كنا نتجول هنا وهناك ونحن منهشون وقالمون بمجرد العفلة مثل الكرويين الذين يتجولون

« une rondache. Ils portent une longue et large épée de forme ordinaire, mais on remarque aussi dans leurs mains une épée d'une longueur démesurée. Le casque des S'ardas est très caractéristique, sa forme est arrondie, mais il est surmonté d'une lige qui supporte une boule de métal. Cet ornement est accompagné de deux cornes en forme de croissant. Les S'ardas de l'armée Égyptienne ont seulement des favoris et des moustaches coupés très courts. — Mémoires sur les Attaques Dirigées contre l'Égypte, etc, etc, E. DE BOUTTE, Revue Archéologique, vol. xvi pp. 80, 81

منه المأوى ، وكان لدينا متسع من الوقت للمصير مرة ثانية وثالثة حتى سقطه عن ظهر قلب . وكانت الكتابة تدخل باستمرار وفي أي ساعة من الساعات بعد الانتهاء من الرسومات التخطيطية اليومية ، ربما كان الآخرون يتمتعون بـ بركيوي القوارب من برودة بعد الظهور الخشنة . إنه مكان محبب والذي يبدو فيه المزج غارقا في النوم . والشخص الذي يتجول فيه هنا وهناك بين هذه القاعات المغطاة بالفوش مثل ظل بين الظلال ، يحس بأنه قد ترك العالم خلفه . وأنه قد دخل عن المتعاليات المعاصرة لكي يرتبط بالماضي . وفي الألفية تصبح تأثيرها القديم بين هؤلاء الذين يطلبونه في وحدتهم . ليحاطونهم في حكمة طلبة الماء ، حيث يظهرون عندئذ في حياة ما وراء الطبيعة . وكانت هناك أوقات أحسست فيها بضرورة أن استمع إليهم وهم يتحدثون ، وأنه لشأنهم وهم بهيوض عن عروشهم المزخرفة ويخرجون من الجدران ، وقد هوت لحظات أحسست فيها أنني ألقى بهم .

كان هناك شيء شديد الغرابة والروعة يظلم المكان ، ولد اختلعت هذه الغرابة وتلك الروعة مع المضي لعمق في داخله ، حتى أسي ناددا ما جارت بهجاء القاعة الأولى عندما كنت بمردي . وبعد طهر أحد الأيام عندما كان الوقت ميكر والصو أوضح ما هو في العادة ، ذهبت إلى الطرف البعيد وجلست تحت الدمام الآلة في فضاء الأقداس ، ومجأة (لا أستطيع أن أذكر لماذا لأن أفكاري كانت هائلة بعيدة) حطرتي بال أن الجبل كله يوشك أن يغطي رأسه مثل حفرة . وقد غشي بي وعنة فجائية مثل تلك التي يشعر بها الإنسان في الأحلام ، وحاولت أن أجري ولكن قلبي تسرعا في مكانها . وظهرت الأرض وكأنها سيد تحتها . وشرحت بانتي لا أستطيع أن أطلب المساعدة رغم أنها كانت ضرورية لانقاذ حياتي . وليس من الضروري أن أضيف أن الجبل لم يسقط على رأسي وأن حوفي لم يكن له أسلح من الصحة ، وربما كانت هذه المشاهدة تمثل أسلوبا كبيرا للثبات وأسلوبا كبيرا للفن ، ولم تكن جميع دياراتي للمجد يمثل هذه الروعة . ففي بعض المرات صعب مني سلام الذي كان يفتن السجاء عندما لا تكون في بوة عمل ، أو يسلك تسمة عندما كنت أرسم نماذج الأقداس والغنية رؤوس الملوك والآلهة . وتصميمات الفلاند والأساور ، ورؤوس الأسرى وما شابه ذلك . وقتا في بعض الأحيان داستكشاف الصحرات البعيدة حيث توجد ثباتية من هذه الحشرات المتدعة الظلة والمفردة بزوايا عظيمة . وقد تحيطت اثنين أو ثلاثة منها بمقعد صخرة معجزة في الصحراء . وكانت الفوش اليهوديغليغة فوق أحداها

مخطوطة جزئيا ومرسومة باللون الأسود ولكنها مروكة دون استكمال -
وينسب هذا التمثال مكافئه الى عمل رئيس الناني، ولا يحتمل أية علامة
تدل على ان احد من حلفائه قد اصاب انه شيئا . أما هذه العلامات التي
بين عدم استكمال النقوش فبدل على ان الملك قد مات قبل انتهاء العمل ،

وقد أحسست دائما بأنه كانت هناك مواضع سرية في هذه الحجرات
للأنظمة لم يكمل اكتشافها . وقد تناولني سلام في البحث عنها ،
ومواء في دعوة أو ادعو أو مدينة هايو أو غيله (١) وجمعت سراديب داخل
جسم البحار والحيات تحت الأرضيات لحفظ الكنوز وقت الخطر ، ولأيده
ان المبادئ المخطوطة في الصخر كان بها أماكن مماثلة لأحشاء الكنوز .
وبن هذه الأماكن قد أصبحت تشكل حللًا متباعدة في الجدران أو تحت
الأرضيات داخل الحجرات الجانبية .

أما عن الخروج بمرشد من هذه الجحور السوداء الى ضوء النهار
الكبرى ورؤيته العالم الأرضية كما هي في داخل إطار الفحل النحاسي ، فهو
يساوي وحدة الرحلة الى أي سبيل كلها . وفي أوقات غروب الشمس
يمر ان النهر والحريرة الرملية الصحراء وأشجار النخيل والظلال
المرجحة لها ، ويبسبب الصحراء الشرقية . مثل ه كبتى العلاء ه كما
كلها شنية بالأزهار والذهب مثل الملك .

ومضت أيامنا في أي منبل على هذا السؤال . العمال يعملون .
والكسالى يتكاسلون . بينما الغربة من العالم الخارجي تأتي ويحبسون
بين سبي وآخر . وكانت الحرائر على النشاط شديدة الوطء خاصة في
التيام التي سبب فيها للرسم . ولكن ربح التكال كانت يجب بانتظام
كل يوم بعد شروق الشمس لمدة ساعة وحتى قبل غروب الشمس بعده
ساعة كذلك . اما الجوع على سطح الذهبية فكان مازدا دائما .

وقد استغل الروجاء السعيان حيرة الريح الطيبة هذه لممارسة
الجديف في القارب . كما رتبوا حولاتهم بحيث يستغلون فترة انتهاء
صوب الريح للحروج في حولاتهم على ان تنكث الألواح القوية لأرضية في
الحفنين بأعدادهم مرة ثانية . واستطاعوا بهذه الطريقة ان يتعاودوا

(١) حذر فريدر سنة ١٨٢٣ على كثر شين من الذهب والفضة كلن حبيسا في جدار
لحد الخروج موزون في الميزة العليا .
انظر : Zepherus letters - ترجمه ل ج هورن نشرت في دوت سنة
١٩٨٢ - ص ١٥١ .

بعد فريج أنصهر النحوت في الصخر وهو ما التقطه المائزون لسوء
 حظهم - وفي فرجة أخرى قاموا برقعة شيوخ جميع كان يسكن في قرية
 تبعه حوالي مئتي جنوب أبي سبيل وكان رجلا عظيما كما يذكر كبار
 النوبيين ، وكان اسمه حسن بن وشوان الكاشع ، وهو حفيد ذلك الذي
 كان يسمى حسن الكاشع الكبير نائب حاكم النسوية في أيام بورخبرت
 وملووي . وقد استقبل الزوجين السعيدين بمجاورة بالغة ، ودبح حروفا
 بكريمة لهما ، واحد يسامرحنا لاكثر من ثلاث ساعات . وكان الفداء مكونا
 من سلسلة لطلق لا نهاية لها وكلها تشبه البمع الذي كما مخصص في
 طعوننا - واسمى تكرار هي المصنف تحت سائر حطفت من التحويلات
 سواء كان لها مشوبا أو مشوقا أو مطبوخا أو معروفا ، وسواء يرى
 تقدبه على مسباح ، أو مخلوقا في الأرو ، أو مضمونا في القلب الرائب
 من الأبطال كلها كانت من لحم الضأن .

لقد ينسبنا الآن في امكانية رؤية التمساح، ولولا أن رجالنا اكتشفوا
 آثاره على الجزيرة المقابلة لكنا أمكننا عن الاعتقاد في وجود تباين
 بصير - وكانت الملامح حديثة عندما دعنا لمنازلها . وكان التمساح
 يسكن في القسوي ويحفظ حصة . هي هي السطة التي عاد منها
 ثمانية إلى النهر - لما الرمل الرطب عند حافة الماء. لقد أكلت تراب منخاله
 السينة الصغيرة ، وكذلك السلسلة المربعة التي تطير ذيله بصرف النظر
 في أن هذا الانطباع الأخير كان مشوها بسبب انطباعه النهائي مع الماء
 واشبك في أن رومسوز كروزو عندما شاهد امر القسم على الشاطئ كان
 أكثر دهشة مما نحن ركاب النخبة فيلة مع رؤية هذا الألف الأخير
 والذي لا يمكن النكاد .

أما في الرجل الكسول فقد تم صرعا إلى السلاح واستعد
 للحموم . وحفر لنفسه قبرا عميقا على مسد ياردات من المكان ، ثم ذهب
 ورثه فيه عدة ساعات مستلقيا وصائرا وحورا ، صاخا بعد صباح تحت
 وريح الشمس معه بنقته جاهرة للإطلاق . وغطاء النمش فوق ظهره .
 وإذا كان قد دعا في ضربة الشمس فان هذه ليست غلظته وكان جراؤه في
 جنس العمل لأن التمساح كان اذكي منه وحرس على ألا يسود مرة أخرى .

وفي هي الوقت فإن بحارتنا بالرغم من مساندتهم بهذه المظلة
 انطارد ، فقد دعوا يوجهوا للكل في أبي سبيل ، وطول فترة بقاء
 الباحثون كان طاقنا البحارة يتحصن مع كل وسيلة للرفض والبدون
 وغند مواويلهم الطريقة - ولكن عندما وصلت الضمانات في الاشتباه

المجينة التي جرت في هذا الشقه على وادي حلفا ، وهي التماثلات التي
 ذكرت ان التماثل الثاني كان موحيا بالاسباب ، فان وفاقنا الأوليا
 مماثلوا في صباح أحد الأيام قبل شروق الشمس وتركوا الفضية قبل
 يلدون وفاق -

ولم يحد الخوف ومع رؤية وقت الرجال وهو معلق بين أيديهم ،
 حطرت في نفس الرسام فكرة ادخالهم لتنظيف وجه التماثل الذي في
 أقصى الشمال والذي كان ملطحا بالمخيم الذي ترك فوقه عندما أراد
 مسير على الطبقة الخارجية منذ أكثر من نصف قرن مضى . وقد رغبت
 هذه الفكرة السخيفة وسرعان ما تم التوصل الى عمل سخافات من القوائم
 المسممة والمخاديع . واسرع الرجال يحتشدون فوق الرأس الضخم وهم
 سمداء مثل الأطفال فلما كان النحاتون يحتشدون فوقه عندما كان
 رئيس ملكا (١) .

ويتلخص كل ما كان مطلوباً منهم في إزالة أية كتلة مشبهة متصلة
 بالسطح تم تكوين البقع البيضاء بالقهوة - وقد عملوا ذلك مستخدمين
 فعليا من الاسفنج مربوط في نهاية عصي طويلة ، ولكن الرئيس حسا أنه
 فرتاة قديمة من الرسام وتفاخر بها - وامتفرق استكمال هذا العمل
 فترات بعد الظهور على مدى ثلاثة أيام ، وشرنا جميعا بالأسى عند امتحان
 وكان مظهر الرئيس حسى وهو ينحسب الأنف الضخم الذي يماثله في

(١) هذه الطبقة الخارجية التي الد للتحط البرطاني وضعت فوق باب يقود الى
 المكتبة في نهاية الدفعة الشمالية ليس امام السلم . وعلمت من المرحوم مسير براونج
 ان هذه المجينة ستمها مسير على الذي اصغر منه ساعدا ابطلها للكلية مع الاقامة
 واحطرا بهما على براونج من الجس وصلين والمخرجا وسيلة فائل تلك القوائم
 والحمد لله التي أخذتها من الفضية لوضع سخافات وستتر متصليه للتشال المصنوع
 في الجسر . وكان التماثل في ذلك الحين مدفوناً في الرجال حتى ثقته مما جعله يصنعهم
 أكثر سهولة . وعندما اجفرت الطبقة الخارجية التي كانت على الرئيس الى انجلزا
 اوسد الى متروبر مسير برتوس مع هيئة من الطبقة التي كتلت على رأس شمال
 بيت ريفيت . هيئة من رأس المؤلة السائلة في الكرك . وحيدات من ثراب للتقوى
 المجدارية في بيت الرأى . والكرف مسير برنوس على عمل المجينة ووضع ذلك كله في
 التسط . مرور حوالى ثلاث سنوات على صنع المجينة . وقد حدث ذلك عندما كان
 مسير هاركنيز في منصب أمين المتحف - وكذا أورد هذه التفاصيل لأنها أهم كافة الذين
 يدرين أي عمل ، ولأن هذا كبروا من سوء الفهم له لسأله بالمشروع انه تمسب بعض
 الاسباب لتكوين الرأس على ليمبوس . ونسبة اخرون الى شركة كريستال بالاس ، وهكذا
 حتى ان المؤلة نفسها قد فتحات للمرحوعة عيس مارتيو بها ذكرته من نسخة هذا
 لتشيوية الى كينيديون .



مكثيف التماسك

الطول ، ومطر روق الله ومساعد الطبايح وهما ينزلان هنا وهناك أثناء
تدوير حمل القهوة التي أعدت ، سميكة القوام وصلبة ، لتأدية الغرض
ومطر سلام وهو يحتم متقاطع السائقين مثل بعض المدرج المتكبرة فوق
الطرب البار من انقطاع المبنى ، ومطر بقية المحسرة وهم يشرطون
ويتقاربون كالفرود حول السقالة ، كل هذه المناظر كانت مثيرة للضحك
أكثر من كافة المناظر التي شاهدناها في (أبو سبيل) من قبل أو في بعد

وكانت شهية رمسيس لشرب القهوة تفوق حد التصور ، حتى انى
لا اعرف عدد الحالونات التي استهلكها في اليوم الواحد وقد وقف لطبايح
مدهولا اراء هذا الطلب التي استنفدت مخزونه من البن ، ولم يكن قد دعى
من قبل لتقديم القهوة لضيف يبلغ عرصه قمه ثلاثة اقدام ونصف القدم

وكانت النتيجة ستحق التكلفة - لقد برهنت القهوة على أنها تضارع الحجر الرمل - وبالرغم من استعالة استعادة تناسب السطح الأصلي فقد سيجنا على الأقل في أحدها، تلك البقع القليلة التي شوهت هذا الوجه الجميل فجعلته في مثل قبح المصاب بالجذام لسنوات طويلة .

ومع الانسحاب بالتجديد والمزيد والرقاد في انتظار التماسيح وتنظيف التنتال وكتابة بطاقات على أوراق الصلصات الرقيقة للأصداق، في الوسط ، قضينا الأسبوع الأول بسرعة مبعولة . وفي نفس الوقت كان الرسام والكاتبة يصلان بجهد كل منهما بطريقته ، الرسام على قماش الرسم أمام المبدأ ، والكاتبة منزل حيثها الصغيرة وهي تكوم بالكثافة، والأقن فانه بالرغم من أن أكثر نواحي الحياة بهجة هو الرسم فانه في المسم به أن الرسام في أي سبيل يعمل وسط مصاعب عديدة وعلى رأس هذه المصاعب تأتي صعوبة الواقع ، عالمه الأكبر يقع على بعد حوالي خمس وعشرين ياردة من حافة الصفة ، بينما يقع المكتب الصغير على مدى أقدام عديدة بحيث يستحيل الاعتماد عن الموضوع . لقد رسمت الكاتبة المكتب الصغير وهي على سطح الذهبية لمدم وجود نقطة على الشاطئ تنظر منها إليه . ويل ذلك صموية اللون ، لكل شيء أصغر اللون ما عدا السماء والنهر . فكان اللون هو الأصفر بكل درجاته متدرجا في ألوان البرتقال والقررة والتمشيش والذهب والحلله المدسوخ ، والحبال في الحجر الرمل ، والمعادن في الحجر الرمل ، والشجر الرمل يصعب الحجر الرمل في الصحراء ذات الحجر الرمل . وفي هذه جميعها بعد نفس مقياس اللون الأصفر ، وحتى الظلال التي تلح في الضوء المتعكس . نريد التكرارات للتدرج لالون السائد . ويل ذلك أن الذي يسلل جهده رغم تواضعه لاستخلاص حقائق المنظر أمام عينيه ، يضطر لتنفيذ ما يسميه رسامونا في هذه الأيام السينمائية الصغراء مواء عن طوبه خالط أو عن اضطراب .

وأجرا ، فهناك للتسايفات الصغيرة التي تسببها الشمس والرمال والرياح والقباب ، فالكان كله يشع بالحرارة ، والنور ، والتوهج من أجل ومن أسفل مع عدم قدرة الانسحاب على تحمل وطأة ذلك كله .

واستشفت الكاتبة التي نصبت حيثها على المنحدر الرمل والعدة احتراق اللحم البشري ، تمت وطأة هذه الحرارة الشديدة وهي رالمة المينين، وعاجزة حتى عن النظر الى موضوعها بدون مساعلة الخطارة التي

أصبحت بلون النحاس - وعندما تهب الريح من الشمال (وهو ما يحدث -
 دائما خلال هذا الفصل من السنة) تقل شدة الحرارة ، ولكن الرمال تنير
 الفيض - إنها دلا شمرتك وعينيك ورجاحات الماء التي حرك - ونقى بالتراب
 على صندوق اللودك ، وتجمع مياه وتقلل من ييلقى اللون الأبيض
 فتجلبه الى لون السلاطة لاحتلاطه بالمحصى * أما عن الدباب فلن شهيته
 مفتوحة للألوان المائية حيث يبع فرشاتك للسلقة على الورق وسرك أرجله
 في صندوق اللون الأصفر ونقص بشراسة في اللون الأزرق الجاهز
 للاحتفال * وكل شيء طو الطعم لعمه ولا يحصل أى لون السم إليه -
 كان وقتنا متعنا بكل المقاييس بالنسبة للذهب عملوا والذي اسراسوا
 وكان كل شيء يبعث على السرور - تم انطلقنا الى وادى حلفا *

فصل السابع عشر الشلال الثاني

حملنا بطول الطريق من أبي حنبل إلى وادي حلفا مسير عليل .
 وشراع متبسط في مهب الريح ، واحساس بروعة الاجازة وسعادة عامرة .
 لقد بدأنا الاجترار في وقت متأخر بعد ظهر اليوم الاول ، واستطعنا أن
 نقطع مسافة تبلغ حوالى اثني عشر ميلا قبل أن تهب الريح ، واستمكننا
 مسافة الثمانية والعشرين ميلا الباقية قبل ظهر اليوم التالي . وكانت هذه
 هي آخر رحلة لنا في الليل والسفينة منشورة الشراع . ورمت فيلة عدد
 وادي حلفا لكي يتم تفكيكها . سينزل الشراع الكبير الذي كان موقد
 فخرا وصيحت سرورنا . وستصبح ذهبيتنا برشافتها وسرعتها مجرد صندل
 مكون من الواح خشبية منشورة أكثر شيئا بفولوب الترحمة على بحر النعيم .
 منها بسفينة كيلواترا التي تعمل بالمجاديف . وبعد أبي منبل بمسافة
 قصيرة اختزلت القمة العربية سلسلة من الجبال البركانية تشبه في
 ارتفاعها وحجمها وشكلها صفا من أبراج ماريتلو ولقد فصلتها عن بعضها
 سلسلة من المنحدرات الرملية للتكاملة الشكل . بينما طفت هاماتها
 المستديرة طليقة من الغرب الأضواء السوداء في العالم . مثل الزبيب
 المنثور على سطح الكمية التي يرميها تلاميذ المدارس باسمهم ، القمة
 السوداء . ولما كنت قد ارتقيت أكثر من مرة قمة جبل أيفك
 (وهو أول جبل مرتفع في هذه السلسلة . وقد تسمى قبة بنفس
 الأسلوب) فقد تعلمنا أن هذه الأحجار ، وعرفنا ما الذي كانت تشابهه
 معه ، لمن حيث اللون كانت سوداء لرجوائية تشوبها مساحات حمراء
 هنا وهناك . وعند طرفها تصدر صوتا مثل صوت الصقور التي تطلق
 شررا عنه حكما ببعضها البعض ، أما شكلها فهو غريب . والقط المسيد
 (ل) بعضها الذي يشبه عماليد المنب . بينما كان بعضها الآخر مجرما
 ومعلقا مثل جسم بركان كيروف عند ثورته سنة ١٨٧١ . وكانت متناثرة
 على السطح بأحجام مختلفة . فكان بعضها صغيرا في حجم حبات الزبيب .
 والبعض الآخر في مثل حجم ربح الرغيف . وأنا أقول كما لو كنت من
 المتخصصين أن هذه الأحجار تنتمي إلى نوعية باوية كانت في حالة انصهار
 نقي وتزوج ثم اصطفت بواسطة شدة البرودة .

وينتسج عرصر المنظر عند نهاية السلسلة على بعد حوالي ثلاثة
أو أربعة أميال جنوبى أبى سنبل . وتظهر مجموعة من الجبال الخارجية
متناثرة فوق سهل واسع يمتد لعدة أميال فى الصحراء الغربية . وعلى
الضفة الشرقية تظهر قلعة عمدة (١٦) وهى قلعة رومانية ضخمة متعددة
الأبواب متجهة الى جرابلس معزولة فى آخر جرف على حافة الماء الى اليسار

(١٦) من قلعة تدعى قلعة أبريم من حيث الحجم والشكل ، وتصل اسم القلعة عند
وفاة شعرت عند معرقات عديدة . وهى مسانلة بمنصور كالحلة . ويحيط جرفه حد حائله
القديم الذى يشبه حقله قلعة أبريم موجودة . وقد بيث بعض أماكن الإقامة من الحجر
ويصفا الحجر من الطوب . وتراف على أرض أعلى قليلا فى المدينة الصغيرة فضائية أو
عظما امساك جرانيتية ذات أبعاد صغيرة ويحيطها حفرة تقيطه الأساطين التى تلتصق
على الحمارات الخزفية ولكن بشكل رديء . (انظر كتلة برخاوت . رحلات فى
الوادية Troude du Nilis للنشر سنة ١٨٩٩ - ص ٢٨) . ويوجد فى كساب
عربى عن تاريخ القلعة . كتبه جرف يدعى عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى - حقلات
سما لخمعة كتلف (المعروف العظيم القسيس) برخاوت وكاترير . نكتة . منها القلعة
القائما

• وتقع فى منه القلعة (الغربية) حديثة بجران *Handjran* عاصمة دارين
قلعة أبريم وكان اسم يسمى عمدة لها ميناء ويطلق صفا لها مكان ميلاد لشان للحكيم
وذلك الذى وعظما عمده معلوم - انظر :
Mémoires Géographiques sur l'Egypte, etc. E. Quatremere, Paris, 1811
Vol. II. p. 2.

وأذا كانت عمدة وحدة اسمى لسمى واحد . فى المرجع من ذلك كله القلعة كى حقل
فانص الرومى السبك نسبيا قدام على هذا العهد للحكيم المتعرق فى لاسر . والذى
تسمى الرمال حائله حائبا . ومن الواضح ان المنصور ليس هو معبد (أبو سنان)
(لاراق على الضفة الغربية وشماله بعد بحوالى ثلاثة أو أربعة أميال) ولا هو معبد
فرج (الذى بعد لولا وهو أيضا مكان صغير) . ولكن هناك معبد آخر يقع فى مكان
ما بين (أبو سنان) ورواى حائبا . لم يكتشف بعد . ولكن ومودة حركه حيث يقع
عليه لوح كبير منحوت فى الصخرة التى توجد سفوح شمال لأمية لكسرى فى (أبو
سنان) . ويكده هذا اللوح الذى يظهر شكل التاج وشعرا وتقبلا على بوابة مصر
تلوها ظمى المجدبة . ويصير رمسيس لثالثى متوجا وهو يتناول الزلا من شهر تروم
روميكي اسمه فى (رمسيس - ريمسكى) . ويصغر اللوح الذى يظهر
سنة طر أسطولا سلطنة لعمدة - القاب ومدافع الملك . ويذكر كيف أنه اقام مسكن الرضا
لأنه جريس أده . وميد عام . وقد حفر فى أماكن مصرية عام لكن يمكن له مسكنه بلى
لعدة أجيال . ولا تعرف شيئا من السفرة عام (أطلق عليها روسيللى اسم : سكيا)
ولكن لا شك فى أنها موجودة فى مكان ما بين (أبو سنان) ورواى حائبا . انظر
« Qual sito precisamente dimolai in questo nome di Scian, lo non
suprei nel presente stato delle cose determinare credo peraltro accendo
varie luoghi nelle iscrizioni che lo ricordano, che forse sibiato sul' una
o l'altra sponda del Nilo nel paese compreso fra Wadi-halfa e Ibsam »

تصل بالسلسلة الثالثة لها الى نهايتها ، وتجاوز سهلا مبالا تتأثر فوقه
ايضا القسم المنزلة - والنظر هنا شديد الزوغة - اننا نلاحظ جزيرة
كبيرة تغطيها أشجار النخيل وتقسّم نهر النيل الى ممرين يبدو كل منهما
على مثل اتساع النهر نفسه ، وتفتح مسافة غير محدودة نحو الأفق
الفضي ، ولا توجد أية خضرة على الضفتين ، أو أية علامة تدل على مشاط
إنساني ، فلا شيء يعيش هنا ، ولا شيء يتحرك ، فيما هذا الراح والنهر .

ورغم غرابة القسم التي شاهدها فان الجبال المسطحة أكثر غرابة .
وسواء أكانت مسطحة أم في مجموعات فانها تبرز هنا وهناك بين الصحاري
التي على الجانبين مثل نقطة الشطرنج على ورقة اللعب - وهي مسطحة
مخروطية الشكل ، ولكنها ليست فوهة براكين خاملة مثل القسم
البركاني المخروطية في كوروسكو والدكة - ولما لاحظت الكتابة كيف
تبرز جميعها نفس الارتفاع تقريباً - وأن قممها كلها مغطاة بهذه الطبقة
من الأحجار السوداء اللامعة ، فانها لم تستطع أن تمنع خيالها عن رؤيتها
شبيهة بهيكل روشيه دي كورتي Rocher de Cornuelle وروشيه دي
ساست ميشيل Roche de St. Michel في بوى Pay ، ولابد أنها
أجزاء من لقطة صحريه انصلبت واجترفت معها منذ فترة سحيقة من
التاريخ البالي وريما كان سطح قممها الخالية هو السطح القديم للسهل .

أما من شكلها فهي موحدة بما فيه الكفاية تطبيقاً لأحد الأفكار
الجيولوجية التي تتعلق بالوحدة . وتتناقص جميعها تدريجياً مع الارتفاع
تحت القبة . وقد لاحظنا أن أحدها له كريمة جوانب مثل الهرم - وانظر

" bul. o poco oltre. Il cui dovrebbe trovarsi il nominale speco di Horus .
fino al presente occulto a noi. " - Benelli, Lettere per la Libreria di
Storici, vol. III, parte II, p. 104.

ويظهر من ذلك أن سفرة عام ورد ذكرها في نقوش أخرى .

وبكث السافة بوز (أبو سبلول) وراى حقا درجيد ميل فظ والألماس الضاربة
سبلول المثلثين كهيئة جدا وإذا تم الكلف من هذا المرد فيكون حديدا يبيع السباح
على عاتقه . ويخرج من حيث فائده ما يترب عليه من اعادة التماسيح القليلة لمدد الدهر
تحيى اسفل فكلال اللؤلؤ .

الأحر شكل محروط مبسور . وظهر الثالث كما لو كانت تطوى متعة
وثقة - وكان الرابع هجوعاً على شكل عقود متصلة ببعضها البعض ،
والخامس يوجه قل من الأحجار المكسرة . وهكذا تتوالى تصورات
الكاتبة عن البويعات المنتظفة التي لا نهاية لها . وربما استطاع أحد
علماء البيولوجيا أن يحددنا عن هذه الترويات فيوضح لنا كيف تتناقص
التبران والزلزال والفيضانات بعضها وراء بعض ، وكيف أن هذه المسال
التي كانت قبلاً مغطاة بالأحجار البركانية ، قد انشطرت إلى وحدات
مما أدى إلى فتح الوديان حتى عبرتها السيول التي اكتسحت الأجزاء
الباقية من الصخرة وتركت الأحزنة الصلبة في مكانها .

ويبدو فائدة عامة واختصاراً لمجموعة جبال (أبو سليل) وجزيرة
النخيل ثم الصحراء . ويبدو أن تركنا خلفنا الكلمة الوحيدة المنعزلة التي
تسمى جبل التمسح . أتينا إلى معجزة جديدة تقع فوق مجموعتين من
الروابي المتناثرة تقع إحدى المجموعتين على الضفة الشرقية والأخرى على
الضفة الغربية . ولذا حاول الإنسان أن يجازي بتكوين رأى معين من
على هذا البعد فانه لن يجد هذه الجبال ذات تكوينات بركانية ولا حتى
تكوينات طارئة - وهي أصنام مختلفة بعضها صغير وبعضها الآخر كبير ،
وجميعها مستديرة ولينة ومغطاة بحرقاب بركاني ذي لون يتخلط ما بين
الأخضر والبني - فكيف تكونت في مكانها هذا ؟ وما سبب تكوينها ؟
وما الذي تحفظه ؟ وهناك حوالث رومانية بجوارها . لقد مر الجنود
الفاون وعندما ٢٤٠ ألفاً من هذا الطريق ، ولابد أن الجيشين المصري
والأثيوبي اللذين نمتقا بالآلاف بطول نفس هاتين الضفتين قد خاضعا
معارك عديدة فوق هذا السهل المكتشوف . لقد افترضت كلمة أنواع
الاحتمالات وملاّت رأسي مشغولات عن الجبوت والجوارح والجرار التي
تصير دماء حثت الأموات . حتى انما أودعنا في هذه المنطقة أن نفقد
نصف عقولنا ، وموقف المركب ، ورسومه متراكمة ، ولكننا ارتقمنا الانكار
الثابت التي وعدنا انفسنا فيها بأننا سوف نطهر إحدى هذه الروابي
عنه عودتنا .

والآن صار الهواء منعشاً ، ولحنت الذمبية تشق طريقها بجرأة ،
فتركنا الروابي خلفنا لنقتل في منطقة مهجورة حيث تتراجع الجبال
تدريجياً وتكثر في الصفائف الرملية الملوثة بجري النهر .

ووجدنا عند إحدى هذه الضفاف الرملية على بعد صبح يارودنا
من حافة الماء ما يشبه جذع شجرة صلبة وبها كانت تحفة قديمة
ساقطة ، وما زالت بعض بقايا المنقب للكسور متصلة بها ، ويسمى
اصدقائي الأمريكيون مثل هذا التي " تنو - لو برور " ، والنسي الريان
على خروج الدفة الى الإمام ووضع لصيقه على شففيه وحسي " تمساح " ،
وسرعان ما صعد الرسام والرجل الكسول والكاتبة جميعا الى سطح
السفينة ، ولم يصفقه أحد - لقد شاعروا لتوهم العديد من هذه التوثبات
ولن يتذكروا أنفسهم بها للتوتر طه طائلي مرة أخرى .

وأشار المرشد الى القمرة التي كان فيها السيد (ل) والسيدة
المنسفرة مبعثي من علم القيصه المصري التي تسمى تناول شاي
بعد الظهر - وهو يقول : " أليس ! استعدوا الميت " ما هو التمساح ؟

ولمضنا هذا التي ، ينظرنا وضحكنا على المرشد الى درجة
الاستهزاء ، لقد كان أسوأ تقلبه وأيساه للتمساح ، وبعثة رفع جذع
التفلة رأسه (أي التمساح) وحرك ذيله وثبت رجله في الأرض وأخذ
يسلم ويغاري ويذبح في سرعة شديدة على المنحدر وسرعان ما احتضى
في الماء حتى قبل أن نطلق صيحة تصعب .

وقد مر ثلاثنا بوقت عسير عندما حضر الاثنان الآخرون وعرفنا
أنا وأبنا أولي التمساح دون أن يكونا متنا .

وفي صباح اليوم التالي مررنا بصفة رسمية خاصة بالذيول المتحركة
وبعد كما لو كانت بقعة يمتد فيها برلمان التماسيح ، لقد كان هناك على
الأقل عثرون أو ثلاثون تمساحا حاضرين في تلك الجلسة ، وبرعت
العلامات الحديثة على أن الاجتياح قد انقضت لتوه .

وحيلتنا رياح شديدة مسافة الثلاثي ميلا الأخيرة من رحلتنا ،
وتعيلنا أننا قد وصلنا الى أقصى الجيوب حيث تأبنا أشد الأحراء حرارة ،
ولكنا نحس أن نقول أننا كنا مرتشئين في داخل صايف القرو تحت أجمل
سيف في العالم ، وهذا سطح عرض يمتد كثيرا الى الجيوب من مكة
أو كلكتا ، وكان علينا في مقابل ذلك أن مجرى يكأ سرعنا مقابل أسوأ
حناظر النيل حيث كنا لا نرى إلا الضفاف الرملية التي في مجرى النهر ،
بينما تمتد التلال والمستطحات الرملية على كلا الجانبين . وكان هناك
شامخ مهبور ، أو ميكل قارب صظم عند حافة الماء ، وأبدت الريح
تلاعب بشجرة الدوم التي تناضل من أجل البقاء على سافة الضفة .

وعند ركن حطيم يبعد حوالي مئة أميال جنوب وادى حلفا ، يرسو
 بسطول صغير من النصات المنككة في بيها القسطاط ، وورود
 وأنس والمنصورة - وجميعها تحت رحمة البحر ، على عكس اتجاه جنوب
 الرياح . وكان على سطح المنصورة قنطاريها والسمكة (أ) . لقد دنا
 ثلاثة أيام لم يقطعا خلالها سوى هذه الأميال الستة وبذلك فابعد بعدل
 أسرعه هذا قد يصلان إلى القاهرة بعد انقضاء عام وسهر بالسيام
 والكماله .



وادى حلفا

وعند الانحناء المائية ظهرت أشجار النخيل في وادى حلفا بلونها
 لأزرق على البعد . وعند الظهر رست فيلة مرة أخرى بجوار الساحسومز
 عند ساطي مردحم بالمراكب . ومغطى بالمالات وصناديق النصات، ومثل
 شواطئ المحطة وأسوان من حيث الإردحام بالأكواخ المؤقتة . لأن التحار
 للذين يسافرون بالمراكب يحملون بضائعهم أو يفرغونها عنها وهم في
 طريق ذهابهم أو عودتهم بين دنقلة والشلال الأول .

وكانت هناك ثلاثة معابد أو على الأصح ثلاثة مبان مصرية قديمة .
 كانت في زمن ما قائمة مقابل وادى حلفا .

والآن . لا يوجد سوى القليل من الأعمدة المحطمة ويرى متعزول من
بوابة مهيبة بالطوب وبعض بقايا دوجلت سلم حجري يتجه إلى النهر .
وحائط قريب من عليه ثمار الترخ البرية . وتشكل هذه المراتب مع
حائل منجلي متعدد الحجرات . وشجرة جبير قديمة . مجسومة منالحة
للتصوير . حلقها مسخور عميقة المود تحلج مكان مدينة مقلوبة (١)
لتنتمى إلى عصر أوسرتس الثالث .

وبعد التسلال الثاني بعد وادى حلفا بقليل ويمتد عدة أميال .
وهو يتكون مثل التسلال الأول من سلسلة من الصخور والجناتل .
وتحاذيه في مسافة الأميال الخمسة الأولى حافة صخرية رملية تشكل
كما سبق أن قلت حقلية للخرائب التي تواجه وادى حلفا . وتنتهى هذه
الحافة بشكل حاد إلى الربة المقصورة التي تسمى صخرة (أبو صر) .
ولا يتجاوز هذه النقطة إلا السباح المماررون وهم في طريقهم إلى دنقة
أو الخرطوم . وفي معظم الأحوال يتخفون الطريق الأقصر من كوروسكو
عبر الصحراء . ولأم السيد (ل) والكثابة باستجار بعض الجمال .
وتلقاها حتى مسبة التي تستغرق الرحلة من وادى حلفا إليها يومين . وهي
تعتبر من أسهل الرحلات البرية بالنسبة لهؤلاء الذين تزودوا بخيما
للفرسي .

وقد يلعب الإنسان إلى صخرة (أبو صر) برا أو بحرا . ولد
سحب الرجال السميدان الكاثبة مع بطريقين وطريقين لها شجرة في
تقارب حبات التسلال . وركب الجميع في القارب . أما السيد (ل)
والرسم فقد فضلا وركب الحمير . ومع هبوب ريح طيبة من الحاسب
الأيمن صعب علينا الاختيار بين الطريقين يصرف النظر عن عصر الزمن .
ولا يستطيع من وصل إلى الصخرة عن طريق الماء وشاهدتها وهي ترتفع
مثل الكاترالة في وسط تلك المتعامة من البحر الصخرية التي كان
بعضها على شكل عناقيد من الأعمدة السلالية . وبعضها الآخر متوج
بمراتب متعامة . وبعضها الآخر مكشوف للرياح . وسقى آخر أمت

(١)

« Un Second Temple, plus grande, mais tout aussi défilant que le précédent, existe un peu plus au sud, c'était le grand temple de la ville égyptienne de Héliopol qui existait sur cet emplacement, et qui d'après l'avis des doctes de noteries répandus sur la plaine aujourd'hui déserte, paraît avoir été assez grande » — Champollion, *Lettres écrites d'Égypte*, etc., éd. 1898 ; Lettres fig.

البنون بسببه استبحار الرمان البوية - أن يشك في أنها من أحسن المناظر
مسلحية للرسم .

وبعد أن نزلنا بجي أنشيط الطرفاء عند قاعدة الصخرة وصلنا إلى
أطراف متناثرة من جرف رملي منحد ومجهد لكل من يحاول أن يتسلقه
بشكل أصعب من الجرف الرملي الذي عند (أبو منبيل) . وقد تسلقناه
بالرغم مما كنا فيه من عبوس ، ولما وجدنا دأكي الصخر جالسين على القمة ،
امتنسا أنفسنا ببرعات من الليونة المثلثة التي أحضرتها منا
من وادي حلفا في قلة من الصغار .

أما قمة الصخرة فهي منحد حاد ومعلق لبحر الفرق والجنوب
والله عاقبت عليه توقيعات تدكيرة ، والقليل من هذه التوقيعات هو
الذي يثير الاهتمام ، ولكن أغلبها يسجل فقط وبارات أفراد مشورين .
وقد وجدنا بينها اسم بلزوني ، ولكننا بحثنا دون جدوى عن توقيعات
جوخارت وشامليون ولجسيوس وأمبر .

وظلنا لطبيعة الأخرى وصلى لناخ ظهر لنا المنظر من هذه النقطة
من أعظم المناظر التي شأعتها طوال حياتي ، وحنا نرى صخرة (أبو منبيل)
وهي ترتفع ارتفاعا غير ملحوظ ، وذلك تعتبر مجرد تل صغير
بالقياس إلى قمم بعض جبال الألب التي أراها - وأشك في أن يصل
ارتفاعها إلى مثل ارتفاع الهرم . وعلى أية حال فهي مكان يحسب المناظر
منه إلى أسفل بالدوار ، كما أنها تبدو أكثر ارتفاعا مما هي عليه .

ومن الصعب علينا ونحن هنا الآن ، معرفة أن هذه نهاية الرحلة .
والسلاسل خلطت صخم من الجمر الصغيرة السوداء واللصقة التي يتبع
النهر عندها فيتفرع إلى مئات من القنوات المنفصلة ، وينتشر إلى مسافة
بعضة تبلغ أكثر من ستة عشر ميلا ، إلا أنه يرغب ويريد عند انحدارها
ويتحول إلى رغوا وأمواج ، ويندفع هادلا عندها يكون مجراه خالصا
من العوائق . ولا يمر في وحشية عندها يحطم بعض العوائق - وهو
يسرع في حين ، ويسطو في حين آخر . ويتحول هنا إلى دوائر مثل
الريز ، ويرقد هناك في شكل برقي سائلة لا يقطع سكونها إلا خريف
الله . ويسكن النهر في كل مكان بالنسبة والأموات ، وتلج فوق سطحه
أحسة الشمس .

وفي ناحية الشمال حيث يطلو في اتجاه (أبو منبيل) نرى في
الأفق كافة الجبال المنيعة التي شأعتها لنا ، أما في الشرق فانه

يرتبط بالجيال التي تنتمي الى نفس السلسلة المتصلة حيث توجد متاحة من البرية السوداء العاصفة التي تتفرع الى عدد لا حصر له من الوديان التي تتخللها بحور من الرمال - وفي الجانب الغربي يقطع استمرارية المنظر المنحدر الذي ينتهي عند (أبو صير) - وهي الجنوب تصل الصحراء الغربية الى سهل متدرج صخري لونه أصفر مائل الى السمرة ومجيب ويبحث على الملئ ، بينما تلمح الشمس كلها والرمال كلها هنا وهناك برمضات من التيل التي يشرق كالسم - وترتفع لمتا جبلين في الطرف البعيد من العالم . احدهما طويلة والآخرى تشبه القبة . وقد ذكر النوبيون العراقيون لنا أن هذه هي جبال دققة ، وبمقارنة مؤلفنا هذه بالسلاسل الثلاث كما يظهر على الخريطة ، حصل الى استنتاج مهم هو أن هذه الأشكال التضاريسية هي جبل فوحو (١) وجبل لرامو ، وهما جبلان متواريان يطلان في جانبيين متقابلين على لهر التيل ، على بعد حوالي عشرة أميال جنوب هانيك ، وعلى بعد حوالي ١٤٥ ميلا من البقعة التي لقب عليها .

ولا يوجد شيء حقيقي وجسدي في كل هذه الصورة الغربية ذات الطابع البري والوحشي الا اللون . ولكنه لون دسيع فلم ار في مصر شيئا يمثل هذه الرقة والشفافية والفتاسق ، التي اخلق عيني وبصر المنظر كله لعامي فأرى اللون المصري للرمال والجبال ذات اللون الوردى واللؤلؤ ، وصخور القلال وكلها سوداء وأرجوانية ومصفولة ، والحلقات الرمادية التي تتصايك هنا وهناك فوق الجزر الكبيرة ، وأشجار الطرفاء والرمال ذات النخرة المداكنة ، والنيل بلونه البهي الذي يسجل الى الخضرة المشوبة بالزغفرى التي يلون الخيرة - ولغوى كل ذلك السماء الزرقاء الحارقة التي يخللها الضمر وأجمة الشمس المتلاعبة .

لم أرمم شيئا فقد شمرت الي من السخط أن أسأله ذلك . ونسمر الآن بأن أية محاولة لتصوير المنظر بالكلمات هي مجرد جهد متطفل لوصف ما لا يمكن وصفه . لأن الكلمات ادواب مائعة ، ولكنها مثل ابرة الخفر على الاثواب للندبة والفاض المستخيم منها من حيث انها يمزجان عن التشكيل ولا يستطيعان ترجمة الألوان في هذه اللوحة الحقيقية - ولذا سألتني سألني وقتي محدود ما اذا كان من الضروري أن

(١) جبل فوحو كما يظهر على خريطة مصر والقوية التي رسمها كيث جيمسسون هو جبل على برية الابن ذكره ابن بطوطة .

يعبر أن ما بعد التلال الثاني . فامضى كنت مسافحة بالمودة من (٢) بو
مسيل ؟ لأن هذا الجزء من الرحلة يستغرق أربعة أيام . وإنما لم تكن
الريح حوائثه بطريقة ما ، فإيه يستغرق ستة أو سبعة أيام .
لما صافى الأريجه ميلا من النهر التي يجب قطعها مرتين فهي أصعب
أيام الرحلة النيلية . والملايل صا صودة مكبرة من التلال التي يمر
أسوان وفيلة . والمطر العظيم كما سبق أنه قلت . ليس بهذا النزع من
الجبال الذي يقطعه السائح الصاوي .

هناك لعمري متجاوز مشاهدة الجمال ، فللتنظر بغير الخيال للاحساس
بمنظمة نهر النيل ، إنما ننظر عبر عالم من الصحراء وبرى النهر قادما من
بميد . لقد وصلنا إلى نقطة ينتهي عندها كل ذلك المألوف والمتاد بشكل
حاد . فلا تساعد قرية أو حقل للقول أو صاونا لو ساقية ، في السهل
المست . كما أنه لا يوجد أي فراخ يصل في هذه المسافة الضخمة .
ولا يوجد مخلوق واحد يتحرك فوق هذه الرمال المضمومة المسالك .
فيما عدنا أممنا التفرق التي سنرى كالاشباح عبر الصحراء . ويبدو
أننا قد وصلنا إلى الطرف الحضرة ، وإنما تكب على لعاب أرض لم
تكتشف بعد ، وبالرغم من كل ذلك فإننا نحس كما لو كنا عند بداية
النهر العظيم . لقد قطعنا ألف ميل ضد التيار ولكن - ماذا عن المسافة
التي تفصلنا عن البحر العظيم ؟ ولم تبلغ المسافة التي يجب أن
يصلها الأسماك بعد البحيرات العظمى ببطء عن النبع الذي لم يكتشفه
بعد ؟

ولم نبق في وادي حقا إلا ليلة واحدة . وفيما برحلة واحدة إلى
التلال . ولم لمسافة التماسيح بالرغم من كثرتها بين هذه الجزر
الصغيرة الصحرية . أما م . ب . اللسان تضيأ هنا أسبوعا فقد كان
لديها العديد من قصص إكتشاف السحرة والحيوانات الغريبة بلسانها . لقد
اقترب من وحش وأطلق النار عليه قبل وصولنا بيومين ولكن الوحش
انفزع عاردا إلى الله بعد إصابته وهو يلوح بيده لفرق رأسه الماضيا .
ولم يره أحد بعد ذلك أو يسمع عنه شيئا .

ويبدو أن ذلك التماسيح كان مثل الخيل لا يمكن اصاحه إلا في
نقطة واحدة . وتقع هذه النقطة غير المربعة خلف ذراع الإمامية . وكان
من الممكن أن يقتل هناك عددا كبيرا لو كانت الطلائع تصطط طريقها إلى
النقطة الحيوية . لو كانت من النوع الجهشي الذي ، ينفض في جسم
الفرينة . وحتى إذا أصاب التماسيح يجرح فائلا فمن النادر أن يكون

قد أصابه في النقطة غير المدركة ، فيسمع التساح بكل قوته المخترقة عائدا إلى الماء ويصوت في القاع . وترتفع البشة بعد ثلاثة أيام ونطوى على سطح الماء . وقد يلي استقارنا حتى الآن لكي تنقع العريد لعنته ابصحة في الحقيقة مع كد الوحش المسكين قد دحف إلى حجرة أو احتفى بين الأعراش ولن يظهر مرة أخرى . وفي مقابل كل تساح هناك حسنة من الشاسيح التي تعود إلى الماء . وبعد أن تساني الآلام تحت الماء يموت بعيدا عن حدى الرزية وخارج متناول الصياد .

وهنما كنا نسلق صخرة (أبو صير) ، كان رجالنا مهولون في انزال الشراع الكبير وإعداد ليلة للقيام برحلتها الطويلة والمحفقة في الإبحاء الضاير . ولا عدا وجدة الصاوي الرئيسي موضوعا مثل شجرة تظلل على رؤوسنا ، وقد طوى الشراع لي شكل كرة ضخمه ووضع على سقف المظبح . أما الصاوي الصمير وشراعه فقه وضعا فوق الصاوي الرئيسي . وتم ربط كل ستة مجاذيف على جانب من جانبي الفخية . وتحول السطح السفلي إلى مقاعد لجلوس المجذفين . وبهذا التغير تحولت الدحية إلى سفينة مسطحة نسج بالمجاذيف . وأصبحت مجاذيفها هم قوتها المحركة ، كما أصبح في قدرة طاقمها المكون من المجذفين (الذين كانه التيار في صالحهم) أن يغطوا ثلاثين ميلا كل يوم . وعندما تهب رياح طيبة من الجنوب غاله يكفى الشراع الصغير والتيار لكي يدفع المركب إلى الأمام . ويعسر الحال قوتهم للتجديف أثناء الليل محضا يتوقفه صوب الرياح . وأحيانا عندما تصير الرياح هادئة ويحتاج المجذفون إلى الراحة فإن الفخية تنقاد بأجهزتها الخاصة فتطفو مع التيار ، وترتفع مترعة في وسط المجرى ، أو تنحرف جانبا على حصان مسير وينكل . فتتجه مرة إلى الضفة الشرقية ثم تقرر راجعا وتنحرف في المرة الأخرى إلى الغرب ، وبذلك تقطع حوالى ميل ونصف ثم ميل في كل ساعة في المتوسط . وهي بذلك تقدم عرضا مسرحيا تصور فيه المجموعة عذبة الحيلة أمام المتشاهدين المتطفلين . وفي أوقات أخرى عندما تهب الريح القاسية من الأمام بسرعة . لا تنفع المجاذيف ولا التيار ، ولا يكون أمامنا من مفر سوى أن نركن بالفخية إلى حانب الضفة في انتظار لولسات أفضل للإبحار .

وتلك كانت حالتنا المحزنة أثناء عودتنا إلى (أبو صير) . وبعد أن كافينا بصعوبة كبيرة خلال الخمسة والعشرين ميلا الأولى وصلنا إلى وقتة نعد حوالى منتصف المسافة بين فراس وجبل الشمس . يجلينا التيار إلى الأمام . وعندما الرياح إلى الخلف ، تجربنا الأمواج ونهزنا احتراوات المركب إلى هنا وهناك . ونسيرا دخلت قلة في بركن هادئة

بعد تذبذب هام عنه ساعات . وهناك مركب قى سلام حتى يغمر اتجاها
الرياح لو تتوقف كلية .

وبعد أن قضينا يوما ونصف اليوم في هذا المسح ، وجدنا
انفسنا بالصفحة في متناول الروابي التي فكرنا في استكشافها .
وانجسنا أولا الى تلك الواقعة على الضفة الشرقية . وقد صحبنا معنا في
القارب أربعة رجال للتجديف والمفر ، وصخرة للنفاز ، واما صغيرة ،
وقضيبا حديديا ، وسلة كبيرة من الخيولان . وحده في كل الأدوات
التي ستلحقها ، وهي أيضا ما يحتاج اليه جسدك وما بهد . وكذلك
الأدوات التي لابد أن تلتزم بها كل حبيبة عند الابحار وهي خاروفان
أو ثلاثة وزوج من الماول ذات الطرف للجب وعجلة حديدية .

وبعد أن صعدنا الى قمة أهل هذه الروابي بدأنا في عمل مسح
للأرض . المسحراء ونسخه حتى القاع . ومسطحة ، ومتينة . وقد تباينت
فوقها الصبابة الكثيفة . ولم ير الا القليل من الرمال الصفراء السامة
التي تتميز بها الصحراء البرية ، وهذا القليل يتركز مثل النلوج في
أكوام وشقوق وتجاويف كما لو كانت الرياح قد حملته الى هناك . وقد
غطيت قسم هذه الروابي بثراب من الطين الشائس يتميز بالندومة
والصلابة والناسك . وقد أحسنا من أكوام هذا التراب اربعا وثلاثين
كومة يتراوح ارتفاعها ما بين خمسة الى ثلاثين قدحا ، ورأينا الكثير منها
على الجانب المقابل من النهر .

وبعد أن وقع اختيارنا على كومة منها يبلغ ارتفاعها حوال ثمانية
أقدام كلنا البحارة بالعمل . وبالرغم من استعالة شق وسط هذه
الكومة بهذا العدد القليل من الرجال ، وذلك العدد المحدود من الأدوات
الا أننا نجسنا بوجه عام في الحفر حتى وصلنا الى طبقة من كتل الصلصال
الحام غير المنتظمة الشكل والتي يمكن تشكيلها باليد .

وسواء أكانت هذه الطبقة تشكل أساس الروبة أم تخفي قبوا
مضطروا تحت مستوى الصحراء ، فلم يتوفر لنا الوقت أو الوسائل
لنكتاه من ذلك ، ولكننا اقتضنا انفسنا بأن هذه الروابي اصطناعية (١) .

(١) بالمعنى الذي كتبه الكولونيل قابس رحلة في حوض النيل
Upper Egypt etc. أي أنه قد حفر إحدى هذه الروابي ولكنه لم يجد شيئا
على أية انشاءات . اصطناعية = اصطناع . يحتاج أنه لم يجد في حفرة التي حفصه
كافيا لأنه من الصعب اكتشاف أن الروابي التي حفرها هي من صنع الإنسان . ولا شك أنها تمتد
تحيطها حوضها آخر .

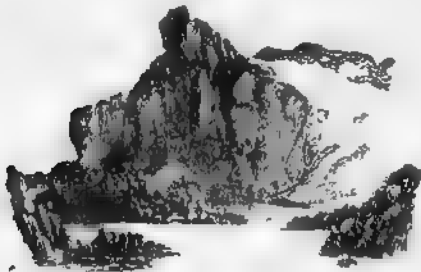
وعند ذهابنا قابلا قلاصا موبيا يسير متناظرا في اتجاه الشمال وهو يقود جسلا يائسا وقد حمل تحت ذراعه ديكا أبيص اللون ، وسير خلفه امرأة حاتقة سميت شالها على وجهها واحضت نفسها خلفه وهي تركله لفرقة الاجليير - وسألنا الرجل عن ماهية هذه الروابي ومن الذي اقامها ، ولكنه هر راسه وقال انها موجودة في مكانها منذ زمن بعيد ، ومالباه مرة اخرى عن الاسم الذي يعرف به في هذه الاحراء التي دح عندها حمله الى الامام ، فاجاب عتردا ان لها اسما ولكنه مبه

وبعد ان كان قد تقدم قليلا عاد مرة اخرى فاقلا انه تذكر الآن كل ما يتعلق بها وانها كانت تسمى « قرون ياكسا » ولم يستطع ان يحصل حته على بيانات اكثر من ذلك ، اما من هو ياكسا ، او كيف اصبحت له قرون ، ولماذا اتخذت قروبه شكل الروابي ؟ فهذه اسئلة اصبحت من ان يجيب عنها ، ولا نستطيع نحن ان نحسن الجوابها .

ومتعدها بتشيدينا صغيرا مقابل هذه المجموعة السرية ، وضربنا في طريقنا بالقي سرعة ممكنة ، ولما نيتنا ان نجعل عبر النهر وادي الروابي التي على الضفة الاخرى قبل غروب الشمس . ولكننا لم نتحسب لصوبة شق طريقنا بين سلسلة من الضفاف الرملية او المضي قلما في اتجاه الشمال لمسافة ميلين ، وذلك لكي نعود حول القلعة الملاحية التي في الجانب الآخر . وبالطبع فاننا جربنا الطريق الآخر ، وبعد ان جربنا حل الأرض ثلاث أو أربع مرات ، سررنا النظر عن المجموعة . وربما شراعنا الصغير وانساق الكلوب عائلا بأسرع ما نستطيع الريح ان تصلنا اليه .

وعلى ذلك فقد كانت هودتنا بعد الرحلة بالكلية من امتع الأشياء التي تذكرها عن التريل . لقد غرمت الشمس ، واحتض نور الفسق ، وأخفت النجوم في الظهور . وبعد ان اقتنمنا باننا رأينا وعينا شيئا ، أضدنا نقصت الى الاغنية الحللة القديمة التي يفتن بها المجنون ، والى حريد الماء الخرقوق تحت هيكل المصوفة . وفي نفس الوقت كنا نرى اشجار «لنفسن وهي ترتفع امامنا في اونها البرونزي الى عنان السماء . وسرعان ما اتد المركب الكبير يلوح وسط النسق وهو يتألق بالانوار ، وصوت المنة يتعالى من مؤخرة المركب . واتخذنا لنزلق تحت الاسنادات ، وكانت هناك نصف دسنة من الوجوه السمره تلقي علينا السلام ، مع الايدي التي امتدت لتساعدنا على الوصول الى القساطل . وقد حمل النسيم راحة طيبة قادمة من المحيط ، واستقبلنا منظر صالة الطعام المبهجة وفي

وسطها المائدة المحجرة والمصابيح المشتعلة وهي تضيء علينا بأنوارها من خلال المدخل المفتوح . لقد عدنا الى مكان اقامتنا مرة اخرى . دعنا الآن نأكل ونشرب ونستريح ونشعر بالمرح لأن عدنا سيبدأ العمل القشاق مرة اخرى لمساعدة المناظر ورسم الصور التخطيطية .



صخرة (ابو صير)

الفصل الثامن عشر

الاكتشافات في (أبو سنبل)

عدنا لكي نجد أسطولا من النصبيات المصقوفة بطول الشاطئ. عند (أبو سنبل) وقد نصب على الأرض هناك ما لا يقل عن ثلاث حياض للرسم . وتقع إحدى هذه النصب في البقعة التي أنشأها رسامنا . وقد احتصر حجمها لكي تلمح مكانا للمستلجر الأصلي . وعلى مدى ساعاتين تمودنا على الجوف المائي كما لو كما لم يبرح المكان لمدة نصف يوم .

وفي نفس الوقت وجدنا صديقتنا القديمة الفسطاط وعليها الروح من ركابها . وهناك زبونيا وكل ركابها من السيدات وهن اللبس الصغيرة ، مع سرج . س . ، ومستر و . هل سطحها . والنعيمية سبريدا وقد رفعت العلم الأمريكي ، أما النعيمية المنصورة فقد ربطت بشدة إلى النعيمية الغيوم . وفي اليوم الثاني انقضت إلى هذه النعيمية ، ذهبتان تحلان العلماء الألمان ، ثم الباجستومر وقد عادوا بالسلامة من وادي حلفا .

أما عن الوصول والرسيل وتبادل الزيارات وعرض الرسوم . والتفرقة من مختلف الأنواع ، فقد قضينا وقتنا سعيها . وقد اتفقت ليلة حفل عشاء وموسيقى تحت أف التابيل الضخمة . وقد اتفقت أطقم النصبيات جميعا في الطبل والصفاح لقرود أشباح رهيبين وجميع ملكاته . وكان ذلك مبهجا سفا مع إستيرلره . ولكن عندما رحل الغرباء واحدا وراء الآخر . عدنا مرة أخرى للوحدة . ولم تكن آسفين لأن المكان كان أكثر وقارا بالنسبة د للبناء والفنك وانتلاص الحفر إلى الفتحات ، وما شابه ذلك .

عندما نقارن سهرنا أثناء الليل بسهر السياح الذين قابلناهم في (أبو سنبل) نكتشف الآن كيف ذاع منظر أوليات السهر عندنا

وعندهم لقد كنا نعدل برأسنا دائما عند وصولنا عن القاهرة ولكن الشمس كانت مبهمتها دائما ، وبذلك فقدنا التحكم في الرصد بوجه عام وكانت أول كلمات نحى بها كل قادم جديد هي : « هل نرى كم الساعة الآن ؟ » وكان القادم يرد دائما بأن هذا هو نفس السؤال الذى كان هو نفسه على وشك أن يسأله إياه . وتطمينت المشكلة أخيرا حتى اكتشفنا أننا كنا نضى حوالي إحدى عشرة ساعة من اليوم إلى ثلاث عشرة ساعة بالإضافة لبعض ساعات الليل . فقررنا اضطرار حرموم تقديرى بحيث نعدل ان الساعة نبلغ الساعة عند شروق الشمس ونبلغ السادسة عند غروبها . وكل في ذلك تلبية لكافة الأعراس .

وحسب هذا التوقيت الذى ابتدأناه كان نجم الصليب الجنوبي يظهر كل صباح ، ولا شك في أن رؤيته من (أبو سنبل) أفضل من أى مكان آخر . والنهر هنا شديد الاتساع ، وحيث ترتفع مجموعة البروج بوجه فتحة في الجبال التى على الضفة الشرقية ، وبذلك فاب هذه النجوم الأربعة يمكن رؤيتها من خلال فراغ واسع من البحر بالرغم من أنها كانت لا تزال مختبئة في السماء ، وبذلك يتولد عنها منظر أعظم مما يتوقعه الأسلاف . ربما لأننا كنا نشاهدنا من رفوية مختبئة جدا . وإذا قلنا ان مجموعة البروج قصرت أبعادها في المنظور ، فإن صدى ذلك سيكون مخيفاً ، ولكن هذه هي الحقيقة التى تتعلق بالصليب الجنوبي عند (أبو سنبل) وإذا نظرنا إليه من زاوية تبلغ حوالي ٣٠ درجة فلابد وأن يظهر مضموها وظلها . وإذا نظرنا إليه وهو يحترق في سميت الرأس فإنه سيصل بلا شك ال مستوى شبرته المرفوعة . والآن فإن ذلك هو اليوم الخامس بعد عودتنا من وادى حلفا عندما حدثت أحداث النار حيثقلنا إلى أهل درسة من الآثارة وبعثنا إلى قمة التوتري خلال بقية الوقت للتأق لنا .

كان اليوم هو الأحد والتاريخ هو ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤ ، لما الوقت حسب ما تدل عليه ليلة فهو حوالي السادسة عشرة صباحا عندما كان الرمام يستمتعن بيومهم السابع من أجازته بعد عودته وقد خرج يشغمو الهوى إلى الصبحور ، وقد حدث أن إتجه بخطواته جنوبا ، وبعد أن عبر مدينة السيد الكبير صعد إلى قمة وبرة غير مسطحة الشكل مكونة من صخور ساقطة وزعاج ، وحافظ من الطوب مقابل الركن الذى يسير فيه الجبل ناحية النهر . ولا تظر من هذا الركن بسرعة نحو الجنوب واقترب حتى مسافة صيفة من حافة بارزة من الصخر الضيق ، وجد مائدة للقرابين منبرتين وملوتتين ، يوجد تارمتها إلى امام التماس الثلاثين من حكم وصميس الثاني . وقد رأيناها من النهر عند عودتنا من وادى حلفا .

ولسطينا دومة بالنظر من هذه النقطة . وحذف النظر عن حقيقة أيهما
مدينتان وإن الأولى كأي ما زال يلح غولتها ، فأننا لم نلاحظ شيئا يلفت
الانتباه في هذه النقوش لأنه يوجد الكثير من أمثاله في (أبو ميسيل)^١
ولذلك فإن رسامها لم يضر لنفس اللوحات فقد كان متدهنا لجمال
النظر -

ويجوز أن استعمل للمعدة آثار انتباهه بعض النقوش المشوهة
على الصخرة التي تبعد عنه ياردات عن الركيزة الجنوبية للمعبد . لقد
رأى هذه النقوش من قبل " ورأيها أما أيضا عندما كنت أبحر في اليوم
الأول بحثا عن وجهة النظر دون أن أهتم بها - كان النقش غائرا ، والتنفيذ
رفيحا ، والسطح مكمورا بحيث لم يبق من النصوص إلا خطوط قليلة
لدى الأرتباك " .

أما المتي . الذي آثار انتباه الرسام الآن فهو شق طويل عمودي على
وجه الصخرة - ويبدو أنه حلت عن عمد ربما بسبب عاصلة شديدة -

فأخفى ظهوره وإزال الرمال بيده جانبا . فلاحظ أن الشق أخذ في
الانحسار ، فبلغ فيه طرف عصاه ، ووجد أن عمقه يصل إلى دمعين أو ثلاثة
القدم - وحيداك حفر له أن يتوقف ليس لأنه اصطنع بهائق . ولكن لأن
المنق لم يكن متيسرا بما يكفي لمرور الطرف المسبك من الصا .

وقد آثار ذلك دهشته لأنه لم تكن هناك أية شائبة في الصخرة
الطبيعية . وفكر في أن يضي إلى أبعد من ذلك فأراح بعض الرمال مرة
أخرى ، ومازال المنق يتسع ، وبلغ بالصا مرة أخرى . كانت الصا
في حرية العمل مثل الصا المستعملة في تسليق الجبال ، ويبلغ طولها
نحو خمسة أقدام . وعندما دفنها في الشق للمرة الثانية مضت معه
في حرية حتى الطرف الذي اتصلك به في يده . أي إلى عمق حوالي
أربعة أقدام .

لقد اقتنع الآن بوجود فكرة مخفية في الصخرة ، فقام بفتح
السطح بناية ، فظهرت بعض الحروف الهيروغليفية وحزء من خرطوشين
مع بعض الخطوط الخلوية المبطية للأشكال قديمة - وقد ضاعت رؤوس
هذه الأشكال في هذه البقعة ليزيل وجه الصخرة التي كانت مرسومة
فرقه بكامله ، سبنا كانت هي مخفية تحت الرمال ابتداء من وسطها
ولم نستطع الكشف إلا عن بعض الأضيق والألوح فقط -

كانت هذه الأيدي والأذرع تخرج لربمة من الأشكال . اتان منها
في وسط التشكيل والاندان الأخرى في الطرف البعيد . أما الأنيان
اللذان في الوسط واللذان كانا يقفان وقد أول كل منهما طوره للأخر
فهما اتان من الآلهة بسما كانت الأشكال الأخرى تمثل العائدين .

ولاح في دهي الرسام أنه قد شاعده حده المجموعة من قبل حاملة
قوده أحد المداخل . وعاد اليها وقد أحس بأنه على وشك تحقيق كشف
علمي . وأخذ منه سلام ومعه على . ولم يقل كلمة لأحد . بدأ العمل
مع هذين الاتين في إزالة الرمال في القصة التي أعيد الشق يسمح
منحها .

وفي نفس الوقت كان جرس الفداء قد دق ثلاث مرات فاستجبت
الرسام كان يتجول في مكان ما في الصحراء ولذلك جلسنا لتناول
الطعام بنوبة . وعندما اخترعنا من نهاية الفداء وصلت اليها مجموعة
مكتوبة بالقلم الرصاص مكتوبها كما على :

« من ضللكم احضروا حالا . لقد وجدت مدخل مقبرة . من فضلكم
أوصلوا بعض الساعات فكلنا - 1 - 2 - 3 - من . »

وتبعنا الرسول مرسلا إلى موقع العمل حيث شاهدنا النوبة
المسماة . كنا هناك بعد أقل من عشر دقائق . وأخذنا ونس جهود
الأنفاس نسال أسئلة . ونختلس النظر إلى داخل القبرة الأضنة في
الانساع وساعده في إزالة الرمال .

ولقدما بعد ظهر يوم الأحد غير مهتج بأن صاب بضربة شمس .
وغير متجهين للجهاد . وقد وكزنا على أيدينا وركبنا تمت أنسة الفس
الطارقة . وحضر اليها طية المعارة وأغلقوا يعملون مثل النور . لقد
ساعد الجميع حتى الترحيل واللذان . وعندما كنا يتوقف لانقطاع
الأنفاس كنا نطلب بعضنا بعضا قائلين :

« ماذا كان سيقول أصدقائنا في الوطن لو شاهدونا في مثل
هذه الحال ؟ »

وأصبنا الآن أكثر من أي وقت مضى بالحاجة إلى الألات
فلو كان لدينا مجرعة أو اثنتان وعربة يد ذات عجلة واحدة ، لاستطعنا

على المعجزات - ولكن لم يتوحر لنا إلا مجردة فتم صخرة ، وعكسة من
الليف ، وسنار من سلال المعجم الباني ، وحوالي عشرين دويجا من الأيدي
البشرية ، لقد كنا قفرة جدا ، وقد استطعنا أن نسجل بالأسلوب ما كنا
يحتاج إلى الإيجاز بالوسيلة - قام بعضا بإزالة الرمال ، وقام البعض
الأخر بوضعها في السلتين ، وحمل البعض الآخر السلتين إلى طرف
الصخرة وأفرغها في النهر ، لما الرسل الكسول فقد شغل نفسه
بمفر قنفة إلى حيث كان المنحدر شديد للاعتدال لمسهل العمل ، وحافظ
على بقاء القنفة حالية ، مما جعل الرمل يتدفع منها كما لو كان سلا من
الماء .

وفي نفس الوقت أصبحت الفجوة تتسع سريعا ، وبعد مرور ساعة
من بعد العمل الذي يقام الرمثام والبحارون وجدنا ثقبا يسمح بمرور يد
الإنسان استطعنا من طريقه أن نلمح الخواطر الملونة خلفه - وبعد
غروب الشمس كنا قد كشفنا عن قمة المنحدر - وعندما انتهى المنسق
إلى كسر مثلث التبرك ، وصلنا إلى قفرة تصل مساحتها إلى حوالي قدم
ونصف قدم مربع - وكان معد على حو قول من دخل فيها ، وكبناه مع
شعرة وعلة تقاب ، ولكنه خرج مسرعا قائلا لها تجربة رائعة العمل
وداخلها مضى .

ثم دخلت الكاتبة بيده فوجدت نفسها تظهر من قمة منحدر دمل
إلى غرفة صغيرة مربعة ، لما هذا المنحدر الرمل الذي يرتفع حيا إلى
حوالي قدم ونصف قدم من قمة المنحدر ، فقد كان مكوما إلى السقف في
الركن الذي خلف الباب ، ثم المنحدر بعدة إلى أسفل ، حتى غطى الأرضية
تصامما ، وكان هناك ضوء كاف لرؤية كافة التفاصيل بوضوح ، فهناك
الأفرز الملون الذي يدور تحت السقف ، والنقوش البارزة المرسومة
على الجوانب وقد لونت بالألوان زاهية ، والرمل الناعم المكون بالقرب من
القمة حيث دخل معد على - ولما لم يتوزع إلى أية ناحية أخرى بطل
إنسان ، فإن الفتحة الكبيرة في وسط السقف حيث أقسمت الصخرة
الطريق والقطع المساقطة على الأرضية ، كل ذلك دقن مظهره لأن تمت
الرمال .

وشرعنا بالرمال لأن المكان لم يمسسه أحد - وخرجت الكاتبة
زاحفة ، بينما دخل الآخرون راكعين ، واحدا فواحدا - وبعد أن شاهدها
كل منهم بدوره ، ثم انغلاق الفتحة في المساء ، ومنع البحارة من الدخول
حتى لا تصار الزخارف .

وفي هذا المساء عندما سجدنا استشفينا حيث قررنا أن يصبح
 تلميذ والريس حسن غداً لى أقرب قرية للحصول على حلمات خضراء
 من المواطنين الإثريه . وقدونا أولاً نستطيع مساعدتهم إن اكتشف عن
 المكان في مدة يومين يسهولة ، ونتمسك ان نكتشف عن المسجل الى مكان
 الموياء أسفل القبرة . إما لنا كانت مجرد هيكل صغير أو عرقه مثل
 تلك الموجودة في إيريح مشعر بالرضا ؛ لأننا على الأقل قد شأحدنا
 كل ما قمستته من رسومات ونقوش .

وقد حدث ذلك بالفعل ولكننا في صباح اليوم التالي علينا بيجد
 حتى منتصف اليوم - ثم اتخذ رفاقا الوطنيون وعددهم حوالي الأربعين .
 طريقهم الى مركب قديم صخري كان قاعه حثثنا بالماء حتى المنتصف .

قد طلبنا منهم إضمار أدوات وقد أحضروا بعضها ومنها مجدهالان
 مكسوران لاستخدامها في الحفر . وبعض السلال وعدد من القطع
 الخشبية التي كانت تربط بين قطعتين من الجبال . وبقم سحبا بطوله
 السطح . مثل الطرف الكوي من قطع غير متجانسة . وكانت جيها
 طليقة بحالتها الرائعة . وقد استخدمت هذه الألواح في رحلة مريوحة
 من المدخل الى السجرة الى حافة الصخرة مع الفناء البهائم . تم دفع هذه
 الألواح حتى استطاع الرجال اخلاء سبيلهم الى المدخل . وكان ذلك تسببا
 في قيامهم بسبل أضافي حتى بعد ظهر اليوم . وعند غروب الشمس .
 وبعد أن قمستوا ، كان الممر قد تم تحريكه الى عمق أربعة أقدام مثل
 نموذج صغير لشط سكة حديد يمر بين وديانين من الرمال .

وفي صباح اليوم التالي حفر الشيخ نفسه وفعه ابنان ، ورتبهما
 مائة رجل . وكان هذا العدد أكبر ما أريدناه . فخطرت لنا فكرة إبتزاز
 الأموال - وقد يرمي الشيخ على أنه صهوة طيق الأصل من رشوان
 ابن حمس الكاشف الذي استبح الزوجان البسندان من قبل بصافته
 الكريمة لمدة أسبوعين . ولذلك امتقبلناه بالترحاب . ودعواتنا لتناول
 الفداء . ولكن ننهي العمل بسرعة قمنا الرجال الى مجموعات تحت
 إشراف الريس حسن ، وكبير البحارة . وعنه الظهر أريحت الرمال عن
 الباب حتى حثته السفل وظهر الماطل الجنوبي والشمالي بكاملها .
 وقد اكتشفنا الآن أن الأطلال التي سبقت الحائط الشمالي ووسط الأرضية
 ليست كما افترضنا من قبل مجرد كومة من الأجرء الساكنة . ولكنها
 صخرة مبلية مغطت بكاملها من أجل . وكانت من العصب نكريكا ، فلم
 تكن لدينا أدوات للقطع أو التكسير . وكانت أعرض وأعلى من المدخل .

كما ان محاولة إخلاء الرمال التي ترتفع حديدا إلى السقف مستعرق وقتا طويلا وقد سبب أضرارا جسيمة للزخارف التي حولها . وقد بهت لجمال اللون حيث كان الرجال قد أحيوا ظهورهم فصارت الحوائط كلها مسنة بالمرق .



• مظهر الهيكل الصغير •

ولما نظمت انه لم يبق كشمس حوالى ثلاثة ارباع الرحارف ، وأنه لم يكن هناك سوى دو أهله خلف الكنيسة الساقطة ، قررنا ألا نستمر في العمل أكثر من ذلك .

وعلى نفس الوقت قصصنا وقتا سعيدا ونحن نلهو مع شبيحة المومياء وهو رجل طويل حسن الملامح يتميز بالكثير من الكبرياء الطبيعية . وكان يريدى ملابس فاخرة وعمامة بيضاء. قد ربت لعائتها بعناية فائقة ، كما لف حول رصته شالا أبيض اللون وارتدى ردا طويلا مفتوحا من الصوف الأسود ، وعمامة حارجية من القماش الأسود العاخر ذات أكمام وقلنسوة .

وقد ارتدوا إلى قلوبهم جوارب بيضه وحذاء مخربيا قرمزي اللون . وقد ازداد حرجه عندما واجه المسكين والفيرة وظهور أنه كبير السن بحيث لا يستطيع أن يسأله طعمه بنفسه . ولابد من وجود من يطعمه مثلا . كان لدى عطاء الرجال من المصور الوسطى دواقة يوم يتلقون السيد . ولا كان يلجأ هؤلاء لهذا العمل فيه الخطأ بأصابعه أحرأ ، من لحم البنان والبنجاج وغيس قطعا من الحبر في الصلصة ، ووسع كل لقمة في ثم صيفنا الضيق كما لو كان الصيف المذكور طيفا .

وعند تقديم الحلوى أخذته السيدة الصعبة والسيدة (ل) والكانة في يده ، والسيدة بكافة أنواع المربي والفواكه المخطوطة . ولد سيد الرجل المسكين بهذا الاحتفال فاكل كما لم ياكل من قبل . ووضع يده على المنطقة التي قل قلبه . وطلب الرحمة .

وبعد الظهيرة دخل فارجلته ، وقسمت القهوة فلم تجبه هويوتا فتدوقها وأعاد الفينجان سريرا . وهو يقول للادل باعتناق أن البين استرق أكثر من اللام وصارت القهوة صعبة . ولا اعتلوا في ذلك نصف بأسلوب النفاق الشرقي المعروف وقال أنها قهوة جيدة .

وكان من السهل تسليته لأنه كان مهتما بكل شيء ، بنظارة الميدان الخاصة بالسيد (ل) والإكودويو الخفس بالرسم ، والبيانو ، وريسة فتح الرحاحات . وقد سمع جدا عنهما أعطياه القليل من الكولومبيا ، ومررها على لحيته . وأخذ يشها وعينه مغطتان في حالة من الانتماس . وكان فتح موسوع الحديث هو الأمر الصعب كالمادة . وعفما ذكر لما أن ابنه الأكبر هو حاكم القدر ، وأن أصغر أولاده عمره خمس سنوات ، وأن بلغ اليد أفضل من بلغ وادى حلقا . وأن أمالي النوبة فقراء . وصل إلى نهاية موضوعاته . وأخير طلبه اليسا أن ينقل عنه خطابا إلى أورد دي الذي استضافه على سطح دهمته في الامام الماضي . ولا سألناه عما إذا كان قد أحضر خطابه معه من رأسه كاثلا . سيقوم ترجماتكم بكتاتنه .

وسرعان ما تم احضار الورق وقلم المسط وكتب تلخيص ما لعل عليه كما يلي :

• الرب يفتك . أتسى أن تكون في حالة طيبة . واني آسف لأنه لم يصلني حاك أي خطاب منذ كنت هنا - أخوك وسديك : دهبوان ابن حسن الكاشف . • وكان خطابا موجزا وضي بالعرض .

وعندما وصلنا الى مرحلة النصب لم يكن تخطيط المجمع الوجيه
 صعبا . فانه ارسلنا أولا قى طلب حسيث وجلا ، وكان النسي المتفق
 عليه حسة قروش لى حوالى شلى اجليرى يوميا عى كل رجل - وردا
 على ذلك وصل اليينا أولا اريصون وجلا لثة نصف يوم ، ثم مائة ليوم
 كامل ، وبذلك يكون المجمع ستة جبهات لقاء اجور الجريح ، ولكن
 اتحاد الكاشف لا يسمعون من شىء على مثل الوضه الملقط الصريح ،
 حطاب لبر مائة رجل عى يومه كاملين ويغلبه لسهه وبقتيها حاصا
 يفتح لقاء . ولما وجد انه طلب أكثر مما يمكن أن يحصل عليه ، وضع
 لمساءلة الأجور . ولكنه امر على طلب حقيب لصل الصوامع التى يسم
 صفعها ، وطلب روجيا من المسلمات . وأحيما اجبر على قبول مبلغ
 ستة الجبهات لبر لرحاله . وإن يأخذ لنفسه يرطانيق من الرى
 وعليتي من السردين ووجاجة من الكولونيا وغاية من أقرامى الفراء ،
 وتصف جتية انجليزى من الذهب .

وعنه الساعة الرابعة انصرف هو ورحاله . وقضينا اليوم التالى
 بكماله فى العمل داخل وحول الهيكل . وقامت السيدة (ل) والسيدة
 الصغيرة بفتح كنههما وأشغال الأبرة الخاصة بهما الى هناك ، وحملنا منه
 غرفة استقبال وقامت الكاتبة بنسخ الزخارف والنقوش . أما الرجل
 الكسول والرمام فقد قاما بقباض ومسح الأرض حول الهيكل مع محاولة
 عمل رسم لبعض أقسام الحائط والأساس التى لم تنكشف بعد .

ولد استطاعا بفضل الفحص اللغوى لهذه الخرائب . وإخلاء الرمال
 هنا وهناك ، أن يصلا الى اكتشافات أخرى . فوجبا أن الهيكل يتم الدور
 اليه عن طريق صالة خارجية كثيرة عيبة بالطوب المصنوع فى الشمس ،
 مع مدخل رئيسى واحد فى مواجهة البيل - ومعتلان جانبيين فى اتجاه
 الشمال . أما الأرضية فقد دفنت فى الرمال والأقفاش . ولكن معظم الحوائط
 طليت ظاهرة فوق السطح لتبين أن السقف كان طسيا وإن المدخل كانا
 على شكل عشرين .

وظهر لنا عند إزالة الرمال أن الحائط الجنوبي لهذه القاعة لا يش
 مسكه عن عشرين قدما . ولم يكن ذلك صعبا فى حد ذاته . فقد كانت
 هناك فى الجبامى المصرية حوائط مبنية من الطوب بلح سمكها ٨٠ قدما (١)

(١) يذبح سلك حائط السور فى مسجد تانيس الكبير ٨٠ قدما . انظر كتاب : تانيس .
 جلم و م - تانير يترى الجزء الأول نشره مشرق لستشكاف مصر . ج ١
 ص ١٨٨ - [ملاحظة مشفلة لى اللبحة القاعة] -

ولكنه كان مثقرا للجيب لدى مفارقتة بالعائطين اللذين في الشمال الشرقي
والغربي . واللذين يبلغ مستويا ٢ القدم فقط . ولا كان من الواضح انه
لا يمكن ان تكون هذه الكتلة صلبة بل ان الرجل الكسول في السبل مع
النس من الجحاة قصص الجزء . الأمامية عنه . وسرعان ما اتضح وجود
فراغ مجوف يبلغ عرضه حوالي ثلاثة أقدام يسد ما بين الشرق والغرب
وليس في وسط البنية بالضغط .

ودفع الرجل الكسول انصايه مرة واحدة في جمجمة . وكان ذلك
حادتا حشاشا وغير متوقع . لانه حتى هذه اللحظة لم يخل شيئا ولكنه
استمر في حفره بزيغ الرمال وتخصص طريقة تحت المسطح . وفي
اللحظة التالية اصطدمت يده بحافة وعاء طبسي قسجه بصلية . كان
ظرفه يبلغ حوالي اربع بوصات ومقبضه متاكل ومملوء بالرمال واعلن
حيث ان اكتشاه . وأسرع الجميع نحوه للمساعدة في العمل .
وسرعان ما انقلبت البججة الصغيرة . ثم ظهر وعاء آخر . ثم ظهر تحت
مكان الأوعية هيكلان عظميان مفككان ومتصلبان قريبا ولكنها كغلاي .
كانت هذه بقايا طفل وشخص بالغ صغير ربما كان امرأة . كانت الأساس
سلبية والحمام دقيقة وحشة . اما عن البججة الصغيرة (التي سقطت
عند الرقة) فقد كانت صافية وحشة وقابلة للكسر من ناحية البنية مثل
كوب من ماء الزليق . ووضعنا العظام جانبيا كما وعدناها . واخذنا في
قصص كل حفنة من الرمال على أمل اكتشاف شيء يمكن ان يلقى الضوء
على أشخاص المفقودين . ولكن بلا طائل . فلم نجد شريطا من القماش
أو حذوة أو قطعة معدة أو أي أثر صغير شيء يساعد للحكم على ما اذا
كانت هذه النشاي في مكانها منذ مائة عام مضت أو ألف عام .

والآن . استطعنا جمع الحجارة واستوردنا في الحجر الى أسفل
داخل ما يبدو انه قد سبق تبليغ مساحته حوالي خمسة عشر ألفا طولا
وثلاثة أقدام عرضا .

وسد التامل اقتضينا بأسا عثرا على حجرة نوبية بالصيغة . وأن
الأوعية (التي اطلقنا عليها أولا اسم قوارير الرماد من باب التكريم) لم
تكن الا قوارير الله المتعادة التي كانت توضع بحوار ولس الميت . ولكنها
لم تكن حشاش في حالة تفسية تسمح بالتأمل . وتأكدنا ان هذه الحجرة
لم تكن الا غرفة صغيرة لحفظ الجثث . وان النقص لم يكن الا حجرة وأسيه
تعود الى غرفة الدفن . وأما متجته تحتها . . من يستطيع ان يذكر ماذا ؟
ومعوقات - ربما . ونواويس وتماثيل جنازية . ومجوهرة . وأوراق

بردية ، وجوانب لا متناهية ! جعلت القعدة يسهون على الإطلاق في مودة
مثل هذه المقرة إلا عناية ما جعلها تبدو عريضة بالنسبة لنا ، وهذا بعد
أن افترضنا أنه بقايا تربية ؟ ولذا كانت الحجة القوية في الطبقة العليا
فلماذا لا تكون هناك حجة لقصة المصراع في الطبقة السفلى ؟

ومع استمرار أعمال الحفر ، وجدنا في المقطع يمكن التوصل إليه عن
طريق سطح مائل شديد الانحدار ، لم يتحول السطح للمائل ليصبح مسطحا
ذا درجاة ضعيفة يالدة . وكان يعود إلى مقر مربع صغير على صق حوالى
اثنى عشر قدما تحت مستوى سطح البحر يسط منه مدخل رئيسى وممر
مفتوح على القاعة الأمامية المقمرة (١) . وقد أدى بجوارتنا صموبة عظيمة
في حفر هذا الجزء بسبب ثقل وزن الرمال المتراكمة والجطلم المندفق من
الجانب الآخر للمقبرة . ومع انخلاء الأرضية تشكلوا من كتف الأرض
التي كانت مسلطة بالأمم من الفخار مثل قاع مقاس السوائل . وهذه
الأمم التي استخرجها منها حوالى ثمانية وعشرين أو ثلاثين تمعا لم
تكن على الأقل تشبه بالأمم الحسارية التي وجدت مهلة في طبقة
لأنها لم تحبل أى حتم . وكان شكلها الكسر وأكثر صلاوة . وأخيرا
وبعد أن أبدنا جميع الأمم وصلنا إلى أرضية مضبوطة وصلية من
الصصلال المصروق .

وفي نفس الوقت كان الرسام منتغلا في الصل أيضا . لقد نتج
الفائز ورسم خطا تخطيطيا للأرضية . واستدج أن كل الكتلة المتصلة
بالحائط الجنوبي للمقبرة كانت في حقيقة الأمر مكونة من خرائب إحدى
البوابات التي كان سيك حوائطها صلبة لقدام . وقد بنيت في خطوط
منتظمة من الطوب الرمل . وانتهت في الرواية بالمصولة الفاتلة المتتادة .
أو الأفاريز الدائرية . وقد زال المتن كله بصمراته وحبراته وأفريزه
الطوى . وأن الجزء الفنى نتم به الآن كان مجرد القاعدة وتفسر قاع
المسلم .

(١) ساء الاحتاد فترة طويلة بأن المصريين لم يعرفوا فكرة القوس أو المد في
بنيانهم - ولم تكن تلك من القضايا ، فهذه مقبرة من القصور تعود إلى أيام رمسيس الثاني
خلطه في بنائهم في شدة وبخيرا من الأماكن . ولكن المفرد نادرة في مصر بوجه عام -
وقد هذا بملء لسانه وخلفه حرة أخرى . وكذلك الجرد الأكبر من السمل للمصولة طوى
الجزء المسلق .

وقد قضى الرعم التخطيطي الذي قام به الرسام على كل كمانا في
 بسيطة واضحة - فلم يعد المقعد عفا ، وكذلك فإن السلم لم يعد يقود إلى
 غرفة العفن - ولم تعد الأرضية المبنية من الطوب تغطي مساحاً شرياً -
 وتبينت المرميات في الهراء - ولم يعد لدينا سبب يلجأنا إلى الاستمرار
 في الحفر - وتصرنا بالإحباط إلى أبعد الحدود - وقلنا لأخسنا في رأس
 أن اكتشافنا لجواريه صخه من الطوب ملك التي لم يتنبه إلى وجودها
 غيرها من السياج الذين سبقونا - كان حدثاً له أهميته القصوى أكثر من
 مجرد اكتشاف مقبرة - لقد اعتدنا على اكتشاف المقبرة ونحن إذ نقول
 إن احتجابنا باليواية لم يكن بنفس الحساسية -

لما وقد تيمنا مسير الحفائر إلى هذا المقي ، والطريقة التي كان
 كل اكتشاف يقودنا بها إلى اكتشاف آخر مترتب عليه طوره خطوة ،
 جعلنا أشعر بضرورة أن نعود الآن إلى المقبرة ونحاول أن نكشفها بقدر
 الاستطاعة ليس فقط اعتماداً على مذكرات التي دونتها من المكان ، ولكن
 على صور تلك المخطوطات التي دونتها فيما بعد عن الإضاءات التي تدعى
 إلى نفس الطراز والفترة الرسمية - ولابد أن أقدم لحديثي بأمر لم أجد
 قادراً على الفحول فيها أثناء قيام الحفائر بالعمل - وقد هي لنا يوم
 واحد فقط من (أبو سنبل) بعد انتهاء العمل ، وهكذا لم يعد متاحاً لي
 الكثير من الوقت ، لقد أدركت أن أهمل صورة ملونة لمبيع النقوش الجدارية
 ولكن ذلك لم يكن لي استطاعتي ، ولذلك اضطررت إلى الاكتفاء بنسخ
 النقوش وعمل صور تخطيطية لقليل من الموضوعات ذات الأهمية
 القصوى -

كانت الغرفة المنحوتة في الصخر التي سبق أن وصفتها بأنها هيكل
 والتي اعتقدنا في البداية أنها مقبرة ، وهي ليست كذلك في حقيقة الأمر -
 لقد كانت هيكلًا أثرياً نصف مسمى ونصف مخزون - مما صرفاً زمنياً للمبعد
 الأكبر - ويتشابه هذا الأمر في بعض جوانب التصميم مع المبدأ المتصور
 للقام في ست الوالي - ومن الواضح لأول وهلة أن الموانع الخارجية
 ثلاثية كانت تنحط في الأصل شكل المقود ، وأن النقوش المنحوتة فوق
 مدخل الصخرة المنحوتة في (أبو سنبل) تنحط في موضعها ومعالجتها
 مع تلك الموحدة على المدخل مع الأجزاء المنحوتة في بيت الوالي - أما فيما
 يتعلق بالمفهوم العام فإن أثر (أبو سنبل) يسلج بحث نفس المتناول
 مع المعابد المتأخرة له في الدرع وجرف حديق ووادي السيوع ، من حيث أنه
 طراز مختلط يربط ما بين الطير والبسة - وسعدو أن هذا الطراز كان
 شائعاً على أيام رمسيس الثاني -

ويبلغ هذا المدخل للمحور في الصحراء في الراوية الجنوبية الشرقية للصخره ، منه واجهة المصد الكبير بقليل وصالة المدخل التي تمتد من الجنوب الشرقي الى الشرق وتتحكم في معظم المنظر الذي يرتفع الى مستوى مفيد حتمو ، وحده البوابة المخفورة يصل عرضها الى ٢١ قدما ، و٢٤ بوصة ، ويبلغ طولها ٩٤ قدما ، و٨ بوصة ، أما الارتفاع من الأرضية الى السقف فيبلغ حوالي ١٢ قدما - ويبلغ عرض المدخل ٤ أقدام ، و٣٧ بوصة ، كما يبلغ السجوة الخارجية لملار الباب ٥ أقدام ، وهناك قنجان كبيران مستديران أحدهما في المنية والآخر في العارضة العليا فوقه الباب وحدها يحددان مكان المحور الذي كان يدور حوله الباب يوما ما .

وئيس من المدخل فيساس الصالة الخارجية في حالتها اخرية والمدرجة حاليا ، ولكننا بقدر استطاعتنا نقول في ابعادها هي كما على . ٢٥ قدما للطول ، ٢٤ قدما للعرض . ٦ أقدام عرض المدخل الرئيسي للداخل للنبيل ، ٤ أقدام ، ٦ أقدام للداخلين الجانبيين على التوالي . ويبلغ سبك الحوائط المنية من الطوب ٣ أقدام ، وهناك عاوستان وأسيستان للباب على كلا جانبي المدخل الرئيسي لهذه الصالة المنيرة من الطوب . وعلى بعد حوالي ستة او ثمانية أقدام أمامها ينتصب صفوان حجريان فوق قاعدة من حجريين عليها نقوش هيروغليفية .

وقد وجدنا احد هذين الصقورين في مكانه . بينما كان الآخر ايمده قليلا - وقام الرصاص الذي لم يتوقع اكتشاف أي من هذه الأشياء بعد المفاجآت باستخدامها كمنود ، وبط اليه احد الحمال الرتبسية لينة الرسم الخاصة به ، ووصفت لوحا هيروغليفيا فيها اطي أنه كان يشكل جزءا من الباب ، واقفا عند جانب البوابة على بعد ياردات قليلة بالقرب من النهى .

وما تمنا نبحث عن المدخل والصالة الخارجية فان الرسم التخطيطي المرفق لأرضية المصد الذي أنشئ، على أساس القياسات التي قمت بها من جهة وعلى أساس الجزء الذي استمرته من الرسم التخطيطي الذي قام به الرسم من جهة أخرى ، يمكن قبوله بوصفه وصفا صحيحا - أما فيما يتعلق بالبوابة فاستطيع ان اتول بكل ثقة ان السلم الذي تقع في الوسط يبلغ عرضه ثلاثة أقدام ، وان سبك الحوائط اللذين على جانبيه يبلغ سمكة أقدام بالرغم من صعوبة ذلك لأنه مدفون بين الأتقاض والرمال ما يصعب معرفة أين ينتهي الباب وأين تبدأ القبة في الطرف الذي يلي نهر النيل - ولذلك تركنا هذا الجزء غير محدد في الرسم التخطيطي للأرضية .

ويقدر استطاعتنا كم تساعد أية دعائم حجرية في الجانب الشمالي
للحوائط الإمامة - ولو كان هناك شيء من هذا القبيل فمن الممكن اكتشاف
بعض بقاياها مع استمرار احلال المنطقة من الرمال ، وهو عمل مثير بالتسعة
على الله وقت غروب للقيام به .



حوائط من الكاريد *

وسأحدث الآن عن رحاب المدخل والجانب الداخلي للحوائط التي
يرجع من أسفل السقف إلى حوالي ثلاثة أقدام من الأرضية ، وهي جميعها
مغطاة بنقوش موضوعات دينية مبطورة بالحرف النور وسقطاء ، كما هي العادة
طبقة من الجص وملونه باللونين زاهية لا أعرف لها مثيلا فيما عدا مقبرة
سبتى الأول في طبقة (١) وهذه الألوان في المنطقة التي تملأ مستوى
الرمال التراكمية لآمنة وجيفة المظهر كما لو كانت قد انتقلت إلى هذه
الحوائط من بابطة الرسام . لما كافة النقوش التي تحت هذا المستوى
لقد كانت ممتدة ومهلهمة *

ويحيط بالصنف الفرير من الحرايطي التي تحملها الحيات المقدسة ،
وقد انقسم كل حرايطي مع حياته في الحرايطي التي يليه بواسطة
شكل جالس صغير ، وتتخذ هذه الأشكال وؤوسا رمزية لآلهة مختلفة
مثل رأس البقرة لآلهة ححور ، ورأس أبي قردان لآلهة تموت ، ورأس
الأسد لآلهة حورس ، ورأس ابن آوى لآلهة أنوبيس ، الخ ، الخ .
وتتضمن الحرايطي الطراز المتداد ، والتكافؤ الملك رمسيس الثاني
(أوسر - ماعت - رع - سحتب - أن - رع - رمسيس مري آمون) وتحيط
بها مجموعة من قرص الشمس ، وقد وضع تحت كل إله جالس الحرف
الهيروغليفي الذي يمثل (مري) أو (محبوب) *

وعن طريق هذه الوسيلة فإن الاندراج كله يدل على عباد اسطورة
مرتبطة به ، ويصفى الملك ليس فقط بأنه محبوب آمون ، بل أيضا بأنه
رمسيس محبوب حنحور وتموت وحورس ، وبالاحتمال فهو محبوب كل إله
ظهر في المسلسلة ، وهذه الآلهة فيما عدا الإبريز متطابقة في التصميم
مع الاندراج الموجود في القاعة الأولى بالمسد الكبير .

(١) للحرفة باسم بلاوي *

الحناط الغربي (٦)

ينقسم الحناط الغربي أو الرئيسي الذي يواجه الممثل إلى موضوعين كبيرين يحظى كل منهما على رقمين كبيرين من المعلومات . ففي القسم الأيمن يقوم الملك رمسيس الثاني بالتعبد للإله رع . أما في القسم الغربي فهو يتعبد للإله آمون رع . وهذا الترتيب يتفق مع ذلك الموجود في المعبد بين الآخرين حيث تحتل الموضوعات التي تخص آمون رع النصف الأيسر ، بينما تحتل الموضوعات التي تخص الإله رع النصف الأيمن من كل مبنى . ويفصل بين هذين القسمين شمار داني يعلوه راس حورس لورويس *Achert* أي حورس النجوم ، بروحه كبيرة (٢١) ويظهر



حورس النجوم (لورويس)

(٦) اكتب من هذه المعلومات متعربة إليها بالخط الشمالي والجنوبي والغربي والشرقي كما تموتنا باعتبار أن دمج أبياني موار لتليل ، أما الأثر الحالي لسفرا لا يسل ظرلا تاجا الجنوب . حول زاوية المستقرة فله يقع في انتهاء جنوب شرق إلى الشرق بدلا من الشرق والغرب كالسيد الكبير .

Horus Arcvris. « Celui-ci qui semble avoir été frère d'Osiris. Porte une tête d'épervier coiffée du tachent. Il est presque complètement identifié avec le soleil dans la plupart des lieux où il était adoré, et il en est de même lors souvent pour Horus, fils d'Isis. — Notice Sommaire des Monuments du Louvre, 1873. De Rougé. In the present instance, this God seems to have been identified with Ra. »

الملك رمسيس الثاني من الموضوع الأيسر وهو ليس الساجي الأحمر والأبيض ويلبس قربانا مكونا من زهرتين ملونتين متقابلتين ، وقد ثوبت البرصيان بالثوب الأزرق ، والفروض أيضا تحتويان على أحجار كريمة هي أحجار الكازورود التي كان قنصل مصر يربطها وكانت مرفوعة لديهم باسم حسبت . وكذلك كانت صفوية الملك وأسماءه وأساوره جميعها أيضا ورفاء اللون . ويجلس رع صريحا على العرش مستكفا في إحدى يديه بعلامة المسح ، أو الصليب ذي اللقبض رمز الحياة . ويسمى في اليد الأخرى صولجان الآلهة التي تجليه وأمر الكلب السلوقي (١) . إن رأسه رأس الصقر ويتوج بفرس الشمس والأفعى . أما لون بشرته فهو أحمر بنفسجي لامع . ويرتدي صندرية مزخرفة وصندرية نمية مكونة من حيات قرمزية ومسوداء متبادل ، وحزاما ذا لون أصفر تهيئ مرسما بأحجار حمراء ومسوداء . أما العرش الموضوع فوق صخرة زرقاء فهو ملون بخطوط مستطيلة حمراء وورقاه وبيضا . وللتصية منحرفة بصف من التتويج ذات اللون الفصبي وعلامات الفخ الملونة باللون الأحمر . وعند أقدام حمله الخصة هي الإله والملك يقف مديح صقر موضوع فوقه أزهار اللوتس الزرقاء يستقيها الصقار مع إله لشكب السوالى . وإلى يسار شعار حورس يجلس آمون رع أكثر الآلهة المصرية بقامة . وظهره إلى ظهر رع على نفس العرش بلون بشرته الأزرق الأسود ، وحزامه الملون من سلسلة ذهبية وعطاف رأسه الملون من ريش الطيور (٢) . وهذا أتاحت لنا الصورة

(١) Le sceptre à tête de Martia, nommé à tort sceptre à tête de cou-couba, était porté par les dieux. — Enc. d'Arch. Égyptienne : P. Pierret et l'Érie, 1873

(٢) آمون ذو البشرة الزرقاء هو الاسم طفرات هذا الإله وهو هذا يمثل الولاء الخفى الذي يحمل منه إلهه ، إله السموات والأرض وإلهاء والجميل .

« Dans ce rôle de roi du monde, Amon a les traits humains en blanc pour indiquer sa nature céleste , et lorsqu'il porte le titre de Seigneur des troues, il est représenté ainsi, la couleur en tête d'oursin » *Étude des Monuments de Karnak, De Rougé, Mémoires d'Archéologie, vol. I, 1872.*

وهذه عرفت مصر تلك كانت صيغة من صير إله آمون مثل تلك كانت صيغة من صير المنراه مريم في إيطاليا أو أسيليا . فقد كان هناك آمون خليفة . وأدون الفتيان وأدون لفة وأدون كيس (يافوريس) وتكون البيت وأدون الفتيان وأدون الشمس (آمون رع) وأدون الملك بذلك أي الذي خلق نفسه بنفسه . الخ . الخ ولا شك أن الآتين آمون وكعب صا إله وأدم . ومن المظاهر المهمة أن تورد الكلمات الإنجليزية الحديثة من كلمة كحياء المصرية هي أصلها التي الأصم كيم الذي اتخذ القدم كوة لعماد المصريين وتعالى إله الانشاكل والإعجاب ومناظر الخلق . ولا شك أن الزارع المصري قد اعتبر جميع هذه الآلهة التي أطلق عليها اسم آمون هي طرائف رمزية من إله واحد .

السيفه الذي يميز بها السطح. ووجه ابن التبايعي القدامه لم يستأثروا بمستخدم هذا اللون المختلط ما بين الأزرق والأسود فكان واضحا أن يشبه الآله له لوبت أولا باللون الأسود القائم ثم لوبت بلون عاجود من بوجرة الكونالت الأريق ، ومع ذلك استمر اللون الأسود ظاهرا ، وهو يحصل في إحدى يديه علامة العسخ ويسمى باليد الأخرى الصولجان التي تعلية رأس الكلب السفوقي . ويقدم اليه الملك يده اليمنى مرقومه ، وفي يده اليسرى سلة صغيرة تتخصص قريبا عبارة عن مثال صمم للآلهه ماعب الآلهه الحقيقية والمعدالة . وعلى كل حال فإن ماعب مجردة من ريشها الخبير ولسمك بالعصا التي تحمل رأس ابن أوى بدلا من علامة العسخ .

إما عي دلالة هذه الصورة الشخصية فانها لا تمثل أيأ من رؤوس ومسيب الثاني ولكن الملامح تحمل شها معينا للرسم الجاتبي المعروف لوجه الملك - أما تسمية الشكل فهو وخيق وعمل بالحركة . ويمثل الشكل بكل نقاته الخط الواضح والانسباي لل رسم التصميمات الهندسية المصري -

ويشير لباس الملك بلونه الفاضل ، للمعونة التي تشبه تاج الأسكف ملونة بلون الكونالت الأزرق (١) للرؤف باللون الذهبي . أما الحرام

(١) إن دلالة المصنوع منها هذه المعونة الرفاهة والتي ورد وسمها كثيرا على الآثار ، قد تكون هي مادة Homotic Kermes التي تجمع عليها للكثير من الفسيفساء والخمينيات ، والتي يقتصر مسطر جلفمسيو أنها كانت معدا من النحاس منظره . Juvareus Manual, Chap XV, p. 333 .

وتقدم لنا فكرة مشهورة في مجلة The Academy { ٨ يونيو سنة ١٨٧١ | الفصل الثاني من 'مناويح حلقية معينة مصنوعة من ' مادة ممبيرة ورقية ' اكتشفت في هيسنرلاند عن يد الدكتور خليفان ووجت مركزا تحت النوع المماسية التي ربما كانت ملونة بها ' وقد أجري عليها فحص معمقة العالم الفسيفسائي - لفسيفسائي (Berg, Hefman-Zeitung, XXXIV, 489) أظهرت أنها سلفات النحاس - وقد كان من تزيين المسمى مسورا للملصين في كورتاوس لكثيرة بالمسور المصنوع للمناسي في دائرة برون . ويبدو لنا من الاستعمال أن تكون هذه عينا لمصرية ، وإن اللون الأزرق قد انتقل إلى المسن من طريق خمسة وهو في درجة الانسوار في ذلك وتحويل السطح إلى سلفات النحاس ' .

ويلاحظ أن الفارسة والمصريين وهم يرتدون هذه المعونة الزرقاء في منظر المنابر وأنها كانت في معظم الأحوال مرسية بطيات من الذهب - ولذلك لتلايد أن تكون من المعدن . لهذا لم تكن من سلفات النحاس خلافا أنها كانت تصنع من المعدن الذي يبرك في القفل حالته مغطا في حسن الجزء وغير ذلك من الأسلحة التي توضع على الآثار باللون الأزرق .



وسيس الثاني المرسوم في الوثائق

والصنوبرية والأكام والأساور ، فكلها من الذهب المصبغ بالأحمر
الكرمة ، أما الأرضية فهي خضراء ذهبية ، ويحوم فوق رأس الملك
السر الخفي وتماز الآلهة موت وهي بسك يستلها نوعا من اللوحات
المملية قد رسمت عليها علامة النخ .

العاقل الجتوي

الموضوعات المرسومة على هذا العاقل هي كما يلي :

١ - وسيس بلجم الطبيعي يتصور حائلة القراية ، ود تعز
الملك غطاء الرأس القباقي ، النس = يتطوط ذهبية وبيضاء ومزخرف
بالأفني ، وقد تكلست المائمة كما هي العادة بالعمود والطيور والأرعار .

والمنطوق هنا سليم وتفاصيل هذه الأشكال قد نفلت بدقة محدثة . حتى اطراف الريش السوداء الكثيفة للأوزات التي حفر ريشها قد رسمت بنفس الخلاص القن الصيبي ، بسما ظهر جرح أحمر في صدر كل أوزة يوضح كيف تم ذبحها للتصنيعية - أما الأوزة فقد كانت مكونة من قرصين ، الصخر فوق الكبير وهو ما يطلق عليه حاليا اليوم اسم *Coltango leaf* وبها صس الهبوط الملوى الناتج عن ضغط أصبح الثقبان ، وتحتج المجموعة أوصاف الملوس والبرقي في شكل يالفت .

٢ - حائلان ثلاثيان من طراز خفيف ورشيبي يحيلان الأدهار .

٣ - الباري *Bari* أو القارب المقدس طوي باليونان النحسي وبه الحجاب المتداد نصف المرسى عبر الباروس أو المقصوره ، وقد أصبحت مقدمة القارب بطريقة دائمة ، وريبت بالدع (الرمية هاتلا (١) تميلها مربعة ضحلة من وبتى النعام - ولقد ظهر وكلة القارب في شكل تقاطع سوداء صغيرة يركع أحدها أمام مؤخرة القارب بينما يحجم أحد ثنائيل (أبر الهول) جسم أسد ورأس يفتري ويراقب مقدمة الملك وهذا التمثال يمثل الملك (٢) .

وعلى هذا الحائط ، على الفراخ الموجود بين القارب المقدس وتشكل الملك رمسيس ، يجري النقش التالى المصنوع نسخا باردا وأكثون بالوان زاهية :

(١) معه اثنين اثنين قسمي أوجات ، استخدموا المسربين بكثافة الزينة والتمايرد ثناء حياتهم وتعبيرها مع الفيت وريبت في شكل معين يعني وجوه يسرى ، وتمثل عهد حورس ، يشار إلى الألف للشمالي والآخر للجنوبي في ربطه من الشرق إلى الغرب من الشرق إلى الغرب . - وقد ذكر مسير جويو في ترجمته لقال انتوين لاويون رج - ما بالى - د الخمس التي تسير من الشرق إلى الغرب لتكشف ببيتها سلطة الشمال ومنطقة الجذب - - انظر *Revue Arch. vol. xlv 1872, p. 387*

(٢) انظر صورة على الأصل لهذا القارب مطبوعة على الحجر في كتاب مسير فيليور سكويروت - *Les Glissements de Murray, 1879.*



ملحوظة : - يقرأ هذا النقش حسب أرقام الأعمدة
 فيبدأ القارئ برقم ٦ وينتقل إلى اليسار ثم يعود مرة
 أخرى إلى العمود رقم ٧ ويقرأ بقية النسخ من اتجاه
 اليسار . أما الفراغان المميزان بالحرفين A و B في الجزء
 السفلي من العمود رقم ٥ فيملأهما حرطونسا الملك
 رئيس الثاني *



الترجمة (١)

قال تموت سيد سينو (٢) الساكن في آمون هري (٣) أقسم
 لعبادتك الأبدية على القطرين يا ابن جسي المحبوب . رع - أوسر -

(١) تمت ترجمة هذا النقش للتحفة الأولى من الكتني بمسرة المحرم لكتوب جدران -
 أما باللغة اللطيفة الحالية فانظر حنية للتفصيل للمترجم السيد ١ - ١٠ ، واليسر برج بجله
 الترجمة -

(٢) سينو في النقوش أو هرموبوليس *

(٣) جبل حمة *

حامت ، مسبو - أب - رع - مالك الكا - أقدم لك الأعياد التي لا تحصى
لرئيسي محبوب آمون ، رع - أوسر - حامت ، مسبو - أب - رع ،
أمر كل شيء يدور حوله قرص الشمس ، الإله الحي الوصيم صانع الأشياء
الجميلة لأبيه نحت سبه سيرو الساكن في آمون هري ، الذي صنع
آثارا قوية وسلسلة مواحه الألقى القترقى للسماء إلى الأبد .

ومضى هذا أن تموت بوجه حديثه إلى رئيسي الثاني ثم يعيش
ويحكم ، ويصفه بمر طويل والعياد يوبيل (١) عديدة في مقابل الأعمال
التي أقيمت لتتبرع بموت في (أبو مسبل) وغيرها من الأماكن .

الحافظ الشعلالي :

لقد رسمت في الطرف العلوي من هذا الحافظ سبعة بالحجم
الطبيعي ترتدي غطاء رأس أزرق حقيق الصنع يملؤه قرص الشمس واثنتان
من رئيسي النعام - وتسك الصنح بيدها اليمنى ، بينما تسك بيدها
السرى الصولجان الذي يملؤه رأس أبي آوى . وهذا الصولجان مما يخص
الآلهات . وأن غطاء الرأس هذا يخص الملكة كما هو مبين على واحدة حمراء
محتجزة . وقد استنتجت أننا هنا أمام صورة تصفية للملكة تفرقنا في
مواجهة الصورة النصفية لرئيسي التامي على الحافظ للقبائل . وتوجه
ناظرنا منها عائدة لرايين ، وضعت عليها خشن لثمنه أخرى - أربع
زهريات ذات لون أزرق فامق مرسوم عليها شرائط آتية باللون الأصفر ،
وبما كانت تمثل نوعية الزجاج الملون الذي يطلق عليه اسم
Falcon Murshine (٢) . وتحتوي كل من هذه الزهريات على شيء مثل

(١) أحياء القديس هذه التي يحتفل بها كل ثلاثين عاما ، كانت أعيادا تقيمه تلام
بعد مرور كل فترة ثلاثين عاما من ارتقاء الفرعون الحاكم للعرش .
(٢) يوجد مائتة النهرين من أحد من القوارير والباروت التي ينطق عليها هذا
الوصف يعود تاريخها إلى أيام الأسرة الثامنة والعشرون ، انظر المستحق رقم ٢٢ ملحق
المصرية لثانية بالمتحف البريطاني ، وهي مصنوعة من الزجاج "الأزرق" حسب الفيلسوف ،
وميزة بخطوط متوجة من اللونين الأبيض والأسود للتمثيل .

الصوبير . أما لون الأرضية فهو أصفر غامق مصاطب بتقسيمات فرعية
 قرمزية اللون ، وقد اعبرناها بمادج لحيوب الدرة المكسبة على شكله
 الهرم .

وأخيرا ، فانه يوجد على الحائط المقابل للغرب المقدس، وهو مرسوم
 بطريقة عكسية حيث تنحى مقبضته الى الشرق ، بينما تستقر باقيته على
 مذبح رسم في منتصفه حرموشا وصيبي الثاني . وتلقى هيروغليفى
 صغير يسمى « محبوب آخرى رع . ملك الآلهة ، الساكن في ارض كينوس
 (السوبة) »

وبعد هذه الخطة ولقي الغرب والقريب من الركن الشمالي الشرقى
 للفرقة ، نجد ان الرمل المكسب يتخفى غير ذلك مما يمكن ان تحتويه
 الفرقة على سبيل الزخرفة .

الحائط الشرقى

اذا كنا الحائط الشرقى مرسوما مثل الحوائط الأخرى (كقضية
 مسلم بها) فان لوحاته وموضه يحتفى حلف (الرمال التي يصل ارتفاعها
 هنا الى السقف ، علما بان الممثل الموجود في هذا الحائط يحتل مساحة
 يبلغ عرضها ٤ أقدام ، ٣ بوصة في الجانب الداخل .

وبقى جزء لا يبد من ذكره عن أهم الأحداث التي تتعلق بظهر هذا
 الهيكل الصغير . لقد وصلت صورة السيدة التي في الغرب الملوى
 للحائط الشمالى . وكيف أنها تمسك المذبح في يدها اليمنى ، والصولجان
 الذى يحمل رأس ابن أوى بيدها اليسرى . واليد التي تمسك المذبح
 تمتد الى جانبها ، أما اليد التي تمسك بالصولجان فهي نصف مرفوعة .
 ويشاهد تحت هذه اليد المرفوعة مباشرة ، وعلى ارتفاع ما بين ثلاثة الى
 أربعة أقدام من المستوى الطبيعي للأرضية . وعلى السطح غير الملون
 للمصنوع الأصلي ، عدة صفوف من الكتابة بخط اليد - وقد رسمت هذه
 الكتابة بالفرشاة والخبر ، هذا اذا كان لونها أسود لئلا ياله اصبيح
 الآن نثيا . ووحشت منها خمسة صفوف طويلة ، وثلاثة صفوف قصيرة
 لم تمس . وتحتها آثار بعض خطوط أخرى قد طمسها الرمل .

وسرعان ما عرفنا ان هذه الكتابة الجذابة الباهتة قد كتبت اما بالخط
 الهراطيقى او الديوطيقى . واعتدنا ان نغير في خطوطها بين الأشكال
 التي اعتدناها في الكتابة الهيروغليفية ، لانها تتكون من طيور وأنعام

وقوارب ولا شك في أنه كان شيئا غريبا وفلسفيا في عقولنا بوصفه الكتاب الذي كتبها ألبا. ذو المخرم الذي وحرف اليد . ولما كانت الكتابة متسوقة لصل صورة طبق الأصل من النقش لقد نقله ثلاث مرات . وكانت أمضيا أحمر . وهي التي نشرناها هنا مع ترجمة بقلم المحرم الدكتور يعزى . وسلم حبيبا معنى صعوبة النقل المتيقن عن لغة يحملها الإنسان . ونحن حذق أية اعتناء أو نقطة صغيرة يدير سره قاضية بالنسبة لحسن هذه الحروف القديمة ، وفي الطرف الحالي فانه هذا كانت العناية التي نقل بها النص فلابد من وجود أخطاء ماثلة لأنه كان غير مفهوم في بعض الأماكن التي سقطت بها ثغرات حتمية ، ولكن بقي ما يكفي ليبدأ أن الخلوط لم تكتب بيد الفنان كما افترضنا ، ولكن بيد زائر دارس لم نستطع لسوء الحظ أن نتبين اسمه . وكان هذا الزائر هو أبي العز كوش . أو كما هو مكتوب سرفيا الابن الملكي لكوش وهو القلب الرسمي لحاكم الأيوبيا (١) ؛ لأنه كان هناك ثمانية حكام لأيوبيا على أيام ديسيس الثاني . (وربما أكثر ولكن لم تصل ألبا بقية أسماهم) ومن المبال أيضا أن نجد من تخمين أصل زائرنا عطية . وعلى أية حال فقد مر لنا أنه أرسل إلى هناك للإشراف على إنشاء شارع ، وأنه بنى قوارب لنقل البضائع ، وأنه مارس وظائف - وبهذه أن أخذنا في اعتبارنا الأرض والنقوش والرخايف تتبقي لنا الإشارة على هذا السؤال .

ما هي طبيعة وخاصة الأثر الذي وصفه الآن ؟

إنه متصانم لبوابة . وكما رأينا ، كان مكونا من غرفة مقببة مبيجة بالطوب ، وهيكلا محفور في الصخر - ولقد رسمت على جدران هذا الهيكل آلهة مختلفة مع صفاتها ومع الكرايين والصور النصية لذلك وهو يقدم عروض العبادة . أما القلوب بلوى فقد ظهر مرسوما على الجدران السماك والحنوي للمدخل . وهذه هي المظاهر الأساسية لمعبد أو هيكل . ومن جهة أخرى لابد من تسجيل الممراسات مبيجة على

(١) حمل معظم الأيوبيا هذا اللقب حتى عندما لم يكن من قبلاء الأسرة الطروغية الحاكمة .

وهناك حقيقة جريئة نخلص في أن حاكمنا للأيوبيا على أيام رمسيس الثاني كان يدعى **ميسو** أو **ميسر** **Meser** (ميسر) (أين) أو (خلق) . ومن نفس الاسم **ميسر** والآن نرى أن النص ميسر كما ورد في القتاب المقدس كانت قد نقلت إليه فرعون . صدر مثل ابن لها . وقد ذهب بكل حكمه المسيحيين . وتزوج امرأة كوشية مبرودة ولكنها طيبة لوجه . وربما كان من المبالغة أن نقول في إمكانية وسرعة إلى منصب حاكم الأيوبيا أو الابن الملكي لكوش .

هذه المقدمات المنطقية . لقد بهيا لنا أن البراية قد بنيت أولا وأن الحائط الجبوي الذي بنى في مرحلة مائية قد أقيم في مقابل منحدر البراية حيث يبدأ ظهور القند . وإلى جانب ذلك فقد كانت البراية مطعنا مسجنا غير مناسب للأبعاد بالنسبة لأثر منبر بلع طوله الكلي من المنسل إلى الحائط الغربي للهيكل أقل من ٤٧ قلما . ولذلك استنتجنا أن البراية تنتمي إلى السيد الأكبر ، وقد أقيمت في الجانب بدلا من إقامتها أمام الواحية .

يسبب ضيق الفراغ الذي يفصل الجبل عن النهر (١) -

ولفس هذا السبب يجب أن البراية التي في كوم أمبو قد أقيمت بجانب المعبد وعلى مستوى أكثر انخفاضاً - أما بالمسبة لهؤلاء الذين قد يترصون قائما أن البرايات المقامة في الطوب النس من الصعب الحاقها بمعبد من صباه الدرجة الأولى ، أقول أن بقايا البرايات المشابهة ما زالت موجودة على قمة ما كان يعرف يوما بأنه المرمى الذي يقود إلى المعبد الأكبر في وادي حلفا - ويمكن افتراض أن هذا الأمر الصغير رغم ارتباطه بالبراية في طريق منحل ومعلم إلا أنه أصغر في تاريخ لاحق .

وما دام هو مجرد إضافة صرف النظر عما تنفيه هذه الكلمة فإن الشيء لا بد أن يكون مبهما -

وحين مع ما يحق بذلك الاستنتاج من شك ، فإن الهيكل لا يوجد به أثر للمذبح أو قطعة من حيز جصى أو صورة منحوتة أو عرش من الجرانيت . كما هو الحال في قلعة ، ولا حنية مقصدة كما هو الحال في دقمة - أما واية حورس أبوهريس (المتوج) التي سبق أن شرحناها فهي تحتل وسط الحائط في مواجهة المنسل فيس كاله حارس ، ولكن كوسيلة للحرفة للفصل بين الموضوعين الكبيرين اللذين شرحناهما .

ومرة أخرى نجد أن الآلهة المرسومة في هذه الموضوعات هي الآلهة رع وآمون رع والآلهة المحارسة للمعبد الأكبر . ولكننا إذا عدنا إلى النقش الذي شرحناه من قبل نجد أن تصوت التي لم تظهر صورتها على الحوائط حطقة (٢) (إلا موصفه واحدا من الآلهة الصغيرة في الأفير) . هو في

(١) توجد على بعد متساو من شمال المسد الأكبر ، إضافة جديري النيل ، كتلة غير متصلة الشكل من الأنثاق التي كانت حطقة بالطوب اللبن - ومن الممكن أو يجب تركيها أن تكون هي بليا بواية قلعة مكملة تلك التي كشفنا عنها جديرا في الجديري -

(٢) ربما كان مرسوما على الحائط الشمالي للمبنى بمجموعة للرمال -

الطبيعة الاله المتصور للمكان . وهو الذى يستغل رمسى وقراييه .
والذى يتقبل التنظيم القدم له بمعرفة بأنه المحبوب . والثقى فى عامل
الآثار الطبيعية التى شيعت لتكريه ، بعد الملك بأنه سينال ه سيادة أيديه
على الفطرين . -

والآن سعد فى سموت هو اله السطابات المظم . ويعرف بأنه اله
الكلمات المقدسة واله الكتابات المنقحة . وقريى الطبيعة ، وهو يحسد
الذكاء الالهى . أنه حلى الهى والطم . وصاحب الفضل فى اختراع
الحروف الأبجدية ، وكما ورد فى واحد من أهم سطابات شامبليون من
علبية (١) فإنه يتحدث عن الحرافب التى فى الطرف العربى للرسيوم
وكيف أنه وحده فيها مفصلا مرحرفا بأشكال تحوت وسافيك (٢) . تحوت
بومعه رب القلم ، وسافيك الذى جرى وصلها بلقب سبعة قاعة الكتب .
وترجى له دنفرة غرلة مخصصة للكتايب المقدسة وقد انقلبت حواطها
كلها نقائبة لتكود المعبد من المخطوطات - وهى أدلو بيت خزانة به
أسطونين فى صالة الاجتماع وحصب لنفس هذا الغرض . وباختصار
لأن كل معبد له مكتبة الخاصة . ولما كانت الكتب المصرية تسع على
البردى أو الرق تم تلم فى أشكال أسطوانية ، وتخزن فى صناديق .
فلهذا لم تكن تحتل الا مكانا ضيقا فكانت الحجرات المخصصة لهذا الغرض
صغيرة الحجم .

وكان من رأى الدكتور يوش أن هذا الأثر الصغير ربما كان مكتبة
معبد أبى حسن الكبير - أما ولما كان كذلك فأننا نكون قد تحدثنا عن
عدم وجود المذبح وتصوير رع وأمون رع فى اللوحين الرئيسيتين ، بما فيه
الكفاية . أما الاله الذى يحرس المعبد العظيم وحامى رمسيس الثانى فمن
الطبعى أن يحتل فى هذا المعبد الثانوى نفس المواضع التى يحتلها فى
المعبد الرئيسى ، بينما ظلت المكتبة بوصفها من ممتلكات تحوت . تحت
حماية آلهة المعبد الذى خصصت له .

ولا اعتقد أننا سألنا انفسنا يوما كيف بلى هذا المكان مفتاحا طوال
هذه العصور . بينما تطل جدته على مدى الفترة الزمنية التى ترك فيها
مجهورا . ولو كان مفتوحا على أيام خلفه رمسيس الثانى . فلابد أنهم
كانوا قد تدخلوا فى النقوش والخرائط كما هو الحال فى أماكن أخرى .

(١) لخطاب رقم ١٤ من ٢٢٥ من نشيطة الجيزة بطرس . ٦٨٦٨ .

(٢) عتد عتة الآلة سجلات لاله الكتبة (المرجع)

و استبدلوا حراطيسهم بحراطيس المنفى . ولو كان مفتوحا على أيام البطالة والقيصرية لكان السياح الاغريق والفرنسيون والبريطانيون والافرنسيون على بيرنة وتند آسيا الصغرى قد حفرُوا اسماعهم على العارصتهم الراسية في لبنان ، وشبهوا مدورهم على الحوائط . ولو كان مفتوحا في أيام المسيحية الموبية لكنت القوتى قد غطت بالطين ودهنت بالجير وزعمت فوقها الصوز المفسدة للمنديسى مار جرجس والمائلة المفسدة . ولكننا وجدناه سليما مثل قبر كان مغطيا بتمت القاع الصغرى من الصغرى . ونهمه الأسياح اظى انه لم يستعمل بعد اسكمانه مباشرة . وهناك بقى التثابح على حدود موحدة من حجاب الرلازل خلال عصر ريميسس الثاني بطول الضفة الشرقية للبحر ميتة من بعد وادى حلغا ومعتة شمالا حتى حرب حسي . ولما مثل هذه الهرة قد دمرت الميعة في وادى حلغا ، وخلصت البوابة في وادى السبع ، ومرت الأجنحة انسية لتتأرجح في البحر وحرف حسي ، والتي حسيما اعتقدت قد حصلت المعايير الأربعة الأخيرة علامات تبين أنها أصبحت بصيرة الفراعنة اللاهثي ، وما يليه بأنه قد حفر منجحة الخراب الذي ألم به . أما هنا فقد دمرت الرلازل حبل الميعة الكبير . وشرحت أحد أعضاء أورورس بالقاعة الأولى (١) وحظت أحد التماثيل الأربعة الكبيرة ، مع أحداث أصابات صغيرة أو كبيرة بالتماثيل الثلاثة الأخرى . وطرحت البوابة الضخمة البنية من الطوب الذي وحولت جناح المكتبة Promos الى كومة من الخراب . ولم تدمر فقط جزءا من الهيكل المظور . بل شقت أيضا صفحا رأسيا في الصخرة يبلغ طوله حوالي ٩٠ أو ٩٥ قدما .

(١) ان من طور وخرج هذه الهرة اثر الزلزال أثناء حياة الله وميسس الثاني . حادثة ان لمعد الأورورس متصور . وفي تلك حادثة حينها لتتبع المومين الاحويرو الى الهيكل على الحرف العلوي للثلاثة الكبرى . وتوجه على هذا الحادث لوجها ضخمة يفتيها لاني ميرورفيس مصل يصعد تأييده الى القمة الخامسة والثلثين من حكم ريميسس الثاني في اليوم الثالث عشر من شهر طوبة . أما الطوارق التي التماثيل الصاربي الزاوي الى القومين من اصيل الكبير قد دعم بالثلاثة خراج مسنة للمرض ببيت من الطوب المربع للشكل . وهذه هي الطوارق الوحيدة التي لم يوجد مثلها في أي من المعروض الأربعة . وقد اكتشفت عيس مارتينز اصف جزء من تلك المسطحة للتماثيل الذي في العصر القديم . واكتسب جزءا من الزدراء الذي يرتكبه احد تماثيل الأورورس في الصالة الكبرى . ولدى صعوده قوتي لمرآية المتصلب حكما كان مستوى للرجال كثر انعطافه من معتواها العالي بمدة الزمان . وفي ان المساق اليتي للتماثيل الضخمة ليست هي الاخرى لا نتيجة اصلاح واسع الضلاق . وقد بقيت في شكل كتلة ضخمة مثل ذراع مسطحة الأرض ولان تشظية لله جرى فيها بعد .

ومع حل هذا المأزق الشديد الذي يصعب إصلاحه والذي حدث
لعميد الكبير ، ومع ذلك الجبر ، الكبير الذي تم إصلاحه فإن الأمر يسرع
الاسماء - ولا يجب أن هذه المأزق الخاصة من الطوبى الذين قد برزت
لواجهة مصرها (٩) وربما استطاع الكهنة انقاذ الكتب المقدسة من بين
الأنقاض ثم حجروا للكنان .

ولا شك في أن الكبير ما ذكرناه ما قد نوردناه عن طريق النسخ
ولكنه يفترض أنه سيب كلف لغير الحالة الجيدة التي وجدت عليها
الحجرة الصخرة عندما وصل إليها في عصره الحالي - وهذا تفسير
عطلي آخر لليب الحاروتشي الأخير وتسجيلات الدور الإغريقية
واللاتينية ، والرموز المسيحية ، وما تلا ذلك من تصويحات مختلفة الأنواع .
فيما عدا ما يتعلق بإثر ماضيه واحد هو ابن حاكم كوس ، فائدا عندما
ضعها المكان وجدناه لا يجرى على أية تسجيلات تتعلق عن روار عابرين ،
أو ترويع مشوه لأحد السياح أو علماء الآثار أو العلماء المستكشفين .
وكذلك لم يكتشف ذلك بلوغني أو شاميليون ، وحتى لبيوس من عليها
مرور الكرام .

وقد يحدث أحيانا أن الأنشيد المكتبة التي يسجل اكتشافها في
حد ذاتها نقلت من المسمى لأن أحدا لا يفكر في البحث عنها ولكن لم
نكن هذه هي الحال في الوقت الحالي . لقد جرى البحث هنا عدة مرات
حتى اليوم .

(*) أثناء ترجمتي لهذه الفصول المتعلقة بالقرن الموعود التي كتبت موجودة عدة
١٢٠ عاما ، تفكرت التي كنت أمل شاطئ برتبة جوية بطار أسوان عام ١٩٦٥/٦٤
في عصره الاستقلال بتحويل مبنى القل الذي أقيم في مصر القريم للواحد جمال
عبد الناصر ، ونظر من ذلك التحويل تمهيدا لبقاء قبة الصالح ، الجوان نظام أرميه
النوبة والاربا تحت مياه بحيرة ناصر . هذا ما لم تتطابق بالمصلحة التي دعت
إليها اليونسكو حيث كان قد تم نقل مسجد كلاتية وميمس (أبو منبل) إلى أماكن
جديدة . وقد رأينا جميعا في ممتلكات الجيدة عيناك بين البحيرة . أما بقية
الآثار التي ليست لها أهمية قصوى قد ظلت معك اليونسكو ومعه في تلك سلكت
عينة الآثار حينذاك بتسويرها وتسجيلها وعمل كتيبات عنها وفي محفوظات مركز تسجيل
الآثار بالرواق وفي جميع الأحوال يصبح من ثروته مؤلف هذا الكتاب . تسجيل له أهمية
القصر ومعبودا صليبا للترخ وجرافيا أرميه النوبة التي أفرقتها البحيرة . ولم يجد
لها وجود - (المترجم) .

ويبدو أن القديس عندما كان يريد تسليط الضوء المشهورين الذين كان يرسلهم في ذهنيات طعمة للرحلة عبر نهر النيل (١) ، كان يمتنعهم رغبة علوا ، أو عمة القدم مريضة من مقبرة شهيرة ويصبح لهم بالحفر الى العمق الذي يرغبونه ، ويصبح لهم بالاحتفاظ بما يثرون عليه من آثار ، وكان في بعض الأحيان يرسل اثنين الكشافة لحفر الأرض لاكتشاف مقبرة لم يتركوها دون أن يفتحوها ، لم يسمح للزائر الجليل القدر بالكشافة - وعندما كان اثنين الكشافة لا يوفون كما كان يحدث أحيانا ، فانهم كانوا يعيدون الخلال مقبرة قديمة بمثابة ثم يصاد قبتها مرة أخرى بعد يوم أو اثنين بين مظاهر الفرح -

وقد ذكر لنا النسيج وشوان بن حسن الكاشف أن ذلك حدث في سنة ١٨٦٩ عندما وصلت امبراطورة فرنسا الى (أبو سنبل) ، كما حدث مرة أخرى سنة ١٨٧٢ عندما جاء أمير وأميرة ويلز ، وكيف انه تسلم أوامر مستعدة بالبحث عن مقبرة لم تكتشف بعد (٢) لكي يحفر الصيوف بالارتياح لاكتشافها - وأضاف أنه لم يجد هناك مكان بين الصخور والوديان على حاشي النهر لم يغصه دون أن يجد شيئا - ولكن وجود مثل هذه البرية (المسد) كان سيخضع حوله أمام الحكومة ، وسيصبح له الحصول على بقبض كبير من قبل عهد الامبراطورية في الوقت الذي كان فيه قد قال النسيج لانتشاره الى الاجتهاد ، واعتقد أنه صار مبروفا من ذلك الحين -

ولكي انهى هذا الموضوع يجب أن أذكر هنا أن المبني بالرغم من أنه مدفون في الخارج الى عمق حوالي ثمانية اقدام ، فان الهيكل قد امتلا من الداخل برشح تدريجي متماثل من أعلى - ولابد أن ذلك قد حدث عندما كان المنحدر الرمل القديم في أوج ارتفاعه - ولابد أن هذا المنحدر الذي اساله في حط متصل عبر واجهة المنبد الكبير ، كان مرتقا هنا في يوم ما الى ٢٠ قدما فوق المستوى الحالي - ومنهذه اتخذ الرمل طريقه الى أسفل المنحدر المسمى الذي ذكرناه من قبل - وقد ارتفعت كومة الرمال في الركن الذي خلف الباب حتى السقف ، في شكل يشبه الرمال المتراكم عند قاعدة المساحة الرملية - وقد أبلغني الرسام أنه عند اكتشافه قبل الفصل مع أحلق الفتحات لأول مرة ، انهالت الرمال من الداخل مثل الماء الذي يتدفق من حين لآخر -

(٢) يتطابق هذا القول على القديس السابق اسماعيل مائلا الذي كان يحكم مسر حته لكذلك هذا الكتاب ويخبره في طبعته الأولى - (طسولة مضادة في الطبعة الثانية) -
(٣) توجه مقابر حجة في للوفاة التي خلف العابد - ولم نعلم نحن بمشاهدتها -

وهنا نجد دليلا ايجابيا (هذا اذا احتاج الأمر الى دليل) على اننا
نكون من دخل الى المكان ، منه ارتفاع المنحدر الرطب حتى وصوله الى
مستوى قبة الصدع .

وكتب الرسام اسمه واسمها مع التاريخ (١٦ فبراير ١٨٧٤)
في مساحة حالية من سائط حال من العروش فوق الجانب الدخلى من
المحل . وهذه هي الشخصية الوحيدة التي ترك فيها أى فرد سا اسمه
على اثر مصرى . وعند وصولنا الى كوروسكو حيث يوجد مكتب للبريد ،
أرسل الرسام خطايا الى جريدة النابيس يحوى باهتمام الحقائق المتعلقة
بهذا المكان . ولد لمرنا هذا المتطلب الذى نشرته الجريدة في ١٨ مارس
التالى في التذييل الذى في آخر هذا الكتيب ،

وقد علمت فيما بعد ان اسماءنا التى سجلناها قد شوحت جزئيا .
ولن الرسوم الجدارية التى أحسنها بالسماحة ونهى سيجب إيجادها
وجودتها قد جرحت - وهذا هو فخر كل أثر مصرى سواء كان كبيرا أم
صغيرا . فالمساح يشغل الأفكار كلها بالأساطير والتواريخ وأحيانا بالرسوم
الهزلية . وكذلك فإن فانس علم المصريين يبذل ورقة يشق بها كل أثر
باقى من اللون الأصيل - أما جامع الكتب فإنه يشتري ويقتل كل شئ له
قيمة يستطيع أن يتوصل اليه ، ويقوم الأعرابى بسرقة الآثار لحسابه .
وفى نفس الوقت تستمر أعمال التفرغ على عدم وساق ، ولا يعمل أحد
على وقف هذا التفرغ أو عدم التشجيع على الخلق فيه . واستمر عمل
التشويه للمزيد من الخرافات والتماثيل . ويحتوى متحف اللوفر على
شكوك بالتحجيم الطبيعى لكذلك سيجى الأول ، قد لزح بكلمة من مقبرته
بوادى مغابر القولا . وكذلك فإن متاحف برلين وكورين وفلورنسا غنية
بالخرائب التى تعكس قصتها الذاتية التى يرى لها . ليس من الغريب
أنه فى نفس الوقت الذى يدخل فيه العلم الى مكان ، يدخل خلفه الجهل
أيضا الى نفس المكان ؟؟

الفصل التاسع عشر

العودة من خلال أراضي النوبة

يوجد أربعة عشر مبيدا ما بين أبي مسيل وجريرة قليلة ، بخلاف المعابر والمقابر والخرائب الأخرى - وكقاعه عامه كان الناس يبدون في الإحساس بالنصب من جهة المعابد في مثل هذا الوقت ، ويمطون أصواتهم في غير صالحها بقدر كبير ، ويجوز السباح المتواضعون خلالها كوع من أداء الواجب - ولكن المدة الأكبر منهم يتسود - ويؤسسى القول بأن الروحي السعيدين اتخذوا مسار المالبه ولم يحصلوا من إعلان ذلك ، لقد أعلنوا صراحة أنها يشعرون بالذلل ، لفرجة أنها بحاجة معابد عديدة .

أما هي نفسى ، فأننى لم ألتزم بالمثل من المعابد أبدا ، وبالرغم من كثرة عددها إلا أننى كنت دائما أن يكون عددها أقل ، وتوضيح لنا ليس بالوتينيه كيف أنها هي في هذا الجرح من النهر . نادرا ما كانت تقبل بالجلوس إلى الاطوار قبل أن تكون قد اكتسفت مبيدا . ولكننى كنت أستطيع أن أتناول الاطوار وأكفنى وأكسنى على المعابد . لقد كانت شهيى للمعابد لا ترتوى . وكانت تلتقم مع ما تنفذى عليه . لقد جرت بها جميعها ، ودونت مذكرات عنها كلها . وفحصتها كلها .

وأقول اننى سوف ألتزم سريعا بعدد القليل من هذه المذكرات ، والقليل من هذه الرسومات التخطيطية ، ضمن هذا الكتاب - وسوف تلخص الخرائب - إذا ما أحاط بها حطاؤها القليلون - في أن تنظر اهتمام هؤلاء القديس يسافرون بعيدا لكن يشاهدوها - وليس من المفروض أن كثير القراء في الوطن . وربما ظهر شخص هنا أو هناك بهتم بأن يكتب حتى على كل تمثال . وأن يقرأ من كل خطوط قليل الوضوح ، وأن ينتمى التأثيرات الإغريقية والرومانية (التي لا تتضح في أى مكان آخر بخلاف هذه المبانى النوبية) والتفصير الطوى لنطراى المصرى ، ولكن العالم يحتفظ لنفسه بالجزء الأكبر منها خاصة ما يتعلق بالمذهب الرصنة

المنطقة والاسماء الكنعانية التي تردت في المخطوط ، وطرا لأنه لم يتصرف
 جيئنا إلى أسماء الكرنك ، وأبو سبيل ، والإهرام ، هذه مختار عددا
 مثيلا من هذه الآثار الأسخر والتي تزوج لفتوات الحكم الاحسين
 واشتغال الفتن الوطني . وللهذا الأسباب ، أقترح ان نتجمل وباحساس
 شديد العديد من الأماكن التي منحها ساعدت طويلا من العمل الكثير
 لمهمه .

وعادنا من يد أبي سبيل عند شروق القمر في مساء يوم ١٨ فبراير .
 والقيتا بأفئتنا مع التيسار لمسافة ثلاثة أو أربعة أميال قبل ان نرسو
 لنضام الليل . وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي بدأنا في
 التجهيز . وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف كانت رؤوس التنايل
 الأربع الضخمة لا تزال ظاهرة بعد ان عبرنا سلسلة من التلال المنخفضة
 تم أصبحت كلها على بعد يجاوز خمسة أميال على خط مباشر . ولكن كافة
 المعالم كانت واضحة في ضوء النهار المبكر . وكنت أرفع لانية وثالثة مع
 مشمولو يقاتلها على مدى النظر . وأجرا لوحت لها بتحيةة الوفاح ، بدس
 (لغة القليل) التي يصحب المناظر الجميلة في جبال الألب .

وعندما أقول اننا قضينا سبعة عشر يوما للفرج من (أبو سبيل)
 إلى جبرية قلة . وإن الريح كانت كل يوم شديدا في شروق الشمس حتى
 غروبها . فإذ ذلك يزعج كيف كان قضينا بطيئا جدا ، خاصة بالنسبة
 لهؤلاء الذين تمسوا من مضايقة المعاد ، والبحارة الذين عاشوا من القصور
 في سفرون البحر . فقد كانت هذه الأيام الطويلة - (التي قضيناها راسين
 تحت الضفة ، أو متفرجين بيننا وبينها وسارا وسط النهر - بطيئة بما فيه
 الكفاية .

وكانت الأبال تغطي ببطء شديد . فكانت الصخور البارزة تهيئ
 بنا بينا وبينها دولة وجود في شريط أخضر بين الصخر والنعير . وفي
 منى الأحيان كما حدث في توشكي (١) كنا ناتي إلى منطقة واسعة
 مفتوحة تدنو بها أشجار التخليل ، وزراعات الخروع ، وحقول القمح التي
 يتجمع فيها السمائل . وقد نزل الرجل الكسول إلى الشاطئ ، في توشكي

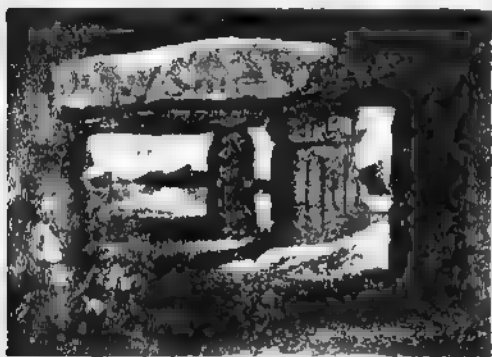
(١) تقع توشكي على الضفة الشرقية وبعيد الغربية كما هو موضح في خريطة
 الخريطة .
 (٢) في توشكي في الجهة الغربية من النيل ولهمت الشرقية كما تنزل للزفة
 منها أمة هناك توشكي المصروع تنمية جنوب الوادي - (لراجع)

وبعد بندقية - بينما نسلط الصيلة المصفية والكاثبة صفراء صبرنا على ارتفاع حوالي ٢٠٠٠ قدم من سطح النهر - وفي كل يومين تقطع اطراف الضفة موحاة من الغيضان على شكل الهلال يبلغ طولها حوالي ثلاثة أميال - ويستطيع الاسماك من هذا الارتفاع أن يتساهد مدى اتساع الموحاة ، وكفى تنبؤ طليحا صغيرا عندما تكون هناك - والحليج الآن مزروع بالشمع الذي يملأ السابيل وتصل الرياح على اصابعه - وبعد انقصره تأتي الصحراء ، كتناحسا خلف الأخرى في حله مشبه عراجه الأرض مع النهر ، ويظهر جبال عراقة الصحراء بجانب القمم الأخضر ، ويتسع انتشار شيطان الليل بين الصفائف الرخوة مثل نهر من اللد والجرد بالكرب من البحر - لما القرية المربعة التي على شكل متوازي الأضلاع مثل سوق الخاشية فهي تقع في سفلى النهر ، وتظهر نظارة المدن أن المنازل مبنية في بساطة يا حواش وسقوفة بسحب النخيل ، أما منزل السبع فهد كان أكبر حجما من المنازل الأخرى ويحتل أمامه الفضاء المعتاد ، كما تنتشر أمامه شجر الجوز - وتحرك النساء هنا وهناك في داخل الأحياء ، والأزواج في حلقه الخروج - وتظهر الآن جثرة حتى حلقها طيور من البدايات في اتجاه المدام على حافة الصحراء - وكان الرجل الكسول الرياح الجسم الذي لم حول فحته شريطا ، واحد يخصص الماء وهو صعب صحت في أعواد النسيم ، يظن بين المنيعة والقينة عن نفسه ، من طريق كلفة من المدام الأبيض ، وتظهر مركب للمصانع عازلة عرق صفة النهر دون أي تقصير يذكر ، وهناك فقرة وطية ترفع شمارا مهلهلا بين اللون تضيء سرجا مع الريح في اتجاه الجنوب بسرعة تجعلها تصل إلى أبي سنبل قبل هبوط الليل - وقد تجاوزت القرية الآن .

وكانت تلك الملح السوداء التي لم لحظ بها هناك ، هي التماسيح التي ألقت بنفسها إلى الماء عند اخترايا ، وهي الآن صيفة على هذه المسافة غير المحدودة ، والتي تملأ أترع فضية من النهر ، وتنتهي بالتساع ضخم ، كزروق وعتامى الإطراف لقوة أن الإنسان لا يستطيع أن يميز النقطة التي تختلط فيها الأرض بالساء المهم إلى وجود ثلاث أو أربع قطع من اللحم الأوجوانية التي تبلى في الأثني .

وبعد ذلك تأتي أبريم ثم الدو ثم وادي السبع - ونوحه في البريم كما في الدو عائلات حمله الشكل تصود شعور رؤوسها الخفيفة ويعبونها الزوداء (الخفية على حله أسود بس) إلى الجبل الصايبين الذين أحضروا إلى هنا سنة ٣٦٠ عاما مضت - هؤلاء يصعدون أنفسهم على الآخرين ويبتلون وحدها لتلطفة ، ورسائلهم كموتل ويصلون إلى الجبلين .

أما النساء يرتدين ثيابا طويلة مع العديد من الخرد والحلقن ومن أقبل
جديده ، ويذهبن دوانن يرتن الحروع أكثر من سائر النسوة اللاتي
ساهدناهن في أماكن أخرى ، وهم يحتظرون أيضا بكسده وود رابت
هؤلاء العبيد السحوسى وهم يسرون مثل الكلاب حلق ساداتهم من
السيدات - ولما كانت السيدتان م ، ب تعرفان أن الرق محظور رسميا
في أملاك الهندو فقد ذهبا في مساومه مع أحد السامره الذي عرض
عليهما فتاة حيشية مقابل عشرة حيهات ، ودارت المساومه حول فائدة
مده الصغره لأن الفتاة كانت تستطيع أن تكس ، وعمل ، وتجنب
النس ، وتخصه ، ولكنها لا تعرف الطبخ . ولما كانت السيدتان م ، ب
ليستا في حاجة إلى المزيد من الأنفس فقد نراحتا عن اتمام الصفقة .



معيد عهدا . *

وفي الدرق قعدا برادة نوديع لشهد - ووصلنا عهد عهد ، قرب
لهاية اليوم ، فقرزما أن نشاهد حمال المطر للدره الأخيرة عبيوتنا بحمال
الشمس عند المغرب . *

والآن فانه بالرغم من هبوب ريح الشمال باستمرار إلا أن الحرارة
تزداد كل يوم ، والتساميح تهب ذلك وتظهر لكي تبستهم في حرارة
الشمس ، وفي صباح أحد الأيام يودى علينا في أثناء الإفطار فشاهدنا
تصاحين ، أحدهما يستقر والآخر كبير ، وكانا واقدين على صفة رجليه

قرية - وكان الرجال يستريحون على سيديهم بينما تنظي للركبة مع المجري - لا أحد يتكلم ، ولا أحد يتحرك ، ومضينا في صمت حتى أصبحنا بالقرب منها . كان التمساح الكبير ضخما وأسود اللون مثل سباق شجرة العجول المربوعة في لندن ، ويصل طوله إلى ثمانية عشر قدما . أما التمساح الصغير فقد كان شاسعا بلوناً أخضر ويطبع مثل الزحاج . وفجأة محرك التمساح الكبير وغوص جسمه ثم قفز واختفى في طرقات عطية . ولكن كان واضحا أن التمساح الصغير غير مهيئ للخطر قروص جوفته مثل الرأس . وأحد يرمقنا بعينه من جميع الجهات . وهنا صرنا أحدها . وإذا بهذه الهمة تكسر جدار الصمت لأن تمساحنا الصغير رفع ذيله وغطس تحت الحفلة واختفى في لحظة .

ولم يهم البحارة كيف أن الرجل الكسول الذي كان يرقد في (أبو متبل) منتظرا ظهور التماسيح قد جعل هذه الفرصة تمر دون أن يطلق رصاصة واحدة . ولكننا منذ ذلك الحين تذكرنا المذبذبة العشوائية التي جبرت هذه التساؤل الثاني وأنه لم يساهم بأي دور في إبانة هذه المواقف التاريخية القديمة . وليس من المقبول أن يرغب الرجل الرياضي في الحصول على جائزة واحدة . ولكن هذا الإطلاق الكثير للطلقات العشوائية والذي يعود كل شتله قليلا وجرحا لهذه الوحوش البائسة بمتوسط يتراوح ما بين اثني عشرة إلى ثنائي عشرة طلقة لكل بندقية ليس إلا مذبذبة فعلية ، ولا بد من استنكافه بشدة . وأخلفت هذه المخلوقات تخطي وتناقص أعطفاها علما بمد علم . وليس بعيد ذلك اليوم الذي يصبح فيه الفساح نادر الظهور بمد قرية سدة ، مثلما هو اليوم نادر الظهور بمد سموان .

وكان الترحومتر متوقفا عند درجة ٨٥ فهرنهايت في غرفة الصالون بالجمعية فيلة ، وذلك عندما وصلنا آل وادي السجوع حيث يوجد مسجد وحيد مألوف في الرمال . وكان يتم الوصول إليه يوما ما في طريق للكباش والتنانيل الواقعة قد تحطم الآن ودفن في الرمال . أما حبله الممدد لو كان هناك سلف - فقد زال . وصبح القاعات الداخلية المطورة في الصخر ومنها نفس الأكليل ، خاصة بالرمال ومن الصعب عبورها . والبيانات لفظ هي التي تكلف حالية من الرمال . ولقدو رغم ضخامتها حشة بحيث تنقوي تحت صلبة واحدة من الآلة الحربية التي كانت تستخدم قديما لتقويض الحصون ، لأن كل حجر خستم من أحجارها حفاك ، كما أن كل كتلة في الأفرين تبدو متناهية في مكانها . وتدل هذه

والسلامات كلها على جفوت ولرأى (أير مسيل) الذى يحلها جفوتك من
نيل (١) *

وعند ولقى المصور مشاهد مرابطا سميا . ولابد من تسجيل هذه
الحقيقة لأنها عبر عادية . انه رجل شديد البأس متوسط العمر . يلبس
توبا قصيرا مخططا . ويحمل فى يده توبوتا من حديد التختيل . ويرتبط لسانه
وتنبيه زوجته وثلاثة أو أربعة من الأبناء وهم جميعا يلبسون التختاة .
كنسخة طبق الأصل من التختال الخشبي الموجود امام متحف بولات .
وكلمات المرأتان تعرضان للبيع بعض الحل الرخيصة . بينما يعرض
الأولاد حديد حية وتسلحا صغيرا .

وبينما كان الرسام يسالوم على شراه التمشاح والسيف (ل)
اضطرب حزمة الألب . كانت الكاتبة تتعرف الى اثنين من طائر الهند .
يسيدان فى البوابة الضخمة للمعب ويسيرا بها مشا ضخما قاما بيناه .
وصا يوشان يراقبناى بالصفراء وأنا أرسم لوحاتى . مثل اثنين من
النقاد . ويظهر طائر أسود صغير أبيض المعب يشى لنا سحبا . وهو
لا يشبه أى طائر آخر سمع رأيته من قبل . ولكن اللص الذى يتدو به
من حجرة الصغيرة يماثل فى ملوخته ورقته خدو عصاب الكاريا .

وكانت الذهبية تلمع مستسلمة عكس السحاب الريح يوم
فى الشمس . وأحيانا غلما كان يتصادف وجودنا بالقرب من إحدى
الكرى كان الماطلون يحلوس الترقصاء حل الضمة . ويحلقون غدا
أو يثرون معا . ولهم اللحظة التى يظهر فيها أى شخص على سطح
الركب كانوا يندفعون فى صوت واحد طالين : البقشيش ! ولم أحد
سوى وسيلة واحدة للتخلص منهم وهى أن أقوم برصهم . وكأنا

(١) هو أحد الجبابرة التى أتفادها ويسمى الأكبر . وأعتقد أنه لم يكن أخاها لسانها
لهم خلفته . وقد أليعه مليا لسيرة الشخصية التماثل للضمة والامعة التى حيز
الحل المندفوس وتماثل الكباش (التى تطلعت الآن تتجرب من كالة الملاح الآسيوية
الفلجية) وكذلك على جميع الخرافات تشب . كما أن هناك ثالثة باسمه أورد
حظته كقصة فى إحدى المجلات الأدبية . ولكن من السهل الوصول الى حسن
هذه المجلات منذ ثلاث أو أربع سنوات مضت . عندما لزمت مجموعة من السياح الألب
بعض الترحيلات الضمومة ذات الأهمية الأثرية العظيمة . وبعد حيلة للهم هذه أطلق للفل
بالرمال تنكيزا القواس حيزت بها . مع الأمل فى الانتظار الزفوال كذا وما يكون قد حدث
فى هذه المكان - تظهر العمل السابق من هذا الجزء من الكتاب .



معبد وادي السبع

الاستجابة سريعة ، فقد احضرت درحا من الورد وقلبا من الرصاص ، وسرعان ما امرع اهل القرية جميعا بالهروب لدى اكتشافهم لهذه البنية . ولو كنت اريد موديعا لواجهت صعوبة كبيرة وقد استعصر الرسام بعض النساء والفتيات (الكيرات منهن عليحات الشكل) لكي يجلسن حتى يرسمن . واتذكر ان واحدة منهن كانت صارحة الجبال وقشبه الالهة حورو زوجة حوبتر كبير الالهة الاغريقية ، وقد وقفت على الضفة وفي صباح احد الايام وهي تسخر من كل ما يجري على ظهر السفينة . وكانت تحمل ستة عريضة ذات مقعش خلفي ، وقد غطيت ذراعها بالاساور واصابعها بالخواتم ، وتملقت طفلتها الصغيرة بطرف ثوبها وهي نصف متفحمة ونصف خائفة . وقد ارسل اليها الرسام مندوبا مفوضا يعرض عليها ان يبلغ ابتداء من ستة بنسات حتى نصف حنية الجعزى من الذهب ، اذا استمرت في وقفها هذه لمدة نصف ساعة ، وكانت طريقة رفضها عظيمة فقد منحت شالها فوق وجهها وامسكت بيد طفلتها ومضت مثل لذه تمزجت للاسامة . وكان الكاتب قد رسمت لها خلسة صورة حشرة من نافذة القمرة وهي مختلفة خلف ستارة .

وفي الضفة الغربية في بقعة حالية من الحضرة ، تقع ما بين وادي
 داسبيوع والحقوقه ، قامت خرائب مدينة حربية لم يذكرها موراي
 أو يوقتها على خرائطه . كانت مرتفعة ومبنية على قناعة من الصخر ،
 ويتحكم من النهر والصحراء ، وقد اكتشفها الرسام والكاتب بعد ظهر أحد
 الأيام خلال جولة بدوئه قصه ، حيث ارتقى في البناية متحدوا حاد ،
 تنازل فوقه الأحجار ، ثم وصلنا إلى طابا بوابة جيرية - ولا لاحظنا
 صوبية عبرها ، اقتصدنا طريقا من خلال ثغرة في الحائط ، ثم صعدنا
 طريقا شيقا لندعنا من ال شلال من الانقاص - ولا وصلنا إلى موقع
 حرب في قمة هذا الطريق ، وجدنا أيضا في مسلة من المرات التي
 تطلوها البواقي المسية من الطوب اللبن ، ومسلحة على مسافات بعيدة
 عن طريق فتحات من السقف - وقد شحلت هذه المرات القريسة على
 الجانبين ، مبان صديرة من الطوب اللبن على قواعد حجرية - ودخلنا إلى
 بعض السارل فوجدناها مجرد مسلات حربية وحجرات يقود سقف ،
 وليست بها أية علامات على وجود مكان للسفلة أو بئر للسلم - وقد
 سطحت في أحد هذه المنارل قطعة من عود جيري يبلغ قطرها حوالي ١٤
 بوصة ، وكان الهواء في هذه التولوع القديمة متلفسا وراكدا - وقد
 تكسنت الأرضية في كل مكان بالكرام من الشفافة التخارية المكسورة
 بالوانها السوداء والحمراء والصفراء مثل شفافة الفتيحة وميلة - ولم أر
 ما يتفوق على هذا المكان من حيث الوحشة والخراب - وكان يبدو كما
 لو كان محاصرا ومنهوبا ومهجورا عند الف عام مضت - كما فعل على ذلك
 بوعية الضار الذي يتس إلى فترة الاحتلال الروماني - وبالادارة إلى
 كيجة بناء الطقات العليا بالطوب اللين فوق أحجار أكثر قسما - استنتجنا
 أن بدايات هذا المكان هي بدايات مصرية ، والأمنية التالية رومانية -
 أما الرخام فبين أن هذه المدة متلها مثل أية مدينة مبيت في بقعة منفردة
 ولم يكن هناك قراخ كبير تشغله دخول الصليبي لأن المسافة الواقعة من
 النهر والصحراء لا تزيد عن ميل أو أكثر -

وبعد أن عرنا المكان من مدابته إلى حايته ، خرجنا من فتحة أخرى
 من الجانب الغربي - وقد ذكرنا في البحث عن موقع يصلح للرسم في
 جاسل جدم الأضد ونجته نحو السهل - وللوصل إلى ذلك يتجه على
 الإنسان أن يسر واديا عميقا يصل سفرة القنصة من الصحراء - وبعد
 أن تهيأ جبهة هذا الوادي إلى النقطة التي يصل فيها إلى مستوى الارتفاع ،
 وحلما مع بالغ القنصة أننا نكتة خطا ضمني نهر مبدل!

والنهر معتلىء بالرمال الآن ولكنه كان معتلىئا بالماء يوما ما . وقد اضبح لنا كل ذلك من الجبال التي نفيه نحو الغرب ، فقد استطعنا ان نتتبع استقامته لمسافة طويلة عبر السهل ثم حلال الوادي وجنوباً في حط متواز مع نهر النيل ، وصا تحت أقدامنا ، كانت تقع الصخرة التي كان يتخذ طريقه من خلالها ، وهذا الصخور التي شكلها عندما اهترست صباره ، وهي الآن نصف مدفونة في الرمال . وأنتك في ان المجرى وهو معتلىء بالماء . كان في نصف الجبال الذي حر عليه الآن وهو نهر من الرمال .

ولا شك في أنه كان حينذاك بحراً ومصباً بالرواسب ، أما الآن فإن لونه ذهبي أكثر من لون نهر باكتولاس (*) وقد نطقه موجات متحركة متفرقة أكثر عدداً ما كانت ترمسه قرشاً كالأليني .

ولذا الترضنا انه كانت توجد هنا مدينة عندما كان هذا النهر يعتلىء بالماء ، وكان السهل خصباً ومرتوياً بالماء ويا جيداً . فإذ ذلك كان سيوحس سر موقع هذه المدينة التي كانت محمية في الأمام بنهر النيل ، ومن الخلف بالوادي والنهر القديم . ولكن متى كل ذلك ؟ من الواضح انه كان يجري هنا نهر مستقل يصب ملؤه من بين الجبال اللبية ، وبذلك فإذ ناريسا يعود إلى الرمي الذي كانت فيه حيلم اللال اللاحلة تتجمع وبرر الماء . ونظراً ان في ذلك الرمي كانت الأنظار تسقط على أراضي التربة ، كما ان ذلك الرمي كان سابقاً لظهور الداحز الصخري في منطقة السلسلة ، في الأيام الخوالي عندما كانت أرض كوش تفيض بالبحر والصل (٦) .

وكان في الإمكان ان تسقط الأنظار على أراضي التربة في هذه الأيام التي نعيشها لدوجة انه في نفس ذلك المساء الذي باننا فيه حتى وقت المغرب ، قد شاهدنا صحابة على شكل مروحة متقطعة وهي تنساق فوق رؤوسنا على ارتفاع ضامق ، وكانت تتكاثف على شكل أطراف من

(٦) نهر كان يجري في حلقا ليديا باسمي المسفرير والتهير بالذهب الذي اصفاه لوزا نصيبة - (الترحيم) -

(٦) كما وجدنا هذه التربة اللبية الذهبية ليس هذه بالقرب من هذه المدينة الحجر المعروفة بل في المكان كثيراً الفرس تقع بين (في مشهد) وفيها وقرقر لوكالها ما بين ٩٠ الى ٢٠٠ هذا على مستوى طبقاته الفيشور المحلية -

الحجاز الذي يتحد الوان قوس قزح - وكنا نستطيع ان نرى هذه الاطرافه
 بوضوح وهي تكون وتسرج وتبيض ولكنها لا يستطيع ان يمسك قوس
 شكل لطار لاتها كانت متباعد على ارتفاع شاقق بسبب الحرارة المتبعثه
 من الصحراء . وهذا هو الاستثناء الوحيد الذي واپنا فيه مساحنا هو
 اراضي السوية (٥) .

وعند عودتنا التقينا بواطن مويي يحصل في يده عقدا من الحور
 ومكينيا على كم توبه ، وقد تبينا مسانه طريقه وهو يحكي قصة غير
 واضحة عن بيرة (صيد) غير معروفة في الصحراء (٦) . ومسالما عن
 مكانها فاشارة الى اهل النهر غير المعروف الذي تحدثنا عنه . مساله
 الرصاص : : عن واپتها . فقال : مرات كثيرة . . . ومسالمة مرة اخرى .
 : كم تبعد عن هنا ؟ : قأجابي : : ساعة يوم واحد في الصحراء . .
 مساله : : الم يرها احد من الاطير من قبل ؟ : مهر وأسه أولا لأنه لم
 يفهم السؤال . ثم ظهر عليه الحزن ورفع إحدى أصابعه

كان وصيادنا من اللغة العربية قليلا . بينا كانت لغة البردية
 مخبطة باللغة الكنسية Kanna حتى امسا وحدنا صخرة شديدة في
 فهم ما ذكره بعد ذلك . واستطعنا ان نستنتج ان احد الخواجات كان
 يسافر على الاقدام وحده بحثا عن هذه البرية ولم يمد قبل ما في
 الصحراء : لم اتق ؟ لا احد يراقب .

ورد الرجل حامل النحر قائلا : : كان ذلك حته وقت طويل مضى
 ولم يأخذ معه مرشدة .

وكنا مستعدين للخروج الكثير من المال للوصول الى منبع هذا النهر .
 والبحث في الصحراء عن هذا الميند غير المعروف ، ولكن صو- حظ من
 عدم النوعية من السفر . يحصل المسافرين يترحمون بعدم الخروج عن
 المسار المألوف . وكان فصل الصيف قاسما ، والماء متخفص في النهر ،
 والتمكيلة اليومية للمحسية قاذية ، وفي النوبة يصعب شربه أية مواد
 غذائية ولذلك لان المسافرين للتيالي يضاف بالموت جوعا . وعلى المرء ان

(٥) اني ان الضيال قد خلج بالكتابة Ma قطر من القارم حتى انها خست ليمس
 لخطان الضحية عن معربة الاطير - (القوجم) .
 (٦) كلمة بيرة العربية ضلي صيدا - (الميربب) .

يلاحظ أن دور النيل يتلا من أن يفيض لمصلحة ١٢٠٠ ميل دون أن يسهل
إمدادات من أي دافد آخر . فإنه حين يخلق مياه الدافد كبير (١) -

وتتوالى المصايد في تتابع سريع بالنسبة لهؤلاء الذين تمه ببيع
الجنوب حلقهم . وقد استلما تحقيق ذلك بفوحات ، وسعدوا بعتما
رست ذهبتنا العاجز عن التجدد من أي شيء يستحق المشاهدة .
وعلى ذلك فله لطفنا في يوم من الأيام إلى المعركة ، وهي ليست من حد
دانها . لا حراية كثيرة ولكنها موحشة كمنظر مبالغ المرسوم ، وهي تظهر
للقدام من البسطة بعد النزول من المركب على شكل صفين متوازيين من
الأكمنة . يقفان في جرة مقابل المسلة ، ويستندان بناية مسقوفة خربة .
وفي المقدمة يقف القليل من نخيل النوم المتخلف بالسو وهو على وشك
الجناف والموت لعدم وفرة الغذاء في قرية قاحلة . بينما تقرب الصحراء
من على البسة .

ونحن معاصرون هنا مشهد سيق من الرجال والأولاد ذوي
السحات المتوحشة ، والفتيات الوضعات ذوات الشعر المصبود والأهداب
المريرة اللالي أخص يروعنا بالعرود والخصباء ، وهي يرقصن ويصرحن
ويضربن أرجلهن ويصقن مايديهن في وجعنا ، ثم يلتقي علينا الرلط
عندما نسير . وأخذ أحد المحاربين المحتاجين بلوح بندقية قديمة يبلغ
طول ماسورتها ستة أقدام كاملة . بينما حمل بعض المحاربين الآخرين
رمحا وقبضة .

ويبدو أن المسك وهو مبنى ووماني قديم قد تعرض للفساد نتيجة
زلال حدث قبل انبام ساله . فقد كانت جميع الأعمال الحجرية غير
مصفولة . وظهرت الأعينة كما لو كانت قائمة لتوها من الحجير . كذلك
كانت تيجان الأعينة على شكل كتل تعطر المباني . وعدم التوافق غير
المسكلة الصنع ، والتي كلن يبدو كل سر منها جديها كما لو كانت الصل

(١) - يخلق النيل مياه نضر روافده وقد ظهر حقيقة عند خط جرجس ١٢٠٠ شمالا
منه خرب البسطة التي اتخذ شكل شبه الجزيرة والتي تسمى جزيرة جرجس . ومن هناك
ينجا شمالا (في شكل مجرى جرفه يفيض إلى روافد أخرى) خلال ١٢ بوصة من خطوط
الدرجى . في يتبع مجرى المخرج لمسافة ٧ ميل عن ١٢٠٠ ميل إلى الجرجس . - انظر كتلت
بلاكلي " *Imperial Geographic Survey of the Sudan* المصروع سنة ١٨٩١ . وهو يصحح الخط
للمسافة . من المحتمل أن يلقى القصور على كلالج كجباله لكثير من جرد للروافده من
هناك الرافد الذي يمتدحه منه ٢٠٠ ميل .

من الكلاب التي تسبح ، والدبوك الذي يصيح في القرية - ومثلت من الخنافس بطول المسار ، والجمال الحقيقي الحية يطويها الأسود مثل الفحم وهي مسعولة مثل السمل حيث تقوم بحرية باللات الطين من عند حافة دله الى الصحراء ولو كنا نحصى عدد من هذه البالات فقد نجسد هنا او هناك دالة لا تحتوي على البيض لان هناك حقيقة غريبة مفادها ان الجبل يصنع باللات ويسرجها ، سواء اكان بها بيض يريد حفظه ام لا - اما أنتي الخنفساء فبالرغم من المساعدة التي تلقاها من الذكر فانها تقوم بالمرح - الصبب التمتع بحرية الباله ، واذا حل المسد قبل انتهاء بالتها فانها تنام طوال الليل وهي مسكة بها بين أقدامها ، ثم نواصل عملها في الصباح (١) .



وقد بدأ إنشاء المعبد هنا على يد ملك الحيوي يعني أركامان (أركام) كتب عنه ديودور الصقلي قصة طويلة لم استمر الفصل في استكمالها بمدينة الطلالة والقيصرية . ويقع المعبد في قضاء واسع متعزل في شمال القرية . ويتم الوصول اليه عن طريق شارع القيصت حوائطه يكتل منقولة من مبان أخرى أكثر قديما . لها حجارة الشارع وكل الأرض المكشاة التي تحيط بالمعبد الى مسافة ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة فهي ليست مبنية ولكنها عبارة عن أكوام من قطع التخلقة والرمل وأحجار كبيرة ناعمة من

(١) انظر كتاب المؤلف ومؤلف C. Woodcock وحرفه The Hauran
Baker وهو عبارة عن زوايا تمتد الى الحفرات التي كتبها (ج . جابر) التي ادم
جسمة ومضت انه علمها في المنطقة والحقبة في ٨ نوفمبر ١٨٧٥ وقد طبع في مكة
للاؤلف .

لحجار العرعر (نوع من الصخور الرملية يتناثر باللون الأحمر القاتم ،
وهي المرمر ، واليازولت ، ونوع من الرخام الأحمر ، وهي جميعها أحجار
محببة لا بها تبلو كما لو كانت لقطا من تماثيل قد شكلتها المصنوع المتناهي
من الاحتكاك في حوض سيل جوف ، ومجد بين القطع الموجودة بعض
الشقوق مثل تلك التي كانت في العتق (١) - أما عبد المسد فاقول
إنه جيد البناء بالسمة لأي عمل أحمر من أعمال الأسرة النافذة عشرة
أو الأسرة التاسعة عشرة التي أعرفها ، والنحت ضيق جدا ، ولم تر حتى
اليوم مثل تلك الصور الهيروغليفية وديانة الشكل ، وتلك الالهات
للصبرات المتبسمات ، وهؤلاء الملوك الهزليين بأسطى رؤوسهم الرديئة ،
وباختصار ، فإن المبني كله ملوح من الأبنية البطلمية الخارجة عن الاهتمام
البطلمي .

وسرعان ما جددنا متجهين إلى كويك ، والسر هنا وأصبح وسرع
الميراني ، وبعد أن تجاوزنا الجزيرة الرملية نزلنا تحت حواط بناء
ضخم من الطوب الذي جعلته المصور الفوتالية أسود اللون ، وكان يبدو
للرخصة الأولى بدون شكل محدد ولكنه يدل على أنه تلمسة عصرية لذيذه
ذات ركائز وارتفاعات ومناظر ، وقد شطبت عنه الزوايا بفرد عسوية
على شكل قوائم ويحيط بها حندق جاف عيني ، لا بد وأنه كان يمثل بناء
الفرسان في كل صيف .

وقد وجدنا ضمن الأبنية النادرة في وادي النيل خرائب مبنى لم
دري ، وهو بخلاف أساسات المباني السكنية المنتشرة هنا وهناك ، بعض
قول مبنى من نوعه ، ولا بد أنه قديم جدا ربما يعود إلى أيام توتنيس الثالث
الذي وجدنا اسمه مموحا على بعض الكتل للفتارة على عهد حوال دبح سيل .
وهو الذي أقام قلمتين مائلتين لهذه الكلمة في سنة التي تقع على بعد

(١) كذلك مكة (التي تطلق عليها الأمازيق والبربر اسم Pstak) بينما أطلق
عليها المصريون اسم Pstak . تكثر بونا ما على مصر وأثيريا ويحيى أنها كانت
حيلة صخرية ضخمة ، أما الشكوك المنتشرة هنا فهي التماثيل وحملات ركنية
الجوهر ، وقد روتت الموانئ الخارجية للمصب والصحراء من الداخل يتوسط يديرة
كتب بعضها بالبحر الأحمر ، ولعلنا أن بعضها كان يلاقي اليلة ، وكانت الكثرة
بفهم القلمين الثانيين من فوق لحد الداخل فيال الفكتور يورث أن أوجسها مكتوب
بالهيروغليفية المصرية وهو مجرد اسم ، أما الثاني فغير معروف .

التي هي
التي هي
التي هي

حسمه وتلازمه ميلا شمال ولدى حلما . وريفة كانت تعود الى فترة سابقة عليه بحصة ألفه عام على أيام الصناعات الثالث الذي يوجد اسمه أيضا متقوفا على لوح بالعرب من كويان (١) : لأنه كاس يوجد هنا في يوم ما حفرة قديمة على دكة الحالية وهي ليست الا صاحبه جديفة واقعة على الضفة الحالية . وقد ضاع اسم هذه المدينة القديمة ولكن يصرح البعض انها تنفق مع مدينة بطليموس *Metacompeo of Ptolemy* (٢) ومع مو هذه الضاحية كانت المدينة الأم لمصطلح . ومع الزمن مساحت الضاحية من المدينة وتحولت المدينة الى ضاحية . وما زالت الكتل المناسرة التي تحدثت عليها مع بقاءها بحيد صغير . تحدد مكان المدينة الأكبر .

وهي المحتمل ان تكون حوايط هذه القلعة القريبة والمكترة قد قدح الكثر من ارتفاعها الاصل . ويبلغ سبكها في بعض المواضع ٣٠ قدحا ولا تقل عن ٢٠ قدحا في المواضع الأخرى . وقد بنيت وأسست بالحجارة للداخل . مع اسداد الركيزة في الخارج . مع اقلية زكاثر اضافية مبنية على مسافات منتظمة . وهذه الاسورة لا تصيب شيئا الى قوة الحائط الاصل . ولابد انها صممت لزيادة الدفاعية . وهناك مقلات الى القلعة اخصها في وسط الحائط الشمالي والآخر في الجنوب . وقد دخلنا اليها

(١) يوجد على مد اكل من روج جبل . خرابط مصد صغير من الحجر المرطبي الذي المدة التاريخية . وبالمساحة هناك سكر بالظفر من قديمه على لوح حجري من عمر المبعثات القديمة . يذكر للمدينة الثلاثة عشرة من حكمه . انظر *Murray's Handbook* ص ١١٩ ويكتب ج . جاسبرج من لوسس القليل قاعا . انظر ابنه ميتالوجيا اسجوب قلعة عديمة في الفروجة . - *Historie Ancienne des peuples de l'Orient* ج . القس الطالك ص ١١٢ .

وهذه كويان وجد لجهة لوج وسيسى القلعة المشهور والمعروف باسم "لوح النكة" . وفي هذا الخارج ظهوره هذه بسطة يحتفظ بالواور . يراه ان رسمين للثاني آخر يملأ بقر وبقرة في المصمراء ما بين هذا المكان ويجعل كماله لتسجيل تدفيل مناجم الذهب في هذه المنطقة رة لدا ٦ ١٤ ٢٠ ١٠

(٢) . بالمشد ضيقة . بالليوم كل بطن متراكمة من لاد في الكور في جوارها سلكوس حيث لوجة "خرابط" بضمعة "لوي" الكورنة القين . ولما مع هذه الاثر يكثر ميتالوجيس وسلكوس امين قديمة ولعدة . انظر كتاب فيلترتون بعنوانه *Topography of Thobek etc* "لجنة سنة ١٨٦٥" . ص ١١٤ . اما حيلم ليفيلد ذو سانت مارتن فترى ان جزيرة خرابط القريبة من المسافة في مدينة ميتالوجيس لاصحية . انظر كتابها *Le littoral de l'Asie Mineure* - القس السامس ر جو ١٦١ . وهذا كان الاثر قديمة في جميع الامور تتوزع الى المسار العظيم الذي لصلته هذه القلعة والتي ممركة بطرية جوت تحت جدرانها . يقول استرابون ان "الايونيين اهتموا برسة لسحاب جرد من القلعة الرومانية" . اتموا يومهم ساجية على سجون والفتين وكيلة . واستراليا . -

من طريق الممثل الثاني ووجدنا أحسنها في وسط متواري ابتلاع صخر
يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٤٥٠ قدما - وربما بلغ عرضه ١٠٠
قدم من الشمال إلى الجنوبي -

وتحيط هذه المنطقة كلها ببنائة من الخرائب - ويبدو هذا القصر
كبيرا بما فيه الكفاية لاضاء مدينة ضخمة تحوى على أقالى اثنتى عشر
مدينة - وأحدها نسلق تلالا صخية من المخلفات ، وتسلق حواف
شلالات من الشقاعة - وتقف على حواف مناجم محفورة ومقلبة مثل قرص
النمل على عبي اربعين قدما - وقد اقيمت أساسيات من الطوب اللبنى
وقد احتشد فوق هذه التلال وعده حوالب هذه الخناجم - رجال ومسيح
ولطاف يلازم سلالا من الأواني ، ويصمون بها بيوتا - وكل ذلك الخراب
محصن من السحاب - ويصمم عليها وصف ما كان في بيوت من الصحيح
والحرارة - والاربابك - ويتوقف المشاهد وربك محاولا أن يكشف
هذه المناصه الضخمة عن دليل يكشف عن خطة محكمة دور جردى -
وسمعت صرير كبير ان أعرف تدريجيا ان المكلف ليس الا محاولة ضيقة -
والى صبح هذه التلال والمناجم فتمتد مرفع ما كان في يوم ما صرخا صرخا
من نفا الى موقع مرتضى كالبرج مثل ذلك الذي مره في موضوعات امارك
فى (ابو سنبل) وطيبة - وأصبح هذا الصرح المرتفع والجوهر الى كرى
كالرسة حيث ينزل على شكل قطع صغيرة بيضاء ويحول إلى بودرة ويسر
على صفيحة الأرض كسماد - وقد استغرق بالفصل حتى أساسيات -

هـ هنا ونظرا سكتها جيدا - ولقوا جملات كثيرة على الأرض (أنه بترونيوس
الذراع طرد إلى عده عن منارة آلاف جدى من المضايق - ٨٠ حين أن يعرف جهنم مكرها
من ثلاثين ألف رجل ، وأجبرهم على التفكير فى شكاى - ثم أرسل وكالة لمقتضية
بأساطيرها بطيخة - ما ذكره الاستاذ لى لأفرام بن بديار - المصنف - وقد ورد بترونيوس
على حوالبهم بأنهم ظفروا منطقة مبيتة من المكاف الرومان تأكله ليعزله ليمر هم أصابع
السلطة بن قيسر - وعلمنا طيرة مهلة ثلاثة أيام للتفكير ولم يفتوا شيئا مما ندموا
به - فاجتمع بترونيوس وأجبرهم على القتال فهبوا - رجلا - صمد سودا فيلهم برسو
تسلبهم لأنهم كانوا يمسكون نروسة مسمومة من الجند الشام والروما كاشلعة
مسمومة - وقد سبق جزء من القوات كتنزلة إلى داخل القلعة - بينما مرر ليمس
الأمر إلى اللطال غير المجرى - أما الذين ظفروا بطيرة فطرد هربوا إلى جزيرة
مباركة حيث لا يوجد عدو كبير من اللطال حسب قتلهم - ثم لم يبق بترونيوس
بمواجهة ملكهم وإسراى عليها - أسطر جرافية ليدراجون - Blabon - Capetaphy
منزوح في يوم سنة ١٨٠٧ - الجردة قتال - حرس - ٢٦٨ - وربما كانت هذه
الجزيرة قنرى قرب القلعة المنزوعة من الجزيرة المضملة التي جازلت في وسط الكهف
وتتمتع الاقتراب من مكة - أو أنهم هربوا إلى جزيرة كبريت التي يسط بضياء سبعة
أميال لا تسترهمون لم يظروا لهم الجزيرة -

ولم يبق إلا البئر التي في الوسط ، وحائط الدائرة الضخم - وهذا الحائط يضيئ الآن الى حفه ، وميلاني تدريجيا يسمى صغر بعمق الصرح - اما البئر التي كانت عميقة جدا ، فقد حصدت بالمحلفات حتى الماء - وفي نفس الوقت فاند الاسفلن لكي يعرف ما ينتله هذا المكان حاليا لا يمكنه الا أن يتخيل ما يبدو عليه برج لندن اذا تحولت المياه الساحلية كلها والبرج الأبيض ، والكيسة ، وصندوق الأسلحة ، ومقر المحافظ ، وكل شيء ، الى حرائب غير مغطاة الفكل ولم يترك منها الا الحوائط الخارجية والنفق .

وقد احتضنت مقابل الجانب الداخلي لحائط الدائرة بلانيا سلسلة من الأبراج الضخمة تبعد بعضها قصيرة فالكسبة لبنه الخارجي ، ولا يمكن ان متصل بالأسوار الا باستخدام السلالم ، ويواجه افضل هذه الأبراج مع جزء ضخم من الحائط الصحراء القارية .

وخرجنا عن طريق الحقل المسال ، لنجد ان جوانب المساوي . وهي درجات السلم التي تقود الى المبنى سليمة وقد بقيت عند قاعدة الحائط الضخم على الجانب الخارجي في مواجهة النهر فتك تبليغ مساحتها حوالي ثلثي مربع ، وهي مبنية ومسقوفة بالأسجار - وصفها موراي في كتابه بأنها بوابة مائية .

وعندما تحولنا للسحاب كانت الشمس قد ارتفعت ، والحرارة انشربت ، والقارب في انتظارنا - فوضينا ولما عنا ونحن نعرف أنه ابتداء من هنا وحتى القفصة - لن نساعد أكثرنا أخرى من المبنى الصحيح فيما هذا الحصن المفقود - انه مجرد جبل من الطوب اللبن ، وبالرغم من سم ناسق شكله إلا أنه يبنى الاعجب بسبب قوة تناسب أجزاءه الضخمة ، والاثارة التي تنطلق من تواضع الملاله - ولكنه يبه العصور الضالعة الى خيال الانسان بطريقة لا يهد عليها في صيد آخر - انه يبدو لامعا في لحظة الانراق الأثري للنقوش ، ويصيرنا على أن نذكر هذه الملاين المنسية من الشعر والتي لم تذكر مسأولا ، هؤلاء الذين شكل منهم الحكام جنودهم في وقت الحرب ، وانفقوا عليهم يتألف في وقت السلم .

وأصبحت ضلالتنا في الطريق قليلة ومتعانة ، ومن النادر الآن أن تقابل ذهنية - وصار عند الطيور كثيرا عما كان عليه في هذا الجزء من البحر منه أسابع قليلة حمت - وراينا أسرابا ضخمة من طائر الكركي الأسود والأبيض وهي تحتشد على الضفاف الرملية ليلا ، وأصبحت أعداد السمك في متناول الصيد ، واتفقنا لدى رؤيتنا للبرجل البكمول وهو يفرج بشفاهه ويسود بملء حمية من السبل ، ذلك لأن آخر بشرى كان

لدينا شد ذبعضه قبل موجهنا الى وادى حلفا ، كما ان آخر دجاجتنا توقفت
عن الولوجة عند (أبو سنبل) .

وفي صباح احد الايام شامعنا عروضا يعبرون بها النهر في مركب
كبيرة مربعة بالنسبة والبنات اللاتي يصطفن بآيديهن ، ويطلقن الزغاريد
المموية . وكانت العروس ذات جمال يلون الشيكولاته . وعينهن رافسي .
وتسري بقلادة تتلوى فوق حاجبيها ، وحرامة من انفها ، وقد جدل شعرها في
حنك من الجذائل الرفيعة التي تنتهي في نهايتها بحبات من الصنمسان
مطوية بلون اصفر . وكانت تقف صامطة بصديقاتها ، فقخرن بتيارها .
وحبيبة وهي ترى الانجليز يرمقونها بعيونهم .

وفي ذلك الوقت ايضا ، رأينا في إحدى الليالي نوعا من الاحتفالات
البدائية يعمر على بعد عدة اميال من جاسى النهر . ورأينا البردان تستعمل
قرب الضيق أولا على هذه الصلة ثم على الصفة الأخرى ، وازداد لهاها
وتمساح رقبتها مع جيوث الظلام . وبعد دعائنا للنوم كنا نسمع أصوات
الطبول وهي تقرب شيئا فشيئا على الضفة الشرقية ويري على البعد
مركبه متساعل برافس . وكان تأثير هذه المتساعل - لأن المتساعل فقط من
اننى كاسه ظاهرة - شديدا جدا . وكانت الأضواء بهتف وتتقافز
كما لو كانت كائنات حية . وتنبور وتقلب وتكيد وتتمالى وتطارد بعضها
الأخر في سرعة . وتندور في الهواء بين حين وآخر مثل الصواريخ .
وبالرغم من أن الوقت كان متأخرا إلا أننا رغنا في الهبوط الى الشاطئ
ومشاهدة هذا الاحتفال من قرب . الا ان الرئيس حسى من رأسه رافعا ،
خالصا أن المواطنين في هذه المنطقة يميلون الى الفسحاح . وإذا كانوا
يعملون ببولد بعض المصانع المحليين وهو أمر نادر ، فإننا سنستعمل
كاسلات متطلي .

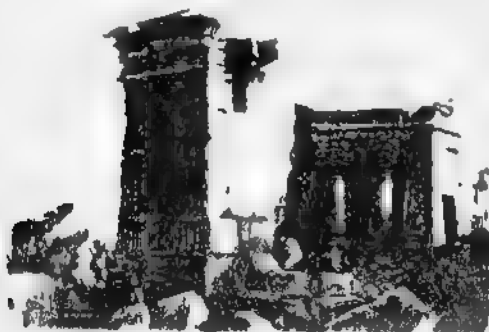
وعلمنا وصلنا ميكرين في صباح أحد الأيام الى جرف حسى ، اتفدنا
طريقنا الى الميد الذي كان محفورا في واحدة صخرة في الخيز الجبرى على
ارتفاع حوالى ٢٠٠ قدم من سطح النهر . وهناك مر صحنو شديد
الحرارة تحت أشعة الشمس ، يتود الى شربة واسعة في الصخرة . ويتم
الوصول الى الميد من خلال وراق خرب ذى اعمدة وطريق للمنازل الضخمة
المطلة - وباحل المكان شديد الانخفاض . أما خارجه فهو صخرة من المصد
الكبرى من (أبو سنبل) ، كما أنه يعود الى نفس التاريخ الزمنى . وهو
مكون من قاعة أولى تحلها أعمدة على شكل فوزوريس ثم قاعة ثانية أصغر
جمعا ذات أعمدة مربعة . وقد غشى المكان الهيكل بلون أسود ، بالإضافة
الى حجرتهن جاليتين ، أما أعمدة أودوريس الضخمة التي ترتفع الى

Fig. 1. Diagram of the



مسافة ٢٠ قدما دون اصباحة الأحرار الي بعض بهارات الأعمدة عن السفن
 وسدون قواعد تحت ادمائها ، وبذلك فانها تبدو قصيرة مسنة ومقوسة
 السيقان ورديته البسكل - وسدو وجوها كما لو كانت قد ضللت أصلا
 باللون الأسود - سيما نحو السائيل الي في الطريق الخارجى ذات ملامح
 أثيوبية واضحة * وكان عليا أن نبحث هـا عن أسلوب البعثين الذين
 أقامو الرميوم حتى طيبة مثلما فعلنا في (أبو سسل) أما البحران
 لجانبين في حرفي حين هما تقصاق بالحقائش *

وبمثل هذه الحقائق اعظم مناظر المكان ، ولها منظم يعظم فعاليتها
 الاستعراضية ، وقد وجدناه في انتظارنا معه حين شحبت بهائيه في
 القطران يقوم بعده فيصيح في المدخل الشديد الظلام ، وفي لحظة واحدة
 راسا السفن كله وقد تعلقت به رواءد بيضاء من ستارة شفافة - وكان
 ذلك مجرد لحظة واحدة ، وفي اللحظة التالية تحركت جميع الحقائق
 واندمجت بحنن في وجوها من حباب الثلج المتساقطة - وبما بعد
 وبعد انتهاء الاندفاع التفطيا حفاشا ميتا ، وفحصنا في الخارج في ضوء
 النهار ، كان مخلوقا صغيرا يدهبها أبيض اللون ومقطي بشعر ناعم ،
 وله حسان شفاهان ، وقدمان صغيرتان ورديتان ومن رقيق مثل
 ثم الفشار *



معبد ودور *

اما الصحور الواقعة بين حرف سبي ودور فهي مدمرة باشجار
 النجيل القصيرة ، وأشجار السنط ، وشجيرات الحما ، فانها تتجمع في
 شكل كتل منمرلة تشبه الأطلال ، حتى اننا لا نكاد نصدق انها صحور *

وعنه غروب الشمس في دمنور وهبوط غلام خفيف على الوادي ، كما
 زيارة معبد صغير يقع على الضفة الغربية وهو يقع أعلى من النهر ، محاطا
 بحائط من الأراضي العامة . وهو يتكون من بوابة منزهة وهو للأعمدة
 - وهي تم صغيرتين ، وقديس أقداس - ويشبه المكان كله لمبة دائمة حفظاة
 بأعمال الحمت السابعة للمسي وذات الشكل الجديد ، والبهاء المنحني للأصنام .
 وعندما كنا نراهم فيها بين الغروب وحلول الفسق ، يبدو لنا أن هذه
 النقوش البارزة تنتمي إلى المدرسة التي تليها (١) - ويغطي اللون الوردي
 الخفيف الذي يلح في نور الفسق ، كثرة من الأحطاش التي لا تصد
 ولا تحصى ، ويدخل بالحديد في جو من القسرية .

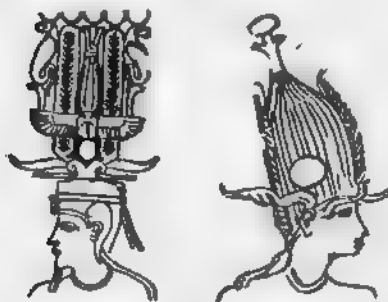
واخذنا نجيب لما صار إلى الجو ، فقد استيقظنا في صباح اليوم
 التالي ومن ثم رتدنا حتى قرب نهاية اليوم ساعة ، كما أننا بنقوسنا
 لأول مرة منذ أسابيع عديدة القسرية المبكرة القديمة في الهواء . وعند
 الظهور وجدنا أنفسنا في كلابنة وقد مررنا بحفود المنطقة المدارية أثناء
 الليل . ومن ذلك الوقت صار النهار شديد الحرارة بينما كانت هذه
 القسرية تأتي مع أحد ساعات الليل ظلاما قبل بروج الفجر .

وشاهدنا زحام الصباح المتزايد من بالمي الخرد والسلال والبضاي
 والحمام وهم يحيطونا من كل الشاطئ ، في كلابنة ، وقد حمل أحد الرجال
 حيفا قويا ذا مقبضين في جراب من القبطية الرقعة ، وكان يطلب
 حصة جنيهات ذهبية فرسية ، ويبدو هذا السيف كما لو كان يخص أحد
 الصليبيين ، وقد أحضرت بعض السيدات (قضية جاموسي) في قرية سوداء
 قلعة الظفر مربوطة إلى وسطهم مثل النطاق ، وكانت القسيطة جيدة ولكن
 القرب الجديدة تمنع النفس من انتهاء الماكولات في العادة .

ويوجد بالقرب من هنا معبد عظيم مغطى في المضر ، ويطلق عليه
 اسم سبل مو بيت الزوال - وقد حظيت نقوش هذا المعبد المشهور
 بالوصف والتصوير أكثر مما حظيت به أية نقوش أخرى في مصر .
 ذلك لأن مشاهد مركب حامل البهيرة من الأثيوبيين ، وحيلة مدينة هبورية ،
 وأنتمناوات رئيسي معروفة جدا ليس فقط لدى كل من قرا كتاب
 ويلكنسون ، بل بالنسبة لكل زائر يمر على الحجرتين المبرجتين بالمنحرف
 البريطاني . وهي مازالت جميلة بالرغم من الأجزاء التي نزعمت منها

١٧ « C'est un ouvrage non achevé au temps de l'empereur Auguste. Quoique peu important par son étendu ou monument n'a beaucoup intéressé, puisqu'il est entièrement relatif à l'incarnation d'Osiris sous forme humaine, sur la terre » - Lettres écrites d'Égypte, etc. : Champollion, Paris, 1828, p. 138.

والعائفة السبعة التي عاملها بها المواطنين والزوار - والرمم من فن لونه.
 هذه التلوين التي في القبة غير المسكوف كانت كاملة عندما دند بولوس
 لرحلته المثيرة للعجيب ، الا أنها الآن قد زالت عنها قشرتها الخارجية .
 ولكنها ما زالت تلمح في البهو والممرات الداخلية . وكذلك فإن اللون
 تمثال لوزوريس المظلم مثل الرماد واللون أوبيس القرمزية واللون
 إيريبيس النضراء مثل صفير الكروم ، ما زالت جميعها ملحقة بصفاها ونقاء
 خاصيتها ، أما من لونه جسم أوبيس فأعتقد أنها كانت اثره الأولى التي
 أصادف فيها لونا قمريا حقيقيا في كثافة الصبغة المصرية . ويقع بين
 معبد بيت القاضي ومعبد كلابشة المجاور له على مسافة تبلغ حوالي نصف ميل
 من مير جبل . وشليح يبلغ طوله حوالي ١٤٠٠ ياردة . ويعودنا رسميس
 الى حضرة أمتاس ، ثم نجتاز النخبة التي استحقها إليها في بيت
 القرويين العظيم الى القرية التي يشغلها القياصرة .



ولو كانت الرحارف التي في غرنة القياصرة تشبه الرحارف التي
 في معبد كلابشة لكان دوقها من اقبح الأذواق . لأنها لم تتماثل ابدا مثل
 هذه الآلهة التنكرية . وتلك السمات المخططة والمنقطعة والمتعاطمة . وتلك
 الأنظمة الساذجة التي فوق القفوس ، وتلك الألوان البدائية الصيفة (١) .

(١) لاحظت هنا كلون البهيمى للعداء الأثري والرجيمية ، واللون الأزرق اللاذع
 اللامع ، كما توجد آثار الطلاء باللون الأحمر فوق الكثير من الأشكال .



أما عن الآلهات فانهن مهرجات أكثر من البساتن التي اقتصرت في
الانصر . بينما يضح للوكة على رؤوسهم أكابيل مكونة من قرون وأعار
وطيسود وكرات وجارين ولزهار اللوتس والأفاخي الصغيرة - والهريرات
والريش .

و جرى تنفيذ هذا المعبد على نطاق واسع وهو كرتك النوبة (٢٠)
ولكنه كرتك تمرطس لهرة دفرال أعنف من تلك الهرة التي زعمت الأعمدة
الضخمة للصالة الأولى . واستقبلت صلبة ماتاسو . وهو يبدو من النهر
مثل قلعة غمسية . ولكنك اذا نظرت اليه من عتبة البوابة الرئيسية
للصرح فستجده مجرد متعة حرة ، فالكثرت والأعمدة وتيجان الأعمدة
والطبقات العارية بينها وبين السقف ، جميعها ساقطة ومكسرة يشكل
تصميم بحيث لا توجد قطعة واحدة في جميع هذه القاعات والأقنية يستطيع
الإنسان أن يراها بنفسه في سطح البلاط الأصلي . وللمرة الثانية يبدو
أن الرمال قد حلت قبل أمام العمل ، فهاك أشكال متعددة على الحوائط
ولكنها لم تسحت ، وأشكال أخرى بدأ العمل فيها ولكنها لم تنته . وتستطيع
أن تشي الموضع الذي توجب عمقا الأزميل ، بل أنك تستطيع أيضا أن
تكتشف آخر علامة صحتت على السطح . ويستطيع الإنسان هنا ان يتتبع
الميلانات الأربع التي تنم بها زحرفة الحوائط ، فتجد في بعض الأماكن أن
المساحات قد عرمت داخل مربعات ووصفت قبعات - سيطرة الصالح
الميكانيكي . وفي أماكن أخرى تجد أن الموضوع قد رسم بالفعل داخل هذه
المربعات بمعرفة الفنان . وهنا نحن بها النحات إلى مرحلة أخرى . وهناك
بدأ النقاش في تلويحها .

ومن أهم النقوش الأخرى التي تتجاوز أهميتها أي شيء آخر من
كلابنة . النقش اليوناني عن سيلكو ملك أثيوبيا . وقد اكتسب هذا

(٢٠) كان هذا المعبد يبدو من حد أسوان حوالي ٥٧ كيلو مترا . ولكنه أجيد
تشييد جنوب أسوان أثناء حملة استكشاف القوية عام ١٩٦٠ بمساعدة الألمان -
{ انظر المرجع } .

النقش شهرة عظيمة بسبب تعليقات بيور ولفرون التي اكتشفت سنة ١٨١٨ للميلاد بمعرفة سيو حلو M. Ch. وهو يتضمن ٢١ سطرا كتبت بالحجر الأحمر بخط جميل ، ويعود تاريخه الى القرن السادس بعد الميلاد ، وبينما هكذا :

لقد وصلت مرتين الى تليس (١) وتافيس (٢) .

لقد حاربتم ضد الجليمي (٣) ووعبى الرب الانتصار .

لقد هزتهم مرة ثانية . وفي المرة الاولى .

اقلت نفسي تدبما مع جيوشي .

لقد هزتهم وتفرعوا الى .

لقد اقصت سلافا منهم والسوا لي بامنامهم .

لقد وقلت بهم لانهم اناس ذوي عقيدة طيبة .

ثم صلت الى مسئلكاتي في الكفر الملوي .

لاني ملك

ولمست ملكا داحلا في ترتيب الملوك الآخرين .

ولكنني اكلهم

(١) تليس

(٢) تافيس

(٣) الجليمي جنس بدوي من البربر ، وللفرون انه يقطن اصلا الى قبيلة ييلماي التي من الفوق في الصحراء الوسطى وقد استقر حكامها في هذا الجزء من وادي التاهل الذي يقع بين الشلال الاول والشلال الثاني منذ قيام اوانيميتس .

المحر :

Les Rois de l'Afrique by : M. V. Desl. Martin, Paris, 1883, section III, p. 72.

أما هؤلاء الذين يبحثون عن المعتقد شدي .

فإنني لا أمتدحهم سلاماً في مساكنهم حتى يتوصلوا إلى طلائع المنور مني

أنني أشد في السهول وعمرة فوق الجبال .

الخ . الخ . الخ .

هذا التمس له أهمية تاريخية عظيمة لأنه يبين أنه في حلال القصر
السادس الميلادي بينما كان السكان الوطنيين في هذا الجزء من
وادي النيل ينتمون بالثقافة المصرية القديمة كل الأبحاث في الحروب
يعنون أنهم مسيحيون (*) .

وكانت عائلة الجنس البليسي تمثل جنساً حالصاً يمتاز أفرادهم
بالطول والقوة . وكانوا ذوي لون بني غامق . وعندما كنا نتنقش حلال
القرية عند الغروب شاهدنا جميع السكان ، نكاد الكهول من الرجال
يجلسون أمام أبواب منازلهم . والنساء ينسكبن وينسبن ، والأطفال
يلعبون . أما النساء اللاتي كن ينتمين إلى طبقات أعلى لامة وعبون صالبة
وينسكن بالحق الذهبية والفضية على أكتافهن وحواجيهن بشكل معرق .
لقد كن يخرجن مع أطفالهن الصغار ذوي اللون البني ، عابرجي السيقان
على وسطهن أو كتفهن لكي يستطعن الحافلة فيما أثناء مرورنا .

وكانت هناك سيدة عجوز مريضكة ترفق حناجر كوحها على دكة
مصنوعة من جريد النخيل . وقد وفقت نفسها مرتكزة على كوعها لسطة
تصيرة ثم انهارت مرة أخرى وهي تتأوه في ضحك ، وأدارت وجهها نحو

(*) هذا الاستنتاج مخالف للواقع فقد حملت المسيحية القبطية إلى النوبة أيام
الهابط القبطي (المصرى القديس أنطونيوس الرسولي الذي اختير للبطريركية سنة ٢٣٦
للميلاد وجاء إليه مروجون من *Primitives* للتبشير لتقريب من الأحوال إلى النوبة
أرضه لسطة وأرضه إليها سنة ٢٢ ميلادية وسار يعرف باسم ثاب سلامة أي (ابو السلام)
وهو لقب حوران البشة الذي كان يرسم ويرسل له صور . وذلك في مرفقة الكورينا
للمسيحية ويخول الأبحاث في هذه الأمانة قد حدث خلال القرن الرابع الميلادي على
يد الأقباط المصريين ، وهذا يخالل ما ذكرته القبطية من أن المصريين في القرن السادس
كلها ينتمون بالثقافة المصرية القديمة ، انظر في ذلك : ١ . تاريخ الكنيسة القبطية
مصر - برنات - ص ٢١ - ٢٠٦ - ٢ - قصة الكنيسة القبطية - ليريس ص ١٠٠
المصري - الجزء الأول ، ص ٢١٤ - ٧١٥ - ٤ . تاريخ الكورينا - مكتوب داهر
ويلفر - ص ٤٠ - ١١ . وكثيراً ما - (الترجمة) .

الحائط . أما المساكن المبنية من الطوب اللبن هنا فقد أقيمت داخل وخارج
 محتلة من الأساسات الحجرية الهائلة وهي بقايا مباني كانت عظيمة في يوم
 من الأيام . وقد بنيت بعض هذه الحوائط في أشكال مسجتيه بينما بنيت
 أطرافها من الأحجار بمتى أنها مضغوطة من الوسط وحرفقة عند الأركان .
 وهو طراز في البناء ، ثم تصدله ، لكي يغطي مقلوبة أقل عندما يتعرض للهزات
 الزلزالية (١) .

وقد شاهدنا أساسات أخرى مبنية بنفس الأسلوب في طائفا حيث
 وصلت في صباح اليوم التالي . ولا كانت الأعمال الحجرية في طائفا تعود
 إلى التاريخ الروماني المتأخر . بالإضافة إلى كثرة الرلزل في النوبة خلال
 الفترة الطويلة التي تلت ثورة الفرة الضخمة التي حدثت سنة ٦٧ للميلاد ،
 والتي ذكرها المؤرخ يوسابيوس فقد كان السباح مسجديا لنسبة كافة
 الأطلال إلى عصر قبطي والتورة الإصلاحية التي قام بها المسيحيون الأوائل
 وليس هناك شي . أسهل من التمييز بين تحريب الآثار الذي أحدثته يد
 الانسحاب والتحريب الذي أحدثته ثورة شاملة . فالتشويه يسود في الأول
 بينما يسود الاستبدال في الثانية . وفي دفرة حل سجيل المثال نجد أن
 الممر الذي حُفرت كان مضمدا ، بينما هو في (أبو سحل) عريض ، أما في
 الكرنك فقد كان يجمع بين التصدق والصناعة . أما في كلابشة في الواضح
 أن مثل هذا الممار الضخم لا يمكن أن يخطط بوسيلة اتسائية دون
 مساعدة المعدات الآلية ، مع التبرأت أو البارود لأن هذه الوسائل قد
 تركت آثارا واضحة .

ويوجد في طائفا مبدآن صمدان أحدهما معظم بشكل يصنع للرسم .
 أما الآخر فهو سليم تماما ويستخدم الآن كاستيل للحيوي . وهناك أيضا
 عدد من الأساسات الحجرية متصلة ومربعة الشكل ومقسمة إلى حجرات
 حجرة عديدة ، ومغطاة بحوائط بعضها ممتى في المسارات المنحنية التي

The Habitations of man in all ages, V, Le Duc Chap.
 IX, p. 98

(١) انظر



بفانيا معبد طافا بالكنوة .

سبق أن ذكرناها . وقد طلب هذه الأساسات الفرعية التي أحصى منها
الرسم ثمانية عشر أساساً . تثير حيرة السالحين (١) .

وتقع طافا في موقع ساحر ، ولا شك في أن الأجيال السبعة التي كانت
تفصلها عن كلابشة ، مع مطهر الشلال ، تمثل أفضل المناظر صلاحة

(١) لابد من هذه الأساسات لهذه موقع دير لطبي ورد وصفه في مخطوط عربي تعود
إلى ١٠٠٠ كاترغير حيث يقول أنه : في مدينة طافا يوجد دير يدعى يسمى دير المسجون
Androun وهو دير مديم جداً ولكنه صلب البنية لدرجة أنه بعد هذا كبير من
السنين حارل سبيد بدون استمرار . وتقع بالقرب من هذا الدير وفي مواجهة الجبل خمس
عشرة قرية .

امقر
Mémoires Hist. et Géographique sur l'Égypte et le Nubie
بكم E. Quatremere . نشر في باريس سنة ١٨١٩ - المجلد الثاني . ص ٥٥

ولا شك أن الدير والقرى أيضاً قد شهدت حسب الطراز الروماني المصري كما يعتبر
لأول مرة وربما كانت في الأصل تشكل كنيسة لأهونه محل الكنيسة اللاهوتية التي
في بلدة

لرسم على هذا الجانب من وادى حلقا - اما الجزر الصغيرة الصغيرة التي
في النهر ، ومزارع النخيل ، ولشجار البسط والخروب والحناء والخروج
وكافة نوعيات الأشجار المزهرة على حواف الصفاف والجوانب المتصرفة
والقمة المخروطية للجبال التي ترتفع حبا بصفة على سافة الماء ، فانها تشكل
مع السهل الرجل مساهر جميلة حيثما ذهب الانسان ، ويقال انه توجد
هناك غزالا في الوديان التي حلق طائفا - ويشرح أحد المواطنين وهو
شخص مشاكس يرتدى قميصا مرقا وعمامة بقضاء قلعة كيف انه يوجد
على مسافة ثلاث ساعات ، واد ضيق طويل به بركة أخرى أكبر من مدين
المحيطين اللذين في السهل ، وتمثال ضخم يجاوز طوله ثلاثة أضعاف
طول الرجل العادي ، إذن غلو سمحت القصة فانه يوجد كشمف جاهر
لم يرد القيام به ، وياع نفس هذا المواطن عقدا للرجل الكسول ، وبعد
أن مضى راضيا بالثمن الذي حصل عليه ، عاد اليها عدة مرات وخلفه
نصف أهالي القرية وهو يطلب نصف الثمن ، ولا نلصقنا هذا الطالب
المتواضع حاج كالمجنون ومرض عاهته ، وأخذ يؤدي بعض الحركات
الوحشية بالرغم الذي كان يحمله ، ثم جلس في حدو، وجلس حوله
استدقائه وجيرانه خلفه في شكل نصف دائرة ،

ويبدو أن هذا هو الاجرة الذي يقضيه النوبيون للثمن ، فانه الذي
يلفاره طائفا الزوال وفي نفس الوقت أحد الجمع صاحب يتزايد في
كل لحظة - وظهر الرئيس حسي حزينا ، وحشي حدوث معركة مضيفة ،
بيضا كان الرجل الكسول يقرأ صلاة يكرر في أسفل المركب (لأن ذلك
الصباح كان صباح الأحد) ولم يسمع شيئا من الضجيج الدائر في
الخارج ، ومع حالة الطوارئ، علم خطر في بال الكتابة أن ترسل الى
القاضي رسالة تبلغ هؤلاء السادة بأن الخواجات يؤدون صلاتهم الآن في
النهية ويطلبون الزهم أن يخلصوا حتى ينتهي وقت الصلاة ، وكان كاتير
الرسالة عاجلا فقه سمعت الأصوات القاضية ووضع المتحدث صاعته على
رأسه ، وجلس النظارة الرطبة على القاضي، في صفه ، وبعد أن مرت
على ذلك الوضع ساعة كاملة ، أحبطت العاصفة في الانتشاع ، وعنسا ظهر
الرجل الكسول على سطح المركب ، تقدم متحديا الى الأمام مهيأ بأن يبدأ
المسافة من جديد .

ولا نهما الصورة التي انتهت بها هذه المشكلة ، ولكنني اعتقد انه عرس عليه ان يسترد عقده في مقابل رد النقود التي اخذها ، وقد اضطر ان يلتزم بالمساومة التي اخفق عليها - والواضح ان ذلك كان نتيجة الاخلاص الديني الذي يتيم على عقول هؤلاء الناس نصف المتوحشين (١) لدوجة التي وجدت ان الواقعة لا تستحق الذكر .

درس الآن على بمله اقل من اربعين ميلا من قبيلة ولكن المريج القادمة من الامام كانت صعدا على طول الخط ، وقد تعد ستون الرجال من الميز ، ولا يوجد دقيق في هذه القرى النوبة . وقد كنس الرجال المساكين اخرجوا القنات الذي كان موجودا في تاج صحارة الميز منذ ثلاثة او اربعة ايام مضت ، وهم يبيعون الآن على ثلاثة ارباع الجارية المفروضة لكل واحد منهم ، من شورية الفس والعليل من الدر الذي تنزوه من وادي حلفا . وقد جثموا بهوار مجاديطهم صامتة . او حاولوا ان ينسوا جوعهم بالاجابة الى التوم . وبالنسبة لنا كانت رؤية حاجتهم الى اللبن قبيح الامنا ، وقد تضاعفت هذه الآلام لحزننا من مساعدتهم . واقسم تلخص الذي وصل منزله الى اقل مستوى ياله لا يستطيع ان يعمل شيئا . اما علم اللحم المحفوظ للوجود لديه فليس تكفي لفداء خمسة عشر رجلا ولا لغة يرمي بها . اما من الدقيق فليس لديه الا كمية من الشعير تكفي الخوارج ولا شك في اهم جانسون ، ولكن ماذا في ذلك ؟ انهم اعراب ، والاعراب يتحملون الجوع مثلما تحبب الجمال العطش لهذا ليس بجديد بالنسبة لهم ، وقد هانوا من الجوع من قبل ، وسيهانون منه فيما بعد . يكفى هذا ! فليس على النساء الاهتمام بمثل هؤلاء الناس !

وكانت نصيحة جيدة بلا شك ولكن من الصعب الاصطفاء اليها . لن عدم اهتمامنا وعدم قهرتنا على عمل شيء هؤلاء اللذين المساكين شيء .

(١) : انه يلحق هناك يكون لهم كلفة للسكان المسيحيين للكل من اهل المدينة الذين كنفوا فينبية الاسلامية حتى لمصرع البلد للسلام . وه لجا هجرة الاكر من لغولهم الى الفرار . او لهم قتلوا أثناء هذه الحركة . ومازال يطلق عليهم اسم اولئك القسوس - الى قرية المسيحيين .

Traité de Nubie, Buchenart, London, 1813, p. 181

الطريق الثاني

لا يمكن احتمالها • وعندما يصي هذا أن يصنع أيدينا على محزون بلحمي
 القليل من البيض والسكويات وأن نقيم مساعفات اليانصيب ونخصص
 لها حوائث من التسيكولاته والذئب بأن ذلك يصي أما قد تصرفت بالليل من
 الحكمة • وقضيت ساعة أو ساعتين محب حمر الشمس في فوطاس ثم
 توجهنا إلى داوود • إن معاصر الحجر الجيري في فوطاس مدينة المناظر
 وسقوش الخاصة بالنور • ولست أظلال المني الصغير إلا مجرد مجموعة
 من الأعمدة التي تسد قطعة من الاقربير الذي يقف فوق حافة صخرة تطل
 على النهر • وعينك أن تظن إليها كما تريد سواء من أعلى أو من أسفل
 وأظن شمالا أو جنوبا فهي من جميع النواحي تمثل منظرًا صالحًا للرسم •



معبد داوود

وإذا انقلنا إلى داوود على ذلك السطاط السحري المذكور في
 قصص الحببات ، فكل الإنسان سينظر إليها بوصفها حرائب في • منطقة
 ساحلية • لاسي الجحباب الهادئة في وادي الأحلام • أنها تقع بين النسي
 من انحدارات النهر الذي يتسع في هذه المنطقة دون أن تظهر له مزارب
 للتصريف ، وقد أحاطت به الجبال ومزارع الخيل • أما المبدد نفسه
 فهو صغير وغير ذي أهمية • وبدأ اشماؤه مثل معبد الدكة بمعرفه أحد
 المبوك الأنثروبويي وينتهي بمعرفه الطالمة والقمامرة • أما الشيء الغريب
 فيه فهو عبارة عن صوهمة سرية ، وتوجد بجوار الهيكل غرفة جانبية
 مظلمة ، وهناك حفرة في أرضية الغرفة الخائية التي كانت مغطاة بالبلاط

في يوم م . وفي احد اركان الحفرة كانت توجد فتحة تسمح بمرور جسم رجل من خلال ممر ميق . وهناك في الممر الضيق درجات سلم تقود الى غرفة سرية مبيتة في جسم الحائط . وقد شاهدنا غرضا سرية أخرى في المأيد الأخرى (١) ولم نكر ببيتها غرفة واحدة سليمة بما فيها من الأساليب القديمة .

ولا نتجاوز المسافة في دايود الى حيلة عشرة اميال . ولما كنا نقتصد بتوريجور الأقرب اليها بمسافة ميلين وهي نفس القرية التي عند سفح المنحدر الرحل الجبيل الذي وضعنا بالقرب منه في طريقنا الى جتسوب النهر . لقد كان علينا ان نبقى هنا لمدة يومين يليهما أسبوع على الأقل في حيلة . ولذلك لانه بمجرد وصولنا الى توريجور أسرع الرئيس خمس وثلاثة من البحاوة الى أسوان لثراء الدقيق . وطلب الكهني على . ووزن الله . وموسى الذي تقع منازلهم في القرى المحيطة بالمكان السباح بالفياب لمدة أسبوع . وسرعان ما تقلص عدد البطيرة الى خمسة تحت رئاسة حيلة . وعلى كل حال فقد كان هؤلاء الخمسة بمثابة حسي .

وعندما رست اللصبة ولم يكن هناك شيء نعمله . وقد أصبح يعارونة الخمسة سماه الآن بعد ان استنطعوا شراء بعض اللطائف النوبية الناعمة والعص 'الأحمر' . فقد أقام الرسام حبيته على قمة المنحدر الرحل . وأحلب الكتابة ترسم حرائبه الدير القابل . وانخلت السيدة (ل) والسيففة الصغيرة نكتان خطابات لانتتهى . وقام الرحل الكسول بقصه محمد على بصيرك السمان . وصرر الجميع بالفرح .

وكان الرحل الكسول منجوما . ولكنه لم يكن مصابا بسنن القتل لأنه اكتفى بفعل السمان ولم يمارس قتل الأطفال ؛ لما الذي دفعه الى

(١) كانت حيلة في هذه القرية للسرية (التي ظننت مدبطلها حيلة بكل صورة شرفة يجب لا يمكن للكشف عنها) التماثيل المسخوفة من الذهب والفضة والبرونز . والبرقيات الذهبية . والممنوع . والفلاند المصنوعة بالجوهر . وجميع الكائنات النورية التي في المأيد . وقد رأينا تكرة مشابهة وغرفة صغيرة في ركن بعيد للحلة . وبعض المراسيم الغريبة وأماكن الاغواء قصص الرخية الغريبة الظلمة التي لم تترك القهقهة بجمع حيلة . وجميعها قد كسرت وسألت . ولكن لدينا شيئا قويا للاعتقاد بأن الرسام قد اكتشف مكان غرفة سرية في ممر الى غرب الأوتل حائل حيلة . ومن المحتمل ان تكون جميع كثرية حيلة . ولم تكن لدينا علم أية حال . يحصل فتح القساسة لابيني من البحر السليم .

ذلك ؟ دعنا لا نأكل أن نكون قد أصابته إطماع اعتصام خاطيء ، بسبب
 الماسيح ! فقد ظهر هادئا وميتسما وقد وضع بندقيته تحت إبطه ،
 ومحمد على يسير بجانبه ، ولم يكن هناك من يشبه الرجل الكسول في
 حفة قلبه ؟ ومن كان يصاحي محمد على المعصم ، في حفة سيره ؟ وقد سمعنا
 رجلا الرياضي وهو يدخل في حمل التسمير • وقد سمعنا بهذا الصوت
 لانا عرفنا أن هده حقيقي • ولنا في أنفسنا أن كل طلقة سمعها تعني
 هديد أحد طيور السماء • ونهيا لسا أن إحدى هذه الطلقات قد
 صابت طفلا •

وسرعان ما سمعنا صرخة إحدى السيدات • كانت صرخة حادة
 وفجائية على أثر طلقة رصاص • كما كانت مشوبة بالقزع • وترددت من
 ركن إلى آخر مع رادة الحدة ورجع الصدى من كل اتجاه • وفي نفس
 اللحظة جعلت العصف بالكائنات الشريه • وظهر الناس كما لو كانوا قد
 خرجوا من باطن الأرض • وكانت النساء يصرخن ويلوحن بأذرعهن • وأحد
 الرجال يجرؤون والجريح يجهون إلى نفس الهدى • وسمعت النكاتة



مير شطبي للزاهيات والقرب من قيلة

مبوت الصرعة . وشهدت الانفجاعة . واستنجدت حالا وتوقع حدوث
تأجيم عن إطلاق النار .

وتلت ذلك لمبات من التوقع المزم . لم ظهر محمد على وهو يبدو
ناقض سرته - وبعد ذلك بحوالى خمس دقائق بدت كسا لو كانت
عشرين دقيقة . حة الرجل الكسول وهو يسير ببطء وتعد مرفوح الرأس
ودماغه ميسوطلسا ، وقد احطت بنفثته ، وحمله حصره فسلم
من الفوخاء .

وهب بحارنا القليلون المسلحون بالعصى للشجعة . واضربوه سلا .
وبعد ذلك عرفنا ماذا حدث . لقد طار مربب من السماء عاليا ، وعندما
عاد الى ارتفاع منخفض ومن سطح الرماحلت ، وغاص مرة اخرى في دورة
سريعة ، أصبح في متناول بنفثة الرجل الكسول . وفي اللحظة التي
اطلق فيها الرصاصة وفي نفس مسار السماء قمرت سيده وطلل كاتا
يبلستان القرفصة في داخل حبل الشجر وأتدأ يصرخان - ومرعاه ،
ما لاحظ الخطر اللادم ، واستطاع بحضور ذهنه الخير للاعجب أن يفرغ
شحنة الطلقة التالية ، ثم اخفى صندوق ذخيره واحتضن بنفثته متسيدا
أن يصك بها أطول فترة ممكنة . وفي اللحظة التالية احاط به الناس
وشلوا طاقوته وسحبوا بنفثته من قبضته . ثم تلقى ضربة جسيمة من
الطيرد . وبعد أن أضوا بنفثته تركه واحد لو اثنان من الرجال لكي
يخفي في طريقه . وبعد ذلك تخلص من الباقي وعاد الى المركب . وفي
نفس الوقت أسرع محمد على في طلب الشحنة ، وكان هو الآخر قد لاذ
بطن الضربات القلبية بالاضافة الى ترميق قويه وحمل علمه
عن رأسه .

وفي نفس الوقت لم يكن ممنا الا ما قل من تصمد عدد رجالنا ،
وفه دخلنا في معركة حامية بدون فلاح . بيتنا استولى العدو على احدى
جنابتنا الثلاث . فما له من منظر صعب ! لقد انزعج احياء القرية كلها
بوصى قرية كبيرة . وانزلوا يتراحمون على الضفة وهم يجررون حنا وصنادق .
وبعضهم يجلسون بالكلام ويصيحون مستخدمين الحركات والإشارات

للتصغير من مستظلم - لقد كنا على وشك الفراخ في حلالا . ولتقصا حبه
مهدودون بالحصار - ويعد ان حسمنا الموح الخشبي الذي يصل ما بين
الركب والتمطلي، عقدنا مجلسا سريسا للحرب .

وكانت الموقعة سليمة . واذا كان الطفل قد أصيب فهي اجساد
طليقة ، وامسنا بالاعتدال في الحديث منفة الاصابة ودعونا امان
للقرية الى تقديم بيان بحالة المودون الجبان ، وطالاسهم ماعادة البنطية
حالا . وعلى ذلك ،وصلنا نلحمي للتفاوض مع وعيم القرية واحضار
البنطية سريسا ، ودوصاء بان يقول لهم - كنوع من النماء السياسي -
انه لو كان قد حست مكروه فانه يوجد طبيب فسن الحواجبات ، وعلى والد
الطفل ان يأتي بطفله المصاب لمعالجة اصاحاته .

وكانت الاحوال متوترة في الخارج مطلقا من الناحيل ، فانتظروا
لا يستفسر عنه الاحداث - ولما كان ظهر نلحمي في مواجهة النهار فقد
شاهدنا كل نصف المائرة التي تتكون منها الوجوه السمراء كاملا بما فيه
العواصب المقوسة ، والعيون التي تطلق الشرر ، والاسنان اللامعة
وفجأة تمير مبرر الوجوه . لقد بدا التقيع لولا بالنسبة لؤلؤ الذي كانوا
اقرب الى المتحطت . وانتشر بالنفريج الى الخارج . وظهر كما لو ان موجة
شد عبرت لوتهم ، وعرفنا حينذاك ان ضربنا قد نجحت . وجاء نلحمي .
وتجسج القرويون حول زعمائهم وهم يتفاوضون . واحلت أعداد منهم في
الجلوس ، وعندما يجلس النويي تتأكد أنت من أنه لم يعد يشكل خطرا .

وبعد حوالي ربع الساعة اجمعت البنطية تود ان تنس . وظهر
رجل كهل على الضمة وهو يحمل صرة رداء . والآن اصيد لوح الخشب
الموصل بين المركب والضممة ، وانتمد الرحام ، وسمح بسرور الرجل الثاني
يحمل الصرة ومعه ثلاثة أو أربعة أسرون .

وبعد ذلك الصرة ظهر جسي صغير على اللود يبلغ من العمر حوالي
أربع سنوات . وواحه اثمنت حليق القصر ويكنى في البساطية وهو
يشاهد الحروء القريبة البيضاء اللون ، ولكن عندما طمعت له احلى
تبار التي ، تنس كآفته صخاوفة وجلس يضمها مثل القرد . اما بالنسبة
لحروجه فقد كانت سطحة . لان الطفلة قد لاصت كتفه في ارضة او حصة
مواصح . وثام الرجل الكسول يقبل الخشوش بقطعة استنج مملقة يلتام

الدامى - وقام السيد (ل) بغطيتها بقطع من البلاستر اللاصق ، وأجرأ
أحدثنا إلى أبيه جيبها ذهبيا مرصيا ، كما تم لب الحساب في أحد قبضان
الرجل الكسول ، وانتهى الفصل الأول من المسرحية - وكان علينا انتظار
الفصل الثاني والثالث - عندهما وجد الرسام والرجل الكسول أن العملية
قد انتهت ، اتفقا على أنه من المناسب تقديم شكوى ضد الحرية ، حماية
بلسيخ القادحين فيما بعد - وكان ذلك بسبب الضربة القلوية التي وجهت
من الخلف في وقت كان فيه الرجل الكسول (الذي لم يسأل من قبل
أن يحس نفسه) ضعيفا بين أيدي النواحة - ولذلك ذهبنا في اليوم التالي
إلى أسوان ، ووجدنا الحاكم وهو ميتهم كعادته دائما بالآلة نأخذ المصحات
محررا - وفي نفس الوقت محررا عاصيته إلى ليلة ومينينا عندك لنت
أسبوع مقبول بالمرس

وفي مساء التالى حضر وفد من توريجور يطلب المصمح ويعطى له
خصمة عشر قرويا قد اقتنعوا إلى السجن .

ونظر الرجل الكسول أنه لا يستطيع أن يصل حيا بالنسبة لهم .
وأن الموضوع يستحق أصبح في يد البدالة ، وسيتم التعامل معه طفا
للقاتلون ، وهذا مع المتحدث طيبة من التراب وحقد بأن يشرها فوق
راسه . وقال : أيها الترحان ، أبلغ الخواجة أنه لا يوجهه غاموس
إلا ما يرتضيه الحاكم وأنه لا توجد عدالة إلا ورعه الحاكم ؟ ؟ .

وفي صباح اليوم التالى ذهب الرجل الكسول إلى أسوان مكر
لنيل بشهادته لاستقبله الحاكم والمدير بفرحه ، وتم تقديم المليون
والقوة وتبادل الرميات المشابهة ، ثم أبلغ الحاكم سيفه أنه تم التمس
على حصة عشر رجلا من أهالي توريجور واعترف اربعة عشر منهم بأنه
الخامس عشر هو الذي وجه الضربة من الخلف .

ثم قال الحاكم : « ولأن قبل أن ترسل في طلبه المحترمين ،
فمن الأفضل الاتفاق على التبرار - ما أتلى يرجى سمادته في عمله
بالنسبة لهم ؟ ؟ »

وارتبك الرجل الكسول فكيف يقدم اقتراحا بالمطوب وهو محرو
التعاون الدمي المصري ؟ وكشف يتم الاتفاق على مطوق امحكم قبل
المحاكمة ؟

وايتمسم الحاكم بهتوه ، وقال : « ولكن هذه هي المحاكمة » .

ولما كلف الرجل الكسول انجلترا فلد بذل جهدا شرفا لدى فاعلية
جهد التوضيح ، انه يوضح لنص بيساطته الرئيسة النظام الكامل للإدارة
القضائية في القانون المصري . وتردد في بيان أنه لا يفسر أدنى استبداد
هذه المذهب أو القرويين ، وأن كل ما ذهب فيه هو تخويلهم لكي يحترموا
السياح بوجه عام .

وعندما دعا الحاكم المدير لاقتراح هيئة الحكم ، وقال المدير انه وهو
يأخذ في اعتبارهم قرارات سماعة المتسامحة يقترح عياداة الأرضة عشر
رجلا الأبرياء ، شهر مدينا لكل منهم ، أما البجائي الحقيقي فيسجن لمدة
تشرين مع جلده مائة وخمسين جلدة في الفلقة .

وقد اقتصر بدن الرجل الكسول لدى سماعه هذا الاقتراح وأعلن
ضرورة إطلاق سراح الأبرياء ، ولكنه وافق على أن يجلد الخاضع مائة وخمسين
جلدة لكي يكون مثالا لغيره . ثم تخطت الجلطات بسد أدلة الجلطات
الأولى ، واضطرت الأوامر بالتدخل القذبة .

وتقدم السجناء أولا وتمه شريطان ، ثم أدخل الخمسة عشر رجلا
المحتجرون ، وكم أحس بالفضيل وأنا أكتب أن أصافهم قد ربطت بالسلاسل
في طاوور واحد . ويستطيع القاري أن يتخيل شعور الرجل الكسول
في هذه اللحظة .

وتم المنطق بالحكم ونظر الأرضة عشر رجلا في ثعول وهم لا يصدقون
أذانهم ، بينما كان المسجون الخامس عشر المالك يائة وخمسين جلدة
(« خمسة وسبعون جلدة على كل من تسميه » كما قال الحاكم) أكثرهم
سماعة لإطلاق سراحه يمثل هذه السهولة .

والتي به على ظهوره ، تم ربطت للعلماء ورباطتهما إلى أعلى ، ويسعدنا
الشرطان في تنفيذ الحكم . وكان يصرخ عند كل جلدة قائلا : « يهيبنا
الحاكم أيضا المدير أيضا المخرجة ! » .

وبعد أداء الجلدة السابعة أتجه الرجل الكسول نحو الحاكم
وطالب رسميا التفاوض عن تنفيذ عقبة الحكم . واستجاب الحاكم للطلب
وإطلاق سراح المحتجزين وهم سيكون من طوط سماعتهم .

ثم سادل الحاكم والمدير والرجل الكمبول التميميات الحارة و د ؟
الحاكم أن رغشته الوحيدة أن يكون مقبولا عند الاصطير وأنه كان يقوم
بجلده القرية كلها لو رغب بمعادته في ذلك .

وقصينا هي قبلة ثمانية أيام معددة . وبعد حلول ظهر اليوم
الناهي كانت الكائنات وحدها على الحرية خلال الساعات الأخيرة . كانت
بمجرد ما نغصى انه كان يرققها أحد الحارة وهذا يصي أنها كانت
وحيدة . وكانت قبلة أصا وحده بما يصي لمسة اضافته من الماء
والاحساس بالقرية .



منظر قبلة من اليوم

وكان الجو في ذلك اليوم حارا ، والسميم عادنا على صفحة اسهر .
وقد اسهيت من رسم آخر لوجاني ، واخذت اتحول ببطء من بقعة الى اخرى
وأنا أودع مسكن الفراغة ، والأعمدة الملوحة ، وكل سر ونحلة .
ومقصوره . ووجه نظير معناه . وأجسست النظر مرة أخرى الى حجرة
اوروريس السرية ، ورأيت الشمس وهي تشرف للمرة الأخيرة من سمب
معبد إيريس ، ثم عندما جبت ومضات كل تلك العجائب بالوراها ابورده
والدهبية ، ظهر الفسق الدالي . ولا يستطيع أية كلمات أن تصور الحال
الحرير الذي تمرير به قبلة في هذه الماعة . كانت الحال المحيطة
تعب شامخة مسسة وذات لون أرجواني ، في مواجعة سما عسري
شاحنة . وكان سطح النيل مصقولا . ولم يكن هناك نفس أو فقاعة تثير
المنظر الطبيعي اليادي . وكانت كل لحظة ثالثة ، وكل حجر مردوحا .
وانمكنست الصخور الصخرة التي في وسط النهر تماما بحيث أصبح
من المستحيل اكتشاف أين تنتهي الصحرة بحيث تبدأ الماء . وفي نفس
الوقت كانت مياه المعبد قد تحولت الى اللون العروبي المدهشي الباهت .

وقد عصت البوابات بأشكال تلعب بالحيلة الهتية ، وهبت مستعدة للخروج
من أماكنها .

وكانت الوجوه شامخة مع وجود هدوء ساحر في الهواء . وكنت أسمع
أحدى الأمهات تفتي لطفها بصوت خفيض فوق سطح الجزيرة المجاورة ،
وعصفروا دوريا ينفرد في عشه الصغير في قبة عمود تحت فدى ، ولبرا
يصرخ بصوت تالغ بين الصخور على مسافة بعيدة .

كنت أمطر ، واسع . ولقد نسى يادى سأندكر كل ذلك حلال
السنوات القادمة . كل الليل الهادئ ، وهذه الصفوف من الأعمدة
الصاعدة ، وهذه المساحات العتيقة الساكنة من الظلال ، وهذه الحلقات
الناعمة . وكنت ألتصق حتى يحيطها كلها الظلام . وأجبرا ونصتها جسيمها
حرفا من إلا أرضا مرة ثانية .



الفصل الثموني

السلسلة وادغو

انتهى هاجينا استغرق نهارنا في السفر من أسوان الى المحطة مدة أربعة أيام ، ولكننا في العودة انزلنا بسرعة . وشكرا لصديقنا القديم شيخ الضلال ، فقد وصل في فترة قصيرة لا تتجاوز نصف الساعة - بوجه المريض - وعمية اللتين تشبهان عيني السمكة ، وبدافقه المجهدة - وكاد ربط رأسه يتعثر المتدبل الأصغر القديم ، ونفس النارجيلة في مه - وقد حضر معه جماعة مكونة من خمسة صديقا من رجال الضلال وحمل تحت ذراعه عليا وثا أحمر اللون - وولع هذا الظلم الذي طرز عليه حلال ولجمة يوقار فوق مقنعة الطبيعة .

وبعد أن أودع الشيخ النخبة في رعاية النبي ، أغلقت الوداد والطبوشي (الصالون الذي خطبته كوة بالسقف) ، وأغلقت الأبواب ، وأرجمت الأنبياء القابلة للكسر الى مكان آمن . وأصبح كل شيء صليحا ، كما لو كنا نستعد لاستقبال عاصفة بحرية - وأقلنا من المحطة في الساعة السابعة في صباح يوم جميد في منتصف شهر مارس ، وسارت قبيلة على الجانب اليسرى بدلا من العودة من خلال القنوات القديمة ، معجبة مباشرة نحو قلب الكبر وهو الجبل الهائل الذي لم نره من قبل . وقد قضينا الليلة الماضية كلها ونحن نستمع الى صوته من على السد ، أما الآن فإن ذلك الصوت الهادر يخترق مع كل ضربة مضافه -

واليوم أصبح شيخ الضلال هو ريان النخبة ، ورجاله هم حارثنا . واقتصر واجب الرئيس حسن ورجاله على الجلوس والاطلاع في مكان . وفي نفس الوقت أخذ رجال الضلال يعدون بسرعة وانتظام . وهكذا ظهر لنا النهر وهو يجري أسرع من المعتاد ، وسرعان ما أصبحت بطوئة وأنفادح التبار تحت هيكل النخبة - ولحظة شاهدنا حراوة ودغوة فوق المنطق هناك - لقد كانت الصخور أمامنا على اليمين واليسار ، بينما

ظهرت الدوامات في كل مكان ، واصل التسيح غليونه ، وطلع حمام ،
وذهب بنفسه الى منطقة السفينة ، وكان ناشيه متحركاً في قمة السلم
التي يتجه الى السطح العلوي ، وتكفل ستة رجال بقراءة النفاذ ، ومن
تموية القاطنين بالتصديف مجلس الناز الى كل مجداف .

وفي وسط حلب الاستعدادات ، وبينما ظهرت الجديفة على وجوهه
المسيح ، سرى ان الأعراب التزموا ايضاً بالهدوء ، وحدها أمسنا حالا في
ممثل مضيق طويل وقصير ، وهو نوع من الوحد الصوية التي تقع بين
حائطي من الصخور ، وتبلغ من حلاله كتلة من المياه المزمجرة في انحناء
حاد . وقد ظهر لنا كما لو كان الليل كله يندفع في موجات وحشية
يسبق هذا الممر المريع .

ويبدو للوحة الأولى أنه من المستحيل للذهبية أن تعابر بعبور هذا
الطريق دون أن تتحول الى أشلاء متناثرة ، ولم نشاهد مساحة كالمية
لرود المركب والمجاديف ، وعلى كل حال فقد اعطى المسبح كلمته ، ورددها
ناثيه ، فاطلب الرجال الذين صعد الدفة ، فوضوا الذهبية في وضع
مستقيم عند ذلك التيار المائي المتوحش . وثمة لنا ربحي مقطوع الأمان
لغة ثانية واحدة ، أننا فرتمش على حافة السفوط ، ثم اندفعت قبلة
الى الأمام !

ورأينا الذهبية تدرن بكاملها تحت أقدامنا ، وكنا نحس بالارتفاع
والانخفاض والانفراج المتربع الى الأمام . وسرعان ما انحطت الأمواج برهد
وتقل مرتفعة من كثافة الجوانب ، ثم تلبس على السطح السفلي وتغطي
السطح العلوي بالزلازل ، ورفع المحفلون مجاديفهم تاركين كل شيء لليلة
والتيار . وبالرغم من الضوضاء الناجية كنا نسمع بوضوح صدى
المجاديف وهي تحتك بالصخور على كلا الجانبين -

والآن ، قال التسيح الذي يبدو ملك الخوف في هذه اللحظات ،
يقف بدون حراك راجعاً ذراعه لأنه يرحل بعد نهاية الممر اجزاء
حاداً الى اليسار ، نفسه في حشيتها ركن شارع في أحد شوارع لندن
الصومية الضيقة . فهل تستطيع ليلة التي يبلغ طولها ١٠٠ قدم من
مقدمتها الى مؤخرتها أن تقور مع هذه الراوية في سلام ؟ وقناة لوج
الذراع المرفوع وساح التسيح « دقة » ، وأسرع الرجال بتوجيه النفاذ ،
واستجاب المركب لكلمة الأمر التي صدرت ، وبدأت الدوران قبل أن

سجاد الصحور ، ثم انقضت حول الركن من القسطة للنسبة نسياما .
وخرجت ساجدة قريبا جدا كسر مجذاف واحد .

وكانت الفرقة عظيمة . وأسرع الرئيس حسي لمصادقة الجميع وقد
عبرت المساعدة قلبه ، واضير الأسراب في تزييد كلتي د طيبون .
و « حيدا لله على السلامة » . ويتسم تلمس وقد أحاط به حسب ديمته
من رجال الشلال وهم يمازحونه ، وسرعون كوقفته عن رأسه ويأخذونه
كماترة . أما الرجل الرقيب الذي لم يتحرك فهو شيخ الشلال ، فقد والس
ومعه القوة الفظيئة التي أصابت وجهه . وعادت اليه الامام المتبعه في
منازل . وارتدى حجاب ، وعقد رجليه ، وأشعل علبونه . وصار مثل النومة
كمادته الدائمة . وقد تحيلا حتى هذه اللحظة أن أعراب الشلال كانوا
يضعفون معاصر عبور الباب الكبير لرياحتهم ، وكذلك كان السباح
يضعفونها أيضا لتفتاخي بأنهم اجتازوها . ولكن هذه ليست هي القصيدة
لأن عبور الباب الكبير يمثل في حقيقته عبئا صعبا للدرجة أني أشك في
أن يقبل أي ريان التمليرى المتطرفة بقيادة مثل هذه المركب خلال مدا
الممر لسريع الحريان ووسط مثل هذه الصحور مثقلا فعل أعراب الشلال
في ذلك اليوم .

ولست جميع الذهبيلت سميفة الطالع . ذلك أنه من بين أربع وثلاثين
ذهبية عرب الشلال لي هذا الموص أصيب عدد قليل بأسرار طيفة
بينما سطلت ذهبية واحدة . مما اضطرها للبقاء في أسوار بلاد السومري
حتى يتم إصلاحها . ولكنني لم أصبح عن حدوث خطر حقيقي يؤدى الى غرق
حقيقي للسفر . أو حدوث أسرار للأفراد أو إصابات لبعض الأطراف .
إن رجال الشلال يتميزون بدهم ، الأعصاب والمهارة . ويستعملون بكثرة
واسعة . وقد فضل رسامنا أن يجمع لوحاته ويصطبها مطوية الى أرض
حافة على طريق الصحراء . ولكن ذلك كان احتياطا لم يعلم أى منا بانخفاض
فيما تتعلق بسلامتنا الشخصية . ولم يكن هناك ما يفسدنا لأن السباح
الذى يعبّر الشلال في طريق العودة يستمتع بمظهر عجيب ومضامرة
شديدة الإثارة .

وعند أسوان ودعنا النومة والانبوبين الطيبين ، ووجدنا انفسنا
عبر نيل مصر مرة أخرى . ولو لم تهر هذه الأميال الذهبية من الصلاء
وعبرنا هذا منها تحساسة ميل من البحر أو الصحراء . فأننا لم نكن
ملحظ تميزا كاملا . لقد تركنا خلفنا نهرا سالما ، وشاطئنا عادلا ، وصحراء

جائنة - وبعد عودتنا دخلنا حلالا في وسط منطقة حصبه ومكتظة بالسكان
والآن غامبا جرى التوارب على صفحة النهر طوال اليوم ، والفريق على
الضفتين ، والطيور وهي تطير ، والفلاحين يصلون في الأرض ، يسا يسير
الرجال والنساء والخيول والجمال والصيغ طوال الوقت ، صغار سمكة
المركب ، جينة وذهابا دون توقف ، وهناك دائما شيء ينحسرك ، أو شيء
يدور العمل فيه - ويجري النيل مغطى ، وترتفع أواسي التساوي
ذي الاعمال الثلاثة متاريجة من الصباح الى المساء ، ومرت تانية يرفع
للحان من حيمات الاكواخ غير الظاهرة عند نهاية اليوم ، ومرت أخرى
تسمع الكلاب وهي تنبح من كفر الى كفر خلال ساعات الليل الساكنة ،
وهرة أخرى قرب غروب الشمس ترى صفونا من البنات القادحات الى ضفة
النهر وعلى رؤوسهن الجراد لكي يملأنها بالمال ، وتلك البنات الأعرايات
عندما تضي وهي يرتدين ثيابهن التي تبدل اطرافها الى الأرض ، بينما
يشمس اللهامشي في الماء ويشمس فوهات القلل يطول أذرعهن في التمسار
التدقيق ، مما يفرى الانسان ناز يستنضم فله الرصاص لرسمهن في
صور تخطيطية .

ويوجد في كوم أمبو معبد عظيم كان يوما ما يماثل معبد دبدوة في
خضامته وربما كان أكبر منه ، ونظرا لأنه مبني على تسمى للمساحة الكبيرة
فقد كان معبدا مزدوجا مخصصا للثني من الآلهة مما الاله حورس
والاله سوك (١) أي الصقر والتساج ، ولم يتبق منه الآن سوى أعمدة
خسبة مدفونة الى مسافة ثمانية أو عشرة أقدام من ارتفاعها الضخم ،
ونقطة متارة في الإطار الذي يحيط بالأبواب ، ونقطة مكسورة من اقير
جنوح ، وبعض الكتل الساقطة للحفر عليها اسماء ملوك وملكات
المملكة .

وقد قيل انه كان يوجد هنا معبد مزدوج ضخم ، وهو للأهنة
وهيكل مزدوج - وكانت كلها كاطة ولكن لم يعد الوصول اليها ممكنا .
وما زالت الكتل التي تغطي سقف القاعات الثلاث التي تقع الواحدة منها
خلف الأخرى ، والتقليل من الأمطار ، ظاهرة حطب النهر ذي الأساطين .
ولكن أحدا لا يعرف ماذا يمكن أن يكون مدفونا تحت السطح ، لأننا نعرف
فقط أنه كانت توجد هنا مدينة قديمة وكفر وسط ، قد انتهت بها الرجال
سطح ، وأن مصدا قديما كان يحلها المبد عيدا وقائما داخل السماج .

(١) - سوك الله تسمى ، يسمى في برديا جولا في ابيزوس ، وهو الذي حارب
لحماء افريريوس ، وهذا التابق تلم مع حورس ، وهذه المسلة عند في حورس ،
Dc. Arch. P. FICHET, Paris, 1873.

وكانت الرمال هنا حكومة على مدى ٢٠٠ سنة ، ويبلغ عمقها أربعين قدماً ، ولم يجر حفرها قط ، ولما تم حفرها الآن ، لأن نهر النيل يرحل على الضفة تدريجياً ويصل منه على دفتسات كل ما كان مدفوناً تحت رمال الصحراء ، وقد تناثر تصف البوابة الضخمة ، وشلال من الكتل المسحوة فوق المنحدر الشديد الميل من القمة حتى القاع ، أما النصف الآخر فهو مغطى على حافة الحرف ، ولما يظل صلباً لمدة طويلة فسرعان ما يأتي اليوم الذى سيتفوض به وينحول إلى أنقاض مثل النصف الآخر .

وقد فلتنا الرسام ما بين كوم أمبو والسلسلة ليس لأنه فضل أو سرق ، ولكن لأنه حقق الهدف الرئيسى من رحلته فكان صديقاً لاقتناصى اولى فرصة للعودة الفرصة إلى القاهرة . وقد جاءت هذه الفرصة من طريق جوف بيبيل كالم يقضى شهر العسل على ظهر سفينة بخارية من منتصف المسافة ما بين كوم أمبو والسلسلة . لقد كان الرسام واللونى قد تعارفا أحدهما إلى الآخر منذ وقت طويل ، وسرعان ما تم ترتيب الأمر ، وفى أقل من ربع الساعة تم نقل الصورة الكبيرة وكل أمتعة الاستوديو من القمرة التى فى مؤخرة النخبة حيلة إلى القمرة التى فى مؤخرة السفينة البخارية . وسرعان ما احتفى وسائنا الذى وقع على مطعم دود سابق امتداد ، وطبخ ، وغائل ، ونصيبه عادل من ضروريات الحياة ، والمساعدة تفرقه عليه وذلك بعد هذه المسافة بمعدل ٢ ميلاً فى الساعة ، وإذا كان الزوجان السعيدان اللذان تميا من الرياح التى تهب من الشمال ، قد رصيا بمشاهدة المعابد ، إلا أنها نائمة تلك السفينة البخارية سيوف يملؤها القنوق الحزين ، فإن الكاتبة لم تطلب شيئاً أفضل من الاستمرار مع النخبة ليلة .

وواصلنا طريقنا مع التبل الطويل ، والحياة القصيرة ، بينما كان من المؤكد أن القصة التى نوردنا كتاب اللبل الذى معنا غير مقبحة . وعندما وصلنا إلى السلسلة صباح يوم ١٧ مارس ، كانت الرياح الشمالية هب ولم تقطع منذ أول فبراير سوى يوم واحد .

وعند السلسلة أخذنا نكث دون جدوى من آثار ذلك العاصف الضخم الذى كان يسد مصرى التبل فى هذه المنطقة يوماً ما ، وفجرى هنا ضيق ، وتغرب صخور الحجر الرمل على كلا الجانبين من حافة لك - وأما هنا إلى بعض الأماكن فراغ للسفر ، بينما لم يوجد ذلك الفراغ فى أماكن أخرى . وكانت هناك بعض الصخور الضخمة فى مصرى النهر . وقد لاحظنا فوق صخرة منها على طريق الضفة ، سفينة بخارية تابعة لشركة كوكو وكانت قد توقفت عندها منذ يومين ، ولكن إذا كانت مثل هذه



مسجد كرم الدين بجنس الحلبيا

الكتلة قد سمت مجرى النهر وتسميت في حجر المنهر لجراة عند دجلة .
 جانها تكوي ايها قد غرقت كافة الأحوال الطبيعية والناحية في النوبة
 السفلى . وعلى كل حال فانه لا يوجد أية علامات تدل على ذلك .

ويرشد الأعراب هنا إلى صخرة تشك شكل عممية ضخمة يحولون
 في بعض المنوك ربط فيها سلسلة لكي يعبر نهر النيل ، ويبدو أن هذه
 الأسطورة المتكوك في صحتها هي التي تبس في الذاكرة فكرة الطعير
 القديم .

وقد اكتشفنا أن مخور الضفة الغربية غنية بالصناعات التذكارية ،
 والمزادات التي لمست كتلور ، والحبال ، واللوحات الفارسية ،
 والتقوى . وهذه الأخيرة يتراوح تاريخها ما بين الأسرة السادسة والأسرة
 الثمانية عشرة . وبعض البجائنات والمجرات التي في جدران الجدران
 شبهة الخرافة . فهي مصنوعة إلى جانب بعضها البعض في صف طويل
 قريب من نهر النيل ، وتكلم عن أحداث حادثة لبعض الأشخاص العالمة ،
 والحرقة الصارحة بحيث تبدو كما لو كانت صناديق خاصة مع شامها
 وقد وجدنا في معظمها مجموعات مطبوعة من الآلة (١) المنوعة والمثوية .
 وقد وجدنا في مرار أكبر في المرات الأخرى ثلاث مجموعات ، تحتوي كل
 منها على ثلاثة آلة .

والى الشمال على البعد ، تقع لفترة الطبيعة للملك حور محب آخر
 لرعاة الأسرة الثامنة عشرة . وللقاسم التذكاري لأسرة الرعاسة في
 الناحية الجنوبية البصر من هذه السلسلة . والقصور الأولى عبارة عن
 قاعة مستطيلة على شكل يهو مسنوف محمول على أربعة أساطير ومسطور
 في خط مرار للنهر . أما الحيوانات في الفلل والشاوي فهي مغطاة
 بنقوش جميلة التنفيذ مسفرة طريقة غائرة . ومازال بعضها محتفظا
 بآثار الألوان . لها موكب نسر حور محب وهو عائد به الانكسار في أرض
 كوش ، والموضوع المشهور الذي على الحائط الجسوبي الذي وصفه

(١) Le point de départ de la mythologie égyptienne est une triade c. CRAMPOLLON, Lesru d'Égypte, etc, XI Lettre, Paris, 1908.

هذه الكلاسيات الخمسة أكثر في سبقي جراه صحن وكلاسيات .

ماريت (١) بانه واحد من الاشياء الجبلة في القدر المصري ، ثممة
محتوران بطريقة بجل من الوصف ، اما مزارات أسرة الرعامسة المقامة
كنذور فهي مجمعة مع بعضها في ركن صالح للرسم ، ذي لون اخضر
بسبب الشجيرات التي على حافة الماء ، وهناك ثلاث لمحات جدارية مرقمة
تخص سنتي الأول وومسئ الثاني ومرتفاع ، كل منها على شكل الجرد
الامامي من حصة المسرح مع اعمود ملونة ، وأعدة جانبية ، ومجموعات من
الملوك والالهة مارالت الواضحا لاصه ، وفي غالبية اللوحات الموجود هي
السلسلة ترقى شكلها لالهى منسرد رؤيتها في أي مكان آخر
وعسا سوبك الاله التسامح وحاي - مواله النيل المتوج برحمة الطوتس ،
وكان هذا الاله الأخير هو الاله الطوتس للمنطقة ، وكانت تعبر عبادة
في السلسلة حسب نظرم خاصة ، وقد وجدت أناشيد تنمذحه مطبوعة
عنا وهناك على الصخور (٢) وأكثر الجميع غرابة الاله نسي تا - اور -
نير (٣) (٤) وهي المرسومة ضمن أحد المصوغات الجانبية في مقصورة
رئيس الكامي ، وهذه الشخصية الغريبة لها جسم فرس النهر ،
وروحه سيدة تركي باروكة مربوطة ، وتوبا رسميا له خمس شلالات ،
وبقيه السائر الذي يفصل به رئيس مجلس اللوردات وسائق المركبة -

« L'un (parol du sud) représentée une déesse nourricière (١)
de son lait divin le roi Houta, encore enfant. L'Egypte n'a jamais,
comme la Grèce, atteint l'idéal du beau, mais au tant qu'art Egyptien,
le bas-relief du Sphex de Gebel-Simfah est une des plus
belles oeuvres que l'on puisse voir Nulle part, en effet la ligne n'est
plus dure, et il régné dans ce tableau une certaine douceur tranquille
qui charme et élève à la fois. » - *Ministère de la Haute Egypte. A.
Mariette 1872, p. 246.*

Ryma to the Nile (٢) نظار برية صليبه رقم ٧ ومزلاها ترجمة للفل
ترجمة مسيهر - باريس ١٨٦٤

« Cyle Déesse à corps d'hippopotame détaillé et à (٣)
manières pendantes, paraît être une sorte de déesse nourrice. Elle
semble dans le bas temps je ne dirai pas se substituer à Houta mais
compléter le rôle de cette déesse. Elle est nommée la grande nourrice,
et présidait aux chambres où étaient couchées les naissances des
jeunes divinités. » - *Dict. Arch. P. FIEBLET Paris 1875*

تمثل هذه الالهة في السماء مجموعة نجم الكب - انظر كتاب
Guide to the first and second Egyptian rooms - E. Birch, London
1874.

(٤) الالهة « ثورت » هي التي ترمي الحوامل وتشرف على صليبه الولادة وتحتوي
بالنظرة - (المرجع) .



١٠ (أنوبيس)



١١ (أنوبيس)

ويقتطعها الإله نحتوت والآلهة نوت . ويتسلدون من الثلاثة البيعة من الخلفة بمرارى التي تقسم بسوهم ومعها تقسم مكملة من النج من الصلاص . وهي بوصلها غرس النهر عتوجة بقرص الشمس ويرى الطيور . وقد تقاسنا مع هذه الآلهة من قبل . وهي ليست غريبة بوصلها بمويضة أو حجابا . وقد فاس الكانة برسمها في جزيرة فيلة . حيث تعمل مكانا مازوا في واجهة المحدث . ولكنني أظن أنه رشاقة ودافها التناد الضكل في السلسلة . تكبر الأحاسي بالفراية .

وتترك أهمية الضفة الغربية في مسوداتها ونقوسها . أما أهمية الضفة الشرقية فتتركز في محارها . وقد جدهنا حتى نقطة تقابل تقرينا مفاحسج أسرة وميس . وملقنا منبطوا حادا في الأطلال عند نوعة شق صبق من حواظ من الصخر الصلب . يتراوح ارتفاعها ما بين أربعة إلى خمسة قدما . ومنه الحواظ ناعمة ومصقولة ومعاملة يندره اصغراف . وثون الممر الرمل عسري غامق . رسلع عرض المر عشرة أقدام وربما يلع بلولة أوبصالة دم . ويظهر بعد منتصف النهار من جاسي . أحدها في الليل والآخر في صوم الشمس مع دريط شق من السماء الرقاع يلمع من فعل . وليس له شبيه في العالم مينا هذا المسجل إلى بقر ١٠ .

ويبدو أن ثيمنا هذا المثلث - وصلنا حالا إلى منطقة قسيحة يصل اتساعها إلى مثل اتساع سدانة بلجرم - تفتح خلفه منطقة أخرى أصغر حته ومنفصلة عنه بحاجز رقيق من الصخر وعلى حواظ هذه المدرجات الفححة كانت علامات الأرميل وتقوب الأوتاد سليمة كما لو كانت آخر الكتل قد رعت لمس لقط . مع أنه قد طوى ما يقرب من ألفي علم منذ نرس من المكان لأخر ضربات المطرقة ، وتردد صدى آخر أصوات الصلابة . ولم نضمت هذه الأممدا منذ أيام فرقة طيبة حتى أيام السكالة والقباصه - لقد تفتت من هنا ومن المهاجر التي على الجانب المقابل من النهر جميع أحجار معابه الكرتك والأقصر والقره ومديسة هايو وأسد برادغو وأومنت .

وعند عودتنا تسلياً تلالا طويلة من التضاريا التي تطل على وديان من الأطلال ، ووصلنا أخيرا إلى جانب النهر عن طريق سهل قديم عالٍ السطح ، كانت الكتل تنزلق بطوله إلى أسفل نحو مكان تحميل القوارب . ولكن أقرب الأشياء بالنسبة للسلسلة هو الأسلوب الذي طورت به المهاجر - لقد تم تقطيع الحجر الجبى في جميع هذه التقوب والممرات والمدرجات إلى قطع لأحسة ومستقيمة مثل النبس المكون في الكرمة . فتعد في كل مكان إلى الكتل مرصه الضكل . وإن أفضل الأحجار قد نزل بينا ترك الأسوأ . وحيثما كانت الأحجار دقيقة المكونات واللون ، فقد قطعت بأفضل الوسائل الاقتصادية . وقد تركت قائمة في المكان الذي تولت فيه باللون الأبيض أو البني ، وحطت نظيماً بالصروق النفسية - وروايتنا هنا وهناك الأماكن التي نقلت منها الأجره السفلية ، وتركنا فيها الأجزاء العلوية بارزة مثل الأموار المعلقة في سائرنا المتعالة من الألواح المشبية والتي تعود إلى المصور الوسطى - وأما قودلت المياهي المرتبطة اثني مئيتها فهذه المهاجر القوية الكاملة ، فانها مستظهر مثل المياهي السدانية .

ويبدو أن سائرنا الرياح بشدة ، تركتنا السلسلة بعد ظهر نفس اليوم . وقد أصبح أكثر من نصف حطم السفينة البطارية تحت الماء - لقد انكسر ظهرها وأخذت في القوس بسرعة ، وغادرها جميع أتباع كوك الذين استطاعوا التجديف إلى القبلي . ومهم كل ما استطاعوا أن يحصوه من الضروريات - لقد أجزر هؤلاء المتكودون على الإقامة في حيام أعارها لهم مدير المنطقة - ولحسن حظهم وصلت في صباح اليوم التالي ضحيتان في طريق عودتهما ، وحملتا الكثيرين منهم حسب قودتهما على المساعدة في الإعاثة - وتكفلت مركب الدوق البخري باستقبال السائقين .

وكانت الحمام قائمة هناك ، كما احتفلت جماعة من الوطنيين تحت اشراف
المشير بمقتل كل ما يمكن اقتلاعه من البطام .

ومع اقتراب الليل تحولت الرياح القاصفة من لاهيا الى اعصاب ،
واستمر هذا الاعصار لمدة يوم وليلة ثم ست وللاثين ساعة (٣) ، وكان
الليل خلال هذه الفترة كلها مسوق التبار مثل الموجات العاتية التي تدفع
الى ساحل الكورنيش عندما يهب الله والرياح من الغرب في وقت واحد ،
وكنا نسبح صبحها في ظلام الليل فنفسر بأى ليلة تهر ، وترتفع ،
وتتوتر البحال التي تربطها ، وترطم بالقصفة باستمرار في شكل ايمه
ما يكون من البهجة . لما أتت النهار فقد كاد المنظر غير عادي ، فلم تكن
حساك سمح ولكن الجو عليه بالرمال التي كانت أضواء الشمس الخافتة
تلمح من خلالها . واختلت بعض أشجار النخيل ذات اللون الرمادي والذي
تشبه الانتساج بأعلى القصفة تتسابل كما لو كانت على وشك أن تنكسر
فهل الجدار العاصفة . وكان الليل مثل المصير المختصر ، متبعا بالرمادي
البنية اللون التي تخط نواتنا بين الحب والآخر . ولم تكن يرى
الضمة الأخرى من أى مكان . ولم نستطع أن نرى شيئا من على سطح
السفينة . واستطع أن ألتصق بأن الفخية قد رمت على ساحل مجهوز .

وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي توقفت الرياح ،
واسرع الرجال الى مجاديفهم ، ووصلوا بنا الى ادفو عند وقت تناول
الافطار . وأصبح البحر الآن مشرقا . فكان صياحا يائدا وقصبا ومشعبا
بالضباب وهو صباح لم نصادف مثله في بلاد النوبة ، حيث لمصرع
الشمس يملأه حرارتها . ليقتح الامسان تحت وطأها مريما . وكانت
الحبر حساك على الضفة من انتظارنا . وبلغ طول الطريق حوالي ميل
خلال حقول الشمير ومزارع القطن . وظهر لنا البلد غيبا ، والساحل
يشتملده . والطينا بمجموعة منهم حضروا الى الدعيية ومعهم الخراف
والحمام والدجاج وعجل صغير للبيع . وبعد أن عبرنا المياه التي حلقنا
على تنطرة مقامة من حقول النخيل ، وصلنا الآن الى القرية الجائمة فوق
تلال المدينة القديمة . وفي نفس الوقت أخذت صروح المبد تزداد ضخامة
في كل لحظة ، وترتفع في الضوء خلال السماء الزرقاء الناعمة .

(١٤) كان المفروض أن تسمى الايام بأسمائها بهذا الذي تمتدح هذه التكتيا
عاصمة محلية وليس اعصارا ، فسمي ليست من البلاد التي تتعرض للأعاصير المدمية التي
تجتاح كثيرا من البلدان في أوروبا والأمريكيتين وكثير كل هي في طواها - (الترحم) -

ويعد أن عصيرا خلال الحوارى التى تنتشر على جانبيها الاكواخ .
وصلنا الى قضاء واسع ومجموعة من دوحات السلم غز المجدولة
التي تقع أمام المبد - وفى نهايه هذه الدرجات أصبحنا بقعة على مستوى
الارض القرمه الحديثة . وعند قاعها شامدا الارقمه بلبلطه التى تكشف
عن مستوى سطح المدينة القديمه . وفوق هذا المستوى يمرر المواجهه التى
ظهر جزء منها صحنيا من على البعد . لقد وجدنا الآن هذه الأبراج
الهائلة لا ترتفع الى حوالى ٧٥ قدما فقط . ولكنها تقوص أيضا شساعة
لا تقل عن ٤٠ قدما تمت اقتطاعها .

وعند غلى سنوات مضت لم يكن هناك شيء ظاهر من المبد العظيم
سوى قسم هذه الأبراج . وكان البناء بعيدا عن الرويه كما لو كانت الارض
قد انقضت وانقلعت . ولله غصت أمتيه بالطلال كريمة ، وامسأت
المجرت بالمنحوتات المدورة صحت أرمسى قنما من الطين . أما السقف
فقد كان متناحرة من الاكواخ المتصاحفة المكسبة بالكاشات البشيرة -
والدجاج والكلاب والاففار والسمير والهوام الطفيلة . وبناء على الجهود
التي لا تكل والتي قام بها مارييت . تم تنظيف هذه الاسطوانات التى
تشبه اسطوانات أوجياس (٩) - عند حوالى ثلاثى عاما مضت . وقد كتب هو
نفسه عن هذه الهة قائلا : « لقد هضمت الممرل الأربعة والسقف الذى
رحبت السقف ، وكذلك ثمانية وعشرين ممرلا آخر كانت قريبة من
الحائط الخارجى للمبد . وعندما يتم إزالة حائط لمرل المسد كله من
العثويات الحالية التى تحيط به ، سيبدأ العمل فى إعادة مبد ادفو
الى حالته الأولى » (١٠) .

ولم يتم بعد بناء هذا الحائط . ولكن تمت إزالة وتنظيف كل
العثويات التى كان يحيط بالمبى الذى يقف الآن حرا فى وسط خفاء
عميق مفتوح . وبعض جوانبه متصلة فى بعض الأماكن مثل صندوق
محاصر المسلسلة . وفى وسط هذه المحصرة يقف المبى الضخم أمامنا
فى ضوء الشمس عموديا وكاملا مثل اله خارج من القبرة . وتأثيره شديد
عند النظر اليه لأول مرة .

(٩) أوجياس Augustus هو ملك الحبس من الاساطير القبطية . وقد قام حوالى
بتنظيف اسطوانات القبرة - { المجلد ١ } .

(١٠) خطاب ميرييت للى الفايكيت روجيه من مجلة E. De Rougé
Bévue Archéologique العدد ١٢٣ - من ١٩١٠ - ١٩١١

ولرى من خلال المنسل الضخم الذى يصل ارتفاعه الى خمسة وعشرين
ومئات مائة ضخم ومشهد مكون من مداحل أحضان حطب الآخر ، وعتما
عصيا الى أسفل رأينا من كل خطوة مساحات أكبر من هذه المساحات
المنظمة والبسيطة ، وفي نفس الوقت كانت البوابات تسلطها بالهوش
الصخمة مرفع أكثر ماكنز وتبدو وكأنها تراجم السمة . وينظر الحارس
الى يمين طوله سنة أقدام ويومئ . نحوها مكفرا عن أسنانه . منتظرا
البقيش . والنظير كل لاند من وجود حارس هنا ، كما تؤدى نفس
الفرس أصا براعة فريه لا يستطيع أن يمر منها المروار أو الأعراب
المتطفلون حول أن يرهم احد -

ومن يدخل هذه البوابة يمر عتبة الماص ، ويركض الى عام حلقه -
ولكن لم يتمخض في هذه القاعات الضخمة ، فكل يرضيه مصلحه - وكل
أسطون ، وكل مخرج سلالم ، مارال كما هو في مكانه . أما السقف الذى
ثم يفعد حه الا القليل من الأحيار التى فوق الهيكل فليس شيئا فقط .
بل ايها تم اصلاحه بشكل جيد وما زالت النقوش الهيروغليفية بنص
الوضوح وفي الوضع الذى كانت عليه يوم حفرها . وإذا كان قد أصبر
أسطون أو وجه الله برأس بشرى هنا أو هناك ، فليست هذه الا عيوبها
بأدرا ما يلتفتها الإنسان . ولا تصد التأثير العظيم للسبى بوجه عام -
وقد عبرنا هذا الفتنة العظيم في ضوء الصباح الكامل . ويوجد في صفوف
الأساطين التى على الجاسم ظل . ولكن بهو الأساطين الذى خلفه ، ملهم
كما لو كان في الليل . يصره النظر عن بقعه من الشمس ذات اللون
الأزرق الدامق تخترق فتحة مربعة في السقف . وتسلطها دفعة مساوية
لها من الضوء الساحل على الأرضية السفلية . ونر بعد ذلك عبر قاعة
من الأساطين وممرين مستمرين ، وهيكل حامي ، وسلسلة من
المجرات الجانبية المظلمة وهيكل كبير .

وهناك خارج هذه الباني كلها ويحيط بالميد من ثلاث جهات . ممر
خارجي مفتوح نحو السمة ، ويحيطه حائط عظيم يبلغ ارتفاعه أربعين قدما
كاملة . وإذا كنت أن المنسل الأمامي مع البرجين والمنسل المتوسط يبلغ
عرصتها ما ٢٥٠ قدما وارتفاعها ١٢٥ قدما ، فإن القاعة الأولى برده طوله
من ١٦٠ قدما ويبلغ عرصه ١٤٠ قدما . وأن المبنى تكامله يبلغ طوله
٤٥٠ قدما . وهو مغطى منطقة تبلغ مساحتها ٨٠.٠٠٠ قدم مربع -

لقد ذكرت الحقائق التى لا تتجاوز تقديم فكرة عن ضخامة المبنى
المعاريه الهندي . أما تناسق السبب . والصحح الملعل وفرة الأجرء .

وكمال التقليد ، ونقله ثلاثة التي سطت منها الأحجار ، ولونها العنبري .
التي تجز عن وصفها .

ونذكر أن سمي مبيد ادفو ودمرة بأبهما نوصاه ' لأنها يمتحان
أي نفس الفترة الرمية . فقد تم بناؤها تقريبا حسب نفس التخطيط (١)
وهما أيضا متعلقان بأحاسيس ديني واحد ، لأن أسطورتي حورس (٢)
وعنصور (٣) متداخلتان ، والواحدة منها تكمل الأخرى ، ولذلك فاقبا
بجد في نقوش معبد ادفو موبها مسجرا عن مرات الدولة والعكس
صحيح وكلا معبد ادفو ودمرة على العكس ، ولكن المساحة الشائقة
المخصصة لها أتى معبد ادفو أكبر حجما ، وكذلك الثروة الأدبية لهذا
المعبد أعظم من تلك التي في معبد دمره ، وقد ظهر لي أيضا أن المساحات
الجدلية بمعبد ادفو أكثر ارتباطا بالنقوش عن مثيلتها بمعبد دمره ذلك
أن كل حائط ، وكل سقف ، وكل أسطوان ، وكل إطار يحيط بالأبواب ،
وكل صر وحررة جانبية مهما كانت طفلة ، وكل حديق سلالم ، وكل
مدخل ، والحائط الخارجي للمعبد ، والجانب الداخلي للحائط الدائرة
الضخم ، والبوابات المخفية من قبتها حتى قاعدتها ، هذه جميعها ليست
لقط منقطة بالنقوش والكتابات الهيروغليفية ، بل أيضا مزخرفة بها .
ولا يجد من بينها أية موضوعات ضمنية عن المعازك ، كما هو الحال في
(أبو حنبل) ، ولا سردا للأحداث البطولية مثل قصيدة بنتاؤور .
لقد استعملت هذه النوعية من النقوش مع الملوك الفرعونية ، وحلت محلها
نحات الكفوس الدينية وحارات الآلهة والملوك . وعلمه عن الموضوعات
المصوطة على المسائر المطلية ، وهي متصلة ببعضها في دندرة ومنها
وكذلك في ادفو . ولكن يوجد في ادفو نقوش تدور حول سمات مختلفة
أكثر من أي معبد آخر في مصر ، وعلمه المقروءات الديوية ليست ذات

(١) معبد ادفو ذو الأسفل ، ومعد دمره بسيطة منه - وثا حله معبد دمره عن

النموذج الأصلي أصبح التقلد ونحوه .

Horus : — « Dieu adoré dans plusieurs contrées et le bon » (٢)
Egypte Le personnage d'Horus se rattache sous des noms différents,
à deux générations divines. Sous le nom de Haroeris il est père de Sob
et Nout, et par conséquent frère d'Osiris, dont il est le fils sous un
autre nom. Horus armé d'un dard avec lequel il transperce les en-
nemis d'Osiris, est appelé Horus le Justicier. — Dict. Arch. P. Pierret
article « Horus. »

Hathor . « Elle est connue Nefth, Mout, et Nout, la » (٣)
personnification de l'espace dans lequel se meut le soleil, dont Hathor
symbolise le lever ainsi son nom, Hat-hor signifie-ل-ب littéralement,
l'habitation d'Horus. » — Ibid, article « Hathor. »

قيمة - وتوجد هنا قوائم جغرافية للإقاليم النوبية والحصرية بعضها الرئيسية ، ومنتجاتها ، وآلهتها لممارسة ، وقوائم بالإقاليم والأمره الذين ينفذون الجرية ، وقوائم بالصلاب والأراضي الموقوفة عليها ، وقوائم بالشرح - واللواحي ، والبيمرات ، وتقويم تبيد الأعياد وأوقات الصوم ، وقوائم فلكية ، وأنساب وأخبار الإلهة ، وقوائم عن كهنة وكاهنات كل من معبدى إدفو ودندرة بأسمائهم ، وقوائم أخرى تسمى بالمنخددين والوظفيين المساعدين ، وقوائم بالتبرعات ، والأثاث ، والأدوية ، ومثل هذه التفاصيل لثقله بالأمساك الدينية بحيث يمكن تكوين كتاب عن الأساطير المصرية من النقوش الموجودة في معبد إدفو وحده (١) . وقد نشر منها الكثير ، ولكن يظهر بين الحين والآخر عالم مصريات مفهر مثل حيد ناقليل أو مسيو دي روجيه فمقدم لها دراسة منخفة عن إدفو ، والمناجم - ويعود إليها وحده مثل هذه المستود الثمينة بالكمية التي يستطيع ان يحصلها . وهكذا أكتبت الأنواء على بعض التفاصيل البارزة ذات الأهمية - وهناك على مسجل المثال نقش بسجل بالقبض في أى شهر وفي أى يوم وفي أية ساعة ولست أدرى إذا كان حورس ، ونقش آخر يذكر كل ما يتعلق بالعوارب المنخفة - ونفس حرف الآن أن إدفو بها اثنان من العوارب أحدهما يسمى حور - حات أو حورس الأول والآخر عا - مافيك أو الليروزي العظيم - ويبدو أن هذين القارين لم يكونا مخصصين فقط للحصول على اللواكب ولكن أيضا للاستخدام الطبيعي فوق الماء - وصالح مصر آخر من أكثر النصوص غرابة يخطر بآنان حضور دلالة تقوم بزيارة سنوية الى حورس أو (حور - حات) الموجودة في إدفو ، وتطس معه بضعة أيام في معبده ، وقد ظففت مراسم هذه الرحلة بالتفصيل - لقد مسافرت الإلهة في مركبها التي تسمى لسب - مير - تي ، أى سيلة البحيرة - وخرج حورس كضيف مهمب للقائهما في قناريه حور - حات ثم شكل الإلهان مع أتباعهما مركبا واحدا . وهكذا وصلا الى إدفو حيث استلمت الإلهة بالاحتفالات الثمالية (٢) .

(١) نشر Y. Bédouin بعنوان Rapport sur une mission en Egypte كتيبة لايفر - دي روجيه E. De Rougé نشر بمجلة E. Revue Arch Nouvelle سنة المجلد الثاني ص ٦٢ -

(٢) انظر مقال كتيبة دي روجيه وعنوانه Textes Géographiques du Temple d'Edfou نشر بمجلة E. Revue Arch - المجلد الثاني عشر - ص ٢٠٩ .

و قد لن نعرف ما إذا كان سورس قد عاد في جميع هذه الزيارات ،
 ثم إذا كانت الآلهة مثل الإمبراطورة المحدثي يقضون أوقاتها مرحلة فيما
 بينهم ؟

وعندما أسئلة أخرى تطرح جميعها ، تلج الألب أحيانا ، وتثير
 الصحيرية أحيانا أخرى ، وذلك عندما ينتقل الأساس من غرفة إلى غرفة
 ومن قاعة إلى قاعة ، وكلها مطلة بالنقوش المحونة التي تمثل إشكالا غريبة
 واساطير أشد عراة . ماذا عن هذه الآلهة ذات الامساب المتسلسلة ،
 والعلاقات المتبادلة المعقدة . والتي تتزوج وتصبح أبناء واحبات ، وتبادل
 الزيارات ، وسافر أحيانا إلى أقطار بعيدة (١) ؟ وماذا عن هؤلاء الذين
 خدموا هذه الآلهة في المعابد ، والذين ألبسوا الأتواب وطعومها بها ،
 والذين أقاموا الاحتفالات بأعياد ميلادها ، وجميعها في مواكب مهيبة ،
 واسترقوا حياة ملايين الناس في إقامة هذه الصروح والمنحوتات من
 الحجارة نظريها لها ؟ أينا نعرف الآن الظروف التفصيلية التي كانت
 تعبد بها هذه الآلهة ، والجواهر التي كانت تزين بها . والتوابل التي
 كانت ترتل في مدينتها ، ولحرم الجواهر التصويري والعسقي للخرافات
 الشمسية التي وضع نظرياتها لشخصيات ملغون صلابون بالمعوص .
 ومن يتكلمون تماما أن الحلي الحلي لهذه الإمبراطور قد صاغ في الأيام
 الأخيرة لهذه الديانة (٢) ، ولن الآلهة كانت مفردة لذاتها ونس لا كاسه
 ترمز إليه . وماذا إذن عن عابديها ؟ هل كانوا يؤمنون حقا بكل هذه
 الأشياء . أو أن بعضها منهم كان يتملذ بالشك في هذه الآلهة ؟ وهل
 كانت شكوكهم في تلك الأيام تتمتع بكم يستطيع امتداد من عابدي
 المتباينين الفرعونية Hierogamzolen أن ينظر كل منها في وجه
 الآخر ، دون أن يتغير في الشك ؟

ولد ذكر لنا الحارس أنه كانت توجد ٢٤٢ درجة تقود إلى قمة كل
 من برمي السجادة . وقد أحصينا ٢٢٤ منها وتضاعفنا عن الدرجات
 الباقية . كان المسار الصاعد طويلا ، ولكن بالرغم من كثرة عدد الدرجات
 إلا أن المنظر من القمة كان يستحق مقبرة الصعود . كانت الحيرات التي

(١) انظر كتاب البروفيسور ريفوت بعنوان *Seconde Hierarchie sur les Hieroglyphes* . انتقد سنة ١٨٨٨ . ومنه لسرعة كيف أن تماثيل إريس وعمرها من الآلهة
 كانت تتنقل مرة كل عام من حيد فيلة للقيام برحلة إلى أثيوبيا .

(٢) انظر للملك الثالث لهذا الكتاب . ومروانه . المصدة للبيئة هذه لهذه المصريين
Religious Belief of The Ancient Egyptians.

في البرج، وأسمه ولها لوافد مائته مثل فوحات صناديق البريد الفخية
 الموضوعة على مسافات مساوية بطول الشارع . وكانت تظهر من عند
 الواحد صواري الأعلام واللياق . وكانت البرجان متصلين عن طريق شرف
 ولحمة ، وبسبب إيواء الملبأ للبرجين بوفيات الأسماء المكتوبة حديثا
 والتي فوقها الجرد الفرنسيون سنة ١٧٦٩ كدكرات . ولسوء الحظ
 فإن الماريز حديق البرجين العظيمي غير موجود . ولكن الارتفاع الكلي يبلغ
 ١٢٥ قدما تقريبا . وبهذا يظهر الأسماء في أعلاها إلى قبة المدينة . مثلا
 يظهر من مارة الجامع الكبير في دمشق - عامة يستشهد مئات من الأكراد
 المبتية من الطين والمسقوفة بسقف الحيل ، وصاب من الأبنية الصغيرة
 مع متراصة تحت الأبنام . وقد كان الملاح يمشي في مائه نهادا .
 إلا أنه يستخدم كونه للبرج ليل . وكنا نطير إلى أسفل كالمقيطان الأهرج
 فساعد الأبنية للصادق لئلا حال من السفوف . لتري الناس يتحركون
 جيتة ونهيا في شاعري بالمعروف القريبة التي مرابهم من أعلى كان
 إر حال يتسكعون ، ويسكنون . ويرقدون في الأركان الطويلة ، والأطفال
 يلعبون والاحداث يرمون على زرع والنساء يطبخن في أفران من
 الطين في الهواء الطلق ، والأطفال والأبنام تلهي . والفواص يستن
 الأرض وتلفط الحبوب ، والكلاب تستدعي في الشمس . وكانت
 الأكراد يدانية ولا تصلح لسكن الأبنام . وظهر الملاح الصغير مع قبة
 الوحيدة ومنهتة الصغيرة صغيرة وبميدا مثل دمية مصوعة من
 الصصال . وضع حول القصر وروايات الفطر وصوف الحيل التي
 تنحصر في جانب واحد من الهر ، خلف القرية الواسعة . أما في الجانب
 الآخر فتجدها الصمراء . ويتفق طريق عريض تسير فيه الناس والمناخية.
 صارة مستقيما خلال الأرض المزروعة وبحر السهل الرمل الذي يقع
 خلفها . وتستطيع أن تتابع صفه لمدة أميال حيث يظهر مثل خط
 مرسوم يأخذ الأقدام في الصمراء . وقد ذكرنا لما أنه ينحدر إلى القاهرة
 مباشرة . أما على الضفة المقابلة فتلح أهوا . مصنع أبيض لتسكن . وتقع
 فيلا ريفية تحبس الحديق في مكان تطله الأشجار الخضراء . ومضى مجرى
 النيل بينهما . وتلمح للال طيبة من خلال ضباب أبيض مثل اللؤلؤ
 نلمح في الأفق .

فوحات بيت تسميم مقطوع في شكل دعامات متباعدة للأبرية في دوائر
 حول اقتصاص . وفي نفس اللحظة تهب من الصمراء القرية ربيع متوحدة
 ونصف شغافة من الرمل الأصفر ، ويرداد إزهاجا في كل لحظة . وتبدأ
 في التحرك عبر السهل من اتجاه الشمال . وفي نفس اللحظة نرى

تظهر ربح أخرى على مسافة بعيدة في اتجاه الجنوب . بينما تأخر وريح
ثالثة متصلة في حافة بطول الضفة الأخرى . وبينما كنا نراقب الثالثة
بدأت الأولى في خف من عجب من ريش الطيور كال يتبها وهو يتظاهر
ثم يصيح في الهواء . والأول ، فإن الريح القريبة القادمة من الجنوب تنعدم
في سرعة باصة وهائلة مرعبة لمسافة ٥٠ قدم فوق صفحة الصحراء
حتى إذا التقت بتيار عاكس ، انكسرت فجأة إلى صفين ، وأخذ التصف
السفل في الانحلال ، بينما تعلق التصف العلوي في الهواء لحظة ، ثم
انتشر وطلا يبطه مثل سحابة ، وفي نفس الوقت تشكلت عمداً وصداك
أساطير أخرى أصغر حجماً ، وأصغر كقرب قليلاً ، وتنايل ، وتنفرد ،
ثم تنجس مرة أخرى ، ثم تضغط ثانية وتستحيل إلى بواب . ثم يضعب
بالسحب ورفح نهاية حاصلة لهذا المنظر الغريب . وفي أقل من دقيقتي
يبدد عبود الرمال وانقشع فجأة بنفس الطريقة التي أتى بها

وعندما هو المنظر الطبيعي الذي يحيط بالقيء ، وبعد كل شيء نأد
القيء يمثل المنظر الذي يصعد الإنسان إلى هنا لكي يساعد ، أنه يراقب
مبيدا تحت أقدامنا ، الفناء بأرضيته المظلمة ، والسقف المتوسط ، والمركبة
من أحجار ضخمة ، والمناطق النائية بنقوشه الضامعة ، والبهر يستأثره
واساطير وقد ظهر في الضوء الساطع مقابل الأعمام الداخلية المظلمة ،
ويمثل كل أسطورة سماعاً من الحاج ، كما يمثل كل مربع داخل الظلام
كلمة من الأبنوس ، والهند كلة كامل وحلب وفخم ، مع أنه بسيط من
حيث وحدة التصميم ، ومسلد من ناحية الزخرفة ، وعظيم من حيث الكمال
مما يشعر الإنسان بأنه قد حل مشكلة الصارة الدينية كلها .

ولذاغده كما هو كيناه بطلي سليم بكل كمال قوته ونفسية .
ولا شك في أنه أعظم معبد موجود في مصر ، أنه يعرض أمامنا - بصورة
أكمل من معبد دندرة - الفرض من البناء أجزائه المختلفة وتوحيه المراسم
التي صمم من أجلها - إن كل ممر وكل حجره تحكي قصتها نفسها ، وحتى
تسماء الجدران المختلفة قد نقشت فوقها طريقة حكمة بحيث سمول
استعادة بناء التصميم الأصلي للفناء كله بالمصطلحات الهندسية (١) ، ولأنه
من التسليم بأن المباني والأساطير المطلوبة لا يمكن قبولها كنماذج للفن
المصري الخالص أو الفكر المصري الخالص ، فالأثنان قد اختلطاً بالآثرات

[١] لم تكون أسماء المسميات تلك بل فيها تماها بالانراج وأجزاء الانراج -
لنظر
In *Introduction to the History of Egypt*, A. MARIETTE BEY, 1872, p. 341.

الأفريقية . وإتبعها كثيرا على السورج الأفريقي . ولكن لا يوجد لدينا عينة كاملة من الطراز الأفريقي . إن الرسميون ليس الا قطعة كبيرة .
 أما الكرامك ومدينة هابو فيها تشكيلة من عدة حيايد وعدة طرقات .
 أما عند أبيدوس لما قال نصف مدحون . ونجد بيننا الكثير غير الكامل .
 والكثير المصنوع ، يسا بعد في الموضع الذي يمثل بناء كاملا هو الطراز
 البطلاني بالرغم من أنه عديم الأهمية وأجسا عديم القيمة .

وبينا كنا نعلم بهذه الأشياء ونحاول أن نتجسس مظهرها . جاء
 الأسطول الفرنسي المصنع وهو يكتسب النهر هناك . وتقدم موكب حور -
 حبات لاستقبال الآلهة القادمة كصيف . وكنا متوقع رؤية كل
 الضد اللامع وهو ينصب خارجا : الكهنة في ثيابهم المصنوعة من جلد
 الفهد الأسود . والكاهنات يسلن الصلاصيل الزمالة ، والمثرون . وعادوا
 التيلار ، وحاملو التيجان والفساتين ، وكبار الموظفين حلب قارب الآله
 القنسى . وفي هذه اللحظة ظهر مؤذن مسم لون الثمينة الطينية العليا
 المخلعة من المدينة الصغيرة ويؤذن لصلاة الظهر . وقد انتهت هذه الصبغة
 للشهرة بالأنين قبل أن نتساهد الرجال هنا وهناك وهم يدورون بين
 الأكواخ وينهلون في اتجاه الشرق ويصطفون في وضع الصلاة . واستمرت
 النساء في طبخ الطعام . ووضعا لطلالين . وقد شاهدت السيدات
 لسلطات أثناء الصلاة في مساجد اسماول . ولكنني لم أشاهد من في
 حور .

وفي نفس الوقت شاهدنا بعض الأطفال الذين لم يعرفوا أننا نرتفع
 عنهم مسافة تصل الى خمسة وعشرين ومائة قدم فاضطروا في صوت
 مرتفع طالعين « البشيش ا » .

والآن نهيئ معد إن القينا نظرة أحيية طويلة على المعبد والمظهر الذي
 وراءه وبعيدا لتساهلة معبه صغير قريب دعت ثلاثة أرباعه في صحراء
 مديدة بين التلال القريبة . وهذه التلال التي تتكون كلها في الغالب من
 أنقاض الطوب المس . مع قطع واسعة من الحجر والقبطار ، قد بسب مثل
 القصب المرجانية ، وتمثل مكان إقامة حوالي ستة أجيال . وعندما قطعت
 مستقيمة كما هو الحال هنا حول المعبد الكبير كانت مداخلها تنسج بطيرة
 التوتري المسمة .



الفصل الحادى والعشرون

طيمسة

لقد سارعنا القدر فترة طويلة حتى سميت علينا الاستغاثة بحظنا
السميد علما حملنا زيج الجنوب من ادنو الى الاقصى في مدة يومين
فقط . لقد عدنا لحد ان موصح الرسوة القديم غاصى بالقحيات .
ومزحرف بالأعلام الاحمرية والامريكية المطونة وتكاد اعلام هاتين
الجسيتين ان تقصما النهر فيما بينهما . ولقد احصينا عن بين كل خمسة
وعشرين قاربا . اتى عشر قاربا انجليزيا ، وتسعة قوارب أمريكية .
وقاربين المايجه وقاربا بطبيكيا . وقاربا فرنسيا . ومن بين هذه القوارب
حيثما كان اولاد صومتنا الأمريكوي متعاونين ومسرعين الى المساعدة .
ومفهمين بالود مما حملنا ساعد تلقائهم . وكان عليهم بالنسبة الى دليلنا
على وجود حشده كبير من الرافلق الشجعان والكرماء والمطفاء . وقد اعانت
لى صحتهم ذكريات اراضى ووجوه عديدة . واستدعت ايضا اصدا
اصوات حبيبة يمشيها نعيم جدا . وبطنها واحسرتاه صامتة . وسواء
اكانت هذه الأصوات على ضفاف النيل . لم على سفاف التمر . أم على
البحار أم بين اراضى المسكرات السورية ، أو عدلاته فى فتوح من شرقات
المباني المدامسة المظلمة فى لندن القارية — فلن نلقى لدى رؤيتهم كان
يشعر بفضله العلم الأمريكى .

وعند وصولنا صعد جميع تحار الاقصى الى السطح . لقد توبصوا
منا وتموما حشما ذهبا . بينما جلس عدد من أفضل موعائهم وهم رجال
جادون يرتدون ثيابا سوتة طويلة ومماهم ضخمة . فوق السطح السفلى
لذهبتنا . وقصوا فى مكانهم هذا أسوعين . ولذا أراد الاساس المصنوع
الى السطح العلوى سوله قبيل الاططار فى الصباح . أو بعد المشاء فى
المساء . فقد كنا نجدهم هناك صمورين . وثابى الخنا . وعلى اسعداد
لتقايام وأداء التبعة . وبعد ذلك يخرجون من ضمن المجرى الخفية . حنة
من الجسارين . أو حرة من التماثل المجلزية . وكان يمشى هؤلاء

المساعدة لغيرها ، وبعضهم الآخر أقباطا ، ولكنهم جميعا كانوا مهذبين
وحجبتهم مقنعة ، ولكنهم كذايون .

وعلمنا يأسس الأقباط والأعراب نفس التجارة المتشكوك فيها ،
ليس من السهل ان نجد ظلال الاختلاف في معاملاتهم . ويسير الأقباط
بالفئة كعمال ، ولكن الأعراب أقل فخلاصا كياطين . ولا تنادي كلاهما
ببعض أثاره مرغفه أكثر من الأثار الأصلية . وهذا كل الطبقات قائم على
امتداد الاستجابة . وبالسبب لهم فان هناك محوسس ليس ثقيل ،
وتمثال كديواترة ليس طيفا ، وقد نطقت أصواتهم المتخونة من خنوب
الجحيز ، وتمثيلهم الحرفية الصغيرة . ولوحاتهم الهيدروغليفيه المتسورة
من الحاجر البحري . بهلوه يصعب كنهها . فما من الصابرين الأصلية
التي من المصور القديمة فانها تباع بالقيمة في كل موسم . ويتم بحثها
وتليتها وتبينتها على أحسام الدويك الرومية في شكل تعاويذ تجلب
الأنث . ويكتسبونه عن طريق هذه العملية دوحه كبيرة من الاحترام نشر
المرح .

والا جانب عملية الاقتراح تكون عملية التنقيب ، فالخفايون
المتخصصون يحتلون السر السري . انهم يقيمون بين الجسائات
ويسوقون السمير أو يطفون التواديف لهاوا ثم يفضون لاليم يملكون
من الكتور . وتميل في وضع عائل من المالكات بهذه الطريقة الصارمة .
يسلمون تحت الموتى المصريين حريا وراء الرمح القبيح .

وفي نفس الوقت جشاس المرفوق والمعارف والناشون بالتحالف
مع بعضهم البعض لأداة تصارة صاعبة ، انهم يصارعون النسيبة كما
تخرجت من الحظية رسوها حتى اللحظة التي تنفج فيها بعبدا من
الشماع . ان الولد الذي يسوق صارف ، والمرشد الذي يقوم بين
المتاجر . والفلاح صنف الماري الذي يظن فاسه عند مرورك ويجري
بهوازه لصفة مل عبر السهل . لديهم حبيبة أتيكة ، يبيعونها لك .
أما الموظف المصم الذي يحضر وفي صحنه منكرتوه وحامل غليونه .
لربارك بهدف التمازف . فانه يظفر في الخداع . تم يلدح الى الكور
الأمنلة التي لا يملك مفتاحها أحد غيره . والواظن الورع الذي يجلس
معى عند الفداء ، يحمل في جيبه حمرانا عجيبا . وبأخضا ، فان كل
رجل ، وامرأة ، وطفل يستن في المنطقة ، يرغب في معلوماتك على شرا .
شيء والمسامرة في تسمه وتسجين في لالة من الحالات عظيمة الفحة أنها

تعرض صناعة الأكر ، وليس غير ذلك ، وبالطبع فانه من المفصل ان نمرل
بى المين والآخر ، ولكن الأفضل هو الا نخرج الى السطح لانك سيجد
السوق عندك فى أسوأ الأحوال . ولا يظهر التاجر الفصل ما عند الا عندما
يجد أنه يصالح مع مفسى مذهب .

وتزدحم تجارة مصنوعات الأكر كما هي . مع بعض القيود غير
الريجة . والتعقيب الخاص مسطور ، ويمتس الجفار خالفا من أن يكتشفه
الحاكم . أما المرور الذى ليس عليه ما يملكه يتكى الحاكم فهو يمشى
حائفا من لو يكتشفه السائق . أما من المانع سواء أكان يبيع أثرا حقيقيا
أم مقلدا فهو أيضا عرضة للساقب ، لأنه يرتكب مخالفة ضد السلطة من
جهة . ومن ناحية أخرى يتكسب نفوذا باستخدام الادعاءات الكاذبة .
وفى نفس الوقت فإن الحاكم يبالغ مثل هذه الوعة من القضايا بقدر
استطاعته . ويبدل ما فى وضعه لتطبيق القانون على كلا جانبي النهر .

وقد دخلت السبعة (ل) والكاثية فى إحدى المرات ورشة أحد
المزورين . ولما كنا لا نعرف أنها قد انفلتت فقد ذهبنا الى منزل معين كانت
تخفيه إحدى التصيليات فى وقت هى الأوقات . وطعننا السماح
بالدخول . وفتحت الباب فلاحه عبور صبا . وبعد القليل من التردد
أدخلنا الى حجرة ضخمة خالية من الأثاث وبها ثلاث نوافذ . وقد وضعت
إمام كل نافذة دكة مستطيلة تناثرت فوقها الجمارين والتمايك والتمائيل
الجزالية وهي تمر بكافة مراحل تصنيعها . وقد فصصنا هذه المينات
بكتير من الفصول . كان بعضها من الخشب ، وبعضها من السير الجبرى ،
وبعضها ملون بزليا . وكانت الألوان والقرشك موشوعة هناك ومعها
امسار ، والخشب . ولذوات أخرى صغيرة مذهبة مثل المخارز . وكان
هناك نوع فاخر من الزجاج الذى يستخدمه السحاثون موضوعا فى حية
أحدى النوافذ . وقد شاهدنا أيضا حجر مسى صفرا مرگما على إحدى
الدكك ، وهو يصل عن طريق دواسة ، بينما كانت هناك فى أحد الأركان
قطعة ضخمة من صنوق إحدى الموميالوت خلف الباب عرفنا أنه المصدر
الذى يحصلون منه على اختشاب الحمير القديمة لصل المينات الخشبية .
وكان المال الثلاثة المهرة المرودون بالذوات الأوربة ، مهيكتين فى علمهم
بهذه الحجرة قبل دخولنا إليها حيث تم اخلاؤها تماما . واستشجنا أنهم
ذهبوا لدخول الاضطر .

وفى نفس الوقت انتظرنا متوقعين أن يتصادونا للدخول الى
الفصل ، وفى حوالى عشر دقائق وصل اعرابى يرتدى تياما ماهرة وهو

حطوع الأناس بسببه قدومه مصرنا ، ولم تكن قد واپناه من قبل . وكان
حائرا ما بين أدبه للترقي ، وبي رغبته من التخلص منا ، فأخرجنا بسرعة
موضعا أن أصحاب المنزل قد تبدلوا وأن الساجنا في السؤال قد حال دون
وصولنا الى الأكر ، وسعناه يروح المرأة المعجزة بشدة بمجرد أن تم
إغلاق الباب خلفا . وقد قابلت هذا الأعراي الذي يلبي الشباب الفاحر
ياقرب من منزل الحاكم يومه ذلك بيوم أو يومين . وفي الحال احتلني في
أقرب ذكر إليه .

ولاحظت سلطات متحف بولاق بجامعة صفحة من المعارف المدوين
الذين يعملون بصفة مستمرة في حياته طيبة ، ويشرف الحاكم على هؤلاء
الحفارين ، وترسل كل حواء ينتر عليها مثقلة الى متحف بولاق ، وشكر
أوسية الحاكم الذي مسح لنا في صباح أحد الأيام بحضور افتتاح إحدى
الحيوانات ، وقد طلب حضورنا عندما كنا على وشك تناول الإفطار ،
فركبنا القارب منقبط . ويمكن أن تتخيل بسهولة كيف أبا تناولنا
خشب الطائر في القارب والنصف الآخر ونحن على ظهور الصير .
واتذكر حينما ركوبنا صيكرين في صباح هذا اليوم ، عبر سهل طيبة
الغربية . وكان الشجر حديث الامليات يلح لمدة اميال تحت أشعة
الشمس ، ولقطة المياه الصغيرة تجري بحوار الغرب ، بينما صوم الفرائشات
البيضاء في تمايلات جميلة . وهناك القبرة التي على جاب الطريق وقبها
الصغيرة ، وحصر الصلاة المفروضة على أرونها . وبترحا ولقنها المكسورة
هذه كلها كانت تفرى المار بأن يصلح لشرب الماء وإنهاء الصلاة . وهناك
أيضا الكرم البرية التي كانت تمتد طول الحائط ، وأزهار السمسم
اللامعة التي ظهرت بقوة دعوة وسط السمسم . وكانت ثلال وبوابات
عذبة هابو على يسارنا ، بينما كانت خراف الرمسوم على اليمين .
وكانت فسحة السهل والجبال الغربية الوردية اللون أمامنا طوال الطريق
وكانت التماثيل الضخمة متوحيجة في ضوء النهار ، وهي ترتفع مقابل
السماء الزرقاء الباهية ، وقد انخطت وضع الجلوس القديم وهي سطية
وبلا ملاصق ، كما لو كانت حزبة على الربيع الذي تلافي .

وقد وجدنا القبرة الجديدة على بعد عدة مئات من المارحات خلف
الرمسوم . وكان الحفارين في داخل الحرة ، بينما وقف الحاكم وعدد
قليل من الأعراي وهم ينظرون . وكان الكبر مسقوما بالظوب الذين
ومحتفوا بشكل مريب في الصخرة المنقلبة . وقد وصلنا في اليماد لأنه
سرعان ما ظهرت حواف مغطون من خلال الرجال والإكتاف التي كانت



الشيخ محمد بن الوكيلات

تبدأ القبرة • وصعد ان ألفى الوحيال بالمجرب والمحاول جانيا يدويا في
 رفع السراب بايديهم • وخرج تابوت المومياء مرسوما فوق عظامه بسد
 سحبي يطوله واليحدان متقاطعتان على الصدر • وقد حفرنا كلتا اليدين
 والوجه حفرا مازدا • وكان التابوت ابيض اللون من الداخل (١) وقد
 غطي سطحه بالملطير هيرغليفي واشكال طومة حشبة تمثل الالهة
 الاربعة التي تقوم برعاية المومياء • اما الوجه فكان مثل اليدين ملونا
 باللون الاصفر المائل • ولانما يشكل رجب • ولكن الاول كانت غلظة
 وصارحه وعظمت السطح قشرة رقيقة هنا وهناك • وكان التابوت كاملا
 بتمس الحالة التي كان عليها عندما وضع في القبرة • وقد وضع صندوق
 حشبي عند اقدام المومياء • ولم نستخرج هذا الصندوق أولا وتساخه
 الحاكم الذي وضعه جاسا دون ان يتحتم • ثم رجع تابوت المومياء ونصه على
 حافة القبرة ثم وضعه على الأرض •

وقد أصبحت برعفت عندما شاهدته كما كان موضوعا عندما تركه
 الناثور • ثم سحب باليد ليكن يتم مسحه وفككها • ووجد كسره
 لأنه لا يمكن ان يحتل ركننا ضمن مجموعة متبج جولان • لأنه بعد
 الانتهاء من تسجيله وتبويه في المتحف يأتي الناس لمشاهدة هذه الأشياء
 بوصفها مبالغ أو عيسات • ناسي أنها كانت في يوم ما كانت حية
 مثلنا • ولكن هذه المومياء القبرة كانت تبدو في صورة انسانية مفرقة
 وله زدت في قاع مقبرتها في ضوء النهار متيرة للمنطقة

وبعد دفع للتباوت الى خارج القبرة • وجعلت بين الألفي كروب
 صغيرة من الحرف الأزرق وكرة من نفس المادة وشئ آخر صغير على شكل
 كرة التكرير • وكانت هذه الأشياء مجوفة • وتحتوي على حادة كانت تصدر
 صوتا عند تحريكها • ثم نقلت المومياء والتابوت الحشبي وهاتان اللتان
 المرفقتان الى اسطوانة قربي • وبعد أن كسره الحفاران عن شيء يشبه
 لوحة نقش من الطوب أو جاس القبرة • يدويا في المسل مرة أخرى

(١) لا شك في ان هذا التابوت قد دُفن خلال عصر الأسرة الثالث، والحفارين أو الرعامه
 والمصريين وقد وصفه هاريس في كتابه كما يلي :

« Succèdent les caisses à fond blanc, autour de laquelle court une
 légende en hiéroglyphes de toutes couleurs. Le devant du couvercle
 est divisé horizontalement en tableau où s'allument une représentation
 et les textes tracés en hiéroglyphes vermillés. La momie elle-même
 est hermétiquement enfermée dans un cartonneté entouré par derrière
 ce point de couleur franches. » Notice des découvertes à Bouleah,
 11. 48. Paris, 1872.

بسرعة - وأظن أنه كان يجري الآن اكتشاف عقد آخر أو سلسلة من المقود المظفرة في الأرض .

وفي نفس الوقت ذهبنا يسيرا لمدة ساعتين ، وشاهدنا بعض المقابر الملوثة المشهورة في هذا الجزء من جانب الجبل المرتفع المعروف باسم الشيخ عبد القربة . وكان الجو حاراً ، والشمس تلمع فوق رؤوسنا ، والصخور تملكس الضوء والحركة ، سيما كانت الانقاس البيضاء اللون تلمع تحت أشعنا . وكانت بعض القبور المالية صا محفورة على شكل صرات . وتظهر على البعد مثل صفوف من الفتحات التي يمشي فيها الحمام ، سيما يتضمن بعضها الآخر في حواشي الصخور المربعة . والبعض منها يصمم الوصول إليه ، ولكنها مشحونة وخائفة بشكل لا يحتمل - وقد قام بترميمها سمر جاردنر ويلكسون منذ نصف قرن ، وما زالت الأرقام موجودة فوقها . وقد ذهبنا في هذا الصباح إلى أرقام ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ -

وعندما كنت طفلة تأثرت بكتاب *The manners and Customs of the Ancient Egyptians* وعنوانه أساليب وعادات المصريين القدماء وكذلك كتاب ألف ليلة وليلة *The Arabian Nights* ، حيث قرأت كل سطر من الطمعة القديمة ذات الأجزاء الستة عشر مرات . وكنت أسقط كل صورة من الصور التي يبلغ عددها ستمائة صورة من ظهر قلب . والآن وجدت نفسي في وسط أصدقاء قدامى تصف مسيحيين . لقد كان كل موضوع من موضوعات هذه الحواشي الممجيبة معروفاً لي . ولم يكن هناك حديث أو غريب سوى الأساطير الخرافية والآلواب والرمال التي كسبت الأكليل والتعظيم الحسن في الخارج . ونهياً لي أنسى قلوب جميع هؤلاء الناس الطلقاء ذوي البشرة البنية اللون منذ سنوات عديدة مضت ، ريباً في مرحلة سابقة من الوجود . وأتني قد تمسكت معهم في حياتهم ، ومتمسكت إلى مومسلي صلاصتهم ودفولهم ، وشاؤكتهم في ولايتهم - هذا المركب الجفاري الذي أعرفه جيداً ، ومظهر المحاكمة بعد الموت حيث تقف المرمية في حجرة بوزوريس ، وأرى قلب التومبياء وهو يوزن في ميزان . وهنا صائد الطيور القديم الذي لا أنساه وهو يحترق بين سيقان حشائش السمار ومعها مطلة اللبنة بالشراف الممجيبة ، وقد وقع يله الدابة إلى فيه ، بينما يتطايير شجرة التكليف مع النسيم . وأراه الآن وقد وضع نفسه في حانب القرمصة ، ولكن هذا الفارق تاء عنه. خلال قراءاتي في مرحلة الشباب . وهناك أعرف ستوديو النحات الذي كنت

«جلس اسطر اليه في ذلك الوصف . وارى رساله يصلون بشياطينهم اليهود . ولكنى عجزت لانهم لم ينتهوا به من قسح سطح هذا إبتحال الصخوخ من الجرايمت الأسر . وصياد السمك الصبور الذى مارول ينتظر أن تده أول السمكه الطعم هر أصبا صديق قديم . وهذا أزي ملك الحفلة المسائيه التى كنت تألما ضيعتها الصديه . ألم كنت الصلة بعد ؟ وهن هذا القادم المختلف عن الصبور قد وصل الآن فى مبر مجاور ام ؟ لم يصل بعد ؟ وحل سيمبر الموسقون فى انوف حتى انتهت المقطوعة ؟ وحل مارولب تلكه السمكات حصولات بالنظر فى طرارات الحلقى التى تضمها كل صهر فى اذنيها ؟ يبدو لى فى العالم قد توقف عن الحركة هنا خلال السنوات الخمس والثلاثى التى مضت . حل قلت حسمى وتلاتهم ؟ اطل أنا لابد أن ضرب هذا الرقم فى عشرة مرة ثم عرة أخرى . وما حصل تماما فى الرقم الصحيح . لقد عاش هؤلاء الناس فى عصر كوتس وأصطوب . وهى فترة نظر اليها وميسس للتانى مثلما ننظر نحن الى أيام أسرة تودور وأمره متبورات »

وبعد مشاهدة هذه المقابر المرتفعة عدنا الى اللطائر السعابة .
لله قادت الفتحة التى وجدها الضارون وكما توقفوا . الى تبو كان به تابوت مومياء أخرى قد نطتها اللافتاتى التى قريلت حنه قليل . ووجعت موماء ثالثة به ظهر ذلك اليوم . وما يتفر العجب أن المومياءات الثلاث كانت تحبس ثلاث صيديات »

كان السالك يتناول غذاء ومعه المومياء الأولى فى حنايا الاسطبل التى كانت فى يوم ما صغيرة فخمة ولكن تسمت منها الآن رائحة السماد الضوى . وكان يجلس متقاطع السالك على مسجادة صفيه . وأمامه مخطاطة من اللبن الرائب وصيفية من المخطائر غير الخطابة . ودعائى المحلوس على مسجادته . وأعطائى ملقته . وقام بواجبات الضيالة فى الاسطبل بسرور كما لو كان فى قصر »

وقد سافته لذا لا ينشأ الضارون عن العمل فى هذه المقابر ذات الأعمدة الثابوية ويحتون عن مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، التى من القروص أنها فى انتظار من يكشف عنها فى واد مجن يسمى وادى العرب . فهر رأسه وقال ان الطريق الى وادى العرب طويل ودعر . ولابه لفرحال الذين يسالون هناك أن يصكروا فى الموقع . ولن يكون ترويضهم بالطعام أمرا سهلا لأنه لم يسمح له فى الحقيقة الا بمبلغ يكفى أحود

حسيني سفارا فقط - ولي يكون من المعتقد محاولة العمل في الوادي الغربي
 بنة لا يقى على مائتي سفار - وأندكر انا تناولنا الفداء في هذا الصباح
 مع (ل) - (يد) في القاعة الثانية بالمسيوم ، وهي اقلقة التي كانت
 على هذا الجانب من المهر وكنا تناول الافطار كل يوم في إحدى المقابر
 التي في البر الغربي - ولكن هذا اللقاء ظل محمورا في ذاكرتي دون
 غيره - احدى اولى الحفلة المعلمة مجتمعة في ظل الأعمدة الضخمة ، وقد
 انتشرت السجاريه القارسية على الارض غير الممهدة ، وكان كمرجان
 يتمشى حوله وهما يلبسه التي تسمى بالصور ، بينما كان الأعراب
 ثوب البخره الأبيض يلبسههم الرثة يحلمون افريقيا على مسافة قريبة ،
 حذمتين ، ويحونهم جالسة وقد أمسك كل منهم بحيط يضم جهازينه
 الرمية ، وآلهه القلمة ، أو قطع في توابيت المومسات وعلى الكرتون
 الملوحة للدمج - وكاس المالح اللامعة لسطح رص يظهر هنا وهناك في
 حلال الأعمدة وقد اصنعت الأطر الخشبية دار الشعارات التي تحيط
 بالأبواب ، في عود إلى آخر فوق رؤوسنا - وقد سحت فوق كل كسمة
 - راحتي ضخمة ما زالت تلمس بالوانها الحمراء والقرمزية والبرقعة
 اللاوردية - وقد تجمعت الحمر الصابرة في أحد الزوايا حول كومة
 صلبة في المختاشي ، ووضعت فوقها السقاء الرزلاء ماعانها الكثيفة -
 ويعتبر الرمسوم أكثر الآثار الطبيعية حملا وقد عبرته أشعة الشمس
 تظهر الحمر المسمى الدامي الذي بي به وقد تحول مرور الرمس إلى
 اللون النحبي ، ولم يكن محدودا بالحواط ، ولم تطفله المروح المرتفعة ،
 ولكنه يرتفع شامخا - ويمر الهواء تأثيرا حول هذه الأعمدة البسيطة
 العميلة - ولا توجد الكثير من الآثار المصرية التي يستطيع الإنسان أن
 يتخيل ويسعد بها - ولكنه يستطيع أن يسعد بالساعة التي يحميها في
 دأبل الرمسوم .

وسواء كان رعمسي الأكبر قد دخل في هذا المكان أم لا ، فإن
 هذه مشكلة قد تجلبها الاكتشافات المستقبلية - ولكن الرمسوم مقبرة
 رعمسي مما هي - وأجده ، والمشي نفسه عبارة من بقعة لم أشك في
 حداثتها - ومع قضا يوم بعد يوم بين هذه الآثار ، ما بين الرسم هنا
 وهناك والمسح على الأرض حلوة خطوة وضمض كافة التفصيل - شرت
 أعيرا بالمرأة لما يشور في التذك حول مثل هذه الشخصيه الواضحة -
 ولا شك في أنه يدورر الصلي كان منطبا ، لقد كنا نبحث عن الملة فما
 ذكره دوردور كما هو الحال بالنسبة لما ذكره هومروس - ولكننا علمنا
 فحسنا بعض الأوصاف الطبوغرافية التي ذكرها عن الرمسوم وجدناها
 بالغة الدقة .

١٨) يوسف ميسر (١٩) يصل اليه الانسان عن طريق لسانين واسمين .
والى بهو الاساطين عن طريق ثلاثة مدخل في القفا الثاني وسلسلة
من الحجرات تتضمن مكتبة مقفلة وسفوحا ذات نون لارودى
« مرصعة بالنجوم » وحوائط مغطاة بالقوش التي تبين أعمال وانتصارات
الملوك الذي اطلق عليه اسم اوميماندياس (٢٠) والتي تلاحظ من يها
على وجه الخصوص « الحاجة قلعة » على مشارف نهر « . وركب من الاسرى
الهلوعين الايتى . وسلسلة تضم جميع آلهة مصر الذين كان الملك يقدم
الهدايا القرابين ، واسيرا ماته يوجد مقابل مدخل القفا الثاني تماثيل
لنسلك ، أحدها مصنوع من الجرانيت . وقد صبح في وضع الجلوس ،
وهو ليس اعلم التماثيل المصرية ولكنه يحور الاعجاب اكثر من الصحيح
« بسبب جمال صحنه . وشعلة البحر الذي صنع من مادته » .

ولذا وضعنا في فكرنا الى ما يلي عن الرسميون هو السلسلة
لظاهرة لبنته كله فاننا نستطيع ان نقبى من بداية الساء الى نهايته ،
ونطلق نعرف كافة ملامحه . وسندير ظهورنا الى الابرار المسطحة لصرح
الأماسي ، ونعبر ما كان يعتبر قلة في يوم من الأيام ، « تترك التسال
الضخم المساط الى يسارنا . ويدخل الى القفا الثاني ، ويرى أصلا
المدخل الثلاثة الى بهو الاساطين ، وبجانب تماثيل أخرى . ويسمى في
الممر الرئيسي بالقاعة الكبرى ونرى فوق رؤوسنا الأطر الخشبية المحيطة
بالأبواب والمساحة بمجوم صفراء فوق أرضية ملونة باللون الأزرق البراق
الذي يفساهي نون السماء . ثم نمر من خلال حجرة بها صفوف من
اللقوش . وتصل الى المكتبة التي وجد شاميليوث على عارضة بهاها الرأمية
صورتي تحوت وساف اي سيد الخطابات . وسلسلة الكتب المقدسة (٢١)
وأخيرا وجدنا بين شطابي الزخارف للتموتة المباشرة صورة الملك وهو يقدم
الانتماءات الى قاعة مكتوبة بالهروغليفية تشمل الآلهة وأجداده الدائمين

(١٩) انظر Diodorus. Biblioth. Hist. الفصل الرابع - ويوجد ان
يكتب خطا عجم النسخة الى فيكتوريوس وهو الذي يمثل للسلطة التي سار نظامها
ميجور

(٢٠) من المحتمل ان يكون هينيس Howard الذي ذكره ماتيوزن اوبا - فن .
ميد . الذي وجد بروجش خريطة فوق تاوروس محفوظ متحف فيينا . انظر
Hassl. Egypt. . الفصل الثامن - ص ٢١٢ . طبعة ١٨٩٦ وهناك مدع آخر لهذا التفسير
وهو ذلك يسمى من - سنتر . وجد مارييت خرائطه فوق بعض الفصوص للعبية في
التيين -

(٢١) المعطى رقم ١١ ص ٢٢٥ من مجموعة Lesnes d'Egypte التي نشرت
في باريس سنة ١٨٦٤ .



قصر السلطنة في مدينة الإسكندرية في مصر

وبرى طابور الامرى وكومه الأبدى المقطوعة (١) ويكتشف مسجلا لمركه هو من حقيقته صودة طبق الأصل من تسجيل الحركة للوجود من من سنس - وهذا الموضوع يشبه اللوحة الأصلية الخوية ، ولكنه مأزق محفوظا ببعض الألوان - ويظهر الأعداء مخلوطين اليصفا وشعورهم الخفيه - وقد ارتدوا نفس الثياب السورية ويظهر النهر هنا بدون أكثر حصره من قبله المرسوم من أمي سبيل ، كما أنه مرسوم بنفس الطريقة في شكل خط متعرج (زجراج) - ويظهر الملك بعمره في عجلته الحربية وهو يطلق السهام للقتالية ضد العدو الهارب - ويرى الأعداء يفرون في النهر ويسبحون لانقاذ حياتهم - لقد غرق بعضهم بينما عبر النهر الآخر النهر سالمين حيث مالوا مساعدة رفقاءهم الواقفين على الضفة الأخرى - وقد تم لأفلا رئيس ذى شعر أحمر وقد تكس جوده رأسه الى أسفل لكي يفرعوا من قبه الماء الذى ابتلته والنهر هو مقر الناس والمدينة هي أيضا مدينة قديمة وكذلك فإن الملك هو رمسيس الثاني والأعداء هي نفس السفن الصغيرة ينتظرو -

والقطعة التي لا يسكن أطفالها في هذه القصة هي نينال مسست النخيم - أضخم التماثيل المصرية ، (٢) لما الحصار والنهر وطوابق الأسرى لأنها موجودة في مكان آخر - ولكن لا يوجد تماثيل بهذه الصفات في أي مكان آخر - وهذا التمثال أضخم من التماثيل الموجودة في السهل - ويبلغ عرضها عند الكتفين ١٨ قدما ، و٣ موصات - أما هذا التمثال فإن عرضه عند الكتفين يبلغ ٢٢ قدما ، و٤ موصات - والتمثالان

(١) انظر خطاب شمشين، رقم ١٤

(٢) كان تماثيل الرمسور الدائس هو بلا شك أضخم تماثيل كامل في مصر حاضرة دار تيودور الصقلي وابن النيل ذلك لأن تماثيل شمس الضخم للوالت كان قد تصطم بمدرلة ضاحكها الثلاث لأمراس تعلق ماهاش وذلك قبل زيارة تيودور بزمث خويل - أما تالان تماثيل تاليس على تماثيل الرمسور مع حيث الارتفاع والشفة غير بوتر مالا شك على حجم الأجزاء التي اكلفها مصر بترى لأنه حطرت سنة ١٥٨٤ وكان تماثيل تاليس على لصبايات المقرة يبلغ ارتفاعه ٩ برصة أي ٧٠ قدما أو ما يتراوح بين ٧٥ - ٨ قدما وعلى ذلك - يقول مستر بترى - يجب أن نحسب الارتفاع الذي يبلغ تقريبا ١٢ قدما ويجب أيضا أن نحسب إلى ذلك قاعدة التمثال التي كانت لكل ممثلة جثث بلغ سمكها ٢٧ برصة فقط - وعلى ذلك فإن الكلفة كلها كان ارتفاعها يبلغ حوالي ١١٠٠ برصة أي حوالي ١٢ قدما - وعلى ذلك هو معروف لأن هذا التمثال هو أكبر تماثيل فرعونى - وقد حسب مستر بترى وقت التمثال فوجده حوالي ٩٠٠ طن أي بوزنة ١٠٠ طن من حديد لثقال الرمسور - و٧٠ طن من الحديد على قاعدة متساوية - وبذلك فإن ارتفاعه مع القاعدة التي لا يبلغ ارتفاعها عن ١٨ أو ٢٠ قدما يبلغ حوالي ١٢ قدما فوق مستوى سطح السهل - انظر كتاب تانيس - الجزء الأول الفصل الخامس ص ٢٤ - ٢٢ | ملحوظة مضافة إلى التلمذة الثانية)

يجلسان بأورعاع يبلغ حوالى خمسة قعما يعمون الفاعدين - وملازل
 ارتعاع رأس هذا التمثال يريد عنهما بمتبره أقدام - ويقول بيودور أن
 « طول قعمه يريد على سبعة أذرع » علما بأن الدراع الإغريقى يريد طوله
 قليلا عن ١٨ بوصة . ويبلغ طول دعم تمثال رصيصى الساقط حوالى
 ١١ قعما وعموده أربعة أقدام . وعشر بوصات . وهذا هو أيضا المثلال
 الطبيعى الوحيدة المحدث من حجر أسوان القبطى (الجرافيتى)
 الأحمر (١) .

ولا يترك أحد فى أن هذا التمثال كان قبل تخريبه واحدا من
 عنائب الإيجرات المصرية . ولابد أنه كان فى كافة تماثيله تكرارا
 أسائل أى سبيل . ولكنه عوق عنها من حيث تشطيط النمى وكان
 الأيمان .

وكذلك فإن لون الحجر نفسه أكثر حلا بالمقارنة مع صلات
 الكرنك الشهيرة . وهو أقرب ومادته أصيب للدرجة أن صانعي النمازين
 فى الأقصر يستخدمون - خطاياه كما يستعملون بعاتونا الماس لى أدواتهم
 التى يستخدمونها فى التفطيج . ويبلغ الوزن الكلى للتمثيلات المصلىة
 حوالى ٨٨٧ طنا . وكيف نقاب هذه الكتلة المصلىة فى أسوان ؟ وكيف
 ولعت ؟ وكيف أصطبقت ؟ هذه كلها مشكلات ضاع سولها قدر كبير من
 التفسير الواضح الذى . ويؤكد السياح أن علامات الأوساد التى
 استخدمها مصطوب التمثال ظاهرة بوضوح . وقام آخرون بمحصى الأطراف
 المكسورة وأعلنوا أن النوى الثقابية لا تستطيع أن تكشف علامات الأوتاد
 أو أية علامات أخرى تدل على استعمال الصف . ولم تجد أى من هذه
 العلامات أو الرموز . ولم نسال أنفسنا أبدا . كيف أو متى حدث
 التريب الذى كان كافيا لاصطاف التمثال الصمم .

وحيث أن الاصان لا يستطيع أن يصمد ويقوى هذه الأجزاء الهائلة
 فإن التمثال المصاطب بوصفه خطئا أكثر إثارة للمجب مما لو كان حديدا .
 وحدا درنا حول وسط التمثال . وعدنا مرة أخرى خلف الرأس الضخم
 والكتفين لى تتصلقها مثل تسلق الصخرة . وحصلنا بين أقدام من
 الانقاس التى يصمم أدراكها ترى قعما ضخمة . وجرى بالقرب من الرأس
 حرة من الجذع الضخم مع التصفيى العلويين من الفحلين الكسرين
 تفطيلها اللينة القصيرة ذات التفتيات . وكذلك فإن قطاع الرأس مخطط
 أيضا . وتبين هذه المنطوط فى كليهما باللون الأصفر الرقيق الذى

(١) يصفه ألفرد لوريلانى أيضا رأس تمثال حداثتى وهو المعروف على المسكوى
 المسى بلصم منتمية السبير . ويبلغ ارتفاعه ٧٤ قدما قبل أن يكسره الفرنسين .

كان يضطربها في الأصل . ولكن محكم على الطريقة التي تم بها هذا التلوين يقول ان المثال قد عطي بالوقت شديدة وليست ثقيلة . ويوجد في هذه التغطية بالنظر الى الاماكن التي بقيت فوقها . ماعمة وجيدة التنظيم مثل قطع الجواهر الثمينة . وحتى أرضية الخرطوش الرائع على البصع الملوي في المزارع قد جرى تلميعها بشكل محكم . وأخيرا فاب القاعه الضخمة مرقه في الحفرة التي حفرتها أثناء سقوطها وقد تغطيت عليها الأتربة الرطبة للملك رمسيس محبوب آمون . ونظرا لأن ديودور لم يعرف شيئا عن رمسيس أو أسلحته قامه بفسر النقش حسب أسلوبه الحسابي .

• اما اوسيمانيديس ملك الملوك اذا أراد أحد أن يعرف مقداره عظمتي . وابن الخيم فعليه أن يبحث عني في إجمالي •

وبوجه قطع الحائط والنوابة المطبوعة المحطمة التي ما زالت قائمه في الرمسسيوم . التماثيل الخرسية والحسوية الرشي ، وعلى ذلك أن معظم بقوش السطح ذات الأهمية (المحفورة حبرا عاترا حفا) قد تفتتت مع مراعاة الضوء . بحيث لا يظهر منه منتصف النهار . ولم أجد في جميع شكل واحد من أشكال هذه اللوحة الاحتفالية التي على الحائط الجنوبي للصالة الكبرى . ويظهر فيها المصريون وهم يستحمون خطاء في المدرج . وسلمنا متدرج المراحل لمهاجرة قلعة سورية . الا خلال زيارة الأخيرة عندما حضرت سبكو في الصباح لعمل رسم تخطيطي معين لي شمره صبي (١٦) . أما النقوش الجدارية التي في القاعة الثانية فهي مرسومة حسب مقياس أكبر وأكثر سبكا وسكن متباهتها في أية ساحة في ساحةات النهر . ونرى ثلاثة تصوت هنا وهو يكتب اسم رمسيس على ثيرة حجرة المذبح التي تسمى البيعة ، ومراكب كهنة ملوكي الرؤوس يحملون على أكتافهم القوارب المقدمة للآلهة المختلفة . وقد وضع في وسط كل قارب عرش ثعلبه حيث مجبلة تشبه ملائكة الشارونم . وقد ظهرت بوسوح الستائر التي فوق هذه العروش . والحلقات التي تسر منها القضاة الحاملة للقوارب وكافة أثاث وزخارف القارب . وأحسنت هنا عانى قد حطمت في لغة جملانية مبهامعة تلك العروش

(١) انظر الرسم المبرع عن حفر على السطح في كتاب جيرج ويلكسون وعنوانه
Manners and Customs of the Ancient Egyptians - المجلد الأول - طبع سنة ١٨٧١ -
لناتيل وعادات المصريين القدماء

الأصلية التي جلس عليها موسى لكي يدرس التراث الديني المصري القديم .
وفيما سمع صبح تابوت العهد على مثالها مع تغيير طفيف (٢٠) .

وبل الكرنك في الأحياء المجموعة الفصحى من المساني المعروضة
بالاسم التسلط : مدينة هايو . ولقد حاولنا وصف هذه المساني فاسا
سعود بمثل ميثوس من تماثيل مثل وصف الكرنك . ومثل هذه المحاولة
تخرج في جميع الأحوال عن حدود هذه الصفحات التي حصصنا العديد
مها لموضوعات أخرى متشابهة . لأن المقادير مثل الجبال لا يوجد بها اثنان
متشابهان ولكنها جميعها تبدو متشابهة عند وصفها لأنه من الصعب
الكفاة عنها دون الاحتباس باللال . ولذلك فاني سأكتفي بتدوين بعض
القاطات المهمة ، وأحيل هؤلاء الذين يريدون تفاصيل أشمل إلى حكاية مدينة
هايو المستقيمة كما لوردها موراي في كتابه *Hand Book of Egypt*
وبالنسبة لاسم مدينة هايو ، فإن الجزء الأول منه هو الاسم العربي الذي
يطلق على بلدة كبيرة (مدينة) أما الجزء الثاني (هايو) أو هايو أو ثاء
التي يطلق عليها مختلفة فهو يمتد إلى حدود تلك الاسم القديم لتلك المدينة
المشيرة التي اسمها الإغريقي طيبة . وهو اسم له استقلال
كثرة (٢١) ولكن الدارسين لم يكتفوا بها (٢٢) .

وتتكون للال مدينة هايو من صعد صغير أكتفائه الملكة حاتوهسبو
Hathor (٢٣) ، الأسرة الثامنة عشرة وممدد أ - ر هسبو ج - اء

(٢٤) جنح النبال كثيرة بمؤلفة هذه للكتاب في مواضع كثيرة منه مما دفعها إلى
العديد من الاستدلالات والتفسيرات غير النقيضة ومنها هذا الاسم الذي تضمنه حتى الدين
موسى . ذلك لأن تابوت العهد قد صنع ليس حسب نموذج فرعونى ولكن تقليدا لأمر إلهي
أعلى عليه يلازم كافة النفاسيل . انظر في ذلك الاستدلال للمفسر والمفسرين من « فر
الموعود الذي أمر الله فيه موسى بسحب الظهور حسب الأوصاف التي وردت في هذا
الاستدلال الذي يبدأ بأية الأولى الثالثة » وكلم الله موسى هكذا » - (المزمع) .

(٢٥) من بين هذه الاستدلالات الاسم أثبت بعض مستخدمى هاوى اىرو والاسم ta - يو -
ايرو وممدد ثل الاسم ta - اى وممدد القربان أو العنسة الخ انظر كتاب
Recherches sur le nom Égyptien de Thebes, العالم هاواس نشر سنة ١٩٨٢
وكذلك كتاب مؤلفه Textes Géographiques d'Édouard, العالم ج - اى روجيه نشر في
سنة ١٩٨٢

Revue Arch. May 1972 - العدد الثاني عشر - السنة ١٩٦٨ - الخ ٢٠

(٢٦) هايو تعريف الاسم هايو نسبة للمعصم الشجر أمتعت بنو حاوى الذي عاش
في أيام الله اسمعش الثالث وكان يبناء عليه الجنائز الذي يتكلمه ٧١٩٠٧ ممدد
(المزمع) .

(٢٧) المقصود بها الملكة حتشبسوت - (أراجع) .

كله الخلف ومسيحي الثالث من الاسره الستميه . وميسى عربي ومتر
استخدم جزء منه كقصر وحرم آخر قلعه وهو مشهور باسم الحاح .

ويخرج حوائط هذا الجناح وحوائط القاعة الامامية التي تعود الى
المجد القديم وروى من الحائط الاصلي للدائرة ، حسب السودج المصري -
شرفت في السور على شكل جذوع للنباح تملأ مثل شرفات القلاع
الحربية والامويه التي تظهر في اللوحة المنقوشة في ابي سنبل وغيره من
الاماكن . وعلمنا منظر الى حدسه حايو من اى اتجاه . فان هذه الجذوع
للمحرقة تصلح للمين بوصفها من الملامح الحديثة والمثيرة . وعلاوة على
ذلك فانها على قدر علمي . هي اعمية الوحيدة للشرفات الدفاعية المصرية
التي بنيت من النخر سب . وقد بنيت تلك الشرفات التي على حائط الدائرة
على ايام رمسيس الخامس . لما تلك التي على حائط الجناح هذه بسب
على ايام رمسيس الثالث . أما الأخيرة التي على حائط القاعة الامامية
فهي تعود الى ايام الاحتلال الروماني .

وإذا نظرنا الى الجانب التاريخي فإن المجد والجناح اللذين يوديه
حايو ويرد في حايوس البطيئة (٦) تشتمل كلها الى عصر رمسيس الثالث

(٦) وصف الدكتور بيرس برنية حايوس البطيئة بأنها « واحدة من أهم وأفضل
ما اكتشف في مصر من الكتابات التي سجلت من السجاع ويصل طولها الى ١٢٢ قدماً ،
وعرضها ١٦١ يومه . وقد وجدت ضمن جدرانها لعمى في مقبرة خلف مقبلة حايو . واد
اشتراف الرجل ١ م . حايوس بالاسكندرية وتم ضمها وتضمها فيما بعد الى سبع
وسمينة وروفا . وحفظت في صندوق من الفكتوري . وفيما بعد بعض الجدران الصيفية
للحائط في الورقة الاولى فإن النص كامل تماماً . ولكن النص للبرنية سجلها الملك رمسيس
الثالث يمدد هذه الفرائد التي استلحقها مصر من ادارته لها وتخليصها ايادى من السيطرة
الأجنبية . وحصل أيضاً للملكي الشخصية التي ومنها للمعايد المصرية مثل معبد آمون في
طبة ومحمد التوم في طبريوليس ومحمد يتاح في حلف الخ . والجزء الأخير حرمه
التي تسيطر الجيش الذي يتكون بمصر من مرتبة فامون من سرافيا وليمية . والتي ضمه
مصر في السنة الثلاثية والثلاثين من حكمه وهو مروج من امانيت الفصح او الربيع
السيلانية مثل تلك المعبد الخامس بالامبراطور الحبشي الذي كتبت في كثيره Anesya
لما البرنية نفسها فلها تتكون من الاقسام التالية التي سبق ثلثها هذا للوخراف الخوف
التي تملأ حلمات كبيرة . - حائط - الصلابة للفتة الى الة خبة - الصلابة للفتة الى
اللة طبريوليس - الصلابة للفتة الى الة حلف - الصلابة للفتة الى الة الحلال
والجنوب - مئذنة الصلابة - المجمع الكورنيش والمائنة . وله تمتد الى مئذنة
عن الثلاثة من استثناء . انظر Introduction to Amarna or Remes III
تشرها بيرس في مجلة Records of the Past .. المجلد السادس - ص ٢١ - سنة
١٨٧٦

مثلاً ينسب أبو سنبل والرمسيوم وقصبله يسأوود إلى أيام رمسيس الثاني ، والحروب العظيمة والانتصارات العظيمة والمناجح العظيمة التي منحت في بطوله الملك والقوائم الصحية التي تشمل على الأعداء الذين ذبحوا وأمروا ، ومرومات جرد محتويات العطايا المسلووة والنسبة التي قدمها لذلك المنتصر إلى الآلهة المصرية ، تغطي الحوائط المنقوشة وتملأ الصفحات المكتوبة في كتف العالمتين - وإذا قارنا بين مجموعتي البراعم فنجد أن كلا الأسلوبين قد أظهر بلاغة أسلوب الكتابة الشرقية الذي يجلبنا بالنسبة لتلك رمسيس الثالث ، تتعامل مع ملك لامع جري ، ونلاحظ مثل رمسيس الثاني (١) "

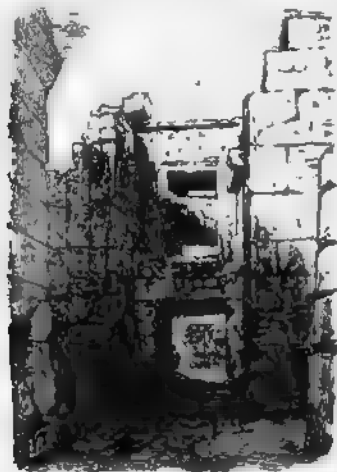
وربما أصبحت قبل عصر هذا الفرعون صعيد صعيدة لأقلية الملك ، وهي المحتل تصدين ذلك بالنسبة لجامد صعيدة مثل القرنة وأبوس ، حيث يضيئ تخطيط كل منهما إلى جانب التفاعلات المتبادلة - حركات جانبية وهكذا وعدداً من المحررت التي لا يرى مبالاة استحداثاتها ومن المحتمل أيضاً أن يكون الملوك السابقون قد سكنوا في مساكن صعيدة من

(١) كان رمسيس الثالث أحد الملوك الثوريين في التاريخ مصر ، وقد بدأت جوارحه على التحرر نكرة من الاضطرابات السياسية وسيطرة الأجانب على مصر وكان والده صيداً صعيداً قد نجح في طرد الغزاة الأجانب وإعادة أسرة طوطم طيبة الوطنية وهي الأسرة الثانية ، المصريون حسب ترتيب طينقون ، ولكن رمسيس كانت أخته صعيدة صعيدة خاصة وأنه استعدي للموت على كعوف في سنة حكمه ، وكانت أخته الأولى أدام رمسيس في استعاضة للحكومة انتمية وتنظيم الجيش ، وفي العام الخامس من حكمه هزم دناسيين *Danaians* والفرسيين في موقعة عظيمة صعيدة قاموا بفرو مصر تحت قيادة خصه من الزعماء ، وفي نفس السنة كان طبة الجيا في يد الساتر *Sakutur* أو الأجانب الذين هاجموا مصر من الشرق ويبدو أنه جنوب الغرب المصرية قد غزت فلسطين والساحل المصري في العام الثامن من حكمه - وبعد الاستيلاء على قرطاج قد تم مصر بملك مكون من البولونسا *Pulionia* ، لايفتور *Leifetur* ، والسفالية *Sakutur*

والدانبيين *Danaians* أو *Danai* والفرسيين *Leif* - ومن المحتمل أن يكتفوا قد سادوا إلى موالاة الفرج الشرقي من النيل - ولكن رمسيس جمع جيشاً في طبة *Tuba* شمال فلسطين وعاد الملاح من النيل - وقد أراح حروباً صعيدة بالعلاء الغربيين بمسارعة فوات المرفقة ثم عاد بالأسرى إلى طيبة - وفي السنة طحانية صعيدة من حكمه قام الكسبيون والليبيون بفرو مصر مرة ثانية لكن يظنوا فريضة بلنية - وبعد ذلك المظرة عاشت البلاد في حالة من الهدوء ، وبازال العهد القديم في طيبة مثير ، والمسيرة وحريته بإقية صعيدة على عظمه ، ولذا كانت جهات طحانية في حياة في ملك عسري عادي في كاي يبيش كما هو معروف في ميدان القتال مثلاً يعيش في القصر - ولا شك في أن الفيناك العظمى قد خلفته في أمانه الأخيرة ولا محوت القبية التي مات بها - ولقد تمسك بعد حكم دام واحد وثلاثين عاماً وعدة شعور بترك المرحى لأبيه حوائط سنة ١٧٠ ق م ، لتتأ *Grande Sarcophage* upon the cover of the *Remarks* *oil Roman* *at* *١٨٧٦* في كمبرج سنة ١٨٧٦

الطوب اللبن وأشعل له الحطب المحفور مثلما نرى في الموشى العداوية في
العديد من المقابر .

والحقيقة أن المني الوحيد الذي تستطيع القول بأنه كان قصرا ملكيا
واندى ظلت بعض آثاره باقية حتى يومنا الحاضر ، هو الذى أقامه رمسيس
الثالث ، أى هذا الجناح الصغير في مدينة هايو



مدخل القصر في مدينة هايو .

ورمما لم يكن هذا المني قصرا ، وربما كان مجرد بوابة حصينة .
ولكن بالرغم من مسألة حجم الميجرات ، إلا أنها مصناه كما أن لرسم
التخطيط للجناح كله من الطراز المعتاد . وهو يتكون كما نراه الآن من
مسبق متصلين عن طريق أحمدة متفرعة مع برج مركزي ، ويقف المسمون
والبرج في مواجهة بعضهما البعض على شكل الأطراف الثلاثة للثلاثة للثلاثة
الحادة . وتضم هذه المعالم فناء على شكل مستطيل يعود إلى أقدم المقدس
عن طريق ممر تحت البرج المركزي، وهو حسب وضعه الحالي يتصلب ثمانى

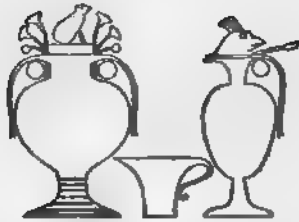
حجرات فقط وبالفات ثلاث حجرات في كل مبنى ، كل منها فوق الأخرى
وحجرات ثلاث فوق البوابة (١) .

وحده الأبراج الثلاثة متصلة عن طريق صبرات ملتوية في الإيجحة
الموصلة بينها . وبعد أن عاهدت من المواد التي في الجناحين فريتهما
شرفات محمولة على دكايف ، مثل كل وكيزة منها رأس وكتمى أصغر جانم
على قديمه في وضع مراب محسوب على شكل آدمي . وحده الرؤوس
والنلايس التي لهذا الأمرى يبدو كما هي في حالة في البريرة ولكنها
ذات لون لاصع .

أما المبرج المركزي فهو كامل . وقد صمدت الكتابة إلى الحجر الأولى
التي كان سقفها علوا مطرقة مبتكرة وصحية تماثل تقليد الموزايك .
والحجرة العليا مصب الوصول إليها . إلا إذا توفر متعلق حيد . وقد
وجد صديقا ب. و. س. الذي خلق طريقه إليها منذ عام أو عامين بعض
التفويض المثيرة التي على الجدران وهي مثل كزوسا وهرجات يبدو أنها
جزء من قائمة محتويات مصورة تختص بالأواني للترلية . ويوجد هنا
ثلاثة منها (لا تشبه أية آنية مرسومة في مؤلفات ويلكنسون أو روسيليتي)
أخذناها من الرسم التخطيطي الذي رسمه في الموقع . ونلاحظ أن خطأ
الرمية الصغيرة يفتح بواسطة ذراع مارد مثل ملقعة ، يضغط عليها الإنسان
بالمسح الإبهام مثل غطاء كوب البيرة الألماني الذي يستخدم في الوقت
الحالي .

أما الزخارف الخارجية للمبنيين فهاها ذات أهمية خاصة . ذلك لأن
الموضوعات السفلية تاريخية . أما تلك التي في الطوابق العليا فهاها من
الحياة اليومية أو مصرية ، وتصلب ضمن أعظم التفويض المصرية البارزة
المشهور . وقد ظل العلماء يظنون أنها تمثل رمسيس الثالث بين زوجاته
سعيدا وميت الإله الثلاثي كن في انتظاره . وترى الملك في إحدى المجموعات

(١) هناك سبب للاعتقاد بأن هذا المبرج ليس إلا جزءا من المبنى وتمتد الاستمرارية
التي تجعل من المبرج أن المبنى كله كان مريحا يمرض طوابقة . وكانت به حجرات
أخرى ربما كانت مبنية من الخشب أو الخطين بالاعتناء إلى تلك التي وجدناها الآن . وله
يقال ذلك من حجرات التسميم . ولابد أنه كان مركزها في الأصل . ويشكل مع كمال
شرفاته وبشرفاته مجموعة الأبر للبهجة . على ذلك ملاحظتنا مع ذلك المصري - النظر
History of Architecture تأليف Perseus ، ج ١ - الكتاب الأول - الفصل الرابع
من ١١٨ - لقرن سنة ١٨٦٥ .



مجيئاً دائماً بالخرابطين الخاصة به وهو يحلّس مستريحاً في نوع من الكراسي التي يمكن طيها ، وقد وضع حودته على رأسه ووضع القدمين وهما داخل صندوقه على موطئ للقدمين ، حثماً يعود المخاض من الحركة ويستريح من ماء الفصال - وكان يمسك في يده اليسرى قبضاً مستديراً شبه العاكمة - بينما يرت بيده اليمنى على ذقن فتاة ترتدي حلقاً في أذنيها ، وثلاثة في عنقها وترفع إحدى لفافه اللوس صدر أطله ، رمى موعود آخر أشد تشويهاً يراها بلامبالاة لمة الضامة وهذه الموسوع الشهير الذي لا يمكن رؤيته إلا عندما يستقل الضوء من الجانب ، نادراً ما يكون واضحاً ، ماضيك على المساعدة التي توهمها القطع التي أودعها ويلكسون والفوحات التي لوودها روسيليس ، وليس ذلك لأن النقوش قد طمس ولكن لأن الكتل الضخمة التي تحملها قد غطت من مكانها ، ومن المحتمل أنها اكتفيت منصف فوق رؤوس الأعمدة خلال إحدى مرات الصار التي تحمل الأطلال ألزها الواضحة (١) ، أما عن صورة السيدة

(١) كانت حنونة ماهر موجودة حتى الفتح العربي ، وكان يملكها الأندلس من أطلال اليونانيين الذين انتابوها ، ولابد أنهم عربوا أمام صمد بن لظفر وجيشه وصمدور الكنان ولا يعرف ما إذا كان المصار قد حدث وقت الفتح العربي أو أثناء حملة لبيد ولكن مصفر النضر من زمن حنونة فلاولفس أنها مقلدة أثناء للمصل وروبه مؤلف كتاب دليل موراي ، الانتباه إلى حقيقة أن المراس الراسية للمصل الذي مقود إلى أنس الأصغر والمصفر من الحرافيت ، قد كسرت بالتيبة عند المكان الذي كان يوضع فيه القضيبي هير الملب ،

تطابق للمواضع لم يحاول صمد بن المصفر وجيشه التناقص ولكننا نظره المراس ولم يسل صمد بن المصفر إلى الأمام عند فتح صمد

فقد نشر منها جزء صغير يجاور الفروع واليد التي تمسك الشرد . وقد احتقت المتصفة ، وظهرت صورة الملك بدون ساقين ، وكذلك فانه بالرغم من ضئاع المصمم إلا ان الكتلة التي موقها مباشرة تنقسم القطع المستخلصة في اللعب تلك التي ما زالت ظاهرة في أسفل اذا استخدم الناطق اليها نظارة ويورد ووسلنسي ثلاثة أو أربعة موسوعات أخرى من نفس النوعية تنقسم مجموعته ثمانية من لاعبي الضامة كانوا جميعا ظاهريين ، في الرقب الذي قام فيه بالزيارة وقد سحنت الكاتبة عنهم يكونه حائل .

والخروص ان هذه الفوست تثل الحقيقة العائلية للملك رمسيس الثالث وتؤكد الطابع المثري للحجاج . ويطلق عليها الأعراب الذين يبيعون البهارات ويسكنون الأطلال . وأيضاً الأولاد الذين يسوقون الحجر في الأقصر اسم : حرم السلطان ديجتر الملقب بالحدث في ازالة أية حيرة من هذه الصور لانها تطلق الصان للخيال الذي يبعث الهجة والسرو .

ويبدو ان الملك وهو يحمل اسم دامسيبتوس *Damsiptosis* وهو مثل كل اسطورة قديمة أوردتها هيرودوت ، حيث ذكر ان الملك أنه حياته نزل الى الهاربة هناك لعب الضامة مع الالهة ديمتر *Demeter* التي كسبه منها فوطه ذهبية . ويقول هيرودوت ان المصريين أقاموا عبادة تذكارية لهم الممارة وعودته الى الأرض . وكانوا يحتفلون به على أيام هيرودوت (١) . وكما ذكر بلوتارخ بعد ان ابريس قد حلت محل ديمتر . واذا استعرضنا حاشي الروايتين في ضوء قطعة معينة من التراث الذي يتحدث عما ينتم به الميت السعيد في وعود « العودة على تحويل نفسه بزيادته لممارسة لعبة الضامة والإسترخاء في جناح » . فاما نجد ان الدكتور بيرش ذكر ان هذا المنظر كله قد يكون ذا طابع تذكاري . ويشمل أحد المواقف التي سميت في أرض خلال الموت (٢) .

(١) هيرودوت - الكتاب الثاني - الفصل ١٢٢ .

(٢) « A Médinet Habou dans son palais, il s'est fait représenter » (٢) jouant aux dames avec des déesses qui d'après certaines copies semblent porter sur la tête les fleurs symboliques de l'Égypte supérieure et inférieure comme les déesses du monde supérieur et inférieur ou du ciel et de la terre. Cette dualité des déesses, qui est indiquée dans les scènes religieuses et les textes accordés par la réunion de Satis et Anoucis, Faurit et Nout, Isis et Nephthys, etc., on fait penser que les tableaux de Médinet Habou peuvent avoir été considérés dans les légendes populaires .

وتأني بعد هذه المجموعات من الحرم نقوش مائة صفحة ذات طابع ديني وعسكري - فالملك كالعادة يصرب أسراه هو خضرة الآلهة - ويظهر شخص وقبح كالضبع في وضع الإعداد للذبح بينما يبنى الطفل الغائب عن الاحتاط - مثل يعل - (١) وهو يهبط من أعالي السموات ، وأخراجه ندم القوة الضرورية للانتصار وهو يسبك الحصور أنهم بدمه اليمنى - بينما تطول يده اليسرى كالسهم هؤلاء الذين يلقون أمامه - وسيده حاد مثل سيفه أبه هنو (٢) .

وتحت هذه المجموعات العظيمة تجري أفكار منوشة بأشكال لشخص راكبي يسلون الرؤساء المحرومين الذين يرى منهم قاعة أبيبي وصقلي وسرديني واثرومكيين - وجيح الرؤوس التي في هذه الأفكار تمثل صورا صعبة معروفة منها إلى القائد الذي وهو يقبض لحية وشعته رقبته وأمه معقوب وحسنة محبوبة للخلع ويرتدي غطاء رأسي يحرك له دلالة تمثل ضد الأدب أما ملامح القائد السرديني (٣) فهي لا تلي عن الأسوي - وكأن يرتدي العنقة السردينية المعروفة التي تملؤها الكره والتصيد المجدل - لها التبركل الحائس لوجه القائد الصقلي فهو يمثل السرديني ، وهو يرتدي غطاء للرأس شبه الطاولة الفارسية الحديثة

« res comme offrant aux yeux l'allégorie de la scène du jeu de dames entre le roi et la dernière lue, dont Bérénice a fait le Démonier égyptien, comme il a fait d'Osiris le Démonier du même peuple » Le Roi Rhennais de la au des Dames, par S. BILCH Revue Arch. Nouvelle Série, vol. 82, p. 81. Paris - 1982

(١) يدل على سيطرة الاله تحت إسطارته من الأساطير الفينيقية - ويبدو أن عبارة يدل أي حركات في مصر خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة - لما كان الآلهة الذي ورد ذكره هنا وهو مكتوب في حوت فهو من الآلهة التي ترسم للنفس والتي كانت ترمز إلى طيرة - وكان يبعد أيضا في هيروغليفية إلى أرميت الحالية وهي مدينة حديثة لها بعض الأهمية ، ومازال اسمها متطابقا مع اسم جرنتر المتضمن في المعنوية الفينيقية - وكان مكتوب هو الاله الحروب عند المصريين مثلما كان يدل هو الاله الحروب عند الفينيقيين .

(٢) من أحد نقوش مدينة مايو على ناطق شياش Antiquité Africaine الفصل الرابع - ص ٧٧٤ طبع ١٨٧٧

(٣) هناك حقيقة جديدة والتسجيل (وهي حقيقة لكن أن تعدا لم يسلطها من قبل) وهي أنه عندما كان اللغة السومرية والافيريون والهيرون بين حدود هذه الأفكار لأنهم يوسلون إلى النقوش الهيروغليفية المسماة لهم يتهد - الذين المصير - أو « التوقيعي الشخصي » ، أو « الماشرائ الشخصي » - وهكذا أما طائفة (الافيريون) فاتهم بالزعم من رسم صورههم بغير الصواب إلا في اللغات منهم كان يوصف بأنه « عظيم سرديني » أي « عظيم مستقيم » أي « عظيم تتروريا » - الخ - يدل يدل ذلك على أن قديم السكينة كانت تلك من قوة المصريين الغرب جيروم ؟

لما عن اليونانيات الاسه (نفسه) من هذه ابروس ذات فيه كثير
لهم بعد استوطنوا اذ حامي يظهرون عند رحيلهم من السواقي البحرية
لأسيا الصغرى ، ويظهر هؤلاء الأوربيون طابع المذبح الآسيوي ، هذا
الطابع الذي احتفى بالكلية *

وهناك سبب اوروبية اخرى موجوده في اماكن اخرى في مدينة هابو
هذه فهناك الياسيون من الجور اليونانية ، والأوسكار من مدينة بومبي
والداويون من القناصلت التي بين برونوم وبروندوروم وكل في ملائحه
الوطنية ، ومن هؤلاء ، جميعا يفرد اللاسيون بالنسبة مع الشكل الاوربي
الحديث ، وتوجد على الحائط الشرقي من بوابة الجناح في اسماء المصد
صورة يلفتة ضخمة للملك رمسيس الثالث وهو يقود طابورا عظيم من
الاسرى في حضرة آمون رع ، ومن بين العروش التي في حالة بيته يوجد
عدد من اشكال اللاسيين الذي يظهر بعضهم يملأح الاغريق الكلاسيك
وهم دور اشكال وسيمية وشبهه غطاء رؤوسهم قبعة شاكو Shako
القديمة التي كان يرتديها جود للشباب ويرتدي بعض الرجال تانم
على شكل أقراص في وسطها قلب تخرج منه الدخان التي تجعلها مقلد
حول الطلق *

واذا انجمننا نحو اليمار فسجد ثمالا حالاً رالماً ثلاثة حوسر
في البورت الاحمر ، والى اليسى وفيه التمثال الساقط ، وسر أسفل
البوابة ، وسر لرفل من ثلاث الطوب المهدورة ونرى تماماً حرائب البرج
الأول لمسد خيم المتكس ، وسرحد ان مصر نملة هذا الدرج بسجل في
سلسلة من الانيبة العظيمة ، والفقرش الهيروغليف هنا ضخمة وأعمق
من أي قديم آخر موجود في مصر كلها ، وقد لونت يمين خيبة قوية التأثير
وقد لعلنا لزوجة الألوان الزرقاء ، غير المادية ، والالوان الغريبة الذي
تسمه اخفاء صلبة ، لقد خصصتها على وجه الخصوص ووجدت ان تأثيرها
ناج عن طلال خفية ظرا لتموج الألوان التي تظهر بها لأول وهلة ، حيث
اكتشفنا أنها درجات لونية مسطحة بسيطة ، وعلى سبيل المثال ففي
معرض ميقال الستات سد في الألوان الأساسية تبدأ عند قمة الورقة
بالأزرق الخالص وتتدرج حتى تصل الى درجة من الأخضر الرمدي عند
القاع (٢١) *

(١٩) ان ورقة مسك سف الأصداء الدائمة في ثقافة الكيرى (Hydra) واضحة
جا بسبب زمان ولقاء نرجة اللون جيسا تظهر هذه الاختلاف المثيرة التي على العمود
والخيط المسجود الى فرق ، جلية على المسود الثاني الذي على يمين للدامل الجرد هذا
اليوم ، على هيئة مكررة لتزخرفة اللحن انفسر على أرضية نطيفة للون *

أما الحواشي المتداخلة لهذا القصر الضخم والوجيه الكارهي للحائط الذي في الشمال الشرقي فهي مغطاة بالنقوش المندحة بمعنى أنها مخفورة على حلية غائرة النقش ، ولطفاً فإن الأشكال بالرغم من أنها دائرية إلا أنها قلب على نفس مستوى السطح العام ، وفي هذه النواحي يتجلى العالم القديم مرة أخرى فمرى رمسيس الثالث وأولاده ونيلاه وجيوت وأعداهم وهم يطمبون مرة أخرى أقدارهم في مسرحية الحياة والحروب القصيرة . وهذا تشاهد الحمارك الكبرى أثناء حوضها ، والإنقذارات العظيمة أثناء تحفاتها ، وعمليات الذبح أثناء إحصائها ، والأسرى وهم يجربون سلاسلهم حلق الحجة الحربية للملك المنتصر ، وإنجازات الملك ودبائحه التي ينسجها للأكله ، وغري حروباً أكثر وذبايح أكثر في أماكن أخرى . وهذا ثورة في ليبيا ، وغارات على السفود الآسيوية ، وغزاة قادش في سفهم من جزر البحر الكبير . وقد وقع التدمير الملكي وتجهت الجيوش وورعت الأسبحة . ومرة أخرى يدفع الملك نسبه زهرة الفرسان المصريين . إن فرسانه أبطال ، أما بفسانه فهم مثل الأسود التي تزار في الجبال . أما الملك نفسه فاتة يبعث بالثرد مثل : الآلهة مندوب في أوج غضبه . ويقع على العدو يمثل سرعة الشهاب . وهنا نجد الأعداء المزدحمين في الشاحنات التي تجرها الثيران وهم يطلبون الأسفل في الحرب . وهذا جند سفهم غارقة وجنودهم مذبوحين أو عرقين أو مأسورين ، أو سلطت عليهم البران حتى لا يعودوا مرة أخرى لبدو البلور أو حصان المصنوع على وجه الأرض .

يقول الفرعون ، « انظر لقد استوليت على حبوبهم وجعلتها حبوباً لي ! لقد دمرت مدنهم . وأحرقته محاصيلهم ونهبت وجاهلهم تحت قدمي . افرحي يا مصر ! ارفضي صوتك إلى السماء ! انتظري ! انني أحكم ميسم أرضي الرامرة ، أنا رمسيس الثالث . ملك مصر المليسا والسلي » (١) .

وقد ربطت الصور بعضها إلى بعض بواسطة نص ينظم التماثيل . أما القصة فقد كتبت في مكان آخر . ويبلغ ارتفاع النقش المهرقنسي ارتفاع الواحة الشرقية للحائط الشمال الضخم للبوابة الثانية وهو الحائط الذي يطبق النقش . وهذه البوابة تسم القاعدة التي تحتها نباتيل

(١) من مقبرة حية غير ، انظر Antiquité Historique ، للسجل الخامس باريس سنة ١٨٧٦ .

أودوريس والقاعة الكبرى الثانية ، لكن جراحه النقش الداخلي إلى المهد
وسبق اللوحات . وأظهر أنه حتى قصيدة بنتانور لا تصل إلى قدره على
التأثير . وكذلك فإن مرامير داود أيضا ليست أكثر منه حماسه (١) -

وقد نصبت الكتابة حينها في مدخل البوابة الأولى ، واستطاع
بذلك أن يرسم الركن الشمالي الغربي من الفناء بما فيه البرج بالنقوش
والتماثيل الفسحة التي تمثل آله أودوريس . وتمثل الصورة المرتفعة
الرؤسم التي وسعت الكتابة .

لقد شجعت سقف صنف الأعمدة الذي إلى اليسار ، حرايب الطوب
التي التي تعود إلى المصور الوسطى . ومماثلت النقوش الهيروغليفية
المصورة بطول الأبر التي تحيط بالأبواب ، وبطول حوائط الأعمدة حتى
أسفلها ، لامة اللون . وقد وصلت التماثيل الضخمة إلى حالة سيئة نظرا
لحور ثلاثة آلاف عام حافلة بسوء الاستخدام . ويظهر الإنسان من خلال
المدخل النقوش المتماثل ، عبر القاعة الكبرى ، ويتأصل لوحة من قاعة الأعمدة
المحطة خلفها .

وعندما كانت الكتابة تصل في ظل البوابة الأولى ، جلس داوية من
الأعراب مع هذا المدخل المتماثل وأخذ يسلي الأولاد الذين يسوقون الحبر
والبحارة . وبعد أن دفعوا له قليلا من التبغ وعاء قروش من الصلة
الدخانية ، استمر في رواياته عدة ساعات . وأوقف صوت لسانه حينما
بعد حين حتى أصبح صراخا متهدجا . وكان رجلا عجوزا كبير الفكوى
متفهمين الوجه وشده الغمر والنؤس . ولكنه كان يحفظ عن ظهر قلب
قصص ألف ليلة وليلة ومئات من القصص الأخرى .

وكان من رأى حاريت أن سعيد مدينة هابو الذي اليم على حائط
مقابل طيبة العظيمة يشبه الرصوم ، حيث أنه أثر حاريت أقامه رسميني
الثالث في حياته تخلفا لذكره . لما هذه التماثيل الضخمة المحطية بأنها
تمثل الملك في شكل أودوريس وهي لوحة في الحقيقة مع أن التماثيل

(١) قام مسيو شاملي في كتابه L'Antiquité Phénicienne بترجمة هذا التسجيل
الكامل ، في الفصل السادس ، ص ٢٦٦ وما بعدها . وكذلك تمت ترجمته في كتابه
Moussoul Stories . وقد قام بتجميعه كل من مسيو مامر سميت
وسليو بيتا بطريقة تثير الأساليب .



المازية دلت حجم صغير في المادة • وهي ليست الا صرعا نذكاريا ،
وتكفي وحدها ليبيان حمة التاء -

ولا شك في ان تلك البنية هي نفسها بنية صيد (محتجب) (٢) الصغير
المعروف باسم • دير المدينة • ومعيد حشيشبوت المعروف باسم الدير
البحري ومعبه القرنة وتقريرا كل للعالم المهمة التي اقيمت على شاطئ
النهر • وقد تبقى من صيد امحتب الصغير بعض الكتل المنقوشة والأبناسات
المسطحة وآخر المتناثلة ذات الأحجام المختلفة التي بقيت من التسارع
وكذلك التمثالان المشهوران في السهل (٣) أما صيد الدير البحري الذي
بنى في شرفات على شاطئ الجبل وكان يتم الوصول اليه يوما ما باستخدام
طريق حطيم فلكنياش فما زال اثره ظاهرا حتي اليوم • وكان على المسكن
لو لم يتعرض للتخريب أن يصبح لهم صيد في الجانب الغربي للنهر •
وقد ظهر الغرض من إقامة هذا الصيد وهو تخصيصه للالهة حطهور مع
حقبة ان يريد قد قلم بالتحرف على قبر الملكة حشيشبوت منذ حبة

(٤) يقصده الملك لمحتجب الكلد - (المراجع)

(١) ان الحديث عن وصف اثنين التمثالين اللذين يتفرعان من الهيكل الاثني العشري
وتلويهما ونقشهما وصورتهما يحتاج الى كثير من مرجح • أما وجههما اللذان لا ملامح
ورسهما وما يحيط بهما فهذه الامور كلها معروفة طلق الاحرام على بالخصبة لثلاثة
النهر • يعرفون شيئا من مصر • وهي تعرف انها يمثلان امحتب الكلد ، وأن التمثال
الوجه في الطرف الشمالي قد انشأ في سبيل هذه القوسه أثناء زلزال سنة ٢٧ ق م
ولد قبل انهما يحدو ، حولا في الساعة الاولى من النهار بما جعل الاكسجين يظنون ان
التمثالين يصدران الصوت عن طريق صوت مجرى • وكان الانجراف يستغرق لهما يمثلان
اين نيلونوس واونا المصون في الاسكندرية والذي أطلق عليه اسم محزون • وعلى الرغم
من هذا فان السريخ تقسم يفرقون ان التمثالين يمثلان لمحتجب الثالث - وقد حده
الوكلة والتنازل والبالورة والاميركلة لستماع الى صوت محزون • ومن بين القوار
المشهورين الذين سافروا لهذا القوسه اسبريون وجرجليوكي وهاندواي والابريخيرة
ساينا • وقد انقسمت الآراء حول نسب هذا الصوت • ولا شك ان يجب فراغ مجوف
دفن حرس هذا التمثال كما هو واضح بالنسبة لكل من قصده عن التلطف • وقد صممه
صير ج • ولتكنسور وغير عن اهتمامه بأن الصوت المرسلي كان قسمة من لفرفة الكهنة •
وهو رأى يأخذ به الفسفة الماويين • ويطلق كلب طلال نشر بموت - Quesada
Hewson • لقصده رقم ٢٢٦ • أبريل ١٩٧٥ مع صير د • بروستر في قصة الصوت
الى ختلفة الهوك من خلال شقوق الحجر المائفة من تغير لحرارة الجبال بسبب
هروق للامس • والتمثال الذي يقصده وحيله التمثال لآخر كان كتلة واحدة اصلية مستمدة
من القصور الرطبي • وقد جرى اصلاحه بالمجو الرطبي خلال حكم الاميراطور الروماني
ميجينيوس سيفريوس -

وعشرين عاما مصمت بوصفه أحد القناجر المجهورة في جانب الصحرة بالقرب من المكان الذي ينتهي إليه المسير بالوصول مقابل الصخرة -

أما عن صيد القرمة فهو على الأقل مرشح تذكرى مثل كاندرواليد
ميدلتني في فلورنسا أو سوبرجا في تورينو . وقد بنا جده الملك ميسو
الأول تذكارا لأبيه رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشرة ، وعلى
كل حال نعت مات ميسو قبل استكمال العمل . وهذا أكمل ابنه وحفيده
رمسيس الثاني التخطيط العام . وأكمل الجرح . للمصمم لجده ، وأضاف
القلوب المطورة إليه أحياء لذكرى ميسو الأول . وفيما يحد ترك ميسو
ابن رمسيس الثاني وجليه حرقوشيه على أحد الناحل . وبخمسار
في المنير كله يعتبر أنرا عائليا ويصنع معرضا لصور الأسرة المصغرة
ويجد هنا أن جميع الأشخاص الذين تظهر لمساوهم على أعمدة مقاصير
عائلة رمسيس في السلسلة قد رسمت لشخصهم في شكلها المصغير
حيث يرى الملك رمسيس الأول في إحدى اللوحات ميسو ومولها (١)
وحربوطا وموضوعا في الفخريج ومتوجا مثل أوروديس ، حيث يقدم له ميسو
الأول فروض العبادة . ويقلب خلفه سبتي ملكته نوريا Tura (توي)
أم رمسيس الثاني .

وفي مواضع أخرى يرى ميسو الأول الذي مات حينذاك يصير الهيا
ويتلقى الصادة من رمسيس الثاني الذي يسكب السبد على شمال أبيه -
وهناك شبه رابط عائلي يربط بين جميع هذه الرؤوس الوسيطة . وهم
حسما يشتركون في هذا الطراز الدانتي Dantesque type الذي يبر
الصور النصفية لرمسيس الثاني في شبابه . ويجد أن ملامح رمسيس
الثاني وميسو الأول مضغوطة وصارمة إلى حد ما مثل صور الأياك القديسة .

(١) كان تالمة الموتى لا يجري حسب مفهوم الروحاني أو حسب ما يجري في العصر
الحديث من أمثال دراسة أحد القسيسين . أن المصريين اعتقدوا بأن أبنيت السراج يشهد
أن تمتد روحه بالاله أوروديس للقلوب المذكورين رالة العالم السفلي . وعلى ذلك فإنهم من
خلال عقولهم للسكان لا يصفون الموتى الكفالكين فقط ولكنهم يصفون ألبت في نفس
أوروديس فيصفون أوروديس في شكله الميت .

وهنا من جدير بالذكر أنه بالرغم من هذا فإن القلبي للقلبي لا تشتمل الله سبتي
الأول والملك رمسيس الأول قد حدث بأحجار كل عليها مثل القديس الضيق أو كما
يسمونه المصريون الضيقاء (الله الطرس المميد) .

ويقدم يحدد بالملكية الحمية والاعتريه عذرية الشكل مثل قرن الوعل الجبلي المعكوس
وهي القسا المصرية القديمة

١٥٠ المظهر الجاسي لوحه الملكة تويا (توي) القى يشبه كثيرا بعض الصور النصبية للملكة اليرايث (٣) وهو حاو الزوايا ولذلك فانه لا يشبه الاعياد . ولكن هذه التفصيل المليطة بالنسبة لوجه رمسيس الثاني المعروف تختفي ، ويبلغ جمال الجنس دروته - ولا توجد مميزات عناني النهضة المصرية يمثل هذه المظه في رسم الاشكال الجانبية للوجوه اكثر مما يبدو في هذه السلسلة الكثيرة للاهتمام .

وعندما وصلنا الى هنا يمكن تسميته بالحزم الأثري من الهند ، وهذا بدء من القاعات والمجرات التي لا تعرف شيئا من استقطاباتها ، ويقول معظم الكتاب انها كانت تمثل المنسك الخاص بالملك . ويتذهب البعض الى أبعد من ذلك فيعطى اسم المهد لكافة هذه المسائل الحجازية ومن المحتمل ان تكون هذه المماثلة العربية قد اقيمت مترابطة بالرغم من انها ليست متصلة اتصالا مباشرًا مع القابر الملكية في وادي باب الملوك الجوف .

والآن ، ما من كل مقبرة مصرية ذات أهمية تميز بصفة خارجية هو هيكل لنسور ، وقد عطيتم جميعا بالخرائط التي يفرق الوصف - واحيانا نطيقها مناظر الموتى على الأرض ، وفي مواضع أخرى مظاهرات روح الميت بعد الموت . وهنا وفي مواسم معينة يتم التحريض على الأحياء لتقديم القرابين . ويبدو انه لم يكن هناك كل من مخصص للقيام بهذه الخدمات الصغيرة . وقد تحضر السائلة مكاملها لتقديم بواكير حديثتها ، وأفضل عواصمها ، والمطال المصنوعة في المنزل ، والخبز وباقات أزهار الفوقس . ويقومون بتكرسها على التذبح بأيديهم . ثم يقوم الابن الأكبر باللباس على الآخرين بحرف الجوف ، وسكب النبيذ . ويظهر هذا المظهر دائما على الآثار في كل فترة زمنية (١٦) وهذه الهياكل الخاصة بالنسور غير موجودة

(١٦) تصد لكاتبه الملكة تيرايث الأولى وايت الملكة المحلية تيرايث الثانية -

(لترجم)

(١٧) يوجد بين اللوحات الجصية بمختلف بواب مجموعة من النقوش البارزة تعالج وصول طائفة من الناس من حد قبر ملهم القديس وجلس تماثل الميت عند الطرف الجنوبي . وقد حصل الناسون للشمعات ، لهذا طلق صغير يسجل حلا . بينما يسجل حال آخر امرأة . وهناك أحد اللوحة في المظهر لسجل الهدايا . وتقدم اللوحة الجصية اسم شخص يدعى بصديق - نفر - سام ، الذي يظهر من النص للهيروغليفى انه أحد حثوث الأسرة السادسة والعشرين . اما الرقعة الجصية وخمسة السكان الدافق للذات هواج بها هذا الأثرين لتفسير . فقد جملة أعلى من حثوث الفن المصري القديم - ويمكن حثوثه بالآثار التي اكتشفت مؤخرا في الطريق الإيجي في الهند .

جائرة في وادي بلب الملوك - إن التماثيل الملكية تتكون فقط من صبرات
إسطوانية وتعود مقبلة للفن الفرسي، وقد سادت هناكها إن الآية بمجرد
وضوح الواووس - ومن هنا يمكن استنتاج أن كل معبد قد كازي قد لعبه
بالنسبة لمقبرة الآلهة الحاروس - ذلك الفور الذي يلعبه الهيكل الخارجي
الملحق بمقبرة الميت - ولا تنسى أنه كان هناك منذ وقت مبكر يعود إلى أيام
ملوك الأهرام هيكل للنسور ملحق بكل هرم يكرر ملاحظة آثاره على
الجانب الشرقي في أي وقت - كما كان هناك أيضا كهنة للأهرام كما نعرف
في النقوش الجنائزية التي لا تسمى -

وقد يتطلب من هذا الهيكل الضخم احتفالا رسميا كبيرا - ولا شك
في أن كل ملك ميت ومؤهل كان ينصب طابور من الكهنة - وصانوا اليوميه.
ومواكبه الاحتفالية - والأضحية التي يجري تقديمها - وكل ذلك يتطلب
حرم أسرى اعتمة وحسابات إضافية - لكن أنها كانت تفعل في عدد من
القاعات بالحجرات الإضافية - وشاركت هذه النقوش بآلية على حائط
جدار الحجرات الخفية - وهي كلها في الحقيقة ذات طابع جنائزي ومرتبطة
بتقديم الأضاحي - ويصعب أن نتذكر أن لدينا هنا معبدا مخصصا للكهنة -
ويتمسكه كهنة ينتمون إلى سرسنتين مزدوجة (١) والنقوش الجدارية يحميه
القرية ودلة الجبال خاصة تلك التي أوجرت على أمام سبتي الأول
وحيث أنها حصلت سلبية بالصدفة ، فإن السطح الملس ، والتنعبد لاعم
مبل نقوش الحاج الأخيرة التي تنتمي إلى الصور الوسطى ، وعلى سبيل
المثال فاما مري حلف عبود مكسور قد أختفي لحام الحائط الجنوبي الغربي
للهيكل (٢) مقدمة قارب مقلد على شكل رأس كبش ، وهو سليم ولذا
الرقعة ، وقد جرى تشكيل رأس الكبش ببساطة وملون علموظات ويندر
القول بأنه قد اندثرت كل النقوش الموجودة ، لأن هذه القطعة ستكون
وحدها كافية لكي تنص قر النحت الرخو في مصر القديمة في مكانة لا يتفوق
عليه فيها إلا النحت الأثري -

ويقع معبد القرية في الطرف الشمالي البعيد من مجموعة طيبة عند
مستل ذلك الوادي المشهور الذي يسميه الإغراب بلب الملوك ، بينما

(١) Une dévotion tout à fait particulière est celle que les hiérophantes hiérophantes désignent par le titre « prophète de la pyramide de bel pharaon » Il paraît qu'après sa mort chaque roi était vénéré par un culte spécial. « Histoire d'Égypte » Brugsch. 2nd ed. chap V. p. 38 Leipzig. 1876.

(٢) يوجد شباك خريف في طرف هذا الهيكل ، به اختدات يثبت فيها السراجل ، وشبان يتلقون فيها الضحايا الذي يطلق الثلاثة -

بسيه السياح وادى مغاير الملوك - ويمكن وصف هذا الودى بأنه وحدة متفرعة الى فرعين يهين الى ما ينسب الرقاق - ونسب اطرافها في جميع الجوانب بحواف من الحجر الحبرى - وهي تدور حلف الصخور التي تواجه الأنصر والكريك وتنحدر منهاوا مواريا لنهر النيل - ويستمر المقابر فى هذه السلسلة من الصخور على شكل نقوب على كلا الجانبين - وقد دلت الكهنة والنبلاء الذين يسمون الى العديد من الأسرار صفا فوق صف على الجانب الذى على النهر ، ورفق حلف مقابرهم فى الودى الصامت المقسم بالأسرار للملك فى اشرفهم الأبدية .

ويرسو معظم السياح عند الكريك لثمة يوم أو يومين ومن هناك يمدون جولتهم الى باب الملوك ، ويحسرون بذلك واحدة من أجمل الجولات فى شولس طيبة . لقد بدأت السيرة (١) والكثابة جولتهما من الأنصر فى صباح أحد الأيام بعد شروق الشمس بحوالى ساعة ، وعبرنا النهر عند النقطة المتحد ، ثم ركبتا حمارين بطول الضفة فى اتجاه الشمال . وقد صار النيل فى الجانب وحول القبح فى الجانب الآخر . وفى مسار مثل هذه السيرة الراكية يكتشف الانسان أكثر خاف طيبة حصوية ، لقد تحول كل بوصة من الأرض الصالحة للزراعة الى حكاية . وقد اجلت المحاصيل بنو فى قوة ، وأصمت أعمد الشجر متناوج فى سوحه كاسحة من مدينة سابو الى نقطة تقع فى منتصف المسافة بين حيدى الرمسوم والقرنة وتسمى بعد ذلك زراعات النبع والقطر والكنب وطرد الكتان والذرة والقمح . فى حقول متناجزة غنية بالمحاصيل ، بحيث يظهر القطر كما لو كان كله أرضا مقسمة الى حصص زراعية نمند الى أميال عديدة - وفى المناطق التى جمع فيها محصول الأرض ظهرت مجموعات من الأكواخ الملائكة فى الأراضي المنضبة التى بين الحقول لأن الملاحين اعتادوا الخروج من قراهم المزدحمة فى « الطنف فعول السنة » لى يمشوا وسط المحاصيل التى يقومون الآن بحراستها والتى سرعان ما يحصونها - أما حواف هذه الأكواخ فانها مجرد أسوار من قش القمح الهندى مع حزم من نفس القش موضوعة عبر القبة لعل السقف . وتنتشر هذه الأكواخ الريفية فى كل مكان . ويزى هنا بعض الرسائل يقومون بتشغيل المبادوف على صفة النهر ، والنساء يفرلن فى الشمس ، والأطفال يلعبون ، والكلاب تنبح ، وطيور القنبر تطلق فى الحر وتضئ فوق رؤوسنا . وهناك فى مواجهة قرأعد الصخور حيث تنتهى الأرض المزروعة وتبدأ المقابر ، يفيض نهر حادى تنو على حالته أشجار السخل . وعند شهور قليلة مضت كان من المحتمل أن تغطينا هذه المياه الخرافة ولكننا نعرف الآن أن هذا هو السليم -

ومع الانحياز نحو اليسار ، قصدنا بقمة تنحصر عندها الجبال وتنخفض ، وامتد فوق السهل امتدحت مثل أخدود من الصحراء الرملية . وعلى حافة هذا الأخدود توجد مجموعة من أشجار الجيزر والصفين ، ويسبح خلال الانحدار سف من الأعمدة الصخرة القديمة التي تحمل نقاراً حشيبياً ملفوشاً . وتستكين قرية صغيرة قريبة . ويرى فوق المنحدر الصحراوي البعيد ، الذي في وسط الكهف العربية المهجورة ، مسجدًا صغيرًا ذاتية وحيدة صغيرة تلح بلونها الأبيض في ضوء الشمس . على هي القرية وتوجد هنا عين ماء . وتقوم بعض الفتيات بحسب الماء من البئر القريبة من المسجد . وتقوم الممر التي تركها بارواء عطشها من الحوض المتخصص لسكني الماشية . وهو عبارة عن تابوت مكسور كان يعمل في يوم من الأيام موبيا، أحد الموك . وهناك ساقية تدفها بخراند لونها أحمر ولها وجهان مثل وجه الأثفة حثبور . لها الرجل الكليل الذي يحولها فالة يملس ويمط العجلة ذات التروس . ويصور عليها ببطء كما لو كان يجري تسميته . والآن ترك خلفنا البئر والأشجار والميدان المظلم للأفريقية ، ونسير وجوهنا في اتجاه الغرب . متجهين نحو قنطرة هناك وسط الصخور محروسة بطوحت القابر الخالية . ومن السهل رؤية أننا نفضل الآن فوقنا كل حوضا للسير في يوم من الأيام . وكانت المياه المنسحقة من التلال تنحدر ها على هيئة مروحة فوق منحدر الصحراء ، وتغطي الأرض بالصخور المتدحرجة ، وتحتها فتحوّلها إلى مئات من الفوهات المتعرجة . ويقع طريقنا اليوم فوق حوض السيول المذكور .

وتقف الصخور الموحشة مثل جلود المراسية على الجبالين الأبيض والأخضر للوادي ، مما يسهل الانساق من مثل الوادي ، وتنحدر أشكالا غريبة مثل المسلات والكباش . بعضها متراكب عند القاطعة . وترتفع إلى أعلى مثل الأهرام المهجورة . وتذكرنا بالقابر التي في طريق آسيان ، وكلما ضاقت الوادي . ازداد ارتفاع حوايط الحجر الجيري . وسطح المسار المكون من الطاشير تحت الدمام ، ولدت أكوام من الشطايا الرقيقة . وتلاأن عند قواعد الصخور . لها الصخور تكامت تقع حرارتها البيضاء اللون . ولحمه الحصى معلق مثل الكار القاري ، بينما الشمس فوق رؤوسنا . ولم يكن هناك قيس يتردد . ولم يكن هناك أيضا ظل يمرض أصبح واعدا على كلا الجانبين ، وكنا نشبه الذين يركبون في قوفا فرن مشتعل . وفي نفس الوقت أخذنا نحت بلا حدود عن أية علامة تدل على وجود حياة . ولا تدنو هنا أية ورقة من أوراق النسات ضد بداية الخيبة . ولا يسكن هذه الصخور أي مخلوق تنردد أفعاله . كل الشظية موحشة .

ويبدو هذا الخراف كما لو كان الإنسان يحطم بانه في عالم محاط بالتيار المتساقطة من السماء . وعندما مضينا لمسافة أطول ونحس نتيج حساب حوس السيل . وصعدنا الى مكان اتعرفت فيه الحبر عن المسار الرئيسي واتخذت مسارا اجباريا يتفق سودا من الحجر الجيري الصلب - وكان هذا المكان في يوم ما مجرد منحوت في الصخور ولكنه محبوب من الجبابرة الآخر لجاحر طبيعي من الصخور - وهنا يعرفه واد آخر يقود الى مخرج معزل بين الجبال - ولانه ان اول فرعون اشتار موضع دفنه بين هذه الطرق المحلية هو الذي شق المسار ومعه الطريق الذي نسير فيه الآن . وهذا للمسار هو باب الملوك ، وهو اسم المكان ولا شك في انه كان معروفا به عند قدماء المصريين . ويظهر من خلال الوابة جبل صخري .

ان مصر في بلد الجبال الفرعية الشكل ، وهنا نرى جبلا يمثل على طابق واضح كل ملائح هرم دوسر في سفالة . فهو مربع الشكل ، ويرتفع طبقة فوق طبقة في مدرجات من الصخور الاسطوانية التي تفصلها من بعضها منحدرات من الانحاس . وينتهي الى قمة حشنة مربعة الحواشي ترتفع حوالي ١٨٠٠ قدم فوق مستوى سطح السهل .

والآن وبعد ان جلسنا هذا الجبل امامنا دائما ، فقد اتينا لمرحلات الوادي الثاني وهو اكثر خيفاً وجفافاً ويروا من الوادي الاول . ورياً كانت العراة هي التي حملتنا على ان الطريق اطول من طول الطريقين جيسا هو لا يتجاوز عدة اسيال . ولكن هذا الطول كسر رتابة الطريق . وينفرح منه واديان عميقان صميران ، أحدهما الى اليسار والآخر الى اليمين وتوجد في كل منهما عند قاعدة الصخور فتحات مربعة تتشرب منها وصائد مثل مباحل السراييب ، حيث تعد صفها غائصة تحت المنطق . بما يوحى بأنه يصرب في جوف الأرض . وفي اللحظة التالية وجدنا ان طريقنا ينهي فجأة في متاحة متداخلة موحشة مثل محصر متهاك ، ولقد أوصدته من سمح الجهات حواف سفالة تظهر عنه كواعدها مداعل غائرة في الصخر في نفاط محتفظة .

وعند اللحظة الاولى التي ظهرت فيها تآكفت أننا سنجهد مقابر الملوك في هذا الجبل الهرمي الشكل . لدرجة أنني وجهت صعوبة لي تصديق المرشد وهو يؤكد لنا ان هذه السراييب هي الأماكن التي حشنا لمشاهدتها وان الجبل لا يحتوي على أية مقابر . فتسلقنا مسجروا حلداً ووجدنا أنفسنا على هيئة القبرة رقم ١٧ - وقال المرشد « هذه هي مقبرة بلزوني » . وكما تعلم فإن مقبرة بلزوني هي مقبرة صناعي الاول .

ثم المعبر بالمجل وأما قولنا إنما بناوينا غداً ما في ظل هذا المنجل
 لنوقوه . وصريحنا وحسبنا بالإشراح قبل أن تهبط إلى القبره القبيحة
 التي خلصت دوجات مثلها وحرائرها في استلام اسمها لها نو ناس
 نفوذ إلى أوقى أحوال عياشرة .

والقابر التي هي باب الملوك لا تشبه القابر التي هي الصخور التي واجهه
 لديه الإصر كما لو كان ملوك طيبة يتمون إلى جسمي ومصبب يتعلمان
 عن جسمي ومصبب الفناء . كان هؤلاء الكتبة والوجهاء السجلون يسوون
 مع روجاتهم وعائلاتهم ، وأصلناهم وأبنائهم المديدين في أوصاف بهيجة -
 أنهم يمشقون حشرات هذه الحياة ، ولا يد أنهم حلوا معهم متملقاتهم والمعدات
 التي تسلمهم إلى الأرض التي وراء القبر . ولذلك قاموا برحمة حوائط
 مقابرهم يصور مثل الطريقة التي عاشوا بها حياتهم ، وترقوا أن
 الموميا ، وهي تقضي فترة الانتظار الطويل وحيدة ، لا يد ولن يجد الراحة
 في هذه المواضع الظلمة التي تبقي بالذكريات . أما الملوك عاهم على
 البقي من ذلك فقد غطوا كل قسم من قصور الخامنهم بمناظر من
 الحياة الآتية - فهناك جولات الروح بعد الانفصال عن الجسد ،
 والأحوال والمناظر التي تعاصرها في رحلتها عبر هاديس ، والفيماطين
 التي تصارعها ، والانتقامات التي ترد عليها ، والتجولات التي تطرأ
 عليها . وهذه كلها تمثل موضوعات لمناظر عديدة لا تحصى . ولم يجد
 لناظر سيد السك والطبوس والولائم وحفلات التثنية التي رايها
 في اليوم السابق في هذه المرات التي وراء الرمحيوم ، الرأ
 في مقابر هذه الملوك . الله وحدنا هنا يدلا من الفناء وعرف الصلاصلا ،
 صلوات وابتهاالات ، ودلا من المواد النملية التي تثير البهجة ، وحفلات
 تناول الشراب ، ومطالعة القزلا والوعول ، نجد الآن صياح السطر الذي
 تنقل في قاربه الأرواح عبر النهر الموصل إلى مقر الموتى ، وحوض النار
 التطهيرية ، والزراع مع آلهة الحبوب . وهكذا يرى أن التناقض بين الأتني
 حاد وغريب . كما لو أن الأرستقراطية المفضضة في المللات الحسية كانت
 تمت حكم ملوك شديد النسك بالدين . والقابر التي تحترق على هذه
 الموضوعات ذات طابع ديبوي ، بينما مقابر ملوكهم عبارة عن مراير
 وثنية .

وعندما تهبط إلى اسفل هذه القابر الظلمة خائكة تدل بنفسك إلى
 العالم السفلي ، وتسبح في بحر الظلال . وبعد أن عبرنا العتبة ، نظرتنا
 إلى أسفل متوقفين أن نقرأ هذه الكلمات الرصينة التي تتحدّر جميع الداخلين

من أن يتحركوا الأعمال خلفهم . لقد وجدنا المر يتصدر أمام أعيننا ، وضوء النهار يتلاشى خلفنا . وفي نهاية المر يظهر سلم من الموجات نرى عند قاعدة مجرى آخر ينحدر إلى أعماق الظلام الشامل . وقد خطت الموانط التي على الجدران بأعمدة من النصوص الهيروغليفية التي تتخللها أشكال تنظر بالشر تحسبها الهى وتصفها الآخر شيطانى . لقد كانت الصلابة المصنعة تتلوى بجوانبها بطول الجدران ، بينما تتقدم الأرواح العارسة ذات الطلعة المتنوعة وهي تلوح يسوف من الذهب ، وتنبثق فوق رؤوسها حمراء مخزية . صعد تسافر فيها النجوم فوق قوالب غير مسار الهيلة . وتشرق الشمس من اتجاه الشرق تحت حراسة المساعات والشهور وعلامات دائرة البروج ، وتغرب في اتجاه الغرب . وتعتبر نصف الكرة الذى يستوي على الليل الدائم . ويستمر في جولتنا بينما يضمحل آخر وميض لصوء النهار على الجند . ويبدأ مجموعة أخرى من السلالم تقود إلى مجموعة متتابعة من الممرات والمخاضات بعضها صغير والبعض الآخر كبير . وبعضها مقبب والبعض الآخر ممدود على أعمدة . وهنا تفتح حجرة عميقة نصف مغلقة بالأنقاض . بينما تفتح هناك مجموعة من حجرات الناحية المشطية تركها الصلابة . وكلما تقدمنا أكثر ، صارت الأرض المهيطة بنا أكثر وحشة . وكانت الموانط تجمع بالفضاء تسعة وشجرة منها الضماهير والمخاضات ، والتماسيح ، بعضها له رؤوس وأرجل بشرية ، وبعضها يفت السار ، وبعضها مسلح بالرمح والسهم . وكلها تتبع الأشرار وتقدمهم . وهؤلاء الأشرار ذوو الحظ السيئ الذين مزلت صفوفهم وأخرجت عنها قلوبهم ، وشمعوا في أرجل مقل وقد علقوا منكس رؤوس وتحتهم مسار من الملوك ، كما طشت الرماح في أجسادهم ، وصريت أعناقهم . ودفعوا في مجموعات بدون رؤوس إلى مناطق يلفون فيها عذابا أشد وطأة . وقد رأينا في الضوء السافى والمقلب لبعض الممرات هذه الأرواح المرسومة وهي تكتمل عن بعض ملامح الحقيقة المقنعة وهي تبدأ عند ممرها في النور ، ثم تفرق خلفنا في الظلام . وهذا الظلام وجهه متغير للخوف ، والجو كله خائى ، وللكائن مرعب ومسكون بالكوابيس .

وفي موضع آخر باتى إلى مناظر أقل رعبا ، فخرى الشمس تبتثق من صعد الكرة السفلى . والموتى الصالحين يردعون ويصفون في الحقول المسماوية ، ويجمعون ثلوا علوية ويستحمون في مياه الطهارة . وتستريح المومياة الملكة في مقبرتها . بينما تتلفى التائبيل الجسارية

للملك التنظيم والتكريم بما يقدم إليها من خدمات من البخور واللبان
ومسكيات النيب (١) - وفي النهار يصل الملك وقد أصبح قديماً وصعباً إلى
آخر مرحلة في رحلته وسلته الروحية ، وتوجب به الإلهة في حضرة أوزوريس
ونستقبله في المقر المقدس (٢) ، وبعد أن حرسنا لحظة من المشقة بالمهر
أخذنا نفساً طويلاً من الهواء النقي عبر يارودات قليلة من الأرض غيم المبهمة،
مروصلنا إلى مدخل سفرة لحرى ، ودخلنا مرة أخرى في طلام تحت
الأرض ، وأخذنا نكرر هذه التجربة القوية للمركب الثلاثة والرابعة ،
أيها تشبه رقاد الحصى الذي تغطيه الأسلام الخفيفة وتقطعه نويات الاستيقاظ
للخفة .

إن القابر صناعية بشكل عام ، ولكن بعضها أطول من البعض
الأخر (٣) وبعضها أعلى من البعض الآخر ، وسيد في بعضها أن الهبوط

(١) - يكف كل شمال من هذه التماثيل الباطنية فوق قاعدة أو منصة خاصة ، والذي
قدومه متعبه للامام كما في كل سائر ، بينما لصاحبه اليد اليسرى بعلامه الدرع
وحمل الحذاء وتصبه اليد اليسرى بعلل . وأولئك هذا يشبه سوف التماثيل الهندسي الذي
في متحف بولاق ومن المناظر التي تستحق المساعدة أن التماثيل نادر سحره وأين
لها مساهمة خفية على عكس حالة تلك التماثيل الأخرى المنوعة في الصور أو البرونز
ولا شك في أن هذه التماثيل القوية من التماثيل اليونانية نصب مؤلف الذين كانوا لهم
الحقيقة موضوعين في الفير ، وفي القلوب التماثيل هنا كادت في الطفولة لغير أعمارهم
طبل افلاق باب الفيرة - وقد أحضر بلورس أحد هذه التماثيل الشخصية من نفس هذه
تقيرة التي لاجندرا وهو موجود الآن بالمتحف لبريطاني (رقم ٨٥٤ - للصلوات الأوسط)
والنصب المصنوع من هذا التماثيل للقلب وألفه لغير سيخروج جائل مسكون من الرجاء ،
لها للوصات التي تملأ القلوب المفكرة حاله بلدت نشرت نسخة منها في كتاب
رومياليزر *Mon. del Oult* وهي التماثيل من رقم ١ إلى رقم ٦٣ .

(٢) يوجد في هذه التجربة ظفر مثير للاهتمام يملأ فمب روح ودماغ القديس اليسرى
وقد ترجمه مسيو نافيلى في الجزء الأول من الجلد الرابع من كتابه الذي نشر في صلالة
Translations of the Biblical Arch. Society وهذه هي الأسطورة الوحيدة
التي تمثل تشبيهاً عاكسياً مع سجل جسدان تشاكيا [حنية سحرية فيما بين الذين]
والتيمنان هذا الجسدان من فلم القديس ، ويشمل النقش حواشي حجرة صغيرة محروقة
بنفس حجرة القديس .

(٣) أطول حفرة في لنادي هي حفرة سيني الأولى ويبلغ طولها حتى القبة التي
تتألفها علماء القصور المسافة ٤٧ قدماً ، بينما يبلغ حتى أعمارها حوالي ١٨٠ قدماً -
ويبلغ طول حفرة ويسوس الثالث (رقم ١١) ٤ قدماً ، بينما يبلغ أعمارها ٣١ قدماً
قطر ٠ أما بقية التماثيل الأبراج طويلاً ما بين ٢٥ إلى ١٥٠ قدماً ، وأعمارها صغيرة
إلى مسافة ٦٥ قدماً فقط .

متلوج . يسما هو في الحبس الآخر حاد وعاجى . * وهناك بعض المعالم المشتركة بينها جميعا مثل الحية الفضضة (١) والحمل (٢) والنخاسي (٣) والتمساح (٤) وهذه المعالم واضحة على الجدران بصفة دائمة . وكذلك يرى باستمرار منظر المحاكمة والصورة المروقة للأجساد البشرية الأربعة . وبعض المقابر تختلف من حيث الرسم التخطيطي والحرية (٥) . وأكثرها غرابه مقبرة رمسيس الثالث بالرغم من أنها لا تصارع مقبرة صبئي الأول في الجبال .

وهنا صمم الرحاوق في معظنها على سطح غير مسحوت معطى بالجص الأبيض . والرسوم في المقالب غير مختلفة . إما الألوان فهي حكاية من حيث الخضوة والبهجة - فاللون الأصفر متوخز ، واللون الأحمر والأزرق يذكرنا بالكتب المحصورة واللونة التي عرسلها في طوولنا - ومن الصعب حقا أن نهم كيف كان شيء مدينة هابو الذي يور له أحسن في مصرى في حبه ، راضا يمثل هذه الرحاوق الجدارية .

وماراي رمسيس الثالث هو الذي يتضح بفكرة عظيمة من دخول العالم الآخر بهذه الضامة وجوله خدامه . وعمرى في سلسلة من الصحرات الضخمة المؤدية إلى حجرات كبيرة والتي تنفتح على المر الأول ، رسومات كافة الأثاث المنزلى ، وكافة الأبراج والأسلحة وقروة الملك وخزائنه - ولرى فوق حوائط إحدى هذه الحجرات الطماحي والحمازين وهم يجهزون

* في هذه الحنية في الأسطيف تتجاور أعمالها لعملة إله بشيرة أوسو من حطائر الملوك . وهذه الصورة المخططة التي تتكون من سلسلة من القاعات والبيوت والمسالك والممرات والعمارات يبلغ مساحتها ٦ ٢٢٨ قامة مربعة - وهي تضم بيت آمون وهي كائن لا يعرف مصر الذي ملأ فيه .

(١) هي لوحة أبو نيس وهي لغة عملاء المصريين قلب أن حجة للظلام الضمنية التي لاند بأن يتصور طبقا إله رع بعد أن يهرب في الغرب ، ويحل أن يشرق مرة أخرى في الشرق .

(٢) خيول إله الجحاش .

(٣) رمز للظلام .

(٤) اكتساح يمثل إله سوك وهذا إله يطلق عليه في إحدى اللوحات المربعة في متحف بولاق اسم إبن إيريس ويصارع إلهاء أودوديس - وهو هنا يصارع الحية لصلح إله رع .

(٥) إن القرعة رقم (٧) فيه قرل وهذه ستيرة إلى صلفاء والتي تسعد الموالاة تعمل خرافيق وميسون للثاني وقد لحظت الكتابة بقدراً سمحت جلاء للقوة ، ولكن الأمر كان لا يسمح بالمرور بعد الثلاثين أو الأربعين جارية الأولى .

القداء الملكي . وقد ظهرت في حجرات أخرى عروش قتيبة وسفن منحبة ذات أشعة حلقة بلونين . وحرير بك خضيه فضية . وصخور خضيم من الأملجة والمروغ . ولآكوام من الأحصاف الشبية وحلود الفهد الأسود ، والفواكه ، والطيور ، والسلاسل الخفية . وكافة هذه الأدوات التي تتلهم النور المنحصى مثلها كان المعروف يستمتع بها في قصره . ويرى حيا أيضا القيثاراتين الشهيرتين وهما مشوعتان. ولكنهما مازلتا تكتنجان الأوتار باللحسة القديمة القوية التي طمعت دائما في ثقل ساعات العزف التي كانه يمشيها اليك . وماتان الصورتان الحاسستان اللتان لا شك في أنها من الصور النصفية (١) تموضان فخر بقرية الصور .

وما زالت إكتوابيت الفسارغة تحتل أماكنها القديمة (٢) لقد دأبنا واحدا منها في القرية رقم (٣) الخاصة بالملك بمسيس الرابع (ونأورسا آخر في رقم (٤) بمسيس السادس) . والأول منها محببة عن كتلة ضخمة من الجرايت الأسود . وهو طاوب ولكنه سليم تقريبا . أما الثاني فقد حتمه البهتود عن الكنود .

كانت معظم طابير باب الملوك مفتوحة في أيام البطالة ، وعلى ذلك فقد كانت جسور الزوار القدامى الذين تركوا كالعادة رسومهم التالفة على الجدران . يزودونها مع غيرها من مناظر وصنائب طيبة مثلما يحدث

(١) كانت مئتان للقيان لكن حصلا شامعا مير ج وهكسون لأول مرة في حالة جيدة للمرة التي ذكر أن اعدادها على الأقل لم تكن كلتاها ظاهريه وللقنران عظيمين ومثلين . ممرتان تتلهم نفسية للملك واحد هاتين للقيانتهير بها أحد حجر وقرا على الأخرى أربعة حجر وكما .

(٢) تاروت حيرت الآراء التي تسميه بلزيس إلى أنجلند موجود في متحف مير ج سولي *Elk d Soude* وهو منحرف من *Elk* واحدة من المرحر البلقر ويحلى بلزيس من ولجوية غائرة . وحدة مئتان من الاشكال والأوصاف الكثيرة أشهر الفحص خلال ساعات الليل انظر مثلا بمتوان : *Le Sarcophage de Seti* بقلم *2^e Fleury* مجلة *Revue Arch.* المجلد الثاني والتمتين . ص ٢٨٦ سن ١٨٧٤ .

أما تابوت بمسيس الثالث فهو موجود فيمتحف ليتر وليلام *Vit-Wilhelm* في كمبودج . أما خاؤه فهو موجود ضمن المجموعة المصرية فيمتحف اللير بـ *B. Birch* . *Remarks on the Sarcophagus of Seti* بقلم *Notice Surmair de* انظر أيضا ١٨٧٦ وانظر أيضا *Mouvements Egyptiens du Louvre* بقلم *E. De Rougé* ص ٤١ . باريس سن ١٨٧٢ .

الآن . ولا تعرف بالضبط متى وبمضى من انتهت حرمه هذه المقابر ١٢
ولا يشكك في أن الفرس قد سلبوا بعضها ، كما أن المصريين أنفسهم قد
سلبوا بعضها الآخر قبل قديم بوقت طويل . ولم يكن الملوك سلبوا من
مقابرهم حتى في أيام الرعامسة بالرغم من ترتيب حراسة خاصة . تقوم
بنحريات دائمة في وادي الطيم . وفي عصر رمسيس التاسع الذي
يوجد مقبرته هنا تحت رقم (٦) ، يبدو أنه كانت له حراسة منظمة ليس
فقط من النصوص ولكن أيضا من هؤلاء الذين كانوا يتسللون الضائع
المسروقة ويمسحون على الأسلاب التي من هذا النوع . وفي برديه
مما صرة (٦) كيف كانت للمماليك الملكية نوحه مظاه في المراديب وقد
سلبت جميع مخزوماتها الذهبية والفضية مع الكنوز التي كانت مضافة
لها في مقابرها . وفي موضع آخر نرى ملكا وروجه الملكة وقد نقلت
حويلا كل منهما ، لكي نحل أرضها ويرى الصمت بمقبراتها في وقت
الفرار . وقد سجلت هذه المعلومات الغربية في شكل تقرير دونه حاكم
طيبة الغربية الذي قام معه صباط وقضاة آخرون بالتفتيش على مقابر
و الملوك السابقين . خلال حكم رمسيس الرابع .

ولم نكتشف أية مقبرة محلية في وادي باب الملوك ، حتى مقبرة
سيتي الأول دخلها اللصوص خلسة قبل أن يكتشفها بلزوني بعضو
طويلة . وقد وجد في جاسها تماثيل من الخشب والصيني ومرباة تور
ولكنه لم يجد شيئا قيما قيما عدا التماثيل التي كان فارغا . ولا شك في أن

(١) ظهر للبرقية عجيبة بالجداد كبريطاني ونجسي بردية آتت . وقد ترجمها
مسيو شلانس ضمن سلسلة *Bibliothèque Egyptologique* - المجلد الثالث باريس
وشارل سنة ١٨٧ . وهي تسجل قائمة بالمقابر الملكية التي نلت بالفتيش عليها لجنة
مصرية في شهر أيار (في سنة غير معروفة) خلال حكم رمسيس الرابع وتلك ضمن
القابر التي رافها اللجنة . إن المثال كجداري للملك أن ب ح ، الواقع في شمال
عبد الحميد الذي في الشرق . وقد كسر ظهر للتماثيل في المكان الذي كانت القلعة
موجودة فيه أمام الأثر بحيث كان تلال القبر يلف فوق القلعة بينما يقع كثره الذي
ويسمى مأموكا بين سلكها . تم قسمة في هذا اليوم ووجد سلبها . وكل هذا هو
تقرير كاتب هذه البرقية منذ ٢٠ سنة مضت . وبعد ذلك يأتي عدد كثر من حجاب
الكتوف الحنيئة كان مسيو ماريت مظ حلة مقبرات يتم بالحفر في هذا الجزء
من القبرة التي تسمى الأسقف الذي تقع في شمال شرق عبد الحميد اكتشف فكتشف بكاه
شجرة هذا الملك والقبرة (المسورة التي جعل على سفحتها وتكامل طولها حفرا بارزا
للملك أن ب ح ، أي (الكف - عا) وأمامه ثلاثة كلاب والكلب الرابع بين ماله . وكان
اسم الكلب مأموكا مسجرا فوق القبر باللغة الكبرونية . انظر *Public of Ametek II*
الكتاب *El. Balth* الجزء الأول من المجلد الرابع ، ص ١٧٢ -

الكهنة كانوا متورطين في تدبير هذه القصاصات التي كانت معاصرة لهم -
لقد كانت هناك أسماء سبعة من الكهنة وثمانية من كنية القساوسة الدينية
ضمن أسماء للتصديق التي أوردتها البردية المتبار إليها آنفاً ولعلهم نسبه
ولذلكون منها .

وكانت حجارة متعلقات الموتى المسروقة من الأتخاف التي لى ليراد
وقدأ في طيبة . وقد تأكدنا أن الزراعة المظلم الذي دعونا في واحد
مقابر للوك(١) قد ذهبوا إلى قصورهم المظلمة للجيرة للحياة الأخرى(٢)

(١) كثير من الجواهرات الجميلة التي وجدت على مومياء الملكة حا - حطب كويك كان
يهدى ترفيلاً تحت الحرس من الأسرة المالكة وكم كانت لهم سرعة ملايهم من ليرات
جاءت صوراً هذه الجواهرات وشخصت صورها هذه قوسها حتى صارت صورة ليراد
الذين لم يخلصهم في صف براق . وقد حدث هذا الاكتشاف في قرية . مأثرة للدرج
القوياء (كانت في داخل القناتون الداخلي فقط) قد وجد حطاب حاريت في الرمح
على وجه حدة إلهام تمت لتطاع بالقرب من سطح النيل المصروف باسم (براع لير السها) .
ما بين القرنة وحقل وادي للوك ، وعندما متذكر أن القناتون المظلم في مومياء هذه
الملكة قد وجد سنة ١٨٨٦ في القناتون المظلمة والظهر القوي حيث اكتشف العديد من
الزئبق والفضة ، في حصة واحدة ، وعندما يصاب إلى ملكة حطاب أن القس إلى سمية
للأمر كاس ومجموعة من السموات الجميلة وغيرها من الأشياء ذات اللينة قد وجدت
في طيات اللطاف الخارجية لهذه الملكة فان يبدو لي أن سر ليلها يوصى مقبرة يحتاج إلى
المصير بسية - وأما مقتني بأن مومياء الملكة حا - حطب ، قد ليلها في هناك من كمال
المقابر المذكور الأعراب الذين كانوا يعرفون سطوات طويلة ، هذا المكان المستقيم
الأجاء الكثير ، وأنها قد فند في كمال يتكلم مائة حتى نصل فرصة طليسية ليلها
في الأكر ، وعلاوة على ذلك فإنه لم توجد أية جواهرات ليرق للحيوات الملكية في
حجرة المقبر المسمى . لأنها قد فندت منذ زمن طويل ويوجد . ولذلك فإن الجواهرات التي
وجدت مع مومياء حا - حطب تمثل التسمية الأخيرة وقد جمعت في مجموعة
من توابيت المومياءات الملكية الأخرى . وأن لير وجود القاس الرسمية للمقبر كاس بينها
لا يدل على أن الأمير كاس كان زوجها الملكة حا - حطب ولكنه كاش ضمن القناتون
مومياءهم إلى هذه القبرة القوياء - والذين العمل على أنه كان زوجها يتكلم في
حليتها أن الأساور التي حول راسها ، ولتان للذين فوق راسها والحق التي فوق صدرها
كانت حذيفة أو حطابا بحراطيس هذا الأمير (مجموعة متعلقة إلى الطبعة الثانية)

(٢) هناك رسم غريب موجود في إحدى الترميمات بسطح القناتون وسأل أولاً أوكوب
الجناتون ليلهم سيب - حيث اكتشفت وثائق داخل القناتون بما فيه المومياء والتفصيلات
وإنما القبرة . جميعها مرسوماً وعلونا بأصوات شديدة ، ونرى ضمن الأشياء المرسومة
هناً شخصين وثلاث زمرات وصندوق وركاب ورجالية للكمل وسندلا ومعدا وحلية برعم
وزجاجة مفر وجرة للانتقال . من هذه الأشياء الخاصة بالتجديد (لأنه ربما كان السندون
يحتوي على حليص) قد وجدت في المقبرة لليرم لذلك تستلزم فيه البحث حسب اعتقاد .

وعلمنا يتكرر الإنسان في المجوهرات والأثاث والزهريات والمراحم والملايس.
والأسلحة والوثائق الثمينة التي كانت مدفونة في هذه المقابر مع الموصيات
الملكية التي كتبت عليها الحفائر ، نجد أنه من الأمور المثيرة أن تعلمت
مصرها ملكة واحدة بينما تقع جميع الموصيات الملكية الأخرى في أيدي
المصريين .

وهي بين جميع المقابر التي في وادي الملوك اكتشفت مقبرة واحدة
تخص الملك رمسيس الثالث وقد كان من أغنيى الفرع (١) وكان مملوكا
صغارا للقبول لا يشك أحد في أصالة ذلوه - ولذلك قائما ربما نتأكد من أن
مقبورته كانت مؤمنة بكافة أنواع الأحياء الجميلة والتميمة .

ما الذي دفعه الآن في مقابل أن نجد بعض هذه الزهريات الذهبية
والفضية المزخرفة ؟ وهذه العروش والأثاثات المنجدة مثل الوسائد ، وحلقة
الأقواس وجمجمة السهام ، والقصص الرخام المرصعة بمنايا دول
حدران الحجرات الجانبية التي في القاعة الأولى ١ وأنا لا أشك في أن
عينات جميع هذه الأشياء كانت مملوكة مع الملك وتركزت مجهزة
لاستخدامه الشخصي . لقد مات وهو يعتقد أن روحه (الكا) مستتبع
وتستعظم هذه الكونز ، وأنها ستعود بهد دورات طويلة من الإخشار ،
وتسكن مرة أخرى في جسدها المومياء . كإن يؤمن بأنه سيقوم مثل القيام
من النوم ويصل أربطته ويأكل ويتمشى ، ويرتقى صنتفه وملابسه
المسطرة ويمسك عصاه بيده ويمشي في نور النهار الأبدي . أيها الروح
المسكين الذي يتجول في الفضاء بدون جسد ! أين هي الآن لحوامك
المطوية ، وملابسك التي كلفوا باستمرار ، وعطورك وذهابك الثمينة ؟

« العالم ، ولقد كان القبر مجهزا مثل سكان الأحياء » ، هذه الفقرة مترجمة من
كتاب *Les Tombeaux des Pharaons de la Vallée du Nil* من قبل
سنة ١٨٧٥ - ص ٨٠ . وقد ظهر تشبه كبير - حيث أُنشئت في هذه البرية كما
هيوت ورج القوي كينتر له رأس إنسان وهي يحمي فوق الموياء . وهناك نادر
المتر بفتح بولاق (رقم ٨٤) مخرب بقربها مشاهدا حيث يبين للمرياء في القنات
بأنه زارها أو اتصلت بها الروح . وحظي في الجسرة التي أمثلها بربية جنافية
بها رسم وخرق على وجه واحد يتكرر لنفس الموصوع - بهذا تصل إلى قوالب الأثر
وصما شمسيا للأثر التي على مقبرة التوفي .

(١) كان الملك رمسيس (رمسيس الثالث) يملك ، كما يقال ، ثروة عظيمة
من الذهب لدرجة أن أحد من الأمراء في القوق الذين خلفوه ، لم يتفكر عليه أي خسر
يتساوى معه في امتلاك ملك هذه الثروة - انظر *مصر القديمة* - لكتاب الثاني - الفصل
١٧٦ .

أين هو ذلك الجسم الذي كنته تحصر عليه يوحاً ما . من المستحيل العودة اليه بدون الموت (١) . أي الإسقاط يتخيل تنهاتك الضميمة خلال هذه القاعات المبحورة عندما يحل كل شيء إلى السكون وينتشر ضوء القمر في أرجاء الوادي .

كانت حياتنا في طيبة مكونة من التناقضات . كان بروغ الصباح بين شهاب . يليه الظهر الذي ينطفي في اقتباس الأمان ، وقضاء النهار في التأمل بين القابر لم ينتهي يحل عشاء على سطح ذهبية بعض الأصناف ، أو الاستماع إلى الموسيقى في القنصلية البريطانية . وفيه نالت السميرة (ل) والكاثية صبيها من اقتباس الأمان ، سواء في الأقصر أو غيرها . ولكن في الأقصر بشكل أساسي . واستطيع القول بأن حياتنا هنا كانت علاقة طويلة لسرات الصيد . والحقيقة أن السميرة كانت مستوعبة ولكننا مع ذلك استمتعنا بها لأنها كانت غير قاترية . وربما استمتعنا بها أكثر .

وكانت هناك عيسات تعود في ذلك الوقت حول مقبرة كانت قد اكتشفت في الجاسم الغربي ، وهي مقبرة يديمة فيها بكافة أنواع الكور . وبالطبع لأن أحدا لم يشاهده هذه الكور . ولا أحد يعرف من الذي وجدها ، وكذلك لا يعرف أحد المكان الذي أخفيت فيه . ولكن كان هناك ظل من شك يعود حول بعض الأبراب ، وبطرة ذات معنى نحو بعض الروا ، ورائحة انتباه يقط نحو موطن الحكمة الذين تأمروا في هذا الموضوع . ولقد أدت هذه الإضاءات حيناً فحيناً إلى ممارسات جديدة . وقد اكتيفت التلمحيات على يودية معينة . فقد أبلغت م . ب - التي تترجم حول المومياءات أن هناك مومياء فوق سطح ذهبية أمريكية ترمو بشكل برزى بالقرب من الكرنك . والآن فإن السميرة (ل) والكاثية لم يرغب

(١) أنه مستحيل من رؤية النهر المصرية . إذ 7 يضع الجسم أو يلمسه . . فما الموضح محل حياتنا شديدة ولهذا القدر كانت الضميمة من الاحياء والتضاريف لجبر مع تراكيب مصرية معينة . وتانس يسلوكت معينة . أو حتى تقنيات وأعمال صغيرة تخرج على أجراء مختلفة من المواء . قد كان حلول الجسم من ذلك بعض الصائيد المصرية . شروياً كمصادر للروح . وفي فترة تالية أصبح النسو أو التضاريف الطبيعية للجسد ملطفاً بنفس قوة التمسك بالحياة أو جسار الروح إلى العالم للميت . انظر Introduction to the Funeral Ritual S. Birch في الجزء الخامس من Egypt's Dead .

أى منها في أن تمتلك شيئا مصرية قديما . أما البردية فإنها تبعت الرغبة في امتلاكها . وفي لحظة معينة أيدينا الرغبة في مضاعفتها . وفي تلك اللحظة فإن كل واحد من جافلي الموميائات اعتبرنا لريسته المفروقة . ومع كسبلنا من وكر الى آخر شاعدا جميع البصائع المسروقة في طيبة . وكان معنى هذه الأشياء غريبا ومتريا للاهتمام . لقد عرضت علينا في أحد المنازل ذهبيتان من البرونز أحيطت كل منهما بسحوبة من النقوش الهيروغليفية المحورة بشكل دقيق والتي تدور حول الحافة . وكذلك حامل مصنوع من الفخس الذي تصبغ منه السلال وملون بلونين . ويغيبه تماما ذلك الحامل المصور في الجزء الأول من كتاب سبرج . ويلكسمون (١) عن الأصل للوجود يستحب برلين . وداينا الكثير من قطع نوابيت الموميائات والنحت الجداري والموائد التي كانت في المقابر . وفي إحدى الغرف وجدنا أنفسنا في حفرة إحدى الموميائات ١

لقد كانت جميع هذه المنازل مقابر . وفي هذا المنزل وضعت المومياة في فجوة في نهاية حور طويل مطوّر في الصخر وربما كان هو نفس المكان الذي أخته في يوم من الأيام المستاجر الأصلي . والمومياة تسمى الى نفس الفترة التي تسمى إليها تلك التي رأيناها مدفونة تحت اشرف الحاكم . وكانت حافظة بنفس نوعية التغليف الملون بسدة ألوان على أوعية بيضاء . وفي أحدى هذه المنظر العريب : القبو لفنظم والترتيب والأعراب بشلأعهم . والمومياة بلأفأفها الصلأخة الألوان تركه على مسأدة قديمة تحت الأرض .

وفي نفس الوقت حاولنا بمون جدي الى نرى البردية التي نشأت الى إليها . وبمسد حبول الليل طرق أعرابي من لصوص المقابر طرقة أو طرفتين . وتحدث حديثا فلفأفأ مع الترجمان . ولكنه لم يصل الى الهدف . لقد عرضها في البداية مع مومياة لقد مبلغ ١٠٠ جنيه استرليني . ولما وجد أننا لن نقبأ برديته التي لم نرها . ولا مومياة مقابل أى شيء أأع في المسأمة وتردد لثمة يوم أو اثنين مسأولا أن يعطه معنا مسد مخالف أو مخالفين غير معروفين وأخفى في النهاية . ووجدنا أن هؤلاء المنافسين هم م . ب . لقد اشترينا المومياة والبردية معا بمبلغ ضخيم ولكنهما لم يستطيعا مسأال رالمة العطر المنبأ من المومياة المصرية القديمة لأفأا الرأحل الرمز عند نهاية الأسبوع ١٢٢ . وهذا مساومون

(١) عنوان الكتاب : The Ancient Egyptians . الجزء الأول . الفصل الثاني . الصورة رقم ٩٧ . لندن ، سنة ١٨٧١ .

أحرون أقل حساسية - وعلى كل حال فقد سمعنا من حسي عمرة موميا .
هربت خفيه خلال هذا الشتاء من جيفرك الاسكندرية بمعرفة وكيل
واحد * ولأنطقة إل المسيح الذين يستحقون عر البيل لديهم رغبة
عزائبة في حيازة للومياوات * ولسوء الحظ قاد السعر يرتفع مع زيادة
الطلب * وبالرغم من أن المنتج لم يستترف الا أن حيازة موميا . في علم
الأيام ليست فقط متنوعة ولكنها أيضا دماغية مكلفة .

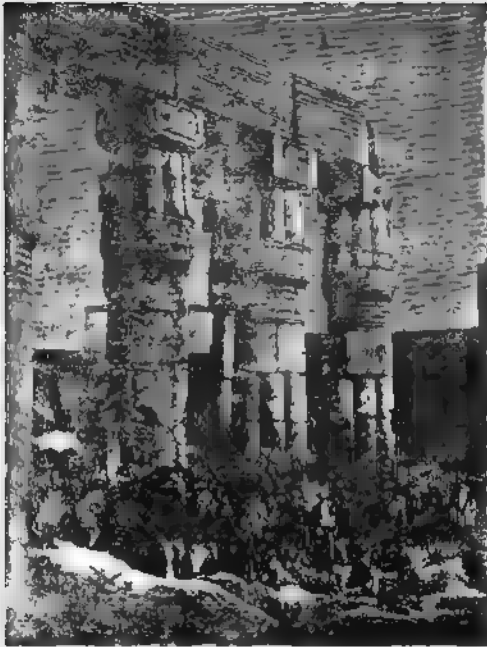
إن قنصل انجلترا وامريكا وقرلسا بالأقصر من العرب . لما قنصل
روميا فهو قبلي * لما قنصل النمسا فهو أمريكي لو كان أمريكيا .
وقد أولنا القنصل الفرنسي الميبي التقديم المتدعي الذي يسمى « التزل
الفرنسي » (٩) وهو بناء بدائي من شعب الحجيل والطوب للمعد في
القسم . وقد أقيم جزء منه مقابل معبد الأقصر والمحر . الآخر عوف معبد
الأقصر ، إلا أنه له مكانته في التاريخ لأنه في سنة ١٨٢٩ أقام به
شاميليون وروسليوني معا للقيام بميلها خلال جزء من فترة اقتطعتها
الطريقة في طريقة .

ويحكي روسيليني كيف أنهما اعتلدا الحدوس أثناء الليل لكي
يتسعا ثمار عمل اليوم . فكان شاميليون ينسخ ما يمكن أن يكون ملين
لتراعد اللغة المصرية القديمة ، بينما يسمح روسيليني الكليات الحديثة
التي تشكل أساس القاموس الذي كان يقوم بتأليفه . وأقام هناك أيضا
صاقل الحرية الذي ترستهم فرنسا سنة ١٨٢٦ لتقل المسيلة القانسة
الآن في ميدان الكونكوردي . وهناك أيضا لقامت الميبي داف جورديون خلال
هواسم الشتاء الأخيرة من حياتها تكتب هذه الحروف البهجة التي أصطاحت
العالم * ولم يكن من السهل الوصول إلى الحبر التي عاشت فيها أولا .

(٩) اكتشفت هذا الخزل الفارسي الآن . التابل الحرية للحملة التي رجعت المائل
جديد الأقصر وقد رسمه صورة له من نفس البصرة التي يقع فيها . وأصل هذا
الرمح حصة كاملة في الطبعة الأولى من هذا الكتاب . وبالرغم من أن النظر له تظهر
الآن كلية فإن هذه الصورة قد أعيد طبعتها في الطبعة الثانية المحلية بوصفها تذكرا
للناسخ ونقطة من التاريخ للعرب * ولم استلقت من طريقا وبأسلوب المقابلة أن أعطى
دمك صاحب جريدة Illustrated London News . فحدث له صورة مسطوية
لنفس من صفة الأعمدة الذي يحيط بالوكيل الذي يسي لرفه الخزل الفرنسي القديم وإذا
لم أكن مصلة فإن هذه الأعمدة الخاصة تربط الجوانب الخريز للفناء الذي يصير الإنسان
إلى درجات السلم الذي يؤدي إلى حركته القديس داف جورديون (حلولة مضطحة
إلى الطبعة الثانية) *

المنزل القروي في القصر .





بهر اسلطين المملوك الثالث بالاقصر *

والشرفة التي دلت فيها هذه المتعة ، وذلك بسبب الحالة السيئة التي وصلت اليها درجات السلالم ، ولكنا رأينا الحجرات التي عاشت فيها مؤخرًا ، وهارالت أريكنتها وسجاداتها وكريسيها الذي يمكن طيه ، كلها موحودة هناك ، وكانت الحدران مزينة ببعض الصور القليلة الرخيصة ، وروج من الشمعدانات المصنوعة من الصدير ، والحجرات كلها عارية وغير مريجة *

وسألنا عما اذا كانت هذه حالتها عندما كانت السيدة تعيش فيها ، فأجاب لقنصل النمري بأنها كان لديها ، منضدة وبمطر الكتب = ويسنو

أنه هو نفسه كان يعاني من آخر مراحل مرض السرطان فهو يتحدث ويحرك مثل شخص في نهاية حياته . لقد صلبنا يوحنا المكان حتى دعينا إلى القبر الذي ظل على تهر النيل والنيل القوي من طيبة موجودا أنه يوصى فرش البرقة ويبدل قفازها إلى فقامة .

وكانت الشمس على وشك الغروب ، واستطعنا أن نسير خلال ويرايات مدينة هابو وعوق الرمسوم . وكانت الصخور الكبيرة التي يملؤها جبل باب الملوك الهرمي الشكل ، يبدو ذات لون قرموي في مواجهة السماء ذات اللون الأزرق الذي لا تشوبه شائبة . لما المر الذي يعود إلى وادي طافير الملوك فقد ظهر مثل مدينة بيضاء ساحنة تدور بطول وجه الصخور . أما النهر فكان يعكس درجات لون السماء اللاذوية . وظننت أنني أستطيع أن أرضى بقضاء العديد من فصول الشتاء في مثل هذا المكان غير المريح مادام سائعا هذا هذا المنظر المبهج بجبال بوره ولونه وفضائه وتاريخه وسحره الذي ليست له حدود ، أمام بواقي (١) . وهناك منزل تاريخي آخر هو ذلك الذي بناه سيرج . ويلكنسون بنى طافير القميص عيه الفرقة . وقد عاش هنا عندما كان يجمع مادة كتابته *Manners and Customs of the Ancient Egyptians*.

وهنا أيضا أقام لبيوس ورفاقه المليون همما كانوا يصلون في البر النوبي . ولم يكن للعلم إلا القليل من التأثير على العقول المحلية . فلا أحد يتذكر الآن شامليون أو روسيليني أو السيرج . ويلكنسون . ولكن كل عربي في الأقصر يحتفظ بذكرى اللمبي فلف جوردون في أعماق قلبه . ويحفظ عنها بالخير .

وكان المنزل الفرنسي قد بنى فوق سطح الهيكل الذي في الطرف الجنوبي من الميناء . أما في الطرف الشمالي فقد بنى منزل مصطفى الحارم وأرق الكناصل الانجليز . بين صف الأساطين الضخمة المنحوتة من الحجر الرملي . وكان مصطفى أعما قد سافر إلى أوروبا وهو يتكلم اللغات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة . وكان أبته الأكبر حاكما للأقصر ، أما الأصغر ، أحمد الصغير ، الذي سعت إليه جوردون بتعليمه ، فقد قضى عامين في إنجلترا شغفا على لورد دي Tord D - وأصبح وجيها انجليزيا عظيما .

كانت القنصلية الانجليزية ملصبة الدور القباذي في جولة الترفيه التي تدور حول الأقصر . وكان مصطفى الحارم يقوم بالترفيه عن جميع البعثات الانجليزية التي كانت تسلمه . وقد دعينا إلى العشاء من

(١) منح محمد على هذا المنزل للفرنسيون وظل حاكما له حتى علمه سير ماريت منذ ثلاث سنوات (حاضرة حاضرة إلى الصفحة الثالثة) .

الحفلات في القنصلية وتشينا مع مصطفى أغا في منزله التي في الضاحية في المساء السابق على يوم رحيلنا من الأقصر .

وكانت الساعة المحددة هي الثامنة والنصف . فوصلنا وسط بياض الكلاب الكثير ، واستقبلنا ضيفا في صالة مصحة واسمة محاطة بديوان من الأرائك . وانتظروا حيا حتى الإعلان عن العشاء ، وحسنة افتادونا الى غرفة مؤدية الى غرفة اخرى اكبر منها حيث وجدنا في انتظارنا النعم من الخدم المصحب الحفلة كان احدهما يحمل حذاء واربعا من النحاس يمسح حل الآخر على دواخله من الملابس التركية .

وعندما تقدم كل منا بدوره ورفح يديه فوق العوض لكي يصب عليها الماء وتسلم منقطة حاصية به حيث طلب الى كل منا ان يحتفظ بصفته لكي يستخدمها على المائدة . وكانت الغرفة تفتح على سيرة ضمام رائحة الاضائة ذات حليم متوسط ، في وسطها مصفاة نحاسية مستديرة ذات حافة بمسوية معصورة مثل صينية صخره . وقد وضع لكل فرد كرسي وكفلة ضخمة من الخضر وعطيفة خشبية وقدحان وباقه من الارماح . ولم توضع أطباق لو سيكاثير أو شوك .

وكانت الحفلة مكونة من المرحون السميدي ومدير مكتب تلفزيون الأقصر والبنيدة (ل) والكاتبة وأحمد ومضيفا وقال مصطفى أغا وهو يوشدنا الى أماكن جلوسنا : « كلنا عرب في هذه الليلة لأننا نشرب ماء النيل ونأكل بلصايضا » .

وشربنا ماء النيل . وأكلنا بأصابعنا للمرة الأولى في حياتنا . والحقيقة اننا اكتشفنا عذمة هذه الأصابع . وكان الخبز فاحرا ، ولقول - مع احترامى لرئيس طهاتنا وكافة رؤساء طهات أصفنا المديين على نهر النيل - لأن ذلك العشاء كان أحسن عشاء تناولته خارج لوريا . كانت جميع الأصناف ساحنة وأخذت السفر حيسة بنفوسها بسرعة وهم يرتلون ملامح تثير الإعجاب . كما كانت نوعية الأصناف من أفضل النوعيات ، واليك قائمة بالأصناف التي قدمت لنا بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٧٤ :

شوردة مركبة بصله - سلك حلى - وكانت الأطباق الرئيسية هي حمام مسلوقة - سبانخ واذر - والمشويات ضفلة مشوية - ثم طبق رئيسي مكون من كباب من لحم الضأن - وكبة من كلالى الضأن - واذر بالطماطم - وكفتة . ثم اذملت مشويات جديدة عيسارة على ديك رومي بصلصة حيار . ثم قدم طبق رئيسي عبارة عن أرز مخفلق بالزينة والملح والفلفل . وتقدمت الحلوى فكانت مكونة من مشمش مسحوظ ، وكفاة . واذر بالثلث . وجعل بالفلول القادر .

وقد وضعت هذه الامليات في وسط المائدة واحدا بعد الآخر . وكان
 يتم تمييزها بسرعة . وقد غمس كل منا حلقته في الشوربة ثم جلب قطع
 السمك أو لحم الضأن بالصابغة - ولما لم تكن هناك أطباق فقد استخدمنا
 لائحة الجيز كإطباق . واتخذ مصطفى كصيف يقطع الخبز بين
 الحين والآخر ثم يقطعه للضيوف فردا فردا - لن تناول الطعام بالأصابع
 في مأدبة حمية ، والاصنام مع هذه الأصابع بهلوة . علم له أصول
 ولكني لا أظن أن ذلك سيسبب الطريفة المعيبة التي هجم بها عصمتا
 على ادبك الرومي وظهر به - وكان ادبك عبارة عن كتلة صلبة ترن
 حوالى عشرين رقلا وحجرا تحمرا كاملا . لقد قام عصمتا نصف قيام
 وسهر أسورة الفيض ووارن مصمبه ثم دمع أصبعيه السبابة والأبهام
 في علق صدر ادبك واستخرج شريحة طويلة صلبة الألياف ليبحث منها
 المالح ثم لودعها في طبق الكائن ، ثم أدار الدبك حول المائدة وسط
 صيحات الحاضرين - وقام كل منهم بمناقشته كل في دوره - لما طبق الأرز
 الخيل الذي قدم بعد ذلك فهو دائما الطبق الأخير الذي يقدم في العشاء
 المصري أو التركي . وبعد ذلك تم تغيير ملاءعنا . ووسمت الحلوى فوق
 المائدة وكانت المشروبات خلال كل ذلك لا تكفي الماء الفراح وشوربة
 الأرز واليوسادة واحد بعض الموسيقيين الوطنيين يمزجون في غرفة
 الاسرحة بناء مآول الطعام . وعندما نهضنا عن المائدة غسلنا أيدينا
 بنفس الطريقة السابقة .

وعندنا الآن إلى القاعة الكبرى . ولما كنا غير متريين على فن وأسرار
 جلسة الترفيه، لقد تكورنا بقدر ما نستطيع فوق الأرائك . وقد أوشد
 مصطفى انما الكافية إلى المقعد الذي في الركن عند الطرف العلوي للحجرة
 حيث ظل ان أسيرة ويلز قد حملت فيه عنقه فتناولت سموها المقعد مع
 سمو امير ويلز عنقه في الصام الثاني . وبعد ذلك قدمت لنساء الفلايين
 والكهنة . أخذ الرجال يشنون البجوة والسجائر . بينما قدمت لنساء
 ضيافته شخصتا ناناييب طويلة لثة . ومباسم عنبرية نكلون . وتناولت
 السيدة (ل) غليون الأمانة وأخذت تمشن التبع سيطرة طوال المساء ، ووريدا
 ووريدا وصل المحافظ ثم قاضي الأكرس ثم القنصل البروسي وابنه ثم ثلاثة
 أو أربعة من التجار الذين يرتدون الثياب المصرية والمعائم الكبيرة .
 وفي نفس الوقت انتظمت الفرقة الموسيقية المكونة من عازفين للبيان وعازف
 للرق وطبله . تمزق على فترات متقطعة عند الطرف البعيد من القاعة

وأخذت الطلائع والقهوة والمليونانة تمر بصفة مستمرة • واستمرت
النسبية بالطريقة التي تحسرى بها حسب عادة مواطني الأقصر ، مع
استمرارات الرقصات •

لقد شاهدنا تلك الرقصات في حلقين موسيقيين سابقين وأصغنا إليهم
في المرة الثالثة كما في الأول • كل يرتدي سراويل تركية فضفاضة ،
وعصاة مفتوحة من المطراز المهرج ، وكبيرة كبيرة من المجوهرات • وكانت
الراقصة الأولى امرأة لطيفة وجسيلة إلى حد ما • ولكن كانت ضمن العرة
والقصة بوبية سمكة الشفتين بحيث لا تكتشف فيها أية جاذبية • إن
استعراضات الرقصات عبر رشيقة وكلها احتياط • ومحتاج منا إلى إعادة
وصنها صا • لقد رأينا في مرة واحدة وهي يرتدي وقصا طبعيا •
ثم أحسن يتمايل في ليلا إلى المسال والي اليسى وهي يطرق الصاجات
ويدرن ثم يدن ويبالقي في الانحناء بطول العرة هي مع وآخر • وقد
قيل لنا أن هذا الرقص غير معروف الأصل • ولكن ينتهي بين آونة وأخرى
ولكن أصواتهم كانت غليظة واللمن تهازل •

وكان ضمن العرة دائما عازف من المواطنين سمعا به عدة مرات
ولم نكن في الاستمتاع بهاره • وكان موثاق هذه العرة الصخرة وهو
رجل عجوز يعرف على الرابة • ولا يستطيع انهاء انه لا توجد آلة أخرى
ليس لها دور في المستقبل أكثر من الرابة • إلا أن المواطن الكهل حملها
مصدر موسيقى رائعة الجمال • كانت ضمائه الصولو تتكون من أصوات
بالحة وكثيرات مرتجلة مطروقة بصل موسيقية صعبة • وأحيانا متكررة
أكثر من اللازم • وكان يبدأ دائما برزامة ثم يسكن تدريجيا حتى ينو
في النهاية وقد سى كل شيء فيها عما سمعته بنا يقدمه من العرف •
ويستطيع الإنسان في تلك اللحظات أن يرى أنه كان ينسج بعض
الرومانسية في أفكاره ثم يترجمها إلى أصوات • وبينما كانت الأوتار تعبر
تحدث أصابعه • كان يشمره الحيلس • وفي أكثر من مرة وهو يطرقنا
بنشاته الحادة كان يصف لوحة العاطفة المتلصبة • وكنت حينذاك أرى
وجهه يتغير ويده ترتطم •

وبالرغم من أننا سمعنا مرات كثيرة • ودعونا أكثر من مرة فسم
أصدائنا للتعودين للنداء إلا أنني أسف لأنني أسمع هذا النداء المظلم
الصاقي • وعموما • فإنه يلقي الترحيب في طيبة ويستدعي كثيرا إلى
أرومت وأصنا وقتنا وجرحا ونفحها من المدد الكثيرة لكي يمزق في
الطعنا الخاصة •

وعندما كنا في الأقصر ذهبنا في صباح أحد أيام الأحد إلى الكنيسة القبطية وهي مبنى كبير في الطرف الشمالي من القرية . وهنا تجد إلى الكنيسة والمنشوس ومقر الأسقف مبنية تحت سقف واحد ومحاطة بفناء . ذلك لأن الأقصر بها أحد الكراسي الأسقفية التي عشر التي تنقسم إليها كنيسة مصر القبطية .

أما الكنيسة التي أعيد بناؤها في الصنواشة الأخيرة فهي مبنية من الطوب الأحمر ، وبها محراب صغير (شرقي) حقه الشرق . وفي الطرف الغربي ردة للسيدات متصلة خلف ستار . أما الحناج الأوسط فربما بلغ عرضه ثلاثين قدما . أما الأجنحة الجانبية إذا صبح إطلاق هذه التسمية عليها فهي مزودة بأربعة حنية كثيرة تستند عقودا دائرية . وقد أغلقت هذه الأعمدة من الكرنك وقسمها المديو حدية للكنيسة . وهذه الأساطين ذات تيجان تمثل براعم اللوتس ، ويبلغ ارتفاعها حوالي خمسة عشر قدما . ويوجد في الطرف العلوي من المصح أمام المحراب بحوال ثمانية عشر لو شمري قدما . حجاب رائع النصال مرصع بأحشاش الأزهر والأبنوس . وأحشاش الأثاث والماج وعرق اللؤلؤ . ويمتد هذا الحجاب ملحمة للكنيسة . وفي خلال الفتحة التي في الوسط ينظر الإنسان مباشرة إلى المحراب الصغير (الهيكل) ذي السقف الذي ينسب عربة البضاعة والذي يحتوي على مائدة صغيرة وقنديل معلق ، وهو مظلم مثل هيكل أحد المعابد المصرية القديمة . أما الجمل الذي يوضع فوق الكتب التي تقرا في الكنيسة (المنجلة) فهو يشبه كرسي مكتب ملاسيته ويواجه جمهور المصلين . أما خلف الحجاب فيوجد كرمس الأسقف وقد بنيت معظم الكنائس القبطية حسب هذا التصميم الذي يماثل ترميسا تخطيط الكاتدرائية الأولى للقديس بطرس في روما ، ولكنها تختلف جليا في عدد المحاريب حيث يصل عددها إلى خمسة محاريب في بعض الكنائس . أما الردة فتحتوي على حوض مسمى حوض الفطاس حيث يلمس الرجال أثناء الاحتفال بعيد الفطاس تذكرا لأماد السيد المسيح . وقد اتخذنا تادرس الصغير ابن القبطي الروسي إلى الكنيسة قدسناها في حوالي الساعة الحادية عشرة وشاهدنا نهاية القداس الذي كان يدور حينذاك منذ بداية النهار . وكانت الردة مدمجة بالنساء والأطفال بينما أرحمت الأجنحة الجانبية بالرجال من الزوعية الصغيرة . وقد تجس عند قلب من الانحطاط الذين ارتدوا الملابس الفاخرة بالتقرب من الحجاب واخلوا يستمعون إلى شمس يلبس رداء أسود كان يقف على المنجلة ويبدأ اليسرى شمس مضادة . وكان الكاهن الذي يلبس الملابس البيضاء المطرزة مصلي

حامل على أحسن على الصدور والظهر يجتو على عقبه عند حمل الصحن -
لما انصرف وكان يرتدى ملابس سوداء بما فيها الصلابة فقد كان يجلس
منحنيًا يظهره جهة الجمهور .

وعندما جلسنا اتجهت اليها جميع الأفكار ، وتوقف القاري ، والنصب
الكاهن وحتى الأسقف نظر حوله ، وفي الحال حضر اثنين من الشماسة
خدام الهيكل وقد حصل كل منهما كرسيين من الخيزران ، وأبعدا جميع
الكلين كانوا يقفون بالقرب منا ، ثم جلسنا في صف غير وسط الكنيسة .
وبعد انتهاء علم القاطنة استؤنفت القراءة .

وقد لاحظنا الآن ان كل كلمة تقرأ بالقطيعة كانت تترجس شفها
الى العربية بصيغة شباب يرتدى ودله كهوتيا يقف امام الصحن في مواجهة
الجمهور . ولم يكن في بدء كتاب ولكنه استمر في الترجمة بطلاقة متتبعًا
حوت القاري . وقد قيل لنا ان ذلك لا يثبت الا عند قراءة الانجيل والصلوة
الربانية - لما باقى القداس فانه يستمر بدون ترجمة ، وان اللغة اللطيفة
يوصفها لغة غير مستعملة في الحياة اليومية ، غير مفهومة لدى جماهير
الناس .

وبعد انتهاء قراءة الانجيل تنهقر القداس ثم تلمس الكاهن وأعطى
أشارة لتلاميذ المؤسسة الذين حضروا جسرًا من كالة أئمة الكنيسة
وانضموا الى المرتبة في موقع الانشاد بصوت مرتفع . وقد نهيا لنا أن
نقدم التبرية في حالة الجرح الأول من القداس .

وكان الجرح الثاني هو خاتمة صلاة القداس . وكلم الكاهن الى باب
الهيكل ونظر نحو الجمهور ، وبسط يديه ثم اعتلى منصة المحراب وبدأ في
ترديده ما يبدو انه استعالات ثم كتف من القرايين المقصصة التي كانت حتى
الآن مغطاة بسنديلين زرقاوين من القطن ، واستنداز وهز المديليتي امام
الجمهور . ثم قلنس الشعر والخمر ورتب قربانة الحبل امام الجمهور ،
وبينا بمناداة نفسه أولاً من الخبز والخمر . - وكان هناك جرس صغير ينفق
أثناء التكريس ثم مرة أخرى أثناء توزيع الكريان . وفي نفس الوقت
وقف الناس في وقار وقد أحلوا رؤوسهم ، ولكن أحدا لم يركع أثناء
الخدمة . وبعد ذلك غسل الكاهن القائم بالخدمة يديه في حوض نحاس
وجاء الشماس الذي هو نفسه ناظر المدرسة ودار حول الكنيسة حاملاً
طبقاً به قطع صغيرة من القريان ثم وضعها على جيب الحاترين ، وتبعه
أحد شماسة الخدمة في الهيكل وبه طبق جمع فيه القطع من الطفرين .

وحسبنا الآن أن الخدمة قد انتهت ولكن بقي أربعة أطفال سفار
دوى لون بنى صيدى وهي انتظار البركة المحتاجة ، وكان هؤلاء الأيتام
الأربعة الصغار قد حملوا إلى الكنيسة بعرفة أربعة من شمامسة الهيكل
وتبعم أربعة آباء فقهي ، وغنم الكهنه بمسلة قصيرة للبركة ورسوم
الأطفال بالمصليب الذي غمسه في ماء الحوض الذي غسل فيه يديه من
قبل تم شرب الماء ومسح الحوض بقطعة من القربان ، وأكل القربان ،
وصرف الأربعة المصدين الصغار بعد أن يتركهم في سرعة (٢) .

وأخيرا ، قال الأسقف الذي لم يشترك في خدمة القداس ولا في
التناول ، نزل من كرسية وقف أمام المذبح لكن يبارك الجمهور - وحسب
أصطبل جميع الرجال والأطفال في صف واحد بين الجانبين والجانبين
جانب واحد ، لم انصرفوا من الجانب الآخر بعد أن وضع الأسقف يده على
رأس كل واحد منهم أثناء مرورهم - وعندما كانوا يتكاثرون كان الأسقف
يصفى يديه متصجلا ويوم ناظر المدرسة بالاحسان اليهم طالبا سرعة
المرور وبعد انتهاء مرور الجميع (تلاحظ أن النساء والبسات قد مررن
ولم يكن نصيبا من خدمة البركة) حلق الكاهن ملابس الخدمة البيضاء
ووضعها في كومة فوق المذبح - وقام الكاهن بتوزيع سلة من القربان
على الفقراء ، وسار الأسقف نحو آخر الصحن ، وكان أثناء سيره يأكل
قربان ويوزع قطعا منها على الأيتام الذين كانوا يرتدون
ملابس داخلة - وهكذا انتهت هذه الخدمة المتعبة والغريبة التي وصفتها
منه قبل السبب الذي تمثله ربما مع بعض التغيير ، وهو أنها أقدم عبادات
مسيحية تجري عازيتها في مصر منذ فجر التاريخ (١) .

(١) لاحظت للكنيسة هذا بحالت غير مريحة وأرسلنا للكنيسة وصفات القداس بها بمن
التجاولات وهو أن أحدا لم يفرح بها - (انظر ص ١٠)

(٢) الأيتام هم المسيحيون من طائفة القبطية الذين ولدوا بالطبيعة كالأسماء
للمسيح - وفي بعض النسخ من مذهبهم هذا والفرقة التي جميع طائفتها التي انتمت
في عصر الإمبراطور قسطنطين وقد أفلتت عليهم تسحية مملوكة التي يشترون بها تسير
إلى مقام البراسي وهو سور كان يطل على القصر القبطي بطلعهم الطيبة الواحدة -
أما نظام الكهنة في الكنيسة القبطية فيتكون من البابا ثم رؤساء أساقفة القبطية
والأساقفة والشماس والقسوس والخدامة والرفيعة - ومعارف مذهب القبطية في
المسيحية التي يتبعها الأثيوبيون ، انظر كتاب E W Lane وعضائه : The Manners
and Customs of the People of Egypt ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ ، ص ١١٠ ، ص ١١١ ، ص ١١٢ ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ ، ص ١١٨ ، ص ١١٩ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٤ ، ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ، ص ١٣٢ ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ ، ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٦ ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ ، ص ١٧١ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٣ ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ ، ص ١٧٦ ، ص ١٧٧ ، ص ١٧٨ ، ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ ، ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ ، ص ١٨٨ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ ، ص ١٩١ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ، ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ ، ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠١ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ ، ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠ ، ص ٢١١ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، ص ٢١٤ ، ص ٢١٥ ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ ، ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٥ ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ ، ص ٢٢٨ ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ ، ص ٢٣٣ ، ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١ ، ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٥١ ، ص ٢٥٢ ، ص ٢٥٣ ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٥٦ ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ ، ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٥ ، ص ٢٦٦ ، ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٧٠ ، ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٣ ، ص ٢٧٤ ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٠ ، ص ٢٨١ ، ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ ، ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٨٦ ، ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٨ ، ص ٢٨٩ ، ص ٢٩٠ ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ، ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٨ ، ص ٢٩٩ ، ص ٣٠٠ ، ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ ، ص ٣٠٤ ، ص ٣٠٥ ، ص ٣٠٦ ، ص ٣٠٧ ، ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩ ، ص ٣١٠ ، ص ٣١١ ، ص ٣١٢ ، ص ٣١٣ ، ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ ، ص ٣١٦ ، ص ٣١٧ ، ص ٣١٨ ، ص ٣١٩ ، ص ٣٢٠ ، ص ٣٢١ ، ص ٣٢٢ ، ص ٣٢٣ ، ص ٣٢٤ ، ص ٣٢٥ ، ص ٣٢٦ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ ، ص ٣٢٩ ، ص ٣٣٠ ، ص ٣٣١ ، ص ٣٣٢ ، ص ٣٣٣ ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٣٥ ، ص ٣٣٦ ، ص ٣٣٧ ، ص ٣٣٨ ، ص ٣٣٩ ، ص ٣٤٠ ، ص ٣٤١ ، ص ٣٤٢ ، ص ٣٤٣ ، ص ٣٤٤ ، ص ٣٤٥ ، ص ٣٤٦ ، ص ٣٤٧ ، ص ٣٤٨ ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ ، ص ٣٥١ ، ص ٣٥٢ ، ص ٣٥٣ ، ص ٣٥٤ ، ص ٣٥٥ ، ص ٣٥٦ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٥٨ ، ص ٣٥٩ ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٦ ، ص ٣٦٧ ، ص ٣٦٨ ، ص ٣٦٩ ، ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١ ، ص ٣٧٢ ، ص ٣٧٣ ، ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٥ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٧٧ ، ص ٣٧٨ ، ص ٣٧٩ ، ص ٣٨٠ ، ص ٣٨١ ، ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٤ ، ص ٣٨٥ ، ص ٣٨٦ ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٨٨ ، ص ٣٨٩ ، ص ٣٩٠ ، ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢ ، ص ٣٩٣ ، ص ٣٩٤ ، ص ٣٩٥ ، ص ٣٩٦ ، ص ٣٩٧ ، ص ٣٩٨ ، ص ٣٩٩ ، ص ٤٠٠ ، ص ٤٠١ ، ص ٤٠٢ ، ص ٤٠٣ ، ص ٤٠٤ ، ص ٤٠٥ ، ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٧ ، ص ٤٠٨ ، ص ٤٠٩ ، ص ٤١٠ ، ص ٤١١ ، ص ٤١٢ ، ص ٤١٣ ، ص ٤١٤ ، ص ٤١٥ ، ص ٤١٦ ، ص ٤١٧ ، ص ٤١٨ ، ص ٤١٩ ، ص ٤٢٠ ، ص ٤٢١ ، ص ٤٢٢ ، ص ٤٢٣ ، ص ٤٢٤ ، ص ٤٢٥ ، ص ٤٢٦ ، ص ٤٢٧ ، ص ٤٢٨ ، ص ٤٢٩ ، ص ٤٣٠ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ ، ص ٤٣٣ ، ص ٤٣٤ ، ص ٤٣٥ ، ص ٤٣٦ ، ص ٤٣٧ ، ص ٤٣٨ ، ص ٤٣٩ ، ص ٤٤٠ ، ص ٤٤١ ، ص ٤٤٢ ، ص ٤٤٣ ، ص ٤٤٤ ، ص ٤٤٥ ، ص ٤٤٦ ، ص ٤٤٧ ، ص ٤٤٨ ، ص ٤٤٩ ، ص ٤٥٠ ، ص ٤٥١ ، ص ٤٥٢ ، ص ٤٥٣ ، ص ٤٥٤ ، ص ٤٥٥ ، ص ٤٥٦ ، ص ٤٥٧ ، ص ٤٥٨ ، ص ٤٥٩ ، ص ٤٦٠ ، ص ٤٦١ ، ص ٤٦٢ ، ص ٤٦٣ ، ص ٤٦٤ ، ص ٤٦٥ ، ص ٤٦٦ ، ص ٤٦٧ ، ص ٤٦٨ ، ص ٤٦٩ ، ص ٤٧٠ ، ص ٤٧١ ، ص ٤٧٢ ، ص ٤٧٣ ، ص ٤٧٤ ، ص ٤٧٥ ، ص ٤٧٦ ، ص ٤٧٧ ، ص ٤٧٨ ، ص ٤٧٩ ، ص ٤٨٠ ، ص ٤٨١ ، ص ٤٨٢ ، ص ٤٨٣ ، ص ٤٨٤ ، ص ٤٨٥ ، ص ٤٨٦ ، ص ٤٨٧ ، ص ٤٨٨ ، ص ٤٨٩ ، ص ٤٩٠ ، ص ٤٩١ ، ص ٤٩٢ ، ص ٤٩٣ ، ص ٤٩٤ ، ص ٤٩٥ ، ص ٤٩٦ ، ص ٤٩٧ ، ص ٤٩٨ ، ص ٤٩٩ ، ص ٥٠٠ ، ص ٥٠١ ، ص ٥٠٢ ، ص ٥٠٣ ، ص ٥٠٤ ، ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٦ ، ص ٥٠٧ ، ص ٥٠٨ ، ص ٥٠٩ ، ص ٥١٠ ، ص ٥١١ ، ص ٥١٢ ، ص ٥١٣ ، ص ٥١٤ ، ص ٥١٥ ، ص ٥١٦ ، ص ٥١٧ ، ص ٥١٨ ، ص ٥١٩ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٢١ ، ص ٥٢٢ ، ص ٥٢٣ ، ص ٥٢٤ ، ص ٥٢٥ ، ص ٥٢٦ ، ص ٥٢٧ ، ص ٥٢٨ ، ص ٥٢٩ ، ص ٥٣٠ ، ص ٥٣١ ، ص ٥٣٢ ، ص ٥٣٣ ، ص ٥٣٤ ، ص ٥٣٥ ، ص ٥٣٦ ، ص ٥٣٧ ، ص ٥٣٨ ، ص ٥٣٩ ، ص ٥٤٠ ، ص ٥٤١ ، ص ٥٤٢ ، ص ٥٤٣ ، ص ٥٤٤ ، ص ٥٤٥ ، ص ٥٤٦ ، ص ٥٤٧ ، ص ٥٤٨ ، ص ٥٤٩ ، ص ٥٥٠ ، ص ٥٥١ ، ص ٥٥٢ ، ص ٥٥٣ ، ص ٥٥٤ ، ص ٥٥٥ ، ص ٥٥٦ ، ص ٥٥٧ ، ص ٥٥٨ ، ص ٥٥٩ ، ص ٥٦٠ ، ص ٥٦١ ، ص ٥٦٢ ، ص ٥٦٣ ، ص ٥٦٤ ، ص ٥٦٥ ، ص ٥٦٦ ، ص ٥٦٧ ، ص ٥٦٨ ، ص ٥٦٩ ، ص ٥٧٠ ، ص ٥٧١ ، ص ٥٧٢ ، ص ٥٧٣ ، ص ٥٧٤ ، ص ٥٧٥ ، ص ٥٧٦ ، ص ٥٧٧ ، ص ٥٧٨ ، ص ٥٧٩ ، ص ٥٨٠ ، ص ٥٨١ ، ص ٥٨٢ ، ص ٥٨٣ ، ص ٥٨٤ ، ص ٥٨٥ ، ص ٥٨٦ ، ص ٥٨٧ ، ص ٥٨٨ ، ص ٥٨٩ ، ص ٥٩٠ ، ص ٥٩١ ، ص ٥٩٢ ، ص ٥٩٣ ، ص ٥٩٤ ، ص ٥٩٥ ، ص ٥٩٦ ، ص ٥٩٧ ، ص ٥٩٨ ، ص ٥٩٩ ، ص ٦٠٠ ، ص ٦٠١ ، ص ٦٠٢ ، ص ٦٠٣ ، ص ٦٠٤ ، ص ٦٠٥ ، ص ٦٠٦ ، ص ٦٠٧ ، ص ٦٠٨ ، ص ٦٠٩ ، ص ٦١٠ ، ص ٦١١ ، ص ٦١٢ ، ص ٦١٣ ، ص ٦١٤ ، ص ٦١٥ ، ص ٦١٦ ، ص ٦١٧ ، ص ٦١٨ ، ص ٦١٩ ، ص ٦٢٠ ، ص ٦٢١ ، ص ٦٢٢ ، ص ٦٢٣ ، ص ٦٢٤ ، ص ٦٢٥ ، ص ٦٢٦ ، ص ٦٢٧ ، ص ٦٢٨ ، ص ٦٢٩ ، ص ٦٣٠ ، ص ٦٣١ ، ص ٦٣٢ ، ص ٦٣٣ ، ص ٦٣٤ ، ص ٦٣٥ ، ص ٦٣٦ ، ص ٦٣٧ ، ص ٦٣٨ ، ص ٦٣٩ ، ص ٦٤٠ ، ص ٦٤١ ، ص ٦٤٢ ، ص ٦٤٣ ، ص ٦٤٤ ، ص ٦٤٥ ، ص ٦٤٦ ، ص ٦٤٧ ، ص ٦٤٨ ، ص ٦٤٩ ، ص ٦٥٠ ، ص ٦٥١ ، ص ٦٥٢ ، ص ٦٥٣ ، ص ٦٥٤ ، ص ٦٥٥ ، ص ٦٥٦ ، ص ٦٥٧ ، ص ٦٥٨ ، ص ٦٥٩ ، ص ٦٦٠ ، ص ٦٦١ ، ص ٦٦٢ ، ص ٦٦٣ ، ص ٦٦٤ ، ص ٦٦٥ ، ص ٦٦٦ ، ص ٦٦٧ ، ص ٦٦٨ ، ص ٦٦٩ ، ص ٦٧٠ ، ص ٦٧١ ، ص ٦٧٢ ، ص ٦٧٣ ، ص ٦٧٤ ، ص ٦٧٥ ، ص ٦٧٦ ، ص ٦٧٧ ، ص ٦٧٨ ، ص ٦٧٩ ، ص ٦٨٠ ، ص ٦٨١ ، ص ٦٨٢ ، ص ٦٨٣ ، ص ٦٨٤ ، ص ٦٨٥ ، ص ٦٨٦ ، ص ٦٨٧ ، ص ٦٨٨ ، ص ٦٨٩ ، ص ٦٩٠ ، ص ٦٩١ ، ص ٦٩٢ ، ص ٦٩٣ ، ص ٦٩٤ ، ص ٦٩٥ ، ص ٦٩٦ ، ص ٦٩٧ ، ص ٦٩٨ ، ص ٦٩٩ ، ص ٧٠٠ ، ص ٧٠١ ، ص ٧٠٢ ، ص ٧٠٣ ، ص ٧٠٤ ، ص ٧٠٥ ، ص ٧٠٦ ، ص ٧٠٧ ، ص ٧٠٨ ، ص ٧٠٩ ، ص ٧١٠ ، ص ٧١١ ، ص ٧١٢ ، ص ٧١٣ ، ص ٧١٤ ، ص ٧١٥ ، ص ٧١٦ ، ص ٧١٧ ، ص ٧١٨ ، ص ٧١٩ ، ص ٧٢٠ ، ص ٧٢١ ، ص ٧٢٢ ، ص ٧٢٣ ، ص ٧٢٤ ، ص ٧٢٥ ، ص ٧٢٦ ، ص ٧٢٧ ، ص ٧٢٨ ، ص ٧٢٩ ، ص ٧٣٠ ، ص ٧٣١ ، ص ٧٣٢ ، ص ٧٣٣ ، ص ٧٣٤ ، ص ٧٣٥ ، ص ٧٣٦ ، ص ٧٣٧ ، ص ٧٣٨ ، ص ٧٣٩ ، ص ٧٤٠ ، ص ٧٤١ ، ص ٧٤٢ ، ص ٧٤٣ ، ص ٧٤٤ ، ص ٧٤٥ ، ص ٧٤٦ ، ص ٧٤٧ ، ص ٧٤٨ ، ص ٧٤٩ ، ص ٧٥٠ ، ص ٧٥١ ، ص ٧٥٢ ، ص ٧٥٣ ، ص ٧٥٤ ، ص ٧٥٥ ، ص ٧٥٦ ، ص ٧٥٧ ، ص ٧٥٨ ، ص ٧٥٩ ، ص ٧٦٠ ، ص ٧٦١ ، ص ٧٦٢ ، ص ٧٦٣ ، ص ٧٦٤ ، ص ٧٦٥ ، ص ٧٦٦ ، ص ٧٦٧ ، ص ٧٦٨ ، ص ٧٦٩ ، ص ٧٧٠ ، ص ٧٧١ ، ص ٧٧٢ ، ص ٧٧٣ ، ص ٧٧٤ ، ص ٧٧٥ ، ص ٧٧٦ ، ص ٧٧٧ ، ص ٧٧٨ ، ص ٧٧٩ ، ص ٧٨٠ ، ص ٧٨١ ، ص ٧٨٢ ، ص ٧٨٣ ، ص ٧٨٤ ، ص ٧٨٥ ، ص ٧٨٦ ، ص ٧٨٧ ، ص ٧٨٨ ، ص ٧٨٩ ، ص ٧٩٠ ، ص ٧٩١ ، ص ٧٩٢ ، ص ٧٩٣ ، ص ٧٩٤ ، ص ٧٩٥ ، ص ٧٩٦ ، ص ٧٩٧ ، ص ٧٩٨ ، ص ٧٩٩ ، ص ٨٠٠ ، ص ٨٠١ ، ص ٨٠٢ ، ص ٨٠٣ ، ص ٨٠٤ ، ص ٨٠٥ ، ص ٨٠٦ ، ص ٨٠٧ ، ص ٨٠٨ ، ص ٨٠٩ ، ص ٨١٠ ، ص ٨١١ ، ص ٨١٢ ، ص ٨١٣ ، ص ٨١٤ ، ص ٨١٥ ، ص ٨١٦ ، ص ٨١٧ ، ص ٨١٨ ، ص ٨١٩ ، ص ٨٢٠ ، ص ٨٢١ ، ص ٨٢٢ ، ص ٨٢٣ ، ص ٨٢٤ ، ص ٨٢٥ ، ص ٨٢٦ ، ص ٨٢٧ ، ص ٨٢٨ ، ص ٨٢٩ ، ص ٨٣٠ ، ص ٨٣١ ، ص ٨٣٢ ، ص ٨٣٣ ، ص ٨٣٤ ، ص ٨٣٥ ، ص ٨٣٦ ، ص ٨٣٧ ، ص ٨٣٨ ، ص ٨٣٩ ، ص ٨٤٠ ، ص ٨٤١ ، ص ٨٤٢ ، ص ٨٤٣ ، ص ٨٤٤ ، ص ٨٤٥ ، ص ٨٤٦ ، ص ٨٤٧ ، ص ٨٤٨ ، ص ٨٤٩ ، ص ٨٥٠ ، ص ٨٥١ ، ص ٨٥٢ ، ص ٨٥٣ ، ص ٨٥٤ ، ص ٨٥٥ ، ص ٨٥٦ ، ص ٨٥٧ ، ص ٨٥٨ ، ص ٨٥٩ ، ص ٨٦٠ ، ص ٨٦١ ، ص ٨٦٢ ، ص ٨٦٣ ، ص ٨٦٤ ، ص ٨٦٥ ، ص ٨٦٦ ، ص ٨٦٧ ، ص ٨٦٨ ، ص ٨٦٩ ، ص ٨٧٠ ، ص ٨٧١ ، ص ٨٧٢ ، ص ٨٧٣ ، ص ٨٧٤ ، ص ٨٧٥ ، ص ٨٧٦ ، ص ٨٧٧ ، ص ٨٧٨ ، ص ٨٧٩ ، ص ٨٨٠ ، ص ٨٨١ ، ص ٨٨٢ ، ص ٨٨٣ ، ص ٨٨٤ ، ص ٨٨٥ ، ص ٨٨٦ ، ص ٨٨٧ ، ص ٨٨٨ ، ص ٨٨٩ ، ص ٨٩٠ ، ص ٨٩١ ، ص ٨٩٢ ، ص ٨٩٣ ، ص ٨٩٤ ، ص ٨٩٥ ، ص ٨٩٦ ، ص ٨٩٧ ، ص ٨٩٨ ، ص ٨٩٩ ، ص ٩٠٠ ، ص ٩٠١ ، ص ٩٠٢ ، ص ٩٠٣ ، ص ٩٠٤ ، ص ٩٠٥ ، ص ٩٠٦ ، ص ٩٠٧ ، ص ٩٠٨ ، ص ٩٠٩ ، ص ٩١٠ ، ص ٩١١ ، ص ٩١٢ ، ص ٩١٣ ، ص ٩١٤ ، ص ٩١٥ ، ص ٩١٦ ، ص ٩١٧ ، ص ٩١٨ ، ص ٩١٩ ، ص ٩٢٠ ، ص ٩٢١ ، ص ٩٢٢ ، ص ٩٢٣ ، ص ٩٢٤ ، ص ٩٢٥ ، ص ٩٢٦ ، ص ٩٢٧ ، ص ٩٢٨ ، ص ٩٢٩ ، ص ٩٣٠ ، ص ٩٣١ ، ص ٩٣٢ ، ص ٩٣٣ ، ص ٩٣٤ ، ص ٩٣٥ ، ص ٩٣٦ ، ص ٩٣٧ ، ص ٩٣٨ ، ص ٩٣٩ ، ص ٩٤٠ ، ص ٩٤١ ، ص ٩٤٢ ، ص ٩٤٣ ، ص ٩٤٤ ، ص ٩٤٥ ، ص ٩٤٦ ، ص ٩٤٧ ، ص ٩٤٨ ، ص ٩٤٩ ، ص ٩٥٠ ، ص ٩٥١ ، ص ٩٥٢ ، ص ٩٥٣ ، ص ٩٥٤ ، ص ٩٥٥ ، ص ٩٥٦ ، ص ٩٥٧ ، ص ٩٥٨ ، ص ٩٥٩ ، ص ٩٦٠ ، ص ٩٦١ ، ص ٩٦٢ ، ص ٩٦٣ ، ص ٩٦٤ ، ص ٩٦٥ ، ص ٩٦٦ ، ص ٩٦٧ ، ص ٩٦٨ ، ص ٩٦٩ ، ص ٩٧٠ ، ص ٩٧١ ، ص ٩٧٢ ، ص ٩٧٣ ، ص ٩٧٤ ، ص ٩٧٥ ، ص ٩٧٦ ، ص ٩٧٧ ، ص ٩٧٨ ، ص ٩٧٩ ، ص ٩٨٠ ، ص ٩٨١ ، ص ٩٨٢ ، ص ٩٨٣ ، ص ٩٨٤ ، ص ٩٨٥ ، ص ٩٨٦ ، ص ٩٨٧ ، ص ٩٨٨ ، ص ٩٨٩ ، ص ٩٩٠ ، ص ٩٩١ ، ص ٩٩٢ ، ص ٩٩٣ ، ص ٩٩٤ ، ص ٩٩٥ ، ص ٩٩٦ ، ص ٩٩٧ ، ص ٩٩٨ ، ص ٩٩٩ ، ص ١٠٠٠ ، ص ١٠٠١ ، ص ١٠٠٢ ، ص ١٠٠٣ ، ص ١٠٠٤ ، ص ١٠٠٥ ، ص ١٠٠٦ ، ص ١٠٠٧ ، ص ١٠٠٨ ، ص ١٠٠٩ ، ص ١٠١٠ ، ص ١٠١١ ، ص ١٠١٢ ، ص ١٠١٣ ، ص ١٠١٤ ، ص ١٠١٥ ، ص ١٠١٦ ، ص ١٠١٧ ، ص ١٠١٨ ، ص ١٠١٩ ، ص ١٠٢٠ ، ص ١٠٢١ ، ص ١٠٢٢ ، ص ١٠٢٣ ، ص ١٠٢٤ ، ص ١٠٢٥ ، ص ١٠٢٦ ، ص ١٠٢٧ ، ص ١٠٢٨ ، ص ١٠٢٩ ، ص ١٠٣٠ ، ص ١٠٣١ ، ص ١٠٣٢ ، ص ١٠٣٣ ، ص ١٠٣٤ ، ص ١٠٣٥ ، ص ١٠٣٦ ، ص ١٠٣٧ ، ص ١٠٣٨ ، ص ١٠٣٩ ، ص ١٠٤٠ ، ص ١٠٤١ ، ص ١٠٤٢ ، ص ١٠٤٣ ، ص ١٠٤٤ ، ص ١٠٤٥ ، ص ١٠٤٦ ، ص ١٠٤٧ ، ص ١٠٤٨ ، ص ١٠٤٩ ، ص ١٠٥٠ ، ص ١٠٥١ ، ص ١٠٥٢ ، ص ١٠٥٣ ، ص ١٠٥٤ ، ص ١٠٥٥ ، ص ١٠٥٦ ، ص ١٠٥٧ ، ص ١٠٥٨ ، ص ١٠٥٩ ، ص ١٠٦٠ ، ص ١٠٦١ ، ص ١٠٦٢ ، ص ١٠٦٣ ، ص ١٠٦٤ ، ص ١٠٦٥ ، ص ١٠٦٦ ، ص ١٠٦٧ ، ص ١٠٦٨ ، ص ١٠٦٩ ، ص ١٠٧٠ ، ص ١٠٧١ ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٧٣ ، ص ١٠٧٤ ، ص ١٠٧٥ ، ص ١٠٧٦ ، ص ١٠٧٧ ، ص ١٠٧٨ ، ص ١٠٧٩ ، ص ١٠٨٠ ، ص ١٠٨١ ، ص ١٠٨٢ ، ص ١٠٨٣ ، ص ١٠٨٤ ، ص ١٠٨٥ ، ص ١٠٨٦ ، ص ١٠٨٧ ، ص ١٠٨٨ ، ص ١٠٨٩ ، ص ١٠٩٠ ، ص ١٠٩١ ، ص ١٠٩٢ ، ص ١٠٩٣ ، ص ١٠٩٤ ، ص ١٠٩٥ ، ص ١٠٩٦ ، ص ١٠٩٧ ، ص ١٠٩٨ ، ص ١٠٩٩ ، ص ١١٠٠ ، ص ١١٠١ ، ص ١١٠٢ ، ص ١١٠٣ ، ص ١١٠٤ ، ص ١١٠٥ ، ص ١١٠٦ ، ص ١١٠٧ ، ص ١١٠٨ ، ص ١١٠٩ ، ص ١١١٠ ، ص ١١١١ ، ص ١١١٢ ، ص ١١١٣ ، ص ١١١٤ ، ص ١١١٥ ، ص ١١١٦ ، ص ١١١٧ ، ص ١١١٨ ، ص ١١١٩ ، ص ١١٢٠ ، ص ١١٢١ ، ص ١١٢٢ ، ص ١١٢٣ ، ص ١١٢٤ ، ص ١١٢٥ ، ص ١١٢٦ ، ص ١١٢٧ ، ص ١١٢٨ ، ص ١١٢٩ ، ص ١١٣٠ ، ص ١١٣١ ، ص ١١٣٢ ، ص ١١٣٣ ، ص ١١٣٤ ، ص ١١٣٥ ، ص ١١٣٦ ، ص ١١٣٧ ، ص ١١٣٨ ، ص ١١٣٩ ، ص ١١٤٠ ، ص ١١٤١ ، ص ١١٤٢ ، ص ١١٤٣ ، ص ١١٤٤ ، ص ١١٤٥ ، ص ١١٤٦ ، ص ١١٤٧ ، ص ١١٤٨ ، ص ١١٤٩ ، ص ١١٥٠ ، ص ١١٥١ ، ص ١١٥٢ ، ص ١١٥٣ ، ص ١١٥٤ ، ص ١١٥٥ ، ص ١١٥٦ ، ص ١١٥٧ ، ص ١١٥٨ ، ص ١١٥٩ ، ص ١١٦٠ ، ص ١١٦١ ، ص ١١٦٢ ، ص ١١٦٣ ، ص ١١٦٤ ، ص ١١٦٥ ، ص ١١٦٦ ، ص ١١٦٧ ، ص ١١٦٨ ، ص ١١٦٩ ، ص ١١٧٠ ، ص ١١٧١ ، ص ١١٧٢ ، ص ١١٧٣ ، ص ١١٧٤ ، ص ١١٧٥ ، ص ١١٧٦ ، ص ١١٧٧ ، ص ١١٧٨ ، ص ١١٧٩ ، ص ١١٨٠ ، ص ١١٨١ ، ص ١١٨٢ ، ص ١١٨٣ ، ص ١١٨٤ ، ص ١١٨٥ ، ص ١١٨٦ ، ص ١١٨٧ ، ص ١١٨٨ ، ص ١١٨٩ ، ص ١١٩٠ ، ص ١١٩١ ، ص ١١٩٢ ، ص ١١٩٣ ، ص ١١٩٤ ، ص ١١٩٥ ، ص ١١٩٦ ، ص ١١٩٧ ، ص ١١٩٨ ، ص ١١٩٩ ، ص ١٢٠٠ ، ص ١٢٠١ ، ص ١٢٠٢ ، ص ١٢٠٣ ، ص ١٢٠٤ ، ص ١٢٠٥ ، ص ١٢٠٦ ، ص ١٢٠٧ ، ص ١٢٠٨ ، ص ١٢٠٩ ، ص ١٢١٠ ، ص ١٢١١ ، ص ١٢١٢ ، ص ١٢١٣ ، ص ١٢١٤ ، ص ١٢١٥ ، ص ١٢١٦ ، ص ١٢١٧ ، ص ١٢١٨ ، ص ١٢١٩ ، ص ١٢٢٠ ، ص ١٢٢١ ، ص ١٢٢٢ ، ص ١٢٢٣ ، ص ١٢٢٤ ، ص ١٢٢٥ ، ص ١٢٢٦ ، ص ١٢٢٧ ، ص ١٢٢٨ ، ص ١٢٢٩ ، ص ١٢٣٠ ، ص ١٢٣١ ، ص ١٢٣٢ ، ص ١٢٣٣ ، ص ١٢٣٤ ، ص ١٢٣٥ ، ص ١٢٣٦ ، ص ١٢٣٧ ، ص ١٢٣٨ ، ص ١٢٣٩ ، ص ١٢٤٠ ، ص ١٢٤١ ، ص ١٢٤٢ ، ص ١٢٤٣ ، ص ١٢٤٤ ، ص ١٢٤٥ ، ص ١٢٤٦ ، ص ١٢٤٧ ، ص ١٢٤٨ ، ص ١٢٤٩ ، ص ١٢٥٠ ، ص ١٢٥١ ، ص ١٢٥٢ ، ص ١٢٥٣ ، ص ١٢٥٤ ، ص ١٢٥٥ ، ص ١٢٥٦ ، ص ١٢٥٧ ، ص ١٢٥٨ ، ص ١٢٥٩ ، ص ١٢٦٠ ، ص ١٢٦١ ، ص ١٢٦٢ ، ص ١٢٦٣ ، ص ١٢٦٤ ، ص ١٢٦٥ ، ص ١٢٦٦ ، ص ١٢٦٧ ، ص ١٢٦٨ ، ص ١٢٦٩ ، ص ١٢٧٠ ، ص ١٢٧١ ، ص ١٢٧٢ ، ص ١٢٧٣ ، ص ١٢٧٤ ، ص ١٢٧٥ ، ص ١٢٧٦ ، ص ١٢٧٧ ، ص ١٢٧٨ ، ص ١٢٧٩ ، ص ١٢٨٠ ، ص ١٢٨١ ، ص ١٢٨٢ ، ص ١٢٨٣ ، ص ١٢٨٤ ، ص ١٢٨٥ ، ص ١٢٨٦ ، ص ١٢٨٧ ، ص ١٢٨٨ ، ص ١٢٨٩ ، ص ١٢٩٠ ، ص ١٢٩١ ، ص ١٢٩٢ ، ص ١٢٩٣ ، ص ١٢٩٤ ، ص ١٢٩٥ ، ص ١٢٩٦ ، ص ١٢٩٧ ، ص ١٢٩٨ ، ص ١٢٩٩ ، ص ١٣٠٠ ، ص ١٣٠١ ، ص ١٣٠٢ ، ص ١٣٠٣ ، ص ١٣٠٤ ، ص ١٣٠٥ ، ص ١٣٠٦ ، ص ١٣٠٧ ، ص ١٣٠٨ ، ص ١٣٠٩ ، ص ١٣١٠ ، ص ١٣١١ ، ص ١٣١٢ ، ص ١٣١٣ ، ص ١٣١٤ ، ص ١٣١٥ ، ص ١٣١

وقبل دعائنا طلبا الاذن بالنظر في الكتب التي كانت تقرأ أثناء الخدمة ، وكانت كلها قديمة ومستهلكة وكان اصلها حلا هو الكتاب الذي يصبح اسفار العهد الجديد ، وكان مكتوبا على الرق بالحبر الاحمر والاسود ، ولاتيك ان القبطي مثل اليوناني محافظ ولا يميل الابتكار - ولقد انتبها بعض الحروف القبطية لانها تشبه الحروف الهيروغليفية المروقة (٢٣) .

وعندما كنا نقص الكتب أرسل الأسقف حاديه يدعونا لزيارته - وسما الرجل قصصنا صه دوجات سلم حجري خارجي يقع في احد اركان الفناء ، وادخلنا الى حجرة كمية يقع حرة منها فوق سطح الكنيسة - وهنا وجدنا الاسقف - كان وسيما ومعتلى الجسم قلبلا ووفورا وله عيبيان لاعتملى ملون يسي ، ولحية ذات لون رمادي تقريبا - وقد جلس متربعا على اريكة وهو يسخن لارجيلته - وقد وضعت قارورتان او ثلاثة من الميسيرى الشرقي باللونين الأزرق والأبيض فوق منضدة في وسط الحجرة ، وكانت النوافذ الكبيرة التي يعلو سنانها تطل على الكرك - واشدت العواصف المصوية لتشل وتخرج منها مع عيوب الرياح -

وقد استقبلتنا الأسقف بحفاوة ، وبعد اللقطة كالمادة بتقديم الخبز والقهوة - وقد تصدقت المحادثة التي تلت ذلك الأسئلة التي كنا نقوم بتوجيهها والاحاديث التي كان يشتمها من جانب - لقد سألنا عن حدود ايباوسيته وعرفنا أنها تمتد في أسوان في الجنوب حتى قنا في الشمال - وقال ان ابراهيم يحصل بكامله من ثوقاف الأراسى الزويعية ، وقد عمو

١ - الخبز به المبركة في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م ونوضح هنا ان القبطيين هم الالهية (النمرت) والانسانية (الناسوت) منفصلين في شخص المسيح الواحد بينما القبطيين حدثان في طبيعة واحدة في شخص المسيح الواحد لدى القبطية - انه لا انقسام في المسيح (٢٤) اعلم - وقد اترتب على الفراع الذي جرى في مجمع خلقيدونية للفصل القريين عن الكنيسة الارمنية وظهر طيف الكاثوليك الذي خرج منه في بداية العصور الحديثة كما اذهاب البيروستنتيكه ، بينما ظلت الكنائس الشرقية على انسان الخناس بالبايعة الواحدة للمسيح وهو الايمان الارثوذكسي وظلت مصر متمسكة في كنيسة الاسكندرية القبطية الارثوذكسية تعود للعالم المسمى حسب الفكر المسلم من رسمه المسيح وتمسكها في ذلك طية الكنائس الارثوذكسية في الشرق وبقى طية في الغرب - (التقديم)

(٢٥) للحروف القبطية ٢٥ من ١٧ حروفا يونانية مصالفا فيها شامية حروف هيروغليفية - (المراجع)

الاضطراب في الأقصر بألفي قبلي وهي نسبة تبلغ قلت عدد السكان . وقد سببت الكبيسة وتمت حرقها في عهد ملته ، لما هو فقد جلس على كرسي الإعتقبة عند فترة الانتصار أربع سنوات ثم تعلقها على الخيمة التي ساعد بها عبد لحقة وعن الكتب التي اطلعنا عليها وأملعت على كتاب اصولات الخاص في قصصه باستقراء شديد . فشرحت له الاحداث المأثورة في المخطوطات المكتوبة بالحبر الاسود والصابون الكتوية بالحبر الأحمر . كما اشرت الى الأجزاء التي تؤدي الى شكل ترائيم ، ولكنه كان أكثر اهتماما بالخلاف الخارجى عنه يضمنون الكتاب ، وتقر عليه مرة او مرتين لكي يصرف ما اذا كان مصوعا من الجلد أو المصنوب أما عن الأركان المطلة مياه الذهب والازيم فلم يملك في أنها جميعها مصنوعة من الذهب .

ثم تحول الموضوع للحديث عن اللغة القبطية مساله الرجل الكسول عما اذا كان يتقنه أن هذه اللغة هي نفسها لغة المصريين القدماء . فاجاب في ذلك قائلا :

« لا شك في ذلك . وماذا يمكن أن تكون غير ذلك ؟ »

وحنا ذكر الرجل الكسول انه جد أن اطلع على بعض كتب الكنيسة عن اللغة القبطية يبدو له يوصلها شكلا جغريا في اشكال اللغة اليونانية البيزنطية . فجز الأستاذ وأسمه وقال :

« ان اللغة القبطية لغة متصلة مستقلة . وقد اُخبرنا الى الأبيدية القبطية من اليونانية لسانية حروف عند دخول المسيحية الى مصر . ومنذ ذلك دخلت العديد من الكلمات اليونانية الى مفردات اللغة القبطية . ولكن ظلت اللغة القبطية كما هي . نقية وخالصة وليس بينها وبين اللغة اليونانية أية صلة بطرية » (١٦) :

(١٦) كان الأستاذ معنا في محفل حديثه باللغة القبطية عن اللغة المصرية القديمة (بمعنى أنها باللغة المصرية الفصحى والحرف) وهي مكتوبة بالحروف الفينيقية بدلا من الفونيقية وذلك لأن الفصحى من الكتابة المصرية القديمة كان يحسن الفونيكات آخره الكنيسة المصرية المبكرة في مصر بعد النصر من صوب وتحليل اللغة القديمة . ولما كان من الصعب الفلاح ظهور وإبادة لغة أمة عظيمة فلا أدوم أكلهم المسيحيون بأن يفسروها لغيرها جديدا بحيث تفتقر منها كلمة المزمور للقبطية بفتح نسيانها . وفي عصر القديس كاسيمير الاسكندر (٧١٩ ميلادية) بدأ استخدام الكتابة الفونيقية ولم =

وكان هذا بطول حديث اسمعنا اليه - وقد اقبل به المسامح
بعض التاكيد .

ثم سألته عما اذا كانت اللغة القبطية لغة ميتة (اي لم يستخدمه
في شئون الحياة اليومية) فاجاب بان العديد من الكلمات القبطية مثل
اسماء الشهور وبعض الاعياد - ما زالت مستخدمة حتى اليوم - رغم ان
ذلك هو ما اتصفه بالضيقة ولذلك اُغلب حياة السؤال وسأله عما اذا
كان هناك بعض عبارات في القبطية ما زالت موجودة بين الناس -
وتوقف برهة قبل ان يجيب قائلا : « هذا سؤال يصعب الرد عليه بشكل
دقيق ولكني اظن انك قد تجدني في بعض القرى البعيدة رجالا هموزا
ببشي من او هناك يستطيع ان يلهم اللغة القبطية الى حد ما »

- وسبح من قراءة اليهودية حتى ومن سقوط الاسطرخية الرومانية التوتية وفه
تعدنا في احدى جوانب هذا الكتاب من قبل من الكلمة التي اكتشف بها شامليون
مفتاح اللغة اليهودية ؟ - ويقول شامليون عن تماثل بين اللغة القبطية واللغة
السريانية القبطية

« La langue égyptienne antique ne différait en rien de la langue
appelée vulgairement copte. Les mots égyptiens écrits en
caractères hiéroglyphiques sur les monuments les plus anciens de
Thèbes, et en caractères grecs dans les livres royaux, se différencient en
général que par l'absence de certaines voyelles médiales dures, selon
la méthode consignée dans l'orthographe primitive. » Grammaire Égypto-
ienne p. 118.

وبالمثل في ان الاسلاف كان معمولا تماما في قوله بان اللغة القبطية والكلمة السريانية
القبطية هما لغة واحدة - وان القبطية كانت لغة مستقلة وليست لها علاقة باللغة
اليونانية ؟ انه مسلمه تماما في هذا الجزء الثاني من التوضيح وهو المعلق بالسريانية
الابجدية انه ذكر في هذه نهاية حروف من الابجدية اليونانية اصبحت الى الابجدية
القبطية عن تحول المسيحية الى مصر علم ذكر هناك لغة قبطية حديثة عن هذه التاريخ
فالابجدية القبطية هي الابجدية اليونانية كما فرضوا حتى عصر آباء الكنيسة كايرونية
التيك - وان هذه الابجدية كانت غير كافية لفضل جميع اصوات الفسان المصريات ولذلك
تمت امتدادها لتعاقب حروف من اللغة القبطية لاستكمال النقص -

تعلق من الترجمة : كانت اللغة اليونانية هي لغة الآباء والطرح وطرح مستقلة
بمكتبتها منه حتى في العصر الروماني . وقد كتب آباء الكنيسة القبطية الاوائل مثل
القيسوسين كايوس وقريوانوس وتانسيس للبربرلي مؤلفاتهم باليونانية التي كانت
مستخدمة الى جانب اللغة القبطية التي استلزم الاملاء لكتابتها الابجدية اليونانية التي
كانت معروفة ومستمدة في مصر منذ فتح الاسكندر الاكبر واليوم اسرة البطاطة الذين
يعودون الى اهل يونس مع اضافة الحروف القبطية من القبطية وهي حقيقة لا يمكن
ان يغيبوا نوايا الاسلاف - ولا شك ان القبطية بطولها تلك يمتحن اراشهم ولم يفرغها
عليهم احد لانهم كانوا على تربية القبطية التي جانب لغتهم المصرية - (الترجمة)

ونظر ان هذه اجماعة مهمة على سؤال مهم .

ويعد ابن بطيما حوالى نصف الساعة ، وقفنا للرجل ، فقد استقم
على ايديه فردا فردا ، وقد صبحنا الى قمة السلم وهو امر كما
يحاو له منه .

وكانت هذه مقابلة سارة ، فقد قيل لنا ان الاقباط يتصرفوه
يخشونه وأهم شديدا النصب ، لدرجة أنهم لا يكرهون التمسك بسلم
بقوى كراحتهم لأتباع الطوائف المسيحية .

وبالرغم من معرفه عن ذلك إلا أننا لم نر شيئا منه ، بل على العكس
وجدنا سلوكيات عديدة ثم عن الأدي من الأساطير الذي حصرنا معهم
حكمة القديس - وأظن انه في صالح يأتي لل مصر لا يمكن ان يتجاهل
حضور القديس في إحدى الكنائس القبطية . لأن الكنيسة القبطية الآن
هي المكان الوحيد الذي يستطيع الأسماء ان يستريح فيه الى أمر مصيراته
ذلك المحس البعيد الذي يجلسا بجانبه على سرته نامة به .
أنا معرف أنه قد دخلت تغييرات كثيرة على هذه اللغة منذ كانت هي اللغة
التي تحدث بها رمسيس الأكبر وكتب بها بتاتفور . ونصروا ان أقباط
أن يوم يشبهون المصريين الذين عاشوا في عصور الفرعون الى حد ما ،
ربما يمثل التشابه الموجود بين الانجليز الذين عاشوا مصر حاكمي هؤلاء
الذين عاشوا مصر قديم . ولكن اللسان المصري القديم غير مستخدم
حاليا ، ولذلك كنا مضطركم لسماع تلك الأصوات الأخيرة لهذه اللغة القديمة
عندما كان يتلوا ألقاد هؤلاء المصريين الذين لا يشك أحد في اختصارهم
اليوم . وأكثرت في خلال الخمسين عاما الماضية ثم نرى ذلك ان تصل اللغة
العربية محل القبطية في ثلاثة قديسات هذه الكنيسة . وحينذاك
سيصبح تقليد النطق بها . وقد قيل ان الأساطير أنفسهم أخذوا طمسون
العقيدة السائدة . وربما يحدث في الوقت الذي يقوم به ألقادنا
بالاحتفال بسور الف عام على ظهور المسيحية ان يكون الأقباط واللغة
القبطية قد اندثرا معا من مصر (م) .

(*) ان كان المراد انه بالكثرة الى اليوم لم يمانعت الامم كطلي الأقباط
وكثرتهم الأرثوذكسية ولهم القبطية في بلاد اسبانيا والبرتغال وبلاد المغرب في الأمريكتين
واستراليا وأوربا . ولابد ان الأقباط في إنجلترا كانوا سرحون لها الدعوة لعضود
منظمة الاحتفال بسور الف عام على ظهور المسيحية بالكثيرة القبطية الموجودة حاليا
في لندن - (المرجع)

وبعد ذلك بيوم أو يومين انصرفنا إلى الكرنك ، وبقينا هناك حتى
نهاية الأسبوع ، وفي الأحد التالي استأنفنا رحلتنا إلى الشمال .

وأذا لم يكن عالم الأدب مشروطا وأن الكتاب الحظي غير مضمود
بتمصرى الزمن والمساحة ، فقد كنت أوصف بإضافة فصل آخر هنا عن
الكرنك ، ولكن الكتابة عن الكرنك يا صبيائي ، ستحتاج ليس فقط إلى
فصل بل إلى مجلد . ولذلك قسا هنا قد ذكرنا شيئا عن لؤلؤ الطبايع تركه
قينا هذا إليه من الجانب فاذن لن نضيف شيئا آخر .

الفصل الثاني والعشرون

أينسوس والقباهره

وعرت الأسابيع الأجره من رحلتنا الملييه مثل يوم صيف طوي
يظن الى الكسل ، فقد أصبحت الأحداث قليلة ، وقد تلوّفتنا على زملائنا
الساحليين من حيث طول الفتره التي قصيماها ، وحتى ركاب النحبيه
ياحسبون الأوتيا، مضى على رحيلهم الى الشمال فترة طويلة ، وكانت
فيله من آخر دهبه لهذا السام - ولم يتبق أمامنا من مناظر الليل العظيم
الا مشاهدة أينسوس وبلي حسن ، ولم يعد لدينا الكثير من القوه للقيام
بالرحلات الصغره والرحلات اليومية واستطلاعات الطريق ، ذلك لأن
درجات الحراره كانت ترتفع كل يوم ، كما أخذ مستوى نهر النيل
ينخفض تدريجيا ، وكنا على وشك الموند لو لم يحضر بتأثيرات ريح مصر
التي تخفي عن إشاعة روح الكسل .

في الموطنين يهونه الربيع ، أما بالنسبة لخيالنا من الذين يعيش
في الشمال فهو عبارة عن وصول الربيع والصيف والحريف محتمه مما
غير فصل واحد . ولي يستطيع تكوين مفهوم عن عظمه الأحوال والمشي
الفرير للثربه في هذا الفصل ، الا هؤلاء الذين تباطأوا في الرحيل
بالنسبة الآخرين - وتجد الآن صغوا شغلا لم تكشفه صفحة الأرض من
قبل . وبدأت حضرة أشجار النخيل التي كانت يابسه في الشتاء ، تتلاني
سرعة - وأحلت المحاصيل في النضج ، وبدأ الحمام يزاوج ، وقد جاء
وقت نماء الطيور ، وأصبحت الرياح التي تهب كل يوم كافيه لأن تجعل
للنسيم تسير في طريقها بشكل مستقيم ، وتكون دون خفقات الشراع .
لقد ارتفعت درجة الحراره ولكنها ظلت عند المستوى الذي يستطيع
الإنسان أن يستتح به - وكان الرجال يجدون ليل ، وينامون نهارا
تحت الأرائك المستطيله ، أو يقنون الأطناس القديسه ، أو يصمون بالحكايات
فسا بينهم همت خفيض ، أما بخصوص الخطأ الرقيق من السنان الذي
يعاقب فوق القرى، فإنه يوحى للإنسان بأن تلك المجموعات من الأكرام

الطينية قد حجروها سكانها . لآنا لم بعد نصلها كائنا بشريا يتجول على الضفتين يده سطوح الشمس . وكانت كل حليمسة تكف في المياه الضحلة التي تصل الى عنقها . ربما كانت الحمر تترامم معا حنا ويحت الظن . وقد نخلت الكلاب عن الساج ورقلت مائة تمت ظل الحمرات .

لقد تميز وجه البلد وكذلك النيل . عن المرة الأولى التي عبرنا فيها من قبل . ذلك دن الأرض التي كانت قد تحولت الى ساحة مربعة مثل رقعة الشطرنج الخضبة وتخلتها آلاف القنات الصغيرة . قد أصبح الآن بعمرا وأحسا يسوع بمائل القبح الصقراء . أما النهر فقد تحول الى مناهة من الضفاف الرملية التي كان يضيها حفرها والبض الآخر كبيرا . والبض الآخر على وشك أن يظل يرأسه فوق سطح الماء . وكان ينصها بالغ الطول بحيث يمشق النهر على امتداد ميل أو أكثر . لقد قدس الرئيس حسن نصف حياته على مقعدة السفينة داحتها عن الأماكن الضحلة من النهر لكي يستحسن في عبورها المهي الطويلة التي تنزع الى فاع النهر . وعنصا كنا نسير على المساحات الرملية المستقيمة كما رأينا كما لو كانت جردا من فناء السوي . وكذلك كان النهر المفتح يمايل صعب اندرهما عندما أخذنا طريقنا في اتجاه الجنوب . أما حفره الممس التي كانت قد ازهرت على المسحر الذي على حافة الماء فقد ساعدت الآن الى قمة العائمة الجبلية القديمة الاكسندر ذات اللون البني التي تمتد عند قاعدة سطح رطب مروع بالسطح . وقد امتد فوق سطح صقير من سطح التكيل لحمايتها من الشمس .

وفي نفس الوقت الذي أصبح فيه مستوى النهر منخفضا مع ارتفاع الضفتين لم يستطع لسو الحظ أن تستبح نبات السم الحصفة التي أصبحت تحرق أعواد الخشب بين حين وآخر . وأحد الترموير (الملق في أشد أركان القنالون بروند) يزحف الى أعلى متجاوزا درجة ٩٩ فهرنهايت ، ولكنه لم يصبح في الوصول الى درجة ١٠٠ . وعلى كل حال فقد كنا ونحن نعيش في جو نصف مظلم ولولا ذلك مظلمة م أشعة ميلة . قسا بقرها على حوائط المحمية ، ومناشيف ميلة ميلة داخل قمارنا . صد أن درجة ٩٩ دافئة بما يكفي للاسساس بالمسادة . وكنا نسير السطح العلوي بالماء عة مران موميا . ومع ذلك كان من الصعب منح ألواح الخشب من البروز . وفي نفس الوقت كرسست السفرة (ل) والرحل الكسول أوقات فراغها للقضاء على الذباب باستخدام مشاع

حديقة ووش الأرمصاب - وفي خلال هذه الفترة كلها كنا نتقدم ببطء لان الرجال لا يستطيعون التحديف نهارا - وبينما كانت الضواطف الرممية الفارقة تهددنا بأسطارها أثناء الليل فلم يجد قى وسعنا الا التضم ليدت آميال خلال الفترة ما بين غروب الشمس وشرقها باستخدام المعى الطويلة التي تدفع الى قاع النهر - وكنا من المعى والآخر نأثى الى مساحة حالية من المواش - كما اما كنا في بعض الأحيان متقابل مع النسبم الجنوبيين ذلرقيق ليدت مساحة او مساعين ولكن هذه المصطت من الحظ السعيد كانت قليلة ومتباعدة .

وفي متن هذه الظروف والايواء - وجدنا أنفسنا على بعد ستة أميال من دندرة ولكن حتى السبعة (ل) لم تقع تحت اقراء وكوب الصبح لقطع هذه الأميال الستة تمت حرارة الشمس ذلك اليوم - أما الكاتبة فأمرت بنصب خيمة الرسم وقامت بزيارة احية للسعيد الذي كان يظهر كثيرا وضعا لوحيدا على بعد أميال وسط حقول الشجر الناصجة .

وبعد ذلك يومين او ثلاثة أصبحنا في دائرة محيد أبيبوس - وكان علينا ان ننفذ طريقنا الى البلينا وهي إحدى النقاط المعروفة التي تبين حدود أبيبوس - ولكن لسوء حظنا وجدا شاطئا ومليا غارلا يسد الطريق - ولذلك رمونا هذه المسطة وهي قرية تقبع جنوب أبيبوس يحولل ميلين - وهنا طلب الترحيلان من الأميال أن يحضروا لنا الصبح - وكان موسم الحصاد قد بدأ في المنطقة المجاورة وانشغال جميع دواب الحبل بالعمل ولذلك لم لنجح الا عند منتصف النهار في الحصول على ثلاثة او أربعة حبر بالسة بدلنا بها دجملتنا - واتضح لنا أن هذه الحبر لم يركبها أحد من قبل - ولذلك قضينا معها فترة مفعلة بالخوف - وكان الحمار القى أركه نجس مرة كل خمس دقائق - أما حمار السيفة (ل) فقد كان يرمح كالحمل ويكثر عن أمابه كالكلب - أما حمار الرجل الكسول فقد كان يثنى الأرض براكه ويرقد ويتسرح على فترات قصيرة - وهذه الطريقة القديرة تقطعت الأميال السبعة التي تفصل المسطة عن أبيبوس - وبعد أن مرنا بمسافة مزارع الخيل - وعبرنا المجرى الخلف لاسدى الترع - خرجنا الى سهل واسع ندى سطحه شبه بسطح البحيرة - وقد منارث على صفحته القرى هنا وهناك - وغطت مسطحة سبائل القمح المتبرجة - هذا هو سهل ثنى القديم الذي يجري موزيا لمجرى النيل مثل سهل طيبة - وصعدت من الجهة الغربية سلسلة من الجبال ذات القمم المسطحة - والمسافة بين النهر والجبال هنا أكبر منها في طيبة حيث تبلغ ستة أميال كاملة مناسا تتلاصق المنظر مع الأفق في الشمال والجنوب -

وكان طريقنا يقع في البداية في مسار مخصص لميوز الحيزل عبر
 حقول الشعير الكثيفة ثم يهبط إلى طريق البليفا وهو طريق يرتفع عبر
 السهل نحو إلى بحرين لهما - واحد الفلاويو يسير في دهايا وإياها بطول
 هذا الطريق - وقد أقيمت بعض مصروعات الأكوام المبنية من القش في
 المساحات القصية التي اجتثت منها أعواد الذرة وهناك على الجانب من
 هذا الطريق وعلى مسافات غير ظاهرة ، كاس سير بعض قوافل الجبال
 التي تصارع اعتاقها ثقيلة الحركة ، وظهورها المجدبة فوق مستوى سطح
 القمح ، مثل السمس التي سير بالمحاذيب وتماوج مقبضاتها الصلبة فوق
 بحر عتفرق الأمواج ذي لون أحمر - وكان الحمام يطير من قرية إلى
 أخرى مثل السحبة العريضة - وكانت القناير تسمى وبحرم في نطاق ضيق
 بشكل المظرة الأولى فوق السهل الطيب - وبه ذلك تأتي المصطبة الصناعية
 التي يصل عمدها إلى حوالي ربع ميل حيث تقوم القرية الحديثة - مرة
 أخرى يرتفع حائط الحجر الجيري الذي يحده الجرف العظيم - والقرية
 واسعة النطاق ، والمنازل مبنية بخرافق الأمايسك الطبيعي تعكس في
 ثراء السكان - وهي مرفوعة بوابات ذات عقود منحرفة بقوالب الطوب
 السوداء والبيضاء والحيواء ، والتسبيك ذات التشريعات ، وأبراج الحمام
 المبنية على شكل صفوف ، وقوالب الطوب ، مما يعطي للسكان روعة تجعله
 صالحا للرمسم ، مما تعطي للمحضر للتيه نحو الصحراء الشجيرات
 القصيرة وأشجار الخيل - ويحرق تبصيص القمح الذي حصدته الفلاحون
 على شكل حرم ، تحت حله المناطق المظلمة وعلى حافة الصحراء - وهنا
 ترقد الجبال لانزال أمصالحا - وهناك تلوس الثيران المصبوب بمرمها -
 أو تحرس أعواد القمح بواسطة آلة مثل الرحافة بها صفوف من السكاكين
 الدائرية (المورج) - وفي نفس الوقت كانت هناك آلات يمل مشرات
 الآلات من طائر الحمام (١) تطير من كومة إلى كومة وتستقر فوق الحرم ،
 وتلتقط القمح في وسط الأراضي المحطة بالحزم دون أن يزعجها أحد ،
 وهي تختال في مقبضها بطول حافة الصحراء فصر حناجها - وتبسط

(١) يخطط الفلاحون المصريون بأعداد مائة من الحمام ، وفي هذا العدد يقرون
 صفر وقد أن عده الحمام المنزلي يبلغ عدة لمختلف هذه السكان - ويقترح أن يقوم السكان
 بتربية الحمام في لافلاك من هذه الحمام وأن كانت لا تكفل على نطاق واسع حال الحمام ،
 لأن الخنازير تربي وتترك في الخراب ، بأعداد كبيرة لتتاج اللحم الطيب لتستخدمه
 الأرض - وقد منح ستر لمرح هذا الحساب حيث أوضح أن الحمام يكلف لكثيرين
 حليين غره وفي قيمة التمشير التي يسببها للمحصول بما يتجاوز المائة ألفا من
 استخدام ذلك لتسميد قفرة -

ربما ، وتهدل ، وتجنس ، وتقبل بعضها بسرعة في أعماق انفتاحها .
 والمالة - وكانت آكلات النحل تلعب مثل الزمرد عبر مساوينا ، بينما
 أخذت طيور الهند تتبخر على جانب الطريق - وبعد أن وصلنا إلى
 منتصف المسافة عبر السهل ، أصبحنا في وسط الحصاد ، وهنا شاهدنا
 الحصاديين ذوي اللون البني حفاة وعراة حتى الوسيط وهم يعملون
 بساجلهم تماما مثل المناظر التي يظهرون فيها داخل مقبرة تر ، وكانت
 النساء والأطفال خلفهم ، يلتقطون في أعقاب هؤلاء الذين يرطون الحرم ،
 وكان الشيخ عبادة السوداء وشنبه الأحمر يركب حماره نحاما وحيث
 مثل برع(٢) بين حصاديه . وبعد ربط الحزم كانت الجمال تحمّلها في اتجاه
 المساكين - ويحمل الجمل أربع عشرة حزمة يجعلها مريح حرم في كل من
 حائبي السنام ، وعلى بعد قليل كانت القرد التي وضع البر فوق كل
 البيرة منها ، تحرق الأرض ، وعلى مدى يوم أو اثنين ستكون الأرض قد
 مدرت فيها بنور البيرة المروجة أو صفة السلة أو القطن وسيجرى جمعها
 قبل وصول الفيضان .

وفي نفس الوقت ويبدأ كان السهل يمتد خلفنا وتضيق المسافة
 بيننا وبين الجبال ، رأينا خطا من الروابي المالبة غير المستطلة الشكل وقد
 عطت مسافة مبلى أو أكثر بطول قواعد الصخور ، وكانت الروابي تظهر
 على فاصها كما لو كانت قد تكلمت بفراغها مهيسة ، ولكن مع اقترابنا
 اكتشفت هذه الروابي عن نفسها في هيئة قرية هي قرية المرأة المدفونة
 التي تقع على حرة من تلال أبيدوس - ووصلنا الآن إلى نهاية السهل
 المزروع ، إلى ذلك الخط الغريب الفاصل حيث يتوقف الفيضان وتبدأ
 الصحراء ، أما عن الصحراء الحقيقية فلا يوجد منها هنا إلا شريط ضيق .

والآن نتجه مسارنا جنوبا ، ونشق طريقنا بين المنابر حيث نلاحظ
 هنا كثرة محبرة ، منية في حائط من الطير ، ونشاهد هناك تايوتا
 مكسورة من المرمر يحرق بتر جامدة ، وإلى أمسه من ذلك قليلا نجد أسطونا

(*) يوم هو أحد وجهاء اليهود في حبر القضاة ، وقد ورد وصف له وهو
 يقول بين حصاديه خلفه في سفر راحوت من أسفار الكتاب المقدس انظر راحوت ،
 الاصباح الثاني - (المترجم)

من الجرافيت مغرال قائما وسط حديقة من اشجار النخيل . والآن وقد تركنا القرية خلفنا ، سجد أنفسنا عند قاعدة جبل ضخيم من النفايات التي خرجت حديثا . هبطت من فوق منه طرقة على ما يشبه فوهة مر كان . وترى عبيد أبي موسى المطمئنتات .

وكانت الساعة الآن حوالي الثالثة ، ولذلك جئنا وقد شاعنا ما يمكن مساعدته حسب ظروف الزمان - ومع ما كنا نتظفه من رحمة طويلة للموجة على ظهور الخمر خلال بلد غريب ، فقد رحلنا مرة أخرى في حوالي الساعة السادسة . ولما اقتربنا أنسى سائقنا ميمدو أبي موسى مرة أخرى ، حيث أن أحدهما شديد المسار للموجة تجعل من الصعب الحديث عنه . أما الآخر فهو مصمم بشكل غريب ومحمونه أمام خندق القوس حتى أنه يمشي مصطفة كبرى أمام علماء الآثار - وبمجرد زيارة صغيرة استمرت لمدة ثلاث ساعات اكتفيت برسم ما رأيته ما يحاز ولكن في إعجاب . ويستمر موقع أبي موسى بالرغم من أنه مدهون تحت التلال المصطفة له . مكانا له أهمية تاريخية كبيرة . وكان في وقت من الأوقات قد تنقلب من التليام بدوره في تسجيل قصة الحضارة المصرية . وتوجد قبائل هذا الموضع للبلد مدينة تسمى (١) ولا يعرف المصري الذي ننسب إليه قصة المدينة التي تعود إلى ما قبل التاريخ المصري ، ولكننا نلخص أن سكان كم (٢) قد أجازوا هنا أول ما بينهم . وبنسبوا أول ما بينهم من الفن واعتصموا إلى المرفوف الأبيدية التي يحتفل أنها كانت في البداية مجرد

(١) في تاليس التي كان يطلق عليها في القرن السادس قبل الميلاد

المطبعة القديمة -

مطابق الجغرافيا - ج. ميمدو إلى المظلة - أبريل سنة ١٩٧٨

de la ville de Tami qui à la même époque sous la domination romaine n'était connue que par ses teinturiers en pourpre, elle doit avoir joui d'une très grande renommée chez les anciens Égyptiens. Verser au temps du XIXème dynasty les plus hautes fonctionnaires de sang royal étaient distingués par le titre de 'Princes de Tami.' - H. d'Arny, *Byzance*, vol. 1, chap. v p. 23 Leipzig 1874.

NOTE TO SECOND EDITION. - Des monuments trouvés il y a deux ans, me portent à croire que Tami était située assez loin à l'est du village actuel de Anafat-Yahia.

(٢) كان الاسم القديم لمرمر Karm-Khem-Khem ويعني الحمراء في الأرض

السوداء نسبة إلى لون القرية -

سوره مثل الأبيديه للكسيكية . ومن هنا أيضا جاء رجل يسمى مينا (١) وهو الذي ارتفع خرطوشه منه رمى سحيق . على رأس القنانه الطويله التي تضمنت أسماء الفراعسه المصريين . ولا يعرف عن مينا الذي يعرف شبحه على حافة التلويض والتقاليد إلا أنه كان أول زعيم أطلق عليه لقب ملك الوجهي إلى مصر العليا والسفل ، ومنه اتجه شمالا وأسس مدينه صف . ولم يتخلل مقر الحكومه إلى العاصمه الجديده قبل مرور عدة أعوام . أما مدينه نبي التي يعرف بها للكان الذي دمر فيه أوروريس طرعان ما لفقت لهيئتها الميساكية ولكنها استمرت لفترة طويلة بمثابة المدينه المقدسه لمصر .

وفي نفس الوقت أقامت مدينه أيديوس بجوار نبي ، وبالرغم من أن أيديوس كانت مدينه لها أهميتها إلا أنها لم تكن عاصمه لمصر . وقد ساهل مركز القدره من أسره إلى أخرى فاستقر حينا في الدلتا ، وحينا آخر في طيبة ، وحينا ثالثا في الصنح ، ولكنه كان موجودا يوما ما في القمنه التي كانت بسبب موقعها المتوسطه والخصوبه لمح المحذوده للأرض المحيطه بها ، أنصب المواقع لتسهيل هذا الدور في تاريخ مصر . ولم تعد للعاصمه بعد ذلك إلى القمنه التي بدأت ضلها . وقد كانت هذه القمنه هي المركز الذي أطلق منه المصريون الطيله للوصول إلى مكانتهم الجيده . هنا كان موطن أتوهم . ومن ذلك الحين استطعت عنوانها الذي تلمر به كوطى حائل ، فبسط هناك نفوذ اعظم من ذلك الذي أسس الفراعنة المصري الأصلي أكثر من الموقع الذي احتلته عاصمتهم الأولى على حربه مصر . ذلك لأن أصول أية سلسلة مستمرة جاءت إلى أي بلد وغرست نفسها في وسط السكان الأصليين ليست محل تساؤل . ومن جهة أخرى تنضم إليه لو كانت مصر قد استمرت على يد قوة آسيوية أو اثيوبية ، فإن الدرياه كان عليهم أن يؤسسوا مقرهم الأصلي بجوار البرزخ . أو من جهة

(١) Mena, tel que nous le présentie la tradition, est le type

le plus complet du monarque égyptien. De est à la fois constructeur et législateur. Il fonde le grand temple de Ptah à Memphide et règle le culte des dieux. Il est guerrier et conduit les expéditions hors de ses frontières. — Hist. Ancienne des peuples de l'Orient G. Maspero. Chap II. p. 85. Paris, 1876.

« N'oublions pas qu'avant même l'Égypte était divisée en petits royaumes indépendants que Mènes réunit le premier sous un sceptre unique. Il n'est pas impossible que des monuments de cette antique période de l'histoire Égyptienne subsistent encore. — Itinéraire de la Haute Égypte A. Mariette Bey Avant Propos, p. 40, Alexandrie, 1873.

ناكثة يكونون قد توقعوا أولا بين سهول الدوبة التي تمال إليها كافيًا (١)
ولكن المصريين يدعوا من القلب الخصيب لبلادهم دابها ، وبذلك يدعوا
محتواها للسلطة من داخل حدودهم -

وقد قامت كل من أيبفوس ونفى على نفس القصة الصحراوية ،
ولا بد أنهما كانا متصلتي في وقت من الأوقات بواسطة صحابة متخللة
كان يسكنها المملوك والتجارت الآخرون الذين يدخل في
اختصاصهم إشغال الموت والنفن - وبعد سلسلة من الروابي المظورة
حيث كانت المنايا قائمة - وهي تلك المماثلة الآن بوصفها مدينة أيبفوس
المشهوره - ويؤدي إلى موقع المدينة سور قديم من الطوب اللبن ، وروية
صناعية صغيرة فوق مقبرة قديمة تغطرها المقبرة الكبيرة الآن إلى قسم
يبعد كل منها من الآخر مثلما تبعد مدينة هايو من الرسيوم -

ولا بد أنه كانت توجد في أيبفوس مهابد القدم من عديد اللذين
وأياها الآن ، وقد هي أحدها الملك سيتي الأول بينما بسى الآخر الملك
دمسيس الثاني ، أو أنه من المحتمل كما في حالات كثيرة أن تكون المباني
الأقدم قد أزيلت وأعيد بناؤها ، وسواء كان هذا أم ذلك فإن معهد سيتي
الأول من ناحية زخارفه يتميز واحدًا من أجمل الأفكار المصرية - بينما
يعتبر من ناحية تخطيطه واحدًا من أعظم المبادئ تفردًا ، ولم يتبق من
الواجهة الآن الا صف من خمسة الحجر الجيري المربعة التي لا بد وأنها
كانت في يوم ما تحمل أطوارًا يحيط بالأبواب ، وباني حلقها مباشرة فهو
للأساطين مكون من أربعة وعشرين أسطوانة تقود إلى جو آخر ، مكون من
ستة وثلاثين أسطوانة عن طريق سحمة متداخل - ومرة أخرى يفتح هذا
البهو على سحمة مماثلة متوازية تقع خلفها هو آخر للأساطين ، وعند من
الحجرات المصنفة - ولذلك فإن معظم المبنى يبدو متجانسًا - ويتصل
بهذه الكتلة ويتعلق منها عن طريق عدة أبواب في الطرف الجنوبي من
البهو الكبير مزيد من الكاعات والحجرات التي ترتبط ببعضها عن طريق
سرايات تقود إلى حجرات أكثر ، ولكنها لم ترفع منها إلّا مثال نادر - وقد

(١) انظر لفتحة B. Owen التي ألقاه فيرونيوسور B. Owen بتوصلة تقرير
إجراءات العمل للوزير لندراي الثاني للمستشرقين (قسم الإيجناس) الذي عقد في
لندن سنة ١٨٧١ ، وكذلك الورقة التي عنوانها الإيجناس الجمعية لـ The Ethnology
of Egypt في نفس المؤتمر - وقد ظهرت في مجلة The Journal of the
Institute Anthropological ، لبيد فرانك ، رقم ١ ، ص ٢٤٦ ، لندن ، ١٨٧٤ .

نقشت جميع هذه الدعائم والأساطير والقصاصات والتميزات والتفاصيل (١) السبع ولوحته بالقرآن الجديدة -

وهناك تشابه عاتق بين المعابد التي تنسب إلى نفس الطراز والفترة الزمنية - حتى أن الأسبان يستطيع مدح مجرته بسهولة أن يحس قبل أن يعبر غية المبنى ، كل ما يستطيع أن يشاهده من النقوش التي بالدخول - ولكن غالباً ما يجد أن كل موضوع في معبد سينق في أيديوس جديد وغريبه - وتبدو جميع الآلهة في الهيكل الذي يحصوها كلها في صورته تامة

(١) فريد ميور ماريت في كتابه الكبير عن ختلان أبيدوس في هذه المصاحف السبع الفنية تفضل عقل من الشكل لامتداد اجتماعه ، وعلى وجهه المصمم التوازيات المتشعبة ذات الامتياز الفنية وله ظهرت صورة اثنين من هذه الهيكلان في اللوحة رقم ١٦٦ في الجزء الثاني من كتاب مير ج. ميلكسون (الذكاء) رقم ١٦١ (٢) واسم كتابه: *A popular account of the Ancient Egyptians* - الجزء الثاني - الفصل الخامس - نشر سنة ١٨٧١ - ويؤكد أيضاً عن استخدامات المعبد ومصوبه ما يلي : « وعادةً تحرق من المعبد الأساسية التي تصغر حجمه ، وما تلي جدران لها ، ومن كانت تمصورة على أنه واحد ، ومن هو أبديوس لم سيما لثة ؟ ومن ثم هؤلاء السبعة الذين ضمنت لهم هيكلان السبعة الغربية ، أم أنها كانت مخصصة للآلهة الخمسة الذين ورد ذكرهم في قوائم الآلهة بطريقة في مختلف أجزاء المعبد » - أن الإنسان يترك المعبد يأنسا ليس له من الميزة على كلف سيرة مستقيمة بمصن النقر في ولكن لاكتساب Description

أر سره قد جلت بدافند ولم يورده بانيه في القديس : انظر كتابه *Des Fouilles d'Abydos* - تأليف دافند بك - باريس سنة ١٨٦٦ حيث يقول : « Les sept chambres Volvées du grand temple d'Abydos sont reliées aux cérémonies que le roi devait y célébrer successivement. Le roi se présentait au côté droit de la porte, parcourait la salle dans tout son périmètre et sortait par le côté gauche. Des statues étaient disposées dans la chambre. Le roi ouvrait la porte en bas où elles étaient en (statues).

Des que le statue séparément à son tour il lui offrait l'encense, il enveloppait le vêtement qui le couvrait et lui donnait les mains, il le parait, il le recouvrait de son vêtement, » etc. Mariette Bey Inscriptions de la Haute Egypte Avant propos y et, Alex 1873.

نقد بالاسكندرية سنة ١٨٧٢ - ص ٦٢

ويرجى في الطرف العلوي فكر من هذه الهيكلان السبعة موع وحيد عن الأبرار في الكهوات منجاً داخل نوع من الفرخفة لا سمحات متعة أكثر منها مصرية ، والظن موع وحيد وضخم بشكل فريد والمصمم لميسط والمصمم منها جميعاً أن تملأ الانبساط العلوي من طريق الشلال للمسيكة في الأجزاء المحصورة الفضل من السفر للأبرار ، وهذه الفجرات والأبواب القلعة قد ضمنت لتقديم يدور الخلفيات بالمصممة المتناهي، ولكنها ليست بالعمق الكافي لكن تتميز صلابتها ، وهناك قبوة حجابية محفورة في أحد جدران للفرقة التي في الطرف الغربي بمعبد الفرقة -

على أنها كانت معه معا ، كما كان لكل منها مرثه الخاص به ، وتجد أن
الرموز مقلدة برسوم سين هذه البروس وهي يجلسون عليها ، بينما يقف
الملك أمام كل عرش منها بلبس مظاهر المجد . وقد رسمت سفينة
ورقاً ، صخرة ، وكتب سلوقي ، وأورثه ذلك وأصبح ، ومخلوق بشري وأسه
على شكل مفاس الميل (١) وأساء أخرى كثيرة لا أتذكرها .

و رغم أن التكتيمات الملكية كانت عبارة عن المنصور والقصور
والحصون إلا أنها في معظمها من صويعات فريدة لم ير لها مثيلاً من
قبل ، و يرى الملك في أحدها وهو يهبط إلى إيزيس عبوداً في أروسة
تيجان ، وقد وضعت فوق التاج الملوي كرة أروسية وانتان من الأياض
الصفيرة تغطي بها التان من ريش النعام .

ويبدو الهيكل الأوسط من السجدة وقد خصص لاله حيم الذي
يبدو حياً بوصفه الإله الرئيسي كما هو في المعبد الكبير بالكرك . وفي
هذا الهيكل الرئيسي للقبائل بالالوان ، والسليم من أي تحريم ، ترى
صورة صغيرة لتلك رئيسي الثاني (٢) وهو يرفع ناب إحدى المقاصير
بمفتاح ذهبي على شكل يد ودراع شريش . ويظهر كالون الباب مكوناً من
عدد من الزوايا المختلفة الأطوال التي يدلع كل منها بواسطة الأصبع
السياسة ليد الصفرة ، وبلا شك ، فإن هذا يعطى بياناً سلبياً من صيغة
الزوايا المستعملة في ذلك الوقت .

ومن فتحه مر في البهو الكبير هذا المصد اكتشف ماويت هذا
المصن الثمين المعروف باسم - لوحة أبييوس الجديدة ، ونرى في حله

(١) توجد جميع أشكال الآلهة الملوي التي ذكرها سوبرا في قديرات الجوارق .
ولكن يضر ردها في نفوس المعبد ، وحده على مستوى المثال الآلهة القديمة (حكا)
التي ترمز إلى الشلود . وهي آلهة القيمة جداً ، وجدت سوبرا لها في آثار الأسرة الخامسة -
أما آلهة التي له رأس الأوزة فهو الآلهة سب (حب) وهو آلهة الله تقيم جداً .
أما مقيس النيل فهو همار ديس يسمى الكسارور ويرى وجد في هذه الحلقة كرمز مؤله
نظم .

(٢) ترمز رئيسي الملكي هنا مع الزوايا القليلة . وقد أثبتا رئيسي الأول هذا المعبد
وتمتد العمل فيه عندما كان رئيسي الأمير يشارك أبناء الجيوش على المعبر ، ولمستغل
على أمام رئيسي الملك مع وفاة ميني الأول - واليتي معاصر في التاريخ وحمايه
في القرنين بعد الفترة وهيكل ديت كوالا .

اللوحة الملكية سبتي الأول ورمسيس الثاني أحدهما يقدم اليه يردد الآخر أنشودة مدح لاسماء الإلهة الستة والسبعين ابتداء من ميا
واتلتها بصيغتي نفسه (١) .

ولسوء حظنا - بالرغم من أننا لا نستطيع إلا أن ندعي لفروقة
الاستيفاء - وجدنا مدخل هذا الممر مقفلا ومسدودا على شكل تل - وقد
ذكر لنا ايراني عجوز يسكن في المعبد كابرسي ، أن اللوحة لا يمكن
رؤيتها الآن إلا بعد الحصول على تصريح خاص .

ويبدو أننا قضينا هنا حوالي نصف الساعة ، عندما جاء المرشد
ليعلمنا من اقتراب المساء - وكان علينا ان نرى الموكب والريوة الكبيرة
للمدينة تضيء . وكانت الريوة تقع على بعد عشرين دقيقة بسرعة السير التي
تركناها ، فمر المرشد وأبسه ولكننا صعدنا على المعابد - والقرب الظلام
والسيرة الأولى بعد عتمة شهور حالت مظلمة متجذبة من السحاب دون
مشاهدة روعة الغروب . وعلى كل حال فابنا لمتهلينا حبيرا وانجسنا بحر
الشمال . ولقد تركنا دواب أفضل من هذه السير كنا قد حققنا هدفنا
لأننا رأينا أن الظلام تشتت كثافته في كل لحظة . مما دفعنا إلى التخلي عن
الهدف ، وبدلا من محاولة الاستمرار في السير إلى الأمام دشينا أن
نستلقي تلة مرتفعة كان يشرع من المنظر الذي في ناحية تضيء .

وفي ذلك الوقت أخذت السحب تقترب في سرعة ، ورحلت أمواج
الظلال على السهل " وقد ارتفعت عن مساربها الحدود الجبلية والحقنق
والمخضضات ، بينما امتدت على البحر ، مسطحات الفصح المنفلدة بالفضاء.

(١) ربما كان هؤلاء الفراعنة الستة والسبعين (المكونين بخرافاتهم) أمراء ولدوا
لأبائهم بعد أسلافهم إلى أبيوس . في حكمنا حسبوا على لقب خاص بالتمظيم في هذا
الملك حاكمي القل أو الانتباهات الدينية التي أوصفها المعينة القصة - وهناك أربعة
معادية ألهمت لنفس الانساب وإن كانت لكوك اثنين - وهي تلك التي ألقاها نوحاوس للذات
في غرقة جلدية في المعابد بالكونك وهي موجودة الآن بمقبع اللوار . وتتركز للقيمة
المطوية للآثار النحلي في ترصه الرمني . علاوة على أنه منذ بأسلوب دقيق ومكتمل تاملنا
" Comme perfection du grand, comme conservation, comme
désolue, je en peu de monuments qui la dépassent " .

انظر أيضا : La Nouvelle Table d'Abrys . بقلم A. Malette Rey
بمجلة Revue Archéologique المجلد السابع - سلسلة Nouvelle série - من ١٨ . وهناك
هذا المجلد من مجلة أيضا سورور المجلد .

أما عند اقتناصها فكانت هناك كل الروابي والمقابر المفتوحة والمقبورة المكشوفة
 المنجورة . وقد ارتفع خلف السخلات التي خارج حدود حافة الصحراء .
 وتختلف شريط معظم صفحات مكاني نثر - على مقدر ومجزل يسود في لوى
 الأجراس الذي تتميز به الظلال التي مشفر عند الفس . وكان هذا
 النثر الذي يطلق عليه الموطون اسم : كوم السلطان - هو البرية التي
 أودنا مشاهدتها - وقد ظهر لنا ونرى برقه من على السد ، ومن خلال
 ضوء ضئيل ، ثلما مثل مشروط يركاني سلح إرفاعه حوالى مائتى قدم .
 وهو يتكون من مجموعة من المقابر التي تتكدس بعضها فوق الأخرى في
 طبقات تاريخية - وكانت كل طبقة منها تمثل مرحلة لطفة تاريخية ،
 بينما تمثل كلها مجموعة ، نوعا من الضباب المرحلية المصخرة الإسلامية
 التي بنيت بملأيا الأحياء من عصر إلى عصر .

ومنذ عدة سنوات مضت ، كانت الحكومة المصرية تجهز هذا النثر
 المحيى - وكما تصنف المقابر ، ظهرت بحوثاته الأهم زُميا .
 وكما كانت المقابر ثابتة ، كانت المحنوت كائنة لدرجة تجعل للمشاهد
 على أن معرفة المقابر كانت تصطم بملأى تعود إلى الأسرة الأولى
 وبذلك تخرج إلى الضوء وفات الرجال الذين عاشوا في عصر مينا - وقد
 كتب مارييت (١) يقول انه - حسب ما توردته بلوتارخ كان أثره المصري
 حاول من جميع أنحاء مصر لكي يفتنوا في أبيدوس حتى ترابح عظامهم
 بحوار أوزيريس - ومن المحتمل أن تكون مقابر كوم السلطان مخصصة
 لهؤلاء الوجهاء الذين ذكروهم بلوتارخ - وليس هذا هو الاهتمام الوحيد
 المرتبط بكوم السلطان ، لأن قبر أوزيريس المشهور لا يبعد كثيرا عن هذه
 المقبرة - وهناك من الدلائل ما يدفعنا للاعتقاد بأنه محصور في قبضة
 المصخرة التي هي بمثابة التوبة لهذا الكثر . وعلى ذلك فإن الأشخاص
 الذين دفنوا في كوم السلطان يرتدون وهم أقرب ما يكونون إلى العصر
 المقدس ، والأعمال التي تحرى الآن في هذه المنطقة لها أهمية مزدوجة
 أولا لأنها ربما تعود إلى مقابر أكثر قديما تعود إلى الأسرة الأولى ، وثانيا
 أنه ربما تمكن اكتشاف الممثل لم المعروف والمخفي لقبرة الاله « (٢) » .

(١) للمهر *Intitule de la Haute Egypte* . تأليف مارييت بك .

من ١٩٢٧ ، الأسكندرية ، سنة ١٩٢٧ - .

(٢) نفس المرجع . من ١٩٨٠ . لم يتعلق النثر الذي جرى التنقيب عنه هنا بالنثر
 نظر أن مقابر الأسرة الرابعة أو الخامسة قد اكتشفت منذ وقت قريب .

واسعدت من ذلك المني لأنني لم استطع أن أركب الجمار ولو حتى إلى قاعة كرم السطاح ، وأظن الآن أنني أفضل أن أذكره ، كما شاهدته على البعد موطأ بلا سراج في ظلمة ذلك السماء الغريب .

وكان هناك سميت ثقيل يلوح في الجو ، ولحمه حزين تعبر عن قمل حمل الحصور ، ويعد الروابي المتعاطية مثل بحر حثيف ، وأحد الليل يرخي معوله حطب حافة الصحراء ، وسرعان ما رجعت نحونا من بين المقابر البعيدة . محطة متحركة هي بط ، ومع اقترابها من جانبها السبعة والضفاقة والمتلجة والوصية ، اتضح أنها ليست سوى القبار الذي أنشأه قطيع كبير من الضان - وكان راعي القطيع يظهر خلال فتحات السجاية بين حين وآخر - ثم بزلا وانطلقنا في الطريق الواقع بين التلال والوادي . ويست أشجار الخيل والملاول غير واضحة في ظلمة الفسق وبرت لافلة من الجبال وهي تتقدم بخطوات سريعة وعادلة مثل الأنياب أمام حافلة من الضباب . ومع تقدم الليل أصبح الهواء حائفا . ولم تكن هناك نجوم فلم نستطع الرؤية على مدى ياردة واحدة أمامنا . ورجعنا بط ، بط في الطريق المنحدر ، وشعرنا بأننا لم نستطع أن نمر شيئا من السهل المشد على كلا الجانبين - وفي نفس الوقت كانت الضفادع تنق غاطسة ، بلما أخذت حبرنا تتمتع في كل خطوة . وعندما اقتربنا من السطة كانت الساعة تقترب من العادية ، وكان الرئيس حسني قد شرع في ملاقاتنا معه إذ حال والمضائل .

وفي صباح اليوم التالي مررنا لسرة الثانية مدينة جرجا وصحبنا لنهزم وعمودها الذي يوشك على الانهيار ، وعند الظهر رسونا في مكان يدعى المسيرات حيث قمنا بزيارة أحد الوجهاء الذي يدعى أحمد أبو رطب أما الذي كنا نبحث إليه خطابات توصية - وكان رطب ألما يبتلى أنه ديات واسعة في هذه المقاطعة المشهورة بلحوم الخيل - وهو يمشي بأسلوب القملة محطبا بصفحة كسرة الصلح من الإكازب والأتعاب . ويتكون عدل إقامته في المسيرات من ثلاثة أو أربعة منازل كبيرة . وما يقرب من عشرين عرجا للحمام وحديقة واسعة واسطبل وبرص للتدريب وعاء ضخمة ، وقا أحبطت جميعها بحائط دائري - ودخلنا من بوابة قريبها أشجار الجبال الأرابيسك . واستقبلنا في رواق عسفوس بأشغال الخيرية ويطل على القاد ، وأخرج لنا ثلاثة من آخر حمولة بالواتها الرعدية والكبت (٣) والكينائي ، لكي تستمتع بمشاهدتها . وكانت شجعة تلك الضول

(*) الكبت من الخيل ، ما كان لونه بين الأسود والأحمر - { المترجم }

التي أحب قالسكيير Valquez أن يرسمها ، غليظة للعنق ، وصغيرة الرأس ، وصلية العين ، وذات عروق متعوجة ، وذويو حريرية طويلة .
وقد وقفت شلخنة ومشعوشة دلالة على اسمائها العربي الأسيل - ولم ينر الشك في نفوسنا حول نقاوة جمالها - وقد ظهرت لنا صلاحيتها للرسم بانعطية سرورها بالطرزة بخيوط المصب وسروها السائية المنطاة بالانطية القرمية والخضراء والزرقاء ، وركاباتها الطويلة ، وانطية رؤوسها ذات الفرايب - وقلم شقيق لا ينفك وآلود أخيه بقليلاتها لمرحى حظواتها ، ثم حملوها تركب الركوب فكانت تحضن لكلكة الأمر ، ثم تدفع من وسع الثبات لكي تملو في سرعة - وعندما وصلت إلى أقصى سرعتها توقفت قليلا وطرحت نفسها للأرتكاز على مؤخرها وتجمعت حركاتها فصارت مثل حيول حجرية - وقبل لنا إلى مصيفنا لديه في استبلاته مائة حصان .
ودارت الغلايين والقهوة وصلصة شر بهائية من مختلف أنواع القربان طول الوقت الذي تستغرقه الريابة وأثناء الحديث علينا أنه ليست فقط أمور المال الرامح من التي تجمع في شكل كميات من الفس بل أيضا جزء من الفرايب التي تطلع للضيق .

وقبل وحيلنا ذهب السيفة (ل) والسيفة الصغيرة والكاتبه لريادة الحرم وسرمي إلى سيدات الصيفة ، لقد وجدناهم يقف في مبنى مخصص له بناء مستقل ، ويمس حسب الأصلوب المثل الذي امتاونه سيدات الشرق - دون أي نوع من الضل - كما أنه لا توجد حتى مجرد حادقة يتمشى فيها . وكانت زوجة الألفا لأسامية (الظن أنه كان يقرن درونين) امرأة جبيلة ذات شعر كستنائي وعينين عسلين لأعستين .
وبشرة فاتية ، ولد استقبلنا على المشية ، وقادتنا إلى صالون محاط بالأرائك ، وعرفنا بأبنائها الخمسة في قصر - كانت الكبري فضاء حيلة في الثالثة عشرة من عمرها ، وكان الأصغر فتى في الرابعة . وقد ارتفعت الأم والامة لأبنا سوداء متشابهة طرزة بخيوط من القصة ، وشبهين من القطيفة الوردية اللون في الأدمها - مع الأساور والخلخال النضية .
والسراويل التركية الطويلة ذات اللون الوردى ، وقد حفظنا شعرهما محروقا من المنتصف ، وقد ظهر في شكل شفاير طويلة تمتد على الظهر من قطع من السلة والدلايات . بينما خلق في مؤخرة الرأس حجاب من الضام الأسود الشفاف طررز أيضا بخيوط من القصة - وحانت سيدة أخرى عرفنا أنها الزوجة الثانية - وكانت شديدة البسطة وترتدى زينات أكبر ويظهر أنها تحمل مكانة ثانوية في أسرة الحرم - وربما كان هناك حوال خمسة من السيدات والبعات صطن اثنتان أولهما أسود .

وكان أحد الأطفال مريضا طوال حياة التصير . فظهر لنا وكأنه لن يعيش أكثر من ستة شهور . وقد طليت لنا أمه المسيكية أن تصف له علاجا ولكن من الصعب أن نقدمها بأننا لا نعرف شيئا عن طبيعة مرضه . ولستنا بالمهارة التي تسمح لنا بعلاجه . وظلت تنوكل لنا ولم تقبل الرضخ . ولذلك اشتغلنا عليها ولزمنا إليها بعض الأدوية غير الفعالة .

وكانت فرصتنا لملاحظة الحياة المنزلية في مصر منيفة . لقد قامت السيدة (ل) بزيارة حريم نائي بالحدود في القاهرة ولكنها عادت في كل مرة بنفس الانطباع الكئيب . وكانت معظم السيدات المصريات يشغلن أيامهن التي تضيها بالتفكير وبعضهن لعب الأطفال أو موسيقى المسوعة في جنيف . وأقيام بئرته يومية في شارع شبرا . وقد شغلن الفلايڤ والمجائر ، وتناول الحلوى ، والتجمل بالمجوهرات ، والمزينة .

وكانت بعضهن دوات اهتمام بسيط بالمسألة . وكانت مصورات الأوبرا الخامسة بالحدود وكبار المباشوات في القاهرة والاسكندرية تحلق السيدات في كل ليلة . ولكن الحكم على نظام الحياة المنزلية لا يسرى على سيدات الأمراء والسلا . وكان المفروض أن تطلع على حياة سيدات طبقة الملاك ووجهاء الطبقة الوسطى . ولم يكن لدى سيدات المصريات هؤلاء ، مركات مصنوعة في لندن يجرعها جمال واحد . وليس لديهن شارع شبرا أو دار للأوبرا فلم تكن لديهن وسائل للتسلية ولا حتى وسائل للتشفية أو الترفيه . وكان الوقت يضي تكيلا على نومهن ، ولم يكنن أنفسهن الاهتمام بالاشياء التي تحيط بهن . وكانت سلال الحريم قلوة وسجراتهن غير مريحة ، والمظهر الصام للسكان قدر ومهم . أما عن المنزلات فإنه بالرغم من طبيعتهن الطيبة وولتهن . إلا أن وجوههن كانت تفصل الملامح التصيرية لمن احتمل المعاناة من الملل . وفي الأتصر قامت السيدة (ل) والكاشة بزيارة زوجة وجبه عربي وهو ابن المحافظ السابق للسكان ، وهي سيدة من الطبقة الوسطى . وكان الزوجان تابعين ومن غير الأنحاء ، ويسكنان في منزل صغير لا يطل على أية مناظر ويمر حديقه . ولقد اجعلت الطيور الداجنة هذه المنزل . أما القرلة العليا الصغيرة فقد كانت مساحتها تكثر من اثني عشر ألفا مربعا . ولقد اجعلت بمنزلهما من جميع الجهات منزل آخر . ولكن الزوجة الشابا كانت تعيش راضية في هذا السحن الخائق من سنة إلى أخرى ، ولم تكن تخرج منه مطلقا . ولابد أنها كانت تستمتع في طقولاتها ببعض الحرية ولكنها كفتة مفروجة وروس كانت صغيرة مثل الطائر في قفسه . وبالرغم من أنها ولدت في الأتصر إلا أنها لم تصاحبه الكرنك مع أنه يتبع

على بعد ميلين • وسألناها عما إذا كانت تود أن تزوره بصحبتنا فصاحت
وهزت رأسها • لقد كانت غير قادرة حتى على الفصول •

وظهر لنا أن زوجات الفلاحين كن أسعد الزوجات في عصر لأنهن
يسلمن باجتهاد ، وبالرغم من معاناتهن الفقر إلا أن لديهن حرية استخدام
أطرافهن (الحركة) ، ولديهن حمرة باستنشاق الهواء العليل ، وضوء
الشمس • والمقول الواسع ، وعندما دركنا العسيران كانت هناك مساهمة
٣٣٥ ميلا تفصل بيننا وبين القاهرة • ومدند صارت الملاحية هي السبل
أكثر صعوبة ، وأخذت حرارة النعجية ترتفع لدرجة أنه حتى رش المياه
ومسح الأرضية لم ينحنا في خفض درجة الحرارة • وعندما كنا نذهب
في المساء إلى قمراتنا للزوم كانت الواح الخشب التي يطول السرير
ساخنة عند لمسها باليد كما لو كانت هي مواجعة لهيب نار ، وبالرغم من
أن بخارتنا قد ولعوا في هذه الأحواء إلا أنهم عادوا أكثر من • وعدت
السيدة (ل) في ذلك الوقت من ضربة شمس أصابت يديها ورويدا
رويدا تجاوزتا الأماكن التي شاهدناها عند إبحارنا جنوبا وهي أسوط
وسلوط وحسن (أبو ديدة) والروسة والنسا •



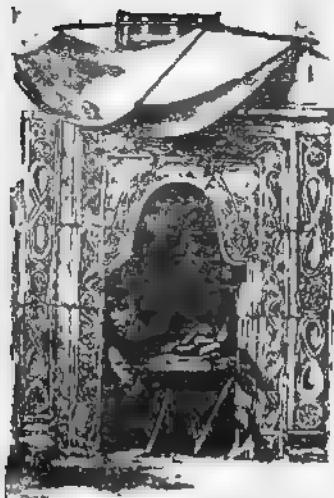
• ساقية عند أسوط •

وبعد كل ذلك لم نشاهد مقابر بنى حسن لأنه في اليوم الذي وصلنا،
قبح إلى هذا الجزء من النهر كانت هناك عاصفة رملية شديدة ، وهي
عاصفة أصابت الكاتبة نفسها بالرعب • وبعد ذلك بثلاثة أيام ركبنا

القطار الى بيا واتجهنا الى القاهرة تاركين الزهنية فيلة لكي نسيما حمص
ما تسمح به امكانات الرياح والطقس .

وكنا قد شغفنا بحياة الزهنية حتى تلك المولت لدرجة اننا احسبنا
في البداية بالاضاع في حيرات قسطق شبرد الواسعة ، كما احسبنا
بالارتباك في الشوارع المزدحمة . الا اننا اصبحنا في القاهرة التي
وجدناها اشهد روعة واكثر جلا من اي وقت مضى . وهذا شاعدا نفس
التجارب في سوق تونس وقد جلسوا القرفصاء على نفس السجاجيد وهم
يشدون نفس القلائد . ووجدنا ايضا نفس باتح القطاير وهو حلال
متربعا على كرسية في نفس الماسل في الموسكى . وكذلك وجدنا نفس
تجار المحصرات وهم يبيعون الاسود في حان الخليل ، ونفس الصيارفة
وهم يجلسون خلف مواضعهم المصونة في اركاف القوارع . ونفس النساء
المحجبات ومن يركبن الحبر أو المركبات التي تجرها الخيول . ونفس
الحايات الممثلة . والأفراح الصامتة . ونفس الصرعات القريبة والمعدات
المشوعة . ونوعيات التجارة غير المعتادة . لم يتغير شي . وسرعان ما عدنا
الى حياة القرية على مسالم المدينة ، والشراء من الأسواق . فاشترينا
المطابخ والحرار والحل القضية واشغال الأبرة القديمة والفاخشمي
التركية . وكافة أنواع الانتيكات والأشياء المحببة . وأخذنا نقتل من
المساجد الاسلامية الى الكنائس القبطية القديمة المزدحمة . كما كنا نكرس
ساعة أو ساعتين خلال معظم فترات بعد الظهر للتجول في متحف بولاق .
وكنا نهمل عمل كل يوم بالركوب في شارع شبرا أو القليام بجولة حول
حدائق الأزككية .

وفي تلك الفترة كان يجري الاحتفال بمولد النبي في أرضه نشدا
واسعة على الطريق الى مصر القديمة . وهنا وفي دائرة تحوطها حوالي
عشرون أو ثلاثون خيمة مفتوحة كانت تجري فرامة القران الكريم . وحلقات
الدراويش طوال الليل والنهار بدون توقف وعلى مدى أسبوعين تقريبا .
ويبدأ حلول الظلام عندما تتوجه الخيام كلها بالثرينات المضيئة . يبدأ
الدراويش يصيحون ويغفزون . وتشعل الألعاب النارية من منصة مضيئة
على وسط المنطقة . وكان للنظر غريبا لأن القاهرة كلها اعتادت أن تذهب
الى هناك على الأقدام أو فوق المركبات وذلك خلال الفترة ما بين الثامنة
ومنتصف الليل من كل مساء . وكانت تسمه التخيرو بالمحجبات يحضرن
في مركباتهن الصغيرة التي يجرها حصان واحد ليتبعهن المشاهدين .



المطبخ الذي يصنع باسم النبي .

ويشهى مولد النبي باحتفال استعراض الدومعه . حيث يركب سيج الطريفة السعدية حصانه في طريق مغروش بالماريين المبطنين على الأرض . وقد شهدت المنيمة (ل) والكاتبة هذا المظهر من العجبة التي أقامها محافظ القاهرة ، حيث كانت هناك عدة مئات من المؤساء الذين رقدوا في الطريق متلاصقين مثل بلاطات الرصيف وأحد يدرون رؤوسهم وهم تحت تأثير الأليون ، والصوم ، والصلاة ، بينما كان أفراد الموكب يسعون فوقهم راحلين أو راكبين . وبدا الموكب وفي طقسته حاملو البارق ثم نجد المشايخ الذي كان يقرأ القرآن بصوت مرتفع ثم الشيخ راكبا حصانه العربي الأبيض وقد أحاط به على الجانبين عدد من الشيوخ الذين يسرون حفاة . وكان الحصان جميل المنظر وقد أخذ يخطو بصعوبة واضحة خطوات خفيفة وسريعة يقدو ما يستطيع فوق الطريق الشرى الذي تحت حوافره . ويؤكد المسلمون أن أحدا لم يصب بجرح أو حى

كلمة (١) خلال هذه المراسية الهندسة ، ولكنني رأيت بعض الرجال
حصولهم في حالة من التشتيت وظهروا كما لو كانوا في حالة لي تسمح
لهم بالنسبة مرة أخرى (٢) .

وفي الصورة الأتول الأ كلمات قليلة لا تكفي لوصف مكان يحتاج
إلى حبله شامل ، وكذلك فمن غير المستطاع أن يتجاهل متحف بولاق ،
والطريقة أن تجميع هذه المجموعة من الآثار يعود في المحل الأول إلى
سواء القدير السابق وجود ماويين ، وفيما عدا محمد علي الذي
اكتشف في عهد محمد دودة ، فإن أحد من الولاة السابقين لم يعمل
نفسه بالاحتمال بأنار البلد ، لما هؤلاء الذين اعتسوا بهذه النفايات التي
أثقلت كامل التربة أو وقعت مستخرجة تحت رمال الصحراء ، عند كانت
لهم حرية الاستيلاء عليها ، ولم يطلب منهم أحد القيام بهذا العمل
أو يمنحهم شيئا إلا التصريح بالطرف ، بحثا عن الأنتيكات ، التي تعد
ثروة متاجرها من الآثار المصرية والمجموعات المدينة التي يمتلكها بالأفراد
والتي تنتشر في كافة أنحاء أوروبا .

ولقد أنهى اسماعيل باشا هذا السلب الذي كان يجري على نطاق
واسع حيث كانت للمماليك تبايع لأجل المرامم أو في مقابل الخدمة ،
ولكن للمرة الأولى أصبح تصدير المماليك خروجا على القانون ، للمرة
الأولى أيضا أصبحت لبحر مجموعتها الوطنية المملوكة لها .

وبالرغم من أن متحف بولاق هو أصغر المتاحف المصرية إلا أن
مجموعته الأثرية أغنى المجموعات في العالم من حيث التماثيل المصرية
للأفراد ، واللوحات الجنائزية ، والتماثيل والمماليك التي تمثل سكان
وادي النيل القديمة ، أنه بالقطع أقل غنى في التماثيل المنحوتة التي تملأ

(١) قبل أن هؤلاء الانفلس والفريق أيضا يستثمرون كلمات معينة (أي ديمون
مطرات وإمية) في اليوم الذي يسبق هذا الاستعراض حتى يستفهموا احتفال ولاء
حوادث المصائب دون أن يصابوا بالآلام وأن بعض الذين لم يصدقوا لم جازوا بالقاء
تأنيدهم تحت حوافر المصائب قد حدث في أكثر من مرة أنهم فككوا أو أصحوا بمرور
الطبيعة ولكن النفس يمتدحون هذا الاستعراض مصححة يتم بواسطة قوة حارقة
للحبيبة ومبها ، لا تقل غنى من حفلة الطريقة الشعبية ، انظر كتاب أدواره ليد .
Museum Egyptian للفصل الرابع والخمسين من ١٩٢٢ ، لندن سنة ١٩٢٠

(٢) صدر أمر القدير العالي (توفيق) بمنع هذا النوع من المهرجانات - (المهرجانات
مستقلة إلى المهرجانات) .

قاعات العرض الكبيرة بالمعهد البريطاني ومتحف تورين ومتحف اللوفر . وقد كانت هذه التماثيل فوق الأرض وبمعدن قليلة نسبياً إلا أنها كانت تسلب منذ فترة طويلة وتنتقل إلى أوروبا ، أما تماثيل متحف بولاق فهي مستخرجة من القابر - إلا تماثيل شيخ البلد المشهور والمصنوع من الخشب قد كتب عنه الكثير (١) ، والتماثيل العظيم المصنوع من حجر الديوريت للملك حفرح باني الهرم الثاني ، والتماثيل العظيمة الجالسين للأمر رع - حوكت والأمة نفرت - هذه التماثيل جميعها نصيفة ، وهي مثل القابر التي وجدت فيها قد تم تنفيذها في حياة الأشخاص الذين تململهم . وبعد أن عبرنا عنده السور الكبير (٢) وجدنا أنفسنا محاطين بحشد من هذه التماثيل غير العادية التي كانت واقفة ومولدة ومزينة بملابسها وجميعها في حالة حركة ، مثل الدخول إلى غرفة مزدحمة بأحد القصور الملكية في عصر الدولة القديمة .

والعدد الأكبر من تماثيل متحف بولاق التصلية محوت في الوضع الذي يعرف بالوضع الهرمطيقي ، الذي يمثل في خطى الذراع اليسرى وضغطها ملاصقة للجسم ، بينما تسبك اليد اليسرى بكفاية من ورق البردي . أما الساق اليمنى فهي متقدمة للأمام ، واليد اليمنى مرفوعة وهي تسبك بالمكلا . وكان ذلك يعني بالنسبة لي معنى أصق مما يظهر لأول نظرة بالنسبة لهذا الوضع التقليدي . وربما كان يرمز إلى نقطة التبعث ، عندما يسير الميت للأمام وهو يسبك بسنطة كتاب الموتى الخاصة به شامخاً من قبره إلى نور الحياة الأبدية .

ومن أشهر التماثيل المصرية تماثلاً الأمر رع - حوتيه . والأمة نفرت ولابد أنهما أقدم التماثيل النصفية في العالم (٣) وقد استخرجا

(١) انظر Egypt of the Pharaohs and the Khedive R. Zucke في الفصل التاسع ، ص ٧٧ ، لندن سنة ١٨٧٣ . وكذلك La sculpture Egyptienne في كتاب سولتي W. Solati ، ص ٢٧ ، باريس ١٩١٧ وأيضا The History of Egypt وهو مقال بقلم الجيولوجي جورج لورن نشر بمجلة Journal of Anthropological Institute المجلد الرابع ، سنة ١٨٧٤ ، ص ٢٧ . وكان اسم هذا الشخص هو رع - لم - كا .

(٢) أنه وجدنا تماثيل الملك في هذا الهرم الكبير .
(٣) لا يوجد شك بين أن تماثيل حوتيه ونيسا اللذين يمثلان للموتى وهما في حجر سلب على الأسرة الرابعة .



الأميرة رع حوتب والملكة نفرت *

من مبر يعود الى عصر الأسرة الثالثة ، وكانا معاصرين للملك سميرو . وهو ملك حكم مصر قبل عصر الملكين حورمو وسمرع . بمعنى أن هذين الزوجين اللذين يجلسان أمامنا جنباً الى جنب ، رشفان ويراقان مثلها كانا عندما تنهيا من آخر جلوسهما أمام الناس . وقد عاشا في عصر لم يكن قد تم فيه بناء أهرام الحيرة ، وفي تاريخ يعود الى ما بين ٢٣٠٠ الى ٢٠٠٠ عام مضت . ونصع الأميرة شعرها بنس الطريقة التي يستخدم أهل النوبة . ويسمى عقدها المكون من حبات من الحجر الكريم Cabochon الى طراز تحبه الرافعات اللاتي يعشن في أيامنا هذه . وعسا كل من الفسائلي مفتوحشون . وقد صنعت مقلة العين الموضوعية داخل حفرين برونزية . من الكوارتر الأبيض المتم مع قرحسة من الملور الصخري تطوق انسان العين المصنوع من نوع من المعدن المراتق . وهذه الصفة التي لا يوجد مثل لها سوى في مخطوط أو اثنين ، تعطي للعين نظرة تتم عن الذكاء الشديد . وهناك لمحة من الضوء من مقلة العين ، ورطوبة قوي السطح لم يصل إليها فن صناعة العيون الزجاجية في عصرنا الحالي (١) .

« Enfin nous signalerons l'importance des statues de (١) Myddoun au point de vue ethnographique. Si la race Egyptienne était à cette époque celle dont les deux statues nous offrent le type, il faut convenir qu'elle ne ressemblait en rien à la race qui habitait le nord de l'Egypte quelques années seulement après Sنفرو. » — Cat du Musé de Boulaq A Mariette Bey p. 277 , Paris 1872 =

القاهرة فيكفى منصف بولاى وحده ككاف يستحق القيام بالرحلة من
أوربا - وأول سولة ينحتم على الإنسان أن يقوم بها عندما يعود إلى
القاهرة ، وأخر جولة قبل أن يرحل عنها ، هي زيارة البحيرة - ولا يمكن
أن تشمر بالنعم من زيارة الأهرام - وقد قضت السيف (ل) والكافية هنا
يوعها الأخير في القاهرة ومهما الروجى المصيدان .

وتركنا القاهرة مبكرين لمقابلة أهل الريف أثناء قدومهم فوق ظهور
والصغير . وعبرنا الكبارى المحملة بالحضرات ، والنساء المحجبات اللاتي
يصلن السلال فوق رؤوسهن . وكان قصر الخديو الجديد مرحباً بصال
البنات - وكانت قوافل الجمال تحمل كتل الأحجار الجيرية للبناء . وبعد
ذلك يأتي السهل الواسع المرووح بالقصب سواء ما كان معه أسفر اللون
أو أخضر اللون . والتسارع الطويل المستقيم الذى تقوم على جانبيه أشجار
السطح . وتختلف ذلك كله الهندسة الصحراوية والأهرام - بعضها في
الفسح ، والنصف الآخر في الطلح الذى يترأخ ما بين الرملى
والأخضر في مواجهة الأفق . ولم نستطع أن أفهم لماذا كان الهرم الثاني
بالرغم من صغر حجمه وبمقد ، يبدو من هذه النقطة أكبر من الهرم
الأول (٣) . وبعد ذلك شاهدنا الفلاحين وقد غاصوا حتى الركبة وسط
الأهرام الأرجوانية المتفتحة وهم يقطعون البرسيم ثم تحمله الرجال وتطوى
به بيضاء . وكانت الماهر والجلوس نرعى في الأراضى الواسعة التى قطعت
أشجارها ، ثم تأتي المقبرة التى في منتصف المسافة وقد استكاثت بين
أوراق الشجر الخضراء حيث كان الرجال والخيول يشربون الماء - وسرعان
ما سرنا بمحاذاة بركة مطوية للهر . كانت تعكس الأهرام على صفتها
مثل المرأة - وكانت القرى والشلالات والطعنان ومرابع الخيل الواسعة ،
وجول الكعب ، ومساحات الأراضى المحروثة والمتركة بدون زراعة للراحة ،
تتوالى واحدة بعد الأخرى . ثم يظهر المنحدر الرملى مرة أخرى والحالة
المنخفضة للصخرة الصفراء القديمة ، والهرم الأكبر الذى كان يتصرف علينا
من ناحية الظليل ويجيب عنا ضوء النهار .

ولم تسلم السيدة (ل) أو الكافية إلى داخل الهرم الأكبر . ولكن
للرجل الكسول تحلة في هذا اليوم . كما دخلته وصيلة السيدة (ل) في
مناسبة أخرى . ولدينا كلاماً أن المكان خائف من الدخان ، وحتى هذا

(٤) انه مفيد على يومه حالي - (فراج) .

صحت القديسين ، وسبب الاجهاد الى توجة اننا كنا في كل مرة نتجاهل الانحول ، وانهيما الريادة دون ان ندخله . أما الصعود فهو أكثر سهولة لأنه بالرغم من ضخامة الكتل الصخرية إلا أنه لا توجد واجهة منها يصعب أن تجد فيها مكانا تضع فوقه قنصيك لكي تقسم المسافة ، ولولا مساعدة ثلاثة رجال من الأهراب لكان الصعود أكثر اجتهادا . لما عن هؤلاء الرجال فانهم مهذبون ويقدسون اللون عند الحاجة . وهم لذكيا ويستخدمون استخدام المساليب المتعلق أثناء قيادتهم لك من كتلة الى أخرى مستخدمين في ذلك كافة اللغات الأوروبية .

وكما نرد عليهم باستخدام بقية المبرلة التي ذكرنا نصلها الاول فكانوا يرددونها مرة أو مرتين ويطلقونها وهم في غاية الرضا . وقد سألهم لماذا لم يحتوا درجات في هذه الكتل الصخرية لاستخدامها مثل السلالم حتى تسهل تسلق الهرم . وكان الجواب جاهرا ومختصا :

« لا يا سيدي . انه من الضيق ان يسلق الأهراب ذلك لأنه لو سقروا هذه الدرجات فلان الفجاجة سيصعد بفرجه ، ولن يحتاج الى الأهرابي لمساعدته . وبالتالي لن يكسب الأهرابي المزيد من الدولارات » .

وعنه وصلونا الى القمة عرسلوا علينا أن نقنوا التفسير الأمريكي « Yankee Doodle » ولما عرفوا أننا الجبلير صاخوا قائلين : « ليحفظ لله الملك » . وذكروا لنا ان ليمر ويلر أعطى ٤٠ جسيما استراليا لأهراب الأهرام عنقما جاء صا مع الأميرة مند عامين . وقد شيككتنا في ذلك . وقد قيل ان مساحة قمة الهرم الأكبر تبلغ ٣٠ قصبا مربعا . وهي ليست مسطحة كما كنت أتوقع . لقد بقيت بعض الكتل من الصفاك الثاني والثلاثين أو ثلاثة من التي فوقه . وبذلك وجدنا مقاعد مريحة ، وأركانا ظليلة . وكان أكثر المناظر التي شاهدها من القمة الآلة هو القرب المذهل من كافة مظاهر الهرم الثاني . لقد كان يرتفع بجانبا مثل الجبل ، ولكنه قريب لدرجة أنني تبيأ في أنني يمكن أن المسه إذا بسطت يدي نحوه . وقد ظهرت بوضوح قام كافة تفاصيل السطح وكل شق وفتحة ملونة بلونين في البجى اللامع المتناسق بالقمة .

والنظر من هذا المكان شديد الروعة . فالأرض الزراعية مبسطة ، والجو شديد الهدوء ، والنقطة التي تقف فوقها منحرفة للدرجة أن الإنسان يرى أكثر وأسد مما يراه من فوق قمة جبل ارتفاعه عشرة أو اثنا عشر ألف قدم .



أبو الهول والأهرام

ويظهر الأرض كما لو كانت تحب أقدامها ماسره ، ويسندو دعابر
عظيمة كما لو كانت مرسومة على خريطة بخطوطيه ، أما البشير فهو كـ
الطن مثل تأثير سطح الأرض عندما ينظر إليها من داخل نالون ، ولا يمكن
تكوين فكرة شامة واضحة عن الطريقة التي تم بها تجهيز هذه الحبيسة
للدفن بدون الصعود الى قمة الهرم ، ويرى من هذه البقعة كيف أن بر
هرم منكى محاط بعناء مربع من المقابر الأقل حجم ، بعضها على شكل
هرام صغيرة ، والبعض الآخر محفور في الصخر أو منى فوق مصاطب
ضخمة مثل الأحجار التي في صفوف المعابد .

أما يرى كيف زحف كل من خوفو وجعرع تحت جبل الأحجار
الخاص به وحوله أفراد أسرته وسلاؤه ، كما ترى الطرق المرتفعة العظيمة
التي حذب هيرودوت نحو هذه المحجرة ، والتي استخدمت لأحضر الأحجار
الضخمة ، وعرفنا بوضوح كيف أن المكان عبارة عن مقبرة عظيمة
مما جعلنا نجبب للأفكار التي يمكن أن تحول الأهرام الى مرصد فضائية
ونماذج متقدمة لقياس الأضواء ، أنها أضخم المقابر في تاريخ
العالم كله (٦) .

(٦) أن الكلمة الانجليزية التي تطلق على الهرم (Pyramid) بيراميد (Pyramid) والتي
ذكرت عليها الكثير من الاجتهادات اللغوية موضحة في يردية المتحف البريطاني لهندسية
بأنها مصرية خالصة وتكتب بير - لم - قير .

ونظير رأسي (أبو الهول) وسط منقوش ومن على مسافة قليلة
هو الجيوب - ويثبت هذا المارد الخرافي الذي يبدو أنه أقدم من الأهرام
مرفوع الرأس مثل كلب الحراسة الذي يتجه بإبطاره نحو الشرق إلى الأبد
كما لو كان ينتظر قبرا لم يزرخ نوره بعد (٢٦) -

وهناك منقوش في الرمال القريبة يبين هذا الأثر الغريب الذي
يطلق عليه خطأ اسم حيد (أبو الهول) (٢٧) -

« On voit par une dalle du musée de Boulogne que grand (٢٨)
Sphinx est antérieur au Roi Chéops de la ٤e Dynastie. » Dic. d'Arch.
Egyptienne. Art. Sphinx, P. Marié, Paris, 1878

١ - ولكن من رأي حريص وهو أيضا رأي الجورجسور حاسبور أن تمثال أبي الهول
يموه تاريخه إلى عصر « الهاع حورس » أي عصر ما قبل الثلاث طعما كان يحكم مصر
بعد من الدماء السعاري قبل أن يرحل عنها الأتراك القديمة في سلطنة واحدة وأصبحت
هذه الأتراك ثمرة أن مظاهرات تعود إلى بداية التاريخ الحديث ، كما سار الرماة القدامى
الطابعين من ممتلكاتهم كما في وأصبح في ممتلكاتهم الكبيرة وأصبحت الرماة طين
أبهم الأسرة الثانية عشرة (ملحوظة مماثلة في الصفحة الثانية) (٢٩) -

وله حاد حكمة « مني اسم (أبو الهول) الذي لكل التاريخ حولا ، طعما بين
مصر ورواية حسب طين وجهه في انحر ، أن (أبو الهول) يمثل تجسد حورس الذي أصبح
شكل أسد برأس الصنم التي يلقب « من (الهول) وكان حورس بعد هذا الشكل في
مطابخه ليدوريس وقد ورد في لوحة منقوشة بولاق التي يقول ذكرها والمعبودة باسم
حيد حورس أن (أبو الهول) المصوب له صيد باسم حور حور - ثم - هو - في حورس
الذي في الآن - ولقد هذه التسمية إلى الاتجاه الذي يتخذ الشكل ولقد جرت
تصاريح من السبب الذي جعل التمثال يسبح إلى الفهرل - ولكن في الإجابة ستكون أن
حورس الذي يتخذ إليه أودوريس يشير إلى القليل متفرقا حورس أيه من العالم السلسلي
الذي حورس هو الذي يحكم مصر ولذلك قد أقدم كل حورس لقب حورس الحور ، الصغر
الحورس - الخ الخ ولعل كانت ملاحق الملك الصالح تتخذ دائما شكل (أبو الهول)
عنه التعبير عنها في الأعمال المصنوعة كما هو واضح في معابد الكفر ، ورواية
الحورس ، واليه « الخ » الخ »

(٣٠) من الملكة لندوس حيدا ، وربما كان مسجلة في سجلات الحكوم الأربعة ، أنه
شعير القمح والفايز وقد بني كله بأحجار ضخمة للتمثال من الربر والجرانيت الأحمر
أصبحت في التمثال مربعة ، ووضعت ببساطة مثل رجمة الأصغر التي في المعابد كمثل
صالحين وبنوهم وألقت تصد إلى حورس ما قبل التاريخ - وهو يكون من قاعة
الأميرة ، ورين للكمية وثلاث حوروات وكيفية بعض الحوروات الأصغر حوبا ، وتجرى
سوى رماندة - وتكون للمحوريات طين لهورات القبة من النصب القديمة أنها كانت
محصنة لغير إلا استقال ثابوريلوت ، وقد وجدت في قاع القبر ثلاثة تماثيل للملك
خفرع إسماعيل في التمثال القنصلي المصنوع من حجر البورفير والبرونز حاليا
بمثال بولاق - وقد كان معبد « بولاق » مرفوع في شمال مظهر ومجلة Revue Arch.

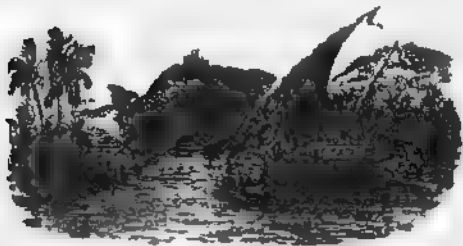
وتوق أعلى مسجد في هذه الهضبة الصحراوية ، يمتد إلى الغرب ،
يقع حرم متفرع الذي لم يبق من ارتفاعه الأصل إلا حصة أقدام ، ولكنه
يسو في هذه المسافة كاملا تماما .

وهذه الأبنية الباقية على الدوام في متاحة الصحراء ، هي
أول ما وقفت عليه أعيننا . والمنظر بوجه عام يزيد في الطول عن
الحرص . وتجدد الصحراء الغريبة من الجانب الغربي ، وتلال القطم من
الجانب الشرقي . وعند جمع هذه التلال الصغرى التي يفصلها عنا السهل
المزروع الذي عبرناه عند حضورنا ، يقع القصر بلبانها اللامعة التي ترقى
بسطها من خلال المصائب الذي يتبره ضوء الشمس . ويطل على هذه المدينة
الطليعة مسجد الثلثة بمأذنه التي تشبه أشعة الشمس وهي تنشق هناك
السما المصافية . وعلى البعد في اتجاه الشمال تقع مزارع الدجيل الطليعة
التي تمر عليها العين واسعة به الأجرى حيث تفقد اتجاهها في مناطق
البلد السوداء الخصبة . أما في الغرب والجنوب فلا توجد إلا الصحراء
المتدا . وكما عند موطننا أقمنا هنا متاحة واسعة من الوديان
والمحدرات ، مع الهار وبحار من الرمال تغطيها هنا وهناك حواف حادة
من الصخور ، وتلال من أحجار الأطلال ، وبهاياير الفتحة . وهناك خط
لغى يشق حافة هذا العالم الساكن ويضيق في اتجاه الجنوب في
الضباب المختلط بضوء الشمس الذي يلمع في الأفق البعيد .

ونرى على شمال هذا الخط الفضي مساجير طرة (الصحراوية) وبخيل
منب الذي يقبض ريش الطيور . كما تقع أهرام (أبو صير) وسفارة
ودعشور أعلى الهضبة الصحراوية . وقد ظهرت كل مصطبة من مصائب
حرم ونفيس (زوسر) من خلال الضوء والظل في بساطة متمايزة .
وكذلك قمة حرم دحشور العظيم التي تشبه القبة . وحتى الخرافة التي
بجانبه المكونة فيها قلوب الطوب والتي حسمها صخرة سوداء مازالت
موحدة وواضحة تماما . ويقف بعيدا عن هذه المعالم كلها مثل برج بابل
الذي لم يتكامل بناؤه . حرم ميديم ، شاسبا وسط أشواق الظهيرة المرتجلة .
وكادت عيوننا تنجس إلى هذه الناحية في اتجاه الصحراء المتراصة الأطراف

« (الجهد لملبس والمجدين - باريس سنة ١٨٣٤) يمشون في حيد (أبو الهول)
فليس في حقيقته إلا قناعا من دوايح الهرم الثاني . ومن ثمكن أن تكون الفيضات
قد سميت باستنداد الملك واسرة الملك خنوخ الذي من الفروخ إن تكبر موبلاؤه
فقلت أيهم الملوك به . »

والتي تتخفي خلف أسرارها التي ترسل الضوء والهدوء ، الى نهر النيل.
عندها تسلط مرة ثانية ، ومرة ثالثة حتى يصدر أشجارا عند تلك المسافة
البعيدة الباهتة التي تقع بعدها طيبة وقبيلة ، أبو سنبل .



الملاحق

الملاحق الأول

خطاب المحترم مالك كالموم الى معرو جريدة التايمز

سيدى :

لدى يوم قراءتك ان يملوا انى وجدت فى الجانب الجنوبي من المعبد الكبير فى ابي سبيل المنسل الى حجرة ملونة منحوتة فى الصخر ايمانها ٢١ منها ٢١/٢ بوصة فى ١٤ قدما ، ٨ بوصات ، وارتفاعها ١٢ قدما حتى قمة المقعد . وهى منحوتة وملونة حسب احسن طرازات الفن المصرى فى اواخر عصره . وتحمل الصورة التفصيلية للملك رمسيس الاكبر وحرابته وهى سليمة تماما . وعلى حله الحجرة حوائط غرفة رئيسية ذات سقف مقبب مصنوعة من الطوب للجفف فى الشمس ومتصلة بجنايا ما يبدو انه حافظ ضخيم لى بوابة يتخفى مخرج السلالم ينتهى الى مقبل مقبب ملون الى الحجرة الرئيسية التى سبق ذكرها من قبل .

وكان مدخل الغرفة المنقوشة ومخرج السلالم والعلف المقبب جميعها منحوتة فى الرمال والاعراض . ويبدو ان الغرفة كانت مغطاة ومتركة منذ زمن بعيد حيث كانت كلها لا تشوبها مخربشات السباح القديمة والمحدثين . ولم يكن مخرج السلالم قد فتح حتى يوم ١٨ عندما اكتشف واحد من وجهاء مجيوعتنا عظام امرأة وطفل ومعهما حرتان لحفظ الاسماء وجسدها منحوتة فى الرمال . ولا شك فى ان حله كانت مدفنة نابية . سواء اكانت هذه الغرفة المنقوشة هى الهيكل الداخلى لمعبد صغير ام حرم من مقبرة ام مجرد مغارة صغيرة مثل المغارات المشهورة فى ابيرم ، فانها ستكون محل حفائر مستقبلة لتقرير ماهيتها . ويسعدنى يا سيدى ان اكون "الشيخ" .

انعمو مالك كالموم

كرووسكو - النوبة - ١٦ فبراير سنة ١٨٧١

الملحق الثاني

مجمع آلهة قدماء المصريين

تتكون آلهة قدماء المصريين من آلهة مملوكة ، ولوحية وجهية مع العديد من الشخصيات السفلية سواء منها ما يمثل الآلهة المظلمة أو الآلهة الأخرى التابعة لها . وكانت معظم الآلهة مرتبطة بالشمس وتمثل ذلك الجسم السماوي في مساره من خلال نصف الكرة الأرضية العلوي أو السماء ونصفها السفلي أي الجحيم (هاديس) وينتمي إلى آلهة المأخرة المظلمة التي كانت تمجد في طيبة ويليوبوليس . وقد رُكبت الآلهة حسب عبادتها المحلية في مصر إلى ثلاثيات محلية مثل ثلاثت حنف المتمثلة في الإله بتاح و زوجته مريبتاح وابنها نفر آتوم ، كما أنها كانت تمثل ثلاثية يضاف إليه أحيانا الآلهة إست أو هورامتيس . وفي أيبوس كان الثلاثية المحلي مكونا من أوزيريس وإيزيس وحورس ومعهم همنيس ، وفي طيبة كان يوجد آمون رع أو آمون وموت وخونسو ومعهم ميس . وفي القنين كانت توحده الآلهة نيف ، وأنوكا ، وصيني . وهناك ، وبعد أن أسما الآلهة كانت في معظمها مصرية المعنى فمثلا بتاح يعني : الفتح ، وآمون يعني : الحفي ، ورع يعني الشمس أو اليوم ، وحخور يعني منزل حورس ولكن القليل منها خاصة في الصور المتأخرة كان مرتبطا بأصول ساحة مثل بمل وعشتاروت أو عشتار وحبي أو كبون ، ورعبو أو رصف . وإلى جانب الآلهة الرئيسية دخل في التنظيم الديني العديد من الآلهة السفلية أو النثرية Perhedra كان بعضها يجسد أحيانا القنرات . أو الحوامس ، أو غيرها من الأشياء ، وكذلك المردة أو الأرواح أو يحدد آلهة الطراز الأول في نهاية آلهة كانت مختلفة ما بين الطرازين المنس والطيبي . كان المفروض أنها تحكم مصر قبل عصر الفلك . وكانت آلهة الطراز الأول في منف هي : ١ - نتاح ، ٢ - شو ، ٣ - نفرت ، ٤ - جب ، ٥ - موت ، ٦ - أوزيريس ، ٧ - إيزيس وحورس ، ٨ - حتحور . أما آلهة طيبة فكانت : ١ - آمون رع ، ٢ - منمو .

٣ - آتوم : ٤ - شو وتموت ، ٥ - جيب ، ٦ - أوزيريس ، ٧ - سس
 ونفتيس ، ٨ - حورس وحتحور - لقد كانت آلهة الطوفان الثاني يينح
 عندهما اثنى عشر الهة ولكن لم يكن من بينها أسماء صربية سوى اسم
 واحد فقط هو اسم مركبوليس (حرقل) وقد ورد أن الطوفان الثالث
 كان مكونا من أوزيريس الذي يظهر متضمنا في الطوفان الأول - انظر
 كتاب *Guide to the first and second Egyptian Rooms* المتحف البريطاني بالقبس - م - يوش -
 سنة ١٨٧٤ .

ولشهر الآلهة التي ظهرت على الأنوار هي بتاح وشوم ورع وأمونه
 وعبد وأوزيريس ونفر آتوم أو آكوم ونحت وحب وست وحوسو
 وحورس وموت ونبت وأوزيريس ونوت وحسور وباست - ويمكن التعرف
 عليهم بالصفات الآتية .

بتاح : في شكل مومياء ممسكة بالسيف الذي يطلق عليه
 البعض اسم مقياس النيل بينما يطلق عليه آخرون اسم زهر الاستفراغ -
 وهو يسمى « أبو كل البدايات » خالق بيضة الشمس والقمر « - وهو
 الإله الرئيسي في منف .

خنوم : له رأس كمش ويدعى صانع الآلهة والبشر وروح الآلهة .
 وهو الإله الرئيسي في الفيض والسلاسل .

رع : له رأس حشر وحور يرمي الشمس وتحيط الحية بالقرص .
 وهو موزع ومنظم العالم ، وكان يمد في مصر كلها .

آمون رع : على شكل انسان وهو متوج بغطاء للرأس ذي قمة
 مسطحة وارتد من ريش الطيور في وضع مستقيم ويلبس ثوبه قصير -
 وكانت تترته بلون أحيانا باللون الأزرق ، وتوجد أشكال كثيرة من هذا
 الإله ولكنه يوصف بأنه ملك الآلهة - وهو الإله الرئيسي في طيبة .

همن : له شكل مومياء انسان ويلبس دقة الرأس الذي يلمسه آمون
 رع ويده اليمنى مرفوعة وهي تمسك بضرب دوس الحبوب - وهو اله
 الانتاج والتواكل وهو الإله الرئيسي لمدينة أخميم - وقد توجد في الإله
 آمون في الصور المتأخرة وأطلق عليه اسم : آمون خيم .

الإيزيس : له شكل انسانى ، من وصح الجوفية ومموج بياض مخروطى الشكل ، ويسكن فى بطن حفرى درى الجيوب والصفا التى يستنظمها الرعاة ويسمى الكائن الطيب ، والسيد الذى يملو فوق الجميع والسد الأوح ، وهو اله العالم السمل وقامى صكبة المرمى ومسل الشمس تحت الألق ، ويحميه جصج المصرى ، القماء ، وهو الإله المحلى فى أبيدوس .

نثر آتوم : له رأس انسان ومثوج بنطه الرأس المعروف لدى القماء المصرى ، سبنت ، وهنا الإله يمثل الشمس الدارية أو الشمس الى يسطر لمر العالم السفلى ، وهو الإله المحلى فى هليوبوليس .

تھوت : فى شكل رجل وله رأس ابى ويرسم فى العادة مسكاً بقلم وأرج الكتابة الذى يستنظمها الكتائب ، وكان هو اله القصر واله حروف الكتابة وهو الإله المحلى فى سينون أو هرميوبوليس

صب (جب) : أبو الآلهة وله السانك الأرضية ، فى شكل رجل على رأسه الوزة .

صت : يرمز له بحيوان رمزى له كمامة وأذنان مثل ابن أوى ، وله جسم حمار ، وذيل منسحب مثل ذيل الأسد ، وكان فى الأصل يشبه له الحرب ولكنه فى المصور الأخيرة صار رمزاً للفر وعبدوا لأوزيريس .

طونس (خونسو) : له رأس صقر ومثوج بقرص الشمس والقمرية ويصور أحياناً على شكل حمار معه كالون واقفاً فوق تسنح .

حورس : يظهر على شكل حورس إرويرس فى المتوج أو حورس - حريوتراط (Harpocrates) أو حورس الطفل - وهو يصور فى الشكل الأول على هيئة رجل له رأس الصقر ويرتدى تاج الوصيف ، المزودج - إما فى الشكل الأخير فيظهر كطفل معه الكالون ، وهو الإله المحلى فى ادفو وهى (أبولينيوبوليس ماجنا) .

هوت : امرأة ترتدى دواء فضفاضا وتديس عملاء الرأس الفرعونى المتعدد تحت تاج على شكل نسر - وكانت تعبد فى طيبة .

نبت : امرأة ترتدى دواء فضفاضا وتمسك أحياناً بالقوس والسهم وهى متوجة بتاج صقر السفلى وهى تترأس على الحرب والأموال المستخدمة فى التمجيح وكانت تعبد فى طيبة .

ايزيس : امرأة متوجة بقرص الشمس وجلس على عرشها وأحياناً
يحيط بها القرون وكانت تعبد في ايبوس وفيلة وقد سكنت روحها
سوتيس اى نجم الكلب *

نوت : امرأة منحنية بحيث تلمس الأرض بأصابع يديها ، وهي
تمثل قبة السماء وهي أم الآلهة *

حتحور : لها رأس بارزة ومتوجة بقرص الشمس وريش الطيور ،
وهي إلهة أمنى أو العالم الآخر لدى قدماء المصريين وكانت تعبد في
دمرة *

ماست وسفوت * يبدو ان ماستت وسفوت شكلان لآلهة واحدة
لأن ماستت تصور في شكل امرأة لها رأس اسد وعل رأسها قرص الشمس
والحية ، بينما ماستت لها رأس قطة وتمسك بالصاعل وهي تعبد في
بوانسني (تل بسطة) *

الملحق الثالث

العقيدة الدينية لدى قدماء المصريين

هل كان لقدماء المصريين يؤمنون بإله واحد ، كانت صفاته مختلفة في آلهتهم المتعددة ؟ أم أن البناء الكلي لمفاهيمهم كان مدفوعا على أنسب طوره تسمية بكافة تشبيهاتها المختلفة والمتعددة ؟ وهذه هي مشكلة علم المصريين الموصفة وهي مشكلة لم تحل بعد . ويختلف علماء المصريات بنسبة حول هذا الموضوع بحيث أصبح من المحال التوفيق بين آرائهم ، لدرجة أن وصف أي معبد يستكمل بمفرد المادة إلى هذه المسألة فلهذه ، ولما كان السؤال نفسه يقتصر كل رأي يتكون عن مصر القديمة والمصريين القدماء ، فقد فكرت في أن أجمع هنا على بعض المقطعات المعجزة من كتابات واحد أو اثنين من كبار المؤلفين الذين تعرضوا للموضوع .

● تتكون ديانة المصريين القديمة من الأيمان بألهة متعددة مختلفة من سلسلة من المجموعات المحلية . وكانت فكرة عجلته إله واحد قائم بدائه موجودة في معظم مفاهيم الآلهة الرئيسية الذين قيل عنهم أنهم انجبروا آلهة أخرى ورجلا وكالة الكائنات والأشياء . وكانت الشمس هي أكثر الأسماء التي عُدوا في أشكالها المختلفة مثل الشروق ، ووسط النهار ، والغروب تحت أسماء مختلفة وكانت موحدة خاصة في طبيعتها مع أشكال الآلهة الأخرى مثل آمون ومنتر - لما أقدم الآلهة وهو الإله شاح الذي كان يسد في منب ، فقد كان هو حالي السماء والأرض والآلهة والبشر . ولم يكن موحدا مع الشمس . ويختلف عبادة الآلهة الفلسفية انتشرت عبادة توتيريس وإلى جانبها عبادة خصيه سمته ، الشيطان المصري ، قرين الروح ، وقاضي المستقبل ، والجسيم (هاديس) والمالو Ashai أي الفردوس ، والاعتقاد الأخير للروح مع الجسم بعد غياب ترون عديده . ولدى جانب آلهة السماء ، والنور ، والعالم السفلي ، كانت هناك آلهة أخرى تجسد عناصر أو عمليات الطبيعة ، والشمس والاسدات ، عن كتاب : *Guide to the First and Second Egyptian Room* - المتحف البريطاني - تأليف من . يوش ، سنة ١٩٧٤ .

● * كانت هذه الديانة المتحلطة بالعديد من الأساطير المعتقد قد اندمجت مع بعض مبادئ طبيعية مشابهة لم يتم تطبيق أى منها بشكل كامل . أما الذى لا شك فيه وهو ما يظهر لنا كذلك من النصوص ويقتضى قبول العالم كله ، فهو الاعتقاد فى إله واحد - لما بعد الإله فهو محدث مظهر خارجي - أن الآلهة المتعددة ليست إلا موجهينا للكانى الواحد حتى قدراة المختلفة - وهذا الاتجاه هو الرمز للمعنى المطلق بمرور محسوسه ، وهو الذى ينبعث عنه الله الهيروغليفية ، قد أوحى بعبادها فى التعبير عن الفكرة الدينية ، وهذه الفكرة قد احتلت فى المصور الأخيرة دواء وعزائم متطرفة » .

عن كتاب العالم ب - بحر - Dictionnaire d'Arab. Egyptienne.
المشهور سنة ١٨٧٥ وقد ترجمت عن اللغة التى تحت عنوان: Religion

● * كان إله قضا المصرين واحدا ، وكاملا ، ومعاجا للمعرفة والذكاء ، وأبعد ما يكون عن الفوضى بحيث لا يستطيع أحد الخديب عن الفوضى - أنه الواحد الذى يوجد بالصوره ، والروح الواحد الذى يعيش فى جميع الماديات ، والموالد الوحيد فى السماء والأرض الذى لم يلد أحد - وهو أبو الآباء وأم الأمهات ، وهو دائم الوجود والكمال الذى لا يغير ، وهو الموجود فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وهو يملأ الكون بحيث لا تستطيع أية صورة أرضية أن تصغر عن حجمه الكبير ، وهو موجود بحيث تظهر بوجوده فى كل مكان ولكنه غير محسوس فى أى مكان * .

عن كتاب العالم ج - عاصمير - Histoire Ancienne des peuples de l'Orient
- نشر فى باريس سنة ١٨٧٦ ، الفصل الأول - ج ٢٦ *

● * من سوء الحظ أننا كلما تعمقنا فى دراسة ديانة قضا نصيرين ، اردنا ان نشكو كما حول الموقف الذى يجب ان نتخذه حالها - لقد استمرت الحقائق منذ زمن طويل فى دائرة دائره واحد وكشفت لنا مصدرا غريبا للمادة المائعة -

ان جدين المعبدين نظميها النصوص مثل كتابي دلت حادثا حول الآلهة التى جسد لها المبدل ويوجدتان ايضا عن الحقيقة فى تعاضدها العامة - ولكن لا يظهر من خلال هذين المبدلين ولا المعايير الأخرى التى عرفناها منذ فترة طويلة ، الإله الواحد - وإذا كان آمون - بداية المديان *

في عبية ، ولذا كان يتأخر في صف هو ، أبو جميع الكائنات ، الذي ليس له بداية ولا نهاية ، فإن كل اله مصري آخر كانت تنسب له هذه الصفات الوحيدة . ويمسى آخر مانا نجد في كل مكان إله لم يخلقها أحد وهي حية لا تموت . ولا نجد في أي مكان هذا الإله الواحد غير المرتب الذي ليس له اسم أو شكل والمفروض أنه يحوم فوق القبة العليا لجميع الآلهة المصرية . وقد تم الكشف حاليا عن عميد دفنة وتم الوصول إلى نهاية نقوشه المحفية ولكنها لا تتضمن أثرا لهذا الإله . والنتيجة الواضحة التي يمكن أن نتوصل إليها هي أن العالم (من وجهة نظر قداماء المصريين) كان هو نفسه الإله وأن هذا التعمد يمثل أساس ديانتهم .

في كتاب العالم ١ - عازيت بك *Minéraire de la Haute Egypte*

— نشر في الاسكندرية سنة ١٨٧٢ — ص ٥٤

■ = ان الشمس هي أقدم الأشياء التي عرفها المصريون القدماء كما وضحت على الآثار - كانت هي الإله الذي يولد كل يوم عندها يبرخ من حصن السماء ليلا . وكانت ولادته هي الرمز الطبيعي للوجود الأبدى للأرواح ، ولذلك أصبحت السماء هي الأم الممثلة - لله كانت على وجه الخصوص هي السماء الليلية التي تجسد في هذه الشخصية . وكانت اسمها الشمس وهي بوقت كانه مظاهر الطبيعة تغطي النجاسة للكائنات الحية . ومع أن ذلك كان في الأصل مجرد رمز ، إلا أنه كان هو أساس العقيدة الدينية . ان إله الشمس نفسه هو الذي نطقه مثالا في شكل الكاهن الأعظم . لما بقية اسمه المصري رع فقد كان يضاف إلى اسمه إلهة محلية مينة، مما يشكل لنا أن اسمه المعروف يمثل حبة ثالثة في تكوين ديانات وادي النيل .

عن كتاب المايكوت ١ - دي دوجيه *Notice sommaire des monumens de l'Égypte*

Egyptiens d'Louvre — نشر في باريس سنة ١٨٧٣ — ص ١٢٠

وعلى ذلك فإن هذه الديانة سودا، آكانت ترتكز على خرافة خيسنة أم على عبادة أصيلة في الإيمان بالله وحي، قد أصبحت مادة ضمنية في تطوراتها الأخيرة وهو ما توضح بطلا لكل دارس للآثار . وقد أورد هيبو هامبيور التعليقات التالية فيما يختص بتطور واتساع العقيدة القديمة :

« وعلى مدار العصور ، أصبحت مفاهيم العقيدة غامضة ، بينما ظل مفهوم الأرواحية الذي رماه قداماء المفكرين القلائدين في مصر القديمة

واضحاً هنا وهناك من النصوص التي يعود تاريخها إل العصر اليوناني الروماني ، وتبرز من العبارات والسمات غير الكاملة على أن المبادئ الأساسية للمدانة المصرية ظلت موجودة ، وبالنظر إل الكثير من هذه العبارات لم يجد لدينا ما يفعله إله الإله القديم غير المعلوم والذي لا تتركه الحواس ، ولكننا نجد أنفسنا أمام ذلك من ثم قدم يميني على الأرض واكتفى بأن يجعل نفسه مجرد ملك في القبر ، ولم يجد هو الإله الذي لا يعرف أحد شكله أو ملامحه : إنه الإله حنوم في أسس والاله حنوم في دفنهم ، وحورس ملك الأسرة الإلهية في الفخو ، وهذا الملك لديه بلاط ووزراء ويدين وأسطول ، أما إله الأكبر حور حات أمير كوش وديت العرش فقامه يقود الجيوش ، ووزير الأول تحول مخترع حروف الكتابة لأنه يمتلك من الطرب أصابعه الجغرافيا وفي الحطابة وهو المؤرخ الملكي والمؤسس على واجب تسجيل انتصارات الملك والاحتفال بها بصوت مرتفع ، وعندما يلقى هذا الملك حرباً على جاره تغوى لا يستخدم الأسلحة الأولية انني يجب أن يعتبرها مؤثمة يمكن أن يورعها حسب إرادته ، وأما يستغنى رعاة السهام والصلوات الحربية ويهبط النيل في سفينة النشاعية يصفته آخر فرعون حديد ، ويوحه المشاة ومرافقي المشاة ويحارب في مملوك ذات حلف موضوعة ، ويحمل الملك بواسطة العاصفة وينضم ممبر كلها تحت كعبه ، ونرى هنا أن المصريين في العصر البطلمي قد انصاعوا إلى إله أحداهم الواحد سلسلة من الملوك والإلهة ، وأخيراً هذه الأساطير المعقدة يصنع من التفاصيل الخيالية ،

عن كتاب : ج + ماسبيرو
Histoire Ancienne des Peuples de

• ٢Orient - نشر طي دارعبي سنة ١٨٧٦ - الفصل الاول من ٥٠ - ٥١ •

الملحق الرابع

تدوين التاريخ الزمني لدى المصريين القدماء

• لقد ظل تدوين تاريخ الأحداث في مصر القديمة محل مراعٍ لعدة قرون. فلم تكن لدى المصريين سنة دائرية ، ولكنهم أرحوا بسنوات حكم ملوكهم . أما المصادر الأسماوية الاغريقية فكانت هي سجلات بطليموس التي هوت في القرن الثاني بعد الميلاد وقوائم الأسرات التي ألفت من كتاب تاريخ مانيسون وهو كاهن مصري عاش في عصر بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م) . وقد أثارت الشكايات الموحدة بين هذه القوائم والآثار ، العديد من الأفكار والخطأ التاريخية . أما النقاط التي تصد الأسلوب الرئيسي لمعرفة التاريخ عن طريق الآثار ، فهي عزو تميز مصر سنة ٥٢٧ ق.م ، ونهاية حكم إسماتيك الأول سنة ٦٦٥ ق.م ، وحكم طهرقا حوالى سنة ٦٩٢ ق.م . وحكم بوخوريس حوالى سنة ٧٢٠ ق.م . وتزامن حكم شمشاق الأول مع الاستيلاء على اورشليم حوالى سنة ٩٧٠ ق.م . أما المصادر الأسماوية الأخرى التي تغطي الفصول على الأجزاء الأخرى من التاريخ فهي المفساتى المعونة من ثورة سوتيس أو نجم الكلب في أيام تحتمس الثالث وحمسي الثاني والثالث والسادس والتاسع - والفترة التي تليها بإرماتة عام من عصر حمسي الثاني إلى عصر ملوك الرعاة ، والألواح الجنائزية للمجمل إبيس في ميد السرايوم . وقوائم الملوك في مقبرة وطيبة وآييدوس ، والرسوم التاريخية المكونة في بردية تودوس والمج ذلك من الملحوظات المنقطة بالأحداث ، ولكن لا توجد تواريخ محددة للأمراء السابقة التي يمكن الإصفاء إليها عن طريق الآثار - أما تلك التي وردت

حتى ذلك الحين، فالمقروض أنها لا تمنح مصر مدى صحة الانتقادات التاريخية أو الفنية . *

عن كتاب : العالم يرضي : Guide to the First and Second Egyptian Rooms - المتحف البريطاني نشر سنة ١٨٧٤ - ص ١٠ -

ويكفي للدلالة على الاختلاف الواسع في الآراء التي تدور حول هذا الموضوع أن نجد علماء المصريات الألمان وحدهم يختلفون فيما بينهم حول تاريخ الملك مينا (أول ملك أصيل في الأسرات المصرية القديمة) إلى الذي التالي :

بون	يضع مينا في سنة ٥٧٠٢ ق.م.
الجر	يضع مينا في سنة ٥٦٦٢ ق.م.
بروخت	يضع مينا في سنة ٤٤٥٥ ق.م.
لابوت	يضع مينا في سنة ٤٦٥٧ ق.م.
لسميوس	يضع مينا في سنة ٣٨٩٢ ق.م.
بسنجا	يضع مينا في سنة ٣٦٢٣ ق.م.

وبالرغم من أن ماريسه كان يعرف الحاجة للاستياء الشديد عند قبول
هو رفض أي من هذه الحسابات إلا أنه يميل إلى الاعتناء على قوائم ماينهورن
التي هي تراخيص الأسيرات الأربع والثلاثين المدونة - كما يلي :

الدولة الممثلة			الدولة المقيمة		
الاسرة	الخاصة	تاريخ لقي	الاسرة	الخاصة	تاريخ (ق.م.م)
١٨١		١٧٠٣	١	ليس	٥٠٠٤
١٩	مكية	١٤٦٧	٢		٤٧٥١
٢٠		١٤٨٨	٣		٤٤٤٦
٢١	قنايس	١١١٠	٤	مكة	٤٢٣٥
٢٢	بيرويسين	٩٤٠	٥		٣٩٥١
٢٣	نابلس	٨١٠	٦	الملايين	٣٧٠٣
٢٤	ساييس	٧٢١	٧		٣٥٠٠
٢٥	اسرة القويصة	٦١٥	٨	مكة	٣٣٥٨
٢٦	ساييس	٦١٥	٩		٣٢٤٠
٢٧	اسرة من القوي	٥٢٧	١٠	مكة	٣٢٤٠
٢٨	ساييس	٤٠٤			
٢٩	مطوس	٥٩٩		الدولة الوسطى	
٣٠	حن ساييس	٥٢٨			
٣١	اسرة من القوي	٣٨	١١		٣٠٤٤
			١٢	مكية	٥
			١٣		٢٨٥١
	الدول التالية		١٤	انصوس	٢٣٩٨
٣٢	من الدولتين	٢٢٧	١٥		
٣٣	من القوي	٢٠٥	١٦	مكة	٢٢٦٤
٣٤	من القوي	٣٠	١٧		

وتعارض مع هذه التواريخ ، القائمة الوحيدة التي جمعها مسيو شاباس وهي تبين فلسفة ما يمكن أن تطلق عليه اسم قائمة المدرسة الوسيطة لملم الحريات - وقدمها مسيو م - شاباس * ليس كسطورة للتاريخ للأظمة ، ولكن للمعاصرة في تيوب الفترت التي من الضروري مدهجها بالتقريب :

٤٠ ق م	ميتا وثلاثة الدولة للقيمة
• ٢٢٠٠	بناء الأبرام للخدمة
• ٢٨٠٠	السر السابعة
• ٢٤٠٠	السر للثقة عارة
• ٢٠٠٠	
• ٢	عزبة الرعاة
• ١٨٠	فره الرعاة وبنية الدولة للخدمة
• ١٧٠	تونس الفلك
• ١٥٠١	مبنى الأول ورمي الثاني
• ١٥٠٠	
• ١٠٠٠	شاهان غازي الزعيم
• ٧٠٠	سرات سفي
• ٦٠٠	
• ٥٠٠	سبيز والفري
• ٤٠٠	
• ٣٠٠	الفرز الفري الثاني
• ٢٠٠	
• ١٠٠	البينة

ملحق شخصي

التاريخ المعاصر لمصر وما بين النهرين وبابل

لقد ظهرت الى النور اضافة جديدة الأهمية الى معلوماتنا عن التاريخ لتاريخ مصر المتزامن مع تاريخ فلسطين وسوريا وما بين النهرين وبابل خلال هذا العام (١٨٨٨) بالاكتشاف العظيم للألواح المسماة التي وجدت في تل الماري بمصر . وتتكون هذه الألواح من سطحيها من حطابيت ورسائل أرسلت الى المنحوتات الثالث والمنحوتات الرابع (حو - ان - آتون) (في أحتاتون) من ملوك بابل وأمر، وحكام فلسطين وسوريا وما بين النهرين ، وقد كان بعضها ممنونا الى المنحوتات الرابع (حو - ان آتون) من بورتا - يوريمس ملك بابل الذي عاش حوالي سنة ١٨٣٠ ق.م . وهذه سطحيها تاريخ حياة المنحوتات الرابع (أحتاتون) وحكمه ، وما يترتب على ذلك من التوصل الى التاريخ التاريخي لانتشاء المدينة التي يعرفها باسم تل الماري وتسمى عبيدة القرص القديم الجديدة وهي لقدم حضارة دنية بين تاريخ مصر القديمة وبعض الدول المعاصرة لها .

ومن هذه الألواح نعرف أيضاً أن زوجة المنحوتات الرابع كانت أميرة سورية وهي اسة دوشرانا ملك لهاربيا (مسد من الألواح باسم « أرض ميتاني ») في أعمال الفرات . وللمجموع على وصف كامل وعلى بعض هذه الوثائق المكتشفة حديثاً انظر ورقة الدكتور ارمان السمي عنوانها : Der Theostatensfund von Tell Amarna التي قرئت أمام أكاديمية برلين في الثالث من شهر مايو سنة ١٨٨٨ .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٨١٩/١٩٩٧

1 — 9805 — 01 — 077 — ISBN

صاحبة هذا الكتاب عاشقة لمصر ...

قبل أكثر من مائة عام قضت إميليا إدواردز إلى مصر مفعمة
بشوق متدفق لرؤية آثار حضارة الفراعنة التي كانت أسرارها قد
بدأت تتكشف. وريداً وريداً أنذاك بعد أن توصل العلماء إلى حل
شفرتها. وقد تحملت هذه السيدة بروح جسورة جسارة جعلتها لا تابه
بتقاليد العصر الفيكتوري المتزمت فلم تتردد في أن تخوض تلك
الرحلة الطويلة عبر صحيف مصر وحتى أعماق النوبة في مركبة نيلية.
وقد اختارت اسم الألف ميل عنوان لرحلتها حتى تشد بطولها.

وبقلها الرشيق حفظت لنا صورة للحياة في صحيف مصر في
أواخر القرن الماضي وصورت لنا آثارها العائمة.

وقد كانت هذه السيدة من مؤسسي «مندوق اكتشاف مصر»
وهذه جمعية علمية أثرية اهتمت بتشجيع عمليات التنقيب الأثرية
القائم على أسس علمية وبهذا ساعدت على أن تميظ اللثام عن الكثير
من الصفحات المجهولة من تاريخ مصر وحفظ العديد من آثارها كما
إنها ساعدت على إخراج المغامرين من ميدان التنقيب عن الكنوز
المصرية.

وبعد فهذا الكتاب سياحة ممتعة في الماضي البعيد
وسيرة صاحبه جديرة بأن تكون مصدراً هاماً لنا للاهتمام
والتأونا.